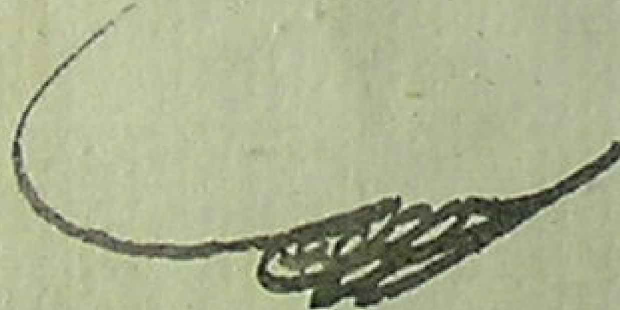
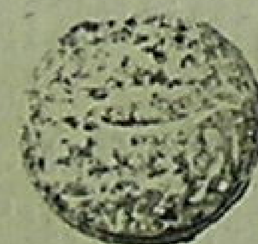


وقف أكرم السلاطين من طبقات الملوك وأبهى الخواقين بحسن السيرة والسلوك
السلطان ابن السلطان السلطان أبو المواهب عثمان خان ابن السلطان مصطفى خان
أدام الله أيام دولته وأدام نصفته في لوائح حشمته
وأنا الداعي لدولته الحاج إبراهيم حنيف المفتش
بأوقاف الحرمين المحترمين
عفي عنه





بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم
الحمد لله أهل الحمد، ومستوجب الثناء والمجد،
وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله الطاهرين

ذكر جوامع أغراض هذا الكتاب

قال المسعودي أما بعد فإنا لما صنفنا
كتابنا في أخبار الزمان وقدمنا القول في هيئة الأرض ومدنها
وعجائبها وبحارها، والحادها، وأغوارها، وجبالها، وأنهارها،
وبدائع معادنها، وأصناف مياهها، وأخبار غياضها، وجزائر البحر
والبحيرات الصغار، وأخبار الأبنية المعظمة، والهياكل
المشرفة، وذكر شأن البدء، وأصل النسل، وتباين الأوطان،
وما كان من الأرض نهراً فصار بحراً، وما كان بحراً فصار براً،
وعلة ذلك وسببه الفلكي والطبيعي، وانقسام الأقاليم بخواص
الكواكب، ومعاطف الأوتاد، ومقادير الآفاق، وتباين الناس
في التاريخ واختلافهم في بدئه وأوليته، من الهند وأصناف
الملحدين، وما ورد في ذلك عن الشرعيين، وما نطقت به الكتب
ووردت عن الربانيين، ثم أتبعنا ذلك بأخبار الملوك الغابرة
والأمم الداثرة، والقرون الخالية، والطوائف البائدة، على اختلاف
أجناسهم، وتغاير أنواعهم، واختلاف أديانهم، وما مضى في
أكناف الزمان من سياساتهم، وما حالت سيرهم على مغايرة أوقاتهم
وتصنيف أعصارهم من الملوك، والفراعنة، والعادية، والأكاسرة
واليونانية، وما ظهر من حكمهم، ومقابل فلاسفتهم، وأخبار ملوكهم
وأخبار القيامة، وفي تضاعيف ذلك من أخبار الأنبياء، والرسل
والأتقياء، إلى أن قضى الله بالرشد، وشرف برسالة محمد
نبيه، صلى الله عليه وسلم، وشرف وعظم وكرم، وذكرنا مولده
ومنشأه، وهجرته ومغازيه وسراياه، إلى أوان وفاته، ثم اتصال
الخلافة، واتساق المملكة، بزمن بعد زمن، ومقاتل من ظهر من الطالبيين
الطاهرين إلى أن انتهينا إلى الوقت الذي فيه شرعنا في تصنيف كتابنا
هذا من خلافة المتقي لله وهو سنة ٣٣٢ ثم أتبعنا بكتابنا
الأوسط في الأخبار على التاريخ وما اندرج من السنين الماضية من
لدن البدء إلى الوقت الذي عنده انتهى كتابنا الأعظم وما تلاه
من الكتاب الأوسط في الأخبار على التاريخ ورأينا إجمال ما بسطناه
واختصار ما وسطناه في كتاب لطيف نودعه لمع ما في ذينك الكتابين

ما ضمناهما

ما ضمناهما وغير ذلك من أنواع العلوم مما لم يتقدم من ذكره فيهما على أنا نعتذر
من تقصير إن كان ويتصل من إغفال إن عرض لما قد شاب خواطرنا
وغمر قلوبنا من تفاوت الأسفار وقطع القفار على متن البحر وتارة
على ظهر البر مستعلمين بدائع الأمم بالمشاهدة عارفين بخواص الأقاليم
بالمعاينة كقطعنا بلاد الهند والزنج والصين والزابج
وتقحمنا الشرق والغرب فتارة بأقاصي خراسان وتارة بأواسط
أرمينية وأذربيجان والران والبيلقان وطوراً بالعراق
وطوراً بالشام فسري في الآفاق، سرى الشمس في الإشراق، كما قال
بعض الشعراء، أطوف بأقطار البلاد فتارة، لدى شرقها الأقصى وطوراً لدى الغرب،
سير الشمس لا ينفك تقذفه النوى، إلى أفق ناء يقصر بالركب،
ثم مفاوضتنا أصناف الملوك على تغاير أخلاقهم وتباين
هممهم، وأخذنا المسلم من مواقفهم، على أن العالم قد بادت آثاره،
وطمس مناره، وكثر فيه العناد، وقل الفهماء، فلا تعاين إلا مموهاً
جاهلاً، أو متعاطياً ناقصاً قد قنع بالظنون، وعمي عن اليقين، ثم
لم نر الاشتغال بهذا الضرب من العلم، والتفرغ له إلا الفقر من الأفا
حتى صنفنا كتبنا في ضروب المقالات، وأنواع الديانات،
ككتاب الإبانة عن أصول الديانة، وكتاب المقالات في أصول الديانات
وكتاب سر الحياة، وكتاب نظم الأدلة في أصول الملة وما تشتمل
عليه من أصول الفتوى وقوانين الأحكام كتملي القياس والاجتهاد
في الأحكام ودفع والاستحسان ومعرفة الناسخ والمنسوخ
وكيفية الإجماع وماهيته ومعرفة الخاص والعام والأوامر
والنواهي والحظر والإباحة وما من الاستفادة والآحاد
وأفعال النبي عليه السلام وما لحق بذلك من أصول الفتوى ومناظرته
الخصوم فيما زعموا فيه وموافقتنا في شيء من كتاب الاستبصار
في الإمامة ووصف أقاويل الناس في ذلك من أصحاب النص والاختيار
وحجج كل فريق منهم، وكتاب الصفوة في الإمامة وما اجتنبناه في ذلك مع
سائر كتبنا في ضروب علم الظواهر، والبواطن، والجلي، والخفي،
والداثر، والواقف، وإيقاظنا على ما ترتقبه المرتقبون وتتوقعه
المحترقون وما ذكروه من نقد يلمع في الأرض ويسطع في الجدب
والخصب، عقب الملاحم الكائنة الظاهرة أنباؤها المختفية
أوائلها في السياسة كالسياسة المدنية وملحقها
الطبيعية، وانقسام أجزاء الملة والإبانة عن المبادي الأول
وكيفية تراكيب العوالم والأجسام السماوية وما هو محسوس وغير

محصول من الكثيف واللطيف وما قال اهل ملل الملحدين في ذلك
وكان مما دعانا الى تاليف كتابنا هذا في التاريخ للعالم محبة
احتذاء الشاكلة التي قصدها العلماء وقفاها الحكماء وان نبقي
في العالم ذكرا محمودا وعلما منظوما عتيدا فاوجدنا مصنفي الكتب
في ذلك بين مجيد ومقصر ومسهب ومختصر ووجدنا الاخبار
زائدة مع زيادة الايام حادثة مع حدوث الازمان فربما غاب
البارع منها على الفطن الذكي ولكل واحد منها قسط يخصه بمقدار
عنايته ولكل اقليم عجائب يقتصر على علمها اهله وليس من لزم
جهة وطنه وقنع بما نمي اليه من اخبار اقليمه كمن قسم عمره
على قطع الاقطار ووزع ايامه بين تقاذف الاسفار فاستخرج
كل دقيق من معدنه واثار كل نفيس من مكمنه وقد الف الناس
كتبا في التواريخ والاخبار ممن سلف وخلف فاصاب البعض
واغفل البعض وكل قد اجتهد بغاية امكانه واظهر مكنون جوهر
فطنته كوهب بن منبه وابي مخنف لوط بن يحيى العامري ومحمد بن اسحق
والواقدي وابن الكلبي وابي عبيدة معمر بن المثنى وابن عياش
والهيثم بن عدي الطائي والشرقي بن القطامي وحماد الراوية
والاصمعي وسهل بن هرون وابن المقفع واليزيدي والعتبي
الاموي وابي زيد سعيد الانصاري والنضر بن شميل
وعبيد الله بن عائشة وابي عبيد القاسم بن سلام وعلي بن محمد المدائني
وزياد دبيع بن سلمة ومحمد بن سلام الجمحي وابي عثمان عمرو بن بحر
الجاحظ وابي زيد عمر بن شبة وعيسى بن لهيعة المصري
وابي حسان ومحمد بن محمد الخوارزمي وابي جعفر محمد بن ابي السري
ومحمد بن الهيثم بن سيابة الخراساني صاحب كتاب الدولة واسحق
بن ابراهيم الموصلي وابي الفرج القصباني صاحب كتاب الاغاني
وغيره من الكتب والخليل بن الهيثم الهرثمي صاحب كتاب الحيل
والمكايد في الحروب وغيره ومحمد بن يزيد الازدي ومحمد بن كناسة
المنقري الجوهري ومحمد بن زكريا الغلابي المصنف
للكتاب المترجم بكتاب الاجواد وغيره وابن ابي الدنيا والكلبي
لعمر بن محمد الخزاعي المعروف بالخاقاني الانطاكي وعبد الله بن محمد بن محفوظ
البلوي الانصاري صاحب ابي زيد عمارة المدني ولمحمد بن الخطابة
صاحب الكتاب المعروف بخطيب بغداد وغيره وابن الوشا
وعلي بن مجاهد صاحب كتاب اخبار الامويين وغيرهم ومحمد بن
صالح بن النطاح صاحب كتاب الدولة العباسية وغيره وابو يوسف

ابن ابراهيم صاحب اخبار ابراهيم بن المهدي وغيرها ومحمد بن الحارث
التغلبي صاحب الكتاب المعروف باخلاق الملوك للفتح بن خاقان
وغيره وعبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه فانه كان اماما في التاليف
مطبوعا في ملاحة التصنيف اتبعه من بعده واخذ منه ووطي
على عقبه وقفا اثره واذا اردت ان تعلم صحة ذلك فانظر
الى كتابه الكبير التاريخ احسنها جدا وابدعها نظما واكثرها علما
واحوى لاخبار الامم وملوكها وسيرها من الاعاجم وغيرها ومن
كتبه النفيسة كتابه في المسالك والممالك وغيره مما اذا طلبته
وجدته واذا تفقدته احمدته وكتاب التاريخ من المولد الى الوفاة
ومن كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم من الخلفاء والملوك الى خلافة
المعتضد بالله وما كان من الاحداث والكوائن في ايامهم واخبارهم
تاليف محمد بن علي الحسني العلوي الدينوري وكتاب التاريخ احمد
ابن يحيى البلاذري وكتابه ايضا في البلدان وفتوحها صلحا
وعنوة من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وما فتح في ايامه وعلى الخلفاء
من بعده وما كان من الاخبار في ذلك ووصف البلدان في الشرق
والغرب واليمن والجنوب ولا نعلم في فتوح البلدان احسن
منه وكتاب داود بن الجراح في التاريخ الكبير الجامع لكثير من
اخبار الفرس وغيرها من الامم وهو جد الوزير علي بن عيسى بن داود
ابن الجراح وكتاب التاريخ الجامع لفنون من الاخبار والروايات
ذا الاعصار قبل الاسلام وبعده تاليف ابي عبد الله محمد بن الحسن
ابن سوار المعروف بابن اخت عيسى بن فرخانشاه بلغ في تصنيفه
الى سنة ٣٢٠ وتاريخ ابي عيسى بن المنجم على ما اثبات به التوراة وغير
ذلك من تاريخ الانبياء والملوك وكتاب التاريخ واخبار الامويين
ومناقبهم وذكر فضائلهم وما باينوا به غيرهم وما احدثوه من
السير في ايامهم تاليف ابي عبد الرحمن خالد بن هشام الاموي
وكتاب ابي بشر الدولابي في التاريخ وكتاب الشريف بالبيقا لابي بكر
محمد خلف بن وكيع القاضي في التاريخ وغيره من الاخبار وكتاب
السير والاثار لمحمد بن خالد الهاشمي وكتاب التاريخ والسير
لاسحق بن سليمان الهاشمي وكتاب سير الخلفاء لابي بكر محمد بن زكريا
الرازي صاحب كتاب المنصوري وغيره في الطب فاما
عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري فممن كثرت كتبه
واتسع تصنيفه ككتابه المترجم بكتاب المعارف وغيره من مصنفاته
ولكتاب تاريخ ابي جعفر محمد بن جرير الطبري الزاهي على المصنفات والمؤلفات

والزايد على الكتب فقد جمع انواع الاخبار وحوى فنون الاثار
واشتمل على ضروب العلم وهو كتاب كثير الفايده وشفيع عايده تد
وكيف لا يكون كذلك ومولفه فقيه عصره وناسك دهره والذي ثبت
علوم ممالك الامصار وعمل السنين والاثار ولذلك تاريخ ابي
عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفه الواسطي النحوي المنبوز بنفطويه
محشو من ملح كتب الخاصه مملو من فوايد الساده وكان احسن
اهل عصره تاليفا واملحهم تصنيفا ولذلك سلك محمد بن يحيى
الصولي في كتابه المترجم بكتاب الاوراق في اخبار خلفاء بني
العباس واشعارهم وكتابه في اخبار وزرايهم فانه ذكر غرايبا
لم تقع الى غيره واشيا تفرد بها لانه شاهدها بنفسه وكان محظوظا
من العلم مجدودا من المعرفه مرزوقا من التصنيف وحسن التاليف
وكذلك كتاب اخبار الوزرا لابي الحسن علي بن الحسن المعروف
بابن الماشطه فانه بلغ في تصنيفه الى آخر ايام الراضي بالله
وكذلك ابو الفرج قدامه بن جعفر الكاتب فانه كان حسن التاليف
بارع التصنيف موجد الالفاظ مقرب المعاني واذا اردت
علم ذلك فانظر الى كتابه في الاخبار المعروف بكتاب زهر الربيع
واشرف على كتابه المترجم بكتاب الخراج فانك شاهد بما حقيقه
ما ذكرناه وصدق ما وصفناه وما صنفه ابو القاسم جعفر بن
محمد بن حمدان الموصلي الفقيه في كتابه في الاخبار الذي عارض
فيه كتاب الروضه للمبرد ولقبه بالباهر وكتاب ابرهيم بن
ماهويه الفارسي الذي عارض فيه المبرد في كتابه الملقب
بالكامل وكتاب ابرهيم بن موسى الواسطي الكاتب في اخبار
الوزرا الذي عارض في كتاب محمد بن داود بن الجراح في الوزرا
وكتاب علي بن الفتح الكاتب المعروف بالمطوق في اخبار
عدة من وزرا المقتدر وكتاب زينة العيون وجلا القلوب
تاليف المصري وكتاب التاريخ ما الف عبد الرحيم من خبر الوراق
المعروف بالجوجاني السعدي وكتاب التاريخ واخبار الموصلي
[illegible] المصري في اخبار العباسيين وغيرهم وكتاب التاريخ واخبار
الخلفاء من بني العباس وغيرهم لعبد الله بن الحسين بن سعد
الكاتب وكتاب محمد بن الازهر في التاريخ مفرح وكتاب المترجم بكتاب
الهرج والاحداث وقد رايت سنان بن ثابت بن قره الحراني
حين انتحل ما ليس من صناعته واستنهج ما ليس من
طريقته قد الف كتابا جعله رسالة الى بعض اخوانه من الكتاب استفتحه

بجوامع

بجوامع من الكلام في اخلاق النفوس واقسامها من الناطقه والغضبيه
والشهوانيه وذكر لمعا من السياسات المدنيه مما ذكره افلاطون
في كتابه في السياسه المدنيه العشر مقالات ولمعا مما يجب على
الملوك وعلى الوزرا ثم خرج الى الاخبار زعم انما صحت عنده
ولم يشاهدها ووصل ذلك باخبار المعتضد بالله وصحبته
اياه واياما السالفه معه ثم رقي الى خليفه خليفه في التصنيف
مضاده لرسم الاخبار والتواريخ وخروجا عن اهل التصنيف وهو
وان احسن لم يخرج عن معانيه فانما عيب لانه خرج
عن صناعته وتكلف ما ليس من مهنته ولو اقبل على علمه الذي
انفرد فيه من علم اقليدس والمقطعات والمجسطي والمدورات ولو
استفتح ارا سقراط وافلاطون وارسطاطاليس في الخبر على الاشيا الفلكيه
والاثار العلويه والمزاجات الطبيعيه والتاليف والنتايج والمقدمات
والصنايع المركبات ومعرفه الطب والطبيعيات من الالاهيات والجواهر
والهيات ومقادير الاشكال وغير ذلك من انواع الفلسفه لكان
قد سلم مما تكلفه واتى بما هو اليق بصنعته لكن العارف بقدره
معقود والعالم مواضع الجهل مفقود فقد قال عبد الله بن المقفع من وضع
كتابا فقد استهدف فان اجاد فقد استشرف وان اسا فقد استقذف
قال المسعودي ولما رايت كتب التواريخ والاخبار والسير
والاثار الا ما اشتهر مصنفوها وعرف مولفوها ولم يعرض لها من تواريخ
اصحاب الحديث في معرفه اسماء الرجال واعمارهم وطبقاتهم
قدمه اذ كان الغرض ان ياتي على ذكرهم في هذا الكتاب اذ كنا اتينا
على جميع تسميه اهل الاعصار من حمله الاثار ونقله السير والاخبار
وطبقات اهل العلم من عصر الصحابه ثم من تلاهم من التابعين
واهل عصر عصر على اختلاف انواعهم وتنازعهم في ارايهم من فقها
الامصار وغيرهم من اهل الارا والنحل والمذاهب والجدل
الى سنه ٣٣٢ في كتابنا المترجم بكتاب اخبار الزمان وفي الكتاب
الاوسط وقد سميت كتابي هذا بكتاب مروج الذهب ومعادن
الجوهر لنفاسه ما حواه وعظم خطر ما استولى عليه من طوالع بوارع
ما ضمنته كتبنا السالفه في معناه وغرر مولفاتنا في مغزاه وجعلته
تحفه الاشراف من الملوك واهل الدرايات لما قد ضمنته من جمل
ما تدعو الحاجه اليه وتنازع النفوس الى علمه من درايه ما سلف
وظهر في الزمان منبها على اغراض ما سلف من كتبنا ومشتملا على
جوامع يحسن بالعاقل الاديب معرفتها ولا يعذر في التغافل

عنها ولم نترك فنا من العلوم ولا فنا من الاخبار ولا طريقة من الاثار
الا اوردناه مفصلا في هذا الكتاب او ذكرناه مجملا او اشرنا اليه بضرب
من الاشارات او اخبرنا عنه بفحوى من العبارات فمن حرف شيا
من معناه او ازال ركنا من اركانه او طمس واضحة من معالمه او لبس شاهدة
من تراجمه او غيره او بدله او انتخبه او اختصره او نسبه الى غيرنا
او اضافه الى سوانا فوافاه من غضب الله وسرعة نقمته وفوادح
بلاياه ما يعجز عنه صبره ويحار له فكره وجعله الله مثلة للعالمين
وعبرة للمعتبرين واية للمتوسمين وسلبه الله ما اعطاه وحال
بينه وبين ما انعم به عليه من قوة ونعمة مبتدع السموات والارض من
اي الملل كان والاراء انه على كل شي قدير وقد جعلت هذا التخويف
في اول كتابي هذا واخره ليكون رادعا لمن قبله هوا او غلبه شقا
فليراقب الله ربه وليحاذر منقلبه فالمدة يسيرة والمسافة قصيرة
والى الله المصير وهذا حين نبدا بجمل ما استودعناه
هذا الكتاب من الابواب وما حوى كل باب منه من انواع الاخبار
ان شا الله تعالى ذكر ما اشتمل عليه هذا الكتاب من الابواب
قد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب ذكر الاغراض فلنذكر الان
جملات لمعاني ابوابه على ذكر ما اتى فيه وليسهل ما رامه وليقرب
تناولها على مريدها ان شا الله تعالى ولـــذلك ذكر المبدا
وشان الخليقة وذرء الذرية من ادم الى ابراهيم عليهما السلام
ذكر من ادم الى ابراهيم عليه السلام ومن كان في عصره من الانبيا
والملوك من بني اسرائيل وجمل من اخبار الانبيا عليهم السلام ذكر
اهل الفترة ممن كان بين المسيح ومحمد صلى الله عليهما ذكر جمل من
اخبار الهند وارائها وبدو ملوكها وسيرها واديانها في عباداتها
ذكر الارض والبحار ومبادي الجبال والانهار والاقاليم
السبعة وما والاها من الكواكب وغير ذلك ذكر جمل من الاخبار
عن انتقال البحار وجمل من اخبار الانهار الكبار ذكر الاخبار
عن البحر الحبشي وما قيل في مقداره وتشعبه وخلجانه ذكر
تنازع الناس في المد والجزر وجوامع مما قيل في ذلك ذكر البحر
الرومي في طوله وعرضه وابتدائه ونهايته ذكر بحر نيطس
وبحر مانيطس وخليج القسطنطينية ذكر بحر الباب
والابواب وجرجان وجملة من الاخبار عن ترتيب جميع البحار
ذكر ملك الصين وملوكهم وجوامع من سيرهم وسياساتهم
وغير ذلك ذكر جمل من الاخبار عن البحار وما فيها وما حولها

العجايب

العجايب والامم ومراتب الملوك وغير ذلك ذكر جبل الفتح
واخبار الامم من اللان والسرير وانواع من الترك والبرغر واخبار
الباب والابواب ومن حولهم من الملوك والامم ذكر ملوك
السريانيين ذكر ملوك الموصل ونينوى وهم الاثوريون ذكر
ملوك بابل من النبط وغيرهم وهم الكلدانيون ذكر ملوك
الفرس الاول وسيرها وجوامع من اخبارها ذكر ملوك الطوائف
والاشغانيين وهم بين الفرس الاولى والثانية ذكر
انساب فارس وما قاله الناس في ذلك ذكر ملوك الساسانية
وهم الفرس الثانية وسيرهم وجوامع من اخبارهم ذكر
اليونانيين واخبارهم وما قال الناس في بدء انسابهم ذكر
جوامع من اخبار جرت للاسكندر بارض الهند ذكر ملوك
اليونانيين بعد الاسكندر ذكر الروم وما قال الناس
في بدء انسابهم وعدد ملوكهم وتاريخ سنيهم وجوامع من سيرهم
ذكر ملوك المتنصرة بالروم وهم ملوك القسطنطينية ولمع
مما كان في اعصارهم ذكر ملوك الروم بعد ظهور الاسلام الى
ارمانوس وهو الملك في سنة اثنتين وثلاثين وثلثماية ذكر
مصر واخبارها ونيلها وعجايبها واخبار ملوكها ذكر اخبار
الاسكندرية وبنائها وملوكها ذكر السودان وانسابهم
واختلاف اجناسهم ذكر الافرنجة والجلالقة وملوكها
وجوامع من اخبارها وسيرها وحروبها مع اهل الاندلس ذكر
النوكبرد وملوكها والاخبار عن مساكنها ذكر عاد وملوكها
ولمع من اخبارها وما قيل في طول اعمارها ذكر ثمود وملوكها
وصالح نبيها عليه السلام ولمع من اخبارها ذكر مكة واخبارها
وبناء البيت ومن تداوله من جرهم وغيرهم وما لحق بهذا الباب
ذكر جوامع من الاخبار في وصف الارض والبلاد وحنين
النفوس الى الاوطان ذكر تنازع الناس في المعنى الذي
من اجله سمي اليمن يمنا والعراق والشام والحجاز ذكر اليمن
وانسابها وما قال الناس في ذلك ذكر اليمن وملوكها التابعة
وغيرها وسنيها ومقدار سنيها ذكر ملوك الحيرة من
اليمن وغيرهم واخبارهم ذكر ملوك الشام من اليمن
وغيرهم ومن كان من اخبارهم ذكر البوادي من العرب
وغيرهم من الامم وعلة سكناها البدو وافراد الجبال وانسابهم
وجمل من اخبارهم وغيرهم مما يتصل بهذا المعنى ذكر

ذكر الصقالبة ومساكنها
واخبار ملوكها وتفرق اجناسها صح

ديانات العرب وآرائها في الجاهلية وتفرقها في البلاد واخبار
اصحاب الفيل وامر الحبشة وغيرهم وعبد المطلب
وغير ذلك مما لحق بهذا الباب ذكر ما ذهبت اليه العرب
في النفوس والهام والصفر واخبارها في ذلك ذكر
اقاويل العرب في الغيلان والتغول وما قاله غيرهم
من الناس في ذلك وغير ذلك مما يتعلق بها ويتصل بهذه
المعاني ذكر اقاويل الناس في الهواتف والجان من
العرب وغيرهم ممن اثبت ذلك ونفاه ذكر ما ذهبت
اليه العرب من العيافة والزجر والقيافة والسانح والبارح
وغير ذلك ذكر الكهانة ووصفها وما قاله الناس في
ذلك من اخبارها وحد الناطقة منها وغيرها من النفوس
وما قيل فيما يراه النائم وما اتصل بهذا الباب ذكر
جمل من اخبار الكهان وسيل العرم بارض سبا
وتفرق الازد في البلاد وسكناهم البلاد ذكر سني العرب
والعجم وشهورها وما اتفق منها وما اختلف ذكر شهور
القبط واليونانيين والخلاف في اسمائها وجمل من التاريخ
وغير ذلك مما يتصل بهذا المعنى ذكر وصف شهور
السريانيين ووصف موافقتها للشهور الرومية وعدد ايام
السنة ومعرفة الانواء ذكر شهور الفرس وما اتصل
بذلك ذكر شهور العرب وسنيها وتسمية ايامها ولياليها
ذكر قول العرب في ليالي الشهور القمرية وغيرها وما اتصل
بهذا المعنى ذكر القول في تاثير النيرين في العالم
وجمل مما قيل في ذلك وما اتصل بهذا الباب ذكر
ارباع العالم وما خص به كل جزء منه من الشرق والغرب
والتيمن والجربي وغير ذلك من سلطان الكواكب ذكر
البيوت المعظمة والهياكل المشرفة وبيوت النيران والاصنام
وعبادات الهند والكواكب وغير ذلك من عجائب العالم ذكر
البيوت المعظمة عند اليونانيين ووصفها ذكر البيوت
المعظمة عند اوائل الروم ووصفها ذكر البيوت
المعظمة عند الصقالبة ووصفها وهياكل مشرفة للصابئة
من الحرانيين وغيرهم وما فيها من العجائب والاخبار عنها
ذكر الاخبار عن بيوت النيران وكيفية بنائها واخبار
المجوس فيها وما لحق بها ذكر جامع تاريخ العالم

من بدئه الى مولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونسبه وغير ذلك وما لحق
بهذا الباب ذكر مبعثه عليه السلام وما في ذلك الى هجرته وجوامع
ما كان في ايامه الى وفاته ذكر الاخبار عن نعوته واحوال كانت من
مولده الى وفاته صلى الله عليه وسلم ذكر ما بدا به عليه السلام من
الكلام مما لم يحفظ قبله عن احد من الانام ذكر خلافة ابي بكر الصديق
ونسبه ولمع من اخباره وسيره ذكر خلافة عمر بن الخطاب ونسبه
ولمع من اخباره وسيره ذكر خلافة عثمان بن عفان ونسبه ولمع من
اخباره وسيره ذكر خلافة علي بن ابي طالب ونسبه ولمع من اخباره
وسيره ونسب اخوته واخواته ذكر الاخبار عن يوم الجمل وبدئه
وما كان فيه وغير ذلك ذكر جوامع مما كان بين اهل العراق والشام بصفين
ذكر الحكمين وبدء التحكيم ذكر حربه عليه السلام مع اهل النهروان
وهم المارقة وما لحق بهذا الباب ذكر مقتل علي بن ابي طالب عليه السلام
ذكر لمع من كلامه وزهده وما لحق بهذا المعنى من اخباره ذكر ايام
معاوية بن ابي سفيان ولمع من اخباره ذكر جمل من اخلاق معاوية
وسياسته وظرائف من عيون اخباره ذكر الصحابة ومدحهم وعلي
والعباس وفضلهم رضي الله عنهم ذكر ايام يزيد بن معاوية بن ابي سفيان
ذكر مقتل الحسين بن علي بن ابي طالب ومن قتل من اهل بيته وشيعته
ذكر اسماء ولد علي بن ابي طالب ذكر لمع من اخبار يزيد وسيره
ونوادر من بعض افعاله وما كان منه في خلافته وغير ذلك ذكر ايام
معاوية بن يزيد ومروان بن الحكم والمختار بن ابي عبيد وعبد الله
بن الزبير ولمع من اخبارهم وسيرهم وبعض ما كان بينهم ذكر
ايام عبد الملك بن مروان ولمع من اخباره وسيره وذكر الحجاج
وخطبه وما كان منه في بعض اخباره ذكر ايام الوليد بن عبد الملك
ولمع من اخباره وسيره وما كان من الحجاج في ايامه ذكر خلافة
عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ولمع من اخباره وسيره ذكر ايام هشام
ابن عبد الملك ولمع من اخباره وسيره ذكر ايام الوليد بن
يزيد بن عبد الملك ولمع من اخباره وسيره ذكر ايام يزيد
بن الوليد بن عبد الملك وابراهيم بن الوليد بن عبد الملك ولمع
مما كان في ايامهما ذكر السبب في العصبية بين
اليمانية والنزارية وما ولد ذلك على بني امية من الفتنة ذكر
ايام مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ذكر مقدار المدة من
الزمان وما ملكت فيه بنو امية من الاعوام ذكر الدولة
العباسية ولمع من اخبار مروان ومقتله وجوامع من حروبه

ذكر ايام سليمان بن عبد الملك ولمع من اخباره وسيره

وسيره ذكر خلافة السفاح وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في
ايامه ذكر خلافة المنصور وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في
ايامه ذكر خلافة المهدي وجمل من اخباره وسيره ولمع مما
كان في ايامه ذكر البرامكة واخبارهم وما كان منهم في ايامهم
ذكر خلافة الامين وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه ذكر
خلافة المامون وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه ذكر
خلافة المعتصم وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه
ذكر خلافة الواثق وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه
ذكر خلافة المتوكل وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه
ذكر خلافة المنتصر وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه
ذكر خلافة المستعين وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه
ذكر خلافة المعتز وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه
ذكر خلافة المهتدي وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه
ذكر خلافة المعتمد وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه
ذكر خلافة المعتضد وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه
ذكر خلافة المكتفي وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه
ذكر خلافة المقتدر وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه
ذكر خلافة القاهر وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه
ذكر خلافة الراضي وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه
ذكر خلافة المتقي وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه
ذكر خلافة المستكفي وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه
ذكر خلافة المطيع وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه
ذكر جميع التاريخ الثاني من الهجرة الى هذا الوقت وهو جمادى الاولى
سنة ٣٣٦ الذي فيه انتهينا من الفراغ من هذا الكتاب ذكر فتح
بالاسلام من اوله الى سنة ٣٣٥ وهو اخر الكتاب ذكر
جمل من القاصيم وطرف من ذكر الديانة في اعصارهم

قال المسعودي

فهذه جوامع ما حوى هذا الكتاب من الابواب على الترتيب في كل باب مما
ذكرنا من انواع العلوم وفنون الآثار والاخبار مما رتبنا على ازمان الامم
وهو مرتب على حسب ما قدمنا من ابوابه على تفصيل منا لتاريخ الخلفا
ومقدار اعمارهم وايامهم نفرد اخبار سيرهم واخبارهم ثم نعقب بعد ذلك
بالغرر من اخبارهم والعيون من سيرهم والجوامع مما كان في اعصارهم
والاخبار ووزرائهم وما كان وجرى من انواع العلوم فيما السمر والمحاضن

برز

بذلك على من سلف من تصنيفهم او تقدم من تاليفنا في هذه المعاني والفنون
وعددنا ما اشتمل عليه هذا الكتاب من الابواب ما بين باب واثنان والانون
بابا الاول ذكر جوامع اغراض هذا الكتاب الثاني ذكر ما اشتمل عليه
هذا الكتاب من الابواب ولغر ما ذكر من القاسم وطرف من ذكر
فتح بالناس من اول الهلال الى سنة ٣٣٥ هو بلا بين ولا نما

ذكر المبدا وشان الخليقة وذرء البرية قال

ابو الحسن اتفق اهل الملة جميعا من اهل الاسلام ان الله عز وجل
خلق الاشيا على غير مثال وابتدعها من غير اصل ثم روي عن
ابن عباس وغيره ان اول ما خلق الله عز وجل الما وكان عرشه
الله فلما اراد ان يخلق الما اخرج من الما دخانا فارتفع فوق الما
فسما السما ثم انشا الما فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها سبع ارضين
في يومين في الاحد والاثنين وخلق الارض على حوت والحوت هو الذي
ذكره الله في القرآن ن والقلم وما يسطرون والحوت في الما والما على الصفا
والصفا على ظهر ملك والملك على الصخرة والصخرة على الريح وهي
الصخرة التي ذكرها الله في القرآن في قول لقمان لابنه يا بني انها ان تك
مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السموات او في الارض يات
بها الله ان الله لطيف خبير فاضطرب الحوت فتزلزلت الارض
فارسى الله عليها الجبال فاستقرت الارض وذلك قول الله وجعل
فيها رواسي من فوقها الى تميد بهم وخلق الجبال فيها وخلق
اقوات اهلها وشجرها وما ينبغي لها في يومين يوم الثلاثا
ويوم الاربعا وذلك قوله تعالى قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق
الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين وجعل
فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة
ايام سوا للسائلين ثم استوى الى السما وهي دخان فقال
لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فكان
ذلك الدخان من تنفس الما حين تنفس فجعلها سما واحدة
ثم فتقها فجعلها سبعا في يومين في يوم الخميس والجمعة
وانما سمي بالجمعة لانه جمع فيه خلق السموات والارض
ثم قال تعالى واوحى في كل سما امرها يقول خلق في كل سما
امرها خلقها من الملائكة والبحار وجبال البرد سما الدنيا
من زمرد خضرا والسما الثانية من فضة بيضا والسما الثالثة
من ياقوت حمرا والسما الرابعة من درة بيضا والسما الخامسة
من ذهب احمر والسما السادسة من ياقوت صفرا والسما السابعة

ثم قد الملائكة قيام على رجل واحدة تعظيما لله تعالى لو اهبط منهم
قد خرقت ارجلهم الارض السابعة واستقرت اقدامهم على جسمها بعام
تحت الارض السابعة ورؤوسهم تحت العرش من غير ان تبلغ العرش
وهم يقولون لا اله الا الله ذو العرش المجيد فهم على ذلك قد خلقوا الى ان
تقوم الساعة وتحت العرش بحر ينزل منه ارزاق الحيوان يوحي
الله اليه فيمطر ما شاء الله من سماء الى سماء حتى ينتهي الى موضع يقال له
الابرم فيوحي الى الريح فتحمله الى السحاب فتغربله وتحت سماء الدنيا
بحر من ماء فيه من الدواب مثل ما في بحور الارض مستمسكا بالقدرة
وان الله تعالى اسكن ظهر الارض لما فرغ من خلقها الجن قبل ادم
فجعلهم من مارج من نار وابليس فيهم فنهاهم الله ان يسفكوا دم البهائم
ويظهروا المعصية بينهم فسفكوا وعدا بعضهم على بعض فلما راهم
ابليس لا يقلعون عن ذلك سال الله ان يرفعه الى السماء فصار مع الملا يكة
يعبد الله اشد عبادة وارسل الله الى الجن وهم حزب ابليس قبيلا
من الملائكة فطردوهم الى جزاير البحار وقتلوا من شاء الله منهم ثم جعل الله
ابليس على سماء الدنيا خازنا فوقع في صدره كبر ثم شاء الله عز وجل ان يخلق
ادم فقال للملائكة اني جاعل في الارض خليفة فقالوا ربنا ومن يكون ذلك الخليفة
قال يكون له ذرية يفسدون في الارض ويتحاسدون ويقتلون بعضهم
بعضا فقالوا ربنا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن
نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون ثم بعث الله تعالى
جبريل الى الارض لياتيه بطين منها فقالت له الارض اني اعوذ بالله
منك ان تنقصني فرجع ولم ياخذ منها شيا فبعث الله ملك الموت
فعاذت منه فقال وانا اعوذ بالله ان ارجع ولم انفذ امره فاخذ من
تربة سوداء وحمراء وبيضاء فلذلك خرج بنو ادم مختلفين في الالوان وسمي
ادم لانه اخذ من اديم الارض ووكل الله ملك الموت بالموت ثم جبله الله
تعالى وتركه حتى صار طينا لازبا يلصق بعضه ببعض اربعين سنة
ثم تركه حتى انتن وتغير اربعين سنة وذلك قوله تعالى من حما مسنون
يقول منتن ثم صوره وتركه بلا روح من صلصال كالفخار حتى اتى عليه
مائة وعشرون سنة وقيل اربعون سنة وهو قوله تعالى هل اتى على الانسان
حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا فكانت الملائكة تمر به فتفزع منه
وكان اشدهم فزعا ابليس كان يمر به فيضربه برجله فيظهر له صوت
كظهور صوت الفخار وله صلصلة فلذلك قوله تعالى من صلصال كالفخار
وقيل ان الصلصال غير ما ذكرنا وكان ابليس يدخل من فيه ويخرج
من دبره ويقول لامر ما خلقت فلما اراد الله ان ينفخ فيه الروح

فقال

فقال للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر
وقال يا رب انا خلقتني من نار وخلقته من طين والنار اشرف
من الطين وانا الذي كنت مستخلفا في الارض وانا الملبس
بالريش والموشح بالنور والمتوج بالكرامة وانا الذي عبدتك
في سمائك وارضك فقال له اخرج منها فانك رجيم وان
عليك لعنتي الى يوم الدين فسال الله المهلة الى يوم يبعثون
فانظره الى يوم الوقت المعلوم وذهب على ابليس المعنى الذي له
من اجله امر الله ادم بالسجود فمن الناس من راى ان ادم محدود با
للمامومين بالسجود والمقصود بذلك الخالق عز وجل وموافقة
الامر والطاعة له على سبيل البلوى والاختبار والمحنة الواقعة
بالمطلقين ومنهم من راى غير ذلك ثم نفخ الله فيه روحه فكانت
كلما دخلت في عضو الروح ذهب ليجلس فقال الله خلق الانسان
عجولا فلما بلغت الروح عطس فقال الله له قل الحمد لله يرحمك
ربك يا ادم قال المسعودي وقد ذكرنا من الاخبار
عن بدء الخليقة هو ما جاءت به الشريعة ونقله الخلف عن السلف
والباقي عن الماضي فعبرنا عنهم على حسب ما نقل الينا من الفاظهم
ووجدناه في كتبهم مع شهادة الدلائل لحدوث العالم وايضاحها
بكونه ولم نعرض لوصف قول من وافق ذلك واتفاقا لنا من
اهل الملل القائلين بالحدوث ولا الرد على ما سواهم ممن خالف
ذلك وقال بالقدم اذ ذكرنا ذلك فيما سلف من كتبنا وتقدم من
تصنيفنا وقد ذكرنا في مواضع كثيرة من كتابنا هذا جملا من علوم
النظر والبراهين والجدل تتعلق بكثير من الاراء والنحل وذلك على
طريق الخبر وذكر عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان الله
تعالى حين شاء تقدير الخليقة وذرء البرية وابداع المبدعات
نصب الخلق في صور كالهباء قبل دحو الارض ورفع السماء وهو في
انفراد ملكوته وتوحد جبروته فاساح نورا من نوره فلمع قبسا
من ضيائه فسطع ثم اجتمع النور في وسط تلك الصور الخفية
فوافق ذلك صورة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال الله عز وجل
عز من قائل انت المختار المنتخب وعندك مستودع نوري
وكنوز هدايتي من اجلك اسطح البطحاء وامرج الماء وارفع السماء
واجعل الثواب والعقاب والجنة والنار وانصب اهل بيتك للهداية
واوتيهم من مكنون علمي ما لا يخفى عليهم دقيق ولا يغيب عنهم خفي واجعلهم
حجتي على بريتي والمنبهين على قدرتي ووحدانيتي ثم اخذ الله سبحانه الشهادة

بالربوبية والاخلاص بالوحدانية فبعد اخذ ما اخذ من ذلك شاب
ببصائر الخلق انتخاب محمد واله واراهم ان الهداية معه والنور له والامامة
في اهله تقديما لسنة العدل وليكون الاعذار متقدما ثم اخفى الله
الخليقة في غيبه وغيبها في مكنون علمه ثم نصب العوالم وبسط
الزمان ومرج الماء واثار الزبد واهاج الدخان فطفا عرشه
على الماء فسطح الارض على ظهر الماء ثم استجابهما الى الطاعة فاذعنتا
بالاستجابة ثم انشا الله الملائكة من نور ابدعها وانوار اخترعها
وقرن بتوحيده نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فشهرت في السماء قبل
بعثته في الارض فلما خلق الله ادم ابان له فضله للملائكة
واراهم ما خصه به من سابق العلم من حيث عرفهم عند استنبائه
اياه اسماء الاشياء فجعل الله ادم محرابا وكعبة وقبلة اسجد
اليها الانوار والروحانيين الابرار ثم نبه ادم على مستودعه
وكشف له خطر ما ائتمنه عليه بعد ما سماه اماما عند الملائكة فكان
حظ ادم من الخير ما اراناه من مستودع نورنا ولم يزل الله تعالى
يخبأ النور تحت الزمان الى ان فضل محمدا في ظاهر الفترات فدعا
الناس ظاهرا وباطنا وندبهم سرا واعلانا واستدعى عليه السلام
التنبيه على العهد الذي قدمه الى الذر قبل النسل فمن وافقه قبس
من مصباح النور المقدم اهتدى الى سره واستبان واضح امره
ومن ابلسته الغفلة استحق السخط ثم انتقل النور الى غرائزنا مم
ولمع مع ائمتنا فنحن انوار السماء وانوار الارض فبنا النجاة
ومنا مكنون العلم والينا مصير الامور وبمهدينا تنقطع الحجج
خاتمة الائمة ومنقذ الامة وغاية النور ومصدر الامور فنحن
افضل المخلوقين واشرف الموحدين وحجج رب العالمين فليهنا
بالنعمة من تمسك بولايتنا وقبض على عروتنا فهذا
ما روي عن ابي عبد الله جعفر بن محمد عن ابيه علي بن الحسين عن ابيه الحسين بن
علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ولم نعرض لذكر كثير من اسانيد
الاخبار وطرقها لاتكالنا اتيانا على جميع ذكرها والتصانيف
في النقل المذكورة وعولنا اليه فيما سلف من كتبنا خوف
الاكثار والتطويل في هذا الكتاب واما ما وجد في التوراة
فهو ان الله تعالى ابتدا الخلق في يوم الاثنين وكان انتهاء الفراغ
يوم السبت فاتخذ اليهود لذلك يوم السبت عيدا وزعم اهل
الانجيل ان المسيح قام من قبره يوم الاحد فاتخذوه لذلك عيدا
فاما ما ذهب اليه الجمهور من الفقهاء واهل الاثار فهو ان الابتداء كان يوم

بدء الخلق يوم الاحد

الاحد

انتهاؤه يوم الجمعة

الاحد والفراغ يوم الجمعة وفيه نفخ في آدم الروح وهو السادس
من نيسان ثم خلقت حواء من آدم واسكنا الجنة لثلاث ساعات
مضت منه فكان ذلك ثلاث ساعات وهو ربع يوم مائتين وخمسين سنة
من اعوام الدنيا واهبط الله ادم بسرنديب وحواء بجدة
وابليس بميسان والحية باصبهان ثم هبط ادم بالهند على جزيرة سرنديب ب
على جبل الراهون وعليه الورق الذي خصفه فيبس فذرته الرياح في
بلاد الهند فيقال والله اعلم ان علة كون الطيب بارض الهند من ذلك
الورق وقيل غير ذلك ولذلك خصت اهل الهند بالعود والقرنفل والافاويه يه
والمسك وسائر الطيب ولذلك الجبل لمعت عليه اليواقيت والجواهر
والماس وفي جزائره السنباذج وفي قعر بحره مغايص اللؤلؤ وان
ادم لما اهبط من الجنة خرج معه منها صرة من الحنطة وثلاثين
قضيبا من شجر الجنة مودعة اصناف الثمار منها عشرة مما
لها قشر وهي الجوز، واللوز، والجلوز وهو البندق، والفستق،
والخشخاش، والشاهبلوط، والرانج، والموز، والبلوط،
ومنها عشرة ذوات نوى وهي الخوخ، والمشمش، والاجاص، ص
والرطب، والغبيراء، والنبق، والزعرور، والعناب، والمقل،
والقراسيا، ومنها عشرة لا قشر لها ولا حجاب دون مطعمها
ولا نوى داخلها وهي التفاح، والسفرجل، والعنب،
والكمثرى، والتين، والتوت، والاترج، والقثاء، والخيار،
والبطيخ، وقيل ان ادم لما اهبط من الجنة هو وحواء
مفترقين فتعارفا بالموضع الذي يسمى عرفات وتعارفا فيه فسمي
بهذه التسمية وقيل غير ذلك وان ادم عليه السلام تاق الى حواء
فغشيها فاشتملت على ذكر وانثى فسمي الذكر قاين وسمي الانثى
لوبذا ثم عاود الغشيان فاشتملت على ذكر وانثى فسمي الذكر
هابيل وسمي الانثى اقليما وقد تنوزع في اسم الولد الاول
منهما فذكر الاكثر من اهل الكتب وغيرهم ان اسمه قاين على ما ذكرنا
ومنهم من راى ان اسمه قابيل وهذا قول فريق من الناس
والاغلب ما قدمناه وقد ذكر علي بن الجهم في قصيدته في بدء
الخلق والذرء ذلك فقال

وا، ... الانثى فسمي قاينا، وعابنا من نسله ما عابنا،

فشب هابيل وشب قابيل وكمل بينهما ثمان وذكر اهل
الكتب ان ادم زوج اخت هابيل قاين واخت قاين هابيل
وفرق في النكاح بين البطنين وهكذا كانت سنة ادم عليه السلام

علة الطيب بارض الهند

احتياطا لا تقضي ما يمكنه في ذوي المحارم لموضع الاضطرار وعجز النسل عن التباين والاغتراب وقد زعمت المجوس ان ادم لم يخالف في التناكح بين البطون ولم يجمع المتناسلين ولهم في هذا اسرار يدعون بها الفضل في صلاح الحال في تزويج الاخ من اخته والام من ابنها وقد اتينا به في الفن الرابع عشر من كتابنا الموسوم باخبار الزمان ومن اباده الحدثان من الامم الماضية والاجيال الخالية والملوك الداثرة ولما قرب هابيل وقابن قربانا فتخير هابيل اجود غنمه وافضل طعامه فقربه وتخير قابن شر زرعه فقربه فكان من امرهما ما قد حكاه الله في كتابه من قتل هابيل لقابن ويقال انه اغتاله في برية قاع ولم ذلك كان ببلاد دمشق من ارض الشام وكان قتله بشدخه بحجر فيقال ان الوحوش هنالك استوحشت من الانس وذلك انه بدا بالشر والقتل فلما قتله تحير في مواراته وحمله يطوف به فبعث الله غرابا الى غراب فقتله ثم دفنه فاسف هابيل على فعله واتبع ما حكاه الله من قوله يا ويلتا اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سواة اخي فدفنه عند ذلك فلما علم ادم بذلك حزن وجزع فارتاع وهلع

قال المسعودي وقد استفاض في الناس شعر يعزونه الى ادم انه قال حين جزع على ولده ووجع عليه قال

تغيرت البلاد ومن عليها ... فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذي لون وطعم ... وقل بشاشة الوجه المليح
وبدل اهلها اثلا وخمطا ... بجنات من الفردوس فيح
وجاورنا عدو ليس ينسى ... لعين لا يموت فنستريح
وقتل قابيل هابيل ظلما ... فوا اسفا على الوجه الصبيح
فما لي لا اجود بسكب دمع ... وهابيل تضمنه الضريح
ارى طول الحياة علي غما ... وما انا من حياتي مستريح

ووجدت في عدة من كتب التواريخ والسير والانساب ان ادم لما نطق بهذا الشعر اجابه ابليس من حيث يسمع صوته ولا يرى شخصه وهو يقول

تنح عن البلاد وساكنيها ... فبي في الارض ضاق بك الفسيح
وكنت بها وزوجك في قرار ... وقلبك من اذى الدنيا مريح
فما زالت مكايدتي ومكري ... الى ان فاتك الثمن الربيح
فلولا رحمة الجبار اضحى ... بكفك من جنان الخلد ريح

ووجدت في نسخة اخرى بيتا اخر مزادا دون ما ذكرنا من الشعر وان ادم سمع صوتا ولا يرى شخصا وهو يقول

المعنى صح

ابا هابيل

10

ابا هابيل قد قتلا جميعا ... وصار الحي بالميت الذبيح

فلما سمع ذلك ادم ازداد حزنا وجزعا على الماضي والباقي وعلم ان القاتل مقتول فاوحى الله تعالى اليه اني مخرج منك نوري الذي اريد به السلوك في القنوات الطاهرة والارومات الشريفة واباهي به الانوار واجعله خاتم الانبيا واجعل اله خيار الايمة الخلفا واختم الزمان بمدتهم واغص الارض بدعوتهم وانشرها بشيعتهم فشمر وتطهر وتقدس وسبح ثم اغش زوجتك على طهارة منها فان وديعتي تنتقل الى الولد الكائن منكما فواقع ادم حوى فحملت لوقتها واشرق جبينها وتلالا في مخايلها ولمع في محاجرها حتى اذا انتهى حملها وضعت شيئا كاحسن ما يكون من الذكران واتمهم وقارا واجملهم صورة واكملهم هيئة واعدلهم خلقة مجللا بالنور من حواليه حتى لمع في اسارير جبهته وبسق في غرة طلعته فسماه ادم شيث وقيل هبة الله حتى ترعرع واينع وكمل واستبصر فاوعز اليه ادم وصيته وعرفه بمحل ما استودعه واعلمه انه حجة الله بعده وخليفته في الارض والمودي حق الله وانه ثاني انتقال الذرية الطاهرة والجرثومة الزاهرة وكان ادم حين ادى الوصية الى شيث احتقبها واحتفظ بمكنونها واتت وفاة ادم وقرب انتقاله فتوفي يوم الجمعة لست خلون من نيسان في الساعة التي كان فيها خلقه وكان عمر ادم عليه السلام تسعماية وثلثين سنة وكان شيث وصيا على ولده ويقال ان ادم مات عن اربعين الفا من ولده وولد ولده وتنازع الناس في قبره فمنهم من زعم ان قبره بمنى في مسجد الخيف ومنهم من راى انه في كهف في جبل ابي قبيس وقيل غير ذلك والله اعلم بحقيقة الحال وان شيث حكم في الناس واستشرع صحف الله وما انزل عليه في خاصته من الاسفار والشرائع وان شيث واقع امراته فحملت بانوش فانتقل النور اليها حتى اذا وضعته ساح النور عليه فلما بلغ الوصاة اوعز اليه شيث في شان الوديعة وانها شرفهم واوعز اليه ان ينبه ولده على هذا الشرف وكبر محله وان ينبهوا اولادهم عليها ويجعل ذلك وصية منتقلة ما دام النسل فكانت الوصية جارية تنتقل من قرن الى قرن الى ان ادى الله النور الى عبد المطلب وولده عبد الله ابي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا موضع تنازع بين الناس من اهل الملة من قائل بالنص وغيرهم من اصحاب الاختيار والقائلون بالنص هم اهل الامامة من شيعة علي بن ابي طالب والطاهرين

الغد صح

ومن ذلك الذين يزعمون ان الله لم يخل في عصر من الاعصار من قائم لله
اما نبيا واما وصيا منصوص على اسمائهم وانسابهم من الله
ورسوله واصحاب الاختيار هم فقهاء الامصار والمعتزلة وفرق
من الخوارج وكثير من اصحاب الحديث والعوام وفرق من الزيدية
فزعم هؤلاء ان الله ورسوله فوض الى الامة ان تختار رجلا منها
فتنصبه لها اماما ولان بعض الاعصار قد يخلو من حجة الله وهو
الامام المعصوم عند الشيعة وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب لمعا
من ايضاح ما وصفناه من اقاويل المتنازعين وباين المختلفين وان
انوش لبث في الارض يعمرها وقد قيل والله اعلم ان شيث اصل
النسل من ادم دون سائر ولده وقيل غير هذا وفي زمن انوش قتل
قابن بن ادم هابيل اخيه ولمقتله عجيب قد اوردناه في كتاب اخبار الزمان
وفي الكتاب الاوسط وكانت وفاة انوش لثلاث خلون من تشرين
الاول وكانت مدته تسع مائة وستين سنة وكان قد ولد له قينان
ولاح النور في جبهته واخذ عليه العهد فعمر البلاد حتى مات وكانت
مدته تسع مائة وعشرين سنة وقد قيل ان موته كان في تموز بعد ان ولد له
لد مهلائيل وكانت مدة مهلائيل ثمان مائة سنة وقد ولد له لود
والنور متوارث والعهد والحق قائم ويقال ان كثيرا من الملاهي احدثت
في ايامه احدثها ولد قاين وللود حروب ولقاصيص قد اتينا على
اخبارها في كتابنا اخبار الزمان ووقع التحارث بين ولد شيث وبين
غيرهم من ولد قاين وارض هذا النوع ارض قمار من ارض الهند والى
هذا النوع وبلدهم يضاف العود القماري فكانت حياة لود تسع
مائة سنة واثنين وستين سنة وكانت وفاته في اذار وقام بعده
ولده اخنوخ وهو ادريس النبي صلى الله عليه وسلم والصابئة تزعم
انه هرمس ومعنى هرمس عطارد وهو الذي خبر الله في كتابه انه
رفعه مكانا عليا وكانت حياته في الارض ثلاثمائة سنة وقيل اكثر
من ذلك وهو اول من درز الدرز وخاط بالابرة وانزل عليه ثلاثون صحيفة
وانزل على شيث تسع وعشرون صحيفة فيها تهليل وتسبيح وقام
بعده ابنه متوشلخ بن اخنوخ يعمر البلاد والنور في جبينه
وولد له اولاد وقد تكلم الناس في كثير من اولاده وان الزنج و
الروم والصقالبة من ولده وكانت حياته تسع مائة وستين سنة
ومات في ايلول وقام بعده لمك وكانت في ايامه الوان والاختلاط
في النسل وتوفي وكانت حياته تسعمائة وتسعا وتسعين سنة وقام
بعده نوح بن لمك وقد كثر الفساد في الارض واشرأبت طواغي الظلم

لعمه

فقام داعيا الى الله تعالى فابوا الا طغيانا وكفرا فدعا الله عليهم
فاوحى الله اليه ان اصنع الفلك فلما فرغ من السفينة اتاه جبريل
بتابوت آدم فيه رمته وكان ركوبهم في السفينة يوم الجمعة لتسع
ليلة خلت من اذار واقام نوح ومن معه في السفينة على ظهر الماء
وقد غرق الله الارض خمسة اشهر ثم امر الله الارض ان تغيض والسماء
ان تقلع واستوت على الجودي والجودي جبل باسورى
وجزيرة ابن عمر من بلاد الموصل وبينه وبين الدجلة ثمانية فراسخ
وموضع جنوح السفينة على راس هذا الجبل الى هذه الغاية
وذكر ان بعض الارض لم تسرع الى بلع مائها ومنها ما اسرعت
الى بلعه عند ما امرت فما اطاع كان ماؤه عذبا اذا احتفر
وما تاخر عن القبول اعقبه الله ماء مالحا اذا احتفر وسباخ
وملاحات ورمال وما تخلف من الماء والذي امتنعت الارض
من بلعه انحدر الى قعور ومواضع من الارض فمن قسم البحار وهو
بقية ما غيضت اهلكت به الامم وسنذكر بعد هذا الموضع من
كتابنا هذا اخبار الماء ووصفها ونزل نوح من السفينة ومعه
اولاده الثلاثة سام وحام ويافث و البات(?) ازواج
اولاده واربعون رجلا واربعون امراة فنزلوا الى سفح هذا
الجبل وابتنوا هنالك مدينة وسموها ثمانين وهو اسمها الى
اليوم وهو سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة ودثر نسل هؤلاء الثمانين
نفسا وجعل الله نسل الخليقة من نوح من الثلاثة وقد
اخبر الله عز وجل بقوله وجعلنا ذريته هم الباقين والله اعلم
بهذا التاويل والمختلف في ذلك الذين قيل لهم يا بني اركب معنا
هو وقسم نوح الارض بين ولده اقساما وخص كل واحد
منهم بموضع ودعا على ولده حام لامر كان منه مع ابيه قد
اشتهر فقال ملعون حام عبدا يكون لاخوته وقال مبارك
سام وكثر ابنه يافث في مسكن سام وحكي في التوراة ان
نوحا عليه السلام عاش بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة
فجميع عمر نوح تسعمائة وخمسون سنة وقد قيل غير ذلك
وتطلع حام وبعد ذلك فنزلوا في مساكنهم من البر والبحر
على حسب ما نذكره بعد هذا الموضع من هذا الكتاب وسنذكر
تفرق النسل في الارض ومساكنهم فيها من ولد يافث وسام
وحام فاما سام فسكن وسط الارض من بلاد الحرم
الى حضرموت الى عمان الى عالج ومن ولده ارم بن سام ولاشاد

صح مه

السفينة صح

بن سام ومن ولد ارم بن سام عاد بن عوص بن ارم وكانوا ينزلون
الاحقاف من الرمل فارسل الله اليهم هودا وثمود ابن عابر بن ارم
وكانوا ينزلون الحجر بين الشام والحجاز فارسل الله اليهم اخاهم
صالحا وكان من امرهم مع صالح ما قد اتضح امره واشتهر خبره
وسنذكر بعد هذا الموضع من هذا الكتاب لمعا من اخباره واخبار
غيره من الانبياء عليهم السلام وطسم وجديس ابنا لاوذ بن
ارم وكانوا ينزلون اليمامة والبحرين واخوهما عمليق بن لاوذ بن ارم
ثم نزل بعضهم الحرم وبعضهم الشام ومنهم العماليق تفرقوا في
البلاد واخوهم اميم بن لاوذ ونزل في ارض فارس وسنذكر
في باب تاريخ الناس في انساب الفرس من هذا الكتاب ووبار
ابن اميم بن لاوذ وقيل ان اميم نزلت ارض وبار وهي التي غلبت
عليها الجن على ما زعمت الاخباريون من العرب ونزلوا بنو عبيل بن عوص
اخو عاد بن عوص مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن ولد
سام بن نوح ماش بن ارم بن سام نزل ارض فارس وقيل بابل
على شاطئ الفرات وملك خمسمائة سنة وهو ملك النبط وفي زمانه
قسم الله الالسن فجعل في ولد سام تسعة عشر لسانا وفي
ولد حام سبعة عشر لسانا وفي ولد يافث ستة وثلثين لسانا
وتشعبت بعد ذلك اللغات وتفرقت الالسن وسنذكر بعد هذا
الموضع بما يرد من هذا الكتاب تفرق الناس في البلاد وما قيل
في ذلك من الاشعار عند تفرقهم بارض المؤتفك ويقال ان فالغ هو
الذي قسم الارض بين الامم ولذلك سمي فالغ وهو فالج اي قاسم
وولد ارفخشد بن سام بن نوح وولد شالخ فالغ بن شالخ
الذي قسم الارض وهو جد ابرهيم عليه السلام وعابر بن شالخ
وابنه قحطان بن عابر وابنه يعرب بن قحطان وهو اول من
حيا ولده بتحية الملك انعم صباحا وابيت اللعن وقيل
ان غيره حيي بهذه التحية من ملوك الحيرة وقحطان
ابو اليمن كلها على حسب ما ذكرنا من تنازع الناس في انساب
اليمن في هذا الكتاب وهو اول من تكلم بالعربية لاعرابه عن
المعاني وابانته عنها ويقطان بن عابر بن شالخ وهو ابو
جرهم وجرهم بنو عم يعرب وكانت جرهم ممن سكن اليمن
وتكلموا بالعربية ثم نزلوا مكة وكانوا بها على حسب ما نورده من اخبارهم
وقطورا بنو عمهم ثم اسكنها الله تعالى اسمعيل عليه السلام
فنكح في جرهم فهم اخوال ولده وذكر اهل الكتاب ان الملك بن سام

بن نوح حتى لان الله تعالى اوحى الى سام ان الذي وكلته بجسد
آدم ابقيته الى آخر الابد وذلك ان سام ما دفن تابوت آدم في وسط
الارض ووكل الملائكة بقبره وكانت وفاة سام يوم الجمعة وذلك في
ايلول فكان عمره الى ان قبضه الله ستمائة سنة وكان القيم في الارض
بعد سام ولده ارفخشد وعمره الى ان قبضه الله اربعمائة سنة
وخمسا وستين سنة وكانت وفاته في نيسان ولما قبض الله
ارفخشد قام بعده ولده شالخ بن ارفخشد وكان عمره اربعمائة سنة
وثلثين سنة ولما قبض شالخ قام بعده عابر عامر البلاد وكانت ولده صح
في ايامه الوان وتنازع في مواضع من الارض فكان عمره الى ان قبضه
الله الى مائتي سنة وتسعا وثلثين سنة وقد قدمنا ذكره فيما سلف
في هذا الكتاب وكان ببابل عند تبلبل الالسن ولما قبض الله
فالغ قام بعده ولده ارغو بن فالغ وقيل ان في ايامه كان مولد
نمرود الجبار وكان عمر ارغو الى ان قبضه الله الى مائتي سنة وكانت
وفاته في نيسان ولما قبض ارغو قام في مكانه شاروغ بن
ارغو وقيل ان في ايامه ظهرت عبادة الاصنام والصور لضروب
من العلل احدثت في الارض وشبه ذلك وكان عمره الى ان قبضه
الله الى مائتي سنة وثلثين سنة ولما قبض شاروغ قام مكانه
ناحور بن شاروغ مقتديا بمن سلف من ابائه وحدث في الارض
رجف وزلازل لم تعهد فيما سلف من الايام قبله واحدث في
ايامه ضروبا من المهن والالات وكانت في ايامه حروب وتحزب
الاحزاب من الهند وغيرهم وكان عمره الى ان قبضه الله مائة سنة وستا
واربعين سنة ولما قبض الله ناحور قام بعده ولده تارخ
وهو آزر ابو ابرهيم عليه السلام وفي عصره كان نمرود بن كنعان
وفي ايام النمرود احدث في الارض عبادة النيران والانوار
وجعل لها مراتب في العبادات وكان في الارض هرج عظيم
من حروب واحداث كثيرة ومهالك بالشرق والغرب وغيرهما
وظهر القول بالنجوم واحكامها وكورت الافلاك وعمل لها
الالات وقرب فهم ذلك الى عقول الناس ونظر اصحاب
النجوم الى طوالع السنة وما ذا يوجب فاخبروا النمرود ان
مولودا يولد يسفه احلامهم ويزيل عبادتهم فامر النمرود بقتل
الولدان واختفى ابرهيم ومات آزر وهو تارخ وكان عمره الى
ان قبضه الله مائتين وستين سنة **قال المسعودي**
ولتلك الاعصار من الانبياء والملوك من بني آدم وغيرهم والمنسا

ذكر قصة ابرهيم الخليل صلى الله عليه وسلم

ابرهيم وخرج من المغاره التي كان بها وتامل افاق العالم وما فيه من
دلايل الحدث والتاثير نظر الي الزهرة واشراقها فقال هذا ربي
فلما راي القمر بازغا قال هذا ربي فلما راي نور الشمس بهره فقال
هذا ربي وقد شانع الناس في قول ابرهيم هذا ربي فمنهم من راي ان
ذلك منه علي طريق الاستدلال والاستخبار ومنهم من راي ان ذلك
كان منه قبل البلوغ وغير ذلك واتاه جبريل فعلمه دينه واصطفاه
الله نبيا وخليلا وكان اوتي رشده من قبل وغزا ونري رشده
فقد عصم من الخطا والزلل وعبادة الواحد القهار فعاب ابرهيم
علي قومه ما راي من عبادتهم واتخاذهم المنحوتات الهة لهم فلما
نثر عليهم دم ابرهيم لالهتهم واستفاض ذلك فيهم اخذه النمرود
النار والقاه فيها فجعلها الله بردا وسلاما وخمدت النار في ساير
بقاع الارض في ذلك اليوم وولد لابرهيم اسمعيل عليهما السلام وذلك
بعد ان مضي من عمره ست وثمانون سنه وقيل تسعون سنه من هاجر
كانت جارية لساره وكانت ساره اول من امن بابرهيم وهي ابنة
نبوال بن بلخور وهو عم ابرهيم وقد قيل غير هذا مما سنورده بعد
هذا الموضع وامن به لوط وهو لوط بن هاران بن تارح بن ناحور
وهو ابن اخي ابرهيم وارسل الله لوطا الي المداين الخمسه وهي
سدوم وعاموراء وادروما وصعورا وصابورا وان قوم
لوط هم اصحاب الموتفكة وهو اسم مشتق من الافك وهو الكذب عن راي
من ذهب الي الاشتقاق وقد ذكر الله ذلك في كتابه بقوله والموتفكة
اهوي وهذه بلاد بين تخوم الشام والحجاز مما يلي الاردن
وبلاد فلسطين الان ذلك في حيز الشام وهي مهيقات الي يومنا
هذا وهو سنه اثنين وثلثين وثلثماية خراب ليس بها انيس
والحجاره المسومه موجوده فيها يراها السفار سودا براقه واقام
لوط فيهم يدعوهم الي الله بضعا وعشرين سنه فلم يومنوا فاخذهم
العذاب علي حسب ما اقتص الله من اخبارهم وذكر من شانهم ولما
ولد اسمعيل لابرهيم من هاجر غارت ساره فحمل ابرهيم اسمعيل وهاجر
الي مكه واسكنهما بها وذلك قوله جل ثناوه مخبرا عن ابرهيم ربنا
اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم
الايه فاجاب الله دعوته وانس وحشتهم بجرهم والعماليق
وجعل افيدة من الناس تهوي اليهم واهلك الله قوم لوط في
عهد ابرهيم عليه السلام بما كان من فعلهم واتضح امرهم ثم امر الله ابرهيم
ان يذبح ولده فبادر الي طاعة ربه وتله للجبين ففداه الله بذبح عظيم

ورفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل ثم ولد لابرهيم من ساره اسحق
وذلك بعد ان مضي عشرون وماية سنه من عمره وقد شانع الناس في
الذبيح فمنهم من ذهب الي انه اسحق ومنهم من راي انه اسمعيل فان كان
الامر بالذبح وقع بالشام فالذبيح اسحق لان اسمعيل لم يدخل الشام
بعد ان حمل منه وتوفيت ساره فتزوج ابرهيم بعد ذلك بقسطورا
وولد له منها ستة ذكور وهم زمران ونفشان ومدان ومدين
ودبسان وشوح وتوفي ابرهيم بالشام وكان عمره الي ان قبضه الله
ماية وخمسا وتسعين سنه ونزل عليه عشر من الصحف وتزوج
اسحق بعد وفاة ابرهيم رفقا ابنة بتويل فولد له العيص ويعقوب
في بطن واحد وكان البادي منهما الي الفضا عيصو ثم يعقوب وكان
لاسحق في وقت مولدهما ستون سنه وذهب بصر اسحق فدعا ليعقوب
بالرياسة علي اخوته والنبوة في ولده ودعا للعيص بالملك في ولده
وكان عمر اسحق الي ان قبضه الله اليه ماية وثمانين سنه ودفن
مع ابيه الخليل وهو موضع قبورهم مشهور وذلك علي ثمانية عشر
ميلا من بيت المقدس في مسجد هناك يعرف بمسجد ابرهيم ومزرعة
فقد كان اسحق من ذلك يعقوب امره بالمسير الي الشام وبشره بالنبوة
ونبوة اولاده وهم روبيل وشمعون ولاوي ويهودا ويساجر
وزيالون ويوسف ودان ونفتالي وجاد واشير
وهولاء الاسباط الاثنا عشر والملك في عقب اربعة منهم لاوي
ويهودا ويوسف وبنيامين ولما رجع يعقوب من لقاء اخيه العيص
قال منه الله منه وكان ليعقوب خمسة الاف وخمسماية من الغنم فاعطي
يعقوب لاخيه العيص العشر من غنمه استخفافا لشره
وخوفا من صولته بعد ان امنه الله من خوفه وان لا سبيل له عليه
فعاقبه الله في ذلك المخالفته لوعده فاوحي اليه لم تطير الي قولي
فلاجعلن ولد العيص يملكون ولدك خمسماية وخمسين عاما فكانت
المدة منذ اخرب الروم بيت المقدس واستعبدت بنو اسرائيل
الي ان فتح عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيت المقدس وكان احب
ولد يعقوب اليه يوسف فحسده اخوته علي ذلك وكان من امره
مع اخوته ما قصه الله في كتابه واخبر به علي لسان نبيه صلي الله عليه وسلم
ذلك في امته وقبض الله يعقوب في بلاد مصر وهو ابن ماية واربعين
سنه فحمله الي الشام ودفنه في مكانه المعروف وقبض
ابنه يوسف وهو ابن ماية وعشرين سنه وحمل وجعل في تابوت
من الرخام وشد بالرصاص وطلي بالاطلية الدافعة للماء وطرح في

وقع بمني لان الذبح اسمعيل لان
اسحق لم يدخل الحجاز ولذلك كان الامر
بالذبح بمكة

ويسمي اخو يوسف
عليه السلام

نيل مصر نحو مدينة منف وهنالك مسجده وقيل ان يوسف اوصى
ان يحمل فيدفن عند قبر ابيه يعقوب في مسجد ابرهيم وكان في
عصره ايوب عليه السلام وهو ايوب بن اموص بن رازح بن
ابن العيص بن اسحق بن ابرهيم وكان في بلاد الشام من ارض حوران
والبثنية من بلاد دمشق والجابية وكان كثير المال والولد فابتلاه
الله في نفسه وماله وولده فصبر فرد الله عليه ذلك وما قال عز وجل في قصص
ما اقتص من خبره في كتابه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم
ومسجده والعين التي اغتسل فيها موجودان في وقتنا هذا وهو مسجد
اثنان في البيت والثانية مشهورة ببلاد نبنوى والجولان فيما
بين دمشق وطبرية من بلاد الاردن وبها في المسجد والعين
على ثلثة اميال من بلاد نبنوى او نحو ذلك والحجر الذي كان ياوي
اليه في حال بلائه هو وزوجته رحمة في ذلك المسجد الى هذا الوقت
وذكر اهل التورية والكتب الاولى ان موسى بن منشا بن يوسف
بن يعقوب نبي قبل موسى بن عمران وهو الذي طلب الخضر بن ملكان
ابن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح
وذكر اهل الكتاب ان الخضر هو خضرون بن عماييل بن النفز
ابن العيص بن اسحق بن ابرهيم وانه ارسل الى قومه فاستجابوا
له وكان موسى بن عمران بن قاهث بن لاوي بن يعقوب عم في زمان
فرعون الجبار وهو الوليد بن مصعب بن معاوية بن ابي نمير
بن ابي الهلواس بن ليث بن هران بن عمرو بن عملاق وهو الرابع
من فراعنة مصر وقد كان طال عمره وعظم جسمه وكان بنو
اسرائيل قد استعبدوا بعد مضي يوسف عليه السلام واشتد
عليهم البلاء واخبر اهل الكهانة والنجوم والسحر لفرعون ان
مولودا سيولد ويزيل ملكه فجزع لذلك فرعون وامر بذبح الاطفال
فكان من امر موسى ما اوحى الله الى امه في امره ان تقذفه
في اليم ما قد اقتص من خبره واوضحه على لسان نبيه عليه السلام
وكان في ذلك الزمان شعيب النبي وهو شعيب بن نويل بن
رعويل بن مر بن عنقا بن مدين بن ابرهيم وكان لسانه عربيا
وكان مبعوثا الى اهل مدين ولما خرج موسى هاربا من فرعون مر
بشعيب النبي صلى الله عليه وسلم فكان من امره وتزويجه ابنته
ما قد ذكر وكلم الله موسى تكليما وشد عضده باخيه هرون
وبعثهما الى فرعون فخالفهما فاغرق الله فرعون وامر الله موسى
بالخروج ببني اسرائيل وقد عكفوا على عبادة عجلهم فارتعد

فسقطت

فسقطت الالواح من يده فتكسرت فجمعها واودعها في تابوت
السكينة مع غيرها وجعله في الهيكل وكان هرون كافل الهيكل
وهو قيم الزمان وانزل الله التورية على موسى بن عمران وهو
في التيه وقبض الله هرون اليه ودفن في جبل مواب من نحو
جبال السراة مما يلي الطور وهو مشهور في مغارة عادية تسمع
فيها من بعض الليالي دوي عظيم يفزع منه كل ذي روح وقيل انه غير
مدفون بل هو موضوع في تلك المغارة ولهذا الموضع خبر عجيب
لمن وصل الى هذا الموضع علمه وما وصفناه وكان ذلك قبل وفاة موسى
بسبعة اشهر وقبض موسى وهو ابن مائة وعشرين سنة وقد
قيل ان موسى قبض بعد وفاة هرون بثلث سنين وانه خرج الى
الشام فكان له بها حروب وسرايا وله مع الفرزال العماليق
والرمليين والمدنيين وغيرهم على ما ذكر في التوراة وانزل على
موسى عشر صحف فاستتمها مائة صحيفة ثم انزل الله عليه التورية
بالامر والنهي بالعبرانية والتحليل والتحريم والسنن والاحكام
وذلك في خمسة اسفار والسفر هو المصحف وكان
موسى قد ضرب التابوت الذي فيه السكينة من الذهب
من ستمائة الف مثقال وسبعمائة وخمسين مثقالا وصار الكاهن
بعد هرون يوشع بن نون من سبط يوسف وقبض موسى وهو
ابن عشرين ومائة سنة ولم يحدث لموسى ولا لهرون شيء من
الشيب ولا حال لهم صفات الشباب ولما قبض الله موسى
صار يوشع بن نون بعد ذلك ببني اسرائيل الى بلاد الشام
وقد كان غلب عليها الجبابرة من ملوك العماليق وغيرهم من ملوك الشام
فاسرى اليهم يوشع سرايا وكانت له معهم وقائع فافتتح بلاد اريحا
وزغر من بلاد الغور وهي ارض البحيرة المنتنة التي لا تقبل الموتى
ولا يتولد فيها روح ولا ذي روح من سمك ولا غيره وقد ذكره
صاحب المنطق وغيره من الفلاسفة ممن تقدم وتاخر عصره
والتي ينتهي ماء بحيرة طبرية وهو الاردن ويبدو ماء بحيرة طبرية
من تحت جبل الثلج من ارض دمشق فاذا انتهى مصب
نهر الاردن الى البحيرة المنتنة خرج واتى الى وسطها ثم يرد
من فيها يغوص في وسطها وهو نهر عظيم لا يدرى اين غاص من
غير ان يزيد في البحيرة ولا ينقص منها فلهذه البحيرة المنتنة
اخبار واقاصيص طويلة قد اتينا على ذكرها في كتابنا في
اخبار الاحجار التي تخرج من على صعيد البطيحة دوشكلين

يعرف بالبحر اليهودي ذكر ذلك الاسفندري ويستعمله اهل الطب لمرهم وجمع
الحصاة في المثانة وهو ذو نوعين ذكر وانثى فالذكر للرجال والانثى
للنسا وغير ذلك البحيرة بجنب العقار المعروف بالجمر وليس في الدنيا
والله اعلم بحيرة لا يكون فيها ذو روح من سمك وغيره الا هذه البحيرة
وبحيرة اخرى ببلاد اذربيجان بين مدينة ارمينية والمراغة
وهي البحيرة المعروفة هناك بكبودان وقد ذكر الناس ممن تقدم علة
عدم تكون الحيوان في البحيرة المنتنة ولم يعرضوا البحيرة دون
وينبغي على قياس قولهم ان تكون علتهما واحدة وسار ملك الشام
وهو السميدع بن هوبر بن مالك الى يوشع بن نون فكانت له معه حروب
الى ان قتله واحتوى على جميع ملكه ولحق بمن غيره من الجبابرة والعماليق
وشن الغارات بارض دمشق فكانت مدة يوشع بن نون في بني
اسرائيل مائة وعشرين سنة وهو يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف
بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم وقيل ان يوشع بن نون كان له محاربة
لملك العماليق وهو السميدع وهو ببلاد ايلة نحو مدين ففي ذلك
يقول عوف بن سعد الجرهمي

الم تر ان العلقمي بن هوبر ... بايلة امسى لحمه قد تمزعا
تداعت عليه من يهود جحافل ... ثمانين الفا حاسرين ودرعا

وهي ابيات وقد تقدم من قبل الخلفاء ببلاد الشام رجل
يقال له بلعم بن باعر بن سموم بن قرسم بن ماب بن لوط بن هاران
وكان مستجاب الدعوة فحمله قومه على الدعا على يوشع بن نون
فلم يتات له ذلك وعجز عنه واشار على بعض ملوك العماليق ان
يبرز الحسان من النسا نحو عساكر يوشع بن نون فيسرعوا الى
النسا فوقع فيهم الطاعون فهلك منهم اثنا وعشرون الفا وقيل
اكثر من ذلك وبلعم هو الذي اخبر الله عز وجل انه اتاه الايات فانسلخ
منها وقيل ان يوشع بن نون قبض وهو ابن مائة وعشرين سنة وقام
في بني اسرائيل كالب بن يوفنا بن بارص بن يهودا ويوشع وكالب
الرجلان اللذان انعم الله عليهما قال المسعودي ووجدت
في بعض كتب ان القيم الحجة في بني اسرائيل بعد وفاة يوشع يوسان
الكنزي وانه اقام فيهم ثماني سنين وانه هلك وملك عثنيال
بن قانز من سبط يهودا اربعين سنة وقيل ان كوشان جبار
كان بماربعين من ارض البلقاء وان بني اسرائيل كفرت بعد ذلك
فملك الله عليهم كنعان عشر سنين وهلك فكان على بني اسرائيل
علال الحسادى اربعين سنة ثم قام بعده شمويل الى ان قدم لهم

طالوت

ذكر بلعم بن باعور

طالوت ودفع عليهم جالوت الجبار ملك البربر من ارض فلسطين
قال المسعودي واما على الرواية التي قدمنا ذكرها ان القيم
في بني اسرائيل بعد يوشع كالب بن يوفنا وان القيم بعده والمدبر لهم
فنحاس بن العازر بن هارون عمر ثلاثين سنة وقد كان
عنده الى مصاحف موسى عليه السلام فجعلها في خابية نحاس
ورصص راسها واتى بها صخرة بيت المقدس وذلك قبل بنائه
فانفرجت فاذا مغارة فيها صخرة ثانية فوضع الخابية عليها
فانضمت الصخرة على ذلك لكونها لولاه ولما هلك فنحاس بن العازر
دبرهم كوشان الاثيم ملك الجزيرة فتعبد بني اسرائيل واخذهم
بالبلا ثماني سنين ثم دبرهم عثنيال بن يوفنا اخو كالب من سبط
يهودا اربعين سنة ثم دبرهم عادر ملك مواب بعد ذلك
ثماني عشرة سنة ثم دبرهم اهود من ولد افرايم خمسا وخمسين
سنة والجمهور ثمانين سنة خلف من ايامه ثم للعالم اربعة الاف
سنة وقيل ذلك من التاريخ ثم دبرهم شاعان بن اهود خمسا
وعشرين سنة ثم ملكهم ملس الكنعاني ملك الشام عشرين سنة
ثم دبرهم امراة يقال لها دبورا يقال انها ابنة وضمت اليها
رجلا من سبط يقال له باراق اربعين سنة ثم تداولتهم
روس بني مدين عوريب ودريب وسودنا وودادع
وصلماع سبع سنين وثلاثة اشهر ثم دبرهم جدعون من
ال منشا اربعين سنة وقيل ملوك مدين ثم ابنه ابو مالخ ثلاث سنين
وثلاثة اشهر ثم تولع من ال افرايم ثلاثا وعشرين سنة ثم كاهن
من ال منشا اثنين وعشرين سنة ثم ملوك عمان ثماني عشرة سنة
ثم بحشون من بيت لحم سبع سنين ثم شمسون عشرين سنة
ثم املح عشر سنين ثم عجلون ثماني سنين ثم ملوك هم
ملك فلسطين اربعين سنة ثم عيلان الكاهن بعد ذلك اربعين
سنة ثم عيلان الكاهن بعد ذلك اربعين سنة وفي زمانه ظهر
البابليون ببني اسرائيل فسبوهم فحملوا الى بابل واخرجوهم
من ديارهم وابنائهم وقد كان من امر قوم حزقيل وهم الذين خرجوا
من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم
وكان اصابهم الطاعون فبقي منهم بالشام اسباط فلحقت فرقة
بالرمل وفرقة بجزاير البحر وفرقة بشواهق الجبال
وكان لهم حرجة طويلة حتى رجعوا الى ديارهم فقالوا له يا حزقيل
هل رايت قوما اصابهم ما اصابنا قال لا الا سمعت بقوم فروا

في الله فرايكم فسلط الله عليهم الطاعون بعد سبعة ايام فاتى على
آخرهم ودبر بني اسرايل بعد عيلان الكاهن اشمويل بن روحا
بن ناحور وبقي فلك فيهم عشرين سنة ووضع الله عنهم القتال وصلح
امرهم فخلطوا بعد ذلك فقالوا لاشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل في
سبيل الله فامر بتمليك طالوت وهو شاود بن قيس بن ابيال بن
طرور بن بحرث بن افيح بن بنيامين بن يعقوب بن اسحق بن
ابرهيم فملكه عليهم وجمعهم وذلك قبل طالوت فكان بين
خروجهم وخروج موسى ببني اسرايل من مصر الى ملك عليهم اي على بني
اسرايل طالوت خمس مائة سنة واثنتان وسبعون سنة وثلثة
اشهر وكان طالوت دباغا يعمل الادم فاخبرهم نبيهم اشمويل
ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا فقالوا فيهم ما اخبر الله عز وجل
في كتابه اني يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يوت
سعة من المال الآية واخبرهم نبيهم ان آية ملكه ان ياتيكم التابوت فيه
سكينة من ربكم وبقية الآية فكان مدة ما ملك التابوت ببابل
عشر سنين فسمعوا عند الجن حيث لما الآية لحمل التابوت واشتد
سلطان جالوت وكثرت عساكره وقواده وبلغه انقياد بني
اسرايل الى طالوت فسار جالوت من فلسطين باجناس البربر وهو جالوت
بن بالود بن ديال بن حطان بن فارس فنزل بساحة بني اسرايل وامر
اشمويل طالوت بالخروج ببني اسرايل الى حرب جالوت فابتلاهم
الله بنهر بين الاردن وفلسطين وسلط الله عليهم العطش وقد
قص الله ذلك في كتابه وامره كيف يشربون منه فولغ اهل الريبة
ولوغ الكلاب فقتلهم جالوت عن آخرهم ثم فصل من
خيارهم ثلاثماية وثلثة عشر رجلا فيهم اخوة داود وفيهم
داود باخوته فوافق الجيشان جميعا فكانت الحرب
بينهم سجالا وندب طالوت الناس وجعل لمن يخرج الى جالوت
ثلث ملكه وتزوج ابنته فبرز اليه داود فقتله بحجر كان في
مخلاته رماه بمقلاع في جالوت وقد اخبر الله بذلك في كتابه
بقوله وقتل داود جالوت الآية وقد كان الحجر الذي في
مخلاة داود كانت ثلاثة احجار فصارت حجرا واحدا ولها
اخبار قد منا ذكرها فيما سلف من كتبنا وهي التي قتل بها جالوت
ولكن القوم الذين ولغوا الماء وخالفوا ما امروا به كان القاتل
لهم طالوت وقد اتينا على خبر الله عز وجل الذي كان قد اخبرهم نبيهم
انه لا يقتل جالوت الا من صلحت عليه وانما صلحت على داود وكان

في هذه

في هذه الحروب وخبر النهر الذي بين واخبار ملك طالوت
واخبار البربر وبدء انسابهم في كتابنا في اخبار الزمان وسنورد
بعد هذا الموضع في الموضع المستحق له من هذا الكتاب جملا من
اخبارهم وتفرقهم في البلاد ورفع الله ذكر داود واخمل
ذكر طالوت واتى طالوت ليزوجه لما راى له من شرط الذي تقدم
فلما راى ميل الناس اليه زوجه ابنته وملكه ثلث الجباية وثلث
الحكم وثلث الناس ثم حسده بعد ذلك واراد اغتياله فمنعه
الله من ذلك واباه داود ولم ينازعه في ملكه ونما امر داود ومات
طالوت على سرير ملكه فمات من ليلته لمثل وانقادت بنو اسرايل
الى داود فكانت مدة طالوت في الملك عشرون سنة وذكر ان
الموضع الذي قتل فيه جالوت كان بيسان من ارض الغور من
بلاد الاردن والان الله الحديد لداود فعمل منه الدروع وسخر
الله له الجبال والطير يسبحن معه وحارب داود اهل مواب
من ارض البلقا وانزل الله عليه الزبور بالعبرانية خمسين ومائة سورة وجعله
ثلثة اثلاث فثلث ما يلقون من بخت نصر وما يكون من امره في المستقبل
وثلث ما يلقون من اهل اثور وثلث موعظة وترغيب وترهيب
وتمجيد وليس فيه امر ولا نهي ولا تحليل ولا تحريم واستقامت
الامور لداود ولحقت الجبابرة باطراف الارض هيبة
لداود وبنا داود بيتا للعبادة باوري سلم وهو بيت المقدس
وهو البيت الباقي في وقتنا هذا وهو سبعة ابواب والميل وثمانية
ويعرف بمحراب داود وليس في بيت المقدس بناء اعلى منه
في هذا الوقت وقد ترى من اعلاه البحيرة المنتنة ونهر الاردن
المقدم ذكره في هذا الكتاب وكان من امر داود مع الخصمين
ما اقتص الله في كتابه وقوله لاحدهما قبل استماعه من الآخر
لقد ظلمك الآية وقد تنازع الناس في خطيئة داود فمنهم من
راى ما وصفنا ونفى عن الانبياء المعاصي وتعمد الفسوق وانهم
معصومون وكانت الخطيئة ما وصفنا وذلك قوله عز وجل
يا داود انا جعلناك خليفة في الارض الآية ومنهم من راى ان
ذلك كان من قصة اوريا بن حنان ومقتله على ما ذكر في كتب
المبتدا وغيره وتاب الله على داود اربعين يوما كان فيها صايما
باكيا وتزوج داود بامراة اوريا فولدت سليمان بن داود ودخل
اباه في قضايه واتاه الله فهم الخطاب والحكم على حسب ما اخبر عنهما
عز وجل بقوله وكلا اتينا حكما وعلما الآية فلما حضرت داود

ح ساله

صوابه بيورشليم

فلسطين
الوفاة اوصى الى ولده سليمان وقبض وكان ملكه اربعين سنة على
والاردن وكان عسكره ستون الفا صاحب سيف ودرق وجرد
مرد اصحاب باس ونجدة وكان ببلاد ايلة ومدين في عصر
داود لقمان الحكيم وهو لقمن بن عنقا بن مرثد بن صادون
وكان نوبيا وكان مولى للقين بن جسر وولد على عشر سنين
من ملك داود وكان عبدا صالحا من الله عليه بالحكمة ولم يزل
باقيا في الارض مظهرا للحكمة والزهد في هذا العالم الى ايام
يونس بن متى حتى ارسل الى اهل نينوى من بلاد الموصل ولما قبض
داود قام بعده ولده سليمان بالنبوة والحكمة وعم عدله رعيته
واستقامت له الامور وانقادت له الجيوش وابتدا سليمان ببناء
بيت المقدس وهو المسجد الاقصى الذي بارك الله حوله فلما استتم
بناه ابتنا لنفسه بيتا وهو الذي يسمى في وقتنا هذا كنيسة
القمامة وهي الكنيسة العظمى ببيت المقدس عند النصارى وثم
كنايس غيرها معظمة ببيت المقدس منها كنيسة صهيون وقد ذكرها داود
والكنيسة المعروفة بالجسمانية ويزعمون ان فيها قبر داود عليه السلام
واعطى الله سليمان من الملك ما لم يعطه احدا قبله وسخر الله
له الانس والجن والطير والريح على حسب ما ذكره الله عز وجل في كتابه
فكان ملك سليمان على بني اسرائيل اربعين سنة وقبض وهو
ابن اثنين وخمسين سنة ذكر ملك رحبعم بن سليمان
بن داود ومن تلاه من ملوك بني اسرائيل وجمل من اخبار سليمان
والانبيا وملك على بني اسرائيل بعد وفاة سليمان رحبعم بن
سليمان واجتمعت عنه الاسباط وافترقت الاسباط الا سبط
يهودا وسبط بنيامين وكان ملكه الى ان هلك سبع عشرة
سنة وملك على العشرة اسباط يوربعم وكانت له حروب
واتخذ عجلا من الذهب والجواهر وعكف على عبادته فاهلكه الله
فكان ملكه عشرين سنة وملك بعده ابنا بن رحبعم بن سليمان ثلاث
سنين ثم ملك بعده احاب اربعين سنة وملك بعده يهورام فاظهر
عبادة الاصنام والتماثيل والصور فكان ملكه سنة ثم ملكت
عليهم امراة يقال لها غثليا فوضعت السيف في ولد داود ولم
يبق منهم الا غلام فانكرت بنو اسرائيل ذلك من فعلها فقتلوها
وكان ملكها سبع سنين وملكوا عليهم الغلام الذي كان بقي من
نسل داود فملك وهو ابن سبع سنين فاقام ملكا اربعين
سنة وقيل دون ذلك وملك بعده امصيا فكان ملكه اثنين

وخمسين

وخمسين سنة وكان في عصره شعيا النبي واشعيا معه اخبار كثيرة
فكانت له حروب قد اتينا على ذكرها في اخبار الزمان وملك بعده
يوثام بن عوما عشر سنين وقيل ست عشرة سنة وملك بعده احاز
فاظهر عبادة الاصنام وطغى واظهر البغي فسار اليه بعض ملوك
بابل وكان يقال له بياعين وكان من عظماء ملوك بابل فكان
للاسرائيلي معه حروب عظيمة الى ان اسره البابلي وخرب مدن
الاسباط وسباهم وكان في ايامهم من السامرة تنازع في الديانة
فسخط عليهم الاسباط وانكروا نبوة داود ومن تلاه من الانبياء وابوا
ان يكون بعد موسى نبي وجعلوا رؤساءهم من ولد هرون بن عمران والسامرة
في وقتنا هذا وهو سنة اثنين وثلثين وثلثمائة ببلاد فلسطين والاردن
في قرى متفرقة مثل القرية المعروفة بعارا وهي بين الرملة وطبرية
وغيرها من القرى الى مدينة نابلس واكثرهم في هذه المدينة ولهم جبل
يقال له طور بريك للسامرة عليه صلوات في اوقاتها ولهم بوقات
من الفضة ينفخ فيها عند اوقات الصلوات وهم الذين يقولون
لا مساس ويزعمون ان نابلس هي بيت المقدس وهي مدينة يعقوب
وهنالك مراعيه وهما صنفان متباينان كتباينهم لسائر اليهود
احد الصنفين يقال لهم الكوشان والاخر الدوستان احد
الصنفين يقول بقدم العالم ومعاني غير ذلك لو ضمنا ذكره
مخافة التطويل وان كنا بيناه ليس بكتاب اخبار الجيل
وكان ملك احاز الى ان اسره الملك البابلي سبع عشرة سنة
ولما اسر الملك ولد له ولد يقال له حزقيل بن احاز
فاظهر عبادة الرحمن وامر بكسر التماثيل والاصنام وفي ملكه سار
سنجاريب ملك بابل الى بيت المقدس فكانت له حروب كثيرة
مع بني اسرائيل وقتلوا من اصحابه خلقا كثيرا وسبا من الاسباط
عددا كثيرا فكان ملك حزقيل الى ان هلك تسعا وعشرين سنة
ثم ملك بعد حزقيل غلام يقال له منشا فتم شره سائر رهطه
مملكته وهو الذي قتل شعيا النبي فبعث الله قسطنطين
ملك الروم فسار اليه في الجيوش فهزم جيشه واسره فاقام
في ايدي الناس من الروم عشرين سنة واقلع عما كان عليه وعاد
الى الله وكان ملكه الى ان هلك خمسا وعشرين سنة وقيل ثلثين
ثم ملك ولد يقال له امون بن منشا فاظهر الطغيان والكفر بالرحمن
وعبد التماثيل والاصنام فلما اشتد بغيه سار اليه فرعون
الاعرج ملك مصر في الجيوش فامعن في القتل واسره فرعون ومضى به

الى مصر فهلك هناك فكان ملكه خمس سنين وقيل غير ذلك
وملك بعده اخا له يقال له توهل لبو دانيال النبي وفي عصر
هذا الملك صار البخت نصر وهو مرزبان العراق والعرب من قبل
ملك فارس فكان يومئذ ببلخ وكانت قصبة الملك فامعن البخت نصر
في القتل لبني اسرائيل والاسر وحملهم الى ارض العراق واخذ التوراة
وما كان في بيت المقدس من كتب الانبيا وسير الملوك فطرحه في بير هيكلهم
وعمد الى تابوت السكينة فاودعه بعض المواضع من الارض فيقال انه
كان من سبي بني اسرائيل ثمانية عشر الفا وفي هذا العصر كان ارميا
النبي وسار البخت نصر الى مصر فقتل فرعون الاعرج وكان يومئذ
ملك مصر وسار نحو المغرب فقتل بها ملوكا وافتتح مداين وقد كان
ملك فارس تزوج جارية من سبايا بني اسرائيل فاولدها ولدا فرد بني
اسرائيل الى مواضعهم وديارهم وذلك بعد مضي سنين ولما
رجعت بنو اسرائيل الى ديارهم ملكت عليهما دزابيل بن سلسال فابتني
مدينة بيت المقدس وعمر ما كان خرب واخرجت بنو اسرائيل التوراة
من البير واستقامت لهم الامور فاقام هذا الملك على عمارة ارضهم ستا
واربعين سنة وشرع لهم الصلوات وغير ذلك من الشرائع مما كان تلف
في حال السبي والسامرية تزعم ان التوراة التي في ايدي اليهود ليست
التورية التي اوردها موسى حرفت وبدلت وغيرت وان المحدث
الذي بايديهم احدثه هذا الملك الذي ملك ستا واربعين سنة
ووجدت في نسخة اخرى ان المتزوج في بني اسرائيل هو البخت نصر
نفسه وهو الذي ردهم ومن عليهم   ودبر اسمعيل بن ابرهيم
الخليل صلوات الله عليهما امر البيت بعد ابرهيم ونباه الله
وارسله الى العماليق وقبائل اليمن فنهاهم عن عبادة الاوثان
وامن طايفة منهم ولم يكثرهم وولد لاسمعيل اثنا عشر ولدا
وهو نابت وقيدار واذبيل ومبسم ومشمع ودوما
ودوام ومشى وحداد وتيم واطور ونافس
وكانت وصية ابرهيم الى ابنه اسمعيل واسمعيل الى اخيه وصيته
اسحاق وقد قيل الى ولده قيدار بن اسمعيل وكان عمر
اسمعيل الى ان قبضه الله ماية وسبعا وثلثين سنة ودفن في
المسجد الحرام في الموضع الذي كان فيه الحجر الاسود ودبر امر
البيت بعده نابت بن اسمعيل وقد قيل ايضا انه كان وصي
ابيه اسمعيل وقد كان بين داود وسليمن بن داود وبين المسيح
عليه السلام انبيا وعباد وصالحون منهم ارميا ودانيال وعزير

وقد

اول من ولد لداود وسط [illegible]
وكان تزوج ايشاع بنت عمران
ن من يحيى [illegible] المسيح
لنا [illegible] ولد

واليسع
وقد شاع الناس في نبوته وايوب وشعيا وحزقيال والياس
ويونس وذو الكفل والخضر ودويح بن اسحق انذار ميا وقبل
بل كان عبدا صالحا وزكريا وهو زكريا بن داود ايضا واسم ام ايشاع
ومريم حنه وولدت لزكريا يحيى وكان يحيى ابن خالة المسيح وكان زكريا
نجارا واشاعت اليهود انه زنا بمريم الفاحشة فطلبوه ليقتلوه فلما
احس بهم لجأ الى شجرة فدخل في جوفها فدلهم عدو الله
ابليس عليه فنشروا الشجرة وهو فيها فقطعوه وقطعوها معه
ولما ولدت ايشاع بنت عمران اخت مريم ام المسيح يحيى بن زكريا
هربت به من بعض الملوك الى مصر فلما صار رجلا بعثه الله الى
بني اسرائيل فقام فيهم بامر الله ونهيه فقتلوه وكثرت الاحداث
في بني اسرائيل فبعث الله عليهم ملكا من ناحية المشرق يقال
له حردوس فقتل منهم على دم يحيى بن زكريا الوفا من الناس
الى ان هدى السلام بخطب طويل ولما بلغت مريم بنت عمران
سبع عشرة سنة بعث الله اليها جبريل فنفخ فيها الروح
فحملت بالمسيح عيسى فولدته بقرية يقال لها بيت لحم على اميال
من بيت المقدس ويوم الاربعا لاربع وعشرين من كانون
الاول وكان من امره ما ذكره الله تعالى في كتابه وانبأ على لسان
نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد زعمت النصارى ان اليشوع
الناصري اقام كذا من سنيه فيما يقرا التورية والكتب
السابقة في طبرية من بلاد الاردن في كنيسة يقال لها المدراس
ثلثين سنة وقيل تسع عشرة سنة وانه في بعض الايام كان
يقرا في سفر شعيا اذ نظر في السفر الى كتاب من نور فيه انت نبي
وخالصتي اصطفيتك لنفسي فاطبق السفر ودفعه الى خادم
الكنيسة وخرج وهو يقول الان تمت كلمة الله في ابن البشر
وقد قيل ان المسيح كان من قرية يقال لها الناصرة من بلاد اللجون
من اعمال الاردن وبذلك سميت النصرانية ورايت في هذه
كنيسة يعظمها النصارى وفيها توابيت من حجارة فيها عظام
الموتى يسيل منها زيت ثخين كالرب يتبرك به النصارى
وان المسيح مر ببحيرة طبرية وعليها اناس من الصيادين والقصارين
فدعاهم الى الله فقال لهم اتبعوني   فاتبعه اثنا عشر من الصيادين
وهم شوديبا واثنا عشر من القصارين وكرمي ويحيى
ومارقس ولوقا وهم الحواريون الاربعة الذين نقلوا الانجيل
واللوح خبر المسيح وما كان من مولده وكيف عمد يحيى بن زكريا

وهو يحيى المعمد في بحيرة طبرية ويجري الى البحيرة المنتنة وما فعل من الاعاجيب
واتاه من المعجزات وما ناله من اليهود الى ان رفعه الله اليه وهو ابن ثلاث
وثلثين سنة وفي الانجيل خطب طويل في امر المسيح ومريم ويوسف
النجار اعرضنا عن ذكره لان الله تعالى لم يخبر بشي من ذلك ولا اخبر به نبيه
محمد صلى الله عليه وسلم **ذكر** اهل الفترة ممن كان بين المسيح
ومحمد صلى الله عليه وسلم **قال المسعودي** وقد كان
بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين المسيح في الفترة جماعة من اهل
التوحيد وممن يقر بالبعث قد اختلف الناس فيهم فمن الناس
من راى انهم انبيا ومنهم من راى غير ذلك فممن ذكر انه نبي
حنظلة بن صفوان وكان من ولد اسمعيل بن ابرهيم وارسل
الى اصحاب الرس وكانوا من ولد اسمعيل وهما قبيلتان يقال
لاحديهما قدمان وللاخرى يامن وقيل رعويل وذلك باليمن
فقام فيهم حنظلة بن صفوان بامر الله فقتلوه فاوحى الله الى نبي
من بني اسرائيل من سبط يهودا ان يامر بخت نصر ان يسير اليهم فسار
اليهم فاتى عليهم فذلك قوله عز وجل فلما احسوا باسنا اذا هم منها
يركضون الى قوله حصيدا خامدين وقيل ان
القوم كانوا من حمير وقد ذكر ذلك بعض شعرائهم في مرثيته لهم
فقال بكت عيني لاهل الرس رعويل وقدمان ذوي ذرع بكا الحي ملكهم
وذكر وهب بن منبه ان ذو القرنين هو الاسكندر وكان بعد المسيح في
الفترة وانه كان حلم حلما راى فيه انه دنا من الشمس حتى اخذ
قرنيها في شرقها وغربها فقص رؤياه على قومه فسموه ذا القرنين
وللناس في ذي القرنين تنازع كثير قد اتينا على ذلك في اخبار الزمان
وفي الكتاب الاوسط وسنذكر لمعا من خبره عند ذكرنا ملوك
اليونانيين والروم وكذلك تنازع الناس في اصحاب الكهف في اي
الاعصار كانوا فمنهم من زعم انهم كانوا في الفترة ومنهم من راى غير ذلك
وسناتي بلمع من اخبارهم في ذكرنا ملوك الروم في هذا الكتاب وان
كنا قد اتينا على ذلك في الكتاب الاوسط فيما سلف من كتاب
اخبار الزمان وممن كان في الفترة بعد المسيح جرجيس وقد
ادرك بعض الحواريين وبعث الى ملك الموصل يدعوه الى الله فقتله
واحياه الله ثم بعثه المرة الثانية فقتله فاحياه الله فامر بنشره
في المناشير واحرقه واذراه في دجلة فاهلك الله ذلك الملك
وجميع اهل مملكته ممن اتبعه على حسب ما ورد به الخبر عن اهل
الكتاب ممن كان امن وذلك موجود في كتب المبتدا والسير

لوهب بن منبه وغيرهم وممن كان في الفترة حبيب النجار وكان يسكن
بمدينة انطاكية من ارض الشام وكان بها ملك متجبر يعبد التماثيل
والصور فسار اليه اثنان من تلاميذ المسيح يدعوانه الى الله تعالى فحبسهما
وضربهما فعززهما الله بثالث وقد تنوزع فيه فذكر كثير من
الناس انه بطرس هذا اسمه بالرومية واسمه بالعبرية سمعان
وبالسريانية شمعون وهو شمعون الصفا وذهب كثير من الناس
اليه وذهب سائر الفرق النصرانية الى ان الثالث المعزز به هو بولس
وان الاثنين المتقدمين اللذين اودعا الحبس هما توما
وبطرس فكان لهما مع ذلك الملك خطب طويل فيما اظهروا
من المعجزات والبراهين وابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى
وحيلة بولس عليه بمداخلته اياه ولطفه له واستنقاذ
صاحبيه من الحبس فجاء حبيب النجار فصدقهم لما راى
من اياتهم وقد اخبر الله تعالى بذلك من امرهم في كتابه بقوله
اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث الى قوله رجل
يسعى وقتل بطرس وبولس بمدينة رومية وصلبا منكوسين
وكان لهما خبر طويل مع الملك ومع سيما الساحر ثم جعلا بعد
ذلك في خزانة من البلور وهي بعد ظهور دين النصرانية وهما
في كنيسة هنالك قد ذكرنا في كتابنا الاوسط عند ذكرنا
لعجائب رومية واخبار تلاميذ المسيح وتفرقهم في البلاد
وسنورد في هذا الكتاب لمعا من اخبارهم فاما اصحاب الاخدود
فكانوا في الفترة في مدينة نجران اليمن في ملك ذي نواس وهو
القاتل لذي سنار وكان على دين اليهود فبلغه ان فيها
بنجران على دين المسيح فسار اليهم بنفسه فاحتفر لهم اخاديد
في الارض وملاها جمرا واضرمها نارا ثم عرضهم على اليهودية
فمن اتبعه تركه ومن ابا قذفه في النار فاتي بامراة معها
طفل من سبعة اشهر فابت ان ترجع عن دينها فادنيت
من النار فجزعت فانطق الله الطفل فقال لها يا امه امضي
على دينك فلا نار بعد هذه فالقاهما في النار وكانوا مؤمنين
موحدين على دين النصرانية في ذلك الوقت فمضى رجل منهم
يقال له ذو ثعلبان الى قيصر يستنجده فكتب له الى
النجاشي لانه كان اقرب اليهم دارا فكان من امر الحبشة وعبورهم
الى ارض اليمن وتغلبهم عليها الى ان كان من امر ذي يزن واستنجاده
الملوك الى ان انجده انوشروان ما قد اتينا على ذكره في كتاب اخبار

وفي الكتاب الاوسط وسنذكر من ذلك لمعا في موضعه ان شا الله تعالى فيما يرد من هذا الكتاب عند ذكرنا اخبار الادواء وملوك اليمن وقد ذكر الله تبارك وتعالى في كتابه قصة اصحاب الاخدود عند قوله عز وجل قتل اصحاب الاخدود الى قوله العزيز الحميد وممن كان في الفترة خالد بن سنان العبسي وهو خالد بن سنان بن غيث بن عبس وقد ذكره النبي صلى الله عليه وسلم فقال ذلك نبي اضاعه قومه وذلك ان نارا ظهرت في العرب فافتتنوا بها وكادت تتنصر فكادت العرب تتمجس وتغلب عليها المجوسية فاخذ خالد هراوة ودخلها وهو يقول بدا بدا كل هدى مود الى الله الاعلى لادخلنها وهي تلظى ولاخرجن منها وثيابي تندى واطفاها فلما حضرته الوفاة قال لاخوته اذا انا توفيت فانه سيجي عانة من حمير يقدمها عير ابتر فيضرب قبري بحافره فاذا رايتم ذلك فانبشوا عني فاني ساخرج فاخبركم بجميع ما هو كائن فلما مات ودفنوه راوا ما قال فارادوا ان يخرجوه فكره ذلك بعضهم وقالوا نخاف ان تسبنا العرب بانا نبشنا قبر ميت لنا واتت ابنته رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعته يقرا قل هو الله احد الله الصمد فقالت كان ابي يقولها وسنذكر فيما يرد علينا من هذا الكتاب لمعا مما تدعو الحاجة اليه والى ذكره قال المسعودي وممن كان في الفترة رئاب الشني وكان من عبد القيس ثم من شن وكان على دين المسيح قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فسمعوا مناديا ينادي قبل مبعث النبي خير اهل الارض ثلثة رئاب الشني وبحيرا الراهب ورجل اخر لم يات بعد يعني النبي صلى الله عليه وسلم وكان لا يموت من ولد رئاب فيدفن الا راوا المطر على قبره ومنهم اسعد ابو كرب الحميري وكان مومنا بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه بسبعماية سنة وقال

شهدت على احمد انه ، رسول من الله باري النسم ،
فلو مد عمري الى عمره ، لكنت وزيرا له وابن عم ،

وهو اول من كسا البيت الانطاع ولذلك يقول بعض حمير

وكسونا البيت الذي حرم الله ، ملاء معصبا وبرودا ،

ومنهم قس بن ساعدة من اياد بن نزار بن معد وكان حكيم العرب وكان مقرا بالبعث وهو الذي يقول من عاش مات ،

ومن مات

ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، وقد ضربت العرب بحكمه الامثال فقال الاعشى

، واحكم من قس واجرى من الذي ، بذي الغيل من خفان اصبح خادرا ،

وقدم وفد من اياد على النبي صلى الله عليه وسلم فسالهم عنه فقالوا هلك فقال رحمه الله كاني انظر اليه بسوق عكاظ على جمل له احمر وهو يقول يا ايها الناس اجتمعوا ، واسمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، اما بعد فان في السما لخبرا ، وان في الارض لعبرا ، بحور تمور ، ونجوم تغور ، وسقف مرفوع ، ومهاد موضوع ، اقسم قس بالله قسما ، ان لله دينا هو ارضى من دين انتم عليه ، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون ، ارضوا فاقاموا ام تركوا فناموا ، سبيل موتلف ، وعمل مختلف ، وقال ابياتا لا احفظها فقام ابو بكر الصديق رضي الله عنه فقال انا احفظها يا رسول الله فقال

، في الذاهبين الاولين من القرون لنا بصاير ،
، لما رايت مواردا للموت ليس لها مصادر ،
، ورايت قومي نحوها تمضي الاكابر والاصاغر ،
، لا يرجع الماضي ولا يبقى من الباقين غابر ،
، ايقنت اني لا محالة حيث صار القوم صاير ،

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله قسا اني لارجو ان يبعثه الله امة واحدة قال المسعودي ولقس اشعار كثيرة وحكم واخبار في الطب والزجر والفال وانواع الحكم قد ذكرنا ذلك في كتاب اخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط وممن كان في الفترة زيد بن عمرو بن نفيل ابو سعيد بن زيد احد العشرة وهو ابن عم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد كان زيد يرغب عن عبادة الاصنام ويعيبها فاولع به عمه الخطاب سفهاء مكة وسلطهم عليه فاذوه فسكن كهفا بحرا فكان يدخل مكة سرا وسار الى الشام يبحث عن الدين فسمته النصارى فمات بالشام وله خبر طويل مع الملكاء والرهبان ومع بعض ملوك غسان بدمشق قد اتينا عليه فيما سلف من كتبنا ومنهم امية بن ابي الصلت الثقفي وكان شاعرا عاقلا وكان يتجر الى الشام فيلقى اهل الكتاب من اليهود والنصارى ويقرا الكتب وقد كان علم ان نبيا سيبعث في العرب وكان يقول اشعارا على راي اهل الديانة يصف فيها السموات والارض والشمس والقمر والملايكة والانبيا ويذكر البعث والنشور والجنة والنار

ويعظم الله وحسبك من ذلك قوله
الحمد لله لا شريك له ، من لم يقلها فنفسه ظلما ،
ووصف اهل الجنة في بعض كلماته فقال
فلا لغو ولا تأثيم فيها ، وما فاهوا به لهم مقيم ،
ولما بلغه ظهور النبي عليه السلام اغتاظ لذلك وتأسف
واتى المدينة ليسلم فرده الحسد فرجع الى الطائف فبينما
هو ذات يوم مع فتية يشرب اذ وقع غراب فنعب ثلاث صوت
وطار فقال امية اتدرون ما قال قالوا لا قال فانه يقول ان
امية لا يشرب الكاس الثالثة حتى يموت فقال القوم لنكذبن
قوله ثم حسوا كاسهم حتى فلما انتهت الكاس الثالثة الى امية
اغمي عليه فسكت طويلا ثم افاق وهو يقول
لبيكما لبيكما ، ها انا ذا لديكما ،
انا ممن حقت عليه النعمة فلم يحمد الشاكر وقال
لن تغفر اللهم تغفر جما ، واي عبد لك لا الما ،
ثم انشا يقول
ان يوم الحساب يوم عظيم ، شاب فيه الصغير يوما طويلا ،
ليتني كنت قبل ما قد بدا لي ، في رؤوس الجبال ارعى الوعولا ،
كل عيش وان تطاول دهرا ، صائر مرة الى ان يزولا ،
ثم شهق شهقة فكانت فيها نفسه
وقد ذكر جماعة من اهل المعرفة بايام الناس واخبار من سلف
كابن داب والهيثم بن عدي وابي مخنف لوط بن يحيى ومحمد
بن السائب الكلبي ان السبب في كتابة قريش واستفتاحهم في اوائل
كتبها باسمك اللهم هو ان امية بن ابي الصلت الثقفي خرج الى الشام
في نفر من ثقيف وغيرهم فلما رجعوا قافلين نزلوا منزلا واجتمعوا
لعشائهم اذ اقبلت حية صغيرة حتى دنت منهم فحصبها بعضهم
بشيء في وجهها فرجعت وشدوا سفرتهم ثم قاموا فشدوا
على ابلهم وارتحلوا من منزلهم فلما برزوا عن المنزل اشرفت عليهم
عجوز من كثيب رمل متوكئة على عصا لها فقالت ما منعكم ان
تطعموا رحيمة الجارية المسكينة التي جاءتكم عشية قالوا
وانت قالت هام العوام ولمت منذ اعوام اي ما ورب
العباد لتفترقن في البلاد ثم ضربت بعصاها الرمل فاثارت
بها الرمل وقالت اطيلي ايابهم ونفري ركابهم فوثبت
الابل كان على ذروة كل بعير منهم شيطانا لا يملك منها شيئا

حتى

حتى افترقت في الوادي فجمعناها من آخر النهار الى الصباح
من غد ولم نكد فلما انخناها لنركبها طلعت علينا العجوز فعادت
فعادت بالعصا كفعلها في الاول وعادت لمقالتها ما منعكم
الى ونفري ركابهم فخرجت الابل ما نملك منها شيئا فجمعناها من
غد ولم نكد فلما انخناها لنرحلها فعلت مثل فعلها في الاولى
والثانية فنفرت الابل وامسينا في ليلة مقمرة ويئسنا من
الظهر فقلنا لامية بن ابي الصلت اين ما كنت تخبرنا به عن نفسك
فتوجه الى ذلك الكثيب الذي كانت تاتي منه العجوز حتى هبط
من ناحية اخرى ثم صعد كثيبا آخر حتى هبط منه ثم رفعت
له كنيسة فيها قناديل فاذا رجل مضطجع معترض على بابها واذا
رجل جالس ابيض الراس واللحية قال امية فلما وقفت رفع
راسه وقال انك لمتبوع قلت اجل قال فمن اين ياتيك صاحبك ابن مع
قال من اذني اليسرى قال فباي الثياب يامرك قلت بالسواد
قال هذا خطيب الجن كدت ولم تفعل ولكن صاحب هذا الامر
يكلمه في اذنه اليمنى واحب الثياب اليه البيض فما حاجتك فحدثته شد
حديث العجوز فقال صدقت وليست بصادقة وهي امراة يهودية
هلك زوجها منذ اعوام وانها لن تزال تصنع ذلك بكم حتى
تهلككم ان استطاعت قال امية فما الحيلة قال اجمعوا ظهركم
فاذا جاءتكم ففعلت كما كانت تفعل فقولوا سبعا من فوق
وسبعا من تحت باسمك اللهم فانها لن تضركم فرجع امية الى
اصحابه فاخبرهم بما قيل له ففعلت كما كانت تفعل فقالوا
سبعا من فوق وسبعا من اسفل باسمك اللهم فلم تضرهم فلم
تر الابل تتحرك قالت قد عرفت صاحبكم ليبيضن اعلاه
وليسودن اسفله فلما قدموا مكة ذكروا هذا الحديث
فكان اول ما كتب اهل مكة باسمك اللهم الى ان جاء الاسلام
فرفع ذلك وكتب ، بسم الله الرحمن الرحيم ،
وله اخبار غير هذا قد اتينا على ذكرها في كتابنا في اخبار الزمان
وبغير من تنبا ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى
ابن قصي وهو ابن عم خديجة بنت خويلد زوج النبي صلى الله عليه
وسلم وكان قد قرأ الكتب وطلب ورغب عن عبادة
الاوثان وبشر خديجة بالنبي صلى الله عليه وسلم وانه نبي
هذه الامة وانه سيؤذى ويكذب ولقي النبي صلى الله عليه وسلم
فقال له يا ابن اخي اثبت على ما انت عليه والذي نفسي بيده

انك لنبي هذه الامة ولتؤذين ولتكذبن ولتخرجن ولتقاتلن ولئن
ادركت ذلك لانصرنك نصرا يعلمه الله وقد اختلف فيه فمنهم من زعم
انه مات نصرانيا وانه بعد ذلك ظهور النبي عليه السلام ولم يؤمن به
ومنهم من راى انه مات مسلما وانه مدح النبي صلى الله عليه وسلم فقال
«يعفو ويصفح لا يجزي بسيئة» «ويكظم الغيظ عند الشتم والغضب»
ومنهم عداس مولى عتبة بن ربيعة وكان من اهل نينوى ولقي
النبي صلى الله عليه وسلم بالطايف حين يدعوهم الى الله وكان له
معهم حظ في الحديقة وقتل يوم بدر على النصرانية وقد كان بشر
بالنبي صلى الله عليه وسلم بالطايف ومنهم ابو قيس صرمة بن ابي انس
من الانصار من بني النجار وكان قد ترهب ولبس المسوح وهجر
الاوثان ودخل بيتا فاتخذه مسجدا لا يدخله طامث ولا جنب
وقال اعبد رب ابرهيم ولما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة
اسلم وحسن اسلامه وفيه انزلت اية السحور وكلوا واشربوا حتى
يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر الاية وهو القايل
في النبي صلى الله عليه وسلم
«ثوى في قريش بضع عشرة حجة» «بمكة لو يلقى صديقا مواسيا»
ومنهم ابو عامر الاوسي واسمه عبد عمرو بن صيفي بن النعمان
من بني عمرو بن عوف من الاوس وهو ابو حنظلة غسيل الملائكة
وكان سيارا قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح فلما قدم النبي
صلى الله عليه وسلم المدينة كان له معه خطب فخرج في خمسين
غلاما فمات على النصرانية بالشام ومنهم عبد الله بن جحش
الاسدي من بني اسد بن خزيمة وكان عنده ام حبيبة بنت ابي سفيان
ابن حرب قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان قد قرا الكتب
فمال الى النصرانية فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم هاجر الى ارض
الحبشة فيمن هاجر من المسلمين ومعه زوجته ام حبيبة ثم انه
ارتد عن الاسلام هنالك وتنصر ومات بارض الحبشة فكان
يقول انا فقحنا وصاصاتم يريد انا ابصرنا وانتم تلتمسون
البصر وهذا مثل من يقول ذلك انه يقال للكلب اذا فتح عينيه
بعدما يولد قد فقح واذا كان يريد ان يفتحهما ولم يفتحهما
فقد قيل صاصا ولما مات عبد الله تزوج رسول الله صلى الله
عليه وسلم ام حبيبة بنت ابي سفيان زوجه اياها النجاشي
ومهرها عنه اربعماية دينار ومنهم بحيرا الراهب
وكان موقنا على دين المسيح واسمه بحيرا في كتب النصارى سرجس

وكان من عبد القيس ولما خرج النبي صلى الله عليه وسلم مع ابي طالب عمه الى
الشام في تجارة وهو ابن اثني عشرة سنة معهما ابو بكر وبلال مر ببحيرا
وهو في صومعته فعرف النبي صلى الله عليه وسلم بصفته ودلايله وما كان
يجده في كتبه ونظر الى الغمام يظله حيث ما جلس فانزلهم بحيرا واكرمهم
واصطنع لهم طعاما ونزل من صومعته حتى نظر الى خاتم النبوة بين
كتفي النبي صلى الله عليه وسلم ووضع يده على موضعه وامن بالنبي صلى
الله عليه وسلم واعلم ابا بكر وبلالا بقصته وما يكون من امره وساله ان
يرجع به من وجهه ذلك وحذرهم عليه من اهل الكتاب واخبر عمه
ابا طالب بذلك فرجع به فلما رجع من سفره ذلك كان بعد
قصته مع خديجة وما اظهر الله فيها من دلايل نبوته وما خبرت
به مما كان منه في طريقه قال المسعودي فاذ قد ذكرنا جملا من
الخليقة الى حيث انتهينا ولم نشب بشي غير لحاجات بها الشرايع ونطقت
به الكتب واوضحت عنه الرسل فلنذكر الان بدء ممالك الهند
ولمعا من اخبارهم ونتبع ذلك بذكر سائر الممالك اذ كنا قد قدمنا جملا
من ذكر ملوك الاسرائيليين على حسب ما وجدنا في كتب السير بعون ان شاء الله
والله المستعان ذكر جمل من اخبار الهند وارايها وبدء
ممالكها قال المسعودي ذكر جماعة من اهل النظر والبحث
الذين واصلوا العناية بتامل شان هذا العالم وبدئه ان الهند كانت
في قديم الزمان الفرقة التي فيها الصلاح والحكمة وانه لما تجيلت
الاجيال وتحزبت الاحزاب حاولت الهند ان تضم المملكة وتستولي
على الحوزة وتكون الرياسة فيها فقال كبراؤهم نحن كنا اهل البدء
وفينا التناهي ولنا الغاية والصدر والنهاية ومنا سرى الاب
الى الارض فلا ندع احدا يشاقنا ولا يعاندنا او يتلونا الا غمضناه
الا ان يأتينا عليه واتيناه او يرجع الى طاعتنا فاجمعت على ذلك ونصبت
لها ملكا وهو البرهمن الاكبر والملك الاعظم والامام فيهم المقدم
ظهرت في ايامه الحكمة وتقدمت العلماء واستخرجوا الحديد من
المعادن وضربت في ايامه السيوف والخناجر وكثيرا من انواع المقاتل
وشيد الهياكل ورصعها بالجواهر المشرقة وصور فيها الافلاك
والبروج الاثني عشر والكواكب وبين بالصور كيفية العوالم
وابان بالصور ايضا كيفية افعال الكواكب في هذا العالم
واحداثها الاشخاص الحيوانية من الناطقة وغيرها وبين حال
المدبر الاعظم الذي هو الشمس واثبت ذلك في جميع هياكلهم
ذلك وقرب الى عقول العوام فهم ذلك وغرس في نفوس الخواص

برهمن الملك ظهر في ايامه الحكمة

كتاب السندهند
ارجبهر
اركند
مجسطي

درايته ما سواه من ذلك واشار الى المبداء الاول المعطي لسائر الموجودات
موجود ما الفايض عليها بجوده فانقادت له الهند واخصبت بلادها
دارا اهم و جمع مصالح الدنيا وجمع الحكما فاحدثوا في ايامه كتاب
السندهند وتفسيره دهر الدهور ومنه فرعت الكتب ككتاب
الارجبهر والمجسطي وفرع من الارجبهر الاركند ومن المجسطي
كتاب بطليموس ثم عملوا بعد ذلك منها الزيجات واحدثوا التسعة
احرف المحيطة بالحساب الهندي وكان اول من تكلم في اوج الشمس
وذكر انها تقيم في كل برج ثلاثة الاف سنة والاوج على راي الهند
في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلثين وثلثماية في برج التوام وانه
اذا انتقل الى البروج الجنوبية انتقلت العمارة فصار العامر عامره
والشمال جنوبا والجنوب شمالا ورتب في بيت الذهب حساب
المبادي الاول في التاريخ الاقدم الذي عملت عليه الهند في تاريخ
البرده وظهورهم في ارض الهند من تشابه الممالك ولهم في البرده
خطب طويل اعرضنا عن ذكره اذ كان كتابنا هذا كتاب خبر
لا كتاب بحث ونظر وقد اتينا على جمل من ذلك في الكتاب الاوسط
ومن الهند من يذكر ان ابتدا العالم في كل الف سنة من دولة وان
العالم اذا انقطع منه الملح عاد الكون وظهر النسل ودرت البهايم
وتغلغل الما ودب الحيوان وانتهل النفس وخرق النسيم
الهوا فاما اهل الهند فانهم لولا امرهم مموه علم وامرهم تبادي
بالقوي متلاسيه التشخص موجود القوي منصبه الذات
وحدوا الفلك رجالا فرحوا ودقا نصبوه جعلوا الدايرة
العظمى والحادثة الكبرى وسموا ذلك بعمق العالم وجعلوا
المسافة بين البدء والانتها مدة سنة والبين المقسمة فجعلوها
في اثني عشر الف عام وهذا عندهم هو الهارن وليت الضابط للقوي
الاشياء والمدبر لها ولذلك الدوائر تنقبض وتنبسط جميع المعاني التي
تستودعها ولذلك الاعمار تطول في اول الكور لانفساح الذات وتملك
القوي من الحال وتقصر الاعمار في اخر الكور لضيق الذات ولربما
يعرض فيها من الافراط المبادي للاعمار وكذلك قوى الاجسام
وضعوا في اول الكور لطهارة وشرح لان الصفو سابق الكدر والصافي
سادر المعل والاعمار تطول بحسب صفاء المزاج وتكامل القوي
المؤدية الى العناصر الخلاط الكاينات الفاسدات المتحللات
البايدات وان لغز الدار الاعظم وغاية البدء الاكبر تظهر الصفو د
متشوهه والنفوس ضعيفه والامزجة مختلطه وتناقص القوي

ويتبدا

وتبتدا الفواسد وترد الموارد في الدوائر منعكسه مزدحمه
فالتقصير ومن الاعصار لتمام الاعمار وللهند فيما ذكرناه علل
وبراهين في المبادي الاول وفيما بسطناه من تفريعهم في الدوائر
الهازن والرايات ودتون واسرار في النفوس واتصالها بما علا
من العوالم والمنفيه بها من علو الى سفل وغير ذلك مما رتب لهم
البرهمن في بدء الزمان فكان ملك البرهمن ومملكته الى ان هلك ثلاثماية
سنة وستا وستين سنة وولده يعرفون بالبراهمه الى وقتنا
هذا والهند تعظمهم وهم اعلى اجناسهم واشرافهم لا يغتذون بشي
من الحيوان وفي رقاب الرجال منهم والنسا خيوط صفر متقلدين
بها كحمائل السيوف فرقا بينهم وبين غيرهم من انواع الهند وقد
كان اجتمع منهم في قديم الزمان في ملك البرهمن سبعة من حكمائهم
والمنظور اليهم منهم في بيت الذهب فقال بعضهم لبعض تعالوا
حتى نتناظر فننظر ما قصة العالم وما سره ومن اين اقبلنا والى
اين نحن وهل اخراجنا من العدم الى الوجود حكمة ام ضلالة وهل
خالقنا والمخترع لنا والمنشي لاجسامنا يجتلب بخلقنا منفعة
ام هل يدفع بفنائنا عن نفسه مضرة ام هل يدخل
عليه من الحاجة والنقص ما يدخل علينا وهل هو غني من كل وجه
فما وجه افنائه ايانا واتلافنا بعد وجودنا وملاذنا فقال الحكيم
الاول والمنظور اليه منهم اترى احدا من الناس ادرك الاشيا
الحاضرة والغايبة على حقيقة الادراك فظفر باليقين واستراح
الى الثقة قال الحكيم الثاني لو تناهت حكمة الخالق في احد العقول
كان ذلك نقصا في حكمته وكان الغرض غير مدرك والتقصير مانعا
من الادراك قال الثالث الواجب علينا ان نبتدي بمعرفة انفسنا
التي هي اقرب الاشيا منا ونحن اولى بها وهي اولى بنا قبل ان
نتفرغ الى علم ما بعد عنا قال الحكيم الرابع وقوع
وقع بموقع الحاجة فيه الى معرفة نفسه قال الحكيم الخامس
من هاهنا وجب الاتصال بالعلماء الممتزين بالحكمة قال الحكيم
السادس الواجب على المرء المحب لسعادة نفسه ان لا يغفل ذلك
لا سيما اذا كان المقام في هذه الدار ممتنعا والخروج منها
واجبا قال الحكيم السابع ما ادري ما تقولون غير اني خرجت
الى الدنيا مضطرا وعشت فيها حائرا واخرج منها كارها
فاختلف الهند ممن سلف وخلف في اراء هولاء السبعة وكل
اقتدى بهم والتزم مذهبهم ثم تفرعوا بعد ذلك في مذاهبهم وشاذ عوا

في آرائهم فالذي وقع عليه الحصر من طوائفهم سبعون فرقة قال المسعودي
وقد رأيت أبا القاسم البلخي ذكر في كتاب عيون المسائل والجوابات
وكذلك الحسن بن موسى النوبختي في كتابه المترجم بكتاب الآراء
والديانات مذاهب الهند وآراءهم والعلة التي لها ومن أجلها أحرقوا
أنفسهم بالنيران وقطعوا أجسامهم بأنواع العذاب فلم يعرضا لشيء
مما ذكرناه ولا بمعناه مما وصفناه وقد تنوزع في البرهمن فمنهم
من زعم أنه آدم وأنه رسول من الله إلى الهند ومنهم من زعم أنه ملك
ملك على حسب ما ذكرناه وهذا أشهر ولما هلك البرهمن جزعت عليه
الهند جزعا شديدا وفزعت إلى نصب ملك عليها من أكبر ولده
وكان ولي عهده والموصى إليه من ولده وهو الباهبود فسار فيهم سيرة ايدهم
وأحسن النظر وزاد في بناء الهياكل وقدم الحكماء وزاد في مراتبهم
وحثهم على تعليم الحكمة وبعثهم على طلبها فكان ملكه إلى أن هلك
مائة سنة وفي أيامه عملت النرد وأحدث اللعب بها وجعل ذلك
مثالا للمكاسب وأنها لا تنال بالكيس ولا بالحيل في هذه الدنيا
وأن الرزق لا يتأتى فيه بالحذق وقد ذكر أن أزدشير بن بابك
أول من لعب بالنرد ووضعها ورأى تقلب الدنيا بأهلها واختلاف
أمرها وجعل بيوتها اثني عشر بعدة الشهور وجعل الفصين مثالا
للقدر وتقلبه بأهل الدنيا وأن الإنسان يلعب بها فيبلغ
بإسعاد القدر إياه في مراده باللعب بهما ما يريد وأن الحازم
الفطن لا يتأتى له ما يتأتى لغيره إذا انصرف الجد وأن الأرزاق
والحظوظ لا تنال إلا بالجدود ثم ملك بعد هذا رامان بعد الباهبود
وكان ملكه نحوا من خمسين ومائة سنة وله أخبار وسير وحروب
مع ملوك فارس وملوك الصين قد أتينا على الغرر منها فيما سلف
من كتبنا ثم ملك بعده فور وهو الذي واقعه الإسكندر فقتله
مبارزة فكان ملك فور إلى أن قتل أربعين ومائة سنة ثم ملك
بعده دبشليم وهو الواضع لكتاب كليلة ودمنة الذي نقله ابن المقفع
وقد صنف سهل بن هارون للمأمون كتابا ترجمه بكتاب ثعلة
وعفرة يعارض فيه كتاب كليلة ودمنة في أبوابه وأمثاله ويزيد
عليه في حسن نظمه وكان ملكه مائة وعشرين سنة وقيل غير ذلك
ثم ملك بعده بلهيت وصنعت في أيامه الشطرنج فقضى بلعبها
على النرد وبين الظفر الذي ينال به الحازم والنكبة التي تلحق الجاهل
وحسب حسابها ورتب لذلك كتابا بالهندية يعرف بطرق جنكا وتداوله
بينهم ولعب بالشطرنج مع حكمائه وجعلها صورا على صور الناطق وغير

وذكر وضع النرد

كتاب كليلة ودمنة

وذكر واضع كليلة ودمنة

ذكر وضع الشطرنج

وحكم

الحيوان مما ليس بناطق وجعلها درجات ومراتب ومثل الشاه
بالمدبر الرئيس وكذلك ما يليه من القطع وأقام ذلك مثالا للأجسام
العلوية التي هي الأجسام السماوية من السبعة والاثني عشر وأفرد كل
قطعة منها بكوكب وجعلها ضابطة للمملكة فإذا كان عدو من أعاديه
توقعت حيلة في الحروب نظر وأمر أن أو تراخى عاجل وآجل
وللهند في لعب الشطرنج سر يسرونه في تضاعيف حسابها ويتعلقون
بذلك إلى علام الأفلاك وما إليه ينتهي من العلة الأولى في
مبلغ أعلاه وأضعاف الشطرنج ثمانية عشر ألف ألف ألف ألف
وثلاثة وسبعون ألف ألف ألف وسبعمائة ألف ألف ألف وسبعة
آلاف ألف ألف وخمسمائة ألف ألف وواحد وخمسون ألفا وخمسمائة
وخمسة عشر وللمراتب هذه الألوف الستة الأولى من الخمسة التي
ألف ألف خمس مرات ثم بعد ثلاث ثلاث ثم أكثر من واحد عدة
الهند معاني تذكر في الدهور والأعصار ولا تقتضيه سائر
المؤثرات العلوية في هذا العالم ولارتباط نفوس الناطقين
بها ولليونانيين والروم وغيرهم من الأمم كلام في الشطرنج ونوع من
اللعب بها قد ذكره لعاب الشطرنج في كتبهم من سلف منهم
إلى الصولي والعدلي والمهلكان أشهر اللعاب بالشطرنج في هذا
العصر فكان ملك بلهيت إلى أن هلك ثمانين سنة وفي بعض النسخ
أنه ملك ثلاثين ومائة سنة ثم ملك بعده كورش فأحدث للهند
آراء في الديانات على حسب ما رأى في صلاح الوقت وما احتمله
أمر التكليف أهل العصر وخرج عن مذاهب من سلف وكان في مملكته
وعصره سندباد وله كتاب الوزراء السبعة والمعلم والغلام
وامرأة الملك وهو الكتاب المترجم بكتاب السندباد وعمل في خزانة
هذا الملك الكتاب الأعظم في معرفة العلل والأدواء والعلاجات
وشكل الحشائش وصورها فكان ملك هذا الملك إلى أن هلك
مائة وعشرين سنة ولما هلك اختلف الهند في آرائهم فتحزبت
الأحزاب وتحيزت الأجيال وانفرد كل رئيس بناحية فملك
على أرض السند ملك وملك على أرض القنوج ملك وعلى أرض
القشمير ملك وملك على مدينة المانكير التي هي الجوز الملك
الذي سمي البلهرى وهذا أول ملك من ملوكها فصار سمة لمن طرأ
بعده من الملوك في هذه الحوزة إلى وقتنا هذا وهو سنة
اثنتين وثلاثين وثلاثمائة وأرض الهند أرض واسعة في البر والبحر
والجبال ومملكتهم متصلة بمملكة الزابج وهي دار مملكة المهراج

بهم

جملة تضاعيف الشطرنج على الصحة والتثبيت ثمانية عشر ألف ألف ألف ألف ألف ألف وأربعمائة وستة وأربعون ألف ألف ألف ألف ألف وسبعمائة وأربعة وأربعون ألف ألف ألف ألف وثلاثة وسبعون ألف ألف ألف وسبعمائة وتسعة آلاف ألف ألف وخمسمائة وواحد وخمسون ألف وستمائة وخمسة عشر

[illegible]

ملك الجزائر وهذه المملكة فرزان مملكة الهند والصين ويضاف الى الهند والهند
متصلة مما يلي الجبال بارض خراسان والسند الى ارض التبت وبين هذه الممالك
تباين وحروب ولغات مختلفة واراء غير متفقة والاكثر منهم يقول بالتناسخ
وتنقل الارواح على حسب ما قدمناه سابقا والهند في عقولهم وسياستهم
وحكمتهم وصحة امزجتهم وصفاء الوانهم بخلاف سائر السودان
من الزنوج والدمادم وسائر الاجناس وقد ذكر جالينوس في الاسود
عشر خصال اجتمعت فيه ولم توجد في غيره تفلفل الشعر وخفة
الحاجبين وانتشار المنخرين وغلظ الشفتين وتحدد الاسنان
ونتن الجلد وسواد الحدق وتشقق اليدين والرجلين وطول الذكر
وكثرة الطرب قال جالينوس وانما غلب على
الاسود الطرب لفساد دماغه فضعف لذلك عقله وقد ذكر غير
جالينوس في طرب السودان وغلبة المزح عليهم وما خص به الزنج
من ذلك دون سائر السودان في الاكثر من الطرب عنها قد ذكرناه فيما سلف
من كتبنا وقد قال يعقوب بن اسحاق الكندي في بعض رسائله في
افعال الاشخاص العلوية والاجسام السماوية في هذا العالم
جميع ما خلقه الله تعالى جعل بعضه لبعض علة فالعلة الفاعلة تفعل
في معلولها اثارا ما هي لها به علة وليس يؤثر المفعول المعلول في علته
الفاعلة والنفس علة العلة لا معلولة له فليس يؤثر العلة فيها اثرا
لان طباع البدن ان تتبع مزاج البدن اذ لم يجد شيئا كما هو موجود
في الزنج الذي حمي موضعه فاثرت فيه الاشخاص الفلكية
جذب الرطوبات الى اعاليه فاجحظت عينيه واهدلت شفتيه
وافطست انفه وعظمته واسالت راسه بكثرة جذب الرطوبات
الى اعالي بدنه فخالف بذلك مزاج دماغه عن التعديل فلم
تقدر النفس على اظهار فعلها منهم بكماله ففسد تمييزه وكلت
الافعال العقلية منه وقد تكلم الناس ممن تقدم وتاخر
في علة تلون السودان ومواضعهم من الفلك والكواكب السبعة
من النيرين والخمسة بوقوع افعالهم وانفرادها باختراعهم واثرت
في اجسامهم وليس كتابنا هذا موردا لهذا المعنى فنورد
فيه ما قالوه من ذلك وقد ذكرنا جميع ما قالوا فيها ووصفناه
وما ورد من البراهين على ما ذكرنا في كتابنا اخبار الزمان وبينا
على وصف قول من اصاب منهم من الحذاق من المنجمين وعلماء
الفلكيين ممن ناظر على الاسلاميين في شعر له ما ذكرناه فقال
، ولانخ منا رجل العلوي ، شيخ كبير له ملك قوي ،

وطبعه

، وطبعه السوداء والبرودة ، اسود لون النفس في لموده ،
، افعاله في الزنج والعبيد ، وفي الرصاص بعد والحديد ،
وقد كان طاوس اليماني صاحب عبد الله بن العباس لا ياكل من
ذبيحة الزنجي ويقول انه عبد مشوه الخلقة وبلغنا ان ابا
العباس الراضي بالله بن المقتدر كان لا ياخذ شيئا من يد اسود
ويقول انه عبد مشوم فلست ادري اقتفى طاوس في مذهبه ام
لمذهب من الاراء والنحل وقد صنف عمرو بن بحر الجاحظ كتابا
في فخر السودان ومناظرتهم مع البيضان والهند لها ملك
الملك عليها حتى يبلغ من عمره اربعين سنة ولا تكاد ملوكهم تظهر
لعوامهم الا في برهة من الزمان معلومة ويكون ظهورها للنظر في
امور الرعية لان في نظر العوام عندهم الى ملوكهم اسقاطا
لهيبتها واستخفافا بحقها والرياسات عندهم لا تجوز الا
بالتخير ووضع الاشياء في مراتبها من المراتب السياسية

قال المسعودي ورايت في بلاد سرنديب وهي جزيرة
من جزائر البحر اذا مات ملكهم صير على عجلة قريبة من الارض صغيرة
البكر معلق بمؤخرها وشعره يجر على الارض وامراة
بيدها مكنسة تحثو التراب على راسه وتنادي ايها الناس هذا
ملككم بالامس قد ملككم وجاز فيكم امره قد صار الى ما ترون
من ترك الدنيا وقبض روحه ملك الموت والحي الذي
لا يموت فلا تغتروا بالحياة بعده وكلام هذا معناه من
الترهيب والتزهيد في هذا العالم ويطاف به في شوارع
المدينة ثم يفصل باربع قطع وقد هيئ له الصندل والكافور
وسائر انواع الطيب فيحرق بالنار ويذرى رماده في
الرياح وكذلك تفعل اكثر اهل الهند بملوكهم وخواصهم
لغرض يذكرونه وهم يتيممون به في المستقبل والملك مقصور
في اهل بيت لا ينتقل عنهم الى غيرهم وكذلك بيت الوزراء والقضاء
وسائر اهل المراتب لا تغير ولا تبدل والهند تمنع من شرب
الشراب ولم تمنع شاربه لا على طريق التدين لكنها ساترة عن
ان يغشى على قلوبهم ما يغشيها ويزيلها عما وضعت له
فيهم واذا صح عندهم عن ملك من ملوكهم شربه استحق
الخلع عن الملك اذ كان لا يتاتى له التدبير والسياسة مع الا خلال
وربما يسمعون السماع والملاهي ولهم ضروب من الملاهي مطربة
تفعل في الناس افعالا مرتبة من ضحك وبكاء وربما يسقون الجواري

فيطأ بعضهم بحضرتهم ويطرب الرجال لطرب الجواري ويطرب بحضرتهم
وقد اتينا على كثير من اخبارهم وسيرهم في كتابنا كتاب اخبار الزمان
والاوسط وانما نذكر في هذا الكتاب لمعا ومن طرائف اخبار
ملوك الهند والعجيب من سيرهم ما كان منهم في صدر الزمان
ان الكامل ملوك القمار من الهند والى بلاد المملكة والصقع من ارض الهند
يحمل العود القماري واليه يضاف وليس هذه الجزيرة من جزائر
البحر بل هي بر وجبال وليس في كثير من ممالك الهند اكثر عددا
رجالهم ولا اطيب من افواههم لاستعمالهم السواك كاستعمال
اهل الاسلام لذلك وكذلك يرون تحريم الزنا من بين الهند
ويجتنبون سائر القاذورات ويجتنبون الانبذة وان كانوا
في هذا الفعل خاصة مساوين لعوام الهند واكثرهم رجالة لكثرة
الجبال في بلادهم والاودية وقلة السهولة والانجاد وبلد
القمار من الانسان ليس لها مملكة المهراج ملك الجزائر كالزابج وكله
وسرنديب وغيرها فذكروا انه تملك الملك على بلاد القمار على قديم
الايام ملك سريع وانه جلس يوما في قصره على سرير مملكته وهو
مشرف على نهر عظيم يجري بالماء العذب كدجلة والفرات
وبين قصره والبحر مسيرة يوم ووزيره بين يديه اذ قال
لوزيره وقد جرى ذكر مملكة مهراج وجلالتها وكثرة عمائرها
وما تحت يده من الجزائر في نفسي شهوة كنت بلوغها فقال له
الوزير وكان ناصحا وقد علم السرعة منه وما هي ايها الملك
فقال كنت احب ان ارى راس المهراج ملك الزابج بين يدي في طست فعلم
الوزير ان الحسد اثار هذا الفكر في نفسه واخطر هذا بباله
فقال ايها الملك ما كنت احب ان يحدث الملك نفسه بهذا
اذ لم يجر بيننا وبين هؤلاء القوم في سائر الزمان ولا في حديثه
عداوة ولا راينا منهم سوءا وهم في جزائر بعيدة غير مجاورين لنا في
ارضنا ولا طامعين في ملكنا وبين مملكة القمار ومملكة المهراج
عشرة ايام الى عشرين يوما عرضا في البحر ثم قال له الوزير
ليس ينبغي ايها الملك ان يقف على هذا احد ولا تعيد
الملك فيه قولا فغضب وابى ان يسمع من الناصح واذاع ذلك
لقواده ومن كان بحضرته من وجوه اصحابه فتنقلته الالسن
حتى شاع واتصل بالمهراج وكان حازما متيقظا قد بلغ في السن
مبلغا متوسطا فدعا وزيره واخبره بما اتصل به وقال انه
ليس ينبغي مع ما قد شاع من امر هذا الجاهل وسوء تمنيه

بحداثه

بحداثة وعزته واشتداده ذلك من قوله ان نمسك عنه فان ذلك
مما يقدح في الملك ويضع منه وامر بستر ما جرى بينهما وان
يعد له الف مركب من اوسط المراكب بالتها وينتدب لكل مركب
منها من حماة السلاح ووجوه الرجال ما يستقل به واظهر
انه يريد التنزه في جزائر مملكته وكتب الى الملوك الذين في تلك
الجزائر ممن في طاعته وعماله بما عزم عليه من زيارتهم والتنزه
في جزائرهم حتى شاع ذلك وتاهب ملك كل جزيرة بما يصلح للمهراج
فلما استتمت اموره وانتظمت شؤونه دخل المراكب وعبر بها
وبالجيش الى مملكة القمار فلم يشعر ملك القمار حتى هجم على الوادي
المفضي الى دار ملك القمار فطرح رجاله فاحدقوا به على سبيل
غرة واحتووا على دار مملكته وصار اهل المملكة بين يديه فامر المنادي
بالامان وقعد على السرير الذي كان يجلس عليه ملك القمار ووقف
اخذه اسيرا فاحضر واحضر وزيره وقال للملك ما حملك على تمني
ما ليس في وسعك ولا لك فيه حظ لو نلته ولا وجه سبب
ليسهل السبيل اليه فلم يحر جوابا فقال له المهراج اما انك لو
تمنيت مع ما تمنيته من النظر الى راسي في طست بين يديك اباحة
ارضي وملكها او افسادي شيء منها لاستعملت ذلك كله فيك
لكنك تمنيت شيئا بعينه فانا فاعله بك وراجع الى بلادي من
غير ان امد يدا الى شيء من بلادك مما دق وجل لتكون عظة لمن
بعدك ولا يتجاوز كل قدر ما قسم له وليستغنم العافية من
لبسته ثم ضرب عنقه واقبل على وزيره فقال جزيت خيرا من وزير
فقد صح عندي انك اشرت على صاحبك بالراي لو قبل منك
فانظر من يصلح للملك بعد هذا الجاهل فاقمه مقامه وانصرف
من ساعته راجعا الى بلاده من غير ان مد يده ولا احد من اصحابه
يدا الى شيء من بلاد القمار فلما رجع الى مملكته قعد على سريره
واشرف على غديره المعروف بغدير لبن الذهب والطست بين
يديه وفيه راس الملك ملك القمار واحضر وجوه مملكته وحدثهم
بخبره والسبب الذي حمله على ما فعل فدعا له اهل مملكته
وجزوه خيرا ثم امر بالراس فغسل وطيب وجعل في ظرف
ورده الى الملك القائم ببلاد القمار وكتب اليه انه لم يحملنا
على ما فعلناه بصاحبك بغيه علينا وانما ادبنا الامثاله وقد بلغنا
فيه ما اردنا واردنا ان نرد هذا الراس اذ لا درك لنا في حبسه ولا فخر
لما ظفرنا به منه واتصل الخبر بملوك الهند والصين فعظم المهراج في

اعينهم وصارت ملوك الهند من بعد ذلك كلما اصبحت قامت ولوت
وجوهها نحو الزابج بتحيات وكلمت للمهراج تعظيما له **قال
المسعودي** وللمهراج قصر
على غدير صغير متصل بالخليج الآخذ من خليج الزابج تغلب على هذا
الخليج ماء البحر بالمد وينضب عنه الماء العذب بالجزر فاذا كان
صبيحة كل يوم دخل قهرمان الملك ومعه لبنة قد سبكت
من الذهب فيها عدة امنان قد خفي عنا وزنها فيطرحها بين يدي
الملك في ذلك الغدير فاذا كان المد علاها وعلى ما كان مجتمعا معها
من امثالها وغمرها فاذا كان الجزر نضب عنها واظهرها فلاحت في
الشمس والملك مطلع عليها عند جلوسه في المجلس المطل عليها فلا
تزال تلك حاله يطرح في كل يوم لبنة في ذلك الغدير من الذهب ما عاش
ذلك الملك من الزمان لا يمس منه شي فاذا مات الملك اخرجها القائم
من بعده كلها ولم يبق منها شيا واحصيت ثم اذيبت وفرقت على
اهل بيت الملك رجالهم ونساهم واولادهم وقوادهم وخدمهم على
مراتبهم ورسوم كل صنف منهم فما فضل بعد ذلك فرق على اهل المسكنة
والضعف ثم يدون عدد لبن الذهب ووزنه ويقال ان فلانا الملك
ملك من الزمان كذا وكذا سنة وخلف من لبن الذهب في غدير الملك
كذا وكذا لبنة وانها فرقت بعد وفاته في اهل مملكته والفخر
عندهم لمن امتدت ايام ملكه وزاد عدد لبن الذهب في تركته
واعظم ملوك الهند في وقتنا هذا البلهرى صاحب مدينة
المانكير واكثر ملوك الهند توجه في صلاتها نحوه وتصلي لرسله
اذا وردوا عليهم وتلي مملكة البلهري ممالك كثيرة للهند ومنهم
ملوك في الجبال لا بحر لهم مثل الراي صاحب القشمير وملك الطافن
وغير ذلك من ملوك الهند ومنهم من مملكته بر وبحر فاما البلهري
فبين دار مملكته وبين البحر مسيرة ثمانين فرسخا سندية والفرسخ
ثمانية اميال ولرجبوت وفيله لا يدرك كثرتها واكثر جيوشه
رجالة لان دار مملكته بين الجبال ومن ملوك الهند من لا
بحر له بووره صاحب مدينة القنوج وهذا الاسم بووره
سمة لكل ملك يلي هذه المملكة وله جيوش مرتبة على الشمال
والجنوب والصبا والدبور لانه في كل وجه من هذه الوجوه يلقى
ملكا محاربا له وسنذكر جملا من اخبار ملوك الهند والسند
وغيرهم من ملوك الارض فيما يرد من هذا الكتاب عند ذكرنا الممالك
ومبانيها وما حولها من العجايب والامم ومراتب الملوك وغيرهم وكما

قد

قد اسلفنا ذلك فيما من كتبنا وبالله التوفيق ولا قوة الا بالله

ذكر الارض والبحر

ومبادي الانهار والجبال والاقاليم السبعة وما والاها من
الافلاك وترتيب الافلاك وغير ذلك **قال المسعودي**
قسمت الحكماء الارض الى جهات الشرق والغرب والشمال
والجنوب فقسموا ذلك الى قسمين مسكون وغير مسكون وعامر
وغامر وذكروا ان الارض مستديرة ومركزها في وسط الفلك
والهوا فيها محيط من كل الجهات وانها عند فلك البروج بمنزلة النقطة
فيه واخذوا عمرانها من الجزاير الخالدات في بحر اوقيانس الغربي وهي
ست جزاير عامرة الى اقصى عمران الصين فوجدوا ذلك اثنتي
عشرة ساعة فعلموا ان الشمس اذا غابت في اقصى الصين كان
طلوعها على الجزاير العامرة التي في بحر اوقيانس الغربي واذا
غابت في هذه الجزاير كان طلوعها في نصف الصين وذلك نصف
دايرة الارض وهو طول العمران الذي ذكروا انه وقف عليه ومقداره
من الاميال ثلثة عشر الف ميل وخمسمائة ميل من الاميال
التي عملوا عليها في مساحة دور الارض ثم نظروا في العرض
فوجدوا العمران من موضع خط الاستوا ناحية الشمال ينتهي
الى جزيرة تولى التي في بريطانية حيث يكون طول النهار الاطول
عشرين ساعة وذكروا ان موضع خط الاستوا من الارض يقطع
فيما بين المشرق والمغرب في جزيرة بين الهند والحبشة من ناحية
الجنوب معترضة بين الشمال والجنوب في النصف مما بين الجزاير
العامرة واقصى عمران الصين وهو حد الارض المعروف فيما
ذكرنا ويكون العرض من خط الاستوا الى جزيرة تولى فيما يقارب
ستين جزءا وذلك سدس الارض واذا ضرب هذا السدس
الذي هو مقدار العرض في النصف الذي هو مقدار الطول
كان مقدار ما ظهر من العمران من ناحية الشمال مقدار نصف
سدس دايرة الارض فاما الاقاليم السبعة **فالاول**
منها اقليم بابل منه فارس وخراسان والاهواز والموصل
وارض الجبال وله من البروج الحمل والقوس ومن
الانجم السبعة المشتري **الاقليم الثاني** السند
والهند والسودان له من البروج الجدي ومن السبعة
زحل **الاقليم الثالث** مكة والمدينة واليمن والطايف
والحجاز وما بينهما له من البروج العقرب ومن السبعة الزهرة

سعده التعليم **الاقليم الرابع** مصر وافريقية والبربر والاندلس
وما بينها لهم من البروج الجوزا ومن السبعة عطارد
الاقليم الخامس الشام والروم والجزيرة لهم من البروج الدلو
ومن السبعة القمر **الاقليم السادس** الترك والخزر والديلم
والصقالبة لهم من البروج السرطان ومن السبعة المريخ **الاقليم**
السابع الديبل والصين لهم من البروج الميزان ومن السبعة
الشمس وذكر حبش المنجم صاحب كتاب الزيج في
النجوم عن خالد بن عبد الملك المروروذي في عدة وقد كانوا
رصدوا الشمس للمامون في برج سنجار من بلاد ديار ربيعة
ان مقدار درجة واحدة من وجه الارض ستة وخمسين ميلا
فضربوا مقدار درجة واحدة في ثلاث مائة وستين فوجدوا
دور كرة متقطع الارض المحيطة بالارض والبحر عشرين الف
ميل ومائة وستين ميلا ثم ضربوا قطر الارض في سبعة فاجتمع
مائة الف ميل وواحد واربعون الف ميل ومائة وعشرون
ميلا فقسم ذلك على اثنين وعشرين ميلا فخرج القسم
الذي هو مقدار قطر الارض ثلاثة الاف ميل وواحد وهو
الف ميل ومائتا ميل وسبعة اميال وستة عشر دقيقة
والدقيقة بالمقادير ربع ميل وربع عشر ميل والميل اربعة الاف
ذراع بذراع الاسود وهو الذراع الذي وضعه المامون
لذرع الثياب ومساحة البنا وقسمة المنازل والذراع
اربعة وعشرون اصبعا **قال المسعودي** وقد
ذكر الفيلسوف في الكتاب المعروف بجغرافيا صفة
الدنيا ومدنها وجبالها وما فيها من البحار والجزائر والانهار
والعيون ووصف المدن المسكونة والمواضع العامرة وان
عددها اربعة الاف مدينة وخمس مائة وثلثين مدينة
في عصره وسماها مدينة مدينة في اقليم اقليم وذكر في هذا
الكتاب الوان جبال الدنيا من الحمرة والصفرة والخضرة
وغير ذلك من الالوان ولم يعددها ما بين جبل ونيف
وذكر مقاديرها وما فيها من المعادن والجواهر وذكر
الفيلسوف ان عدة البحار المحيطة بالارض خمسة ابحر وذكر
ما فيها من الجزائر والعامر منها والغامر ومن الشبه والجزائر
دون ما ذكرناه وذكر في البحر الحبشي جزائر متصلة بجوانب
الفيض يقال لها الديبجات عامرة كلها من الخمس الى الخمسة

الملك

المبلان والثلاثة واكثر من ذلك دون ما في هذا البحر وذكر في جغرافيا
ان ابتدا بحر مصر والروم من جزائر اصناف النحاس وان جميع العيون الكبار
التي تنبع من الارض مائتا عين وثلثون عينا دون ما عدا ذلك من الصغار
وان عدد الانهار الكبار الجارية في الاقاليم السبعة على حسب ما قدمنا
كل اقليم منها سبعة تسع مائة فرسخ في مثلها وفي البحار ما هو معمور الجزائر
ومنها ما ليس بمعمور وهو اما من البحر المحيط وسيله قيمار دون هذا الكتاب
على جمل من تفصيل البحار وقد ذكر البحار مصورة في كتاب جغرافيا بانواع
من الاصباغ مختلفة المقادير والصور فمنها على صورة الطيلسان ومنها
مدور ومنها مثلث الا ان اسماءها في هذا الكتاب باليونانية متعذر
فهمها ولذ قطر الارض الفان ومائة فرسخ يكون ذلك على التصحيح ستة الاف
وستمائة فرسخ كل فرسخ ستة عشر الف ذراع والذي يحيط باسفل دائرة النجوم
وهو فلك القمر مائة الف فرسخ وخمسة وعشرون الف فرسخ وستمائة وستون
فرسخا وان قطر الفلك من حد راس الحمل الى حد راس الميزان اربعون
الف فرسخ بمقادير هذه الفراسخ وعدد الافلاك تسعة واولها وهو اصغرها
واقربها الى الارض فلك القمر والثاني لعطارد والثالث للزهرة والرابع
للشمس والخامس للمريخ والسادس للمشتري والسابع لزحل والثامن
للكواكب الثابتة والتاسع للبروج وهيئة هذه الافلاك كهيئة
الاكر بعضها في جوف بعض ففلك البروج يسمى الفلك الكلي وبه يكون
الليل والنهار لانه يدير الشمس والقمر وسائر الكواكب من المشرق
والمغرب في يوم وليلة دورة واحدة على قطبين ثابتين احدهما الى الشمال
وهو قطب بنات نعش والاخر مما الى الجنوب وهو قطب سهيل وليس
البروج غير الفلك وانما هي مواضع ثبتت لها هذه الاسماء لتعرف مواضع الكواكب
من الفلك الكلي فيجب ان تكون البروج تضيق من ناحية القطبين وتتسع
في موضع الكرة بالخط القاطع من الكرة بنصفين الذي يأخذ من المشرق الى
المغرب يسمى دائرة معدل النهار وبعده من القطبين واحد وانما
سميت دائرة معدل النهار لان الشمس اذا صارت عليها استوى
الليل والنهار في جميع البلدان فما كان من الفلك ياخذ من الشمال الى
الجنوب سمي العرض وما كان ياخذ من المشرق الى المغرب سمي الطول
والافلاك مستديرة محيطة بالعالم وهي تدور على مركز الارض والارض
في وسطها مثل النقطة في وسط الدائرة وهي سبعة افلاك فاقربها
الى الارض فلك القمر وفوقه فلك عطارد وفوقه فلك الزهرة ثم فلك
الشمس والشمس متوسطة الافلاك السبعة وفوقها فلك المريخ
وبعده المشتري وفوق ذلك فلك المشتري وفوق ذلك فلك زحل وفي ذلك

وفي كل من هذه الافلاك السبعة كوكب واحد فقط وفوق فلك زحل الفلك
الفلك الثامن الذي فيه البروج الاثنا عشر وسائر الكواكب كلها في
الفلك الثامن والفلك التاسع هو ارفع لعظم جسمه وهو الفلك الاعظم
محيط بالافلاك التي دونه الذي يسميها الطبايع الاربع في جميع
الخليقة وليس فيه كوكب يدور من المشرق الى المغرب في كل يوم
دورة واحدة باسره ويديرونها بحركته من الافلاك
المتقدم وصفها فاما الافلاك السبعة التي قدمنا ذكرها فانها تدور
من المغرب الى المشرق وللاوايل فيما ذكرنا حجاج يطول الخطب بها
والكواكب السمرية التي نشاهدها وسائر الكواكب في الفلك الثامن
وهو الفلك الذي هو الثامن يدور على قطبين غير قطبي الفلك الاعظم
المتقدم ذكره فزعموا ان الدليل على ان حركة هذه البروج غير حركة
الافلاك هو ان حركة البروج الاثني عشر يتلو بعضها بعضا في
مسيرها ولا تنتقل عن اماكنها ولا تتغير حركتها في طلوعها وغروبها
وان الكواكب السبعة لكل واحد منها حركة خلاف حركة صاحبه
ولها تفاوت في حركاتها وربما اسرع الكوكب في حركته وسيره وربما
اخذ في الجنوب وربما اخذ في الشمال وحد الفلك عندهم انه
نهاية لما تقصر اليه الطبايع علوا وسفلا وحده من جهة الطبايع
انه شكل مستدير وهو اوسع الاشكال وهو محيط بالاشكال
كلها وان مقادير حركات الكواكب في افلاكها مختلفة فمقام
القمر في كل برج يومين ونصفا ويقطع الفلك في شهر ومقام الشمس
في كل برج شهر ومقام المريخ في كل برج خمسة واربعين يوما ومقام
المشتري في كل برج سنة ومقام زحل في كل برج ثلاثين شهرا
وقد زعم بطليموس صاحب المجسطي ان استدارة الارض كلها
جبالها وبحارها اربعة وعشرين الف ميل وان قطرها وهو عرضها
وعمقها سبعة الاف وستمائة وستة وثلاثون ميلا وانهم
لما استدركوا ذلك بانهم اخذوا ارتفاع القطب الشمالي في المدينتين صح
وهما خط واحد من خط الاستوا مثل مدينة تدمر التي في البرية
بين العراق والشام ومثل مدينة الرقة فوجدوا ارتفاع القطب
في مدينة الرقة خمسا وثلاثين جزوا وثلثا ووجدوا ارتفاع
القطب في مدينة تدمر اربعة وثلاثين جزوا بينهما زيادة جزو وثلث
ثم مسحوا ما بين الرقة وتدمر فوجدوه سبعة وستين ميلا
فالظاهر ان الفلك سبعة وستون ميلا من الارض ودور الفلك ثلثمائة
وستون جزوا لعلل ذكروها يبعد علينا ايرادها في هذا الموضع

وهذه

وهذه قسمة هي عندهم لانهم وجدوا الفلك قد اقسمته
البروج الاثنا عشر وان الشمس تقطع كل برج في شهر وتقطع البروج
كلها في ثلثمائة وستين يوما وان الفلك مستدير وفيه محورين
وقطبين وانه بمنزلة محور النجار والخراط الذي يخرط الكرة
والقصاع وغيرها من الات الخشب وان من كان مسكنه في
وسط الارض وعند خط الاستوا استوى ساعات ليله
ونهاره ساير الدهور ورأى هذين المحورين اعني القطب الشمالي
والقطب الجنوبي جميعا فاما اهل البلدان التي مالت الى ناحية
الشمال فانهم يرون القطب الشمالي وبنات نعش ولا يرون القطب
الجنوبي ولا الكواكب التي هي قريبة منه ولذلك لا يرى الكوكب
المعروف بسهيل بناحية خراسان ويرى بالعراق في السنة اياما
ولا يقع عليه عين نجد من الجمال الا هلكت على حسب ما ذكرناه
فيما ذكر الناس من العلة في ذلك في موت هذا النوع من الحيوان خاصه
فاما البلدان الجنوبية فانه يرى في السنة كلها وقد تنازع طوايف
الفلاسفة واصحاب النجوم في هذين المحورين الذين يعتمد عليهما الفلك
اساكنان هما ام متحركان فذكر الاكثر منهم انهما غير متحركين وقد
اتينا على ما يلزم كل فريق منهم في بقاء هذين المحورين من حيث
الافلاك انما امر ذلك فيما سلف من كتبنا وقد تنوزع في
شكل البحار فذهب الاكثر من الفلاسفة المتقدمين من
الهند وحكماء اليونانيين الا من خالفهم وذهب الى قول
الشرعيين ان البحر مستدير على مواضع من الارض واستدلوا
على صحة ذلك بدلايل كثيرة انك اذا لججت فيه غابت الارض
والجبال شيئا بعد شيء حتى يغيب ذلك كله ولا ترى شيئا
من شوامخ الجبال واذا اقبلت ايضا نحو الساحل ظهرت
تلك الجبال والارض وهذا جبل دنباوند بين بلاد الري
وطبرستان يرى من مائة فرسخ لعلوه وذهابه في الارض وعلوه
في الجو يرتفع من اعلاه الدخان والثلوج متراكمة عليه غير
خالية من اعاليه ويخرج من اسفله نهر كبير الماء اصفر كبريتي
ذهبي اللون مسافة الصعود اليه في نحو ثلاثة ايام بلياليهن
وان من علا اليه وصار في قنته وجده مسطحا دور القبة نحو
الف ذراع في مثل ذلك ويرى من حذاي العين من نحو اسفل
نحو القبة المخروطة وان في هذا السطح في اعاليه رمل
احمر تغوص فيه الاقدام وان هذه القبة لا يحطها شي من الوحش

شيئا بعد شيء واذا قربت من الساحل
ظهرت الجبال صح

ولان المطر لشدة الرياح وسموها في الهوا وشدة البرد وان في
اعاليه نحو ثلاثين نقبا يخرج منها الدخان الكبريتي العظيم
ويخرج من ذلك مع هذه المخاريق مع الدخان دوي عظيم
كاشد ما يكون من الرعد وذلك صوت لهيب النيران وربما
حمل من غرر بنفسه وصعد الى اعاليه من افواه هذه
النقب كبريتا اصفر كانه الذهب ينتفع به في انواع الصنعة والكيميا
وغير ذلك من الوجوه وان من علاه يرى ما حوله من الجبال الشامخة
كانها دواب وتلال لعلوه عليها وبين هذا الجبل وبحر
طبرستان في المسافة نحو عشرين فرسخا والمراكب اذا لججت
في هذا البحر غاب عنها جبل نهاوند فلم يروه فاذا صار و
في هذا البحر على نحو مائة فرسخ ودنوا من جبال طبرستان راوا
اليسير من هذا الجبل وكلما قربوا من الساحل استعلى وهذا
يدل على ما ذهبوا اليه في كروية ماء البحر انه مستدير الشكل وكذلك
من يلجج في بحر الروم الذي هو بحر الشام ومصر يرى الجبل الاقرع
وهو جبل عالي لا يدرك علوه مطل على بلاد انطاكية واللاذقية
وطرابلس وجزيرة قبرس وغيرها من بلاد الروم فيغيب عن
ابصارهم في المراكب لا يخفى على المسير في البحر عن المواضع
الذي يرى فيه وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب خبر جبل
نهاوند وما قالت الفرس في ذلك وان الضحاك ذو الافواه
موثوق في اعاليه في الحديد وهذه القبة التي في اعالي هذا
الجبل اطمة عظيمة من اطام الارض وعجائبها وقد تكلم الناس
في بعد الارض فذهب الاكثر ان من مركز الارض ما ينتهي اليه
الهوا والنار مائة الف وثمانية وستون الف ميل فاما
القمر فان الارض اعظم منه بسبعة وثلاثين مرة وشي
والارض اعظم من عطارد ثلاثة وعشرين مرة والشمس اعظم
من الدنيا مائة وستين مرة وربع وثمن واعظم من القمر الفا وستماية
واربعين مرة والارض كلها نصف عشر جزء من الشمس وقطر
الشمس اثنان واربعون الف ميل والمريخ مثل الارض وزيادة
ثلثة وستين مرة وقطره ثمانية الاف وسبعماية ميل والمشتري
مثل الارض احدى وثمانين مرة ونصف وربع وقطره ثلثة
وثلاثون الف ميل ومايتان وستة عشر ميلا وزحل
اعظم من الارض تسعة وتسعين مرة ونصف وقطره اثنان
وثلاثون الف ميل وسبعماية وستة وثمانون ميلا فاما الجرام

الكواكب

الكواكب الثابتة التي هي في الفلك الاول وهي خمسة عشر كوكبا
كل كوكب منها اعظم من الارض باربعة وتسعين مرة ونصف مرة
فاما ابعادها من الارض فان اقرب بعد القمر من الارض مائة الف
ميل وثمانية وعشرون الف ميل وابعد بعده من الارض
مائة الف واربعة وعشرون الف ميل وابعد بعد عطارد
من الارض تسعماية الف وسبعماية وثلثة وثلثون الف ميل
وابعد بعد الزهرة من الارض اربعة الاف الف ومائة وتسعة
عشر الفا وستماية ميل بعد الشمس من الارض
اربعة الاف الف وثمانماية الف وعشرون الف ميل ونصف
ميل وابعد بعد المريخ ثلاثة وثلاثون الف الف وسب
وسي وابعد بعد المشتري من الارض اربعة وخمسون الف
الف ومائة الف وستة وستون الف ميل الا اشيا وابعد
بعد زحل سبعة وسبعون الف الف ميل الا اشيا
وابعد الكواكب الثابتة من مركز الارض نحو ذلك وفيما ذكرنا
من القسمة والاجزاء والمقاييس استدرك القوم علم الصناعات
والمسوفات وبها استخرجوا الالات والاسطرلابات
وعليها صنفوا كتبهم كلها وهذا باب ان شرعنا في ايراد البعض
منه كثر واتسع الكلام فيه وانما ذكرنا المعاني من هذه الفنون
ليدل بها على ما لم نذكره مما تقدم ايرادنا اياه فيما سلف
من كتبنا وسبق من تصنيفنا وسنذكر في هذا الكتاب جملا
تتصل بجوامع ما وصفناه في هذا الكتاب وقد رتبت
الصابية من الحرانيين وهم عوام اليونانيين وحشوة
الفلاسفة المتقدمين الكهنة في هياكلها مراتب على ترتيب
هذه الافلاك السبعة فاعلى كهنتهم يسمى راس كمري
ثم وردت بعدهم النصارى فرتبت الكهنة في كنائسها ما تقدمت
به الصابية في مذاهبها فسمت النصارى هذه المراتب الطقما
فاولها الصلط والثاني اغسطس والثالث بوداقن والرابع
سماسمام والخامس قس والسادس برذوط والسابع خوري سقطل
وهو الذي يخلف الاسقف والثامن اسقف والتاسع
مطران وتفسير مطران رئيس المدينة والذي فوق هولاء
كلهم في المدينة البطرك تفسيره اب الابا ممن تقدم ذكرهم
من اصحاب المراتب وغيرهم من الرهبان وعوامهم هذا
عند خواص النصارى فاما العوام منهم فيذكرون في هذه المراتب

غير ما ذكرنا ويزعم أن ملكها ظاهر عليهم وأمورا يذكرونها الا حاجة بنا
الى وصفها ومنها ربت الملكية وهم عمدة النصارى قطبها
لان المشارقة وهم العباد الملقبة بالنسطورية واليعاقبة
عن هولاء تفرعوا وعنهم شذوا وانما اخذت النصارى
جملا من هذه المراتب على ما ذكرنا من الصابرة والقسيسين والشمامسة
وغير ذلك وان كان ما في حدث بعد مضي المسيح وولد
ابن ديصان ومرقيون والى ماني اضيفت المانية والى
مرقيون اضيفت المرقيونية والى ابن ديصان اضيفت
الديصانية ثم تفرعت بعد ذلك المصدقية وغيرهم ممن سلك
ممن سلك طريقة اصحاب الاثنين وقد اتينا في كتابنا في
اخبار الزمان والاوسط على جمل من نوادرهم ومبادي المذاهب
وما اوردوه من الخرافات المزخرفة والاسماء المصوغة دون
ما ذكرناه من مذاهبهم في كتابنا في المقالات في اصول الديانات
وما ذكرناه في كثير من هذه الاراء وهدم هذه المذاهب في
كتابنا المترجم بكتاب الابانة في اصول الديانة وانما نذكر في
هذه الابواب ما تشعب الكلام اليه وتغلغل الوصف نحوه
فنورد منه لمعا على طريق الخبر والحكاية للمذهب لا على طريق النظر
والجدل ولنرجع الان الى كتابنا هذا مما تدعو الحاجة الى ذكره
لئن شا الله تعالى

ذكر الاخبار عن انتقال البحار

وجمل من اخبار الانهار الكبار ذكر صاحب المنطق ان البحار تنتقل
على مرور السنين وطول الدهر حتى تصير في مواضع مختلفة
ولكن سائر البحار متحركة الا ان تلك الحركة اذا اضيفت
الى جملة مياهها وسعة سطوحها وبعد قعودها صارت كانها
ساكنة وليس مواضع الارض الرطبة هي ابدا رطبة ولا مواضع الارض اليابسة
هي ابدا يابسة لكنها تتغير وتستحيل بسبب الانهار بدئها وانقطاعها
فلهذه العلة يستحيل موضع البحر وموضع البر فليس موضع
البر ابدا برا ولا موضع البحر ابدا بحرا بل قد كان برا حيث
كان مرة بحرا ويكون بحرا حيث كان مرة برا وعلة ذلك الانهار
وبدؤها فان لمواضع الانهار شبابا وهرما وحياة وموتا
ونشوا ونشورا كما يعرض ذلك في الحيوان والنبات غير ان الشباب
والكبر في الحيوان والنبات لا يكون جزءا بعد جزء ولكنها تشب
وتكبر اجزاؤها كلها معا وكذلك تهرم وتموت في وقت واحد
والارض فانما يهرم ويكبر جزءا بعد جزء وذلك بدوران الشمس وقد

اختلف الناس في الانهار من اين بدؤها فذهبت طايفة الى ان مجراها
كلها واحد وهو البحر الاعظم وان ذلك بحر عذب ليس هو بحر اقيانس
وزعمت طايفة انها في الارضين كالعروق في البدن وقال اخرون
حق الماء ان يكون على سطح فلما اختلف الارض فكان منها العالي
والهابط انحاز الماء الى اعماق الارض فاذا انحصرت المياه في اعماق
الارض وغورها طلبت التنفس حينئذ لضغط الارض اياها
من اسفل فينشق فيكون من ذلك العيون والانهار ومما يتولد في
باطن الارضين من الهواء الكائن هناك ولكن الماء ليس بمنقطع وانما هو
متولد من عفونات الارض وبخاراتها وقالوا في ذلك كلاما اكثرنا الوصف
عن ذكره طلبا للايجاز وميلا الى الاختصار وبسطنا ذلك في غير هذا
الكتاب من كتبنا فاما مبادي الانهار الكبار ومطارحها ومقدار
جريانها على وجه الارض كالنيل والفرات والدجلة ونيل بلخ وهو جيحون
ومهران السند وسيحان وجيحان وهو نهر عظيم ونهر الطيالس الذي يصب
الى نهر بنطس وغيرها مما ذكرنا من الانهار فقد تكلم الناس في مقدار جريانها
على وجه الارض فرايت في جغرافيا النيل مصعده الظاهر من جبل
القمر ومنبعه ومبدا ظهوره من اثنتي عشرة عينا فتنصب تلك
تلك المياه الى بحيرتين هنالك كالبطائح ثم يجتمع الماء منهما جاريا
فيمر برمال هنالك وجبال ثم يخترق ارض السودان مما يلي بلاد الزنج
فيتشعب منه خليج يصب الى بحر الزنج وهو بحر جزيرة قنبلو وهي
جزيرة عامرة فيها قوم من المسلمين الا ان لغتهم زنجية غلبوا على
هذه الجزيرة وسبوا من كان فيها من الزنج كغلبة المسلمين على جزيرة
اقريطش في البحر الرومي وذلك في مبتدا الدولة العباسية وتقضي
الدولة الاموية ومنها الى عمان في البحر نحو خمسمائة فرسخ على
ما يقول البحريون حزرا منهم بذلك لا على طريق التحصيل والمساحة
وذكر جماعة من نواخذة مراكب البحر من السيرافيين والعمانيين
وهم ارباب المراكب انهم يشاهدون في ماء البحر في الوقت
الذي يذكر فيه زيادة النيل بمصر وفصل الاول على ما يعرف
ماء البحر ويسد قطعة منه مرشل جريا بانحدار
من جبال الزنج عرضه اكثر من ميل عذب يحلو في ايام
الزيادة بمصر وصعيدها فيها السوسمار وهو التمساح الكائن
في نيل مصر ويسمى ايضا الورل وقد ذكر الجاحظ ان نهر مهران
السند من نيل مصر واستدل على ذلك بوجود التماسيح فيه فلست ادري
كيف وقع له هذا الدليل وذكر ذلك في كتابه المترجم بكتاب الامصار

اختلف

وعجائب البلدان وهو كتاب في نهاية الحسن وان كان الرجل
لم يسلك البحار ولا اكثر الاسفار ولا تعرف الممالك والامصار ولم يعلم
ان مهران السند يخرج من اعين مشهورة من اعالي بلاد السند من ارض
قنوج من مملكة بؤوره وارض قشمير والقندهار والطافر حتى
ينتهي الى بلاد المولتان ثم فرج الذهب وصاحب مملكة بلد المولتان
رجل من قريش من ولد اسامة بن لوي بن غالب والقوافل الى
خراسان تتصل من عنده وكان صاحب مملكة المنصورة رجل من
قريش من ولد هبار بن الاسود والملك في هؤلاء وملك صاحب
المولتان متوارث قديما من صدر الاسلام ثم يمضي نهر مهران
الى بلاد المنصورة ويصب نحو بلاد الديبل الى بحر الهند والتماسيح
كثيرة في اخوار هذا البحر وهو الخجاب بخليج هند بور
من مملكة بلعوم ارض الهند وخلجان الزابج من مملكة المهراج
وكذلك في خلجانات الاغباب وهي لغباب بلاد جزيرة سرنديب
والاغلب من التماسيح كونها في الماء العذب وما ذكرنا من خلجانات
الهند فالاغلب من امورها ان يكون عذبة لصب مياه الامطار
اليها فلنرجع الان الى اخبار نيل مصر فنقول ان الذي ذكرته
الفلاسفة انه يجري على وجه الارض تسعمائة فرسخ وقيل
الف فرسخ في عامر وغامر عمران وخراب حتى ياتي بلاد
اسوان من صعيد مصر والى هذا الموضع تصعد المراكب من
فسطاط مصر وعلى اميال من اسوان جبال واحجار يجري
النيل في وسطها فلا سبيل الى جريان السفن فيه وهذا الجبل
والموضع فارز بين مواضع سفن الحبشة في النيل وبين سفن المسلمين
ويعرف هذا الموضع من النيل بالجنادل والصخر ثم ياتي الفسطا ط
وقد قطع الصعيد ومر بجبل الطيلمون وعمل اللاهون من ارض
الفيوم وهو الموضع بالحجر التي اتخذها يوسف عليه السلا م
فيقطعه وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب من اخبار مصر وضيا عها
وكيفية فعل يوسف عليه السلام في بنائها ثم يمضي جاريا فينقسم
خلجانات الى بلاد تنيس ودمياط ورشيد والى الاسكندرية
وقل ما يصب الى البحر الرومي وقد اخذت منه جداول في هذه المواضع
وقد كان انقطع النيل عن بلاد الاسكندرية قبل هذه الزيادة التي
زادت في هذه السنة وهي سنة اثنين وثلثين وثلثمائة وحدثني
القاسم وانا ببلاد انطاكية والثغر الشامي بان النيل زاد في هذه
السنة ثمانية عشر ذراعا فلست ادري ادخل الماء في هذه الزيادة

خليج

خليج الاسكندرية ام لا وكان الاسكندر بن فيلبس المقدوني بنى
الاسكندرية على هذا الخليج من النيل وكان يجري اليه عظم ماء النيل
وكان يسقي بلاد الاسكندرية وبلاد مريوط وكان بلاد مريوط في
نهاية العمارة والجنان متصلة بارض برقة من بلاد المغرب وكانت
السفن تجري في النيل فتتصل باسواق الاسكندرية وقد بلط ارض
نيلها في المدينة بالاحجار والرخام فانقطع الماء عنها لعوارض من
الماء سدت خليجها ومنعت الماء من دخوله وقيل لعلل غير ذلك
منعت من سعة ورود الماء الى حاجة العامة بها كان هذا الاستعمال لنا
فيه البعيد فصار شربهم على الابار على نحو يومهم وسنذكر فيما
يرد من هذا الكتاب عند ذكرنا لاخبار الاسكندرية جملا من اخبار
واخبار بنائها وما ذكرنا من الماء الجاري الى بحر الزنج فانما هو خليج
اخذ من اعالي مصب الزنج وفارز بين بلاد الزنج وبين اقاصي بلاد
اجناس الحابش ولولا ذلك الخليج ومنافذ من رمل ودهاس لم
يكن للحبشة مقام في بلادهم من انواع الزنج لكثرتها وبطشها فاما نهر
بلخ الذي يسمى جيحون فانه يخرج من اعين فيجري حتى ياتي بلاد
خوارزم وقد اجتاز قبل ذلك ببلاد الترمذ واسوان وغيرهما من
بلاد خراسان فاذا ورد الى خوارزم تفرق في مواضع هنالك وعمي
باقيه فينصب في البحيرة التي على الرية المعروفة بالجرجانية اسفل
خوارزم وليس في هذا الصقع اكبر من تلك البحيرة ويقال ان
ليس في المعمور بحيرة اكبر منها لان طولها مسيرة شهر في نحو ذلك
من العرض يجري فيها السفن الحاملة البحيرة والى مدينة الترك
يقال لها المدينة الجديدة فيها مسلمون والاغلب من الترك في تلك المواضع
الغزية بوادي وحضر وهذا الجنس من الترك هم اصناف ثلاثة
السافلة والعالية والوسائط وهم اشد باسا واقصرهم واصغرهم
اعينا وفي الترك من هو اقصر منهم على ما ذكر صاحب المنطق في كتاب
الحيوان في المقالة الرابعة عشرة والثامنة عشر حين ذكر الطير المعروف
بالغرانيق وسنذكر جملا من اخبار الترك فيما يرد من هذا الكتاب مجموعا
ومتفرقا والمدينة الى رباط يقال له الحشنان على نحو عشرين يوما
وهو افراخ اعالها وبارض من انواع من الترك يقال لهم الرهاان وبت
وعلى اليمين من هولاء جنس آخر يقال لهم الغان يخرج من
هنالك نهر عظيم يعرف بنهر الغان زعم قوم من اهل
الخبرة انه مبدا نهر جيحون وهو نهر ملح ومقدار جريانه
على وجه الارض نحو من خمسين وماية فرسخ وقيل اربعماية فرسخ

مبتداه نهر الترك وهو الغان وقد غلط قوم من مصنفي الكتب
في هذا المعنى فزعموا ان جيحون يصب الى مهران السند
ولم يذكر نهر ارشت الاسود ولا نهر ارشت الابيض الذي
عليه بلاد مملكة كيماك بيغو وهم جنس من الترك وراء
نهر بلخ وهو جيحون وعلى هذين النهرين الغزية من
الترك ولهذين النهرين اخبار ولم نحط بمقدار مسافتهما
على وجه الارض فنذكره وكذلك جيحون نهر الهند
مبتداه من جبال في اقاصي ارض الهند مما يلي بلاد الصين
من نحو بلاد التغزغز الترك ومقدار جريانه الى ان يصب في
البحر الحبشي مما يلي ساحل الهند اربعمائة فرسخ فاما
الفرات فمبداه من بلاد قاليقلا من ثغور ارمينية من جبال
هناك تدعى ابو رخس على نحو يوم من قاليقلا ومقدار
مسافة جريانه في ارض الروم الى ان ياتي بلاد ملطية واخبرني
بعض اخواننا من المسلمين ممن كان في ارض النصرانية
اشتهر ان الفرات اذا توسط ارض الروم تحدرت اليه
مياه كثيرة منها نهر يخرج مما يلي بحيرة ماذريون وليس
في ارض الروم بحيرة اكبر منها وهي نحو من شهر وقيل اكثر
من ذلك طولا وعرضا تجري فيها السفن ثم ينتهي الفرات
الى جسر منبج وقد اجتاز تحت قلعة سميساط وهي قلعة الصنجة
ثم ينتهي الى بالس ثم يمر بصفين موضع حرب اهل العراق والشام
وينتهي الى الرقة والرحبة وهيت والانبار وياخذ منه
هناك انهار مثل نهر عيسى وغيره مما ينتهي الى مدينة السلام
فتنصب في دجلة وتنتهي الفرات الى بلاد سورا الى قصر ابن
هبيرة والكوفة والجامعين واحمد اباذ والبرس والطفوف
وتنتهي غايته الى البطيحة التي بين البصرة وواسط فاما مقدار
جريانه على وجه الارض نحو خمسمائة فرسخ وقيل اكثر من ذلك
وقد كان اكثر الفرات يمضي الى بلاد الحيرة ونهره هن
بين الى هذا الوقت وهو يعرف بالعتيق وعليه كانت
وقعة المسلمين مع رستم وهي وقعة القادسية فيصب
في البحر الحبشي وكان البحر يومئذ في الموضع المعروف
بالنجف في هذا الوقت وكان تقدم هناك سفن الصين
والهند وقد ذكر جماعة ممن سلف من الاخباريين وذوي العلم
بايام العرب منهم هشام بن محمد الكلبي وابي مخنف لوط بن يحيى

مطلب فيما كان البحر [illegible] العبادي

والشرقي

والشرقي بن القطامي ان خالد بن الوليد المخزومي لما اقبل
يريد الحيرة في سلطان ابي بكر من بعد فتح اليمامة وقتل
كذاب بني حنيفة وراه اهل الحيرة تحصنوا منه في القصر
الابيض وقصر القادسية وقصر بني بقيلة وهذه اسماء
قصور كانت بالحيرة وهي خرب في وقتنا هذا وهي سنة اثنتين
وثلثين وثلثمائة خراب لا انيس بها وبينها وبين الكوفة نحو ثلثة اميال
فلما نظر خالد بن الوليد الى اهل الحيرة وقد تحصنوا منه
امر العسكر فنزل نحو النجف واقبل خالد على فرس له ومعه
ضرار بن الازور الاسدي وكان من فرسان العرب فوقف حيال
قصر بني بقيلة فجعل العبادي يرمونهما بالخزف فجعل فرسه
ينفر فقال له ضرار اصلحك الله ليس لهم مكيدة اعظم مما ترى
فمضى خالد الى معسكره وبعث اليهم ان ابعثوا الينا
رجلا من عقلائكم وذوي اسنانكم اساله عن امركم فبعثوا اليه
عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن بقيلة الغساني
وهو الذي بنى القصر الابيض وانما دعي بقيلة لانه خرج ذات
يوم على قومه في بردين اخضرين فقالوا له ما هذا الا بقيلة
فهو عبد المسيح الذي اتى سطيحا الغساني الكاهن يساله
عن رؤيا الموبذان وارتجاس الايوان وما كان من ملوك بني
ساسان فاتى عبد المسيح خالد بن الوليد وله يومئذ ثلثمائة وخمسون
سنة فاقبل يمشي فنظر اليه خالد مقبلا فقال له من اين اقصى
اثرك ايها الشيخ فقال من صلب ابي قال فمن اين خرجت قال
من بطن امي قال فعلام انت ويحك قال على الارض
قال ففيم انت لا انت قال في ثيابي قال اتعقل لا عقلت
قال اي والله واقيد قال ابن كم انت قال ابن رجل واحد قال
اللهم العنهم من اهل بلد فما تزيدوننا الا عمى اساله عن
الشيء فتجيب عن غيره قال والله لا اجيبك الا عما تسالني عنه
اسال عما بدا لك قال اعرب انتم ام نبط قال عرب استنبطنا
ونبط استعربنا قال احرب انتم ام سلم قال بل سلم قال فما بال
هذه الحصون قال بنيناها للسفيه نحبسه حتى ياتي الحليم فينهاه
قال ابن كم انت قال خمسون وثلثمائة سنة قال فما ادركت
قال ادركت سفن البحر ترقى الينا في هذا النجف بمتاع السند
والهند وامواج البحر تضرب ما تحت قدميك وانظر كم بيننا اليوم
وبين البحر ورايت المراة تاخذ مكتلها فتضعه على راسها لا تزود

الا رغيفا واحدا فلا تزال في قرى عامرة متواترة وعماير متصلة
واشجار مثمرة وانهار جارية وغدران متدفقة حتى ترد الشام
وتراها قد اصبحت اليوم خرابا يبابا وذلك دأب الله في العباد
والبلاد قيل وحضر خالد وحضره لما سمعوا منه وعرفوه وكان من اشهر من
في العرب بطول العمر وكبر السن وصحة العقل قال ومعه سم
ساعة يقلبه في يده فقال له خالد ما هذا معك قال سم ساعة
قال ما تصنع به قال اتيتك فان يكن عندك ما يسرني ويسر اهل
بلدي قبلته وحمدت الله عليه وان تكن الاخرى لم اكن
اول من ساق الى بلده حزنا وبلاء فآكل هذا السم فاستريح من
الدنيا فانما بقي من عمري اليسير قال له خالد هاته فاخذه فوضعه
في راحته ثم قال بسم الله وبالله بسم الله رب الارض
والسما بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شي ثم اقتحمه
فجللته غشيه وضرب بذقنه في صدره ساعة ثم عرق عنه
وافاق كانما انشط من عقال فانصرف العبادي الى قومه وكان
على المذهب وهم النسطورية من النصارى فقال جئتكم من
عند شيطان اكل سم ساعة فلم يضره فصالحوه واخرجوه
عنكم فان القوم مصنوع لهم وامرهم مقبل وامر بني ساسان
مدبر وستكون لهذه الملة شان يغشى الارض ثم يحدث
فيها هنات وهنات قال فصالحوا خالدا على مائة الف
درهم وساج وطيلسان فرحل خالد عنهم وانشا يقول

ابعد المنذرين ارى سواما	تروح على الخورنق والسدير
تحاماه فوارس كل حي	مخافة ضيغم عالي الزئير
وبعد فوارس النعمان ارعى	رياضا بين مرة والحفير
تقسمنا القبائل من معد	علانية كايسار الجزور
وصرنا الخرج من خراج كسرى	وخرج بني قريظة والنضير
كذاك الدهر دولته سجال	فيوم من مساءة او سرور

[illegible]

وانما ذكرنا هذا الخبر في هذا الموضع تاييدا لما وصفنا
وشاهدا لما ذكرنا من تنقل البحار وتغلغل المياه والانهار على
مر الدهور والاعصار فلما انقطع الماء عما وصفنا من ذلك
الموضع انتقل البحر فصار بين الحيرة وبين البحر في هذا
الوقت مسيرة ايام كثيرة ومن راى النجف واشرف عليه تبين
له ما وصفنا وكذلك الدجلة العوراء فصار بينهما في هذا
الوقت وبين الدجلة مسافة بعيدة وصارت تدعى سبطى

حوى وذلك من حد مدينة باذمير من اعمال واسط العراق الى
دورق الى نهر بلاد السوس من بلاد خوزستان وكذلك قد حدث
في الجانب الشرقي ببغداد من الموضع المعروف برقة الشماسية
وتنقل الماء بما بازائه من الجانب الغربي من الضياع التي كانت بين
قطربل ومدينة السلام كالقرية المعروفة بالقب والموضع المعروف
بالشرفي وغيره من ضياع قطربل وقد كان لاهلها مطالبات
مع اهل الجانب الشرقي ممن يملك رقة الشماسية بحضرة الوزير
علي بن عيسى فما اجاب اهل العلم في ذلك وقد ذكرنا ما
عمارته بمدينة السلام واذا كان الماء في تخوم الارض يستمد في نحو من
سبع ميل فانه يصير ميله في قدر مائتي سنة واذا انقطع
الماء من الغدر اربعة آلاف ذراع عن موضعه الاول خربت بذلك
السبب مواضع وعمرت مواضع واذا وجد الماء سبيلا
منخفضا وانصبابا وسع بالحفر له وشق الجدية لنفسه فقلع
المواضع من الارض من بعد غاياتها وكلما وجد موضعا متسعا
من الوهاد امعن في طريقه وشق حرثه حتى يصير بحيرات
وبطائح ومستنقعات وتخرب بذلك بلاد وتعمر اخرى والعجب
فيما وصفنا عن ذلك في كلية قال المسعودي
وذكر جماعة من ذوي العناية باخبار العالم ومواليد النسل ان الماء الذي
بعث فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم برسالته الى كسرى وفيه
سبع من هجرته من مكة الى المدينة زاد الفرات والدجلة زيادة
عظيمة لم ير مثلها قط وانبثقت بثوق عظام وانخرقت
مخاريق ابرق الانهار فبغت سكورا ومسنيات سرع
وطم الماء الوادي من الارض فجهد ابرويز ان يسكرها وان يرد
مسيلها ويحبسها شادروانا تها فغلبه الماء ومال الى موضع
البطائح في وقتنا هذا فطم على العمارات والزروع فغرق الكور والبطا ح
التي كانت هناك ولم يقدر لدفع الماء عن حده وسعلت الاعاجم
بعد ذلك بحرب العرب فجعل الماء ينشق فلا يلتفت اليه
فاتسعت وغلظت فلما ولى معاوية ولى عبد الله بن دراج مولاه
خراج العراق فاستخرج له من الارضين من البطائح ما بلغت
غلته خمسة عشر الف الف وذلك انه قطع القصب المنابت في
تلك البطيحة وغلب الماء بالمسنيات والسكور ثم كان حسان
النبطي مولى بني ضبة فاستخرج للحجاج ايام الوليد من ارض
البطيحة في وقتنا هذا اشياء كثيرة من الارض وتغشاه

هذا البطيحة

من البلاد نحو خمسين فرسخا في نحو من ذلك وفي وسطها كروم كثيرة
الخابور وغيرها وهي مدينة الماء محيط بها وبرابي في صفاه المراه
في فرح آثار بنيان منه عجائب ومنه ما قد تهدم فيه ذلك سود وكذلك
سبيل بحيرة تنيس ودمياط وما فيهما من الضياع والمدن
على حسب ما ذكرنا في غير موضع من هذا الكتاب وغيره من كتبنا
فلنرجع الآن الى ذكر الدجلة وجريانها ومصبها الدجلة　ذكر دجلة
تخرج من بلاد آمد من ديار بكر وهي اعين تخرج من بلاد
ارمينية وينصب اليها انهار سوى ما ذكرنا وسائر ما يخرج من بلاد
ارزن وميافارقين وغيرها من الانهار كنهر دوشاد والخابور الخارج
من بلاد ارمينية ومصبه في دجلة بين بلاد سابور وقرسابور من
بلاد فردي وبازبدي واهد ذان بلاد الموصل واعمالها وهذه
الديار ديار بني حمدان وفيها يقول الشاعر
«بزردي وباز بدي مصيف ومربع» «وعذب يحاكي السلسبيل برود»
«وبغداد ما بغداد ما ترابها» «بجو وما ء وها فشديد»
وليس هذا النهر نهر الخابور الذي يجري في مدينة راس عين
من ديار ربيعة ويصب في الفرات اسفل مدينة قرقيسيا ثم تمر الدجلة　ذكر بلاد ارمينية وهي الى الرقيم
بمدينة بلد والموصل وينصب اليها نهر الزاب الاكبر بعد الموصل
فوق الحديثة حديثة الموصل ثم يصب فيها الزاب الاصغر فوق مدينة
السن يأتي من بلاد ارمينية واذربيجان ثم تنتهي الى تكريت وسامرا
وبغداد فينصب اليها الخندق والصراة ونهر عيسى وهي الانهار
التي ذكرنا انها تخرج من الفرات وتصب في دجلة ثم تخرج دجلة من
بغداد فتنصب فيها انهار كثيرة مثل النهر المعروف بنهر ديالى ونهر
النهروان ثم تأتي الى بلاد جرجرايا والسيب والنعمانية واذا خرجت
دجلة من مدينة واسط تفرقت في انهار هناك اخذ الى البطيحة
البصرة مثل بردودا والبهودي والشابي والمصب الذي ينتهي
الى العقر وقد تجري اكثر سفن البصرة من بغداد وواسط والطيب الى
مسافة جريان دجلة على عمود الاعظم نحو بلاد ابله فرسخ ودهيل
انهارها وقد وصفنا كثيرا من الانهار وانما ذكرنا ما ذكرنا منها
ولنشير اذا على الانباء في كتابنا كتاب اخبار الزمان
والاوسط وسنذكر في هذا الكتاب لمعا مما تقدم من الكلام
ولم نسمه من البصرة انها كما ذكرنا بشر بن مرهب ونهر الدير
ونهر ابن عمر ولذلك البلاد من الاهواز فيما بينها وبين بلاد البصرة
مواضع نذكرها ذكرنا قد تقصينا الاخبار عنها واخبار

منتهى

منتهى بحر فارس الى بلاد الابلة والبصرة وحد الموضع المعروف
بالجرارات وهي جبال من البحر الى البر من بلاد الابلة ومن اجلها
تلجى الآثار من اهل البصرة ولهذه الجرارات اخذت الخشبات
في فم البحر مما يلي الابلة وعبادان عليها اناس يوقدون النار
بالليل على خشبات ثلاث كالكراسي في جوف البحر خوفا
على المراكب الواردة من عمان وسيراف وغيرهما ان تقع في
تلك الجرارات وغيرها فتعطب فلا يكون لها خلاص فيما سلف من
كتبنا وهذه الريان عجيبة في مصبات مياهها واتصال البحر
بها ان شاء الله ولا قوة الا بالله　ذكر جمل من الاخبار عن البحر
الحبشي　وما قيل في مقداره وخلجانه وتشعبه
وقد رووا البحر الهندي وهو الحبشي وانما يمتد طوله من المغرب
الى المشرق من اقصى الحبش والصين ثمانية آلاف ميل
وعرضه الفان وسبعمائة وعرضه في مواضع اخر الف وتسعمائة
ميل وقد يتفاوت في قلة العرض في موضع دون بعض وقد
قيل في طوله وعرضه غير ما ذكرنا من الكثرة اعرضنا عن ذكره
لعدم قيام الدلائل على صحته عند اهل الصنعة وليس
في معمور الارض اعظم من هذا البحر وله خليج متصل بارض
الحبشة يمتد الى ناحية بربرا ويسمى ارض البربري الذي في
المغرب من ارض افريقية لان هناك موضع اخر يعرف بهذا الاسم
وارباب المراكب من العمانيين يقطعون هذا البحر الى جزيرة
قنبلو من بحر الزنج وفي هذه المدينة مسلمون بين الكفار من
الزنج والعمانيون الذين ذكرنا من ارباب المراكب يزعمون ان هذا
الخليج المعروف بالبربري وهم يعرفونه بربري وبلاد جفوني في
المسافة مما ذكرناه وموج عظيم كالجبال الشواهق وانه موج
اعمى يريدون بذلك انه يرتفع كارتفاع الجبال وينخفض
كانخفاض الاودية لا ينكسر موجه ولا يظهر من ذلك زبد
ككسر امواج سائر البحار ويزعمون انه موج مجنون وهؤلاء
القوم الذين يركبون هذا البحر من اهل عمان عرب من
الازد فاذا توسطوا هذا البحر ودخلوا ما ذكرناه من الامواج
يرفعهم ويخفضهم يرتجزون في اعمالهم فيقولون
بربرا وجفوني　وموجك المجنون　جفوني وبربرا وموجها كما ترا
ومنتهى هؤلاء في بحر الزنج الى جزيرة قنبلو على ما ذكرنا والى
بلاد سفالة والباودل من اقاصي ارض الزنج والاسافل من مراكبهم

ويقطع هذا البحر السيرافيون وقد ركبت هذا البحر من مدينة
سنجار من بلاد عمان وسنجار قصبة بلاد عمان مع جماعة من
نواخذة السيرافيين وهم ارباب المراكب مثل محمد بن الزيدبود
وجوهر بن احمد المعروف بابن شيرة وفي البحر تلف ومن كان معه في
مركبه واخر مرة ركبت فيه سنة اربع وثلثمائة من جزيرة قنبلو
الى عمان وذلك في مركب لاحمد وعبد الصمد اخوي عبد الرحيم
بن جعفر السيرافي بميكان وهي محلة بسيراف وغرق فيه بعد ذلك
وجميع من كان معهما اعني احمد وعبد الصمد ابني جعفر وكان ركوبي
فيه اخر وامير عمان يومئذ احمد بن هلال ابن اخت القتال وقد
ركبت عدة من البحار كبحر الصين والروم والخزر والقلزم
واليمن واصابني فيها اهوال فلم اشاهد اهول من بحر الزنج الذي
قدمنا ذكره وفيه السمك المعروف بالاوال طول السمكة نحو من اربعمائة
ذراع الى خمسمائة ذراع بالذراع العمري وهو ذراع اهل ذلك البحر
والاغلب من هذا السمك ان طوله مائة باع فربما يبدو البحر
فيظهر طرفا جناحه فيكون كالقلع العظيم وهو الشراع وربما
يظهر راسه وينفخ الصعداء بالماء فيذهب الماء في الجو اكثر
من مرمى السهم والمراكب تفزع منه بالليل والنهار فيضربون له بالخشب
والدبادب لينفر من ذلك ويحرك بذنبه واجنحته السمك الذي
فيه وقد تفتح فاه وذلك ... جوفه جريا فاذا بغت هذه
السمكة بعث الله اليها سمكة نحو الذراع يدعا اللشك فتلصق
باصل اذنها فلا يكون لها خلاص منه فتطلب قعر البحار
وتضرب بنفسها حتى تموت فتطفو فوق الماء فتكون
كالجبل العظيم وربما التصقت هذه السمكة المعروفة باللشك
فلا تدنو الاوال مع عظمها من المراكب وتهرب اذا رات
الصغيرة اذ كانت افة عليها وقاتلة لها وكذلك للتمساح
افة من دويبة تكون في ساحل النيل وجزايره وذلك ان التمساح
لا دبر له وما ياكل تولد في بطنه دودا فاذا اذاه ذلك
خرج الى البر فاستلقى على قفاه فاغرا فاه فينقض اليه طير الماء
كالطيطوى والحصاني والشارق وغير ذلك من انواع الطيور
قد الفها دون ذلك تاكل كلما ظهر في جوفه من ذلك الدود
العظيم ويكون تلك الدويبة قد كمنت في الرمل تراعيه
فتثب الى حلقه وتلج جوفه فيخبط بنفسه الارض ويطلب
قعر النيل حتى تسعى الدويبة على حشو جوفه وتخرق

بن الزيدبود

عبد الصمد

منه

جوفه ويخرج وربما يكون اطول من ذراع على صورة ابن عرس
ذو صور شتى لولا ان النفوس تعلم ما في المعرفة وتدفع ما في الجهل لما اخبرنا
عن انواع عجائب هذه البحار وما فيها من الحيتان والدواب وغير
ذلك من اعاجيب المياه فلنرجع الان الى ذكر تشعب مياه هذا
البحر وخلجانه ودخوله في البر ودخول البر فيه فنقول ان
خليجا يخرج من هذا البحر الحبشي فينتهي الى مدينة القلزم
من اعمال مصر بينها وبين فسطاط مصر ثلثة ايام وعليه مدينة
ايلة والحجاز وجدة واليمن وطوله الف واربعمائة
ميل وعرض طرفيه مائتا ميل وهو اكثر العرض فيه وتلاقي ما ذكرنا
من الحجاز وبلاد البجة على الساحل الاخر من هذا الخليج بلاد
العلاقي وبلاد العيذاب من صعيد مصر وارض البجة ثم ارض الحبشة
والسودان الى ان يتصل ذلك باقاصي الزنج واسافلها وهنالك
بلاد سفالة من ارض الزنج ويتشعب من هذا الخليج خليج اخر وهو
بحر فارس وينتهي الى بلاد الابلة والخشبات وعبادان من
اهل البصرة طول هذا الخليج الف واربعمائة ميل وعرضه في
الاصل خمسمائة ميل فربما يصير عرض طرفه مائة وخمسون
ميلا وهذا الخليج مثلث الشكل ينتهي حد زاويته الى الابلة
وعليه مما يلي المشرق ساحل فارس من بلاد دورق الفرس ومدينة
ماهربان وسينيز واليها تضاف الثياب السينيزية الطرازية
وغيره تصنع ومدينة جنابا واليها تضاف الثياب الجنابية ومدينة
نجيرم من بلاد سيراف ثم بلاد عمادة ثم ساحل كرمان وتتصل هذه على
ساحل هذا البحر ببلاد التيز وهي ارض المكران ثم السند
وهذه بها ارض نخل ... ثم ساحل السند وفيه
مصب مهران وهو نهر السند على حسب ما ذكرنا وهناك
مدينة الديبل ثم يتصل بساحل الهند الى بلاد بروص
واليها يضاف القنا البروصي ثم يتصل الى ارض الصين ساحل
واحد عامر وغامر ويقابل ما ذكرنا من مبتدا ساحل فارس
وكرمان والسند وبلاد البحرين وجزاير قطر وشط
حديمه وبلاد عمان وارض المهرة الى راس الجمجمة من ارض
الشحر والاحقاف وفيه جزاير كثيرة مثل جزيرة خارك وهو بلاد
جنابا لان خارك مضافة الى جنابا ويليها وبين البحرين
وفيها مغاص لؤلؤ وهو اللؤلؤ المعروف بالخاركي وجزيرة اوال
وفيها بنو معن وبنو مسمار وخلايق كثير من العرب بينها وبين

بيش

وجنابه

راس جمجمه

مراسي ساحل البحرين نحو يوم او اقل من ذلك وفي ذلك الساحل
مدينة المراده والقطيف من ساحل هجر ثم بعد جزيرة اوال
جزاير كثيرة منها جزيرة الافت وتدعى جزيرة بني كاوان وقد
كان افتتحها عمرو بن العاص وفيها مسجد الى هذه الغاية
وفيها خلق من الناس وقرى وعمارة متصلة وتعرف هذه الجزيرة
جزيرة هيجام ومنها تستقي ارباب المراكب الماء ثم الجبال المعروفة
بكسير وعوير وثالث ليس فيه خبر ثم الدردور المعروف بدردور
مسندم وتسميه البحريون بابي حميمة وهذه مواضع من البحر
عظيم قعرها وامواج متلاطمة تخرج منها النفوس اذا اشرفت
عليها وهذه المواضع بين بلاد عمان وسيراف لا بد للمراكب من
اجتيازها والدخول في وسطها تخطي وتصيب وهذا
البحر وهو خليج فارس يعرف بالبحر الفارسي على ما وصفنا
من البحرين وفارس والبصرة وعمان وكرمان الى راس الجمجمة ومن
هذا الخليج الفارسي وخليج القلزم وايلة الحجاز واليمن ويكون
بين الخليجين في المسافة في البر مقدار الف وخمسمائة ميل وهي
دخلة من البر في البحر والبحر محيط بها من اكثر جهاتها على ما
وصفنا من بحر الصين والهند وفارس وعمان والبصرة والبحـ رين
واليمن والحبشة والحجاز والقلزم والزنج والسند وجزاير
ومن قد احاط به من الامم الكثيرة التي لا يعلم وصفهم وعددهم
الا من خلقهم ولكل قطعة منه اسم يعرف به عن غيره والماء واحد
متصل غير منفصل وفي هذا البحر مغاصات اللولو والدر
ومنه العقيق والمادنج وهو نوع من البجادي وانواع الياقوت
والماس والسنبادج وفيه معادن ذهب وفضة نحو بلاد كله
وسرنديب وحوله معادن حديد مما يلي بلاد كرمان وبجادي ارض
عمان وفيه انواع الطيب والافاويه والعنبر وانواع الادوية
والعقاقير والساج والخشب المعروف بالدارزيجو والقسي والخيزران
وسنذكر بعد هذا الموضع تفصيل مواضع منه اذ كان كلما
ذكرناه من الجواهر والطيب والنبات فيه وحوله وساير ما وصفنا
من هذا البحر يدعا بالبحر الحبشي وهذا ما وصفنا من قطعه
التي يدعا كل واحد منها كقولنا بحر فارس وبحر اليمن وبحر
القلزم وبحر الحبشة وبحر الزنج تختلف فمنها ما ريحه من
قعر البحر سفلية وبعظم موجه كالقدر يغور لما يلحقها من حمي
من مواد حرارة النار ومنها ما ريحه والافة فيه من قعره والنسيم

ومنها ما يكون من باب ريحه من النسيم دون ما يظهر من قعره ومما وصفنا
مما يظهر من قعره من الرياح فذلك متنفسات من الارض تظهر الى
قعره ثم تظهر الى سطحه والله اعلم بكيفية ذلك ولكل من ركب
هذا البحر من الناس رياح يعرفونها في اوقات يكون منها مهابها
قد علموا ذلك قولا وعملا وبطول التجارب يتوارثون علم ذلك
بالعادات ولهم فيه دلايل وعلامات يعلمون بها في اوان هيجانه
واحوال ركوده وثوراته هذا فيما يسمى بالبحر الحبشي وكذلك
الروم والمسلمون سبيلهم في البحر الرومي كذلك من يركب البحر
الخزري الى بلاد جرجان وطبرستان والديلم وسناتي بعد
هذا الموضع على جمل وفصول من علم معرفة هذه البحار وعجايب
اوصافها واخبارها لمن سلف والامم الماضية ذكر
تنازع الناس في المد والجزر وجوامع مما قيل في ذلك المد هو مضي
الماء لسمته وسنن جريه والجزر هو رجوع الماء على ضد
سنن مضيه وانعكاسه مما مضى عليه في جهته وهو في بحر الحبش
الذي هو الصيني والهندي وبحر البصرة وفارس المقدم ذكره قبل
هذا الباب وذلك ان البحار تنقسم الى ثلاثة اصناف منها ما يأتي
فيه الجزر والمد ويظهر ظهورا بينا ومنها ما لا يتبين فيه الجزر
والمد ويكون خفيا مستترا ومنها ما لا يتبين ذلك والبحار
التي لا يكون فيها الجزر والمد اشبع في الجزر والمد لعلل
وهي على ثلاثة اصناف فاولها ان يكون الماء لا يغلظ فيقوى
لموجته وتكاثف فيه الرياح لانه اذا صار الماء الى هذا الحد امتنع
ببعض الاسباب فيصير كالحجر وينقص الماء في الصيف ويزيد
في الشتاء ويتبين فيه زيادة ما ينصب فيه من الانهار والعيون
والصنف الثاني البحار التي تبعد عن مدار الارض فلا تنبعث الا
كثيرا فيمتنع منه المد والجزر والصنف الثالث البحار التي تكون
الغالب على مياهها التخلخل الا انه اذا كانت ارضها متخلخلة
بعد الماء منها الى قعر هذه البحار وتخلخلت انبثت بالرياح
الكائنة في ارضها اولا فاولا وغلبت الرياح عليها واكثر ما يكون
هذا في ارض البحار والجزاير وقد تنازع الناس في علة الجزر والمد
فمنهم من ذهب الى ان علة ذلك القمر لانه مجانس للماء وهو يسخنه
فينبسط وشبهوا ذلك بالنار اذا اسخنت ما في القدر واغلته
ولان الماء يكون فيه على قدر النصف او الثلثين فاذا غلا الماء انبسط في
القدر وارتفع وتدافع حتى يفور فتتضاعف كميته في الحس

وينقص في اللون لان من شرط الحرارة ان تبسط الاجسام ومن
شرط البرودة ان تضغطها وذلك ان قعور البحار تحمى فيتولد في
ارضها عذوبة وتستخيل وتحمى كما يعرض ذلك في المياه التي في الابار
فاذا حمي ذلك الماء انبسط فاذا انبسط زاد واذا زاد دفع كل جزء
منه صاحبه فطفى على صاحبه وبان عن قعره واحتاج الى اكثر من مكانه
ولان القمر اذا امتلا احمى الجو حميا شديدا فظهر زيادة الماء فسمي ذلك
المد الشهري ولان هذا البحر تحت معدل النهار اخذا من جهة المشرق
الى المغرب ودور الكواكب المتحيرة عليه مع ما يسامته من الكواكب
الثابتة اذا كانت المتحيرة في القدم من الميل على محاذاته فاذا
زالت عنه كانت قريبة فاعله فيه من اوله الى اخره في كل يوم وليلة مع
ذلك فالموضع القابل للحمي فعليها يعرض فيه من الرياح ويلوب
في الانهار التي تعرض المد بسائر اطرافه ولم يصب ما تحته من سائر
المياه وقالت طائفة اخرى لو كان المد والجزر بمنزلة النار
اذا اسخنت الماء الذي في القدر وبسطته فيطلب اوسع منه فيقبض
حتى اذا خلا الاقرب من الماء طلب الماء بعاجز فرجع منه عمق الارض
بطبعه فرجع اضطرارا بمنزلة رجوع ما يغلي من الماء في المرجل
والقمقم اذا فاض ورفع عنه النار عليه بالحمي لكان بالشمس
اشد سخونة ولو كانت الشمس علته لكان يبدا مع
بدء طلوع الشمس ويجزر مع غيبوبتها وزعم هؤلاء
ان علة الجزر والمد هي الابخرة التي تتولد في بطن الارض
فانها لا تزال تتولد حتى تكثف وتكثر فتدفع حينئذ
مياه البحر لكثافتها فلا تزال على ذلك حتى تنقص موادها من اسفل
فاذا انقطعت موادها من اسفل رجع الماء حينئذ الى قعور
البحار وكان الجزر من اجل ذلك والمد ليلا ونهارا وشتاء
وصيفا وفي غيبة القمر وطلوعه وكذلك في غيبة الشمس
وطلوعها قالوا وهذا يدرك بحس البصر لانه ليس يستكمل
الجزر حتى يبدا اول المد ولا ينبغي ان المد حتى
يبدا اول الجزر لانه لا يفتر تولد تلك البخارات حتى اذا وجدت
تولدها مكانها فلا غيرها وذلك ان البخار اذا غارت مياهه رجع
الى قعر تولدت وكلما فاض نفست ودفع لغيرها واهل
الديانات ان كلما لا يعلم له في الطبيعة مجرى ولا يوجد
له فيها قياس فهو فعل الذي يدل على توحيد الله تبارك
وتعالى وحكمته وليس للجزر والمد علة في الطبيعة البتة

ولا قياس

ولا قياس وقال آخرون ما هيجان مياه البحر
الا كهيجان بعض الطبائع فانك ترى صاحب الصفراء وصاحب
الدم وغيرهما تهتاج طبيعته ثم يسكن وكذلك مواد تمده
حالا بعد حال فاذا قويت هاجت ثم تسكن قليلا قليلا
حتى تعود وذهبت طائفة اخرى الى ابطال سائر ما
وصفنا من القول وزعموا ان الهواء المطل على البحر
يستحيل دائما فاذا استحال عظم ماء البحر وفاض
عند ذلك فاذا فار فاض واذا فاض فهو المد فعند
ذلك يستحيل الماء ويتفشى واستحال هواء فعاد الى
الذي كان عليه وهو الجزر وهو دائم الاتصال متصل متراد ف
متعاقب لان الماء يستحيل هواء والهواء يستحيل ماء
وانه قد يجوز ان يكون ذلك عند امتلاء القمر لان القمر
اذا امتلا استحال ما اكثر مما كان يستحيل قبل ذلك
وانما القمر علة لكثرة الماء لا للمد نفسه لانه قد يكون والقمر
في محاقه والجزر والمد في بحر فارس يكون على مطالع النجوم
في الاغلب في الاوقات وقد ذهب كثير من نواحي البحر
وممن راقب الكواكب من السيرافيين والعمانيين ومن يقطع هذا
البحر ويختلف الى عمان من الامم التي في جزائره وحوله ان
المد والجزر لا يكون في معظم هذا البحر الا مرتين في السنة
مرة في شهور الصيف شرقا بالشمال ستة اشهر فاذا كان
ذلك طما الماء في مشارق البحر والصين وانحط عن الصقع
والجزر في مغارب البحر ومرة في شهور الشتاء غربا بالجنوب
ستة اشهر فاذا كان الصيف طما الماء في مغارب البحر وانحسر
بالصين وقد يتحرك البحر بحركة الرياح فان الشمس اذا كانت
في الجهة الشمالية تحرك الهواء الى الجهة الجنوبية ولذلك يكون
البحار في جهة الجنوب في الصيف بهبوب الشمال طامية
عالية ويقل المياه في جهة البحر الشمالية ولذلك اذا كانت الشمس
في الجنوب وسال الهواء من الجنوب الى جهة الشمال فسال معه ماء
البحر من جهته الجنوبية الى جهته الشمالية قلت المياه منه في
الجهات الجنوبية منه وتنقل ماء البحر في جهة بين الميلين اعني
في جهة الشمال والجنوب يسمى جزرا ومدا وذلك ان مد الجنوب
جزر الشمال ومد الشمال جزر الجنوب فان وافق القمر بعض
الكواكب السيارة في احد الميلين زاد في الفعالة وقوي الحمي

واشتد لذلك سيلان الهوا واشتد لذلك انقلاب ماء البحر الى الجهة المخالفة للجهة التي فيها الشمس **قال المسعودي**
هذا راي الكندي واحمد بن ابي الطيب السرخسي فيما حكيناه عنهما ان البحر يتحرك بالرياح وقد رايت ببلاد كنبايه من ارض الهند وهي المدينة التي يضاف اليها النعال الكنباتية المرادة وفيها تعمل وما يليها من المدن مثل مدينة سندان وسوبارة وكان دخولي اليها سنة ثلاث وثلثمائة والملك بها يومئذ بانيا من قبل البلهرى صاحب المانكير وكان بانيا هذا عنايه بالمناظرة مع من يرد اليه من المسلمين وغيرهم من اهل الملل وهذه المدينة على خور اعني خليج البحر وهذا الخليج اعرض من النيل او كدجلة او الفرات عليه المدن والضياع والعمائر والجنان والنخل والنارجيل والطواويس والببغا وغير ذلك من انواع طيور الهند بين تلك المياه والجنان وبين مدينة كنبايه وبين البحر الذي يخرج منه هذا الخليج يومان او اقل من ذلك فينحسر الماء في هذا الخليج بالجزر حتى يبدو الرمل في قعر الخليج ويبقى في وسطه اليسير من الماء ورايت الكلب على هذا الرمل الذي نضب عنه الماء وقد صار كالصحراء وقد اقبل المد من فم الخليج كالجبل واحس به الكلب فاقبل يحضر ما استطاع خوفا من الماء يطلب النجاة الى البر الذي لا يصل اليه الماء فلحقه الماء بسرعة وشدة تيار فالكلب في سرعته فغرقه وكذلك المد والجزر بين البصرة والاهواز في الموضع المعروف بالباسيان وبلاد المفتح ويسمى هنالك الدبر له مجيج وغليان ودوي عظيم يفزع منه اصحاب السفن وهذا الموضع يعرفه من سلكه من هنالك الى بلاد دورق وارض فارس

ذكر البحر الرومي ووصف ما قيل في طوله وعرضه وابتداه

فاما بحر الروم وطرسوس واذنه والمصيصة وانطاكيه واللاذقيه واطرابلس وصيدا وصور وغير ذلك من ساحل البحر والاسكندريه وساحل المغرب فذكر جماعة من اصحاب الزيجات في كتبهم النجومية منهم محمد بن جابر البتاني وغيره ان طوله خمسة الاف ميل وعرضه مختلف فمنه ثمان مايه ميل ومنه سبعمايه ومنه ستماية واقل من ذلك على حسب مضايقة البر للبحر والبحر للبر ومبتدا هذا الخليج من خليج من بحر اقانس واضيق موضع في هذا البحر بين ساحل طنجة وسبته من بلاد المغرب وبين ساحل الاندلس وهو المعروف بسبطا عرضه فيما بين الساحلين نحو من عشرة اميال وهذا الموضع هو المعبر لمن اراد من المغرب الى الاندلس

ومن

ومن الاندلس الى المغرب ويعرف بالزقاق وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب في اخبار مصر القنطرة التي كانت بين هذين الساحلين وما ركبها من ماء هذا البحر فالطريق المتصل بين جزيرة قبرس وارض العريش وسلوك العدو فيها اياه وعلى الحد المشترك بين هذين البحرين اعني بحر الروم وبحر اقانس المنار النحاس والحجارة التي بناها هرقل الملك الجبار وعليها الكتابة والتماثيل مشيرة بايديها ان لا طريق ورائي ولا مسلك لجميع الداخلين لذلك البحر من بحر الروم اذ كان بحرا لا تجري فيه جارية ولا عمارة فيه ولا حيوان ناطق ولا يحاط بعمقه ولا يدرك غايته ولا يعلم منتهاه وهو بحر الظلمات والاخضر والمحيط وقد قيل ان المنار على غير هذا الزقاق في جزائر من جزائر بحر اقانس المحيط وسواحله وقد ذهب قوم الى ان هذا البحر اصل لماء سائر البحار وله اخبار عجيبة قد اتينا على ذكرها في كتابنا في اخبار الزمان وفي اخبار من غرر وخاطر بنفسه ومن نجا منهم ومن تلف وما شاهدوا منه وما راوا منهم رجل من اهل الاندلس يقال له خشخاش وكان من فتيان قرطبه واحداثها فجمع جماعة من احداثها وركب بهم في مراكب استعدها في هذا البحر المحيط فغاب فيه مدة ثم انثنى بغنائم واسعة وخبره مشهور عند اهل الاندلس وبين هذه المنارة المنصوبة وبين موضع البحار مسافة طويلة في طول مصب هذا الخليج وجريانه وذلك لان ماء بحر من بحر اقانس الى البحر الرومي بحسن جريانه ويعلم بجريه لشدته ويتشعب من بحر الروم والشام ومصر خليج من نحو خمس ماية ميل يتصل بمدينة رومية ويسمى بالرومية ادرس وفي البحر الرومي جزاير كثيرة منها جزيرة قبرس بين ساحل الشام والروم وجزيرة رودس مقابل الاسكندرية وجزيرة اقريطش وجزيرة صقليه وسنذكر صقليه بعد هذا الموضع عند ذكرنا الجبل البركان الذي يظهر منه النار وفيها اجسام وجثث عظام وقد ذكر يعقوب بن اسحاق الكندي واحمد بن الطيب السرخسي في طول هذا البحر وعرضه غير ما ذكرنا وسنذكر بعد هذا الموضع فيما يرد من هذا الكتاب وصف هذه البحار على نظم من التاليف وترتيب من التصنيف ان شا الله تعالى

ذكر بحر نيطس وبحر مانطس وخليج القسطنطينيه

فاما بحر نيطس فانه يمر ببلاد لازقه الى بلاد القسطنطينيه وطوله الف ميل وعرضه في الاصل ثلاثماية ميل وفيه يصب النهر

العظيم المعروف بطنابس وقد قدمنا ذكره ومبتدا هذا النهر
من الشمال وعليه كثير من ولد يافث بن نوح وخروجه من بحيرة عظيمة
في الشمال من عيون وجبال فيكون مقدار جريانه على وجه الارض
نحو ثلاث مائة فرسخ عمائر متصلة لولد يافث فيشق بحر مانطس
فيما زعم قوم من ذوي العناية بهذا الشان حتى يصب الى بحر نيطس
وهذا النهر نهر عظيم فيه انواع من الاحجار والحشايش والعقاقير وقد
ذكره جماعة ممن تقدم من الفلاسفة ومن الناس من يسمي بحر مانطس
بحيرة ويجعل طوله ثلاثمائة ميل وعرضه مائة ميل ومنه ينجذب
خليج القسطنطينية الذي يصب الى بحر الروم وطوله ثلثمائة ميل
ونحو من خمسين ميلا وعليه القسطنطينية الحاس الغربي من
بلاد العرب من هذا الخليج متصلة ببلاد رومية والاندلس وغيرها
فيجب ان يكون على قول هاولا المنجمين من اهل الزيجات وغيرهم
ممن تقدم ان بحر المغرب والروس وبحر دبحار وبحعود دهم
تلتة لنواح من الترك هو بحر نيطس وسناتي على ذكره ولا الاهم
فيما يرد من الكتاب ان شا الله تعالى على حسب استحقاقه من ذكرهم
واتصال عمائرهم ومركب بحر هذه الابحاد منهم ومن الترك والله
بكل ذلك لا يعلم الا الله الا هو ذكر بحر الباب والابواب والخزر وجرجان
وجمل من الاخبار عن ترتيب البحار فاما بحر الاعاجم الذي عليه دولها
ومسالنها وهو معمور بالناس من سائر جهاته فهو المعروف ببحر
الباب والابواب والخزر والجبل والديلم وجرجان وطبرستان
ولنواح من الترك وينتهي في احدى جهاته نحو من بلاد خوارزم
من بلاد خراسان وطوله ثمانمائة ميل وعرضه ستمائة ميل
وهو مدور الى الطول ماهو وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب
جملا من ذكر الامم المحيطة بهذه البحار المعمورة وهذا
البحر يعرف بالاعاجم بين الشائين فاحداهما ثيان
وكذلك بحر الشام فالشابين فيه كثير والشام مما يكون
فيه مما يلي بلاد طرابلس واللاذقية والجبل الاقرع من اعمال
انطاكية فتحت هذا الجبل معظمها من هذا البحر واكثر
وهو يسمي عجز البحر وغايته الى ساحل انطاكية ورساس
والاسكندرونة وشاب وحصن المثقب وذلك في سفح
جبل اللكام وساحل المصيصة وفيه مصب نهر جيحان
وساحل اذنة وفيه مصب نهر سيحان وساحل طرسوس
وفيه مصب البردان وهو نهر طرسوس ثم البلد الخالي من عمائر

الخراب

قتنى

الخراب بين الروم والمسلمين مما يلي مدينة مليطية الى قبرس وقرى
وقراسيا ثم بلد سلوقية ونهرها العظيم الذي يصب في
هذا البحر ثم حصون الروم الى خليج القسطنطينية وقد
اعرضنا عن ذكر انهار كثيرة من ارض الروم مما تصب الى هذا النهر
كنهر البارد ونهر العسل وغيرهما من الانهار والعمارة على هذا البحر
الرومي ومن المضيق الذي قدمنا ذكره وهو الخليج الذي عليه
طنجة متصل بساحل المغرب وبلاد افريقية والسوس واطرابلس
والمغرب والقيروان وساحل برقة والرقادة وبلاد اسكندرية ورشيد
وتنيس ودمياط وساحل الثغور الشامية ثم ساحل الروم
متصلا ما دا الى بلاد رومية الى ان تتصل بساحل الاندلس الى ان
ينتهي الى ساحل الخليج الضيق المقابل طنجة على ما ذكرنا ابدا
لا ينقطع بين هذا البحر كله والعمائر التي وصفنا من الشام والروم
الا الانهار الجارية الى البحر وخليج القسطنطينية وعرضه
نحو من ميل وخلجانات اخر من البحر الرومي داخلة في البر لا منفذ
لها فجميع ما ذكرنا على شاطى هذا البحر الرومي متصل الديار
غير منفصلين بما يمنعهم او بحر يقطعهم الا ما ذكرنا من الانهار
وخليج القسطنطينية ومثال هذا البحر الرومي ومثال ما ذكرنا من
العمارة عليه الى ان ينتهي الى هذا الخليج الضيق
الاخذ من ابياس الذي عليه المنار النحاس ويلي الاعلى من طنجة
وساحل الاندلس من الكريب فمصيصة الخليج والكريب على
صفة البحر الاندلسي والشكل لما ذكرنا من طوله وليس يعرف الناس
في البحر الحبشي ولا في شي من خلجانه من حيث وصفنا من نهاياته
واكثر ما يظهر فيما يلي البحر اماس وقد اختلف الناس في التنين فمنهم
من راي انها ريح سوداء تكون في قعر البحر وتظهر الى النسيم وهو
الجو فيلحق بالسحاب كالزوبعة اذا ثارت من الارض واستدارت
واثارت معها الغبار وهشيم الارض والنبات ثم استطالت في
الهوا ولعلها الصعدا فتوهم الناس انها حيات سود قد
ظهرت من البحر لسواد السحاب وذهاب الضو وترادف الرياح
ومنهم من راي انها دواب تكون في قعر البحر فتعظم فتتودى دواب
البحر فيبعث الله عليها بالسحاب الملائكة فتخرجها منه وان
ذلك على صورة الحية السود الهاربة وبصيص لا تمر فيه بشي
الا اتى عليه من بنا عظيم او شجر او جبل وربما تنفس فيحرق
الشجر الكثير فيلقيه السحاب في بلد ياجوج وماجوج ويمطر السحاب

عليه البرد فيقتله فمنه تتغذى يأجوج ومأجوج وهذا القول
يعزى إلى ابن عباس وقد ذكر في التنانين غير ما وصفنا وكذلك
حكى قوم من أهل السير وأصحاب القصص أمورا فيما ذكرنا عوضنا
عن ذكرها من أنها حيات سود تكون في الصحاري فتحملها
السيول ومياه الأمطار فتقذف بها إلى البحر فتتغذى في
دواب البحر فتعظم أجسامها وتطول أعمارها فإذا انتهى
الواحد منها في العمر خمسمائة عام غلب على دواب البحر فكانت
وذكروا نحو ما قد منا من خبر ابن عباس وأن منها سودا وبيضا
على قدر الحية في نقطها والفرس لا ينكرون التنين في البحر
ويزعم أن له رؤوسا سبعا ويسمونه الاجدهاق ويضربونه في
أخبارهم الأمثال والله أعلم بكيفية ذلك وما ذكرت
والأخبار في هذه المعاني يأباه كثير من النفوس ولا يقبلها كثير من
العقول لم نتعرض لإيراده مثل خبر عمران بن جابر الذي صعد
في النيل فأدرك غايته وعبر البحر على ظهر دابة تعلق بشعورها وأي
دابة البحر منها إلى الشمس من قوائمها تعادي قرص الشمس من مبدأ
طلوعها إلى حال غروبها فالم نحوها لتبتلع عند نفسها
الشمس وأنه عبر ما ذكرنا من تعلقه بشعرها البحر حتى ورد بها
فرأى النيل يخرج من قصور الذهب من الجنة وإعطاه الملك
العنقود وأنه أتى الرجل الذي رآه في ذهابه ووصف له
كيف يفعل في وصوله إلى مبتدأ النيل فوجده ميتا وخبر
إبليس معه والعنقود العنب وغير ذلك من خرافات حشوية
أصحاب الحديث ولم روي أن فيه من الذهب في وسط البحر
الأخضر على أربعة أركان من الياقوت الأحمر والأخضر والأزرق
والأصفر يخرج من كل ركن من تلك الأركان ماء عظيم فتجري
فينقسم ذلك إلى جهات شتى من سواحل ذلك البحر أحدها
النيل والثاني سيحان والثالث جيحان والرابع الفرات
ومنها أن الملك الموكل بالبحار يضع عقبه في أقصى بحر الصين
فيفور البحر فيكون منه المد ثم يرسل عقبه من البحر فيكون
الماء يرجع إلى مركزه ويطلب قعوره فيكون منه الجزر ومثلوا ذلك
بإناء فيه ماء مقدار النصف منه فيضع الإنسان فيه يده
ورجله فيملأ الإناء الماء فإذا أشالها رجع إلى حده وأتى
إلى غايته ومنهم من رأى أن الملك يضع إبهامه من أصابعه اليمين في
البحر فيكون منه المد ثم يرفعها فيكون الجزر وما ذكرنا فغير ممتنع

كونه ولا واجب وهو داخل في حيز الممكن والجائز لأن طريقها
في النقل طريق الأفراد والآحاد ولم ترد من حيث يجيء المتواتر من
المخبرين والاستقامة من الأخبار الموجبة للعلم والعمل
القاطعة للعذر في النقل فإن قارنتها دلائل توجب صحتها
وجب التسليم لها والانقياد إلى ما أوجب الله علينا من الأخبار
عن الشريعة والعمل بها لقوله عز وجل وما آتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ولكن لم يصح ما ذكرناه فليعلم
ب من قرأ هذا الكتاب أنا قد اجتهدنا فيما أوردناه في هذا الكتاب
وغيره من كتبنا ولم نعزب عنا ما قاله الناس في سائر ما
ذكرنا وبالله التوفيق ذكر جمل من البحار وعدد
أكثر الناس أنها الأبحر في المعمور من الأرض ومن الناس من يعدها خمسة
ومنهم من يجعلها ستة ومنهم من ذكر أنها سبعة منفصلة
غير متصلة فأولها البحر الحبشي ثم الرومي ثم نيطس
ثم مانطس ثم الخزري ثم أقيانس الذي لا يعلم له نهاية وهو
البحر الأخضر المحيط المظلم فبحر نيطس متصل
ببحر مانطس ومن خليج القسطنطينية إلى أن يصب في بحر
الروم ويتصل به على حسب ما ذكرنا والرومي يمد من بحر
أقيانس الأخضر فيجب على هذا القياس أن يكون ما وصفنا
بحرا واحدا لاتصال مياههما وليس بين المياه ولا شيء
منفصل والله أعلم بشيء من بحر الحبش فبحر نيطس وبحر
مانطس يجب أن يكونا أيضا بحرا واحدا وإن ضاقهما البر في
بعض المواضع أو صار ذلك بين الماءين كالخليج وليس يسميه
ما اتسع منه وكبر بمانطس وما ضاق منه وقل ماؤه يسمى
بنطس فيمتنع وإن يجمعهما اسم مانطس أو نيطس فإنما يريد
به هذا المعنى فيما اتسع من البحر أو ضاق قال المسعودي
وقد غلط قوم فزعموا أن البحر الخزري متصل ببحر مانطس
ولم أر فيمن دخل بلاد الخزر من التجار ومن ركب منهم في بحر
مانطس ونيطس إلى بلاد الروس والبلغر أحدا يزعم أن
بحر الخزر يتصل به بحر من هذه البحار أو يتصل به شيء من مائها
أو من خلجانها إلا بحر الخزر وسنذكر ذلك عند ذكرنا جبل
الفتح ومدينة الباب والأبواب ومملكة الخزر وكيف دخل
الروس في المراكب إلى بحر الخزر وذلك بعد الثلاث مائة ورأيت
أكثر من تعرض لوصف البحار ممن تقدم ومتأخر يذكرون في كتبهم

ان خليج القسطنطينية الاخذ من مانطس متصل ببحر الخزر ولست
ادري كيف ذلك ولا من اين قالوه امن طريق الحس ام من طريق
الاستدلال والقياس او توهموا ان الروس ومن جاورهم على هذا
البحر هو الخزر وقد ركبت فيه من ابسكون وهو ساحل بجرجان
الى بلاد طبرستان وغيرها ولم اترك ممن شاهدت من التجار ممن له
ادنى فهم ولا غيره من ارباب المراكب الا سالته عن ذلك فكل يخبرني
الا طريق اليه الا من بحر الخزر من حيث دخل اليه مراكب الروس ونو
اهل اذربيجان والران والبيلقان من بلاد برذعة وغيرها
والديلم والجبل وجرجان وطبرستان اليهم لانهم كانوا اعلم وا
فيما مضى لمن عدا وابطار اليهم فيه ولا اعرف ذلك فيما سلف من قديم
الزمان وما ذكرنا مشهور فيما بينها من الامصار والامم والبلدان
لا ينكرونه لاستفاضته فيهم وذلك في ايام ابن ابي الساج ورايت في
بعض الكتب المضافة الى الكندي وتلميذه السرخسي صاحب
المعتضد ان في طريق العمارة في الشمال بحيرة عظيمة بعضها تحت
قطب الشمال وان بقربها مدينة ليس بعدها عمارة يقال لها توليه
وقد رايت لبني المنجم في بعض رسائلهم ذكر مالح البحار وقد ذكر
احمد الطيب السرخسي في رسالته في البحار والمياه والجبال عن
الكندي ان بحر الروم طوله ستة الاف ميل من صور واطرابلس
وانطاكية والمثقب وصاحب المصيصة وطرسوس وقلمية
الى جنادة وان عرض موضع فيه اربعمائة ميل فهذا قول
الكندي والى الطيب وقد اتينا على قول الرفيع جميعا وما بينهم
من الخلاف في ذلك بين اصحاب الزيجات وغيرها على حسب ما وجدناه
في كتبهم وسمعناه في اتباعهم ولم نذكر ما ذكروه من البراهين المؤدية
لما وصفوه لاشتراطنا في هذا الكتاب على انفسنا الاختصار
والايجاز فاما ما تنازع فيه المتقدمون من اوايل اليونانيين
والحكماء المتفلسفين في مبادي كون البحار وعللها فقد اتينا
على مبسوط ذلك في كتابنا في اخبار الزمان في الفن الثالث من
جملة الثلاثين فنا وقد ذكرنا قول كل فريق منهم وعزونا كل قول
من ذلك الى قايله والمنتحل لمذاهب الكتاب من اراد لمع من قوله وذهبت
طايفة منهم ان البحر هو بقية من الرطوبة الاولى الى جفف
اكثرها جوهر النار وما بقي منها استحال لاحتراقه فمنهم
من قال ان الرطوبة الاولى المجتمعة لما احترقت بدوران
الشمس وانعصر الصفو منها استحال الباقي الى ملوحة

ومرارة

ومرارة ومنهم من راى ان البحار عرق يعرقه الارض لما
ينالها من احراق الشمس لاتصال دورها ومنهم من راى
ان البحر هو باقي من طينة الارض من الرطوبة المائية لغلظ
جسمها كما يعرض في الماء العذب اذا مزج بالرماد فانه اذا صفي
من الرماد وجد ما خالطه كان عذبا وذهب اعتقاد الماء
عذبه وما لحه كانا ممتزجين والشمس ترفع لطيفه وعذبه
لخفته فبعضهم قال ترفعه الشمس كبخارات وقال بعضهم
بل هو يغور بالاستحالة ماء اذا صار بارتفاعه الى الموضع
الذي يحصره البرد فيتولد به ومنهم من ذكر ان الماء الذي هو
اسطقس ما كان منه على الهواء وما يعرض فيه البرد بالعرض حتى خلو
وما كان منه في الارض فلما بنا له من الاحراق والحرارة يلون
من اوقع الناس فقال ان جميع المياه الذي يفيض الى البحر
من جميع ظهور الارض وبطونها اذا صار الى تلك الحفر
العظيمة فالماء حساس مصاص والارض تقذف اليه مما فيها
من الملوحة والذي في الماء من اجزاء النار والذي يخرج اليه من
بطن الارض من اجزاء النيران المخالطة يرفعان لطايف
الماء بارتفاعهما وبخارها فاذا ارتفعا اللطايف فصار منها
شبيه المطر وكان ذلك دايما وعادتها اعاد ذلك الماء
مالحا لان الارض اذا كانت تعطيه الملوحة والنيران تخرج
منها العذوبة واللطافة كان واجبا ان تعود الى الملوحة ولذلك
لا يزيد ماء البحر ابدا على كيل واحد ووزن واحد لان البحر
يدفع اللطايف فيصير طلا وماء ثم يعود وتلك الانداء سيول
تطلب الحدور والقرار وتجري في اعماق الارض حتى تصير الى
ذلك الهود فليس يضيع من الماء شي ولا يبطل منه شي والحيا ٥
قايمة كالمنجنون تغرف من نهر وتصب الى جدول بعض الى ذلك
النهر وقد شبه ذلك قوم باعضاء الحيوان اذا اغتذت وعملت
الحرارة في غذايه فاجتذبت منه ما عذب الى الاعضاء المغتذية
وخلفت ما ثقل منه وهو المالح والمر من ذلك البول والعرق فهي
فضول لا عذب فيها وانما كانت عن رطوبات عذبة لحالتها الحادثة
الى المرارة والملوحة ولولا الحرارة لو زادت اكثر من مقدارها لصار
الفضل مرا ابدا على ما وجدنا ان العرق والبول لو وجدنا كل محرق
من الغذا قول جماعة ممن تقدم فاما ما يوجد بالعيان واتفاق
المحنة عند المباشرة ان كل الرطوبات ذوات الطعوم اذا اصعد

في القرع والانابيق رجعت روايحها وطعومها فيما يرتفع منها
كالخل والنبيذ والورد والزعفران والنيلوفر الا الملحة فانها
تختلف طعومها وروايحها ولاسيما الزعفرانيات ترفعان واخرجت
مرة بعد مرة وقد ذكر صاحب المنطق في هذا المعنى كلاما كثيرا
من ذلك ان الماء المالح اثقل من الماء العذب وجعل الدلالة في ذلك
لان الماء المالح كدر غليظ والماء العذب صاف رقيق وانه
اذا اخذ جرة من الشمع فعمل منه اناء ثم سد راسه وجعل
في ماء مالح من البحر وجد ذلك الماء الذي يحصل في داخل الاناء
عذبا في الطعم خفيفا في الوزن والملح المحيط به على خلاف ذلك
قد ازدادت مرارته واشتدت ملوحته وكل ماء جار فهو عذب
وكل ماء ينبع فهو عذب وحيث ما يكون معظم الماء فهو عذب ٥ ٥ ٥
قال المسعودي وقد تكلم الناس في المياه ونسبها فاكثروا
وقد ذكرنا في كتابنا في اخبار الزمان في الفن الثاني من جملة
الثلثين فنا ما ورد من البراهين في مساحة البحار ومقادير
المنقعة في ملوحتها واتصال بعضها ببعض وانفصالها
وعدم بيان الزيادة فيها والنقصان والانة علة كان الجزر والمد
في البحر الحبشي دون سائر البحار ووجدت نواخذة مراكب
الهند والصين على خلاف ما ذكرته وغيرهم ممن حكينا عنهم
المقادير والمساحة ولكن ذلك الغاية لهم في موضع في موضع منه
وكذلك شاهدت ارباب المراكب في البحر الرومي من الحربية
والعمالة وهم النواتية واصحاب الاحبل والرؤساء ومن يلي تدبير
المراكب والحرب فيه مثل لاوي المكنى بابي الحرث غلام زرافة
صاحب اطرابلس الشام من ساحل دمشق وذلك بعد الثلثماية
يعظمون طول البحر الرومي وعرضه وكثرة خلجانه وتشعبه
وعلى ذلك وجدت عبد الله بن وزير صاحب جبلة من ساحل حمص
من ارض الشام ولم يبق في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلثين
وثلثماية ابصر منه بالبحر الرومي ولا اسن منه وليس
فيمن يركبه من ارباب المراكب الحربية والعمالة الا وهو ينقاد
الى قوله ويقر له بالبصر والحذق وما هو عليه من الديانة والجهاد
القديم فيه وقد ذكرنا عجائب هذه البحار وما سمعناه مما ذكرناه
من اخبار ابوافها وما شاهدناه وافيا فيما سلف من كتبنا وسنورد
بعد هذا الموضع جملا من اخباره وقد ذهب قوم في علامات المياه
ومستقرها من الارض مذهبا هو غريب في المواضع التي يكون فيها نبات

القصب

القصب والحلفا والبردي من الحشيش فذلك دلالة على قرب الماء المراد
المحفور وان ماعدا ذلك فعلى البعد ووجدت في كتاب الفلاحة
ان من اراد علم قرب الماء او بعده فليحفر في الارض ثلاثة
اذرع او اربعة ثم ياخذ قدر نحاس او اجانة خزف فيدهنها
بالشحم من داخلها مستويا وليكن القدر واسعة الفم فاذا
غابت الشمس ياخذ صوفا ابيضا منفوشة مغسولة وياخذ
حجرا قدر بيضة فيلف ذلك الصوف عليه مثل الكرة ثم يطلي
جانب الكرة بموم او لبان ويلصقها في اسفل ذلك الذي قد
دهنته بدهن او شحم ثم دليها في اسفل الحفير فان الصوف
يصير معلقا والموم يسيل ويصير الحجر مكان الحجر معلقا ثم اطرح
على الاناء التراب واحبس عليه قدر ذراع او ذراعين او زيادة
ودعه ليلتك كلها فاذا كان الغد قبل طلوع الشمس فاكشف
التراب عنه وارفع الاناء فان رايته ملصقا بالاناء من داخل
قطرا كثيرا قريبا بعضه من بعض والصوفة ممتلية فان في ذلك
المكان ماء وهو قريب وان كان القطر متفرقا وليس بكل
ذلك ولا بالمقارب والصوفة ما دونها وسط فان الماء ليس
بالبعيد ولا القريب وان كان القطر ملصقا متباعدا بعضه
من بعض والماء في الصوفة قليل فان الماء بعيد وان
لم تر على الاناء قطرا قليلا ولا كثيرا ولا على الصوفة فانه
ليس على ذلك الموضع ولا قربه ماء فلا يتعنى في حفره ووجدت
في بعض النسخ من كتاب الفلاحة في هذا المعنى انه من
اراد علم ذلك فلينظر الى قرى النمل فان وجد النمل غلاظا
سودا ثقيلة المشي فعلى قدر بعد ممشيهن الماء قريب
منهن وان وجد النمل سريعا المشي لا تكاد تلحق فالماء
منها على اربعين ذراعا والماء الاول يكون عذبا طيبا والماء
الثاني يكون ثقيلا مالحا فهذه علامة لمن يريد استخراج المياه
وقد اتينا على مبسوط ما ذكرنا في كتابنا في اخبار الزمان
وانما نذكر في هذا الكتاب ما تدعو الحاجة الى ذكره بالاشارة
اليه دون بسطه وايضاحه واذ قد ذكرنا جملا من اخبار
البحار وغيرها فلنذكر الان اخبار الصين وغير ذلك مما
نحو به ان شاء الله تعالى ولا قوة الا بالله ذكر ملوك
الصين والترك وتفرق ولد عامور واخبار الصين وغير ذلك
تنازع في انساب اهل الصين وبدئهم فذكر كثير منهم ان

الدرهم

ولد عامور بن سويل بن يافث بن نوح لما قسم فالغ بن عابر
بن ارفخشد بن سام بن نوح الارض بين ولد نوح
سار واليسر المشرق فقطع قوم منهم ارعوا على سمت الشمال نسب الترك
وانتشروا في الارض فصاروا عدة ممالك منهم الديلم
والجيل والطيلسان والتبر وموقان ومنهم اهل
جبل القبخ وانواع اللكز من اللان والخزر والابخاز
والسرير والكشك وسائر الامم المنتشرة في ذلك الصقع
والامم من الجرار دحلت الى البحر مانطس ونيطس وبحر
الخزر الى البرغر ومن يتصل بهم من الامم وعبر ولد عامور
نهر بلخ ويمم اكثرهم ديار الصين فتفرقوا عدة ممالك
في تلك البلاد وانتشروا في تلك الديار منهم الختل
وهم سكان ختلان واشروسنة والصغد وهم
بين بخارى وسمرقند ثم الفراغنة والشاش واستيجاب
واهل بلاد الفاراب فبنوا المدن والضياع وانفرد منهم اناس عن
هولاي ومنهم الترك والطغزغز وهم اصحاب مدينة كوشان
وهي مملكة بين بلاد خراسان والصين وليس في اجناس
الترك وانواعهم في وقتنا هذا وهو سنة اثنين وثلثين وثلثمائة
اشد منهم باسا ولا ادنى شوكة ولا اضبط ملكا وملكهم ارخان
ومذاهبهم مذاهب المنانية وليس في الترك من يعتقد
هذا المذهب غيرهم ومن الترك الكيماكية والبوسحانيه
والبدية والجغرية واشدها باسا الغزية واحسنهم
صورا واطولهم قيما واصبحهم وجوها الخزلجية وهم
على بلاد فرغانة والشاش وما يلي ذلك الصقع وفيهم كان
الملك ومنهم خاقان الخواقين وكان يجمع مملكته سائر ممالك
الترك وتنقاد اليه ملوكها ومن هولاي الخواقين كان فراسياب
التركي الغالب على ملك فارس ومنهم سابه ولهذا خاقان
للترك في وقتنا هذا تنقاد اليه ملوكها منذ خربت المدينة
المعروفة بعمات وهي في مفاوز سمرقند وقد ذكرنا انتقال
الملك عن هذه المدينة والسبب في ذلك في كتابنا الاوسط
ولحق فريق من ولد عامور بتخوم الهند فاثرت فيهم تلك
البقاع فصارت الوانهم بخلاف الوان الترك ولحقوا
بالوان الهند ومنهم حاضرة وبادية ومنهم بلاد التبت
وملكوا عليهم ملكا وكان منقادا الى ملك خاقان على [illegible]

ويسمي

ويسمي اهل التبت ملوكهم بخاقان تشبها بمن تقدم من
ملوك الترك وهو خاقان الخواقين وصار الجمهور من ولد عامور
على ساحل البحر حتى انتهوا الى اقاصيه من بلاد الصين
فتفرقوا في تلك البقاع والبلاد وقطعوا تلك الديار وعمروا [illegible]
وكوروا الكور ومصروا الامصار ومدنوا المدن واتخذوا
للملك مدينة عظيمة سموها انموا وبينها وبين ساحل البحر
الحبشي وهو بحر الصين مسيرة ثلاثة اشهر وعمائر
متصلة فكان اول من ملك عليهم في تلك الديار وهي انموا
بن نوح صح نسطرطاس بن باعور بن مدبج بن عامور بن يافث فكان ملكه
نيفا وثلثمائة سنة وفرق اهله في تلك الديار وشق الانهار
وقتل السباع وغرس الاشجار واطعم الثمار وهلك فملك ولد
له يقال له عون فجعل جسد ابيه في تمثال من الذهب مرصعا
بالجواهر وجعل مجلسه دونه واقبل يسجد له وهو في
جوف ذلك التمثال هو واهل مملكته في طرفي النهار اجلالا له
وعاش بعد ابيه مائتي سنة وخمسين سنة ثم هلك فملك
ولد له يقال له عيرون فجعل جسد ابيه مخزونا في تمثال من
الذهب وجعله على سرير من الذهب دون مرتبة جده فكان
نخوفا يسجد له ويبدا بجده الاول ثم بابيه واهل مملكته وحسن
السياسة للرعية وساواهم في جميع امورهم وعمهم بالعدل
فكثر النسل واخصبت البلاد وكان ملكه الى ان هلك مائتي سنة
ثم ملك بعده ولده عيثينان فجعل اباه في تمثال من الذهب وجرى
فيه على ما سلف من افعال من تقدم في السجود والتعظيم فطال ملكه واتصلت
بلاده ببلاد الترك من بني عمه فعاش مائة واربعين سنة واتخذت
في ايامه كثير من المهن مما لطف في الدقة من الصنائع ثم ملك
بعده ولده حرايان فاحدث الفلك وحمل فيه الرجال
وحمل لطائف بلاد الصين وصيرهم نحو بلاد السند والهند
والى اقليم بابل والى سائر الممالك من قرب وبعد في البحر
واهدى لملوكها الهدايا العجيبة والرغائب النفيسة وامرهم ان
يجلبوا اليه ما في كل بلد من الظرائف والتحف والماكول
والمشروب وسائر الفروش وان يتعرفوا سياسة كل ملك
وملة كل امة وشرائعها وحثهم التبرع عليه وان يرغبوا الناس
فيما في بلده من الجواهر والطيب والالات فسرحت المراكب في
البلاد ووردوا الممالك وفعلوا ما امروا فلما وردوا على ممالك

من الممالك الا انتجعوا اليهم واستطرفوا ما اورد من ارضهم فهنت الملوك
المحيطة بها البحار المراكب وجهزت نحوهم السفن فحملوا اليهم ما ليس
عندهم وكاتبوا ملكهم وكافوه على ما كان من هدايا اليهم فعمرت
بلاد الصين واستقامت له الامور فكان ملكه من نحو مايتي سنه
وهلك فجزع اهل مملكته عليه واقاموا النياحة عليه شهرا
ثم فزعوا الى الاكبر من ولده فنصبوه عليهم ملكا فجعل جسد ابيه
في تمثال من الذهب وسلك طريقه من كان قبله في فعلهم مقتديا
بمن مضى من ابائه وكان اسم هذا الملك نوبال فاستقام الامر
واحدث من السير المحموده ما لم يحدثه احد ممن سلف من ملوكهم
وزعم ان الملك لا يثبت الا بالعدل لان العدل ميزان الباري وان
من العدل الزيادة في الاحسان مع الزياده في العمل وخص وشرف
وتوج ورتب الناس في رتبهم ووقفهم على طرائقهم وخرج يرتاد
موضعا ليبتني فيه هيكلا فانتهى الى موضع عامر بالنبات
من الاعشاب بالزهر [illegible] المياه فخط الهيكل هناك وجلبت له
سائر انواع الاحجار المختلفة الالوان فشيد الهيكل وجعل
على علوه قبة وجعل لها مخاريق للهواء متساوية ونصب فيها
بيوتا لمن اراد التفرد بالعبادة فلما فرغ منه نصب في اعلاه تلك
التماثيل التي فيها الاجسام من سلف من ابائه [illegible] ذلك على
هو عليه من وجوب حمد الحكمه ويكون ذلك الى غير غاية ولانها ىنة
وامر بتعظيم تلك الاجسام المجعولة في اعلى القبة وجميع الخواص
من اهل مملكته واخبرهم ان [illegible] ضم الناس الى ديانة يرجعون اليها يجمع
بها الشمل ويستوي النظام فانه متى عدم الملك الشريعه واستوى
النظام لم يومن عليه الخلل ودخول الفساد والزلل فرتب لهم سياسة
شرعية وفرايض عقلية وجعلها لهم رباطا ورتب لهم قصاصا
للنفوس والاعضاء ومحالات للمناكح يستباح بها النساء وتصح
به الانساب وجعلها مراتب فمنها لوازم موجبة يحرجون في تركها
ومنها نوافل يتنفلون بها واوجب عليهم صلوات لخالقهم
وتقربا الى معبودهم ايماء لا ركوع فيها ولا سجود في اوقات من
الليل والنهار معلومة ومنها ركوع وسجود في اوقات من
السنه والشهور محدوده فسن لهم اعيادا واوجب عليهم
منهم حدودا على من ارتكب من نسائهم البغاء جزية مفروضة
وان لا يستحيي في النكاح في [illegible] الاوقات وان اوقعن حملا
[illegible] عليه وما يكون من اولادهن ذكورا [illegible] عبيدا وما

كان

وما كان من اناث فللامهات [illegible] وامرهم بقرابين الهياكل
ودخن والبخور للكواكب وجعل لكل كوكب منها وقتا يتقرب
اليه بدخن معلومة بانواع من الطيب والعقاقير محصورة واحكم
لهم جميع الامور فاستقامت احوالهم وكثر النسل فكانت مدة
حياته مائة وخمسين سنه وهلك فجزعت عليه اهل مملكته
جزعا شديدا وجعلوه في تمثال من الذهب ورصعوه بالجوهر وبنوا
له هيكلا عظيما وجعلوا في اعلاه سبعة انواع من الجواهر على الوان
الكواكب السبعة من النيرين والخمسة بالوانها واشكالها وجعلوا يوم
موته صلوات وعيدا يجتمعون فيه عند ذلك الهيكل وصوروا صورته
وسيرته في لوح من ذهب وجعلوه في اعلى الهيكل من حيث تراه الابصار
ليكون بذلك مثلا لمن يرد بعده من السياسة وبهي السيرة وصوروا
صورته على باب المدينة وعلى الدنانير والفلوس والثياب واكثر اموالهم
الفلوس الصفر والنحاس فاستقرت هذه المدينة دار ملك الصين
وهي مدينة ابنوا على حسب ما قدمنا انفا ولهم مدينة عظيمة بحرها
الى من ارضهم مغرب الشمس يقال لها [illegible] وتلي بلاد التبت والحرب
بين اهل هذه وبين بلاد التبت سجال فلم تزل الملوك ممن ظهر بعد
هذا الملك امورهم منتظمة واحوالهم ملتئمة والخصب والعدل
لهم شامل والجور في بلدهم معدوم يقتدون بما نصبوا لهم من
الشرع من قدمنا ذكره وحروبهم على عدوهم قائمة وثغورهم مشحونة نه
والرزق على الجنود جار والتجار يختلفون اليهم في البر والبحر
من كل بلد بانواع الجهاز ودينهم دين من سلف وهي ملة تدعى
السمنية نحو من عبادات قريش قبل الاسلام يعبدون الصنم
ويتوجهون نحوها بالصلوات ومنهم من يقصد بصلاته الخالق
عز وجل ويقيم التماثيل للاصنام والصور مقام قبلة والجا هل
منهم [illegible] الاجسام بالهية الخالق ويعتقد بهما جميعا وان
عبادتهم الاصنام تقربهم الى الله زلفى وان منزلتهم في العبادة
تنقص عن الباري بجلاله وعظمته وسلطانه وان عبادتهم
الاصنام طاعة له ووسيلة لهم اليه الى ان ظهرت في اهل الصين
اراء ونحل حدثت عن مذاهب الثنوية واهل الدهر وقد
كانوا قبل ذلك في الاراء وعبادة التماثيل على حسب ما عليه
عوام الهند وخواصهم فتغيرت احوالهم وتنافروا الا انهم
ينقادون في جميع احكامهم الى ما نصب لهم من الشرع المتقدم
وملكهم متصل بملك الطغزغز على حسب ما قدمنا من اعتقادهم

[illegible]

مذاهب الثانيه والقول بالنور والظلمه وقد كانوا جاهلية
جهلا سبيلهم في الاعتقاد سبيل انواع الترك الى ان وقع لهم
شيطان من شياطين المانيه فزخرف لهم كلاما يريهم فيه تضاد
ما في هذا العالم وتباينه من موت وحياه وصحه وسقم وغنا
وفقر وضيا وظلام واجتماع وافتراق واتصال وانفصال وشروق ق
وغروب ووجود وعدم وليل ونهار وغير ذلك من سائر المتضادات دلت
وذكر لهم انواع الالام المعترضه لاجناس الحيوان من الناطقين وغيرهم
وما يعترض الاطفال والبله والمجانين وان الباري غني عن
ايلامهم واراهم ان هناك ضدا شديدا دخل على الخير الفاضل في
فعله وهو الله تعالى الله عن ذلك فاجتذب بما وصفنا وغيره من
الشبه عقولهم ودانوا بما وصفنا فاذا كان ملك الصين سمني
المذهب ذبح الحيوان فكانت الحرب بينه وبين صاحب الترك الصينيه
ارخان سجالا واذا كان ملك مانوي المذهب كان الامر بينهم
في الملك مشاعا وملوك الصين ذوو اراء ونحل الا انهم مع
اختلاف اديانهم غير خارجين عن قضيه العقل والسنن
العدل في نصب القضاه والحكام وانقياد الخواص والعوام
الى ذلك واهل الصين شعوب وقبائل كقبائل العرب وشعوبها
وافخاذها وشعبها في انسابها ولهم مراعاه لذلك وحفظ لهم
وينسب الرجل منهم الى خمسين ابا الى ان يتصل بعامور واكثر
من ذلك واقل ولا يتزوج اهل فخذ من فخذه مثل ذلك ان
يكون الرجل من مضر فيتزوج في ربيعه او من ربيعه فيتزوج
في مضر او من كهلان فيتزوج من حمير او من حمير فيتزوج في
كهلان ويدعون ان في ذلك صحه النسل وقوام البنيه
وان ذلك اصح للبقا واتم للعمر واشياء يذكرونها نحو ما
ذكرنا فلم تزل امور الصين مستقيمه في العدل على حسب
جريت الامر فيما سلف من ملوكهم الى سنه اربع وستين ومائتين
فانه حدث في الملك امر زال به النظام وانتقض به احكام
الشرايع ومنع من الجهاد الى وقتنا هذا وهو سنه اثنين وثلثين
وثلثمايه وهو ان نابغا نبغ فيهم من غير بيت الملك
كان في بعض مدن الصين يقال له يانشو شر يتطلب
الفتوح ويجمع اليه اهل الدعاره والشر فلحق الملك
وارباب التدبير غفله عنه لخموله ذكره وانه ممن لا يبالي
به فاشتد امره ونما ذكره وكثر عتوه وقويت شوكته في

وقطع

وقطع اهل الشر المسافات نحوه فعظم جيشه فسار من موضعه
وقد شن الغارات على العمار حتى نزل مدينه خانقوا وهي
مدينه عظيمه على نهر عظيم اكبر من الدجله او نحوها يصب الى
بحر الصين وبين هذه المدينه وبين البحر مسيره سته
ايام او سبع يدخل هذا النهر سفن البحر الوارده من
بلاد البصره وسيراف وعمان ومدن الهند وجزاير الزابج
والصنف وغيرها من الممالك بالامتعه والجهاز ويقرب الى
مدينه خانقوا خلايق من الناس مسلمون ونصارى ويهود
ومجوس وغيرهم من اهل الصين فقصد هذا العدو الى
هذه المدينه فحاصرها واتته جيوش الملك فهزمها واستباح ح
الحرم وكثرت جيوشه وافتتح مدينه خانقوا هذه عنوه
وقتل من اهلها خلقا لا يحصون كثره واحصي من المسلمين
واليهود والنصارى والمجوس ممن قتل وغرق خوف
السيف مايتا الف وانما احصي ما ذكرنا من العدد لان ملوك
الصين تحصي من في ممالكها من رعيتها ومن جاورها من الامم
وصارت ذمه لها في دواوين وكتاب قد وكلوا باحصا
ذلك لما يراعون من حياطه من يشتمل ممالكهم وقطع هذا العدو و
ما كان حول مدينه خانقوا من غابات شجر التوت اذ كان
يحتفظ بها لما يراعون من حياطه من يشتمله ممالكهم ولم يطعم ورقه لدود
القز الذي ينتج منه الحرير فكان ذهاب الشجر داعيا
الى انقطاع الحرير الصيني وحمله الى ديار الاسلام وسار
باشو بجيوشه الى بلد بلد فافتتحه وانضاف اليه امم
من الناس ممن يطلب الشر والنهب وغيرهم ممن يخاف على نفسه
وقصد نحو مدينه انمو وهي دار المملكه وهو في نحو مايه الف فارس
وراجل فخرج اليه الملك في نحو من مايه الف ممن بقي معه من
خواصه والتقيا فكانت الحرب بينهم سجالا نحو شهر وصبر
الفريقان جميعا ثم كانت على الملك فولى منهزما وامعن
الخارجي السير في طلبه وانحاز الملك الى مدينه في اطراف بلده
وارضه واستولى الخارجي على الحوزه واستولى على دار الملك
وملك خزاين الملوك السالفه وما استعدوه للنوايب وشن
الغارات في سائر العمار وافتتح المدن وعلم انه لا قوام له بالملك
اذ ليس من اهله فامعن في خراب البلاد واستباحه الاموال كان
وسفك الدما وكاتب ملك الصين من المدينه التي انحاز اليها

المتاخمة لبلاد التبت وهي مدينة سنا المقدم ذكرها ملك الترك
ايرخان واستنجده واعلمه ما نزل به وعرفه بما يلزم الملوك
من الاجابات اذا استنجد بها الخوتهان الملوك وان ذلك
في فرايض الملك وواجباته فانجده ايرخان بولد له في
نحو من اربعماية الف فارس وراجل وقد استفحل امر بانشو
فالتقى الفريقان جميعا فكانت الحروب بين الاثنين ما نحو
من سنة وتفانا من الفريقين خلق عظيم ففقد بانشو
وقيل انه قتل وقيل انه اسر وقتل ولده واسر الخواص
من اصحابه وسار ملك الصين الى دار المملكة وعاد الى حاله
والعامة تسميه بغبور تفسيره كالابن السما تعظيما له
والاسم الاخص لملوك الصين الذين يخاطبون به طمغاجان
ولا يخاطبون بغبور وتغلب صاحب كل ناحية من عمله على
ناحيته كتغلب ملوك الطوايف حين قتل الاسكندر بن
فيلقوس المقدوني لدارا بن دارا ملك الفرس ولنحو ما نحن
بسبيله في هذا الوقت وهو سنة اربع وستين ومايه
ورضي ملك الصين منهم بالطاعة له ومكاتبته بالملك ولم
يتاتى له السير الى سائر اعماله ولا محاربة من تغلب على بلاده
وقنع بما وصفنا وامتنع من ذكرنا من حمل الاموال اليه فتاركهم
مسالمة ولغار كل فريق منهم على من يليه على حسب قوته
وتمكنه فعدم انتظام الملك واستقامته على حسب ما سلف
من ملوكهم وقد كان لمن سلف من ملوكهم سير وسياسات
للملك وانقياد الى العدل على حسب ما توجبه قضية العقل
وحكي ان رجلا من التجار من اهل مدينة سمرقند
من بلاد خراسان خرج من بلاده ومعه متاع كثير حتى اتى العراق
فحمل من جهازه وانحدر الى البصرة وركب البحر حتى اتى الى
بلاد عمان وركب الى بلاد كله وهي النصف من طريق الصين
او نحو ذلك واليها تنتهي مراكب الاسلام من السيرافيين
والعمانيين في هذا الوقت فيجتمعون مع من يرد من اهل [illegible]
الصين في مراكبهم وقد كان في بدء الزمان بخلاف ذلك
وذلك ان مراكب الصين كانت تاتي بلاد عمان وسيراف
وساحل فارس وساحل البحرين والابلة والبصرة وكذلك
كانت المراكب تختلف من المواضع المذكورة اليها هناك فلما
عدم العدل وفسدت النيات وكان من امر الصين ما وصفنا

التقى

التقى الفريقان جميعا في هذا المنصف ثم ركب منها التاجر من
مدينة كله في مراكب الصين الى مدينة خانفوا وهي مرسى المراكب
فسرح الملك من خدمه وخواصه خصيا يثق به والصين تستعمل
الخصيان من الخدم في الخراج وغيره ومنهم من يخصي ولده طلبا
للرياسة حتى اتى الخادم مدينة خانفوا فاحضر التجار وفيهم
التاجر الخراساني فاعرضوا عليه ما احتاج اليه من المتاع وعزل
منه ما يصلح للملك وسال الخراساني بمتاعه ما لم يرض به وجرت بينهم
محادثة سري الامر فيها بينهما الى ان امر الخادم بحبسه واكراهه
فراد التاجر بثقة منه بعدل الملك فمضى الخراساني من فوره الى
مدينة ابيموا وهي دار الملك فوقف موقف المتظلم وذلك ان
المتظلم اذا اتى من البلد الشاسع او غيره لبس قميصا من الحرير
الاحمر ووقف موضعا قد رسم للظلامة وقد رتب بعض
ملوك النواحي للقبض على من يرد من المتظلمين ويقف ذلك
الموقف فيحمل الى نحو شهرين على البريد فنفعل ذلك بالتاجر
ووقف بين يدي صاحب تلك الناحية المرتب لما ذكرنا
فاقبل عليه وقال ايها الرجل لقد تعرضت لامر عظيم وخاطرت
بنفسك انظر ان كنت صادقا فيما تخبر به والا فانا اقلبك
وارد لك من حيث جئت فان تبجح في القول اورداه قد جزع
ضرب ماية خشبة وحمل من حيث جاء وان هو صبر على ما هو
عليه حمل الى حضرة الملك ووقف بين يديه يسمع كلامه فلما
صمم الخرساني في المطالبة والظلامة وراوه محقا غير جزع
حمل الى الملك فوقف بين يديه فقص عليه خبره فلما ان
ل ادى اليه الترجمان وفهم ظلامته امر به الى بعض المواضع فانزل
وهم اناس صح وتحسن اليه واحضر الوزير وصاحب الميمنة وصاحب
القلب وصاحب الميسرة قد رتبوا لذلك عند الملمات
وحين الحرب وقد عرف كل واحد منه مرتبته والمراد
منه فامرهم الملك ان يكتب كل واحد منهم الى صاحبه بخانفوا
ولكل واحد منهم خليفة في كل ناحية ان يكتبوا اليهم بما
حية كان من خبر التاجر والخادم وكتب الملك الى خليفته بالناحية
مثل ذلك وكان الخبر قد استفاض بالناحية وكتبه فوردت
الكتب على بغال البريد بتصحيح ما قاله التاجر وملوك
الصين في سائر الطرق من اعمالها بغال مرسومة الاذناب
للبريد والخرايط فبعث الملك في اشخاص الخادم فلما وافى

بين يديه سلبه جميع ما كان انعم عليه ثم قال له عمدت الى رجل
تاجر قد خرج من بلد شاسع قد قطع مسالك واجتاز بملوك
في بره وبحره فلم يعرض له بوجه من المصير الى مملكتي ثقة منه بعدلي
ففعلت به ما فعلت وكان ينصرف عن مملكتي وينث
في سائر الممالك ذمي وقبح الاحدوثة عن سيرتي اما لولا
قديم خدمتك لقتلتك لكني اعاقبك بعقوبة ان عقلتها
فهي اكبر من القتل وهوان اوليك مقابر الموتى من الملوك السالفه
اذ عجزت عن تدبير الاحيا والقيام بما اليه ندبت واحسن
الملك الى التاجر فحمله الى خانفوا وقال له ان سمحت نفسك
ببيع ما اخترنا لنا من متاعك بالثمن الجزيل والا فانت
محكم في ملكك اقم اذا شئت وبع اذا شئت وانصرف ان شئت
الى حيث شئت وصرف الخادم الى مقابر الملوك

قال المسعودي ومن ظرائف اخبار ملوك الصين

ان رجلا من قريش من ولد هبار بن الاسود لما كان من خبر صاحب
الزنج بالبصرة ما اشتهر صار هذا الرجل الى مدينة سيراف
وكان من ابناء البصرة وارباب النعم ثم ركب منها في بحر الهند
ولم يزل من مركب الى مركب ومن بلد الى بلد يخترق ممالك الهند
الى ان انتهى الى بلاد الصين فسار الى مدينة خانفوا ثم
دعته همته الى ان صار الى دار ملك الصين وكانت دار الملك
يومئذ مدينة حمدان وهي من اكبر مدنهم ومن عظيم امصارهم
فاقام بباب الملك مدة طويلة يرفع الرقاع انه من اهل بيت
نبوة العرب فامر الملك بعد هذه المدة بانزاله في بعض
المساكن وازاحة العلة في اموره وجميع ما يحتاج اليه وكتب
الى الملك المقيم بخانفوا يامره بالبحث ومسالة التجار عن الذي
يدعيه الرجل من قرابة نبي العرب صلى الله عليه وسلم فكتب اليه
صاحب خانفوا بصحة نسبه فاذن له ووصله بمال واسع
عاد به الى العراق وكان شيخا فهما فاخبرنا انه لما وصل اليه
ساله عن العرب وكيف ازالوا ملك العجم فقال بالله عز
وجل وبما كانت العجم عليه من عبادة النيران والسجود للشمس
والقمر من دون الله فقال لقد غلبت العرب على اجل الممالك
واوسعها ريفا واكثرها اموالا واعقلها رجالا وابعدها
صيتا قال له فما منزلة الملوك عندكم فقال له ما لي بذلك
علم فقال للترجمان قل له انا نعد الملوك خمسة فاوسعهم ملكا الذي

يملك

يملك العراق لانه في وسط الدنيا والملوك محدقة به ونجد
اسمه عندنا ملك الملوك وبعده ملكنا هذا ونجد اسمه
عندنا ملك الناس لانه لا احد من الملوك اسوس منا ولا اضبط للملك
من ملكنا ولا رعية من الرعايا اطوع لملوكها من رعايانا فنحن
ملوك الناس ومن بعدنا ملك السباع وهو ملك الترك الذي
يلينا وهم سباع الانس ومن بعدهم ملك الفيلة وهو ملك
الهند ونجده عندنا ملك الحكمة لان اصلها منهم وبعده
ملك الروم وهو عندنا ملك الرجال لانه ليس في الخلق
اتم خلقا من رجاله ولا احسن وجوها وهولاء اعيان
الملوك والباقون دونهم ثم قال للترجمان قل له اتعرف صاحبك
ان رايته يعني النبي صلى الله عليه وسلم فقلت وكيف
لي برويته وهو عند الله عز وجل قال لم ارد هذا انما اريد
صورته فقلت اجل فامر بسفط فاخرج ووضع بين يديه
فتناول منه درجا وقال للترجمان اره صاحبه فرايت في الدرج
صور الانبياء فحركت شفتي بالصلاة عليهم ولم يكن عنده
علم اني اعرفهم فقال للترجمان سله عن تحريك شفتيه فسالني
فقلت اصلي على الانبياء فقال ومن اين عرفتهم فقلت عرفتهم
بما صور من امرهم هذا نوح في السفينة ينجو بمن معه لما امر الله
الماء فغرق الارض كلها وعم فيها فسلمه بمن معه فضحك
فقال اما نوح فقد صدقت في تسميته واما غرق الارض
كلها فلا نعرفه وانما اخذ الطوفان قطعة من الارض ولم يصل
الى ارضنا ان كان خبركم صحيحا عن هذه القطعة فنحن معاشر
الصين والهند والسند وغيرهم من طوائف الامم لا نعرف
ما ذكرتم ولا نقل الينا اسلافنا ما وصفتم وما ذكرت من
ركوب الارض الماء فهذا من الكوائن العظام التي تفزع النفوس
الى حفظه وتتداوله الامم ناقلة بخبره قال فتهيبت
الرد عليه واقامة الحجة لعلمي انه يدفع ذلك ثم قلت
هذا موسى وعصاه وبنو اسرائيل فقال نعم على قلة البلد
وفساد قومه عليه قلت وهذا عيسى على حمار والحواريون
معه فقال لقد كان قصير المدة انما كان امره يزيد على ثلثين
شهرا اشياء يسيرة وعدد من سائر الانبياء واخبارهم ما
اقتصرنا على ذكر بعضه وزعم هذا القرشي المعروف بابن هبار
انه راى فوق كل نبي كتابة طويلة قد دون فيها ذكر اسمائهم ومواضع

صورهم

بلدانهم ومقادير اعمارهم واسباب نبواتهم وسيرهم قال ثم
رايت صورة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على جمل واصحابه يحدقون
به في ارجلهم نعال عربية من جلود الابل وفي اوساطهم حبال
الليف قد علقوا فيها المساويك فبكيت فقال للترجمان سله
عن بكائه فقلت هذا نبينا وسيدنا وابن عمي صلى الله عليه وسلم
قال صدقت لقد ملك هو وقومه اجل الممالك الا انه لم يعاين
ما ملك وانما عاينه من بعده ممن تولى الامر عليه من خلفائه
ورايت صور الانبيا كثيرا منهم قد اشار بيده جامعا بين
سبابته وابهامه كالحلقة كانه يصف الخليقة في مقدار
الحلقة ومنهم من قد اشار بسبابته وابهامه نحو السما كالمرهب
للخليقة بما فوق ذلك ثم سالني عن الخلفاء وزيهم وكثير من
الشرايع فاجبته على قدر ما اعلم منها ثم قال لي كم عمر الدنيا
عندكم فقلت قد تونزع في ذلك فبعض يقول ستة الاف
سنة وبعض يقول دونها وبعض يقول فوقها فقال اذلك
عن نبيكم فقلت نعم فضحك ضحكا كثيرا ووزيره ايضا
وهو واقف يدل على انكاره لذلك وقال ما احسب نبيكم قال
هذا فزللت فقلت بل هو قال ذلك فرايت الانكار
في وجهه ثم قال للترجمان ميز كلامك فان الملوك لا تكلم الا عن
تحصيل اما زعمت من خلافكم في ذلك من قول نبيكم فما قالته
الانبيا فلا يجب ان يختلف فيه بل هو مسلم لهم فاحذر هذا
وشبهه ان تحكيه وذكر اشيا كثيرة غير هذه ذهبت عني
لطول المدة ثم قال لم عدلت عن ملكك وهو اقرب اليك
منا دارا ونسبا فقلت بما حدث على البصرة ووقوعي
الى سيراف ونزعت لي همتي اليك ايها الملك لما بلغني
من استقامة ملكك وحسن سيرتك وكثرة عدلك وشمول
سياستك لسائر رعيتك فاحببت الوقوع الى هذه المملكة
ومشاهدتها وانا راجع عنها الى بلادي وملك ابن عمي ومخبر
بما شاهدت من جلالة هذا الملك وسعة هذه البلاد وعموم
هذا العدل وحسن شيمك ايها الملك المحمود وساقول بكل
قول حسن واثني بكل جميل فسره ذلك وامر له بجائزة سنية
وامر بحملي على البريد الى خانفوا وكتب الى ملكها باكرامي وتقديمي
على جميع من في ناحيته من سائر خواص الناس واقامة النزل الى
الى وقت خروجي فكنت عنده في اخصب عيش وانعمه الى ان خرجت من بلاد

الصين

الصين **قال المسعودي** واخبرني
ابو زيد محمد بن يزيد السيرافي بالبصرة وكان قد قطنها
وانتقل عن سيراف وذلك في سنة ثلث وثلثماية وهو ابن
عم ابي يزيد محمد بن ابرد بن بستاشاد صاحب سيراف وكان
من اهل التحصيل والتمييز انه سال ابن هبار هذا القرشي
عن مدينة حمدان التي بها الملك وصفتها ونعتها فذكر
سعتها وكثرة اهلها وانها مقسومة على قسمين يفصل بينهما
شارع طويل عريض فالملك ووزيره وقاضي قضاته وجنوده
وخصيانه وجميع اسبابه في الشق الايمن منها مما يلي المشرق
ولا يخالطهم احد من العامة ولا فيه شي من الاسواق بل الانهار
في سككه مطردة والاشجار عليها منتظمة والمنازل عليها
فسيحة وفي الشق الايسر مما يلي المغرب الرعية والتجار والميرة
والاسواق فاذا وضح النهار رايت قهارمة الملك واسبابه
وغلمان القواد ووكلاءهم من بين راكب وراجل قد دخلوا
الى الشق الذي فيه الاسواق والتجار فاخذوا وضايعهم
وحوايجهم ثم انصرفوا ولم يعد منهم احد الى هذا الشق الى
اليوم الثاني ولهذا البلد كل نزهة وغيضة حسنة
وانهار مطردة الا النخل فانه معدوم واهل الصين من
احذق خلق الله كفا بنقش وصناعة وبكل عمل لا يتقدمهم
فيه احد من سائر الامم والرجل منهم يصنع بيده ما يقدر ان
غيره يعجز عنه فيقصد به باب الملك يلتمس الجزاء على لطيف
ما ابتدع فيامر الملك بنصبه على بابه من وقته ذلك الى سنة
فان لم يخرج احد به عيبا جازاه وادخله في جملة صناعه
وان اخرج احد فيه عيبا اطرحه ولم يجازه عليه وان
رجلا منهم صور سنبلة عليها عصفور فبقي الثوب مدة
وانه اجتاز بها رجل احدب فسيل عن العيب فقال المتعارف
عند الناس جميعا انه لا يقع عصفور على سنبلة الا امالها
وصور هذا المصور السنبلة منتصبة قائمة لا ميل فيها واثبت
العصفور فوقها منتصبا فاخطا فصدق الاحدب ولم يثب
صاحبها بشي وقصدهم في هذا وشبهه الرياضة لمن يعمل
هذه الاشيا ليضطرهم ذلك الى شدة الاحتراز واعمال الفكر
فيما يصنع كل واحد بيده ولاهل الصين اخبار عجيبة في بلادهم
اخبار طريفة سنوردها فيما يرد من هذا الكتاب جملا منها ولنذكرها

قد اتينا على سائر الاخبار في ذلك في كتابنا في اخبار الزمان والاوسط
وبما قد ذكرنا في هذا الكتاب مما لم نتقدم من ذكره في ذينك
الكتابين

ذكر جمل من الاخبار عن البحار وما فيها وما حولها من العجائب ومراتب الملوك واخبار الاندلس ومعادن الطيب واصوله وعدد انواعه وغير ذلك

قد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب جملا من ترتيب البحار المتصلة
والمنفصلة فنذكر في هذا الباب جملا من اخبار ما اتصل بهذا البحر
الحبشي والممالك والملوك وجملا من ترتيبها وغير ذلك من انواع
العجائب فنقول ان بحر الصين والهند وفارس واليمن متصلة
مياهها غير منفصلة على ما ذكرنا الا ان هيجانها وركودها يختلف
لاختلاف مهاب رياحها واوان ثورانها وغير ذلك فبحر فارس
تكثر امواجه ويصعب ركوبه عند لين بحر الهند واستقامة
الركوب فيه وقلة امواجه ويلين بحر فارس وتقل امواجه ويسهل
ركوبه عند ارتجاج بحر الهند واضطراب امواجه وظلمته وصعوبة
ركوبه فاول ما يبتدي صعوبة بحر فارس عند دخول
الشمس في السنبلة وقرب الاستواء الخريفي ولا تزال كذلك
تكثر امواجه كل يوم الى ان تصير الشمس الى برج الحوت فاشد
ما يكون ذلك في آخر الخريف عند كون الشمس في القوس ثم يلين
الى ان تعود الشمس الى السنبلة واخر ما يكون في لينه الربيع عند
كون الشمس في الحوت وبحر الهند لا يزال كذلك الى ان تصير الشمس
الى السنبلة فيركب حينئذ واهدى ما يكون عند كون
الشمس في القوس وبحر فارس يركب في سائر السنة من
عمان الى سيراف وهو مائة وستون فرسخا ومن سيراف الى البصرة
مائة واربعون فرسخا ولا يتجاوز في ركوبه غير ما ذكرنا من هذين
الموضعين ونحوهما وقد حكى ابو معشر المنجم في كتابه المترجم
بالمدخل الكبير الى علم النجوم ما ذكرنا من اضطراب هذه البحار
وهدوها عند كون الشمس فيما ذكرنا من البروج وليس يكاد
يقطع من عمان بحر الهند في تيرماه الا مركب مغرر وحمولته
يسيرة تسمى هذه المراكب بعمان اذا قطعت الى ارض الهند
في هذا الوقت التيرماهية وذلك ان بحر الهند تكون فيه البلاد
وهو الشتاء ودوام المطر في كانون وكانون وشباط عندنا صيف
عندهم كما يكون عندنا الحر في حزيران وتموز وآب فشتاؤنا
صيفهم وصيفهم شتاؤنا وكذلك سائر مدن السند والهند
وما اتصل بذلك الى اقاصي هذا البحر ومن شتا في صيفنا بارض

الهند قيل فلان تشرّ بارض الهند اي شتا هنالك وذلك
لقرب الشمس وبعدها والغوص على اللؤلؤ في بحر فارس
انما يكون من اول نيسان الى اخر ايلول وما عدا ذلك من شهور السنة
فلا غوص فيها وقد اتينا فيما سلف من كتبنا على سائر مواضع
الغوص في هذا البحر اذ كان ما عداه من البحار لا لؤلؤ فيه
وهو خاص للبحر الحبشي من بلاد خارك وقطر وعمان وسرنديب
وغيرها من هذا البحر وذكرنا كيفية تكون اللؤلؤ وتنازع الناس
في ذلك ومن ذهب منهم ان ذلك من المطر ومن ذهب الى ان ذلك
من غيره وصفة اللؤلؤ العتيق منه والحديث المسمى بالمحار
المعروف بالبلبل واللحم الذي في الصدف والشحم وهو حيوان
يفزع على ما فيه من اللؤلؤ والدر من الغاصة خوف الام على ولدها
وقد اتينا على كيفية الغوص وان الغاصة لا يكادون يتناولون
شيئا من الطعام الا السمك والتمر وغيرهما من الاقوات وشق
اصول آذانهم لخروج النفس من هنالك لان المنخرين لان
المنخرين يجعلون عليها شيئا من الذبل وهو ظهر السلاحف البحرية
التي يتخذ منها الامشاط يضمها كالمشقاص لا من الخشب ويجعل
في آذانهم القطن وشيئا من الدهن فيعصر من ذلك الدهن اليسير
في قعر الماء فيضيء لهم بذلك ضياء بينا وما يطلون به على اقدامهم
واسوقهم من السواد خوفا من بلع دواب البحر اياهم ونفورها
من السواد وصياح الغاصة في قعر البحر كالكلاب نبحا والصوت
الماء حتى يسمع صياح بعضهم بعضا وللغاصة وللغوص اخبار عجيبة
واللؤلؤ وحيوانه قد اتينا على جميع اوصاف ذلك وصفات
اللؤلؤ وعلاماته واثمانه ومقادير اوزانه فيما سلف من كتبنا
فاول هذا البحر مما يلي البصرة والابلة والبحرين من خشبات
البصرة ثم بحر لاروي وعليه بلاد صيمور وسوبارة وتانة
وسندان وكنباية وغيرها من السند والهند ثم بحر هركند
ثم بحر كلاه بار وهو بحر كله والجزائر ثم بحر كردنج ثم بحر
الصنف واليه يضاف العود الصنفي والجبال ثم بحر
الصين وهو بحر صنجي ليس بعده بحر فاول بحر فارس
على ما ذكرنا خشبات البصرة والموضع المعروف بالكنكلا وهي
في علامات منصوبة من خشب في البحر مغروسة علامات
للمراكب الى عمان المسافة ثلاثمائة فرسخ وعلى ذلك ساحل فارس
وبلاد البحرين ومن عمان وقصبتها يسمى سنجار والفرس

يسمونها مردون الى المسقط وهي قرية يستقى منها ارباب المراكب
الماء فاذا جاوزوا هناك عذبة خمسون فرسخا ومن المسقط الى درس
الجمجمة خمسون فرسخا وهذا آخر بحر فارس وطوله اربعمائة
فرسخ هذا تحديد النواتية وارباب المراكب ورأس الجمجمة
جبل يتصل ببلاد اليمن من ارض الشحر والاحقاف والرمل
من تحت البحر لا يدرى الى اين ينتهي غايته في الماء اعني
الجبل المعروف براس الجمجمة واذا كان ما وصفنا من الجبل
في البر ومن تحت البحر شبهه في البحر الرومي السقالة من ملك
السقالة في الموضع المعروف بساحل سلوقيا من ارض الروم والقاطع
تحت البحر نحو من جزيرة قبرس وعليها اكثر عطب مراكب
بحر الروم وهلاكها وانما يعبر باللغة اهل كل بحر وما
يستعملونه في خطابهم فيما يتعارفونه بينهم فمن رأس الجمجمة
يطلق المركب الى البحر الثاني بحر فارس وهو المعروف
بالارقي لا يدرك غوره والعجم قعره من غاياته ولا انضبطت
لغوصانه واتساع فضائه وكثير من البحريين يزعمون ان الوصف
المحيط باقطاره لما ذكرنا من تشعبه وربما تقطعه السفن في
الشهرين والثلاثة وفي الشهر على قدر هبوب الرياح والسلامة
وليس في تلك البحار اعظم مما اشتمل عليه البحر الحبشي
البربري وهو البحر الازرقي والاشد وفي عرضه من بحر الزنج
وبلادهم وغيرهم ان البحر قليل وكذلك ان العنبر اكثر يقع الى بلاد
الزنج وساحل الشحر من ارض العرب واهل الشحر اناس من
قضاعة بن مالك بن حمير وغيرهم من العرب ويدعى من سكن هذا
البلد المهرة اصحاب شعور جمة ولغتهم بخلاف لغة العرب
وذلك انهم يجعلون الشين بدل الكاف ومثل ذلك قولهم هل لش
فيما قلت لي وقلت لش ان تجعل الذي معي في الذي معش
يريد هل لك فيما قلت لي وقلت لك ان تجعل الذي معي
في الذي معك وغير ذلك من خطابهم فنوادر كلامهم وهم ذوو
فقر وفاقة ولهم نجب يركبونها بالليل تعرف بالنجب المهرية تشبه
بالسرعة بالنجب البجاوية بل عند جماعة انها اسرع منها فيسيرون
عليها على ساحل بحرهم فاذا احست هذه النجب بالعنبر قد
قذفه البحر بركت عليه قد ريضت لذلك واعتادته فيتناوله
الراكب واجود العنبر ما وقع الى هذه النواحي وجزائر الزنج وساحله
وهو المدور الازرق النادر كبيض النعام او دون ذلك ومنه ما

يبلغه

يبلغه الحوت المعروف بالاوال المقدم ذكره وذلك ان البحر اذا اشتد
قذفه من قعره العنبر كقطع الجبال واصغر على ما وصفنا فاذا ابتلع
هذا الحوت العنبر قتله فيطفو فوق الماء ولذلك اناس قد رصدوه
في القوارب من الزنج وغيرهم فيطرحون فيه الكلاليب والحبال
ويشقون عن بطنه ويستخرجون العنبر منه فما يلي من بطنه
يكون سمكا ويعرفه العطارون بالعراق وفارس بالمند وما يلي
ظهر الحوت منه كان نقيا جيدا على حسب لبثه في بطن الحوت
وبين البحر الملك سوهو هركند والبحر الثاني وهو الارقي
على ما ذكرنا جزائر كثيرة هي فرق بين هذين البحرين ويقال
انها نحو من الفي جزيرة وفي قول المحقق الف وتسعمائة جزيرة عامرة
بالناس مملكة هذه الجزائر كلها امرأة وبذلك جرت عادتهم في
قديم الزمان لا يملكهم رجل والعنبر يوجد في هذه الجزائر يقذفه
البحر فيوجد في جزيرة كاكبر ما يكون من قطع الصخر واخبرني
غير واحد من نواخذة السيرافيين والعمانيين بعمان وسيراف وغيرهم
من التجار ممن كان يختلف الى هذه الجزائر ان العنبر ينبت في قعر
البحر ويتكون كما تتكون انواع الفطر من الابيض والاسود
والكمأة والمغاريد ونبات او نحوها فاذا اخبث البحر
واشتد قذف من قعره الصخور والاحجار وقطع العنبر واهل
هذه الجزائر جميعا تجمعهم الكلمة البحر هم العدد لكثرتهم
والمحصي حصور هذه المتملكة عليهم وبين الجزيرة والجزيرة
نحو الميل والفرسخ والفرسخين والثلاثة ونخلهم نخل النارجيل
لا يفقدون من النخلة الا التمر ومن زعم من اناس ممن عني بمولدات
الحيوان وتطعيم الاشجار ان النارجيل هو نخل المقل
وانما اثرت فيه تربة الهند حين غرس فيها فصار نارجيل
وانما هو نخل المقل وقد ذكرنا في كتابنا المترجم بالقضايا
والتجارب ما تؤثره كل بقعة من بقاع الارض وهواها
في حيوانها الناطقين وغيرهم وما تؤثره البقاع في الماء
من النبات مما ليس بنامي من الجماد كما بأرض الترك في وجوههم
وصغر اعينهم حتى اثر ذلك في جمالهم فقصرت قوائمها
وغلظت رقابها وابيض وبرها وارض ياجوج وماجوج في
صورهم وغير ذلك مما اذا تبين في المعهود في سكان الارض
من المشرق والمغرب وجد على ما ذكرناه وليس يوجد في جزائر
البحر الطف صنعة من اهل هذه الجزائر في سائر المهن والصنائع

يع

في الثياب والالات وغير ذلك وبيوت اموال هذا الملك الودع
وذلك ان اهل هذا الودع فيه نوع من الحلزون فاذا قل مالها
امرت اهل هذه الجزاير فقطعوا من سعف نخل النارجيل بخوصه
وطرحوه على وجه الماء فيتراكب عليه ذلك الحلزون فيجمع ويطرح
على رمل الساحل فتحرق الشمس ما فيه من حيوان ويبقى
الودع خاليا مما كان فيه فيملأ من ذلك بيوت الاموال وهذه
الجزاير تعرف جميعا بالديبجات ومنها يحمل اكثر الراج وهو
النارجيل واخر هذه الجزاير جزيرة سرنديب ويلي سرنديب جزاير
اخر نحو من الف فرسخ تعرف بالرامين معمورة فيها ملوك
وفيها معادن من ذهب كثير ويليها بلاد فيصور واليها يضاف
الكافور القيصوري والسنة التي تكون كثيرة الصواعق
والبرق والرجف والقذف والزلازل يكثر فيها الكافور
واذا قل ذلك كان نقصانا في وجوده واكثر ما ذكرنا من الجزاير
غذاهم النارجيل ويحمل من هذه الجزاير خشب البقم والخيزران
والذهب وبينها اناس وفيها من ياكل لحوم الناس وتتصل
هذه الجزاير بجزاير الخالوس وهم عجيبة الصور يخرجون في
القوارب عند اجتياز المراكب بهم ومعهم العنبر والنارجيل
وغير ذلك فيبتاعونه بالحديد وشي من الثياب ولا يبيعون
ذلك بالدراهم والدنانير ويليهم جزاير يقال لها اندمان
فيها اناس سود عجيبوا الصور والمناظر مفلفلوا الشعور
قدم الواحد ابرم الذراع لا مراكب لهم فاذا وقع الغريق
اليهم ممن قد كسر به في البحر اكلوه وكذلك فعلهم بالمراكب
اذا وقع اليهم وقد خبرني غير واحد من النواخذة انهم ربما راوا في
هذا البحر سحابا ابيض قطعا صغارا يخرج منه لسان
ابيض طويل حتى يتصل بماء البحر فاذا اتصل به غلا له
البحر بذلك وارتفعت به زوابع عظيمة لا تمر زوبعة
بشي الا اتلفته ويمطر من عقب ذلك مطرا زهكا فيه
انواع من قذا البحر فاما البحر الرابع وهو كلاه بار على
حسب ما ذكرنا فيسمى كلنجبكلاه وهو بحر قليل الماء
واذا قل ماء البحر كان اكثر افاته واشد لخبثه وهو
كثير الجزاير والصراري واحدها صرير وذلك ان اهل المراكب
يسمون ما ينسل بين الخليجين اذا كان ضيقا لهم فهذا البحر
انواع من الجزاير والجبال عجيبة واما عوضنا الوجيز لمع من

الاخبار

الاخبار عنه لا البسط وكذلك البحر الخامس المعروف بكردنج
فكثير الجبال والجزاير فيه الكافور وماء الكافور وهو
قليل الماء كثير المطر لا يكاد يخلو منه فيه اجناس من الامم
منهم جنس يقال له الفنجب شعورهم مفلفلة وصورهم
عجيبة يعرضون في قوارب لهم لطاف للمراكب اذا اجتازت
بهم ويرمون بنوع من السهام عجيب قد اسقي بالسم وبعد هذه الامة
وبين بلاد كله معادن الرصاص الابيض وجبال فيها الفضة وفيه
ايضا معادن ذهب ورصاص لا يكاد تتميز ثم يليه البحر المعروف
على ما رتبنا ايضا وفيه مملكة المهراج ملك الجزاير ومملكته لا ينضبط
كثيرة ولا يحصى جنوده ولا يستطيع احد من الناس ان يطوف في اسرع
ما يكون من المراكب بجزايره في سنتين وقد حازت هذه الملك
انواع الافاويه والطيب وليس لاحد من الملوك ما لهذا الملك
من بلاده ويحمل من ارضه فيما يحمل من ارضه الكافور والعود
والقرنفل والصندل والجوز بوا والبسباسة والقاقلة
والكبابة وغير ذلك مما لم نذكره وجزايره تتصل ببحر
لا تدرك غايته ولا يعرف منتهاه والى ما يلي بحر الصين وفي
اطراف جزايره جبال كثيرة الناس مطرقة تحرق شعورهم تخرج
الشعر الوقت منها نار تظهر من جبالهم النار بالليل والنهار فنهارها
نار حمراء وبالليل تسود وتلحق بعنان السما العلو وذهابها في الجو
تقذف باشد ما يكون من صوت الرعود والصواعق وربما يظهر
منها صوت عجيب ينذر بموت ملكهم وربما كان اخفض من
ذلك فينذر بموت بعض روساهم قد عرفوا بما ينذر من ذلك
لطول العادات والتجارب على قديم الزمان وان ذلك غير مختلف
وهذه الجبال الارض الكبار وتليها الجزيرة التي يسمع منها
على دوام الاوقات اصوات الطبول والربابات والعيدان وساير
انواع الملاهي وغيرها والبحريون ممن اجتاز بتلك الديار
يزعمون ان الدجال بتلك الجزيرة وفي مملكة المهراج جزيرة
سريرة مسافتها في البحر نحو من اربعماية فرسخ وعمارة متصلة وله
جزيرة الرامي والزابج وغير ذلك مما لا يوتا على ذكره من جزايره ومملكته
وهو البحر السادس وهو بحر الصنف ثم البحر السابع وهو بحر
الصين على ما رتبنا انفا ويعرف بحر صنجي وهو بحر خبيث كثير
الموج والخب وتفسير الخب الشدة العظيمة في البحر وانما
نخبر عن عبارة كل بحر وما يستعملونه في خطابهم وفيه جبال كثيرة

لابد للمراكب من النفرة بينها وذلك ان البحر اذا عظم خبه وكثر موجه
ظهرت منه اشخاص سود طوال الواحد منهم نحو الخمسة اشبار
او الاربعة كانهم اولاد الحبابين الصغار شكلا واحدا وقدا واحدا
فيصعدون على المراكب ويكثر منهم الصعود من غير ضرر فاذا شاهد
الناس ذلك تيقنوا الشدة فان ظهورهم علامة الخب فيستعدون
لذلك فيتلي ويعاني فاذا كان ذلك فربما شاهدوا المعاني منهم في
اعلا الدقل وتسميه ارباب المراكب في بحر الصين وغيره من البحر
الحبشي الديل وتسميه رجال البحر الرومي الضادي شيئا على
صورة الطائر نوري يتوقد لا يستطيع الناظر منهم ان يبصر منه
ولا ادرك كيف هو فاذا استقل على اعلا الدقل يرون البحر
هدا والموج يصغر والخب يسكن ثم ذلك النوري يفقد فلا يري
كيف اقبل ولا كيف ذهب فذلك علم الخلاص ودليل النجاة وما ذكرنا
فلا تناكر فيه عند اهل المراكب والتجار من اهل البصرة وسيراف
وعمان وغيرهم ممن قطع هذه البحار وما ذكرناه عنهم فممكن غير
ممتنع ولا واجب اذا كان جائز ان يكون من الباري عز وجل خلاص
عباده من الهلاك واستنقاذهم من البلا وفي هذا البحر نوع
من السرطان يخرج من البحر كالذراع والشبر واصغر من ذلك واكبر
فاذا بان عن الماء بسرعة حركته وصار على الارض صار حجارة وزال عنه
الحيوانية وتدخل تلك الحجارة في الكحال الاعين وادوية وامر
يستفيض ايضا والبحر الصين وهو السابع المعروف بصنجي
اخبار عجيبة قد اتينا على جمل من الخبار واخبار ما اتصل
به من البحار فيما سلف من كتبنا وسلف من تصنيفنا في هذا
المعنى ونحن ذاكرون فيما يرد من هذا الكتاب من اخبار الملوك
جوامع وجملا من ذلك وليس بعد بلاد الصين مما يلي
البحر ممالك تعرف ولا ممالك توصف الا بلاد السيلا
وجزائرها فلم يصل اليها من الغرباء من العراق ولا من غيرها
فخرج عنها لصحة هواها ورقة مائها وجودة تربتها
وكثرة خيرها وصفاء جوهرها الا النادر من الناس واهلها
مهادنون لاهل الصين وملوكها والهدايا بينهم لا تكاد
تنقطع وقد قيل انهم شعب من ولد عامور سكنوا هنالك
على حسب ما ذكرنا من سكنى اهل الصين في بلادهم وللصين
انهار كبار مثل الدجلة والفرات تجري من بلاد الترك والتبت
والصغد وهم بين بخارا وسمرقند وهناك جبال النوشادر

احادهم

فاذا كان

فاذا كان في الصيف رويت في الليل نيران قد ارتفعت من
تلك الجبال من نحو مائة فرسخ وبالنهار يظهر منها الدخان
لغلبة شعاع الشمس وضوء النهار على ضوء النار ومن هناك يحمل
النوشادر فاذا كان في الصيف من اراد من بلاد خراسان
ان يسلك الى بلاد الصين صار الى ما هنالك وهنالك
واد بين تلك الجبال طوله اربعين ميلا او خمسون فياتي
الى اناس هنالك على فم الوادي فيرغبهم في الاجرة النفيسة
فيحملوا امتعته على اكتافهم وبايديهم العصي يضربون جنبيه خوفا
ان يكل ويقف فيموت من كرب الوادي وهم يحطمونه امامهم
حتى يخرجون الى ذلك الراس من الوادي وهناك غابات
ومستنقعات الماء فيطرحون انفسهم في ذلك الماء لما قد
نالهم من شدة الكرب وحر النوشادر ولا يسلك ذلك الطريق
شيء من البهائم لان النوشادر يلتهب نارا في الصيف فلا
يسلك في ذلك الوادي داع ولا مجيب فاذا كان الشتا
وكثرت الثلوج والانداء وقع ذلك على الموضع فاطفا حر
النوشادر ولهيبه فسلك الناس حينئذ ذلك الوادي
والبهائم لا صبر لها على ما ذكرنا من حره وكذلك من ورد من
بلاد الصين فعل به من الضرب ما فعل بالمار والمسافة بين
بلاد خراسان على الموضع الذي ذكرنا الى بلاد الصين نحو من
اربعين يوما بين غامر وعامر ودهاس ورمال وفي غير هذه
الطريق مما يسلك البهائم نحو من اربعة اشهر الا ان ذلك
في خفارات انواع من الترك وقد رايت ببلخ شيخا
جميلا ذا راي وفهم وقد دخل الصين مرارا كثيرة ولم يركب
البحر قط ورايت عدة من الناس ممن سلك من بلاد الصغد
على بلاد النوشادر الى ارض التبت والصين بلاد خراسان
وبلاد الهند تتصل ببلاد خراسان والسند مما يلي
بلاد المنصورة والمولتان والقوافل تتصل من السند الى
خراسان وكذلك الى الهند الى ان تتصل هذه الديار
ببلاد الزابلستان وهي بلاد واسعة تعرف بمملكة فيروز بن
كبك وفيها قلاع عجيبة ممتنعة ولغات مختلفة وامم
قد تنازع الناس في انسابهم فمنهم من الحقهم بولد يافث
بن نوح ومنهم من الحقهم بالفرس الاول في نسب طويل وبلاد
التبت مملكة متميزة من بلاد الصين والغالب عليهم حمير

بعض التبابعة على حسب ما ذكرنا من اخبار ملوك اليمن فيما يرد من
هذا الكتاب وذلك موجود في كتاب اخبار الزمان ومنهم حضر
وبدو وبواديهم ترك لا تدرك كثرة ولا يقوم لهم احد من بوادي الترك
وهم معظمون في اجناس الترك لان الملك كان منهم في قديم الزمان
وعند سائر اجناس الترك ان الملك سيعود اليهم ولبلاد التبت خواص
عجيبة في هوائه ومائه وارضه وسهله وجبله ولا يزال الانسان
بها ضاحكا ابدا فرحا مسرورا لا تعرض له الاحزان والهموم ولا الافكار
ولا تحصى انواع ثمارها وازهارها ومروجها وانهارها وهو بلد يقوي
فيه طبيعة الدم على الحيوان الناطق وغيره من الحيوان ولا يكاد ترى في
هذه البلاد شيخا حزينا ولا عجوزا بل الطرب في الشيوخ والكهول
والشبان والاحداث عام وفي اهله رقة طبع وبشاشة واريحية
تبعث على كثرة استعمال الملاهي والمعازف وانواع ابتداع
الرقص حتى ان الميت اذا مات لا يداخل اهله عليه كثير من الحزن
مما يلحق غيرهم من سائر الناس عند فقد محبوب او موت مطلوب
ولهم تحنن كثير بعضهم على بعض والتبسم فيهم عام وقد بنت
من قبلها بهم وهذا البلد يسمى بمن ثبت لذلك وقد ذكر
دعبل ذلك في قصيدته التي ناقض فيها الكميت ويفتخر
بقحطان على نزار فقال

وهم كتبوا الكتاب بباب مرو ... وباب الصين كانوا الكاتبينا
وهم سموا سمرقند بشمر ... وهم غرسوا هناك التبتينا

وسنذكر في باب اخبار ملوك الصين طرفا من اخبارهم وملوكهم
ومن طاف منهم البلاد فيما يرد من هذا الكتاب وبلاد التبت
متاخمة لبلاد الصين وارضها من احدى جهاتها والارض
الهند وخراسان والمفاوز الترك ولهم مدن وعماير كثيرة ذوات
منعة وقوة وقد كانوا في قديم الزمان يسمون ملوكهم تبع اتباعا
لاسم تبع ملك اليمن ثم ان الدهر ضرب ضرباته فتغيرت لغاتهم
عن الحميرية وحالت الى لغات تلك البلاد ممن جاورهم
من الامم فسموا ملوكهم خاقان والارض التي بها ظباء
المسك التبتي والصيني فارض واحدة متصلة
وانما بان فضل المسك التبتي على الصيني بجهتين احدهما
ان ظباء التبت ترعى سنبل الطيب التي في اعالي الثنية
والجهة الاخرى ان اهل التبت لا يعرضون لاخراج المسك
من نوافجه ويتركونه على ما هو به واهل الصين يخرجونه من

النوافج ويلحقه الغش بالدم وغيره من انواع الغش وان الصيني
ايضا يقطع به ما وصفنا من مسافة البحار وكثرة الانداء واختلاف
الاهوية وان عدم من اهل الصين الغش في مسكهم واودع البرانى
والزجاج واحكم عفاصها وختمها وورد الى بلاد الاسلام من عمان وفارس
والعراق وغيرها من الامصار كان كالتبتي والجود في المسك واطيبه
ما خرج من الظبا بعد بلوغه النهاية في النضاج وذلك انه لا فرق
بين غزلاننا هذه وبين غزلان المسك في الصورة ولا الشكل ولا
ولا القرون وانما يبين ذلك بانياب لها كانياب الفيلة
لكل ظبي نابان خارجان من الفكين دائمان منتصبان
ابيضان نحو الشبر واقل واكثر فينصب لها ببلاد التبت
والصين الحبائل والشرك والشباك فيصطادونها وربما
رموها بالسهام فيصرعونها ويقطعون عنها نوافجها
والدم في سررها خام لم ينضج وطري لم يدرك فيكون
لرائحته زهومة فتبقى زمانا حتى تزول عنه تلك الرائحة
الكريهة ويستحيل بمواد من الهواء فيصير مسكا
وسبيل ذلك سبيل الثمار اذا ابتيعت من الاشجار
وقطعت قبل نضجها في شجرها واستحكام موادها فيها
وخير المسك ما نضج في وعائه وادرك في سرته واستحكم
في حيوانه وتمت مواده وذلك ان الطبيعة تدفع مواد الدم
الى سرته فاذا استحكم لون الدم فيها ونضج اذاه ذلك
وحكه فيفزع حينئذ الى الحجارة الصخور والاحجار الحارة
من حر الشمس فيحتك بها ملتذا بذلك فتنفجر حينئذ
وتسيل على تلك الاحجار كانفجار الجراح والدمل اذا انضج
ما فيه عند ترادف المواد فيه وعليه فيجد لخروجه لذة
فاذا فرغ ما في نافجته وتفسير ذلك السرة وهذا اسم فارسي
اندمل حينئذ ثم دفعت اليه موادا تجتمع ثانية لكونها
بدا فيخرجون رجال التبت يقصدون مراعيها بين تلك
الاحجار والجبال فيجدون الدم قد جف على تلك الصخور
والاحجار قد احكمته المواد وانضجته الطبيعة في حيوانها
وجففته الشمس واثر فيه الهواء فياخذونه فذلك افضل
المسك فيودعونه نوافج معهم فذلك الذي يستعمله ملوكهم
وتتهاداه بينهم ويحمله التجار بالامر من والتبت مدن كثيرة
فيضاف مسك كل ناحية اليها وقد اقرت ملوك الصين والترك

والهند والزنج وسائر ملوك العالم الملك بابل بالتعظيم وانه اول
ملوك العالم ومنزلته فيهم بمنزلة القمر في الكواكب لان اقليمه
اشرف الاقاليم ولانه اكثر الملوك مالا واحسنهم طبعا واكثرهم سيا سد
وحزما هذا كان فيما مضى وصف ملوك هذا الاقليم الى هذا
الوقت وهو سنة اثنتين وثلثين وثلثمائة فكانوا يلقبون هذا
الملك بشاهان شاه وتفسيره ملك الملوك ومنزلته من العالم
منزلة القلب من جسد الانسان والواسطة من القلادة ثم يتلوه ملك
الهند وهو ملك الحكمة وملك الفيلة لان عند ملوك الاكاسرة
ان الحكمة من الهند بدت ثم يتلو ملك الهند في المرتبة ملك الصين
وهو ملك الرعاية والسياسة واتقان الصنعة وليس في ملوك
العالم اكثر رعاية وتفقدا من ملك الصين لرعيته من جنده
وعوامه وهو ذو باس شديد وقوة ومنعة له من الجيوش المتبعة
والكراع والسلاح واجناده ذوو ارزاق كفعل ملك بابل ثم يتلو
ملك الصين ملك من ملوك الترك صاحب مدينة كوشان وهو
ملك الطغزغز من الترك ويدعى ملك السباع وملك الخيل اذ ليس
في ملوك العالم اشد باسا من رجاله ولا اشد استيسادا منه
على سفك الدماء ولا اكثر خيلا منه ومملكته فيما بين بلاد الصين
ومفاوز خراسان ويدعى بالاسم الاعم ايرخان وللترك ملوك
كثيرة ذوو اجناس مختلفة لا ينقادون الى ملك الا انه ليس فيهم من
يداني ملكه ثم ملك الروم ويدعى ملك الرجال وليس في ملوك
العالم اصبح من رجاله ثم تتساوى ملوك العالم في الرتب وتتقارب
مراتبها وقد قال ذو عناية باخبار العالم وملوكه في شعر له
يصف جملا من مراتب الملوك للعالم ومما ايم فيه شعر

الدار داران ايوان وغمدان ، والملك ملكان ساسان وقحطان
والارض فارس والاقليم بابل والا ، سلام مكة والدنيا خراسان
والجانبان العليان الذان خشنا ، منها بخارى وبلخ الشاه داران
والبيلقان وطبرستان بادرة ، والديلم واخاها والجيل جيلان
قد رتب الناس جملا في مراتبهم ، فمرزبان وبطريق وطرخان
فالروم قيصرها والفرس كسروها ، والحبش النجاشي والترك خاقان

وصاحب صقلية وافريقية وبلاد المغرب قبل ظهور الطالبيين
كان يدعى جرجير وصاحب الاندلس يدعى لذريق هذا كان اسم
سائر ملوك الاندلس وقد قيل انهم كانوا من الاشبان وهي امة من
ولد يافث بن نوح واضمحلت هنالك والامة غير من سكن الاندلس

من المسلمين

من المسلمين ان لذريق كان من الجلالقة وهم نوع من الافرنج وآخر لذريق
كان من ملوك الاندلس الذي قتله طارق مولى موسى بن نصير حين افتتح
بلاد الاندلس ودخل الى مدينة طليطلة وكانت قصبة الاندلس ودار مملكتهم
وبينهما نهر عظيم يدعى الابرة يخرج من بلاد الجلالقة والوشكند
وهي امة عظيمة لهم ملك ولهم حرب لاهل الاندلس كالجلالقة والافرنجة
ويصب هذا النهر الى بحر الروم وهو نهر موصوف من انهار العالم وعليه
في وسط مدينة طليطلة قنطرة السيف بنتها ملوك سالفة
وهي من البنيان المذكور الموصوف والبناء العجيب من نظر بحسنه من الثغر
الجزيرة مما يلي شميساط بلاد سرحه ومدينة طليطلة ذات منعة
وعليها اسوار منيعة وقد كان اهلها بعد الفتح وصارت لبني امية
عصوا على الامويين فاقامت مدة سنين ممتنعة لا سبيل للامويين
عليها فلما كان بخمس عشرة والثلاث مائة افتتحها عبد الرحمن بن محمد
ابن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن
ابن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم وعبد الرحمن
هذا هو صاحب الاندلس في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلثين وثلثمائة
وقد كان هدم كثيرا من بنيان هذه المدينة حين افتتحها وصارت دار
مملكة الاندلس قرطبة الى هذا الوقت ومن قرطبة الى طليطلة نحو من
سبع مراحل ومن قرطبة الى البحر مسيرة نحو من ثلاثة ايام ولهم على
يوم من ساحل البحر مدينة يقال لها اشبيلية وبلاد الاندلس
يكون مسيرة عمائرها ومدنها نحوا من شهرين ولهم من المدن الموصوفة نحو من
اربعين مدينة ويدعى بنو امية بها ببني الخلائف ولا يخاطبون
بالخلفاء لان الخلافة لا تستحقها عندهم الا من كان ملكا على الحرمين ويخاطب
يا امير المومنين وكان عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك
ابن مروان سار الى الاندلس في سنة تسع وثلاثين ومائة فملكها
ثلاثا وثلاثين سنة واربعة اشهر ثم هلك فملكها ابنه هشام
ابن عبد الملك سبع سنين ثم ملكها ابنه الحكم بن هشام نحوا
من عشرين سنة وولده ولد ولده بها اليوم على ما ذكرنا ان صاحبها
عبد الرحمن بن محمد وقد كان عمه عبد الرحمن في هذا الوقت
فتاه الحكم احسن الناس سيرة واجملهم عدلا وقد كان عبد الرحمن
صاحب الاندلس في هذا الوقت المتقدم ذكره غزا سنة سبع
وعشرين وثلاث مائة في ازيد من مائة الف من الناس فنزل
على دار مملكة الجلالقة وهي مدينة يقال لها سمورة عليها سبعة
اسوار من عجيب البنيان قد احكمته الملوك السالفة بين الاسوار

فصلان وخنادق ومياه واسعه فافتتح منها سودين
ثم ان اهلها نابوا على المسلمين فقتلوا منهم من ادركه الاحصا
وممن عرف اربعون الفا وقيل خمسين الفا وكانت الجلالقه
والوشكند على المسلمين واخذ ما كان بايدي المسلمين من
مدن الاندلس وثغورها مما يلي الافرنجه مدينة اربونه
خرجت عن ايدي المسلمين سنه ثلثين وماية مع غيرها
مما كان في ايديهم من المدن والحصون وبقي بيد المسلمين في
هذا الوقت وهو سنه ست وثلثين وثلثماية مشرق الاندلس
طرطوشه على ساحل بحر الروم ثم مما يلي طرطوشه اخذا في الشمال
افراغه على نهر عظيم ثم لارده ثم تلي هذه الثغور الى
الافرنجه وهي اضيق مواضع الاندلس وقد كان قبل الثلثماية
ورود الى الاندلس مراكب في البحر فيها الوف من الناس فاغارت
على سواحلهم فزعم اهل الاندلس انهم امة من المجوس تطرا اليهم
في هذا البحر في كل ماتين من السنين وان وصولهم الى بلادهم
من خليج يعترض من بحر اقيانس وليس من الخليج الذي عليه
المنارة النحاس وارى والله اعلم ان هذا الخليج متصل
ببحر مانطس ونيطس وان هذه الامم هم الروس الذي
قدمنا ذكرهم فيما سلف من هذا الكتاب اذ كان لا يقطع هذه
البحار المتصله ببحر اقيانس غيرهم وقد اصيب في البحر
الرومي فيما بين جزيرة اقريطش الواح المراكب الساج المثقبه
المخيطه بليف النارجيل من مراكب قد عطبت تقاذفت بها
الامواج في مياه البحار ومثل هذا لا يكون الا في البحر الحبشي
لان مراكب البحر الرومي والعرب كلها ذوات مسامير ومراكب
البحر الحبشي لا تثبت فيها مسامير الحديد لان ماء البحر
يذيب الحديد فترق المسامير في الالواح وتضعف فاتخذ
اهلها الخياطه بالليف بدلا منها وطليت بالشحم والنوره
فهذا يدل والله اعلم على اتصال البحار وان البحر مما يلي الصين
وبلاد السيلا يدور على بلاد الترك ويفضي الى بحر المغرب
من بعض خلجان اقيانس المحيط وقد كان وجد بساحل بلاد
الشام عنبر قذف به البحر وهذا مستنكر في البحر الرومي
الذي لم يعهد فيه من قديم الزمان مثله وعلى انه يكون
سبيل وقوع العنبر الى هذا البحر سبيل ما ذكرناه من الواح
مراكب البحر الصيني والله اعلم بكيفية ذلك والعنبر كثير

ببحر الاندلس يجهز الى مصر وغيرها ويحمل الى قرطبه من ساحل يقال له شنترين
وشذونه تبلغ الاوقيه منها بالاندلس ثلاثة مثاقيل ذهب
والاوقيه بالبغدادي وتباع بمصر الاوقيه بعشرة دنانير وهو عنبر
جيد ويمكن ان يكون هذا العنبر الواقع الى بلاد الروم ضربته الامواج
من بحر الاندلس الى هذا البحر لاتصال الماء وبالاندلس معدن
عظيم للفضه ومعدن للزيبق ليس بالجيد يجهز الى سائر
ارض الاسلام والكفر وكذلك يحمل من بلاد الاندلس الزعفران
وعروق الزنجبيل واصول الطيب خمسة اصناف المسك والزعفران
والكافور والعود والعنبر فيوجد بارض الزنج والشحر
والاندلس وانواع الافاويه خمسة وعشرون صنفا وهي
السنبل والقرنفل والصندل والجوزبوا والورد والسليخه
والزرنب والقرفه والعرعره والقاقله والكبابه والهال بو
وحب الميسم والمعنده والمحلب والورس والقسط
والاظفار والمر في الصموغ واللاذن والميعه والقبيل
وقصب الذريره والذبابه وقد اتينا على وصف المعادن
من الفضه والذهب والزيبق وسائر انواع الطيب في كتابنا في
اخبار الزمان فاغنى ذلك عن الاعاده من وصفه في هذا الكتاب
ولبحر المغرب اخبار عجيبه فيما قرب منه من عمائر
السودان واقصى ارض المغرب وقد ذكر ذو العنايه بشان
العالم ان ارض الحبشه وسائر السودان لها مسيرة سبع
سنين وان ارض مصر جزو واحد من ستين جزوا من ارض السودان
وان ارض السودان جزو واحد من الارض كلها والارض كلها مسيرة
خمسمايه عام ثلث عمران مسكون ماهول وثلث براري
غير مسكونه وثلث بحار وتتصل اقاصي السودان العراه باقاصي
بلاد ادريس بن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن
ابن علي بن ابي طالب من ارض المغرب وهي بلاد تلمسان وتاهرت
وبلاد فاس ثم السوس الادنى وبين السوس الادنى وبين
بلاد القيروان نحو الفي ميل وثمانماية ميل وبين السوس الاقصى
والسوس الادنى من المسافه نحو عشرين يوما عمائر متصله الى ان
تتصل ذلك بوادي الرمل والقصر الاسود ثم يتصل ذلك بمفازة الرمل
التي فيها المدينه المعروفه بمدينة النحاس وقصور الرصاص التي صار
اليها موسى بن نصير في ايام عبد الملك بن مروان وما راى فيها
من العجائب وقد ذكر ذلك في كتاب يتداوله الناس وقد قيل انه في

[كلها تحمل من ارض الهند وما اتصل بها الا الزعفران والعنبر]

ذلك مفاوز تتصل ببلاد الاندلس وهي الارض الكبيرة وقد كان
ميمون بن عبد الوهاب بن رستم الفارسي وهو اباضي المذهب وهو
انشا في ذلك البلد مذهب الخوارج وقد قيل انهم من بقايا
الاشبان عمرة تلك الديار وكانت له حروب مع الطالبيين وقد
ذكرنا فيما ورد من هذا الكتاب تنازع الناس في الاشبان ومن
قال انهم من العرب نافلة من ولد اصبهان وفي هذا الصقع من بلاد
المغرب خلق من الصفرية الخوارج لهم مدن مدينة مثل مدينة
درعة وفيها معدن كثير الفضة وهو مما يلي الجنوب وتتصل ببلاد
الحبشة والحرب بينهم سجال وقد ذكرنا في كتابنا في اخبار الزمان
حروب المغرب ومدنه ومن سكنها من الخوارج الاباضية والصفرية
ومن سكن المغرب من المعتزلة وما بينهم وبين الخوارج من الحروب
وذكرنا خبر الاغلب التميمي وتولية المنصور له على المغرب ببلاد
افريقية وما كان من امره في ايام الرشيد وتداول ولده بلاد
افريقية وغيرها من بلاد المغرب الى ان ينتهي الامر الى مضر زيادة
الله بن عبد الله بن ابرهيم بن احمد بن الاغلب بن ابرهيم بن محمد بن الاغلب
ابن سالم بن سوادة فاخرجه عنها ابو عبد الله المحتسب الصوفي
الداعية لصاحب المهدية حتى ظهر في ايامه وغيرها من جبال البربر
وذلك في سنة سبع وتسعين ومايتين في ايام المقتدر ومسيره
الى الرافقة وكان هذا المحتسب من مدينة رامهرمز من
كور الاهواز ونعود الى ذكر مراتب الملوك ونحو ما يلي من الممالك
على البحر الحبشي الذي شرعنا في وصف من عليه فنقول
ملك الزنج وقليمي ملك اللان كركنداج ملك الخزر من
بني نصر المعاصر والمادرة ملك جبال طبرستان كان يدعا
مادان والجبل المعروف بروىلد الى هذا الوقت ملك الهند
البلهري ملك منتوج من ملوك السند بروزه باسم ملوكهم وقد
صارت اليوم في حيز الاسلام وهي من اعمال المولتان ومن هذه
المدينة يخرج احد الانهار التي اذا اجتمعت كانت نهر مهران
السند الذي زعم الجاحظ انه من النيل وغيره انه من جيحون
خراسان وبروزه هذا الذي هو ملك القنوج هو ضد البلهري
ملك الهند وملك القندهار من ملوك السند وجبالها بحي
بح وهذا اسم الاعم في بلاده يخرج النهر المعروف رايد
وهو احد الانهار الخمسة التي منها نهر السند منها والقندهار بلاد
الرهبوط ونهر الخمسة يخرج من بلاد السند وجبالها يعرف

بهاطل

بهاطل ويجتاز ببلاد الرهبوط وهي بلاد القندهار والنهر الرابع يخرج
من بلاد كابل وجبالها وهي تخوم السند مما يلي بلاد بست وغزنين
ويعبر والرخج وبلاد الداور مما يلي سجستان والنهر الخمسة يخرج من
بلاد قشمير وملك قشمير يعرف بالراي هذا الاسم الاعم لسائر ملوكهم
وقشمير هذه من ممالك السند وجبالها مملكة حصينة يحوي
ملكها من مدن وضياع على نحو من ستين الفا الى سبعين الفا لا سبيل
لاحد من الناس لبلده الا من وجه واحد ويغلق على جميع ما ذكرنا
من المملكة باب واحد لان ذلك في جبال شوامخ ذات منعة لا سبيل
للرجال ان يتسلقوا عليها ولا للوحش ان يلحق بعلوها ولا يلحقها
الا الطير وما لا جبل فيه فاودية وعرة واشجار وغياض وانهار
ذات منعة من شدة الانصباب وما ذكرنا من منعة هذا الجبل
فمشهور بارض خراسان وغيرها من البلاد وذلك احد عجايب الدنيا
واما مملكة بروزه وهو ملك القنوج فان مسافة مملكته نحو من
عشرين وماية فرسخ في مثلها فراسخ سندية الفرسخ ثمانية
اميال بهذا الميل وهذا الملك الذي قدمنا ذكره فيما سلف
ان له جيوشا اربعة على مهاب الرياح الاربع كل ذلك الثغور المسلمين
ويحارب الحبشي البلهري ملك المانكير والجيوش المقيمة يلقاه في
كل وجه من الملوك ويقال ان مملكته يحيط طولها مقدار ما ذكرنا من المسافة
من المدن والقرى والضياع مما يدركه الاحصا والعدد بالف الف
وثمانماية الف قرية بين اشجار وانهار وجبال ومروج وهي
قليل الفيلة من بين الملوك ويسمه لحربه الفا فيل حربية تعال
وذلك ان الفيل اذا كان فارسها ممارسا شجاعا وكان راكبه فارسا
وفي خرطوم الفيل القرطل وهو نوع من السيوف وخرطومه مغشى
بالزرد والحديد وعليه تخافيف قد احاطت بسائر جسمه من
القرن والحديد وكان حوله خمسماية راجل يمنعونه ويحرزونه
من ورائه يحارب ستة الاف فارس ويقاومهم وادناها اذا كان
معه خمسماية راجل كر على خمسة الاف راجل ويدخل ويخرج
ويجال عليها كالرجل على الفرس وهذا رسم فيلها في سائر حروبها
فاما اصحاب المولتان فقد قلنا ان الملك في ولد سامة بن
لوي بن غالب وهو ذو جيوش ومنعة وهو ثغر من ثغور المسلمين
الكبار وحول ثغر المولتان من ضياعه وقراه عشرون وماية الف
قرية مما يقع عليها الاحصا والعدد وفيه على ما ذكرنا الصنم المعروف
بالمولتان يقصده السند والهند من اقصى بلادهم بالنذور من

الاموال والجواهر والعود وانواع الطيب ويحج اليه الالوف من الناس
واكثر اموال صاحب المولتان مما يحمل الى هذا الصنم من الاعواد
الرطبة من العود القماري الخالص الذي يبلغ منه المن مايتي دينار
واذا ختم بالخاتم اثر فيه كما يوثر في الشمع وغير ذلك من العجايب التي تحمل
اليه واذا نزلت الملوك من الكفار على المولتان وعجز المسلمون عن حربهم
هددوهم بكسر هذا الصنم وتعويره فرحلت الجيوش عنهم عند
ذلك وكان دخولي الى بلاد المولتان بعد الثلاث ماية والملك
بها ابو الدلهاث المنبه بن اسد القرشي السامي وكذلك
كان دخولي الى بلاد المنصورة في هذا الوقت والملك عليها ابو المنذر
عمر بن عبد الله ورايت بها وزيره رياحا وابنيه محمدا وعليا
ورايت بها رجلا من العرب سيدا من ساداتها وملكا من ملوكها وهو
المعروف بحمزة وبها خلق من ولد علي بن ابي طالب رضي الله عنه من ولد
عمر بن علي وولد محمد بن علي وبين الملوك المنصورة وال ابي الشوارب
القاضي قرابة ووصلة نسب وذلك ان ملوك المنصورة الذين
الملك فيهم في وقتنا هذا من ولد هبار بن الاسود ويعرفون ببني
عمر بن عبد العزيز القرشي وليس هو عمر بن عبد العزيز بن مروان الاموي
فاذا اجتاز جميع من ذكرنا من الانهار ببلاد من نحو بيت الذهب وهي المولتان ن
اجتمعت بعد المولتان بثلاثة ايام فيما بين المولتان الى المنصورة
في الموضع المعروف بدوشاب فاذا انتهى جميع ذلك الى مدينة
الرور من غربيها وهي من اعمال المنصورة سمي هنالك مهران ثم تشعب
قسمين ويصب كلا القسمين من هذا الماء العظيم المعروف بمهران السند
في مدينة شاكرة من اعمال المنصورة في البحر الهندي وذلك بمقدار علم صح
من يومين من مدينة الديبل والمسافة من المولتان الى المنصورة خمسة
وسبعون فرسخا سندية على ما ذكرنا والفرسخ ثمانية اميال وجميع
ما للمنصورة من الضياع والقرى مما يضاف اليها ثلثماية الف قرية
وزروع واشجار وعمارة متصلة وفيها حروب كثيرة من جنس
يقال لهم الميد وهم نوع من السند وغيرهم من الاجناس وهم
ثغر السند وكذلك المولتان من ثغور السند وما اضيف
اليهما من العماير والمدن وسميت المنصورة باسم منصور بن جمهور
عامل بني امية وللملك المنصورة فيلة حربية وهي ثمانون
فيلا رسمها كل فيل ان يكون حوله على ما ذكرنا خمسماية رجل
وانه يحارب الوفا من الخيل على ما ذكرنا ورايت له فيلين عظيمين

كانا موصوفين عند ملوك السند لما كان عليه من البأس والنجدة والاقدام
على فل الجيوش كان اسم احدهما منقرقلس والاخر حيدره ولمنقرقلس
هذا اخبار عجيبة وافعال حسنة هي مشهورة في تلك البلاد وغيرها
منها ان مات بعض سواسه فمكث اياما لا يطعم ولا يشرب ويبدي
الحنين ويظهر الانين كالرجل الحزين والدموع تجري من عينيه
وتنظر لا ينقطع ومنها انه خرج ذات يوم من دار الفيلة
وحيدره وراءه وباقي الثمانين تبع لهما فانتهى منقرقلس الى شارع
قليل العرض من شوارع المنصورة ففجا في سيره امراة على حين غفلة
منها فلما ابصرت به اندهشت واستلقت على قفاها من الجزع فانكشفت
عنها اطمارها وسط الطريق فلما راى ذلك منقرقلس وقع بعرض الشارع
مستقبلا بجنبه الايمن من وراءه الفيلة ما نعا لهم من النفوذ من اجل
المراة واقبل يشير اليها بخرطومه بالقيام ويجمع عليها اثوابها
ويستر منها ما بدا الى ان استقامت المراة وزحزحت عن الطريق
وعاد اليها رجعة فاستقام الفيل في طريقه واتبعته الفيلة
وللفيلة اخبار عجيبة الحربية والعمالة منها ما يجاذب بجر العجل
ويحمل عليها الاثقال ويستعمل في دوس الارز وغيره من الاقوات
كدرس البقر في البيدر وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب في اخبار الزنج
الفيلة ونحوها في بلاد ما ادري في سائر الممالك اكثر منها ببلاد
الزنج وهي وحشية هنالك فهذا جمل من اخبار ملوك السند
والهند ولغة السند خلاف لغة الهند والسند مما يلي الاسلام
ثم الهند ولغة اهل المانكير وهي دار مملكة البلهري كربيه مضافة
الى السقع وهي كثيرة ولغة ساحلها مثل سيمور وسوباره وتانه
وغير ذلك من مدن الساحل لاريه وبلدهم مضاف الى البحر الذي
هم عليه وهو لاروي وقد تقدم ذكره فيما سلف من هذا
الكتاب وبهذا الساحل انهار عظيمة تجري من الجنوب بالضد من
انهار العالم وليس في انهار العالم ما يجري من الجنوب الى الشمال
الا نيل مصر ومهران السند ويسير من الانهار وما عدا ذلك
من انهار العالم يجري من الشمال الى الجنوب وقد ذكرنا وجه
العلة في ذلك وما قاله الناس في هذا المعنى في كتابنا في اخبار
الزمان وذكرنا ما انخفض من الارض ولم يرتفع وليس في ملوك
السند والهند ممن يعز المسلمين في ملكه فالاسلام في ملكه عزيز
مصون ولهم مساجد مبنية وجوامع معمورة لصلوات المسلمين
ويملك الملك منهم الاربعين سنة والخمسين فصاعدا واهل

مملكته يزعمون انهم انما طالت اعمار ملوكهم لسنة للعدل واكرام م
المسلمين وهو مالك رزق الجنود من بيت ماله كفعل المسلمين
بجنودهم وعندهم دراهم طاطرية زنة الدرهم منها درهم ونصف
سكته بدء تاريخ ملكهم وفيلته الخرس لا تحصى كثرة وتدعي
بلاده ايضا بلاد الكمنكر ويحاربهم ملك الخزر من احدى جهات
مملكته وهو ملك كثير الخيول والابل والجنود ويزعمون انه ليس في
ملوك العالم اجل منه الا صاحب اقليم بابل وهو الاقليم الرابع
وذلك ان هذا الملك ذو نخوة وصولة على سائر الملوك وهو مع
ذلك مبغض للمسلمين وهو كثير الفيلة ومملكته على لسان من الارض
وفي ارضه معادن ذهب وفضة وهي بياعاتهم ثم يلي هذا الملك
ملك الطافن موادع لمن حوله من الملوك موادع للمسلمين وليست
جيوشه كجيوش من ذكرنا من الملوك وليس في نساء الهند احسن
من نسائهم واذكرهن جمالا وبياضا وهن موصوفات الخلوات
مذكورات في كتب الباه واهل البحر يتنافسون في شرائهن يعرفن
بالطافنيات ثم يلي ضد هذا الملك مملكة دهمي وهذه سمة
لملوكهم وهو الاعم من ملوكهم واسمائهم ويتاخمهم ملك الخزر د
وبلده مناخ المملكة ودهمي يحارب البلهري ايضا من احدى جهات
مملكته وهو اكثر جيوشا منه وفيلة وخيولا من البلهري ومن
ملك الخزر ومن ملك الطافن واذا خرج في حروبه فرسمه
ان يكون من خمسين الف فيل ولا يكون حربه الا في الشتاء لقلة
صبر الفيلة على العطش وقلة لبثها والمكثر من الناس يعلو بالقول ل
في كثرة جنوده فيزعمون ان عدد القصارين والغسالين في
عسكره من عشرة الاف الى الخمسة عشر الفا وجميع من ذكرنا من
الملوك كراديس على فرد وبين عشرين الفا ر بعدا وجد كل
وجه من الكردوس خمسة الاف ومملكته ذهبي تعاملهم بالودع ع
وهو مال البلد وفي بلده العود والذهب والفضة والنبات
والثياب التي ليست لغيره دقة ورقة ومن بلده يحمل الشعر
الموصوف بالعمر الذي يتخذ منه المذاب بنصب العاج
والفضة الذي يقوم به الخدم على رووس الملوك في
مجالسها وفي بلده الحيوان المعروف بالنشان المعلم الذي
يسميه عوام الناس بالكركدن وهو معلم جبهته قرن
واحد وهو دون الفيل في الخلقة واكبر من الجاموس الى
السواد وهو يشتر كما يشتر البقر وغيره مما ساء من الحيوان

والفيلة

والفيلة تهرب منه وليس في انواع الحيوان والله اعلم اشد
منه وذلك ان اكثر عظامه صم لا مفاصل لها في قوائمه لا يبرك
ولا يتنوم وانما يكون بين الشجر والاجام مستندا اليها وهند نومه
والهند تاكل من لحمه وكذلك من في بلادهم من المسلمين لانه نوع من البقر
والجواميس والجواميس بارض السند والهند وهذا النوع
من الحيوان وهو النشان يكون في اكثر غابات الهند الا انه في مملكة
دهمي اكثر وقرونه اصفى واحسن وذلك ان قرنه ابيض في وسطه
صورة سوداء في ذلك البياض اما صورة انسان او صورة طاوس ك
مخطط وشكله او صورة سمكة او صورة بنفسه او صورة
نوع من الحيوان مما يوجد في تلك الديار فينشر هذا القرن
ويتخذ منه المناطق والسيور على صورة الحلية من الذهب والفضة
فتلبسه ملوك الصين وخواصهم تتنافس في لبسه وتتبالغ
في اثمانها فتبلغ المنطقة الى دينار الى اربعة الاف فيه معالق
الذهب والفضة وذلك في نهاية الحسن والاتقان وربما
يقع بانواع من الجواهر بقضبان الذهب ووجوه تلك الصور اكثره
بسواد في بياض وربما يوجد في قرونها بياض في سواد وليس
في كل بلد يوجد في قرون النوشان ما ذكرنا من الصور وقد زعم
الجاحظ ان الكركدن يحمل في بطن امه سبع سنين وانه يخرج
راسه من بطن امه فيرعى ثم يدخل راسه في بطنها وهذا القول
اورده في كتاب الحيوان على طريق الحكاية والتعجب فبعثني هذا
الوصف على طريق مسيله من نواحي تلك الديار من اهل سيراف
وعمان ومن رايت بارض الهند من التجار فكل تعجب من قولي
اذا اخبرته بما عندي من هذا وسالته عنه ويخبرني ان حمله وفصاله له
كالبقر والجواميس ولست ادري كيف وقعت هذه الحكاية
للجاحظ امن كتاب نقلها ام مخبر اخبره عنها بها ولزمهي
في ملكه بر وبحر ويلي مملكته ملك لا بحر له يقال له الكامن
واهل مملكته بيض مخرموا الاذان لهم فيلة وابل وخيول
وحسن وجمال الرجال والنساء ثم بعد هذا ملك الفزج وله
بر وبحر وهو على لسان من البر في البحر يقع الى بلده عنبر كثير
وفي بلده فلفل يسير وله فيلة كثيرة ذو باس من الملوك وزهو
وفخر فزهوه اكثر من قوته وفخره اكثر من باسه ثم يلي هذا
الملك ملك الموجة واهل مملكته بيض ذو حسن وجمال غير
مخرمة الاذان لهم خيل كثيرة وعدة منيعة والمسك

في بلادهم كثير على ما قدمنا من غزلانهم ووصف ظبائه على ما سلف
من هذا الكتاب ومن هذه الامم تتشبه باهل الصين في لباسهم
وبلادهم منيعة شواهق بيض لا يعلم بارض السند والهند
وما ذكرنا من هذه الممالك اطول جبال منها ولا امنع وسكانهم موصوفون
مضاف الى بلادهم تتعاده البحريون ممن عني بحمل ذلك وتجهيزه
وهو المسك المعروف بالموجي ثم تلي مملكة الموجة مملكة الماند
ولهم مدن كثيرة وعمائر واسعة وجنود عظيمة وملوكهم تستعمل
الخدم الخصيان في عمالات بلادهم من المعاون وجباية الاموال
والولايات وغيرها كفعل ملوك الصين وعلى حسب ما وصفنا من
اخبارهم والماند مجاورون لمملكة الصين والرسل تختلف
بينهم بالهدايا وبينهم جبال منيعة وعقاب صعبة والماند ناس
عظيمو البطش والقوة واذا دخل رسل ملك الماند مملكة الصين
وكل بهم وبمن يتولاهم يشرفون في بلادهم خوفا ان يقفوا على طرقهم
وعورات بلدهم لكبر الماند في نفوسهم ولمن ذكرنا من الهند والصين
وغيرهم من الامم اخلاق وشيم في المآكل والمشارب والمناكح
والملابس والعلاج والادوية بالكي بالنار وغيره وممن ذكرنا من
جملة من ملوكهم انهم يرون حبس الريح في اجوافهم لانه ذا يدوي
ولا يحتشمون من اظهاره في سائر احوالهم ولذلك فعل حكماؤهم
ويرون ان حبسها داء دوي واطلاقها شفاء منجي وان ذلك العلاج
الاكبر وان فيه راحة لصاحب القولنج المحصور ودواء للسقم المطوي
فليس يحبسون ضرطة ولا يخجلون من فسوة ولا يرون ذلك عيبا
والهند المتقدمون في صنعة الطب ولهم فيه اللطافة والحذق
وذكر بعض المخبرين عن الهند ان السعال عندهم اقبح من الضراط وان
الجشاء في وزن الفساء وان صوت الضرطة داعيها والمذهب عنهما
ريحهما ولست ... هذا المخبر في صحة ما حكاه عن الهند باستفاضة
القوابل لكثير من الناس عنهم حتى ذكر مقالة عنهم في السير
والاخبار والنوادر والاشعار فمن ذلك ما ذكر في القصيدة المعروفة
بساسان الحلل وهو

تدقل ذو العلم الفصيح المهذب ، مقالة الحي فيها عندي ،
لا تحبس الضرطة ما حجرت ، وخلها واطلقها ما انحت ،
فان داء الداء في امساكها ، والروح والراحة في فكها ،
والقبح في السعال لا الضراط ، ،
اما الجشاء فنساء صاعد ، ونتنه على الفساء زائد ،

وان الريح

وان الريح واحدة في الجوف وانما اختلفت اسماؤها باختلاف مخارجها
فما يذهب للصعد يسمى جشاء وما يذهب سفلا يسمى فساء ولا فرق
بين الريحين الا باختلاف المخرجين وكما تقول الصفعة واللطمة
لان اللطمة في الوجه والصفعة في القفا ومخرج الزجر والحجم
واحدة وانما اختلفت اسماؤها لاختلاف الموضعين وتباين المكانين
وانما الحيوان الناطق انما كثرت علله وترادفت آلامه وانقطعت
امراضه كالقولنج واوجاع المعدة من عوارض تحبس الداء
في جوفه وتركه اظهاره في حال هيجانه ونزوع الطبيعة لدفعه
فاخرجه وان سائر الحيوان غير الناطق انما بعد عما ذكرناه من
الآفات والمعرضات من العاهات لسرعة خروج ما يعرض ويتولد
من الادواء في اجوافها وعدم احتباسها في وعائها ولان الفلاسفة
والمتقدمين من الحكماء واليونانيين كديمقراطيس وفيثاغورس
وسقراط وبقراط وديوجانس وغيرهم من حكماء الامم لم
يكونوا يرون حبس شيء من ذلك لعلمهم بما يتولد من
آفاته وما يعرض ويؤول اليه في متعقباته ولان كل ذلك
يجد في نفسه حس وان ذلك يعلم بالطبع ويدرك
بغير العقل وانما استقبح ذلك ناس من اصحاب الشرائع
ومنعت منه العقلاء ولمحه في عاداتهم قال المسعودي
وقد اتينا على اخبارهم وما اجملناه من ذكر شيمهم وعجائب
سيرهم ومتصرفاتهم في كتابينا اخبار الزمان والاوسط
وكذلك اتينا على ذكر اخبار المهراج ملك الجزائر والطيب
والافاويه مع سائر ملوك الهند ومع القمار وغيرهم من
ملوك الجبال مما قابل هذه الجزائر كالزابج وغيرها من جبال
الصين واخبار ملوك الصين وملك سرنديب مع ملك
منصورة بتي وهي بلاد مقابلة لجزيرة سرنديب ومقابلة
بلاد قمار لجزائر المهراج من الزابج وغيرها وكل ملك على
بلاد منصورة بتي يسمى الفاندي وسنأتي بجمل من اخبار
ملوك الشرق والغرب واليمن والجنوب فيما بعد من هذا
الكتاب من اخبار ملوك اليمن والفرس والروم واليونانيين والعرب
ولنوع الحبشة والسودان وملوك الاندلس وغير ذلك
من اخبار العالم وعجائبه ذكر جبل القبخ واخبار الامم من
اللان والخزر وانواع من الترك والبلغر واخبار
الباب والابواب ومن حولهم من الملوك والامم

ودفع ألمه

كل ذي حس

اما جبل الفتح فهو جبل عظيم وصقعه صقع جليل قد
اشتمل على كثير من الممالك والامم وفي هذا الجبل اثنان
وسبعون امة كل امة لها ملك ولسان بخلاف لغة غيرها
وهذا الجبل ذو شعاب واودية ومدينة الباب
والابواب على شعب من شعابه بناها كسرى انوشروان وجعلها
بينه وبين البحر المعروف بالخزر وجعل هذا السور في
جوف البحر على مقدار ميل منه مادا الى البحر ثم على جبل
الفتح مادا في اعاليه ومنخفضاته وشعابه نحوا من اربعين فرسخا
الى ان ينتهي ذلك الى قلعة يقال لها طبرستان وجعل على كل ثلثة
اميال من هذا السور او اقل او اكثر على حسب الطريق الذي
جعل الباب من اجله بابا من حديد واسكن فيه من داخله على
كل باب امة تراعي ذلك الباب وما يليها من السور كل ذلك لدفع
اذى الامم المتصلة بذلك الجبل من الخزر واللان وانواع الترك
والسرير وغيرهم وانواع الكفار وجبل الفتح يكون في
المسافة علوا وعرضا نحوا من شهرين او اكثر عليه وحوله امم
لا يحصيهم الا الخالق عز وجل احد شعابه يلي بحر الخزر مما يلي الباب والابواب
على ما ذكرنا ومن شعابه مما يلي بحر مانطس المقدم ذكره فيما
سلف من هذا الكتاب الذي ينتهي اليه خليج القسطنطينية
وعلى هذا البحر طرابزندة وهي مدينة على شاطئ هذا البحر
لها اسواق في السنة ياتي اليها كثير من الامم للتجارة من المسلمين
والروم والارمن وغيرهم من بلاد كشك ولما بنى انوشروان هذه
المدينة المعروفة بالباب والابواب والسور في البر والبحر
والجبل واسكن هنالك امما من الناس وملوكا جعل لهم مراتب
فرسم لكل سمة وحد لهم حدا على فعل اردشير بن بابك حين
رتب ملوك خراسان فممن رتب ملوك خراسان ممن رتبهم
انوشروان من الملوك في بعض هذه البقاع والمواضع مما يلي
بلاد الاسلام بلاد برذعة ملكا يقال له شروان ومملكته
مضافة الى اسمه فيقال له شروان شاه كل ملك يلي هذا الصقع
يسمى شروان وكون مملكته في هذا الوقت وهو سنة اثنين
وثلثين وثلثمائة نحو شهر لانه كان قد تغلب على مواضع من التي
رسمت له انوشروان فاضافها الى مملكته والملك في هذا الوقت
المورخ والله اعلم مسلم يقال له محمد بن يزيد وهو من ولد بهرام
جوبين وكذلك صاحب خراسان في هذا الوقت المورخ وهو

اسمعيل

اسمعيل بن احمد واسماعيل من ولد بهرام جوبين لا اختلف فيما ذكرنا
من تشعب انسابهم ووصفنا وكذلك ملك السرير من ولد بهرام جوبين
وقد تملك محمد بن يزيد هذا وهو شروان على مدينة الباب
والابواب ولم يبعد موت صاحبها يقال له عبد الملك بن هشام
وكان رجالهم الانصار وكان فيهم وفي سلفه امر الباب والابواب
وقد كانوا قطنوا في تلك الديار منذ ايام دخلها مسلمة بن
عبد الملك وغيره من امراء الاسلام في صدر الزمان ويلي مملكة
شروان مملكة تعرف بجبل الفتح يقال لها لايران وملكها
يدعى لايران شاه وقد غلب على هذه المملكة في هذا الوقت
شروان وهو محمد بن يزيد على ما ذكرنا وقد غلب ايضا شروان
على مملكة تعرف يقال لها مملكة الموقانية والمعول في ملكه على
مملكة الذكر وهي امة لا تحصى عددا ساكنة في اعالي هذه
الجبال ومنهم جهال لا انقياد لهم الى ملك شروان يقال لهم الدرابغة
جاهلية لا يرجعون الى ملة ولهم اخبار ظريفة في المناكح والمعاملات
وهذا الجبل ذو اودية وشعاب وفجاج وفيه امم لا يعرف
بعضها بعضا من خشونة هذا الجبل وامتناعه وذهابه في الجو
وكثرة غياضه واشجاره وتسلسل المياه من اعاليه وعظم صخوره
واحجاره وغلب هذا الرجل المعروف بشروان على ممالك كثيرة
من هذا الجبل كان يسميها انوشروان وغيره ممن رتبه هنالك
فاضافها محمد بن يزيد هذا الى ملكه منها خراسان شاه وايران شاه
وسندان شاه وبعد هذا الموضع تغلبه على مملكة شروان وقد قيل ذلك
على الايران وهو ولهم من قبل ذلك في سائر الممالك ويلي مملكة
شروان مملكة طبرستان وهو في هذا الوقت مسلم وهو ابن اخت
عبد الملك الذي كان امير الباب والابواب والى الامم المتصلة
بالباب والابواب وسادة اهل الباب والابواب منهم مملكة
يقال لها حيدان وهذه الامة داخلة في جملة ملوك الخزر
ثم يلي حيدان مملكة الخزر وقد كانت دار مملكتها مدينة
على ثمانية ايام من مدينة الباب يقال لها سمندر وهي اليوم
يسكنها خلق من الخزر وذلك انها افتتحت في بدء الزمان
على يد سلمان بن ربيعة الباهلي رضي الله عنه فانتقل الملك
الى مدينة اتل وبينها وبين الاولى سبعة ايام والى الذي
يسكنها ملك الخزر في هذا الوقت هي ثلث قطع يقسمها نهر
عظيم يرد من اعالي بلاد الترك ويتشعب منه شعبة نحو بلاد

البرغز ويصب في بحر نيطس وهذه المدينة جانبان في وسط
هذا النهر جزيرة فيها دار الملك وقصر الملك في طرف هذه الجزيرة ولها
جسر الى احد الجانبين من سفن وفي هذه المدينة خلق من المسلمين والنصارى
واليهود وجاهلية فاما اليهود فالملك وحاشيته والخزر
من جنسه وقد كان تهود ملك الخزر في خلافة الرشيد وقد انضاف
اليه خلق من اليهود وردوا اليه من سائر امصار المسلمين ومن بلاد الروم
وذلك ان ملك الروم نقل من كان في مملكته من اليهود الى دين النصرانية
واكرههم وهو ارمانوس ملك الروم في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين
وثلاثمائة وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب لمعنى اخبار ملوك
الروم واعدادهم وخبر هذا الملك ومن شاركه في ملكه في هذا الوقت
المورخ فتهارب خلق من اليهود من ارض الروم الى ارض الخزر على ما وصفنا
وكان لتهود ملك الخزر خبر ليس هذا موضع ذكره وقد ذكرناه
فيما سلف من كتبنا فاما من في بلاده من الجاهلية فاجناس منهم صقالبة
وروس وهم في احد جانبي هذه المدينة ويحرقون موتاهم ودوابهم
والالة والحلي واذا مات الرجل احرقت معه امراته وهي في الحياة
وان ماتت المراة لم يحرق الرجل وان مات منهم عزب زوج بعد
وفاته والنساء يرغبن في تحريق انفسهن لدخولهن عند انفسهن
الجنة وهذا فعل من افعال الهند على حسب ما ذكرناه انفا الا ان
الهند ليس من شانها ان تحرق المراة مع زوجها الا ان ترى المراة
ذلك والغالب في هذا البلد المسلمون لانهم جند الملك وهم
يعرفون في هذا البلد بالارسية وهم ناقلة من نحو بلاد خوارزم
وكان في قديم الزمان بعد ظهور الاسلام وقع في بلادهم جدب
ووباء فانتقلوا الى مملكة الخزر وهم ذوو باس وشدة عليهم يعول
ملك الخزر في حروبه فاقاموا في بلده على شروط بينهم احدها
اظهار الدين والمساجد والاذان وان تكون وزارة الملك
فيهم فالوزير في وقتنا هذا منهم وهو احمد بن كويه وانه متى كان
لملك الخزر حرب مع المسلمين وقفوا في عسكره منفردين عن غيرهم
لا يحاربون اهل ملتهم ويحاربون معه سائر الناس من الكفار
ويركب منهم مع الملك في هذا الوقت نحو من سبعة الاف ناشب
بالجواشن والدروع ومنهم رامحة ايضا على حسب ما في المسلمين
من الات السلاح ولهم قضاة مسلمون والذي في دار مملكة الخزر ان
يكون فيها قضاة سبعة اثنان منهم للمسلمين واثنان للخزر
يحكمون بحكم التوراة واثنان لمن بها من النصرانية يحكمون بحكم

قدمه

الانجيل

الانجيل وواحد منهم للصقالبة والروس وسائر الجاهلية يحكمون
بحكم الجاهلية وهي قضايا عقلية فاذا ورد ما لا علم لهم به
من النوازل العظام اجتمعوا الى قضاة المسلمين فتحاكموا اليهم
وانقادوا لما يوجبه شريعة الاسلام وليس في ملوك الشرق
في هذا الصقع جند مرتزقة غير ملك الخزر وكل مسلم يعرف
باسم هولاء القوم الارسية والروس والصقالبة الذين ذكرنا
انهم جاهلية هم جند الملك وعبيده وفي بلده خلق من المسلمين
تجار وصناع غير الارسية نزوا الى بلاده لعدله وامنه ولهم
مسجد جامع والمنارة تشرف على قصر الملك ولهم مساجد اخر
فيها الكتاتيب تعلم فيها الصبيان القرآن فاذا اتفق المسلمون
ومن بها من النصارى لم يكن للملك بهم طاقة قال المسعودي
وليس اخبارنا عن ملك الخزر نخبر به بخاقان وذلك
ان في مملكة الخزر خاقان ورسمه ان يكون في يد ملك الخزر
هو غيره او في داره فخاقان في جوف قصر لا يعرف الركوب
ولا الظهور للخاصة ولا للعامة ولا الخروج من مسكنه معه
حرمه لا يامر ولا ينهي ولا يدبر من امر الملك شيا ولا تستقيم مملكة
لملك الخزر الا بخاقان يكون عنده في دار مملكته ومعه في
قصره فاذا اجدبت ارض الخزر او نابت بلادهم نائبة
او توجهت عليهم حرب لغيرهم من الامم او فاجاهم امر من الامور
نهضت العامة والخاصة الى ملك الخزر فقالوا له قد تطيرنا
بهذا الخاقان وبايامه وتشاءمنا به فاقتله او فاسلمه الينا
نقتله فربما اسلمه اليهم فقتلوه وربما تولى هو قتله وربما رق
له فدافع عنه بلا جرم استحقه ولا ذنب اتاه ولست ادري
في قديم الزمان كان ذلك ام حدث وانما ينصب خاقان
هذا من اهل بيت بعينهم ارى ان الملك كان فيهم قديما
والله اعلم وللخزر زوارق يركب فيها الركاب في نهر فوق
المدينة يصب الى نهرها واعاليه يقال له برطاس عليه امم
من الترك حاضرة داخلة في جملة ملك الخزر وعمائرهم متصلة
بين مملكة الخزر والبرغز ويرد هذا النهر من نحو بلاد البرغز
وتختلف السفن فيه بين البرغز والخزر وبرطاس امة من
الترك على ما ذكرنا انفا على هذا النهر المعروف بهم ومن بلادهم
تحمل جلود الثعالب السود والحمر التي تعرف بالبرطاسية يبلغ
الجلد منها مائة دينار واكثر من ذلك وذلك من السود والحمر اخفض

نزع منه

ملك الخزر

ثمنا منها ويلبس السود منها ملوك العرب والعجم ويباهي بلبسه
وهو اغلا عندهم من السمور والفنك وما شاكل ذلك ويتخذ
الملوك منه القلانس والخفاتين ومتعدد في الملوك من له
خفتان او دواج مبطن بهذه الثعالب السود البرطاسية
وفي اعالي نهر الخزر مصب يتصل بخليج من بحر نيطس
وهو بحر الروس لانه لا يسلكه غيرهم وهم على ساحل من سواحله
وهم امة عظيمة لا انقياد لملك ولا الى شريعة وفيهم تجار
يختلفون الى ملك البرغز والروس في ارضهم معدن من
فضة كثير نحو معدن الفضة الذي بجبل خراسان ومدينة
البرغز على ساحل بحر مانطس واري انهم في [illegible]
الاقليم السابع وهم نوع من الترك والقوافل متصلة منهم
الى بلاد خوارزم من ارض خراسان ومن خوارزم اليهم الا ان
ذلك بين بوادي غيرهم من الترك والقوافل محفوظة منهم وملك
البرغز في وقتنا هذا وهو سنة اثنين وثلثين وثلثماية مسلم
اسلم في ايام المقتدر بالله بعد العشر والثلثماية لرؤيا
راءها وقد كان حج ولد له فورد بغداد وحمل معه المقتدر لواء
وسوادا ومالا وله جامع وهذا الملك يغزوا بلاد
القسطنطينية في نحو خمسين الف فارس فصاعدا ويشن
الغارات حولها الى بلاد رومية والاندلس وارض برجان
والجلالقة والافرنجة ومنه الى القسطنطينية نحو من
شهرين متصلين عماير ومفاوز وقد كانوا المسلمون حين
غزوا من بلاد طرسوس من الثغر الشامي غزاة حرفيه مع
امير الثغور علي الخادم المعروف بالرقصي ومن كان معه من مراكب
الشاميين والبصريين سنة اثنتي عشرة وثلثماية وقطعوا فم
خليج القسطنطينية وفم خليج اخر من البحر الرومي لا منفذ
له واتوا الى بلاد فندية واتاهم في البر جماعة من البرغز
ليتجدوهم واخبروهم ان ملكهم بالقرب ومنه ايدل على ما وصفنا
من ان البرغز تتصل سراياهم الى بحر الروم وقد كان
نفر منهم قد ركبوا الى مراكب الطرسوسيين فاتوا معهم بلاد
طرسوس معهم والبرغز امة عظيمة منيعة شديدة الباس
ينقاد اليها من جاورها من الامم والفارس منهم ممن قد اسلم مع
ذلك الملك يقاتل المائة والمائتين من فرسان الكفار ولا يمتنع
اهل القسطنطينية منهم في هذا الوقت الا بسورها وكذلك

كل من في ذلك الصقع لا تمتنع منهم الا بالحصون والجدران والليل
في بلاد البرغز في نهاية القصر سائر السنة ومنهم من يزعم ان
احدهم لا يستطيع ان ينزع من طبخ قدره حتى ياتي الصباح
وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا علة ذلك من الوجه الفلكي وعلة
الموضع الذي يكون الليل فيه ستة اشهر متصلة لا انفصال
لانهار فيها والنهار ستة اشهر متصلة لا ليل فيها وذلك
بحد الجدي وقد ذكر اصحاب النجوم في الزيجات علة ذلك
من الوجه الفلكي والروس امم كثيرة ذوات انواع شتى فمنهم
لس — جنس يقال اللوذعانة يختلفون بالتجارة الى بلاد الاندلس
ورومية والقسطنطينية والخزر وقد كان بعد الثلثمايه
ورد لهم نحو خمسماية مركب في كل مركب ماية نفس فدخلوا
خليج نيطس المتصل بنهر الخزر وهنالك رجال لملك
الخزر مرتبون بالعدد القوية يصدون من يرد من ذلك البحر
ومن يرد من ذلك الوجه من البر الذي شعبه من بحر الخزر يتصل
ببحر نيطس وذلك ان بوادي الترك الغز ترد الى ذلك
البر فتشتي هنالك فربما جمد هذا الماء المتصل من
نهر الخزر الى خليج نيطس فيعبر الغز عليه بخيولها وهو ماء
عظيم فلا ينخسف من تحتهم لشدة استحجاره فتعبر
على بلاد الخزر فربما خرج اليهم ملك الخزر اذا عجز من هنالك
من رجاله المرتبين عن دفعهم فمنعهم العبور على ذلك الجمد ودفع
عن مملكته واما في الصيف فلا سبيل للترك الى العبور عليه فلما
ان وردت مراكب الروس الى رجال الخزر المرتبين على فم الخليج راسلوا
خلون — ملك الخزر في ان يجتازوا ببلاده ويتحدروا في نهره ويدخلوا
في بحر الخزر الذي هو بحر جرجان وطبرستان وغيرهما من
الاعاجم على ما ذكرناه على ان يعطوه النصف مما يغنمون ممن
هنالك من الامم على ذلك البحر فاباح لهم ذلك فدخلوا
الخليج واتصلوا بمصب النهر وصاروا اصعدين في
تلك الشعبة من الماء حتى وصلوا الى نهر الخزر وانحدروا
النهر صح — فيه الى مدينة اتل وهو نهر عظيم واجتازوا بها وانتهوا
الى فم النهر ومصبه الى البحر الخزري ومن مصبه الى مدينة اتل
وهو نهر عظيم وماء كثير فانتشرت مراكب الروس في هذا
البحر وطرحت سراياها الى الجيل والديلم وبلاد طبرستان
وابسكون وهي ساحل جرجان وبلاد النفاطة ونحو بلاد

اذربيجان وذلك ان من مدينة اردبيل من بلاد اذربيجان الى هذا
البحر نحو من ثلاثة ايام فسفكت الروس الدما واستباحت الاموال ل
والولدان وغنمت الاموال وشنت الغارات ولعرقت
فضج من حول هذا البحر من الامم لانهم لم يكونوا يعهدون
في قديم الزمان عدوا يطرقهم فيه وانما يختلف فيه مراكب
التجار والصيد فكانت لهم حروب مع الجيل والديلم
ومع قايد لابن ابي الساج واتوا الى النفاطة من مملكة شروان ن
المعروفة بباكه فكانت الروس تاوي عند رجوعها من
سواحل البحر الى جزاير تقرب من النفاطة وعلى اميال منها
وكان ملكهم يوميذ علي بن الهيثم فاستعد الناس
وركبوا في مراكب وقوارب التجار وساروا نحو تلك الجزاير
فمالت عليهم الروس فقتلوا من المسلمين وغرق الوف
واقام الروس شهورا كثيرة في هذا البحر على ما وصفنا
لا سبيل لاحد ممن جاور هذا البحر اليهم والناس
متاهبون لهم حذرون منهم لانه بحر عامر بمن حوله من الامم فلما
غنموا وسبوا نساهم بعد ساروا الى فم نهر الخزر ومصبه
فيه وراسلوا ملك الخزر وحملوا اليه الاموال
والغنايم على ما اشترط عليهم وملك الخزر لا مراكب له ولا رجاله
بها عاده ولولا ذلك لكان على المسلمين منه آفة عظيمة
وعلمت بشانهم الارسية ومن في بلاد الخزر من المسلمين
فقالوا لملك الخزر خلنا وهولاء فقد اغاروا على بلاد
اخواننا المسلمين وسفكوا الدماء وسبوا النساء والذراري دري
فلم يمكنه منعهم وبعث الى الروس فاعلمهم بما قد عزم عليه المسلمون
من حربهم وعسكر المسلمون وخرجوا يطلبونهم منحدرين
مع الما فلما وقعت العين على العين خرجت الروس
عن مراكبها وصافوا المسلمين وكان مع المسلمين خلق من النصارى
المقيمين بمدينة اتل فكان المسلمون في نحو من خمسة عشر الفا
بالخيول والعدد فاقامت الحرب بينهم ثلاثة ايام ونصر الله
المسلمين عليهم فاخذتهم السيوف فمن قتيل وغريق وكان قتلاهم
نحو من خمسة الاف فارس وركب باقيهم في المراكب الى ذلك الجانب
مما يلي بلاد برطاس فتركوا مراكبهم وتعلقوا في البر فمنهم من قتله
اهل برطاس ومنهم من وقع الى بلاد البرغر المسلمين فقتلوهم
فكان من وقع عليه الاحصا ممن قتله المسلمون على شاطى نهر الخزر

نحو

نحو من ثلاثين الفا ولم يكن للروس من تلك السنة عودة الى ما ذكرنا
قال المسعودي وانما ذكرنا هذا القصد دفعا لمن
زعم ان بحر الخزر يتصل ببحر مانطس وخليج القسطنطينية
من بحر مانطس اونيطس ولو كان ذلك كذلك لكانت
الروس قد خرجت فيه اذ كان ذلك بحرها على ما ذكرنا ولا خلاف
بين من ذكرنا ممن يجاور هذا البحر من الامم ان بحر الاعاجم لا خليج
له يتصل بغيره من البحار لانه بحر صغير يحاط بعلمه ولم ذكرنا
من مراكب الروس مستفيض في تلك البلاد عند ساير الامم
والسنة معروفة وكانت بعد الثلث ماية وقد غاب عني
تاريخها ولعل ان من ذكر ان بحر الخزر متصل بخليج القسطنطينية
يريد ان بحر الخزر هو بحر مانطس ونيطس الذي هو بحر
البرغر والروس والله اعلم بكيفية ذلك وساحل طبرستان
على هذا البحر وهناك مدينة يقال لها الهم هي فرضة الساحل
وبينها وبين مدينة امل ساعة من النهار وعلى ساحل جرجان
من هذا البحر مدينة يقال لها السكون على نحو ثلثة ايام من
جرجان وعلى هذا البحر الجيل والديلم وتختلف المراكب
بالتجارات بينهم الى مدينة اتل فتدخل في نهر الخزر اليها
وتختلف المراكب فيه من المواضع التي سميناها من ساحله الى باكه
وهي معدن النفط الابيض وغيره وليس في الدنيا والله اعلم
نفط ابيض الا في هذا الموضع وهي ساحل مملكة شروان
وفي هذه النفاطة اطمة وهي عين من عيون النار لا تهدا على
ساير الاوقات تنضرم الصعدا وتقابل هذا الساحل في البحر
جزاير منها جزيرة على نحو من ثلثة ايام من الساحل فيها اطمة عظيمة
تصفر في الاوقات من فصول السنة فيظهر منها نار عظيمة
تذهب في الهوا كاشمخ ما يكون من الجبال العالية فيضيء للاكثر
من هذا البحر ويرى في ذلك نحو من ماية فرسخ من البر وهذه الاطمة
تشبه باطمة البركان من بلاد صقلية من ارض الافرنجة وبلاد افريقية
من ارض المغرب وليس في اطام الارض اشد صوتا ولا اشد
سواد دخان ولا اكثر تلعبا من الاطمة التي في مملكة المهراج
وبعدها اطمة وادي برهوت وهي نحو بلاد اسبا وحضرموت
من بلاد الشحر وذلك من بلاد اليمن وبلاد عمان وصوتها
يسمع كالرعد من اميال كثيرة تقذف من قعرها بجمر كالجبال
وقطع من الصخر سود حتى يرتفع ذلك في الهوا ويدرك حسا من

ايبال كثيرة ثم ينعكس سفلا فيهوي الى قعرها وحولها البحر
الذي يظهر منها بحجارة قد احمرت لما قد احالها من مواد
حرارة النار وقد اتينا على اي علة تكون عيون النار في
الارض وما سبب موادها في كتابنا في اخبار الزمان وفي
هذا البحر جزائر مقابلة لبحر جرجان يصطاد منها نوع
من البزاة البيض وهذا النوع من البيض اسرع اجابة واقلها
معاشرة الان في هذا النوع من البزاة شيء من الضعف
لان الصائد يصطادها من الجزائر فيغذيها بالسمك فاذا
اختلف عليها الغذاء عرض لها الضعف وقد قال الجمهور
من اهل المعرفة بالضواري وانواع الجوارح من الفرس والترك
والهند والروم والعرب ان البازي اذا كان الى البياض
في اللون فانه احسن البزاة واسرعها وابينها اجساما واجراها
قلوبا واسهلها رياضة وانها اقوى جميع البزاة على السمو
في الجو واذهبها الصعدا وابعدها غاية في الهواء لما فيها
من حر الحرارة ووهج الغالب فيها مما ليس في غيرها من جميع
انواع البزاة ولان اختلاف الوانها لاختلاف مواضعها
ومن اجل ذلك خلصت البيض لكثرة الثلج في بلاد ارمينية
وارض الخزر وجرجان وما والاها من بلاد الترك فقد حكي
عن حكيم من خواقين الترك وهم الملوك المنقادة الى الملك
جميع ملوك الترك قال ان البزاة بارضنا اذا سقطت الريش الترك
وتخرم ما لو عالى الفضاء سمت في الجو الى الهواء البارد الكثيف
فازلت دوارته هنالك فغذتها بها فلا تلبث ان تنقى
وتنهض لاسراع الغذا فيها وانهم ربما وجدوا في اوكارها
من تلك الدواجن اشلا وقد قال
جالينوس ان الهواء حار رطب والبرد فيه يعرض لقوة الرياح
المنبعثة ولا يخلو الجو من شيء فيه وساكن وعن اياس
ارسطو قال الواجب اذا كان للاسطقسين يعني الارض
والماء خلق وساكن ان يكون للاسطقسين الاعليين
يعني الهواء والنار خلق وساكن ووجدت في بعض
اخبار الرشيد انه خرج ذات يوم الى الصيد ببلاد الموصل
وعلى يده بازي ابيض فاضطرب على يده فارسله فلم يزل يحلق
حتى غاب في الهواء ثم طلع بعد الاياس منه وقد علق بدابة
تشبه الحية او السمكة ولها ريش كاجنحة السمك فامر

الرشيد

الرشيد فوضعوها في طشت فلما عاد من قصده احضر العلماء
فسالهم هل تعلمون للهواء سكانا فقال مقاتل روينا عن جدك
عبد الله بن العباس ان الهواء معمور بامم مختلفة الخلق سكان
فيها لعر منها دواب تبيض في الهواء تفرخ فيه ترفعها الهواء
الغليظ وتربيها حتى تنشو في هيئات الحيات او السمك لها
اجنحة ليست بذات ريش تاخذها بزاة بيض بارمينية
فاخرج الطشت اليهم واراهم الدابة واجاز مقاتلا يومئذ وقد
اخبرني غير واحد من اهل التحصيل بمصر وغيرها من البلاد
انهم شاهدوا في الجوبات تسعى كاسرع ما يكون من البروق بيض
وانخفاض بما وقعت على الحيوان في الارض وحركتها في الهواء
صوت كسر ثوب جديد فربما يقولون لا علم له او غيره من
النسور من الصوت ساحره نطير ذات اجنحة من قصب
وللناس كلام كثير فيما ذكرنا وتسند الامم ما يحدث في الاسطقس
من الحيوان وانه يجب على هذه القضية ان يحدث من العنصرين الخفيفين
وهما الهواء والنار نشو وحيوان كحدوثه بين الثقلين وهما
الارض والماء قال المسعودي وقد وصف الحكماء
والملوك البزاة ولغوت في الوصف واطنبت في المدح فقال
خاقان ملك الترك البازي شجاع مؤيد وقال
كسرى انوشروان البازي رفيق يحسن الاناة ولا يحرج
الوص اذا امكنت وقال قيصر البازي ملك كريم ان
احتاج اخذ وان استغنى ترك وقالت الفلاسفة حسبك
من البازي سرعة في الطلب وقوة على الهدف وفي السمو اذا
طالت قوائمه وبعد ما بين منكبيه وذلك ابعد لغايته واخف
لسرعته الا ترى الى الصقور لا تزداد في غاياتها الا بعدا
وسرعة وقوة على التنائي وذلك لطول قوادمها مع كثافة
اجسامها وانما قصرت غاية البازي لقصر جناحه ورقة
جسمه فاذا طالت به الغاية بعد ذلك حتى تشتد نفسه
ولا ترى الجوارح الا من قصر القوادم الا يرى الدراج والسمان ن
والحجل واشباهها حين قصرت قوادمها كيف قصرت
غاياتها وقال ادرسنجاريس البازي طير عادي
عادي الجاور بما يفوته في يسير من بعيد عاصيه فرخ لمه
وهو اضعف الطير جسما واشجعها قلبا وذلك لفضله على
سباع الطير بالجزء الذي فيه من الحرارة التي ليست

في شي منها ووجد ناهضا ورماها منسوجة بالقصب
لا مشتبكة بالشوك مختلفة الحجون من سجر عشي يطلب
بذلك البقى والدفع لالام الحر والبرد واذا اراد لن يوسع بنا
لفرختها وسقفه سقيفا لا يصل اليه منه مطر ولا ريح اشفاقا
على نفسه وفراخه من البرد والقر وذكر ادهم بن محرز ان اول
من لعب بالصقور الحارث بن معوية بن ثور بن كندي وهو ابو كندة
فانه وقف يوما فرأى قانصا قد نصب حبالا للعصافير فانقض اكدر
على عصفور منها قد علق فعلقه الاكدر وهو الصقر وجعل
ايضا الاجدل يأكل العصفور وقد علق فعجب الملك منه وأتي
به وقد اندق جناحه وهو دائب يأكل العصفور فامر به فجعل في كسر
البيت فرآه قد دجن فلا يبرح ولا ينفر واذا القي له طعام اكله
واذا رأى اللحم نهض الى صاحبه حتى دعي فأجاب وطعم
على اليد فكانوا بينما هو يحمله اذ رأى يوما حمامة فطار اليها
عن يد حامله فعلقها فامر الملك بها واتخاذها للصيد
فبينما الملك يسير يوما اذ سنحت ارنب فطار الصقر اليها
واخذها فطلب به الطير والارانب فعقلها واتخذتها العرب
بعد ثم استفاضت في ايدي الناس ه واما
الشواهين فان ارسجانيس الحكيم ذكر في كتاب وجه به الى
المهادين ملك الروم من رضه هديه ولم يكن لملوك الروم يقال
له بستان نظر يوما الى شاهين يهوي منحدرا على وجه
الماء فيضرب بما يجده ثم يرتفعا في الهوى حتى فعل ذلك مرارا
فقال هذا الطير ضاري يدلنا قوة انحداره على الطير في الماء
انه ضار ويدلنا سرعة ارتفاعه في جو السماء انه طير ابق فلما
نظر الى حسن تكراره اعجب به فكان اول من اتخذ الشواهين
وقد ذكر سعيد بن عفير عن هاشم بن خديج قال خرج قسطنطين
ملك عمورية يتصيد بالنزلة حتى انتهى الى الخليج بينطس
الجاري الى بحر الروم فعبر الى مرج بين الخليج والبحر فسيح مديد
فنظر الى شواهين يلعبوا على طير الماء فاعجبه ما راى من سرعته
وفراهته وجراته على صيده فامر باصطياده له فصيد فكان
قسطنطين اول من لعب بالشواهين ونظر الى ذلك المرج طويل
البساط مفروش بالوان الزهر فقال هذا موضع حصين بين بحرين
ونموه له سعة وامتداد يصلح ان يكون فيه مدينة فبناها
القسطنطينية وقد ذكر ابن عفير عن ابي زيد الفهري انه كان

وسنذكر [illegible] من هذا الكتاب
عند ذكرنا الملوك الروم خبر قسطنطين
[illegible] هذا [illegible] جميع ومن
[illegible] الدين [illegible] احد
[illegible] القسطنطينية

فرسه

فرسه ملوك الاندلس الزرقة الذي اذا ركب الملك منهم
صارت الشواهين في الهواء مظلة لعسكره كخيمة على موكبه
تنحدر عليه مرة وترتفع اخرى معلمة لذلك فلا تزال على ما وصفنا
في حال مسيره حتى ينزل فتقع حوله الى ان يركب فنشأ يوما منهم
ملكا وصارت الشواهين معه على ما وصفنا فاستثار طائر
فانقض عليه شاهين منها فاخذه فاعجب بذلك الملك وضراها
على الصيد فكان اول من تصيد بها بالمغرب وبلاد الاندلس ه
قال المسعودي وكذلك ذكر جماعة من اهل العلم بهذا الروم
الشان انه كان اول من لعب بالعقبان اهل المغرب فلما نظرت اهل
الجبل اسرها وافراط سلاحها لشتيحتها ومن هذا الذي
لا يقوم خيره بشره وذكر ان قيصر اهدى الى كسرى عقابا وكتب
اليه يعلمه انها تعمل اكثر من عمل الصقر الذي اعجبه صيده فامر بها
كسرى فارسلت على ظبي عرض له فقدته فاعجبه ما راى منها
فانقرفي سرورا وجوعها ليصيد بها فوثبت على صبي فقتلته
فقال كسرى قيصر في اولادنا بغير جيش ثم ان كسرى
اهدى الى قيصر نمرا وكتب اليه انه يقتل الظباء وامثالها
من الوحش وكتم ما صنعت العقاب فاعجب قيصر حسن
النمر ووافق صفته ما وافق من النمر وغفل عنه فافترس
بعض فتيانه فقال صادنا كسرى فان كنا صدناه فلا باس ويتغلغل
بنا الكلام عند ذكرنا البحر جرجان وجوارح الى الكلام في انواع
الجوارح وسنذكر لمعا من اخبار النزله وعدد اجناس الجوارح
واشكالها عند ذكرنا الملوك اليونانيين فلنرجع الان الى ذكر
الباب والابواب ومن يلي السد من الامم وجبل القبج
وقد قلنا لمن شاء الملوك ممن جاور من الامم مملكة حيدان
ومملكة حسلم من اعمال جبل فحطان ويعرف سيلقان في هذا
الوقت وهو سند اساور و[illegible] والامانه وليس في مملكة مسلم
عبر دو لك واهله واري لم ملك السمة تسمى بها كل ملك لهذا
السقع وبين مملكة حيدان وبين الملكه والابواب ابان ح
المسلمين عرب الحجون شبام اللغات عن العربية في اجام
هنالك وغياض واوديه وانهار في قري قد سكنوها
قطنوا ذلك السقع من الوقت الذي افتتحت فيه تلك الديار
ممن طرا من بوادي العرب اليها فهم مجاورون لمملكة حيدان الا انهم
ممتنعون بتلك الاشجار والانهار وهم على نحو ميل ثلاثة اميال من

مدينة الباب في الابواب واهل الباب يجدونهم ويلي مملكة
جيدان مما يلي الفتح والسرير ملك يقال له برزبان مسلم
ويعرف بلده هذا بالكرج وهم اصحاب العمد وكل ملك
يلي هذه المملكة يدعى برزبان ثم يلي مملكة برزبان ملك
يقال له ملك غميق وهم اناس نصارى لا ينقادون الى ملك
ولهم رؤساء وهم مهادنون لمملكة اللان ثم يليهم مما يلي السرير
والجبل مملكة يقال لها زريكران وتفسير ذلك عمال الزرد
لان اكثرهم صناع الزرد والركب واللجم والسيوف وغير
ذلك من انواع الات الحديد وهم ذوو ديانات مختلفة
مسلمون ويهود ونصارى وبلدهم بلد خشن فقد امتنعوا
بخشونته عمن جاورهم من الامم مما يليهم وتليهم مملكة السرير وملكها
فيلان شاه يدين بدين النصرانية وقد ذكرنا فيما سلف من هذا
الكتاب انه من ولد بهرام جوبين وسمي صاحب السرير لان
يزدجرد وهو اخر ملوك ال ساسان حين ولى منهزما
قدم سريره الذهب وخزائنه واموالة مع رجل من ولد
بهرام جوبين ليسير به الى هذه المملكة فيحرزه هنالك الى
وقت موافاته ومضى يزدجرد الى خراسان فقتل هنالك
وذلك في خلافة عثمان على ما ذكرنا في هذا الكتاب وغيره من
كتبنا فتوطن هذا الرجل في هذه المملكة واستولى على
ملكها وصار الملك في عقبه فسمي صاحب السرير ودار
مملكته يعرف بخوخ وله اثنا عشر الف قرية يستعبد
منهم من شاء وبلده بلد خشن منيع لخشونته وهو شعب
من جبل الفتح وهو يغير على الخزر مستظهر عليهم
لانهم في سهل وهو في جبل ثم يلي هذه المملكة مملكة اللان
وملكها يقال له الكركنداج وهو الاعم لسائر ملوكهم
وكذلك فيلان شاه هو الاعم لسائر ملوك السرير ودار
مملكة اللان يقال لها معص وتفسير ذلك الديانة
وله قصور ومتنزهات في غير هذه المدينة ينتقل في
السكنى اليها وبينه وبين صاحب السرير مصاهرة في هذا
الوقت قد تزوج كل واحد منهما باخت الاخر وقد كانت
ملوك اللان بعد ظهور الاسلام في الدولة العباسية اعتقدت
دين النصرانية وكانوا قبل ذلك جاهلية فلما كان بعد العشرين

والثلاث مائة

والثلاث مائة رجعوا عما كانوا عليه من النصرانية وطردوا من
كان قبلهم من الاساقفة والقسوس وقد كان انفذهم اليهم ملك
الروم وبين مملكة اللان وجبل الفتح قلعة وقنطرة على واد
عظيم يقال لهذه القلعة قلعة باب اللان بناها هذه القلعة
ملك في قديم الزمان من الفرس الاول يقال له اسفنديار
بن يستاسف بن بهراسف ورايت في هذه القلعة والقلعة
على صخرة صما لا سبيل الى فتحها والوصول اليها الا باذن من
فيها ولهذه القلعة المبنية على اعلى هذه الصخرة عين
من الماء عذبة تظهر في وسطها من اعلى هذه الصخرة وهذه
القلعة من احدى قلاع العالم الموصوفة بالمنعة وقد
ذكرتها الفرس في اشعارها وما كان من اسفنديار بن يستاسف
في بنائها ولاسفنديار في الشرق حروب كثيرة مع اصناف من
الامم وهو السائر الى اقاصي بلاد الترك فخرب مدينة الصفر
وكانت من المنعة بالموضع العظيم الذي لا يرام وبها تضرب
الفرس الامثال وما كان من افعال اسفنديار وما وصفنا
فمذكور في الكتاب المعروف بالبنكش نقله ابن المقفع الى
اللسان العربي وقد كان مسلمة بن عبد الملك بن مروان
حين وصل الى هذا الصقع وطئ اهله اسكن في هذه
القلعة ناسا من العرب الى هذه الغاية يحرسون هذا الموضع
وربما حمل اليهم الرزق من البر من ثغر تفليس وبين تفليس
وبين هذه القلعة مسيرة خمسة ايام لكان ولو ان رجلا في
هذه القلعة لمنع سائر الكفار ان يجتازوا بهذا الموضع
لتعلقها في الجو واشرافها على الطريق والقنطرة والوادي
وصاحب اللان يركب في ثلاثين الف فارس وهو ذو منعة
وباس شديد وذو سياسة من الملوك ومملكته عمايرها
متصلة غير منفردة اذا تصايحت الديوك تجاوبت في سائر
مملكته لاشتباك العمائر واتصالها ثم يلي ملك اللان امة
يقال لها كشك وهم بين جبل الفتح وبحر الروم وهي امة
نظيفة منقادة الى دين المجوسية وليس فيمن ذكرنا من الامم
في هذا الصقع انقى بشرا ولا احسن رجالا ولا اصبح
نساء ولا اقوم قدودا ولا ارق خصارا ولا اظهر اعجالا
وارادفا ولا احسن شكلا من هذه الامة ونساوهم موصوفات
بلذة الخلوات ولباسهم البياض والديباج المذهب وثيابهم

انواع من الثياب تصنع من القنب ومنها نوع يقال له الطلي ادق
من الدبيقي والنحى على البدن يبلغ الثوب نحو عشرة دنانير يحمل
الى ما يليهم من الاسلام وقد تحمل هذه ايضا مما جاورهم من الامم
الالان الموصوفة منها ما يحمل من قبل هولاء والالان يستطيعون
على هذه الامة لا تنتصف ملك الامة من الالان الا انها تمنع من
اللان بقلاع لها على ساحل البحر وقد تنوزع في البحر
الذي هم عليه فمن الناس من راى انه بحر الروم ومنهم من راى انه
بحر نيطس الا انهم يقربون في البحر من بلاد طرابزندة
والتجارات تتصل بينهم وبين الباب ويجلب من قبلهم ايضا
والغلبة في ضعفهم عن اللان تمنعهم ان يتمكنوا عليهم مسلكا
بجمع كلمتهم لم تطقهم اللان ولا غيرهم من الامم وتفسير هذا الاسم
وهو فارسي التنيد والصلف وذلك ان الفرس اذا كان الانسان
تياها صلفا قالوا ... ويلي هذه الامة على هذا البحر امة
اخرى يقال لها السبع بلدان وهي امة كثيرة ممتنعة بعيدة
الدار لا اعلم شيئا ولا يجي الخبر في دينها وبينها امر عظيم
بينهم وبين بلاد ... نهر عظيم كالفرات يصب الى بحر الروم
وقيل انه بحر نيطس وعليه طرابزندة يقال لهم لاخ المدينة
ادم ذات خلق عجيب واراو جاهلية ولهذا الملك
على هذا البحر خبر طريف في سمكة تاتيهم في كل سنة فيتناولون لوا
منها ثم تعود ثانية ثم يتوجه نحوهم من الشق الاخر فيتناولون ن
منه وقد عاد اللحم على الموضع الذي اخذ منه اولا وخبر
هذه الامة مستفيض في تلك الديار من الكفار ولهذه
الامة بين جبال اربعة كل جبل منها ممتنع ذاهب في الهوا
بين هذه الجبال الاربعة من المسافة نحو من مائتي ميل صحرا
في وسط تلك الصحرا دارة مقورة كانها قد خطت
ببيكار وشكلت دائرتها حسفة نحو ... مصلد
منخسف كاندوار الدائرة استدارة تلك الحسفة نحو من
خمسين ميلا قطع قائم يهوي سفلا كالحائط مبني من سفل
الى علو يكون قعره نحو ميلين طريق لا سبيل الى الوصول
الى مستوى تلك الدارة وترى فيها بالليل نيران كثيرة في
مواضع مختلفة وبالنهار يرى فيها قرى وعمارة وانهار تجري
بين تلك القرى وناس وبهايم الا انهم يرون لطاف الاجسام
لبعد قعر الموضع لا يدري من اي الامم هم ولا سبيل لهم الى

الصعود

الصعود الى جهة من الجهات ولا سبيل لمن فوق الى النزول اليهم
بوجه من الوجوه ووراء تلك الجبال الاربعة على ساحل الاربعة — الاربعه صح
حشفة اخرى قريبة القعر فيها اجام وغياض فيها
نوع من القرود منتصبة القامات مستديرة الوجوه والاغلب
عليها صور الناس واشكالهم الا انهم ... واشعر فربما وقع
في الندرة القرد منها اذا احتيل في اصطياده فيكون في
نهاية من الفهم والدراية الا انه لا لسان له فيعبر بالنطق ويفهم
كلما ينطق به ويخاطب بالاشارة وربما حمل الواحد منها الى
ملوك الامم من هنالك فيعلم القيام على روسهم بالمذاب
لما في القرود من الخاصية بمعرفة السموم في الماكل والمشارب
فيقدم منها الطعام فيشمه ويلقي لها شيئا منه فان اكلته
اكل الملك منه وان اجتنبته علم الملك انه مسموم فتحرز
منه وكذلك فعل الاكثر من ملوك الصين والهند في القرود ة
وقد ذكرنا في هذا الكتاب خبر وفد الصين حين وفدوا
على المهدي وما ذكروا لنفي القرد من منافع لملوكهم في غذاء الطعام
وذكرنا خبر القرد باليمن واللوح الحديد الذي كتبه
سليمان بن داود عهدا للقرود باليمن وما كان من امرهم
مع عامل معوية بن ابي سفيان وما كتب به اليه في امرهم
ووصف القرد العظيم الذي كان في قفص التنوخي وليس
في قرود العالم افطن من هذا النوع من القرود ولا اخبث
وذلك ان القرود تتكون في بقاع من الارض حارة فمنها بارض
النوبة والعلي ببلاد الحبشة مما يلي اعالي مصب النيل وهي
القرود المعروفة بالنوبية صغار القدود وصغار الوجوه
ذوات سواد غير حالك كانه نوبي وهو الذي يكون مع القرادين
ويصعد على الرمح فيصير على اعلاه ومنها ما يكون في ناحية الشمال
في اجام وغياض نحو ارض الصقالبة وغيرهم ممن هنالك
من الامم نحو ما وصفنا من هذا النوع من القرود وقريب شكله
من صورة الانسان ومنها بجزائر بلاد الزابج في بحر
الصين في مملكة المهراج ملك الجزائر وقد قدمنا ذكره
فيما سلف من هذا الكتاب ان مملكته توازي مملكة الصين
وهو بين مملكة البلهري وملك الصين وهذه القرود منتشرة
في تلك السقع معروفة بالكثرة في هذه الجزائر وهي من
القرود ذوات صور تامة وقد كان حمل الى المقتدر منها

وحيات عظام في سلاسل وكان في القرود ذو لحا وسبال
كبار وانواع من الهدايا من عجايب البحر حمل ذلك احمد بن هلال
امير عمان يومئذ وهذه القرود امرها مشتهر عند البحريين
من اهل سيراف وعمان ممن يختلف الى بلاد كله والزابج ويلطف
بالحيلة لصيد التماسيح من جوف الماء على ان الجاحظ
قد ذكر ان التماسيح لا تكون الا بنيل مصر ونهر مهران السند وقد ذكرنا
فيما سلف من هذا الكتاب ما قيل في ذلك واخبرنا عن مواضع
التماسيح فاما اليمن فلا تكاد تخلو من القرود منه في
مواضع كثيرة لا تحصى عددا لكثرتها فمنها في وادي نخلة
وهو بين بلاد الجند وبلاد زبيد الذي امرها في هذا الوقت
وهو سنة اثنتين وثلثين وثلثماية الى ابرهيم بن زياد صاحب الحرمي
وبين هذا الوادي وبين زبيد يوم وبين الجند يوم واكثر
من ذلك وهذا الوادي كثير الشجر ومصبات المياه الكثيرة
ويتخذ الموز والقرود فيه كثيرة وهو بين جبلين والقرود قطعان
كل قطيع منها يسوقه هزبر والهزبر الذكر العظيم الفحل المقدم
فيها وقد تلد القردة في بطن واحد عدة قرود نحو عشرة
واثنا عشر كما تلد الخنازير خنانيص كثيرة وتحمل القردة بعض
من اولادها كحمل المراة ويحمل الذكر بعضا منهن ولهم انديه ومجالس
يجتمع فيها خلق كثير منهم فيسمع لهم حديث ومخاطبات
وهم يتبعه الاناث كالنساء متحيزات عن الذكور واذا سمع
السامع محاوراتهن وهو لا يرى اشخاصهن بين تلك الاشجار
والموز والجبال وذلك بالليل لم يشك انهم ناس لكثرتهم بالليل
وليس في جميع البقاع التي تكون فيها القرود احسن
ولا اخبث ولا اسرع قبولا للتعليم من قرود اليمن واهل
اليمن يسمون القرود الرباح ولهم جمم الذكور والاناث قد
رجحت منها سود كاسود ما يكون من الشعر واذا جلسوا
يجلسون مراتب دون مرتبة الرئيس ويشبهون في شمايل
اعمالهم بالناس من القرود باليمن سكان الاودية بين بلاد صنعا
وقلعة لحلان في سراة وجبال هنالك كانها السحاب
في تلك الجبال والبراري لكثرتها ولحلان هذا قلعة من
مخاليف اليمن فيها اسعد بن يعفر ملك اليمن في هذا الوقت
محتجب عن الناس الا عن خواصه وهو بقية ملوك حمير حوله
من الجيوش من الخيل والرجال نحو خمسين الف مرتزقة يقبضون

المرزق

المرزق في كل شهر بين يديه وقت القبض الرزق فيجتمعون هنالك في نجد دون
من ملك المخاليف والمخاليف القلاع وقد كان لهذا الرجل حروب
باليمن مع القرامطة وصاحب المديحرة وهو علي بن الفضل
وذلك بعد السبعين والمائتين وقد كان لعلي باليمن شأن عظيم
حتى قتل وتوطات اليمن لهذا الرجل وللقرود في اليمن مواضع
كثيرة وكذلك في بقاع من الارض عرضنا عن ذكرها اذ قد ابينا
على علة كونها في بعض البقاع دون بعض من الارض واخبار
النسناس في كتابنا اخبار الزمان وكذلك اخبار العربد
وهو نوع كالحيات يكون ببلاد حجر اليمامة فيما زعموا واحدها
عربد وكان المتوكل في بدء خلافته سال حنين بن اسحق ان يتاتى
له في حمل اشخاص من النسناس فلم يسلم الى سر من راى الا اثنان
من النسناس ولهم تاتت الحيلة في حمل العربد من اليمامة وذكر ان
العربد هذا يمنع عن اليمامة فاذا صار الى موضع منها معروف
المسافة عدم من الوعا الذي حمل فيه واهل اليمامة ينتفعون
بمنع الحيات والعقارب وساير الهوام كمنفعة اهل سجستان
بالقنافذ وذلك في عمائر اهل سجستان القديم الا تقتل
قنفذ ببلدهم لانه بلد كثير الرمل بناه ذو القرنين في مفازة
وحوله جبال كثيرة من الرمل قد سكرت بالخشب والقصب
والبلد كثير الافاعي جدا وانواع الحيات فلولا كثرة القنافذ
لتلف من هنالك من الناس ولذلك اهل مصر في صعيدها وغيره
لهم دويبة يقال لها العرس اكبر من الجرذ واصغر من ابن عرس
حمر بيض البطون لولا هذه الدويبة لغلب على اهل مصر
الثعابين وهي نوع من الحيات عظيم فينطوي الثعبان على
هذه الدويبة وتلتف به فتزحف الريح فينقطع الثعبان
من ريحها هذه خاصية هذه الدويبة وفي البر انواع
من الخواص في بره وبحره وحيوانه ونباته وجماده ولذ لك
في المغرب واليمن وهو الجنوب والجدي وهو الشمال
وقد ذكرنا طبع كل واحد من هذه الارباع ففي ذكرها
في هذا الباب خروج عن الغرض الذي يممنا نحوه
فلنرجع الآن الى ما كنا فيه انفا من ذكر الامم المحيطة بالباب
والابواب والسور وجبل القبخ وبلاد الخزر واللان
فنقول ان الى بلاد الخزر فيما بينهم وبين المغرب امم
اربع ترك ترجع الى اب واحد في بدء انسابها بدو

وحصن ذو منعة وباس شديد لكل امه ملك مسافة كل
منها ايام متصلة مما للامم بعضها ببحر نيطس وتصل
غاراتهم برومية ومما يلي بلاد الاندلس مستظهرة على
سائر من هنالك من الامم وبينهم وبين ملك الخزر مهادنة
وكذلك مع صاحب اللان وديارهم تتصل بممالك الخزر
فالجيل الاول منهم يقال له بجني ثم يليها امة يقال
لها بجغرد ثم يليها امة يقال لها نوكرده وملوكهم بدو
وقد كان لهم حروب مع الروم بعد العشرين والثلاثمائة
او فيها وقد كان للروم في تخوم ارضهم فيما يلي من ذكرنا
من هولاء الاجناس الاربعة مدينة عظيمة يونانية يقال لها
ولندر فيها خلق من الناس وسعة بين الجبال والبحر
فكان من فيها مانعا لمن ذكرناه من الامم ولم يكن لها ولا للترك
سبيل الى ارض الروم لمنع الجبال والبحر ومن فيها اياهم
فكان بين هولاء الاجناس حروب لخلاف وقع بينهم على رجل
رجل مسلم تاجر من اهل اردبيل كان نازلا على بعضهم
فاستضامه اناس من الجنس الاخر فاختلفت الكلمة وتغار
من كان في ولندر من الروم على ديارهم وهم عنها خلوف فسبوا
كثيرا من الذرية واستاقوا من الاموال ونمى ذلك اليهم وهم
مشاغيل في حربهم فاجتمعت كلمتهم وتواهبوا ما كان بينهم من
الدماء وصمد القوم جميعا نحو مدينة ولندر فساروا
اليها في نحو من ستين الفا وذلك على غير احتفال منهم ولا جمع
ولو كان ذلك لكانوا في نحو مائة الف فارس فلما اتى خبرهم
الى ارمنوس ملك الروم في هذا الوقت وهو سنة اثنتين
وثلاثين وثلاثمائة سير اليهم اثني عشر الف فارس
من المتنصرة على الخيول بالرماح في زي العرب واضاف اليهم
خمسين الفا من الروم فوصلوا الى مدينة ولندر في ثمانية
ايام وعسكروا ورائها ونازلوا القوم فكانت الترك
قد قتلت من اهل ولندر خلقا كثيرا من الناس وامتنع اهلها
بسورهم الى ان اتاهم هذا المدد ولما صح عند الملوك الاربعة
من سار من المتنصرة والروم بعثوا الى بلادهم يجمعوا من كان بينهم
من تجار المسلمين ممن قطن الى بلادهم من بلاد الخزر والباب
واللان وغير ذلك وفي هولاء الاجناس الاربعة من قد اسلم
ومن غيرهم الا انهم لا يقاتلون مع الكفار فلما تصاف القوم

وبرزت المتنصرة امام الروم خرج اليهم من كان قبل الترك من التجار
فدعوهم الى ملة الاسلام وانهم ان دخلوا الى امان الترك اخرجوهم
من بلادهم الى ارض الاسلام فابوا ذلك فتواقف الفريقان في ذلك الوقت
فكانت للمتنصرة والروم على الترك لانهم كانوا في الكثرة اضعاف الترك
وباتوا على مصافهم وتشاور ملوك الترك الاربعة فقال لهم ملك بجناك
قلدوني التدبير في غداة غد فانعموا له بذلك فلما اصبح جعل في
جناح الميمنة كراديس كثيرة كل كردوس منها الف وكذلك في جناح
الميسرة فلما تصاف القوم خرجت الكراديس من جناح الميمنة وكل
الرمي وتولت الكراديس كالرحا والقلب والميمنة والميسرة للترك
ثابتة والكراديس تعمل عملها في الضعيف وذلك ان من خرج من كراديس
الترك من جناح ميمنتهم كان يبتدي في جناح ميسرة الروم ومن
ميمنتهم فيرمي وينتهي الى القلب ومن خرج من كراديسهم من جناح
الميسرة يرمي في جناح ميمنة الروم وينتهي الى الميمنة فيرمي وينتهي
الى القلب فيلتقون بملتقى الكراديس في القلب دائرة على ما وصفنا فلما
نظر المتنصرة والروم الى ما حل بهم من تقويض صفوفهم وتواتر الرمي عليهم
حملوا على القوم متشوشين في مصافهم فصادفوا صفوف الترك ثابتة
فافرجت لهم الكراديس فرشقتهم الترك بالنشاب رشقا واحدا فكان
ذلك الرشق سبب هزيمة الروم وعقبت الترك بعد الرشق بالحملة
على صفوفهم عن تشوش ما كانوا عليه من التعبية وقد لحقت الكراديس
من اليمين والشمال واخذت القوم السيف واسودت الافق وكثر
صياح الخيل فقتل من الروم والمتنصرة نحو من ستين الفا حتى كانوا
يصعدون الى سور المدينة على جثثهم فاقام السيف يعمل فيها اياما
وسبي اهلها وخرجت عنها الترك بعد ثلاث يومون القسطنطينية
فتوسطوا العمائر والضياع قتلا واسرا وسبيا حتى نزلوا على
سور القسطنطينية فاقاموا عليها نحوا من اربعين يوما يبيعون
المراة والصبي منهم بالخرقة والثوب من الديباج والحرير وبذلوا
السيف في الرجال فلم يبقوا على احد منهم وربما قتلوا النساء
والولدان وشنوا الغارات في تلك الديار فاتصلت
غاراتهم بارض الصقالبة ورومية ثم اتصلت غاراتهم في هذا
الوقت نحو ثغور الاندلس والافرنجة والجلالقة فغارات من ذكرنا
من الترك متصلة الى ارض القسطنطينية ولما ذكرنا من الممالك الى
هذه الغاية فلنرجع الآن الى ذكر جبل القبخ والسور والباب والابواب
اذ كنا قد ذكرنا جملا من اخبار الامم القاطنة في ذلك الصقع فمن ذلك

ان امة تلي بلاد اللان يقال لها الابخاز منقادة الى دين النصرانية
ولها ملك في هذا الوقت وملك اللان مستظهر عليهم وهم
متصلون بجبل الفتح ثم يلي ملك الابخاز ملك الخزرية وهي
امة عظيمة منقادة الى دين النصرانية تدعى جزرية ولها
ملك في هذا الوقت يقال له الطبيعي ومما يلي هذا الملك
موضع يعرف بمسجد ذي القرنين وقد كانت الابخاز والخزرية
تؤدي الخراج الى صاحب ثغر تفليس منذ فتحت تفليس
وسكنها المسلمون الى ايام المتوكل فانه كان بها رجل يقال
له اسحق بن اسمعيل وكان مستظهرا بمن معه من المسلمين
على من حوله من الامم وهم منقادون الى الطاعة واداء الجزية اليه
فعلى امره من هناك من الامم حتى بعث المتوكل بغا فنزل على
ثغر تفليس واقام على محاربها حتى افتتحها بالسيف
وقتل اسحق لانه كان متغلبا على الناحية وكان له اخبار
يطول ذكرها مشهورة في اهل ذلك الصقع وغيرهم ممن عني باخبار
هذا العالم وامه جارية من قريش من بني امية الحفا فانحرفت
هيبة المسلمين من تفليس من ذلك الوقت الى هذه الغاية ثغرهم
فامتنع من جاورهم من الممالك من الانقياد لهم بالطاعة واقتطعوا
الاكثر من ضياع تفليس والوصول من بلاد الاسلام الى ثغر
تفليس بين هولاء الامم من الكفار اذ كانت محيطة بذلك
الثغر واهلها ذو قوة وباس شديد وان كان ما ذكرنا من
الممالك محيط بهم ويلي مملكة جرزية مملكة يقال لها الصنصحا
نصارى وفيهم جاهلية لا ملك لهم ويلي هولاء الصنصحية
من ثغر تفليس وقلعة باب اللان المتقدم ذكرها مملكة يقال
لها مملكة الصنارية وملكهم يقال له كربيلوس وهذا الاسم لازم
لسائر ملوكهم وينقادون الى دين النصرانية وهولاء الصنارية
يزعمون انهم من العرب من نزار بن معد بن مضر ثم من فخذ من عقيل
سكنوا هنالك في قديم الزمان وهم هنالك مستظهرون على كثير
من الامم ورايت ببلاد تهامة من ارض اليمن اناسا من عقيل حلفاء
لمذحج لا فرق بينهم وبين اخلافهم لاستقامة كلمتهم فيهم
خيل كثيرة ونعم وليس في اليمن كلها قوم من نزار بن معد
غير الفخذ من عقيل الا ما ذكر من قبائل انمار بن نزار بن معد
ودخولهم في اليمن على حسب ما قد دونه الخبر وما كان من
خبر جرير بن عبد الله البجلي مع النبي صلى الله عليه وسلم

وما كان

وما كان من خبر بجيلة والصنارية يزعمون انهم افترقوا في قديم
الزمان هم ومن سمينا من عقيل ببلاد مارب في خبر طويل ثم يلي مملكة النصرانية
شكين وهم نصارى وفيهم خلق من المسلمين من التجار وغيرهم
من ذوي المهن ويقال لملكهم في هذا الوقت المورخ به كتابنا هذا
ادرنرسه بن همام ثم يليهم مملكة قيلة ماحوت المدينة
مسلمون وما حولها من العماير والضياع نصارى ويقال لملكهم
في هذا الوقت المورخ به كتابنا هذا عنبسة الاعور وهو ماوى
اللصوص والصعاليك والدعار ثم تتصل هذه المملكة
بمملكة الموقانية وهي التي قدمنا ذكرها وانما تتغلب عليها
وانما تضاف الى مملكة شروان شاه وليس هذا البلد المعروف
بالموقانية هو البلد الذي على ساحل بحر الخزر وقد كان محمد بن
يزيد المعروف في هذا الوقت بشروان شاه ملك لايران شاه هو
ومن سلف من ابائه وكان ملك شروان شاه علي بن الهيثم فلما هلك
علي تغلب محمد على شروان شاه على ما ذكرنا من الممالك وله قلعة لا يدرى
في قلاع العالم احصن منها بجبل الفتح يقال لها قلعة سار
الا قلعة بارض فارس نحو بلاد سيراف من ساحل فارس في الموضع
المعروف بالزرباد ببلاد عبد الله بن عمارة وهي القلعة المعروفة بالد يلدان
وفي العالم قلاع كثيرة لها اخبار كثيرة عجيبة قد ذكر ابو الحسن
المدايني ذلك في كتاب افرده لاخبارها وترجمه بكتاب القلاع ع
ذكر فيه طرفا من اخبار بعضها وقد اتينا على اخبارها في كتابنا في
اخبار الزمان قال المسعودي فهذه جمل من اخبار مدينة
الباب والابواب والسور وجبل الفتح ومن في ذلك الصقع من
الامم قد اتينا على مبسوط اخبارهم وشيمهم وما اتيهم في حروبهم
ومكايد ملوكهم في كتابنا في اخبار الزمان من الامم الماضية والاجيال
الخالية والممالك الداثرة ولم نذكر من اخبارهم واوصاف ممالكهم
فهو اخبار عن موجود يدركه الحس غير معدوم نعرف من
طرفنا اليهما وصفنا من البلاد وقد ذكر عبيد الله بن خرداذبه
في كتابه المترجم بالمسالك والممالك ان الطريق من موضع كذا الى
موضع كذا مقدار كذا من المسافة ولم يخبر عن الملوك والممالك
ولا فايدة في معرفة المسافات والطرق اذ كان ذلك من عمل الفيوج
وعمل الخبراء والكتب وذكر ايضا ان خراج طساسيج العراق
كذا وكذا من المال وهذا مما يرتفع وينخفض ويقل ويكثر على حسب
الاحوال وتصرف الاوقات ولذا جبل القبق الذي يلي ملة والمدينة

متصل ببلاد الشام الى ان وصله بالجبل الاقرع من بلاد انطاكيه
وان ذلك متصل بجبل اللكام وهذا بحسب من قوله اما تراه علم
ان اجزاء الارض مماسة بعضها الى بعض متصلة غير منفصلة
ولا متباينة مما بين بعضها ببعض الا ان الارض ذات وهاد
والحاد وجدب على ان لحسن كتاب ذكر في هذا المعنى
وكذلك كتابه في التاريخ وما كان من ذكر الامم الماضية قبل مجى
الاسلام وقد رايت لمحمد ابن الطيب صاحب المعتضد بالله
صنف ليبين هذا المعنى كتابا ذكر فيه جملا من اخبار العالم اكثرها
على خلاف اخبار من تقدم واراه لمن هذا الكتاب منسوب اليه اذ كانت
منزلته من العلم اكثر من هذا ولولا ان الله تعالى بلطيف حكمته
وعظيم قدرته ورحمته لعباده من عليهم بتوفيق من وفق من
ملوك الفرس لبناء مدينة الباب والابواب وما ذكرنا من
السور في البر والبحر والجبل والقلاع وسكان من اسكنها هنالك
من الامم وقد سعر الملوك لكانت ملوك الخزر واللان والبيلقان
واذربيجان وزنجان والري وقزوين وهمذان والدينور ونهاوند
وغير ما ذكرنا من مابين الكوفة والبصرة الى العراق عمرها الله صار هم
بما ذكرنا لاسيما مع ضعف الاسلام في هذا الوقت وذهابه
وظهور الروم على المسلمين وفساد الحج وعدم الجهاد وانقطاع
السبل وفساد الطرق وانفراد كل رئيس وتغلبه على الصقع
الذي هو به كفعل ملوك الطوائف بعد مضي الاسكندر الى
ملك اردشير بن بابك بن ساسان فجمع الكلمة وضم الشمل وامن
العباد وعمر البلاد الى ان بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فازال
طامس الكفر ومحا رسوم الملل ولم يزل الاسلام الى هذا الوقت
فتداعت دعائمه ووهي اساسه وهي سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة في
خلافة ابي اسحق ابرهيم المتقي لله والله المستعان على ما نحن فيه
وللباب اخبار كثيرة من اخبار الابنية العجيبة التي بناها كسرى
بن قباذ بن فيروز وهو ابو كسرى انوشروان في الموضع المعروف
بالمسقط من المدينة الحجارة وحيطان التي بناها بلاد شروان
المعروف الطين وسور الحجارة المعروف بالبرمكي وما يتصل
ببلاد برذعة اعرضنا عن ذكره اذ كنا قد اتينا على وصفه فيما سلف
من كتبنا واما نهر الرس فمبتداه من بلاد خزران من ممالك جور
ويمر ببلاد ابخاز حتى ياتي ثغر تفليس فيشق في وسطها
ويجري في بلاد السادونه ويمر بموضع من الارض دوابر وشدة

على ما ذكرنا

على ما ذكرنا من اخبارهم واليه تضاف الطبرزنيات المعروفة بالسما
وردية يستعملها الساعة وغيرهم من الخزر العاجم ويجري هذا
النهر المعروف بالكر حتى ينتهي على ثلاثة اميال من برذعة ويجري
على برداج من اعمال برذعة ثم يصب فيه مما يلي الصيادة نهر الرس س
وظهور نهر الرس ومبداه من حوط ازنة حتى ينتهي الى الكر
فيختلطان وينتهي ذلك من مصب الجميع الى بحر الخزر وبغية
المصب وجريان نهر الرس من بلاد البيلقان وهو بلاد بابك
الخرمي من ارض اذربيجان وجبل يعرف بجبل البذ وهو في
بلاد الزان وهو صقع من الارض ويمر نهر الرس بمدينة ورثان
وينتهي الى الحيث وصفنا من مصبه من القرية المعروفة
بالصيادة الى ان يصب الى نهر الكر على ما ذكرنا فقد اتينا
على وصف هذه الانهار ايضا والنهر المعروف باسبيد روذ
وتفسير ذلك النهر الابيض على القدير والكثير من المغابر وهي
الفارسية والعربية ومجراه ومنبعه وجريانه في ارض
الديلم تحت القلعة المعروفة بقلعة سالار وهو ابن اسوار الديلمي
بعض ملوك الديلم وقد ظهر في هذا الوقت المورخ به كتابنا تغلب
بلاد اذربيجان ثم يمر هذا النهر من الديلم الى الجبل والنهر في
جالان ويصب فيه نهر اخر من بلاد الديلم يعرف بشاهرود
وتفسير ذلك ملك الانهار لبياضه وكثرته وقوته وصفائه
فينتهي مصب جميع ما ذكرنا الى بحر الجبل وهو بحر الديلم
والخزر وغيرهم ممن ذكرنا من الامم المحيطة بهذا البحر وعلى
هذه الانهار اكثرها ولاة الديلم والجبل الذين قد ظهروا بالادهم
وتغلبوا على كثير من الارض فاذ قد منا من اخبار جبل الفتح وما
فيه وحوله من الامم وحائط الباب والابواب وبحر الخزر فلنذكر
الان ملوك السريانيين وهم اول من بعد في كتب زيجات
النجوم والتواريخ القديمة من ملوك العالم ثم ملوك الموصل
ومدينة نينوى ثم ملوك بابل وهم الذين عمروا الارض
وشققوا الانهار وطموا الاشجار ومهدوا الوعود
وسهلوا الطرق ثم بعد ذلك بالفرس الاول وهم الجاهان
وتفسير ذلك الارباب الى ملك افريدون ثم الاسكانيين
الى دارا بن دارا وهو دارا بن بوزن وهم الكيلسون ثم ملوك
الطوائف وهم الاشغانيون ثم الفرس الثانية وهم الساسانية
ثم اليونانيون ثم الروم ونذكر من سلوكهم من ملوك العرب والامم

ومن الجبل [illegible] الامير [illegible]

والسودان ومصر والاسكندرية وغير ذلك من بقاع الارض
لما اسد ولا اتوا الا باسه

ذكر ملوك السريانيين ولمع من اخبارهم

ذكر ذوو العناية باخبار ملوك
العالم ان اول الملوك السريانيون بعد الطوفان وقد
تنوزع فيهم وفي النبيط فمن الناس من راى ان السريانيين
هم النبيط ومنهم من راى انهم اخوة لولد ماش بن نبيط ومنهم من راى
غير ذلك على حسب تباين الناس في الاجيال الماضية والقرون
الخالية فكان اول ملك منهم رجل يقال له سوسان وهو اول من وضع
التاج على راسه في تاريخ ملوك السريانيين والنبيط وانقادت له ملوك
الارض فكان ملكه ستة عشر سنة باغيا في الارض مفسدا
للبلاد سفاكا للدما ثم ملك بعده ولده بربر فكان ملكه الى ان هلك
عشر سنين في ضبط الخطط وثورات اللور وجد في امره واتقى ملكه وعمر
ارضه فلما استقامت له الاحوال وانتظم له الملك بلغ بعض
ملوك الهند ما العوم عليه من الفتوح وشدة العمارة وانهم يحاولون
الممالك وقد كان هذا الملك الهندي غلب على ما حوله من ممالك الهند
وانقادت الى سلطانه ودخلت في احكامه وقيل ان ملكه كان مما
يلي بلاد السند والهند فسار نحو بلاد بسط وعبر دلعب
وبلاد الراسن على النهر المعروف بالهرمند وهو نهر سجستان حتى نهر
ونخلها ومتنزهاتهم في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلثين وثلثماية
ويعرف بنهر بسط يجري فيه السفن من هناك الى سجستان فيها
الاقوات وغير ذلك وهو بلد الرياح والرمال والبلد الموصوف
بان الريح يدير فيه الارحا ويخرج الماء من الابار فيسقي الجنان
وليس في الدنيا بلد والله اعلم اكثر استعمالا منه للرياح
وقد تنوزع في مبدا هذا النهر المعروف بالهرمند فمن الناس من راى
انه من عيون جبال الهند والسند ومنهم من راى ان مبداه من
مبدا نهر السند وهو نهر الهند ويعكس من جبال السند وهو
نهر حاد الانصباب والجريان عليه تعذب اكثر الهند انفسها
بالحديد ويغرقونها في العالم وغير في الشعل عند ذلك
انهم يقصدون موضعا في اعالي هذا النهر المعروف بالكند وهناك
جبال عالية واشجار عادية ورجال جلوس وحدايد وسيوف
منصوبة على تلك الشجر وقطع من الخشب فتاتيهم الهند من الممالك
النائية والبلدان القاصية فيسمعون كلام اولئك الرجال المرتبين
على هذا النهر وما يقولون من زهدهم في هذا العالم والترغيب في سواه

فيطرحون

فيطرحون انفسهم من اعالي تلك الجبال العالية على تلك الاشجار
العادية والحدايد المنصوبة فيتقطعون قطعا ويصيرون الى
هذا النهر العزار وما ذكرنا الموصوف عنهم مما يفعلون على هذا
النهر وهناك تجد من احد عجائب العالم ونوادره والغرائب
من نبات يظهر في الارض اغصانا مشتبكة من احسن ما يكون
من الشجر والورق فيعلوا في الجو كابعد ما يكون من
طوال النخل ثم يعيبوا جميع ذلك منعطفا فيغوص في الارض
منه شيا وهو في قعر ما بسط منعطفا والاقوى
المقدار منه الذي يذهب في الهوا ويتسع في الفضا وبين ما
يغيب منه تحت الارض ويتوارى تحت الثرى فلولا ان
الهند وطت بقطعه وما رعيه من امر له مريد كرونه
وسبب في المستقبل يصفونه لطبوع تلك البلاد وعى تلك الجنوبي
الارض ولهذا النوع من الشجر اخبار يطول تعريفها من طرا
الى تلك الارض وراها ونمى اليه خبرها والهند تعذب
انفسها على ما وصفنا بانواع الالام وقد تيقنت ان الم ينالها
من المقيم في المستقبل موجلا هو ما اسلفته وعذبت انفسها
في هذه الديار معجلا ومنهم من يصير الى باب الملك فيستاذن
في احراق نفسه ثم يدور في الاسواق وقد اججت له النار
العظيمة عليها من قد وكل بايقادها ويسير في الاسواق وقدامه
الطبول والصنوج وعلى بدنه انواع من الحرير قد مزقها
على نفسه وحوله اهله وقرابته وعلى راسه اكليل من الريحان ن
وقد قشر جلدة من راسه فيضع عليه الجمر وقد جعل
عليه الكبريت والسندروس فيسير وهامته تحترق
وروايح دماغه تفوح وهو يمضغ ورق التانبول وحب
الفوفل وورق التانبول ورق ينبت في بلادهم اصغر
ما يكون من ورق الاترج اذا مضغ هذا الورق بالنورة
المبلولة مع الفوفل وهو الذي قد غلب على اهل مكة
وغيرهم من الحجاز واليمن في هذا الوقت مضغه بدلا وغيرهم
من الطين ويكون الصيادلة له للورم وغيره وهذا
اذا مضغ على ما ذكرنا الورق والنورة شد اللثة وقوى
عقود الاسنان وطيب النكهة وازال الرطوبة المودية
وشهى الطعام وبعث على الباه وحمر الاسنان كاحمر ما يكون
من حب الرمان واحدث في النفس طربا واريحية وقوى

البدن وبارت من النكله روايح طيبه حم والهند تستقبح
خواصها وعوامها من استنانه ببعض ما وصفنا فاذا
طاف المعذب لنفسه بالنار في الاسواق واتى الى تلك النار
غير متريث لا يتغير في مشيه ولا يخفف في خطوه فمنهم من
اذا اشرف على النار وقد صارت جمرا كالتل العظيم تناول
بيده خنجرا ويدعا الحدباعز بهم فضعه في لبته
وقد حضرت ببلاد صيمور من بلاد الهند من ارض اللار
من ممالك البلهري وذلك في سنه ثلاث وثلاثمائه وكان الملك
يومئذ على صيمور المعروف بجانج وبها يومئذ من المسلمين نحو من
عشرة الاف فلطن بياسره وسيرافيين وعمانيين وبصريين وبغداد بأن
ومن سائر الامصار ممن قد كان تاهل وقطن تلك الديار فيهم
خلق من وجوه التجار مثل موسى الصندابوري وعلى بن اسحق
الهزمه يومئذ ابو سعيد المعروف بابن زكريا والهزمه يراد به رئيس
المسلمين وذلك ان الملك على المسلمين رجلا من روسائهم ملك
تكون احكامهم مصروفه اليه ومعنى البياسره يراد به الذين ولدوا
من المسلمين بارض الهند يدعون بهذا الاسم واحدهم بيسر
ورايت رجلا من فتيانهم وقد طاف على ما وصفنا في اسواقهم
فلما دنا من النار اخذ الخنجر فوضعه على فواده فشقه ثم ادخل
يده الشمال فقبض على كبده فجذب منها قطعه وهو يتكلم
فقطعها بالخنجر ودفعها الى بعض اخوته تهاونا بالموت ولذه في
النقلة ثم هوا بنفسه في النار واذا مات الملك من ملوكهم او قتل
حرق خلق من الناس انفسهم لموته فيدعون هولاء البجريه
واحدهم بلاجر وبغير ذلك مصادقي ممن يموت بموته ويحيا
بحياته وللهند اخبار عجيبه تجزع من سماعها النفوس
وانواع من الالام والمقاتل يالم عند ذكرها الابدان وتقشعر
منها الابشار وقد اتينا على كثير من عجايب اخبارهم في كتابنا في
اخبار الزمان فلنرجع الان الى الخبر عن ملك الهند ومصيره الى بلاد
سجستان وقصده ملك السريانيين ونعدل عما اخبرنا من اخبار
الهند وكان هذا الملك من ملوك الهند يقال له رتبيل وكان من ملك
يملك هذا البلد من ارض الهند يسمى بهذا الاسم الى وقتنا هذا وهو
سنه اثنين وثلاثين وثلاثمائه وكانت بين ملك الهند والسريانيين
حروب عظام نحو من سنه فقتل ملك السريانيين واحتوى الهندي
على السقع وملك جميع ما فيه فسار اليه بعض ملوك الغرب فاتى

عليه

عليه وملك العراق ورد السريانيين فملكوا على انفسهم
رجلا منهم يقال له بشير او كان ولد المقتول وكان ملكه
الى ان هلك ثماني سنين ثم ملك بعده اهريمون فكان ن
ملكه اثنا عشر سنه وملك بعده ابنه صوريا وزاد
في العمارة واحسن الرعايه وغرس الاشجار وكان ملكه
اثنين وعشرين سنه ثم ملك بعده ماروب واستولى
على الملك وكان ملكه نحوا من عشرين سنه وقيل اثنان
وعشرون سنه ثم ملك بعده ازور وخلنجاس
ويقال انهما كانا اخوين فاحسنا السيره وتعاضدا على
الملك ويقال ان هذين الملكين كان في ذات يوم جالسا احدهما
اذ نظر في اعلى قصره الى طائر قد وقع هنالك واذا هو يضرب
بجناحيه ويصيح فتامل الملك ذلك فنظر الى حيه تنساب
الى وكره ساعية لاكل فراخ الطائر فدعا الملك بقوس
فرمى بها الحيه فصرعها وسلمت الفراخ وجا الطائر بعد
هنيئة فصفق بجناحيه وفي منقاره حبه وفي مخالبه
حبتان ووازن الملك فالقى ما كان في منقاره ومخالبه
والملك ينظر فوقع الحب بين يدي الملك فتامله وقال
لامر ما القى هذا الطائر ما القى لا شك انه اراد مكافاتنا
على ذلك وما فعلنا به فاخذه ولم يعرف مثله في اقليمه فقال
له حكيم من جلسائه ايها الملك نظر الحكيم الملك في الحب
ينبغي ان يودع النبات لرحام الارض فانها تخرج لنا ما
فيه وتوقف على الغايه منه واذا ما في مخزونه مكنونه
فدعا بالاكره وامرهم بزراعة الحب ومراعاة ما يكون فزرع
فنبت واقبل يلتف بالشجر ثم حصرم والعنب وهم بهم مغوثه
والملك براعيه الى ان تناهى في البلوغ وهم لا يقدمون على ذوقه
خوفا ان يكون متلفا فامر الملك بعصر مائه وان يودع الا نية
واقواد الحب منه ومنه ما يربى على حالته فلما صار في الانيه
عصيرا وقذف بالزبد وفاحت له روايح عبقه قال
الملك علي بشيخ كبير فان فاتي به فلدرله من ذلك في اناء
فراي لونا ياقوتيا احمر شعاعا عجيبا ومنظرا كاملا عجيبا ثم سقوه
الشيخ فما شرب ثلثا حتى مال وارتخى منها زره الفصو ل
وصفق بيديه وحرك راسه ووقع رجليه على الارض
وطرب ورفع عقيرته بتغني فقال الملك هذا شراب يذهب

بالعقل واخلق به لئن يكون قال لا الا ان الشيخ قد عاد الى حالة
الصبا وسلطان الدم وقوة الزيادة والشباب ثم امر الملك به
فرقد فلما الشيخ ذنام فقال الشيخ هلكت ثم ان الشيخ افاق وطلب
الزيادة من الشراب فقال لقد شربته فكشف عني الهموم وازال عن
ساحتي الاحزان وطار اراد الطائر الا مطلوفا لكم بهذا الشراب الشريف
فقال الملك هذا اشرف شراب الرجال وذلك انه راى الشيخ قد
حسن لونه وانبسط في نفسه وطرب في خلال الطبيعة الحزن الى الطا ن
البلغم وجاد هضمه وجاء النوم واعترته اريحية وامر الملك ان يكثر
من غرس الكرم فكثر الغرس للكرم ولم يمنع العامة من ذلك وقال
هذا شراب الملوك وانا كنت السبب في كونه فلا يشربه غيري فاستعمله
الملك بقية ايامه ثم نمي في ايدي الناس فاستعملوه وقد قيل
ان نوحا عليه السلام اول من زرعه وذكر الخبر حين سرقها
ابليس منه حين خرج من السفينة واستوت على الجودي وهو
موجود في كتب المبتدا وغيرها من الكتب ان شاء الله تعالى

ذكر ملوك الموصل ونينوى وهم الاثوريون ولمع من اخبارهم وسيرهم

ونينوى هي مقابلة للموصل وبينهما
دجلة وهي بين قردي وبازبدي من كور الموصل ونينوى في وقتنا
هذا وهو سنة اثنين وثلثين وثلث ماية خراب فيها قرى ومزارع
ولاهلها ارسل يونس بن متى عليه السلام واثار السور
فيها بينة واضحة واصنام من حجارة مكتوبة على وجوهها
وبظاهر المدينة تل عليه مسجد وهناك عين تعرف بعين يونس
النبي ويأوي الى هذا المسجد النساك والعباد فكان اول
ملك بنا هذه المدينة وسور سورها ملك عظيم قد دانت له
الملوك والبلاد ويقال له سوس بن بالوس فكانت مدة ملكه اثنين
وثمانين سنة وكان بالموصل ملك اخر يحارب لهذا
الملك فكانت بينهما حروب ووقايع ويقال ان ملك الموصل كان في ذلك
العصر بابق بن مالك جد من اليمن ثم ملك نينوى بعده امراه
اسمها سميرم فاقامت عليهم اربعين سنة تحارب ملك الموصل وملكها
من شاطي دجلة الى بلاد ارمينية من بلاد اذربيجان والى حد الجزيرة
والجودي وجبل الثلج الى بلاد الروذان وغيرها من ارمينية وكان
اهل نينوى ممن سمينا نبيطا وهم سريانيون والجنس واحد
واللغة واحدة وانما بان النبيط عنهم باحرف يسيرة من لغتهم
والمقال واحدة ثم ملك بعدها الادسيس ويقال انه كان ابنها

فكان

ابنها فكان ملكه نحوا من اربعين سنة وزحفت اليه الارمن وقد
كانت الحروب بينهم سجالا في ملكه ثم غلبوا على ملك نينوى
فكانت الحروب بين اهل ارمينية وبين ملوك الموصل وقيل
ان هذا الملك اخر ملك نينوى وقيل انه ملك بعده عشرون
ملكا من ملوك نينوى يؤدون الضريبة الى ملك ارمينية
ولهؤلاء الملوك اخبار وسير وحروب قد اتينا على ذلك
في كتابينا اخبار الزمان والاوسط وبالله التوفيق ه

ذكر ملوك بابل

وهم ملوك النبط وغيرهم
المعروفين بالكلدانيين **قال المسعودي** ذهب
جماعة من ذوي التنقير والبحث والعناية باخبار ملوك
العالم ان اول ملوك بابل هم اول ملوك العالم الذين مهدوا
الارض بالعمارة وان الفرس الاولى انما اخذت الملك عن
هؤلاء كما اخذت الروم الملك عن اليونانيين فكان اولهم نمرود
الجبار فكان ملكه نحو ستين سنة وهو الذي احتفر انهارا
بالعراق اخذها من الفرات فيقال ان من ذلك نهر كوثا الطريق
من طريق الكوفة وهو بين قصر ابن هبيرة وبغداد للاخذ لنجيرة
وشهرته وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب كثيرا من ذكر اخبار
العراق عند ذكرنا لملوك الفرس الاولى والثانية وغيرهم
من ملوك الطوائف وانما الغرض في هذا الكتاب التلويح
بتاريخ ملوك العالم والتنبيه على ما سلف في كتبنا وملك
بعده بولس نحوا من سبعين سنة وكان عظيم البطش متجبرا
في الارض وكانت ايامه حروب ، ثم ملك بعده ميونوس
نحوا من ماية سنة بلغ بالغيا في الارض ، ثم ملك بعده سوسوس
نحوا من تسعين سنة ، ثم ملك بعده نودس نحوا من خمسين سنة ،
ثم ملك بعده ادفرنجو نحوا من عشرين سنة ، ثم ملك بعده
سمايم نحوا من اربعين سنة وقيل دون ذلك ، ثم ملك بعده
فوسميس نحوا من سبعين سنة ، ثم ملك بعده اينوس نحوا
من ثلثين سنة ، ثم ملك بعده ايالاوس نحو من عشر
سنة ، ثم ملك بعده الحلوس نحوا من اربعين سنة ، ثم ملك
بعده اونوموس نحوا من ثلثين سنة ، ثم ملك بعده كلوس
نحو ثلثين سنة ، ثم ملك بعده سفرديس نحوا من اربعين سنة
وقيل غير ذلك وهلك ، وملك بعده مادنوس نحو ثلثين سنة
ثم ملك بعده رسطاليم اربعين سنة ، وملك اميرطوس

نحو خمسين سنة ثم ملك بعده العداس نحو ثلثين سنة
ثم ملك بعده الطردس نحو ستين سنة ثم ملك بعده سادوس
نحو عشرين سنة ثم ملك بعده فارينوس نحو خمسين سنة
وقيل بل خمسين واربعين ثم ملك بعده سوسبادروس
نحو اربعين سنة فغزاه ملك من ملوك فارس في عقر داره
ثم ملك بعده سردوس نحو خمسين سنة ثم ملك بعده
طاطابوس نحو ثلثين سنة ثم ملك بعده طاطاوس نحو اربعين سنة
ثم ملك بعده لاوسيس نحو خمسين سنة وقيل خمسا واربعين
ثم ملك بعده اقريطوس نحو ثلثين سنة ثم ملك بعده قرقطاد
نحو عشرين سنة ثم ملك بعده افريقس نحو خمسين
سنة وقيل اثنين واربعين ثم ملك بعده منطودوس
نحو عشرين سنة ثم ملك بعده قوا قمل نحو ستين
سنة ثم ملك بعده منقلس خمسا واثنين سنة وقيل عشرين
وكانت له حروب مع ملك من ملوك الصابة لذلك ذكر في التاريخ
القديم ثم ملك سمرجوق نحو ثلاث سنين ثم ملك بعده
مرودج اربعين سنة وقيل اقل من ذلك ثم ملك بخت نصر
الجبار خمسا واربعين سنة ثم ملك بعده قومودوح نحو سنة
ثم ملك ينطسفر نحو ستين سنة وقيل اقل من ذلك ثم
ملك مسنوس نحو ثماني سنين وقيل عشر ثم ملك بعده
معوسا سنة وقيل اقل من ذلك ثم ملك اونوس احدى
وثلثين سنة وقيل اقل من ذلك ثم ملك كسرجوس عشرين
سنة ثم ملك ثم ملك مرطياسه تسعة اشهر ثم
ملك فيحسمت احدى واربعين سنة ثم ملك بعده
احسرشت ثلاث سنين وقيل سنتين وشهرين ثم ملك
بعده شمريان سنة وقيل تسعة اشهر ثم ملك دارنوس
عشرين سنة وقيل تسع عشرة سنة ثم ملك ابطحست
تسعا وعشرين سنة ثم ملك دارا البسع خمس عشرة
سنة وقيل عشر سنين **قال المسعودي** فهولاء
الملوك الذين اتينا على اسمايهم وعدد ملكهم وقد رسمت
اسماوهم في كتب التواريخ السالفة وهم الذين شيدوا
البلدان ومدنوا المدن وكوروا الكور وحفروا الانهار
وغرسوا الاشجار واستنبطوا المياه واثاروا الارضين
واستخرجوا المعادن من الحديد والنحاس والرصاص وغير ذلك

من الحيل

من الحيل والمكايد وطبعوا السيوف واعدوا اعدة الحرب
وغير ذلك من الحيل والمكايد ونصبوا قوانين الحرب بالقلب
والميمنة والميسرة والاجنحة وجعلوا ذلك قبالا لاجزاء اعضاء
الانسان ورتبوا الكل فرز بنوعان اللامه لا يوازيهما غيرها
فجعلوا اعلام القلب على صورة الفيل والبير وما عظم من
اجناس الحيوان وجعلوا اعلام الميمنة والميسرة على صور السباع
على حسب عظمها واختلاف الوانها وجعلوا في الاجنحة صور
ما صغر من السباع كالنمر والذيب وجعلوا صور اعلام الكمينا
على صورة الحيات والعقبان وما خفي فعله من هوام الارض
وجعلوا لون كل نوع منها من السواد وغيره من الالوان المستدرة وهي
السواد والبياض والحمرة والصفرة والخضرة ولون السماء
وغيره وقد ذكر قوم الالوان الثمانية على حسب الموضع المستحق
له ومنعوا ان لون الحمرة يشوب شيئا من ذلك الا ما لطف
من اجزائها داخله في جملة الاثر من اشباه الحيوان من تلك
الاعلام وزعموا ان قضية القياس توجب ان تكون سائر اعلام
الحرب حمرا اذ كانت اليق واشكل بلون الدم واقرب ملايمة
اذ كان لونهما واحدا لكن منع ذلك استعمالها في حال
الزينة والطرب واوقات السرور واستعمال النساء لها والصبيان
لها وفرح النفوس بها واوجب ترك ذلك وان حس البصر
مشاكل للون الحمرة اذا كان من شانه اذا ادركها انبسطه
نفد البصر في ادراكها واذا وقع على اللون الاسود اجتمع
نوره ولم ينبسط في ادراكه انبساطه في الحمرة ولذلك
للنسبة الواقعة بين بصر الناظر وبين لون الحمرة والمباينة
الضدية بين نور البصر ولون السواد وتكلم هولاء القوم في مراتب
الالوان من الحمرة والسواد والبياض وغيرها وفي مراتب الانوار
وطلبوا وجه ذلك من اسرار الطبيعة والحد المشترك بين قوة
حد البصر وبين اللون الاحمر والبياض والضد المباين بين
السواد وبين نور البصر ودون سائر الالوان من الحمرة والخضرة
والصفرة والبياض والسواد ولون السماء وتغلغل القوم في
ملاذ المعاني الخفية الى ان الاجسام السماوية من النيرين والخمسة
واختلافها في الوانها والى غير ذلك من الاجسام المتعلقة به
وقد اثبتنا ما قالوه من ذلك فيما سلف من كتبنا واتينا
على سائر هولاء الملوك واخبارهم واخلاقهم في كتابينا اخبار

المرازبة والاوسط وقد ذهبت طائفة من الناس الى ان هاولاء
الملوك كانوا من النبيط وغيرهم من الامم وانه قد كان لرؤس
بعضهم من ملوك الفرس ممن كان مقيما منهم ببلخ والاسم ما قد
وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب لمعا من اخبار النبيط وان شاء
الله تعالى ولا قوة الا بالله العلي العظيم ذكر

ملوك الفرس الاول وجمل من اخبارهم

الفرس الجمهور
مع اختلاف ارائها وبعد اوطانها وتباينها في ديارها والرشد
انفسها من حفظ انسابها ينقل ذلك باق عن ماض وصغير
عن كبير ان ملوكها اولهم كيومرث ثم تنازعوا فيه فمنهم
من زعم انه ابن لادم والاكبر من ولده ومنهم من زعم وهم
الاقلون عددا انه اصل النسل وينبوع الذرية وقد
ذهبت طائفة منهم ان كيومرث هو اميم بن لاوذ بن ادم بن
سام بن نوح واميم هو اول من حصل بفارس من ولد
نوح وكان كيومرث ينزل بفارس والفرس لا تعرف طوفان
نوح والقوم الذين كانوا بين ادم ونوح عليهما السلام
كان لسانهم سريانيا ولم يكن عليهم ملك بل كانوا في
سلك واحد والله اعلم بذلك وكان كيومرث اكبر
اهل عصره والمقدم فيهم وكان اول ملك نصب في
الارض فيما يزعمون وكان السبب الذي دعا اهل ذلك
العصر الى اقامة ملك ونصبه رئيسا انهم راوا اكثر الناس
قد جبلوا على التباغي والتحاسد والظلم والعدوان
وراوا منهم الشر وانه لا يصلحهم الا الرهبة فتاملوا
احوال الخليقة ونظروا شان الجسم وصورة الانسان الحساس ى
الدراك فراوا الجسم في بنيته وكونه قد رتبت حواس
تودي الى معنى هو غير هذا يوردها ويصدرها ويميز ما يورده
اليه مع اختلاف تلك مداركها وهو معنى في القلب فراوا
صلاح الجسم بتدبيره فمتى فسد تدبيره فسد سائره
وبطل انتظام افعاله المتقنة المحكمة فلما رات هذا العالم الصغير
الذي هو جسد الانسان الذي لا يستقيم امره ولا
تنتظم احواله الا باستقامة الرئيس الذي قد بينا
ذكره وعلموا ان الناس لا يستقيمون الا بملك ينصفهم
ويوطد العدل فيهم وينفذ الاحكام على ما توجب
العقل بينهم فصاروا الى كيومرث بن ادم فعرفوه بحاجتهم

الى الملك

الى ملك وقيموه لو انت افضلنا واشرفنا واكبرنا وبقية ابينا وليس في
العصر من يوازيك فاضمم امرنا اليك وكن القائم فينا فانا سامعون لك ومطيعون
والقابلون لما تراه فاجابهم الى ما دعوه اليه واستوثق منهم بتوكيد
العهود والمواثيق على السمع والطاعة وترك الخلاف عليه فلما وضع
التاج على راسه وكان اول من ركب التاج على راسه من اهل الارض
قال ان النعمة لا تدوم الا بالشكر وانا نحمد الله على اياديه
ونشكره على نعمه ونرغب اليه في مزيده ونساله المعونة على ما دفعنا اليه
حسن الهداية الى العدل الذي يجمع الشمل ويصفي العيش فثقوا
بالعدل منا وانصفونا من انفسكم نوردكم الى افضل ما في هممكم والسلام
فلم يزل كيومرث قائما بالامر حسن السيرة في الناس والحال امنة والبلاد مه
ساكنة وللمجوس في موضع التاج على الراس اسرار يذكرونها ويطول شرح
ذكرها اذ قد اتينا على ما في كتابينا اخبار الزمان والاوسط وذكروا
ان كيومرث اول من امر بالسكوت عند الطعام لتاخذ الطبيعة بقسطها فيصلح
البدن بما يرد اليه من الغذاء ويسكن النفوس عند ذلك فتدبر لكل عضو من
الاعضاء تدبيرا يرد الى ما فيه صلاح الجسم من اخذ صفو الطعام فيكون الذي يرد
الى الكبد وغيره من الاعضاء القابلة للغذاء ما يناسبها وما فيه صلاحها
وان الانسان متى شغل عن طعامه بضرب من الضروب انصرف قسط من
التدبير وجزء من المعونة الى حيث انصباب الهمة ووقوع الاسرار
فاضر ذلك بالنفس الحيوانية والقوى الانسانية اذ كان ذلك مؤديا
الى مفارقة النفس الناطقة لهذا الجسد المرئي وفي ذلك كلام للحكماء فيه وهو ٤٠
عن الصواب وعلمهم في هذا الباب سر لطيف من اسرار السبب الذي
بين النفس والجسم وليس بهذا الكتاب موضعه لها وقد اتينا
على ذكرها في الكتاب المترجم بسر الحياة وفي كتاب الزلف عند ذكرنا
للنفس الناطقة والنفس العلامة والنفس الحسية والنامية زعيد
والخيالية وما قال الناس في ذلك ممن تقدم وتاخر من الفلاسفة
وغيرهم وقد تنوزع في عمر كيومرث فمن الناس من راى ان
عمره كان الف سنة وقيل غير ذلك وللمجوس في كيومرث
خطب طويل في انه مبدا النسل وانه نبت من نبات الارض
وهو الريباس هو وزوجته وهما ميشا وميشانه وغير ذلك
مما يخشى ايراده وما كان من خبره مع ابليس وقتله
اياه وكان ينزل اصطخر فارس وكان ملكه اربعين سنة وقيل
اقل من ذلك ثم ملك بعده اوشهنج بن فرواك الهند وكان
ملكه اربعين سنة وقيل اقل من ذلك وقد تنوزع فيه

فمنهم من راى انه اخ لكيومرث بن آدم ومنهم من راى انه ولد
الملك الماضي ثم ملك بعده طهمورث ويوبجهان بن اسبحد
او شهنج وكان ينزل سابور وظهر في سنة من ملكه رجل يقال له
بوداسف احدث مذاهب الصابية وان معالي الشرف الكامل
والصلاح الشامل ومعدن الحياة في هذا السقف المرفوع
وان الكواكب هي المدبرات والواردات والصادرات وما
التي في ترددها في افلاكها وقطعها مسافاتها واتصالها بنقطة
وانفصالها عن نقطة مما يكون في العالم الاثير من امتداد الاعمار
وقصرها وتركيب البسايط وانبساط المركبات وتتميم الصور
وظهور المياه وغيضها وان النجوم السيارة في افلاكها المدبر
الامر وغير ذلك مما يخرج وصفه عن عرض الاختصار والايجاز
ولجذب جماعة من ذوي الضعف في الاراء فيقال ان هذا الرجل
اول من اظهر اراء الصابية من الحرانيين والكيماريين وهذا
النوع وهذا النوع من الصابية مباينون للحرانيين في نحلهم
وديارهم بين بلاد واسط والعراق والبصرة نحو البطايح والاجام
فكان ملك طهمورث الى ان هلك ثلثين سنة وقيل غير ذلك
ثم ملك بعده اخوه جمشيد ويوبجهان وكان ينزل بفارس
وقيل انه كان في زمانه طوفان وذهب كثير من الناس لكثرة المطر وفي
ايامه احدث وفي ملكه بجي على حسب ما نورده فيما يرد من هذا
الكتاب كذلك ذكر ابو عبيدة معمر بن المثنى عن عمر المعروف
المعروف بكسرى وكان هذا الرجل ممن يشتهر بعلم فارس واخبار
ملوكها حتى لقب بعمر كسرى فكان ملك جم الى ان هلك
ست مائة سنة وقيل سبع مائة سنة وستة اشهر واحدث
في الارض انواعا من الصناعة في الابنية والمهن واستخرج
الحديد ثم ملك بعده سوراسب بن اروادشت بن ريندوان
انوبغاد بن لماح بن فروال ساهر بن فرس بن كيومرث
وهو الدهاك وقد عرب اسماؤه جميعا باسما قوم من العرب
الضحاك واسماه قوم بيوراسف وليس كذلك وانما اسمه
على ما وصفنا بيوراسف وقيل جم الملك وقد تنوزع فيه
امن الفرس كان ام من العرب فزعمت الفرس انه تميمي واسم كان
ساحرا وانه ملك الاقاليم السبعة وان ملكه كان الف سنة
وبغا في الارض وللفرس فيه خطب طويل وانه مقيد مغلول في
جبل دنباوند بين الري وطبرستان وقد ذكرته شعرا العرب ممن تقدم

دماو

وتاخر وقد افتخر به ابو نواس وزعم انه من اليمن لان ابا نواس
مولى لسعد العشيرة من اليمن فقال
وكان منا الضحاك تعبده الخابل والوحش في مساربها
ثم ملك بعده افريدون بن انقباد بن جم الملك الاقاليم
الارض واخذ بيوراسب فقيده في جبل دنباوند على
حسب ما ذكرنا وقد ذكر ما فر الفرس من حيي ملخبار بيهشلل
عمر كسرى وغيره لان افريدون جعل هذا اليوم الذي قتل
فيه الضحاك عيدا لهم وسماه المهرجان على حسب ما سنورده بعد
هذا الموضع من هذا الكتاب وما قيل في ذلك وكان دار مملكة افريدون
بابل وهو الاقليم يقال لها بابل على شاطي نهر من انهار الفراه بارض العراق
على ساعة من المدينة المعروفة بجسر بابل ونهر الفرس في اليوم يصب
الباب الزهيد وفي هذا الفرس جب يعرف ذاينال النبي
صلى الله عليه وسلم يقصده النصارى واليهود في اوقات من السنة
في اعياد لهم واذا اشرف الانسان على هذه القرية تبين فيها
اثار عظيمة فرد دهم وهدم وبنيان قد صارت الرمال ودهب
كثير من الناس انها هاروت وماروت وهما الملكان المذكوران
في القرآن على حسب ما اقتص الله تعالى في كتابه من تسمية هذه
القرية بابل فكان ملك افريدون خمس مائة سنة وقيل
اقل من ذلك واكثر وقسم الارض بين ولده وقد قيل انه قيل
في ذلك بعض الشعراء ممن سلف من ابناء الفرس بعد الاسلام
يذكر ولد افريدون

وقسمنا ملكنا في دهرنا ... قسمة اللحم على ظهر الوضم
فجعلنا الشام والروم الى ... مغرب الشمس الى الغطريف سلم
ولطوج جعل الترك له ... بلاد الترك يحويها ابن عم
ولايرج جعلنا عنوة ... فارس الملك وفزنا بالنعم

وللناس فيما ذكرنا خطب طويل وان بلاد بابل اضيفت الى ولد
افريدون وهو ايرج وفتله اخيه في حيوة افريدون وملك
فلم يخلص له الملك بعد في الملوك وسنذكر فيما
يرد من هذا الكتاب تفسير اضافة هذا الاقليم الى ايرج
واسقاطهم الجيم وجعلهم النون بدلا منها فقالوا ايران شهر
والشهر الملك ثم ملك بعد افريدون منوشهر على حسب
ما ذكرنا من التنازع في نسبه والحاقه بايرج بن افريدون
وكان ملكه عشرين سنة وكان ينزل ببابل وقد قيل

مغاني الفرس
قرب بابل الاقليم

ان في زمانه كان موسى بن عمران ويوشع بن نون عليهما السلام وكان
لمنوشهر حروب مع عميه اللذين قتلا اباه وهما طوج وشلم وقد
اتينا على حروبهم فيما سلف من كتبنا ثم ملك بعده بنو شهر
سهم بن آبان بن اثفيان بن بورد بن منوشهر فنزل بابل وملك
ستين سنة وقيل اكثر من ذلك وكانت له حروب كثيرة في الارض وسير
وسياسات كثيرة قد اتينا على ذكرها في كتابنا في اخبار الزمان
ثم ملك بعده فراسياب بن ناسق بن واي ارشن بن بورك
بن سانياسب بن نوح بن دوسرور بن طوج التركي وبلد الملك
وكان مولد فراسياب ببلاد الترك فلذلك غلط من غلط من
اصحاب الكتب والتصنيفات في التاريخ وغيرهم فزعم انه
تركي وكان لما ملك على المغلب عليه من البلاد اثنتي عشرة سنة
وغيره عند كثير من الناس اربعمائة سنة والاثني عشرة خلت من سنه صح
ملكه ظهر عليه زو بن طهماسب [illegible] اسب
بن واندنج بن دع بن بسر ابن بورد بن منوشهر الملك فهزمه
وقتل اصحابه بعد حروب كثيرة وعم باخر به فراسياب وقد
تنوزع في المقدار الذي ملك فيه زو فقيل ثلاث سنين
وقيل اكثر من ذلك وكان مسكنه بابل ثم ملك بعد زو كرشاسب ست
بن اسباس بن طهماست بن اسك بن ريكي بن دحو
بن ورس بن منوشهر وام كرشاسب من سبط بنيامين
بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم خليل الرحمن بخبر طويل
قد تقدم ذكره في غير هذا الكتاب من كتبنا وكانت دار
كرشاسب بابل وملك بعد زو عشرين سنة وقد قيل انه
ملك ثلاث سنين في خبر طويل ذكره ثم ملك كيقباد بن داب
بن نوذكان بن ماسو بن بورد بن منوشهر الملك فنزل بلخ
وهو عند كثير من علماء الفرس من الطبقة الثانية من ملوك الفرس
الذين يدعون بالكيانية فكانت له مع الترك حروب كثيرة وايام
مدونة عند الفرس وهو اول من اخذ العشر من الارض وعمر بلاد
بابل ومملكة الفرس وكان ملكه مائة وعشرين سنة ثم ملك
كيقاوس بن كنابيه بن كيقباد الملك فنزل بلخ فكان ملكه مائة
وخمسين سنة ثم ملك كيخسرو واخذ بطائلة ابيه سياوش
بن كيقاوس ولما كان بين الفرس والترك من الحروب والحيل والمكايد لد
والغارات وخبر رستم بن دستان اخبار يطول ذكرها ويتعب
شرحها ويتعاظم علينا ايرادها في هذا الكتاب هي موجودة مشروحة

١١٤

في الكتاب المترجم بكتاب السكيكين نقله ابن المقفع وغيره من
الفارسية الى العربية وخبر اسفنديار بن بستاسف بن لهراسف
وقتل رستم بن دستان له وما كان من قتل بهمن بن اسفنديار
لرستم وغير ذلك من عجائب الفرس الاول واخبارها وهذا
كتاب يعظمه الفرس لما قد تضمن من اخبار اسلافهم وسير ملوكهم
وقد اتينا بجمل من كثير من اخبارهم فيما سلف من كتبنا وقيل
ان اول من نزل من الملوك بلخ وانتقل من العراق كيقاوس وقد كان
صار نحو اليمن بعد ان كان له بالعراق [illegible] وبنيانا
بناه نحو السما وكان ملك اليمن الذي سار اليه كيقاوس في ذلك
الوقت شمر يرعش نحو اليشم فاسره وحبسه في اضيق محبس
فهويته ابنة شمر يقال لها سعدى فكانت تحن اليه سرا من
ابيها ولما كان بعد من اصحابه في محبسه اربع سنين حتى اسرى
رستم بن دستان من بلاد سجستان بسرية في اربعة الاف
فقتل ملك اليمن شمر يرعش واستنقذ كيقاوس ورده الى
ملكه وسعدى معه فغلبت عليه واغرته بولده سياوش حتى
كان من امره مع فراسياب واستيمانه اليه وتزوجه بابنته
حتى حملت منه كيخسرو ولما كان من قتل فراسياب لسياوش
واخذه بطائلة سياوش بعد قتله من خروج الترك وعند
الفرس على ما في كتاب السكيكين بن كيخسرو فطن قتله على
على الملك الخارج اليه وهو كيقاوس ثم من امر الترك عجيب و
عجيب ولم يعقب فجعل الملك في لهراسف وهولاء القوم يسكنون
بلخ وكانت دار مملكتهم وكان يدعا نهر بلخ وهو جيحون
بلغتهم كالف وكذلك تسميه كثير من اعاجم خراسان بهذا
الاسم فلم يزالوا كذلك الى ان صار الملك الى بهمن بن
اسفنديار بن بستاسف بن لهراسف فانتقل الى العراق
وسكنت ناحية المدائن ثم ملك بعد كيخسرو بن سياوش
بن كيقاس الملك لهراسف بن قوحي بن كيمس بن كيناس
بن كاسه بن قباد الملك فعمر البلاد وحسن السيرة في الرعية
وعمهم عدله وبستين سنة خلت من ملكه نال بني اسرائيل منه محن
وشتتهم في البلاد وكانت له معهم اقاصيص يطول ذكرها وذكر
في بعض الروايات عن اخبار الفرس انه هو بنى بلخ الحسنى لما فيها من
المياه والشجر والمروج وكان ملكه مائة وعشرين سنة وقد ذكر
خبر مقتله مع الترك ولما كان منهم في حصاره ومن اخذ ثاره بعد قتله

ابن كيقباد [illegible]
دستان السعدي [illegible]

في كتب قدماء الفرس وقد ذكر كثير ممن عني بأخبار الفرس أن بخت نصر
مرزبان العراق والمغرب كان من قبل بهراسف الملك وهو الذي وطئ
الشام وفتح بيت المقدس وسبى بني إسرائيل وكان مقامه بالشام والمغرب
ما قدمنا تشهد العامة تسميه بخت نصر وأكثر الأخباريين والقصاص
يغلطون في أخباره ويبالغون في وصفه والمنجمون في زيجاتهم وأهل
التواريخ في كتبهم يجعلونه ملكاً برأسه وإنما كان مرزباناً على ما وصفنا
للملوك ممن ذكرنا سيرهم وتفسير مرزبان يراد به صاحب ربع من
الممالك وصاحب ناحية وواليها وقد كان حمل سبايا بني إسرائيل
إلى الشرق وتزوج منهم جارية يقال لها دينازاد وكانت
سبب رد بني إسرائيل إلى بيت المقدس وقد قيل إن دينازاد
ولدت لبهراسف بن كيناسف وقيل غيره كنى الحجوم وأن
جماعة من نسل بني إسرائيل [illegible] وقيل كنى بهراسف قد كان
أنفذ سنحاريب فكان خليفته على العراق إلى حرب بني إسرائيل
فلم يصنع شيئاً فعقب بعده ببخت نصر وقيل في أمر بخت نصر غير ما
ذكرناه مما سنورده بعد هذا الموضع ثم ملك بهمن بن إسفنديار
بن بستاسف بهراسف قد أرخ بطلميوس صاحب كتاب المجسطي
تاريخ كتاب من ملك بخت نصر مرزبان المغرب وأرخ ثاون صاحب
كتاب القانون في النجوم من مملكة الاسكندر بن فيلبس المقدوني
ثم ملك بعد بهراسف ابنه بستاسف وكان منزله ببلخ ولثلاثين
سنة خلت من ملكه أتاه زرادشت بن بسيمان وقيل إنه
زرادشت بن بورشسب بن فندراسب بن ارنجدسب
بن هجذاسب بن حيش بن باتير بن ارحدس بن هرداس
بن وانذست بن هايرص بن ارح بن دوسرين منوشهر الملك
وكان من أهل أذربيجان وقد اشتهر نسبه أنه زرادشت
وهو نبي المجوس الذي أتاهم بالكتاب المعروف بالزمزمة عند عوام
الناس واسمه عند المجوس بستاه وأتى زرادشت عندهم
بالمعجزات الباهرات للعقول وأخبر عن الكائنات من الغيبيات
قبل حدوثها من الكليات والجزئيات والكليات هي الإخبار
عن الأشياء العامة والجزئيات هي الإخبار عن بعض الأشياء
مثل زيد يموت يوم كذا أو يمرض يوم كذا في وقت كذا ويولد
لفلان في وقت كذا وكذا وأشباه ذلك ومعجم هذا الكتاب
يدور على ستين حرفاً من أحرف المعجم وليس في غيره من سائر اللغات
أكثر حروفاً من هذا المعجم ولهم خطب طويل قد أتينا على ذكره في

كتابنا

كتابنا في أخبار الزمان وأتى زرادشت بكتابهم هذا بلغة يعجزون عن إيراد
مثلها إلى الآن ولا يدركون كنه مراده وسنذكر بعض هذا الموضع من هذا
الكتاب ما أتى به زرادشت وما جعل له من التفسير وتفسير التفسير وكتب
هذا الكتاب في اثني عشر ألف مجلد بالذهب فيه وعد ووعيد
وأمر ونهي وغير ذلك من الشرائع والعبادات فلم تزل الملوك تعمل بما في
هذا الكتاب إلى عهد الإسكندر وما كان من قتله لدارا بن دارا
فأحرق الإسكندر بعض هذا الكتاب ثم صار الملك بعد الطوائف
إلى أردشير بابك فجمع الفرس إلى هذا الوقت لا يقرون غيره والكتاب
على قراءة سورة منه يقال لها اشتاد والفرس اليوم
الأول يسمى بستاه ثم عمل زرادشت تفسيراً عند عجزهم عن فهمه وسموا
التفسير زند ثم عمل للتفسير تفسيراً وسماه بازند ثم عمل علماؤهم
بعد وفاة زرادشت تفسيراً لتفسير التفسير وشرحاً لسائر ما ذكرنا
وسموه بارده فالمجوس إلى هذا الوقت يعجزون عن حفظها بهم المنزل
فصار علماؤهم وهرابذتهم يأخذون كثيراً منهم بحفظ أسباع من
هذا الكتاب وأرباع وأثلاث فيبتدئ أحدهم فيحفظ من جزء
فيتلوه ويبتدئ الثاني ثم فيتلو جزءاً آخر والثالث كذلك إلى أن
يأتي الجميع على قراءة سائر الكتاب لعجز الواحد عن حفظه كاملاً وقد
كانوا يقولون إن رجلاً منهم بسجستان بعد الملة إماماً مستظهراً بحفظ
هذا الكتاب على الكمال وكان ملك بستاسف إلى أن هلك مائة
ثم ملك عشرين ومائة سنة وكانت مدة نبوة زرادشت فيهم خمساً
وثلاثين سنة وهلك وهو ابن سبع وسبعين سنة ولما هلك زرادشت
ولي مكانه جاماسب العالم وكان من أهل أذربيجان وهو أول موبذ
قام فيهم بعد زرادشت نصبه لهم الملك بستاسف ثم ملك بعده
بهمن بن إسفنديار بن بستاسف بن بهراسف فكانت له حروب مع رستم
صاحب سجستان إلى أن قتل رستم ووالده دستان
وقيل إن أم بهمن كانت من ولد بني إسرائيل من ولد طالوت الملك وأنه هو
الذي بعث ببخت نصر مرزبان العراق إلى بني إسرائيل فكان
من أمرهم ما وصفنا وكان ملك بهمن إلى أن هلك مائة واثني عشر سنة
وقيل إنه في ملكه رد بني إسرائيل إلى بيت المقدس وكان مقامهم ببابل إلى
أن رجعوا إلى بيت المقدس سبعين سنة وذلك في أيام كورش الفارسي
الملك على العراق من قبل بهمن وعمره يومئذ سبع وقد قيل إن أم
كورش كانت من بني إسرائيل وكان دانيال الأصغر خاله وكانت
مدة ملك كورش ثلاثاً وعشرين سنة وفي وجه لعرف الروايات أن
كورش كان ملكاً برأسه لا من قبل بهمن وذلك بعد انقضاء ملك

بهمن ولذلك هو من ملوك الفرس الاول وليس هذا بعام في كتب التواريخ
القديمة ودانيال الاكبر كان بين نوح وابرهيم وهو الذي استخرج
العلم وما يحدث في الازمان الى ان تنقضي الارض ومن عليها وعلوم الملوك
العالم وما يحدث في السنين والشهور والايام والحوادث وما يدل
ودلايل ذلك في الافلاك ولما رجعت بنوا اسرايل الى بيت المقدس
لغرحوا التورية وغيرها من المواضع التي خربت بهم من الارض على ما ذكرنا
ثم ملكت حمانه بنت بهمن بن اسفنديار بن بستاسف بن لهراسف
وكانت تعرف بامها شهرزاد وللملكة سير وحروب مع الروم وغيرهم
من ملوك الارض وكانت حسنة السياسة لاهل مملكتها وكان ملكها بعد
ابيها بهمن ثلثين سنة وقيل غير ذلك ثم ملك اخ لها يقال له دارا بن
بهمن بن اسفنديار بن بستاسف بن لهراسف والعرب تسمي دارا هذا
باللغة الاولى من لغاتهم دارنوس وهو الذي [illegible] المعادي في
فكان ملكه الى ان هلك اثنتي عشرة سنة وقد ذكرنا من سيرته خبرا جامعا من حروب
والاسباب التي دعت وقد وطي الملوك وغلب على الاقاليم فهرب الحاجز الى الترك
ولي الملك بعد موت شمر الى الحوز وقيل ان كانا اثنين في الملك متطاولين
متعاونين على عمارة الارض ونواحيها والاسباب الداعية لها احدهما اسب
بن بهمن بن [illegible] بن [illegible] بن [illegible] بن منوشهر
والاخر [illegible] بن [illegible] بن [illegible] بن [illegible] بن ارج بن [illegible]
بن منوشهر وكان [illegible] يحارب بالترك [illegible] له
والاخر [illegible] بالعراق [illegible] والاسباب من الارض
فاحتفر النهر المعروف بالزاب الصغير والكبير على حسب ما قدمنا ذكرها
في هذا الكتاب الحادث من بلاد ارمينية الصابين في دجلة الاكبر
من الموصل والحديثة والاخر ببلاد الصين وسماهما باسمه وحفر
بسواد العراق نهرا اخر وسماه باسمه وجعل على هذا النهر بالعراق
ثلاث طساسيج من الضياع والعمارة وسماها الزوابي وهي الى الان تعرف
الجبال الغاية ولم يكن ملكهما الا ثلث سنين ولم يعمر [illegible]
سياوش بن كيقاوس بن كيقباد [illegible] باب
المشرق الى [illegible] بلاد [illegible] وهو من اسباب [illegible] بنت
[illegible] وكان [illegible] طائفة من
الناس [illegible] بن طوج بن افريدون وقد قدمنا
[illegible] في نسبه فيما سلف من هذا الكتاب [illegible] و
في البلاد ووطي الممالك والحق ببلاد الصين فبنا هنالك مدينة
عظيمة وسماها كنكدز وقد [illegible] خلق من ملوك الصين [illegible]

ذكر ملوك اليونانيين ولمع من اخبارهم وما قاله الناس في بدء انسابهم

قال المسعودي تنازع الناس في بدء اليونانيين فذهبت
طائفة من الناس انهم ينتمون الى الروم ويضافون الى الجد لاسحاق
وقالت طائفة اخرى ان يونان هو ابن يافث بن نوح وذهب
قوم انهم من ولد ادراس بن باوات بن يافث وذهب قوم الى
انهم جيل متقدم في الزمن الاول وانما وهم من وهم ان اليونانيين
ينسبون الى حيث نسبت الروم وينتمون الى جدهم ابرهيم لان
الديار كانت مشتركة والمواطن والمواضع كانت متساوية
وكان القوم قد شركوا القوم في السجية والمذهب فلذلك
غلط من غلط في النسبة وجعل الاب واحدا وهو طريق
الصواب عند المفتشين وسبيل البحث عند الباحثين والروم
قفت في لغتها ووضع كتبها فلم يصلوا الى كنه فصاحتهم
وطلاقة السنتهم والروم انقص في اللسان واضعف في ترتيب
الكلام الذي عليه نهج تعبيرهم وسنن خطابهم
قال المسعودي وقد ذكر ان يونان اخو قحطان وانه من
ولد عابر بن شالخ بن ارفخشد وان امره في الانفصال عن
ديار اخيه كان سبب النسل في المزيد في النسب وانه خرج
عن ارض اليمن في جماعة من ولده واهله ومن انضاف اليه
حتى وافا ديار المغرب فاقام هناك ونسل في تلك الديار
واستعجم لسانه ووازى من كان هنالك في اللغة العجمية من
الافرنجة والروم فزالت نسبته وانقطع سببه وصار
منسيا في ديار اليمن غير معروف عند النسابين منهم وكان
يونان جبارا عظيما جسيما وسيما عظيم الخلق وكان حسن
العقل جزل الراي كبير الهمة عظيم القدر وقد كان يعقوب
بن اسحاق الكندي يذهب في نسب يونان الى ما ذكرنا انه اخ
لقحطان ويحتج لذلك باخبار يذكرها في الاشياء ويوردها
من حيث الاحاد والافراد لا من حيث الاستفاضة والكثرة
وقد رد عليه ابو العباس عبد الله بن محمد الناشي في قصيدة له طويلة
وانه خلط نسب يونان بقحطان على ما ذكرنا انفا في صدر
هذا الباب فقال

ابا يوسف اني نظرت فلم اجد ... على الفحص رايا صح منك ولا عقدا
اتقرن الحادا بدين محمد ... لقد جئت شيئا يا اخا كندة ادا
وتخلط يونانا بقحطان ضلة ... لعمري لقد باعدت بينهما جدا

بلد روم
ابن نوح
اليونانيين
بلد روم
[illegible]

فلما نشا ولد يونان وكثروا خرج يسير في الارض يطلب موضعا
يسكنه فانتهى الى موضع بالمغرب فنزل عند مدينة امسد وهي
المعروفة بمدينة الحكما في ديار المغرب في صدر الزمان واقام
بها هو ومن معه فكثر نسله بها وبنا بها البنيان العظيم الى ان
ادركته الوفاه فجعل وصيته الى الاكبر من ولده واسمه جريبوس
فقال له يا بني اني قد دنا الاجل وهجم الحتم الواجب
والخبر الحل عنك ومفارقتك ومفارق اخوتك واهل بيتك
وقد كانت احوالكم حسنة النظام في ولنت لكم كهفا في الشدا لد
وعونا على الحدث ومجنا في الكربات فعليك بالجود فانه قطب
الملك ومفتاح السياسة وباب السياده ولكن حريصا على اقتناء
الرجال بالانعام عليهم تكن سيدا رشيدا واياك والحيد
عن الطريقة المثلى التي عليها بني العقل فان مركز العقل وثمرة
اللب تفرط الى المهالك وتوقع في مغايض المتالف ثم مات
يونان واستولى ولده جريبوس على مكان ابيه وضم اليه اهله
وولده وغامرهم وكثر نسلهم فغلبوا على ديار المغرب من بلاد
الافرنجه والنوكبرد واجناس الامم من الصقالبة وغيرهم وكا ن
اول ملوكهم ممن سماه في كتابه فليقس بتفسيره محب الوثن وقيل
ان اسمه بليقس وقيل فيلقوس وكان ملكه سبع سنين
وقد قيل ان اليونان لما ان سار البخت نصر في بلاد المشرق
نحو الشام ومصر والمغرب وبذل السيف كانوا يودون
الطاعة ويحملون الخراج الى فارس وكان خراجهم بيضا من
ذهب عدد معلوم ووزن مفهوم وضريبة محصورة ابني
فلما ان كان الاسكندر بن فيلبس وهو المكدوني الذي هو
اول ملوك اليونانيين على ما ذكره بطليموس ما كان من طموحه
وبعد همته بعث اليه دارا بن بهمن ملك فارس وهو دارا
ابن دارا يطالبه بما جرت من الرسم فبعث اليه الاسكندر اني
قد ذبحت تلك الدجاجة التي كانت تبيض الذهب واكلتها
فكان من حروبهم ما دعا الاسكندر الى الخروج الى ارض الشام
والعراق فاصطلم من كان بها من الملوك وقتل دارا بن دارا
ملك الفرس وقد اتينا على خبر مقتله ومقتل غيره من
ملوك الهند ومن لحق بهم من ملوك المشرق في الكتاب الاوسط
وينسب قوم الاسكندر الى انه الاسكندر بن فيلبس بن مصرايم
ابن هرمس بن هردس بن منطون بن رومي بن لنطي بن يونان بن يافث

ابن نوح

العيص

ابن نوح وينسبه قوم انه من ولد اسحاق بن ابرهيم ومنهم من
راى ان الاسكندر بن مقدون بن سرحون بن رومي بن لنطي
ابن توبيل بن رومي بن الاصفر بن النفر بن العيص بن اسحق بن
ابرهيم عليه السلام وقد تنازع الناس فيه فمنهم من راى
انه ذو القرنين ومنهم من راى انه غيره وقد تنازعوا ايضا
في ذي القرنين فمنهم من راى انه انما سمي ذا القرنين لبلوغه اطراف
الارض وان الملك الموكل بجبل قاف سماه هذا الاسم ومنهم
من راى انه من الملائكه وهذا القول يعزى الى عمر بن الخطاب
رضي الله عنه والقول الاول قول ابن عباس في تسمية الملك له
ومنهم من راى انه كان في راسه دوايبان من النحاس وهذا القول
يعزى الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقيل غير ذلك وانا ذكرنا
تنازع الناس من اهل الكتب وقد ذكره تبع في شعره وفخر
وقال انه من قحطان وكان بعض التبابعة غزا مدينة رومية
فاسكنها خلقا من اليمن وان ذا القرنين الذي هو الاسكندر من
اولئك العرب المخلفين بها ولسانهم   وسار الاسكندر د
بعد ان ملك بلاد فارس واحتوى على ملوكها وتزوج بابنة ملكها
نحو السند والهند فوطى ملوكها وحملت اليه الهدايا والخراج
وحاربه فور وكان اعظم ملوك الهند وكان له مع الاسكندر
نحو بلاد الصين والتبت حروب فذلت له الملوك وحملت
ن اليه الهدايا والغرايب وسار في مفاوز التبت يريد خراسا
بعد ان ذلل ملوكها ورتب الرجال والقواد فيما افتتح من
الممالك ورتب في بلاد التبت خلقا ولذلك بلاد الصين
ونحو خراسان كثير وكان معلمه ارسطاطاليس حكيم
تلميذ اليونانيين وهو صاحب كتب المنطق وما بعد الطبيعة وتلميذ
افلاطون تلميذ سقراط ومن هولا هممهم الى تقييد علوم
الاشياء الطبيعية والنفسانية وغير ذلك من علوم الفلسفة
واتصالها بالالاهية وابانوا عن الاشيا واقاموا البراهين
على صحتها واوضحوها لمن استعجم عليه شاؤوها   وسار
الاسكندر راجعا من سفره يوم المغرب فلما صار الى مدينة
شهرزور اشتدت علته وقيل بالانصيبين من ديار
ربيعه وقيل بالعراق فتوفي صاحب جثته في خليفة
على عسكره بطليموس فلما مات الاسكندر طافت به الحكما
ممن كان معه من حكما اليونانيين والفرس والهند وغيرهم من

حكماء الامم وكان يجمعهم ويسترح الحكماء بهم ولا يصدر
الامور الا عن رايهم وجعل بعد ان مات في تابوت من الذهب
ورصع بالجوهر بعد ان طلي جسمه بالاطلية الماسكة لاجزائه
فقال لعظيم الحكماء والمقدم فيهم ليتقدم ويتكلم كل واحد
منكم بكلام يكون للخاصة معزيا وللعامة واعظا فقام فوضع
يده على التابوت وقال لقد صح اسر الاسر اسيرا ثم قام
حكيم ثان فقال هذا الاسكندر الذي كان يخبأ الذهب فصار
الذهب يخبأه وقال الحكيم الثالث ما ازهد الناس في هذا الجسد
وارغبهم في هذا التابوت وقال الحكيم الرابع من العجب العجب
ان القوي قد غلب والضعفاء لاهون مغترون وقال
الحكيم الخامس يا ايها الذي جعل اجله ضمانا وجعل امله عيانا هلا
باعدت من اجلك لتبلغ بعض املك اذا لامتناع وفوت اجلك
وقال الحكيم السادس ايها الساعي المتغصب جمعت ما خذلك عند
الاحتياج فعودرت عليك اوزاره وفارقت اثامه لغيرك ووبيله
عليك وقال السابع قد كنت لنا واعظا فما وعظتنا موعظة
ابلغ من وفاتك من كان له معقول فليعقل ومن كان معتبرا
فليعتبر وقال الثامن رب هائب لك كان يخافك من وراءك
وهو اليوم يحضر بك ولا يخافك وقال التاسع رب حريص على
سكوتك اذ لا تسكت وهو اليوم حريص على كلامك اذ لا تتكلم
وقال العاشر كم اماتت هذه النفس لئلا تموت وقد
ماتت وقال الحادي عشر وهو صاحب كتب الحكمة قد كنت
تامرني ان لا ابعد عنك فاليوم لا اقدر على الدنو منك
وقال الثاني عشر هذا يوم عظيم العقوبة اقبل من شره ما كان
مدبرا وادبر من خيره ما كان مقبلا فمن كان باكيا على من قد
زال ملكه فليبك وقال الثالث عشر يا عظيم السلطان
اضمحل سلطانك كما اضمحل ظل السحاب وعفت اثار مملكتك
كما عفت اثار الديار اليباب وقال الرابع عشر يا من ضاقت
عليه الارض طولا وعرضا ليت شعري كيف حالك فيما احتوى
عليك منها وقال الخامس عشر اعجبوا ممن كان هذا سبيله
كيف شرهت نفسه بجمع الحطام البائد والهشيم النافد
وقال السادس عشر ايها الجمع الحافل والملتقى الفاضل لا ترغبوا
فيما لا يدوم سروره وتنقطع لذته فقد بان لكم فيه
الصلاح والرشاد من الغي والفساد وقال السابع عشر

صح

انظروا

انظروا الى الحلم النائم كيف انقضى وظل الغمام كيف انجلى
وقال الثامن عشر وكان من حكماء الهند يا من كان غضبه
الموت هلا غضبت على الموت وقال التاسع عشر قد
رايتم ايها الجمع هذا الملك الماضي فليتعظ به الان هذا
الملك الباقي وقال العشرون هذا الذي كان دنا كثيرا والان
بعد طويلا وقال الحادي والعشرون ان الذي كانت
الاذان تنصت له قد سكت فيتكلم الان كل ساكت
وقال الثاني والعشرون سيلحق بك من سره موتك كما لحقت
من سره موته وقال الثالث والعشرون مالك لا تقل عضوا
من اعضائك وقد كنت تستقل ملك الارض ومالك لا ترغب
بنفسك عن ضيق المكان الذي انت فيه وقد كنت ترغب
عن رحب البلاد وقال الرابع والعشرون وكان من نساك
الهند وحكمائها ان دنيا يكون هذا آخرها فالزهد اولى
ان يكون في اولها قال الخامس والعشرون وكان صاحب
مائدته قد فرشت النمارق ونضدت الوسائد وهيئت
الموائد ولا ارى عميد القوم قال السادس والعشرون وكان
صاحب بيت ماله قد كنت تامرني بالادخار فالى من ادفع ذخائرك
قال السابع والعشرون وكان خازنا هذه مفاتيح
خزائنك من يقبضها قبل ان اوخذ بما لم اخذه منها وقال
الثامن والعشرون من الحكماء هذه الدنيا الطويلة العريضة طويت
منها في سبعة اشبار ولو كنت بذلك موقنا لم تحمل على
نفسك في الطلب القول التاسع والعشرون قول زوجته
روشنك بنت دارا بن دارا ملك فارس ما كنت احسب
ان غالب دارا الملك يغلب وان كان الكلام الذي
سمعته منكم معاشر الحكماء فيه شماتة فقد خلف الكاس
الذي شرب به الجماعة القول الثلاثون والحكي عن امه
ابهاه لبحثي لتجد خبر ابنها لئن فقدت من ابني امرا لم
افقد من قلبي ذكره وقبض الاسكندر وهو ابن ست
وثلثين سنة وكان ملكه تسع سنين قبل قتل دارا
ابن دارا وست سنين بعد قتل دارا وملك على
سائر الملوك وهو ابن احدى وثلثين سنة وذلك بعقده
ومن مصر وعهد الى ذي احمال بطليموس بن اذينان ان
يحمل تابوته الى امه بالاسكندرية واوصاه ان تكتب اليها

اذا اتاها نعيه ان تتخذ وليمة وتنادي في مملكتها ان لا يتخلف عنها احد وان لا يجيب دعوتها من فقد محبوبا او مات له خليل
ليكون ذلك ماتما للاسكندر بالبر وخلاف ماتم الناس بالحزن فلما ورد نعيه اليها ووضع تابوته بين يديها بادرت في مملكتها على ما امرها فلم يجب دعوتها
احد ولا بادر الى دارها فقالت لحشمها ما بال الناس لم يجيبوا دعوتي فقالوا انت منعتيهم من ذلك فقالت كيف قيل لها امرت ان لا يجيب
من فقد محبوبا او عدم خليلا او فارق حبيبا وليس فيهم احد الا وقد اصابه بعض ذلك فلما سمعت ذلك استيقظت وعلمت ما به سليت فقالت لقد عزاني
ولدي باحسن التعازي وقالت يا اسكندر ما اشبه اواخرك باوائلك ثم امرت ان يجعل في تابوت من الرخام وطلي بالاطلية الماسكة لاجزائه ولف ... لعلمها ان

بعده من الملوك والامم الى كونه في ذلك الذهب حتى حمل التابوت الرخام
على اشيا نضدت من احجار له وصخور قد نصبت من الرخام والمرمر
قد رصعت وبهذا الموضع المعروف بالمرمر والرخام باق ببلاد
الاسكندرية من ارض مصر يعرف بقبر الاسكندر الى هذا الوقت وهو سنة
اثنين وثلثين وثلثمايه وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب جوامع من
اخبار الاسكندرية وعجايبها ومصر واخبارها ونيلها في الموضع
المستحق لهم من كتابنا هذا لنا السعي

الهند لما قتل الاسكندر فور صاحب مدينة المانكير من ارض الهند وانقاد
اليه جميع ملوك الهند على حسب ما ذكرنا من حمل الاموال والخراج اليه بلغه ان في
اقاصي ارض الهند ملكا من ملوكهم ذا حكمة وسياسة وديانة وانصاف
للرعية وقد اتى عليه من عمره مئون من السنين وانه ليس بارض الهند من
فلاسفتهم وحكمائهم مثله يقال له كند وكان قاهرا لنفسه مميتا للصفات
من الشهوة الغضبية وغيرها حاملا لها على خلق كريم وادب رضي فكتب
اليه كتابا يقول فيه اما بعد فاذا اتاك كتابي هذا فان كنت قائما فلا تقعد
وان كنت ماشيا فلا تلتفت والا مزقت ملكك والحقتك بمن مضى من
ملوك الهند فلما ورد عليه الكتاب اجاب الاسكندر باحسن جواب وخاطبه
بملك الملوك واعلمه بانه قد اجتمع قبله اربعة اشيا لم تجتمع عند
غيره مثلها فمن ذلك ابنة له لم تطلع الشمس على احسن منها صورة و
فيلسوف يخبرك بمرادك قبل ان تسأله بحدة مزاجه وحسن قريحته
واعتدال بنيته واتساعه في علمه وطبيب لا تخشى معه داء
ولا شيئا من العوارض الا ما يطرا من الفناء والدثور الواقع بهذه البنية
وحل العقد التي عقدها المبتدع لها والمخترع لهذا الجسم الحي
وان كانت بنية الانسان وهيكله قد نصب في هذا العالم غرضا
للافات والحتوف والبلايا وقدح عندي اذا انت ملاته شرب
منه عسكرك جميعه ولا ينقص منه شي ولا يزيد الوارد اليه الا
دهاقا وانا منفذ جميع ذلك للملك وصاير اليه فلما قرا الاسكندر الكتاب
ووقف على ما فيه قال لو كانت هذه الاشيا الاربعة عندي ونجاة هذا
الحكيم من صولتي احب الي من ان لا تكون عندي ويهلك فانفذ
اليه الاسكندر جماعة من حكماء اليونانيين والروم في عدة من الرجال
وتقدم اليهم ان كان صادقا فيما كتب به فاحملوا ذلك اليّ ودعوا
الرجل في موضعه وان تبينتم الامر بخلاف ذلك وانه اخبر بالشي على خلاف
ما هو به [illegible] فلما كان في اليوم الثالث جلس

صفة مناظرة الادلة

لهم مجلسا خاصا للحكما منهم وفي من كان معهم من المقاتلة فقال بعض
الحكما لبعض ان صدقنا فيما بعد ذلك مما ذكر فلما اخذت الحكما
مراتبها واستقرت بها مجالسها اقبل عليهم مباحثا لهم في اصول الفلسفة
والكلام في الطبيعيات وما فوقها من الالهيات وعلى شماله جماعة من
حكمايه وفلاسفته فطال الخطب في المبادي الاول وتشاجر القوم
وتناظروا على موضوعات العلما وترتيبات الحكما على غير منزلة وتناهى
بهم الكلام الى غاية كان اليها صدرهم من المطلوبات ه ثم اخرج الجارية
فلما ظهرت لابصارهم رمقوها باعينهم فلم يقع طرف واحد منهم
على عضو من اعضايها مما ظهر وامكنه ان يتعدى ببصره الى غيره شغله
تامل ذلك وحسنه وحسن شكلها واتقان صورتها فخاف القوم
على عقولهم لما ورد عليهم عند النظر اليها ه ثم ان كل واحد منهم رجع
الى نفسه وقهر سلطان هواه ودواعي طبعه ثم اراهم بعد
ذلك ما تقدم الوعد به وصرفهم وسير بالفيلسوف والجارية
والطبيب والقدح معهم وشيعهم مسافة من الارض ه فلما وردوا
على الاسكندر امر بانزال الطبيب والفيلسوف ونظر الى الجارية فحار
ملحة عند مشاهدتها وبهرت عقله وامر قيمة الجواري بالقيام عليها
ثم صرف همته الى الفيلسوف والى ما عنده وعلم ما عند الطبيب
ومحله في صنعة الطب وحفظ الصحة وقص الحكما عليه ما جرى
لهم من المباحثة مع الملك الهندي ومن حضره من فلاسفته وحكمايه
فاعجبه ذلك وتامل اغراض القوم ومقاصدهم والغاية التي كانت
اليها صدورهم واقبل ينظر الى مطارحة الهند بعللها في معلولاتها تها
وما تصفه اليونانيون من عللها وصحتها من قياسها على حسب ما قدمت
من اوضاعها ثم اراد محنة الفيلسوف على حسب ما اخبر عنه فخلى
بنفسه واجال فكره فسنح له من الفكر بايقاع معنى تخبره
به فدعا بقدح فملاه سمنا وادهقه ولم يجعل للزيادة عليه
شيا ودفعه الى الرسول وقال امض به الى الفيلسوف ولا تخبره
بشي فلما ورد الرسول بالقدح ودفعه الى الفيلسوف قال
بصحة فهمه وتاتيه الامور المتقنة الحكمة في نفسه ان ما بعث
هذا الملك بهذا السمن واجال فكره وسبر المراد به فدعا بنحو الف
ابرة فغرز اطرافها في السمن وانفذها الى الاسكندر فامر الاسكندر
بسبكها كرة مدورة مملسة متساوية متساوية الاجزا وامر
بردها الى الفيلسوف فامر بفعل الاسكندر بها فامر ببسطها وان يتخذ
منها مراة بحضرته وصقلها فصارت جسما صقيلا ترد صورة ما قابلها

زالاشخاص لشدة صفائها وزوال الدرن عنها وامر بردها الي الاسكندر
فلما نظر اليها وتامل حسن صورتها دعا بطست فجعل المراة
فيه وامر بان تملا عليها ماء حتى رسبت فيه وامر بحملها الي الفيلسوف ف
فلما نظر الفيلسوف الي ذلك امر بالماء فجعل منها شرينة كالمرجان
وجعلها في الطست فوق الماء وامر بردها الي الاسكندر فلما نظر الاسكندر
الي ذلك امر بها فعملت منها مراة وردها الي الفيلسوف فلما نظر
الفيلسوف الي ذلك تغير لونه وحال وجزع ونفرت صفاته واسبل
دموعه على صحن خده فجعل يلثم شيعته وطال انينه وظهر حنينه
واقام بقية يومه غير منتفع بنفسه ثم افاق من تلك الحال ورجع
نفسه واقبل عليها كالمعاتب لها فقال ويحك يا نفس ما الذي
قذف بك في هذه السدف واصارك الي هذه الغمة وسكنك
بهذه الظلمة انسيت وانت في النور تسرحين وفي العلو تمرحين
تنظرين بالضياء الصادق وتنفسحين في العالم المشرق ازلت الي
عالم الظلم والمعاقل والغشم والمفاسد تخطفك الخواطف
وتنهبك العواصف قد حرمت علم الغيوب والكون في العالم العجيب
ورميت بشرار الخطوب قد رفضت كل مطلوب ابن مصادرك
الطيبة ومراحتك القوية حللت في الاجسام وقويت على تلك
الهياكل الكون والفساد واحللت يا نفسي بين السباع القاتلة والافاعي
المهلكة والمياه المالحة والنيران المحرقة والريح العاصفة
تسير بك الاعمال في قرارات الاجسام لا تشاهدين عاقلا
ولا ترين الا جاهلا جيل قد زهدوا في الخيرات وعموا عن الحسنات
ثم رفع طرفه نحو السما فراي النجوم تزهر فقال رافعا صوته يا كل
من نجوم سائرة واجسام زاهرة من عالم الرتب طلقت واني
ما وضعت ايتك من عالم نفيس قد كانت النفس في عالمه لذة
وفي غرائبه قاطنة فقد اصبحت عنه ضاعنة ثم اقبل على رسول
الاسكندر فقال خذه ورده الي الملك بغير الريب والجدب فيه
حادثه فلما ورد الي الاسكندر اخبره بجميع ما شاهد فتعجب الاسكندر
من ذلك وعلم مراده ومقاصده وغاية مراده فيما وقع بالنفوس من
التنقل عما علا من العوالم فلما ان كان في صبيحة تلك الليلة
جلس الاسكندر جلوسا خاصا فدعا بالفيلسوف ولم يكن رآه فلما
اقبل ونظر الي الفيلسوف وصورته وتامل قامته وخلقته فنظر
الي رجل طويل الجسم رحب الجبين معتدل البنية فقال في نفسه
هذه بنية تضاد الحكمة فاذا اجتمع حسن الصورة وحسن

الفهم

الفهم كان اوحد زمانه ولست اشك ان هذا الشخص قد اجتمع
فيه الامران جميعا فان كان هذا الرجل قد علم حظا استبدبه
والجا حتى عنده من غاب يخاطبه ولا اموافقه ولا ابالي اشد فليس في
وقته احد يدانيه في حكمته ولا يلحقه في علمه فاصل الفيلسوف
الاسكندر وادار اصبعه السبابة حول وجهه ووضعها على
ارنبة انفه واسرج نحو الاسكندر بالجلوس فجلس حيث امره
فقال له الاسكندر لما التدحين نظرت الي ومن شطرك نحوي
ادرت اصبعك حول وجهك ووضعتها على انفك قال تاملتك
ايها الملك بنور عقلي وصفاء ذهني فتبينت فكرتك في وتاملك
لصورتي والفاقل ما تجتمع مع الحكمة واذا كان ذلك كان صاحبها
اوحد زمانه فادرت اصبعي مصداقا ما سنح لك واردتك
مثالا اشاهد كما انه ليس في الوجه الا انف واحد وكذلك
ليس في دار مملكة الهند غيري ولا يحوج الي احد من الناس في
حكمي فقال له الاسكندر ما احسن ما نبهت لك بما ذكرت واشكر
لك بحسن الخاطر ما وصفت لك فدع عنك هذا ما بالك
حين انفذت الملك قدحا مملوءا سمنا فاردده الي
قال الفيلسوف علمت ايها الملك انك تقول ان قلبي امتلا وعلى قد
انتهي كلي هذا القدح العام السمن فليس لاحد من الحكماء
فيه مستزاد فاخبرت الملك ان علمي سيزيد في علمه ويدخل فيه
دخول هذه الابر في هذا الاناء قال فلم خبرتها الكرة حين
عملت من الابر كرة وانفذتها الكرة ضربتها مراة وردت بها الي صقيلة
قال علمت ايها الملك انك تريد ان قلبك قد قسا من سفك
الدما والشغل بسياسة هذا الملك وهذا العالم فهو مثل
هذه الكرة فلا يقبل العلوم ولا يرغب في هذه المعاني من
العلوم والحكمة فاخبرتك مجيبا مثالا انك تقبل الكرة والحيلة
في امرها فجعلتها مراة موديه للاجسام عند المقابلة من
الصفا قال له الاسكندر اجبتني عن مرادي فاخبرني لهما
الفيلسوف حين جعلت المراة في الطست ورسبت في
الماء جعلتها قدحا في الماء طافيا ثم رددتها الي قال
الفيلسوف علمت انك تريد بذلك ان الايام قد قصرت
والاجال قد قربت ولا يدرك العلم الكثير في المهل القليل
الا بكدود تعب من فهمه كما احتلت الي الكرة بعد ان تهدر راسبة
في الماء حتى جعلتها طافية عليه قال له الاسكندر صدقت

فاخبرني ما الذي جعلت الآن مراة الرتب وردددتها الي المحدث فيه حادثة لفعلك فيما سلف قال الفيلسوف علمت ايها الملك
تقول لم تموت ولا يبقى ولحوق هذه البنيه بهذا العنصر البارد اليابس الثقيل الذي هو الارض وذوبه ونفرق
اجزائها ومفارقة النفس الناطقة الصافية الرقيقة اللطيفة لهذا الجسد ثم قال له الاسكندر صدقت
فلا حسن الي الهند عن اجلك وامر له بجوائز كثيرة واقطعه قطايع واسعة فقال الفيلسوف لو احببت
المال ما ازدت العلم فلست ادخل على علمي ما يضاده ويناويه واعلم ايها الملك ان القنية توجب
الخدمة وليس بعاقل من خدم غير ذاته ويستعمل غير ما يصلح نفسه والذي يصلح
النفس الناطقة هو العلم وهو صقالها وغذاؤها وتناول اللذات الحيوانية

فاجيب الملك اسماعيل
جيد بانه ادرك العلم الكثير
في المهل القليل

الحيوانية وغيرها من الموجودات ظرفها والحكمة سبيل الى العلم فلم
اليه ومن عدم ذلك عدم القربة من الباري واعلم ان العدل ركن جميع
العالم في جميع جزئياته لا تقوم بالجور والعدل ميزان الباري عز وجل
فلذلك حكمته مبرأة من كل ميل وزلل واشبه الاشياء افعال الناس
بافعال الباري هو الاحسان الى الناس وقد ملكت ايها الملك العظيم بنفسك
وصولة ملكك وتاتيك في امورك وانتظام سياستك اجسام رعيتك
فتحرز ان تملك قلوبهم باحسانك اليها وانصافك لها وعدلك
فيها فهي خزائن سلطانك وانك اذا قدرت ان تقول قدرت
ان تفعل فاحترز من ان تقول تامن من ان تفعل فالملك السعيد من دامت
بالعدل رياسة ايامه والملك الشقي من انقطعت اسباب فرح ومن
نحا الى ميزان العدل استنار قلبه بعذوبة الطهارة قال
المسعودي وللاسكندر مع هذا الفيلسوف لا بالمقام معه
فلحق بارضه وللاسكندر مع هذا الفيلسوف مناظرات كثيرة
في انواع من العلم ومكاتبات ومراسلات جرت بين الاسكندر وبين
كند ملك الهند قد اتينا على مبسوطها والغرر من معانيها والزهر
من عيونها في كتابنا اخبار الزمان واما القدح فامتحنه
من دهقه بالماء واورد عليه الناس فلم ينقص شيء منه شيا
وكان معمولا بضرب من خواص الهند من روحانية والطباع التامة واللق	هم
وغير ذلك من العلم مما تدعيه الهند وقد قيل انه كان لآدم ابي
البشر بارض سرنديب من بلاد الهند مبارك له فيه ورثته	الهند
وتداولته الاملاك الى ان انتهى الى كند هذا الملك العظيم شانه
وما كان عليه من الحكمة وقيل غير ذلك من الوجوه مما قد اتينا على ذكرها
فيما سلف من كتبنا وللطبيب معه اخبار ظريفة ومناظرات
عجيبة في اول المعرفة وصنعة الطب فترقيه معه الى مبسوط الصنعة
من الطبيعيات وغيرها من المعضلات ذكرها يخرجنا عن الاطالة وميلنا
الى الاختصار في هذا الكتاب لعلو الكلام بالتوهم الذي يدعيه
الهندي وصنعة الطب وغيرها وقد كانت للاسكندر في
اسفاره في توسط الممالك وقطعه الاقاليم ومشاهدة الامم ولقاء	تر
الحكماء مع تنائي ديارهم وبعد اوطانهم واختلاف لغاتهم وعجائب
صورهم وتباينهم في شيمهم واخلاقهم اخبار كثيرة من حروب
ومكايد وحيل وفنون من السير والحدث من الابنية قد اتينا على شرح
ذلك فيما سلف من كتبنا مما سمينا وغير ذلك مما وصفه وحكاه وانما ذكرنا
السير من اخباره لئلا يعرى كتابنا هذا من شيء منها مع ذكر المسير وفاته	بلغ

ذكر ملوك اليونانيين بعد الاسكندر

ثم ملك بعد الاسكندر الملك خليفته بطليموس وكان حكيما عالما
شابا مدبرا وكان ملكه اربعين سنة وقيل بل كان ملكه عشرين سنة
وهو المتولي لملك الاسكندر حروب مع بني اسرائيل وغيرهم من ملوك
الشام وذكر جماعة من اهل الدراية باخبار العالم وملوكهم ان
هذا الملك اول من اقتنى البزاة ولعب بها وضراها وانه ركب
في بعض الايام في طريقه الى بعض متنزهاته فنظر الى باز يطير فرآه اذا
علا صفق واذا اسفل خفق واذا اراد ان يسوي دق فاتبعه
حتى اقتحم شجرة ملتفة كثيرة الشوك فتامله فاعجبه صفاء
عينيه وصغرهما ولباسه وكمال خلقته فقال هذا طائر له سلاح
وينبغي ان يتزين به ويتزين به الملوك في مجالسها فاراد ان يجمع
منه عدة لتكون في مجلسه زينة فعرض لباز منها ايم وهو الحية
الذكر فوثب عليه البازي فقال الملك هذا ملك جبار لا يحتمل
الضيم ثم مر به فوثب عليه واكله فقال الملك هذا ملك يمنع حماه	طائر
ولا يضيع اكله فلعب بها ثم لعب بها بعده ملوك الامم من اليونانيين
والروم والعجم وغيرهم وتنقل بعده من ملوك الروم فلعب
بالشواهين والاصطياد بها وقد قيل ان الراهد وهم
ملوك الاندلس من الاشبان اول من لعب بالشواهين وصاد بها
وذكرت اليونانيون اول من صاد بالعقبان ولعب بها وقد ذكر
ان ملوك الروم اول من صاد بالعقبان ولعب بها قال المسعودي
ى وقد قدمنا فيما سلف من حكماء اليونانيين يقولون ان الجوارح اجناس
خلقها الله تعالى وانشاها على منازلها ودرجاتها وهي اربعة اجناس
وثلاثة عشر شكلا فاما الاجناس الاربعة فهي البازي
ل والشاهين والصقر والعقاب وقد ذكرنا هذه الاجناس والاشكال
ع على طريق الخبر في الكتاب الاوسط على مراتبها من سائر انواع الجوارح
وذلك لانها ما لد الناس فيها ثم ملك بعد بطليموس هيلوس
وكان رجلا جبارا وفي ايامه ظهرت عبادة التماثيل والاصنام
لشبه دخلت عليهم وانهم وسائط بينهم وبين خالقهم تقربهم اليه
وتدنيهم منه فكان ملكه ثمانية وثمانين سنة وقيل اربعين وقد
قيل ان الذي ملك بعد خليفة الاسكندر بطليموس الثاني محب
الاخ وغزا بني اسرائيل ببلاد فلسطين وايليا من ارض الشام
وسباهم وقتل فيهم وطلب العلوم ثم رد بني اسرائيل الى فلسطين
وحمل معهم الجواهر والاموال والات الذهب والفضة لهيكل بيت المقدس

وكان ملك الشام يوميذ وهو الذي بني مدينة انطاكيه وكانت دار ملكه
وجعل بنا سورها احد عجايب العالم في البنا علي السهل والجبل ومسا
السور اثني عشر ميلا وجعل عدد الابراج فيها مايه وستة وثلاثين برجا
وجعل عدد شرافاتها اربعة وعشرين الف شرافه وجعل كل برج من الابراج
منزلا لبطريق اسكنه اياه بخيله ورجاله وجعل كل برج منها طبقات ٢٩٤٠
للدواب لمرابط الخيل في اسفله وارضه والرجال والبطريق في اعلاه وكل
برج منها كالحصن عليه ابواب حديد واثنا دا الابواب من الحديد الا
الوقت وهو سند اساس ونلبره بالماء واظهر في الجبل مياه لا سبيل
الي قطعها من خارج وجعل الي المياه منصبه في مجاري قنا الي
سور حما ودورها ورايت فيها من ملح المياه ما يستحجر في مجاريها
المعموله من الخزف لرادف العفونه فيها فيرا كم طبقات ويمنع الماء من الجريان
لاشتداده فلا يعمل الحديد في كسره وقد ذكرنا في كتاب المرهج بالقضايا
والتجارب ما شاهدناه حسا وما في البنا خبر مما يولد من ماء انطاكيه
في اجساد الحيوان الناطق واجوافهم وما يحدث في معدهم من الرياح السود
البارده والقولنجية الغليظه وقدار د المرشيد نسيمها فقيل
له بعض ما ذكرنا من اوصافها وتراد في الصدا علي السلاح من السيوف
وغيرها بها وعدم ارايح انواع الطيب بها واستحالته فاسمع من سكانها
ثم ملك علي اليونانيين هيلوس الصانع سنا وعشرين سنه ثم ملك بعده
عليهم بطليموس المعروف بمحب الاب سبع عشره سنه وكانت له حروب
مع ملوك الشام وصاحب انطاكيه الاسكندروس وهو الذي
بني مدينة فاميه بين حمص وانطاكيه ثم ملك اليونانيين بطليموس
صاحب علل الفلك في النجوم وكتاب المجسطي وغيره اربعا وعشرين سنه
ثم ملك بعده بطليموس محب الام خمسا وثلاثين سنه ثم ملك
بعده بطليموس الصانع الثاني سبعا وعشرين سنه ثم ملك بطليموس
الاسكندراني اثني عشر سنه ثم ملك بطليموس الحرري ثماني
سنين ثم ملك بعده بطليموس الجوال ثماني سنين وكانت له حروب
كثيره ثم ملك بعده بطليموس الحديث ثلاثين سنه ثم ملكت
بعده ابنته قلابطره وكان ملكها اثنين وعشرين سنه وكانت حكيمة
متفلسفه مقربه للعلما معظمه للحكما ولها كتب مصنفه في الطب
والزينه وغير ذلك من الحكمه مترجمه باسمها ومنسوبه اليها معروفه
عند اهل صنعة الطب وهذه الملكه اخر ملوك اليونانيين الحال
انقضى ملكهم ودثرت اثارهم الا ما بقي من علومهم وقد كان
لهذه الملكه خبر طريف في موتها وقتلها لنفسها وقد كان لها زوج يقال

له انطونيوس مشاركا لها في ملك مقدونيه وهي بلاد مصر من
الاسكندريه وغيرها فسار اليهم الثاني من ملوك الروم من بلاد
رومية وهو اغشطش وكان اول من سمي قيصر واليه نسبت
القياصره بعده وسنذكر خبره في باب ملوك الروم بعد
هذا الموضع فكانت له حروب بالشام ومصر مع فلما نظرت
الملكه ومع زوجها انطونيوس الي ان قتله ولم يكن لها النظر في دفع
اغشطش ملك الروم عن ملك مصر حيله واراد اعمال الحيله
في اخذها لعلمه بحكمتها وليتعلم منها لانها كانت بقية الحكماء
اليونانيين ثم يعذبها ويقتلها فراسلها وعلمت مراده فيها
وما قد دبره من قتل بعلها وجنوده فطلبت الحيه التي
تكون بين الحجاز ومصر والشام وهي نوع من الحيات تراعي الانسان
حتى اذا ما انتقل من النظر الي عضو من اعضايه قفزت ادرعا كثيره
كالريح فلم تخط ذلك العضو بعينه حتى تتفل فيه سما فتاتي عليه
ولا يعلم بها لجموده من فوره ويتوهم الناس انه قد مات فجاة
حتف انفه ورايت نوعا من الحيات بين بلاد خوزستان
من نواحي الاهواز للمتراد بلاد فارس من البصره وهو الموضع المعروف
بخان مردويه بين ماسيد دورق وبلاد الباسيان والقيدم
في الما وهي حيات شبريه ويدعي هنالك المعز ذات راسين
تكون في الرمل وفي جوف رمل الارض فاذا احست بالانسان او غيره
من الحيوان وثبت من موضعها اذرعا كثيره فضربت بلحاء راسيها
الي اي موضع من ذلك الحيوان لحقت فتعطلت من ساعته ضد الحياه
وعادمها للحين فبعثت في الانطار ذلك فاحتمل لها الحيه من
المقدم ذكرها الي موعد باطراف الحجاز فلما كان في اليوم الذي
علمت ان اغشطش يدخل في قصر ملكها امرت بعض جواريها
ممن احبت قتلها ولم لا يلحقها العذاب بعدما امتحنتها في اتيانها
لحتفها من ساعتها دونها وجلست الملكه علي سريرها ووضعت تاجها
علي راسها وعليها ثيابها من زينة ملكها وجعلت لانواع الرياحين
والزهر والفاكهه والطيب وما يجمع بمصر من عجايب الرياحين
وغيرها مما ذكرنا مبسوطا في مجلسها وقدام سريرها وعملت
بما احتاجت اليه من امورها وفرقت حشمها من حولها فاشتغلوا
بانفسهم عن ملكهم بما قد غشيهم من دخول عدوهم عليهم في
دار ملكهم وادنت يدها من الاناء الزجاج الذي كانت فيه الحيه
ووضعت في الاناء ولم تجد نجاة ولا مذهبا تذهب لاتقان

فتمالت عليها الحيه فحصبت مكانها
وانساب الحيه

ذلك المجلس بالرخام والمرمر والاصطناع فدخلت في تلك الرياحين
ودخل انقشطيش حتى انتهى الى المجلس فنظر اليها جالسة
والتاج على راسها فلم يشك انها تنطق فدنا منها وتبين انها
ميتة وتعجب بتلك الرياحين فيديم الحكل نوع منها يلمسه
ويتبينه ويتعجب خوض من بعد به ولا يدري ما سبب
موتها وهو متاسف عليها فاترهنها فبينما هو كذلك من شاول
تلك الرياحين ويشتمها اذ قفزت عليه تلك الحية فنهشته
بسمها فيبس شقه الايمن من ساعته وذهب بصره الايمن وسمعه
وتعجب من فعلها وقتلها لنفسها واختيارها الموت على الحياة مع
الذل ثم ما كادته به من القاء الحية بين تلك الرياحين وقال
في ذلك شعرا بالرومية يذكر حاله وما نزل به وقصتها وذاقا ما
بعد ما نزل به ما ذكرنا يوما وهلك ولولا انها كانت قد افرغت
سمها على الجارية من قبل لا نطرح لكان قد هلك من ساعته ولم
تمهله مدة المداح وهذا الشعر معروف الحرام الغاية عند
الروم يذكرونه في نوحهم ويغنون به ملوكهم وربما ذكروه في
اغانيهم وهو متعالم معروف عندنا وقد ذكرنا فيما سلف من
كتبنا سائر هولاء الملوك واخبارهم وحروبهم وطرائف البلاد
وحكاياتهم وما احدثوه من الارداء والنخل ومقاتل فالاسقية
وغير ذلك من اسرارهم وعجيب اخبارهم والذي يعول عليه
عدد ملوكهم واتفق عليه جماعة من اهل المعرفة باخبارهم ان
جميع ملوك اليونانيين اربعة عشر ملكا اخرهم اغلاطه فالانطرح
وان عدد جميع سني ملكهم وعدد اياديهم واتقاد سلطانهم
ثلاثمائة سنة واحدى وكان كل ملك يملك من اليونانيين بعد
الاسكندر بن فيلبس يسمى بطليموس وهذا الاسم الاعم انسان
لملوكهم كتسمية ملوك الفرس كسرى وتسمية ملوك الروم قيصر
وتسمية ملوك اليمن تبع وتسمية ملوك الحبشة النجاشي وتسمية
ملوك الزنج وفيلمي وقد ذكرنا جملا من مراتب ملوك العالم
واسمائهم واسمائها الاعم انسانا لهم مما سلف من كتبنا هذا وسنذكر
فيما بعد هذا الموضع المستحق لهم من هذا الكتاب جملا اعبدت رنا
الملوك والممالك ان شا الله تعالى

ذكر الروم وما قاله الناس في انسابهم وعدد ملوكهم وتاريخ سنيهم

تنازع الناس في الروم والاية علة سموا بهذا الاسم فمنهم من قال
سموا روما للاضافة الى المدينة رومية واسمها رومانس بالرومية
فغرب هذا الاسم فسمي من كان بها روما وكذلك الروم في لغتهم لا يسمون
انفسهم ولا يدعوهم اهل الثغور الا رسيس ومنهم من راى ان
هذا الاسم اسم للاب وهو روم بن سماحيق بن هرتنان بن علفا
ابن العيص بن اسحق بن ابرهيم الخليل عليه السلام ومنهم من
راى انهم سموا باسم جدهم رومي بن لبطي بن يونان بن يافث
بن ربيه بن سرخون بن رومية بن ربط بن نوفيل بن رومل
بن الاصفر بن اليفز بن العيص بن اسحاق وقد ذكر جماعة
ممن سلف من شعراء العرب قبل ظهور الاسلام لا ثم ما وصفنا
فيهم منهم عدي بن زيد العبادي حيث يقول

وبنو الاصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذكور

وقد كان العيص بن اسحاق تزوج الى بنات الكنعانيين فاثر
اولاده منهم وقيل ان العماليق وهم العرب البادية الذين كانوا
بالشام من ولد العمر بن العيص وكذلك رعويل وهم ما له
شقاد الى العرب الا الى الروم دون ما ذكرنا من العماليق وغيرهم
وهذه الانساب كلها تتعلق بما في التوراة وغيرها من الكتب
العبرانيين قال المسعودي وغلب الروم على ملك
اليونانيين لاخبار يطول ذكرها ويتعذر في هذا الكتاب شرح
فكان اول من ملك من ملوك الروم وهاسطوغاس وهو
جانوس الاصغر بن روم بن سماحليق فكان ملكه اثنين
وعشرين سنة وقد قيل ان اول من ملك من ملوك الروم بعد
اليونانيين قيصر واسمه غالوس اولبوس ثماني عشرة سنة
وفي نسخة اخرى ان اول من ملك من الروم بعد اليونانيين يولوس
يوليس سبع سنين ونصفا وقد كانت مدينة رومية بنيت
قبل اليونانيين بثمانية ثم ملك بعده اوغسطس قيصر
ستا وخمسين وهذا الملك اول من سمي من ملوك الروم قيصر
وهو التاج من ملوكهم وتفسير قيصر شق عنه وذلك ان امه ماتت
وهي حامل به فشق بطنها وكان هذا الملك يفتخر في وقته
ان النساء لم تلده وكذلك من حدث بعده من ملوك الروم
ممن كان ولده يفتخر بهذا الفعل وما كان من اتيهم فصار
سمة لمن ظهر بعده من ملوك الروم والله اعلم
وغزا هذا الملك الشام ومصر والاسكندرية وازال من بقي
من ملوك الاسكندرية ومقدونية وهي مصر وقد قدمنا
ان كل ملك كان يلي مقدونية والاسكندرية يسمى بطليموس والحيو

هذا الملك اعني اغسطس كان اخر ابن ملوك الاسكندرية وتقدم
ونقلها الي رومية وكانت الحروب تشتد في الارض قد اتينا
علي ذكرها فيما سلف من كتبنا وكان يعبد الاوثان بارض الروم وهدنا ومدن صح
وكوره كورا ينسب اليه ملك المدن منها قيسارية وكان مولد
المسيح عيسى بن مريم وهو ايشوع الناصري علي حسب ما قد منا
ذكرنا في هذا لاثنين واربعين سنة خلت من ملك قيصر هذا
فكان من ملك الاسكندر الي مولد المسيح ثلثماية سنة تسع وتسعون
سنة ورايت في مدينة انطاكية في بعض تواريخ الروم
الملكية في كنيسة البستان انه كان من ملك الاسكندر الي
مولد المسيح ثلثماية سنة وتسع سنين وكان مولد ايشوع الناصري
لاحدى وعشرين سنة خلت من ملك هيرودوس ملك بني اسرائيل
في ذلك العصر بايليا من بلاد فلسطين وهو كما شرح بالعبرانية
فمن هبوط ادم الي مولد المسيح في تواريخ اصحاب الزائج من اهل
الكتب خمسة الاف سنة وخمسماية سنة وخمسون سنة ونصفا
فكان مدة ملكه علي الروم برومية وفي سائر اسفاره ستا وخمسين
سنة علي حسب ما قدمنا من موته ولبس الحية اباه وجفاه ونصفه
وذهاب سمعه وبصره عند ذكرنا الفصل فلا نطول بنفسه في الباب
الذي قبل هذا ه ثم ملك الروم بعده طباريس وكان مدة ملكه
اثنين وعشرين سنة ولثلث سنين بقيت من ملكه رفع المسيح
ولما هلك هذا الملك برومية اختلفت الروم وتحزبت فاقا موا
علي الاختلاف الكلمة والتنازع في الملك مائتي سنة وثمانيا وتسعين
سنة لانتظام لهم ولا ملك يجمعهم ه ولما انقضى ما ذكرنا من
المدة ملك عليهم طيباريس باقى بمدينة رومية وكان ملكه اربع
سنين والقوم لا يعرفون غير عبادة التماثيل والصور ه ثم
ملك بعده فلوديس اربع عشر سنة وذلك برومية وهذا
اول من ملك من ملوك الروم شرع في قتل النصارى واتباع المسيح
وقيل ان في ايامه قتل بطرس واسمه بالسريانية شمعون والعرب
تسميه سمعان وهو وبولص صلبا منكسين وقد كان من خبرهما
مع الباس برومية وما مرا الي انطاكية وخبر الله تعالي عز وجل
عنهما في سورة ياسين ه ثم كان لهما بعد ذلك انباء عظيمة
وذلك بعد ظهور النصرانية برومية فجعلا في اخزانة من البلور
فهما علي ذلك بمدينة رومية في بعض الكنائس الجميلة الغاية
علي حسب ما قدمنا آنفا فيما سلف من هذا الكتاب واكثر غني بالجنا ر

... رومية صح

العالم وسير ملوكهم وتاريخهم فذهب الي انهما قتلا برومية في
ملك الخامس من ملوك الروم وتفرق ولد ايشوع النصري في الار ض
فصار ماري الي العراق فمات بمدينة برقا والصافية علي دجلة بين
بغداد وواسط وهذا البلد بلد علي بن عيسى بن داود بن الجراح
محمد بن داود بن الجراح وغيرهما من الكتاب فقبره هنالك في كنيسة
الي وقتنا هذا وهو سنة اثنين وثلثين وثلثماية تعظمه اهل النصرانية
وكان من الاثني عشر الي الهند داعيا الي شريعة المسيح فمات هنالك
وصار اخر الي خراسان فمات هنالك وموضع قبره مشهور تعظمه النصا ري
ومنهم من راى انه مات ببلاد نوها وجاء الحواريين ومنهم من نحو
العراق وموضعه مشهور ولحق ماركش بالاسكندرية من ارض
مصر وقبره هنالك وهو احد الاناجيل الاربعة الذين القوا الانجيل
وقد كان لماركش مع اهل مصر خبر طريف في مقتله وقد اتينا علي السبب
في ذلك في كتابنا الاوسط الذي كتابنا هذا تال له وقد اتينا
علي قصته مع اهل مصر ووصيته لهم حين اراد المسير الي ارض
المغرب انه من جاءكم علي صورتي فاقتلوه فانه سيرد اليكم اناس بعدي
يتشبهون بي فبادروا الي قتلهم ولا تقبلوا منهم ما يقولون ومضى
فلما غاب عنهم مدة من الزمان ورجع اليهم فجاءهم وهموا بقتله فقال لهم ويحكم
انا ماركش وعهد الينا تقتل من تشبه بي فقالوا اذا انا ماركش
قالوا لا سبيل الي تركك ولا بد من قتلك فقتلوه ه وقد كان قبل
ذلك سُئل في بدء الامر عن البراهين الموجبة لقوله وطلبوا منه
المعجزات وقيل لبعضهم ان كنت صادقا فيما اتيتنا به فاعرج
الي هذا السماء ونحن نرى ذلك فنزعوا عند ذلك ساعة وانه عزم
الصوف علي ان يصعد الي السما فتعلق به جماعة من تلاميذه وقالوا
لان مضيت من بيننا بعدك لن نسلك الان وكان امره بعد ذلك علي
ما قدمنا وتلاميذ المسيح اثنان واربعون تلميذا والاثني عشر من غير
الاثني وسبعين وهم لوقا ومتي وقد يعد ايضا في من الاثني
عشر ولا ادري ما معناهم في ذلك والاثنان الذان من الاثني
عشر يحيى بن سيدالي وماركش صاحب الاسكندرية والثالث الذي
ورد الي انطاكية وقد تقدمه بطرس وتوما وهو بولس وهو الثالث
المذكور في القرآن بقوله فعززنا بثالث وبولس في سائر هياكل
النصرانية من كل الحجم غير رهبان مصر لان ماركش اباح لهم ثم ملك
الروم برقد واستقام ملكه فرغب في عبادة التماثيل والاصنام
ويقال انه قتل في ملكه بطرس وبولس برومية علي حسب ما قدمنا وثما

العالم

دين النصرانية في الروم وكثرت فيهم الدعاة اليه فقتل هذا الملك
منهم خلائق وكان ملكه اربعة عشر سنة واشهرا ثم ملك بعده
طيطس واسبانوس مشتركين في الملك ثلاثة عشر سنة وذلك
بمدينة رومية ولسنة من ملكهما سار الى الشام فكانت لهما
مع بني اسرائيل حروب كثيرة عظيمة قتل فيها من بني اسرائيل
ثلثمائة الف وخربا بيت المقدس وحرثاه بالبقر وازالا رسمه ومحوا
اثره وكانت عبادتهما الاصنام ۵ ووجدت في بعض الكتب في التوا ريخ
ان اسعاقب الروم من ذلك اليوم الذي خرب فيه بيت المقدس
ان يسبي منهم كل يوم سبي يفعل ذلك من اطاف ببلادهم من الامم فلا
يوم من ايام العالم الا والسبي واقع بهم قل ذلك او كثر ۵ ثم ملك
الروم بعدهما ذوبطاس خمس عشر سنة عابدا للتماثيل
ومعظما لها ولسبع سنين نفى يوحنا التلميذ احد الاربعة من
اصحاب الانجيل الى بعض جزائر البحر ثم رده بعد ذلك ۵ ثم ملك
بارتوس سنة واحدة ۵ ثم ملك بعده بطرنوس تسعة عشر
سنة يعبد الاصنام ولسبع سنين خلت من ملكه مات يحنا التلميذ
۵ ثم ملك بعده ادرياس احد عشر سنة يعبد التماثيل وخرب ما بقي
لبني اسرائيل بالشام ۵ ثم ملك بعده ارطاليس اثنا وعشرين
وعشرين سنة وبنا بيت المقدس وسماه ايليا وهو اول من سماه بهذا الا سم
ايليا ۵ ثم ملك بعده مولس تسع عشر سنة يعبد الاصنام ۵ ثم ملك
بعده ولد له يقال له انطونيس يعبد التماثيل سبع سنين ۵
ثم ملك بعده الطرس الثاني اربع سنين يعبد التماثيل وفي ايام
ملك هذا الملك مات جالينوس الطبيب ۵ ثم ملك بعده الاكندر
ماميا وتفسير ماميا الفاجر وكان يعبد التماثيل وكان ملكه
ثلث سنين ۵ ثم ملك بعده غرداس يعبد الاوثان ست سنين
۵ ثم ملك بعده ديانوس يعبد الاوثان ستين سنة وامعن في
قتل النصرانية وطلبهم ومن هذا الملك هرب اهل الكهف وقد
اختلف الناس في اصحاب الكهف هم اصحاب الرقيم فزعموا ان اصحاب
الرقيم هو اسم اصحاب الكهف في لوح من حجر على باب تلك
المغارة ومنهم من راى ان اصحاب الرقيم غير اصحاب الكهف وقد
ذكرنا كلا الموضعين بارض الروم وقد حكى احمد بن الطيب بن
مروان السرخسي تلميذ يعقوب بن اسحق الكندي عن محمد بن موسى
المنجم حين انفذه الواثق بالله من سر من راى الى بلاد الروم
حتى اشرف على اصحاب الرقيم وهو الموضع المعروف بخارمى ۵ وقد

ذكرنا في الكتاب الاوسط قصة اصحاب الكهف وموضعهم من
بلادهم وكيفية احوالهم الى هذه الغاية وخبر اصحاب الرقيم
وما حكاه اصحاب محمد بن موسى المنجم وخادمهم ولم يحققه المتو كل
بهم حين اراد قتله بالسم وقتل من معه من المسلمين واخبرنا كان مهم
خبر السد الذي بناه الاسكندر ذو القرنين مانعا لياجوج ج
وماجوج **قال المسعودي** ووجدت في
كتاب صور الارض وما عليها من الابنية المعظمة والهياكل
المشيدة قد صور مقدار عرض السد فيما بين الجبلين دون
الطول والذهاب الصعد تسع درج ونصف من درج الفلك
بمقدار ذلك من الجبل الى الجبل خمسون ومائة فرسخ وهذا عند
جماعة من اهل النظر والبحث مستحيل كونه ۵ وقد انكر محمد
بن كثير الفرغاني المنجم ذلك وتكلم عليه وبرهن على فساده
وافرد لاحمد بن الطيب الذي قتله المعتضد بالله لما ذكرنا في
الكهف والرقيم رسائل قد اتينا على جميع ما قيل في
ذلك في الكتاب الاوسط ثم ملك جالس ثلاث سنين ۵ ثم ملك
بعده بدنوس نحوا من عشرين سنة وقيل خمسة عشر سنة
۵ ثم ملك بعده فوريس نحوا من عشر سنين ۵ ثم ملك ولد له
يقال له فارس نحوا من سنتين ۵ ثم ملك بعده فليطاس
عشر سنين ۵ ثم ملك بعدهم قسطنطين **قال المسعودي**
والذي وجدت في الاكثر من كتب التواريخ مما اتفقوا عليه ان
عدة ملوك الروم الذين ملكوا عليهم بمدينة رومية وهم الذ ين
قدمنا ذكرهم في هذا الكتاب لتسعة واربعون ملكا
وجميع عدد سني ملكهم من اول ملك ملكهم على حسب ما ذكرنا
من الخلاف في صدر هذا الكتاب الى قسطنطين هذا وهو
ابن هيلاني اربعمائة وثلاثون سنة وسبعة اشهر وستة
ايام ونسخ كتب التواريخ في المعنى مختلفة غير متفقة في اسماء
ملوكهم وعدة ممالكهم وما ذكرناه بالرومية فحينا ذلك ما يتأتى
لنا وصفه وهولاء الملوك سير واخبار هي موجودة في كتب
النصارى الملكية قد اتينا على ذكر بسوطها والغرض ههنا
في كتابنا في اخبار الزمان وما شيدوه من البنيان وما كان لهم
في هذا العالم من الاثار **ذكر ملوك النصرانية وهم**
ملوك القسطنطينية ولمع من اخبارهم ملك
قسطنطين بعد ان هلك فليطاس برومية وهو يعبد

الاوثان وكان اول من انتقل من ملوك الروم عن رومية الى دوبطا
وهي القسطنطينية فبناها وسماها باسمه الى وقتنا هذا. وقد
كان له في بنائها خبر ظريف مع ملوك برجان نحو هذا ومن بعض
ملوك ساسان وكان خروجه من رومية ودخوله في دين
النصرانية لسنة خلت من ملكه ولتسع سنين خلت من ملكه
خرجت امه هيلاني الى ارض الشام فبنت الكنائس وصارت
الى بيت المقدس وطلبت الخشبة التي صلب عليها المسيح عندهم
فلما صارت اليها حلتها بالذهب والفضة واتخذت لوجودها
عيدا وهو عيد الصليب وهو لاربع عشرة تخلو من ايلول وفيه
تفتح الترع والخلجانات ببلاد مصر على حسب ما نورده عند
ذكرنا اخبار مصر من هذا الكتاب وهي التي بنت كنيسة حمص
على اربعة اركان واستخرجت الصور والدفائن بمصر والشام
وصرفت ذلك الى بناء الكنائس وتشييد دين النصرانية وكل
كنيسة بالشام ومصر وبلاد الروم فانما بنتها هذه الملكة هيلاني
ام قسطنطين وقد جعل اسمها مع الصليب في كل كنيسة لها
وليس للروم في الحروف هاء هيلاني نغمة لحرف فالاول
اما الد وهي بحساب الجمل خمسة والثاني لام وهو ثلثون والثالث
اما له ايضا وهي خمسة ايضا والرابع النون وهي خمسون
والخامس يا وهي في حساب الجمل عشرة فذلك ما اختصارا
على ما ذكرنا وهذا صورة الحرف الذي هو مائة. ولسبع عشرة
سنة خلت من ملك قسطنطين بن هيلاني اجتمع ثلثمائة
وثمانية عشر اسقفا بمدينة نيقية بارض الروم فاقاموا دين النصرانية
وهذا الاجتماع اول الاجتماعات الستة الذي يذكرها الروم في
صلواتهم ويسمونها القداس ومعنى هذه الاجتماعات الستة
بالرومية السنودسات واحدها سنودس والاول بنيقية على
ما ذكرنا من العدد وكان الاجتماع فيه على اريوس وهذا اتفاق
من سائر اهل دين النصرانية من الملكية والمشارقة وهم العباد الذين
تسميهم الملكية وعامة الناس النسطورية واتفاق من اليعاقبة على هذا
السنودس ايضا والسنودس الثاني كان بالقسطنطينية على
مقدونس وعدة المجتمعين فيه من الاساقفة مائة وخمسون رجلا.
والسنودس الثالث بافسس وعدتهم مائتا رجل. والسنودس
الخامس بقسطنطينية وعدتهم مائة وستة واربعين رجلا
والسنودس السادس كان في ملكة المدن وعدتهم مائتان وتسعة

وثمانون

وثمانون رجلا وسنذكر بعد هذا الموضع في ترتيب ملوك الروم
هذه السنودسات دين النصرانية والرغبة فيها هو ان قسطنطين
خرج في بعض حروب برجان او غيرهم من الامم فكانت الحرب
بينهم سجالا نحوا من سنة ثم كانت عليه في بعض الايام فقتل
خلق كثير فخاف البوار فرأى في النوم كأن ارماحا نزلت من
السماء فيها عذب واعلام على رؤوسها صلبان من الذهب والفضة
والحديد والنحاس وانواع الجواهر والخشب وقيل له خذ
هذه الرماح وقاتل بها عدوك تنصر فجعل يحارب بها
في النوم فرأى عدوه منهزما وقد نصر عليه وولاه الدبر
فاستيقظ من رقدته فدعا بالرماح فركب عليها ما ذكرنا ورفعها
في عسكره وزحف الى عدوه فولوا فاخذتهم السيف فرجع
الى مدينة نيقية وسأل اهل الخبرة عن تلك الصلبان وهل
يعرفون شيئا من ذلك في الآراء والنحل فقيل له ان بيت
المقدس مجمع لهذا المذهب واخبر بما فعله قبله من الملوك
في قتل النصرانية فبعث الى الشام وبيت المقدس فحشر
له ثلثمائة وثماني عشر اسقفا اتوه وهو بنيقية فقص
عليهم امره فشرعوا له دين النصرانية فهذا هو السنودس
الاول وهو الاجتماع على حسب ما ذكرنا. وقد قيل ان ام
قسطنطين هيلاني كانت قد تنصرت واخفت ذلك
عنه قبل هذه الرؤيا فكان ملك قسطنطين الى ان هلك
احدى وثلثين سنة. وفي وجه آخر من التاريخ انه
ملك خمسا وعشرين سنة وقد اتينا على اخباره وحروبه
وخروجه مرتادا الموضع القسطنطينية ووروده الى
هذا الخليج الآخذ من بحر مايطس ونيطس في كتابنا في
اخبار الزمان والاوسط ولهذا خليج القسطنطينية
ياخذ من هذا البحر ويجري فيه هذا الماء جريا ويصب
الى بحر الشام وسبيل هذا الخليج ثلاثمائة وخمسون ميلا وقد
قيل اقل من ذلك وعرضه في الموضع الذي ياخذ من بحر مانطس
نحو من عشرة اميال وهناك عمارة ومدينة للروم يدعى
مسناه تمنع من يرد من ذلك البحر من مراكب القوم وغيرهم ثم يضيق
هذا الخليج عند القسطنطينية نحو من اربعة اميال وعليه
العمائر ويليه الى الموضع المعروف بالاندلس وهناك جبال
وعيرها كبيرة مادة موصوف تعرف بعبير مسلمة بن عبد الملك

وكان نزوله عليها حين حاصر قسطنطينية واشتهر مراكب المسلمين
من فم هذا الخليج مما يلي بحر الشام ومنتهى مصبه مضيق
وهناك برج يمنع من فيه من يرد من مراكب المسلمين في الوقت الذي
كانت للمسلمين مراكب تغزوا الروم واما الان فمراكب الروم
تغزوا بلاد الاسلام ه واخبرنا ابو عمير عدي بن حاتم بن عبد الباقي
الاذني وهو شيخ الثغور الشامية قديما الى وقتنا هذا وهو
من اهل التحصيل انه حين عبر الى القسطنطينية في هذا الخليج
حين دخل لاقامة الهدنة كان يجري هذا الماء ويرده مما
يلي البحر مانطس ه وربما تبين في الماء المر مما يلي بحر الشام ما يصح
فتجده فاترا وهذا مما يدل على اتصال هذين البحرين وانه قد
دخل من بحر الروم الى هذا الخليج ايضا ه وسمعت غير واحد
من اهل التحصيل من غزاة سلوقية من غلام ذكا قه
وقد كانوا دخلوا الى خليج القسطنطينية وساروا فيه
مسافة بعيدة انهم وجدوا الماء في هذا الخليج يقل في اوقات
من الليل والنهار ويكثر كالجزر والمد وعليه المدن والعمارة فلما
احسوا بنقصان الماء بادروا بالخروج منه الى البحر الرومي وان في
مدخله من بحر الروم مدينة تقرب من فم الخليج تطيف بالقسطنطينية
من جهتين مما يلي المشرق ومما يلي الشمال ويلي منها الجانب الجنوبي
فاما ما كان منها يلي الخليج ففيه قصر وابراج الا موضع في سور ه
نحو من ثلاثين ذراعا وقد ذكر انه اقل من ذلك ولذلك قصر موضع
فيه عشرين ذراع ولها ابواب كثيرة مما يلي البر والبحر وحولها
كنايس كثيرة وقد قيل ان لها ثلاثين بابا ومنهم من ذكر انها على
ماية باب صغارا وكبارا وهو بلد عفن مختلف الاهوية
مرطب الابدان للوجوه التي وصفنا من مياه البحار قال
المسعودي وكانت منازل الحكمة نامية عالية في زمن اليونانيين
وبرهة من مملكة الروم بعظم العلماء وشرف الحكماء وكانت
لهم الاراء في الطبيعيات والجسم والعقل والنفس والتعا ليم
الاربعة اعني الارثماطيقي وهو علم الاعداد والجومطريا
وهو علم المساحة والهندسة والاسطرنوميا وهو علم
التنجيم والموسيقى وهو علم تاليف اللحون ولم تزل العلوم
قايمة السوق مشرقة الاقطار قوية العالم شديدة المقام
سامية البنا الى ان تظاهرت ديانة النصرانية في الروم
فعفوا فضول معالم الحكمة وازالوا رسمها وعفوا سبلها

وطمسوا

وطمسوا ما كانت اليونانية ابانته وغيروا ما كانت القدماء منهم
اوضحته وقد كان من شديد ما تركته المعرفة بعلم الموسيقى لانه غذا
النفس ومطربها وملهيها تبتهج عند سماعه وتحن الى تاليف
اوضاعه وقد نطقت الحكماء بشرفه ونبهت على نفاسة محله
فقال الاسكندر من فهم الالحان استغنى عن ساير اللذات وقد
قالت الفلاسفة ان النغم والاغاني فضيلة شريفة كانت تعسر
على المنطق ليستوفي قدرته فلم يقف على اخراجها فاخرجتها النفس
الحانا فلما ظهرت عاشرتها وعشقتها وطربت اليها ورتبت
الحكماء الاوتار الاربعة بازاء الطبايع الاربع فجعلوا الزير
بازاء المرة الصفراء والمثنى بازاء الدم والمثلث بازاء البلغم
والبم بازاء المرة السوداء وقد استغنى القول في الموسيقى واصحاب
الملاهي والايقاع واصناف الرقص والطرب والنغم وبسبب النغم
وما استعملته كل امة من الامم من اصناف الملاهي من اليونانيين والربانيين
والنبط والسند والهند والفرس وغيرهم من الامم وذكرنا هنا سته
النغم للاوتار وممازجته ما بين النفس والالحان ونسبه تولد
الطرب وايقاع المرد ورد ذهاب الهموم والحزن وعلل ذلك الطبيعية
والنفسية وما احاط بذلك من جميع الوجوه في كتابنا المترجم بكتاب
الزلف وتبينا على طرايف اخبارهم وانواع علومهم وما اهيتهم في
كتابنا اخبار الزمان والاوسط فاغنى ذلك عن اعادته ها هنا اذ
هذا الكتاب في غاية الايجاز وان سنح لنا سانح ذكرنا المعلوم من هذه
الجوامع فيما يرد من هذا الكتاب ان شا الله تعالى ه ولان تعذر ذلك
فقد قدمنا التنبيه على ما سلف من كتبنا على الشرح والايضاح
ه ثم ملك الروم بعد قسطنطين بن هيلاني الملك المشتهر قسطنطين
بن قسطنطين الملك الماضي فكان ملكه اربعا وعشرين سنة
وبنا كنايس كثيرة وشيد دين النصرانية ه ثم ملك ابن اخي قسطنطين
الاول اليانس فرفض دين النصرانية ورجع الى عبادة الاوثان وهو
لليانس المعروف بالحنيفي واهل دين النصرانية لبغضهم له ولرجوعه
عن دين النصرانية وتغييره لرسومها يسمونه اليانس البرباط ه
وغزا العراق في ملك سابور بن اردشير بن بابك فاتاه سهم غرب
فذبحه ه وقد كان سار الى العراق في جنود كثيفة ولم يكن لسابور
حيلة في دفعه ولقاه للمفاجاة اياه فانصرف سابور عن اللقاء الى
الحيلة في دفعه فكان من امره ما وصفنا من سهم الغرب فكان ملكه الى ان
هلك سنة وقيل اكثر من ذلك وهو الملك الثاني بعد ظهور دين النصرانية ولما

هلك لليباس جنح من كان معه من الملوك والبطارقة والجيوش ففزعوا الى بطريق كان معظما فيهم يقال له يوبياناس وقيل انه كان بث الماضي فابى عليهم ان يملك الا ان يرجعوا الى دين النصرانية فاجابوه الى ذلك وضايق سابور القوم واحاط بهم وبعساكرهم فكان ليوبياناس مع سابور مراسلات وبينهما اجتماع ومحادثة ومعاشرة ثم افترقا وانصرف بجيوش النصرانية موادعا لسابور واخلف عليه ما اتلف من ارضه باموال حملها اليه وهدايا من لطائف الروم وشيد من دين النصرانية ورده الى ما كان عليه ومنع من الاصنام والتماثيل وقتل على عبادتها فكان ملكه سنة ه ثم ملك بعده واليس على دين النصرانية ثم رجع عنها وهلك في بعض حروبه فكان ملكه الى ان هلك اربعين سنة ه وقيل ان في ايامه استيقظ اهل الكهف من رقدتهم على حسب ما اخبر الله عز وجل انهم بعثوا احدهم بورقهم الى المدينة وهو الموضع من ارض الروم في الشمال وللناس بمرور على بعد من الفلك وازورار عن كهفهم في حال طلوعها وغروبها لموضعهم من الشمال كلام كثير فاخبر الله عز وجل في كتابه فقال وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم الآية ه وكانوا من اهل مدينة افسس ولسنة من ملكه كان اجتماع النصرانية وهو احد الاجتماعات فاعوا القول في روح القدس عندهم وحرموا مقدونس بطريق القسطنطينية وهو السنودس الثاني ه ثم ملك بعده دوسيس الاكبر وتفسير هذا الاسم عطية الله عز وجل وقام بدين النصرانية وكان اصله الاسبان وهي بعض الامم السالفة وقد كانت ممن ملك الشام ومصر والمغرب والاندلس وقد تنازع الناس فيهم فذكر الواقدي في كتاب فتوح الامصار ان بدا امرهم من اهل اصبهان وانهم بادوا من هنالك ومن الى وجبا انهم من قبل موت فارس الاول ه وقد ذكر عبيد الله بن خرداذبه نحو ذلك وساعدهم على ذلك جماعة من اهل السير والاخبار والاشبان من هيتم من ولد يافث بن نوح وبهم اللذريقة ملوك الاندلس واخرهم اذريق وقد تنوزع في دياناتهم فمنهم من راى انهم كانوا على دين المجوس ومنهم من راى انهم كانوا على مذهب النصرانية وغيرهم من عبادة الاصنام وقد قلنا ان الاشبان من انسابهم من ولد يافث بن نوح فكان مدة ملكه بدوسيس الى ان هلك سبع عشرة سنة ه ثم ملك بعده ارسادوسيس الاصغر وذلك بمدينة افسس وجمع مائتي اسقف وهو الاجتماع الثالث

الذي

الذي قدمنا ذكره آنفا ولعن فيه نسطورس البطرك وقد ذكرنا في كتابنا الاعظم في اخبار الزمان الحيلة التي وقعت على نسطورس بطرك القسطنطينية صاحب كرسي الاسكندرية ولما كان من نسطورس ونفيه ليوحنا المعروف بفم الذهب ولما كان من زيدقيا زوجة الملك الى ان نفي نسطورس من القسطنطينية الى انطاكية ثم منها الى صعيد مصر والمشارقة من النصارى اضيفوا الى نسطورس لانهم اتبعوه وقالوا بقوله وانما سمتهم الملكية بهذا الاسم لتغيرهم وتعنيهم بذلك وقد كانت المشارقة بالحيرة وغيرها من الشرق تدعى عباد وسائر نصارى المشرق يأبون من هذه الاسافعة الى نسطورس ويكرهون ان يقال لهم نسطورية وقد ابدى برصوما مطران نصيبين راي المشارقة في اللاهوت وهو الكلام في اقانيم الثلاثة والجوهر الزايد وتنبيه اتخاذ اللاهوت القديم بالناسوت المحدث وكان ملك بدوسيس الاصغر الى ان هلك اثنين واربعين سنة ه ثم ملك بعده مرقيانوس وزوجته بلخاريا وكان ملكه وفي ايامها كان خبر اليعاقبة من النصارى ووقوع الخلاف منهم في اللاهوت فكان ملكهما سبع سنين واكثر اليعاقبة بالعراق وبلاد تكريت والموصل والجزيرة ومصر انباطها الا اليسير فانهم ملكية والنوبة والارمن يعاقبة ومطران اليعاقبة بتكريت بين الموصل وبغداد وكانت لهم بالروب من دير عمر واحد ماثت وصهم اليوم بناحية حلب ببلاد جند سابور والعواصم وكرسي اليعاقبة رسمه ان يكون بمدينة انطاكية ولذلك لم يكن بمصر ولا اعلم لهم غير هذين الكرسيين وهما مصر وانطاكية ه ثم ملك بعدهما اللون الاصغر بن لنون كان ملكه ستة عشر سنة وفي ايامه اخرج ديسقورس اليعقوبي بطرك الاسكندرية فاجتمع له الاساقفة ستمائة وستون رجلا وذلك بخلقدونية وهذا الاجتماع هو السنودس الرابع عند الملكية واليعاقبة لا يعتد بها السنودس ولهم خبر طويل في قصة ديسقورس البطرك ولما كان من خبره وخبر تلميذه يعقوب البرذعاني ودعوته الى مذهب ديسقورس واليعاقبة به عرفت وكان من اهل انطاكية يعمل البراذع ه ثم ملك بعده اللون الاصغر لنون سنة على دين الملكية ه ثم ملك بعده بسر وهو من بلاد الارمينيا وكان يذهب الى راي اليعقوبية وكان ملكه سبع عشرة سنة وكانت له حروب مع خوذيه خرجوا عليه في دار الملك فظفر بهم ه ثم ملك بعده بسطاس وكان يذهب الى مذهب اليعقوبية وبنى مدينة

عمودية وأصاب كنوزا ودفاين عظيمة وكان ملكه الى ان هلك
تسعا وعشرين سنة ثم ملك بعده نوسطايا من تسع وستين
سنة ثم ملك بعده سطايا من تسعا وثلاثين سنة وقيل اربعين
وبنا كناس كثيرة وشيد من دين النصرانية واظهر مذاهب الملكية وبنا
كنيسة الرها وهي احد عجايب العالم والهياكل المذكورة وقد كان
في هذه الكنيسة منديل تعظمه النصارى وهو ان اليسوع الناصري
حين اخرج من ماء المعمودية تنشف به فلم يزل هذا المنديل
متداول الى ان قرر بكنيسة الرها فلما اشتد امر الروم على المسلمين
وحاصروا الرها في هذه السنة وهي سنة اثنين وثلثين وثلثماية
اعطي هذا المنديل للروم فجنحوا الى الهدنة وكان للروم عند
تسلمهم هذا المنديل فرح ثم ملك بعده ابن اخيه رهنطس
ثلث عشر سنة على راي الهاله ثم ملك بعده طاريس اربع
سنين واكثر في ملكه لنواع الملابس والالات وانية الذهب
والفضة وغير ذلك من الالات الملوكية ثم ملك بعده موريقيس
عشرين سنة ونصر كسرى ابرويز على بهرام جوبين فقتل بجملة
وبعث ابرويز محصنا لد بحيوس الى الروم وكانت لهم حروب
على حسب ما قدمنا وملك بعده توقاس ثماني سنين الى ان قتل
ايضا ثم ملك هرقل وكان بطريقا في بعض الجزاير قبل ذلك فعمر
بيت المقدس وذلك بعد انكشاف الفرس عن الشام وبنا الحنايا
ولسبع سنين من ملكه كانت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى
المدينة **ذكر ملوك الروم بعد ظهور الاسلام**
قال المسعودي وجدت في كتب التواريخ تنازعا في
مولد النبي صلى الله عليه وسلم في عصر من كان من الروم فذهب منهم
قوم الى ما قدمنا من مولده وهجرته ومنهم من راي ان مولده
عليه السلام كان في ملك رسطوس الاول وكان ملكه تسعا وعشرين
سنة ثم ملك رسطوس الاول وكان ملكه عشرين سنة ثم ملك
هرقل بن نسطوس وهو الذي ضرب الدراهم والدنانير الهرقلية
وكان ملكه خمسة عشر سنة ثم ملك بعده ابنه مورق بن هرقل
والذي في كتاب الزيجات النجوم وعليه تعمل اصحاب الحساب في
انواع تواريخ الروم ممن سلف وخلف ان الملك الروم كان في وقت
ظهور الاسلام وايام ابي بكر وعمر رضي الله عنهما هرقل وليس هذا
الترتيب فيما عداهم من كتب تواريخ اصحاب الاخبار والسير الا
في اليسير منها وفي تواريخ اصحاب السير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

هاجر وملك الروم قيصر ثم ملك بعده قيصر بن قيصر وذلك
في ايام ابي بكر الصديق رضي الله عنه ثم ملك على الروم هرقل بن
قيصر وذلك في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو الذي
حاربه امراء الاسلام والذين فتحوا الشام مثل ابي عبيدة بن
الجراح وخالد بن الوليد ويزيد بن ابي سفيان وغيرهم من
امراء الاسلام حتى اخرجوه من الشام وكان الملك على الروم مورق
بن هرقل في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ثم ملك مورق في
خلافة علي بن ابي طالب رضي الله عنه وايام معوية بن ابي سفيان
ثم ملك بعده قلفط بن مورق بقية ايام معوية وقد كانت بينه
وبين معوية مراسلات ومهادنات وكان المختلف بينهما فياق الرومي
كان غلاما لمعوية وقد كان هادن اباه فرق بن مورق ايام الحرب
علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكان بشر بالملك والعلم الى المسلمين
بجمع كلمتهم على قتل صاحبهم يعني عثمان ثم يؤول الملك
الى معوية وقد كان معوية يومئذ اميرا على الشام لعثمان رضي الله عنه
في خبر طويل قد اتينا على ذكره في الكتاب الاوسط وان ذلك من علم
الملاحم يتوارثه ملوك الروم عن اسلافها وكان ملك قلفط بن مورق
في الاخير من ايام معوية وايام يزيد بن معوية بن يزيد وايام مروان
بن الحكم وصدرا من ايام عبد الملك بن مروان ثم ملك لاوي
بن قلفط في ايام عبد الملك بن مروان وكان الملك بعده جيرون
بن لاوي في ايام الوليد بن عبد الملك وايام سليمن بن عبد الملك
وخلافة عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ثم اضطرب ملك الروم لما
كان من مسلمة بن عبد الملك وغزو المسلمين اياهم في البر والبحر
فملكوا عليهم رجلا من اهل بيت الملك من اهل مرعش يقال له
جرجيس وكان ملكه تسعة عشر سنة ولم يزل ملك الروم مضطربا
الى ان ملكهم قسطنطين بن اليون وذلك في خلافة ابي العباس
السفاح وايام ابي جعفر المنصور لخيبة ثم ملك بعده اليون
بن قسطنطين بن اليون وكانت امه ارينى الملكة بعده ومشاركة
له في الملك لصغر سنه في ايام هرون الرشيد فمات قسطنطين
بن اليون بن قسطنطين وسملت عينا امه بعد ذلك لاخبار
يطول شرحها ثم ملك على الروم نقفور واستبراق وكانت بينه
وبين الرشيد مراسلات وغزاه الرشيد فاعطى القود من نفسه من
بعد بغي كان منه في بعض مراسلاته فانصرف عنه ثم غدر ونقض
ما كان اعطاه من الانقياد دولة الرشيد لامر لعارض عاله كان حدث

بالرقة في انقياد يعفور الى الرشيد وحمله الاموال والهدايا والخراج
اليه بقول ابي العتاهية

امام الهدى اصبحت بالدين معلنا … واصبحت تسقي كل مستمطر ريا
لك اسمان شقا من رشاد ومن هدى … فانت الذي تدعى رشيدا ومهديا
اذا ما سخطت الشيء كان مسخطا … وان ترض شيا كان في الناس مرضيا
بسطت لنا شرقا وغربا يد العلى … فاوسعت شرقيا واوسعت غربيا
ووشيت اهل الارض بالجود والندى … واصبح وجه الارض بالجود موشيا
وانت امير المومنين فتى التقى … نشرت من الاحسان ما كان مطويا
قضى الله ان يصفو لهرون ملكه … وكان قضاء الله في الخلق مقضيا
تجليت الدنيا لهرون بالرضا … واصبح يعفور لهرون ذميا

فلما عوفي الرشيد من علته وحمل اليه بعض الشوك وتهايب الناس
ان يخبروه بغدر يعفور فقال

نقض الذي اعطاكه يعفور … فعليه دائرة البوار تدور
ابشر امير المومنين فانه … فتح اتاك به الاله كبير
فلقد تباشرت الرعية ان اتى … بالغدر عنه وافد وبشير
ورجت يمينك ان تعجل غزوة … تشفي النفوس نكالها مذكور
يعفور انك حين تغدر ان ناى … عنك الاله لجاهل مغرور
اظننت حين غدرت انك مفلت … هبلتك امك ما لجهل غرور
ان الامام على اقتسارك قادر … قربت ديارك ام نات بك دور
ليس الامام وان غفلنا غافلا … عما يسوس بحزمه ويدير
ملك تجرد للجهاد بنفسه … فعدوه ابدا به مقهور
يا من يريد رضا الاله بسعيه … والله لا يخفى عليه ضمير

وهي طويلة فلما انشد ذلك انفعل وعلم ان الوزرا قد احتالوا
بنحو من غزاه ونزل على هرقله وذلك في سنة تسعين ومايه
واخبرني ابو عمار عدي بن احمد بن عبد الباقي الازدي ان الرشيد
لما اراد النزول على حصن هرقلة فكان معه اهل الثغور وفيهم
شيخ الثغور الشامية مخلد بن الحسين وابو اسحاق الفزاري
صاحب كتاب السير فقال الرشيد لمخلد بن الحسين ما تقول
في نزولنا على هذا الحصن فقال هذا اول حصن لقيته من حصون
الروم وهو في غاية المنعة والعز فان نزلت عليه وسهل الله
فتحه لم يتعذر عليك فتح حصن بعده فامر بالانزال ودعا
بابي اسحاق الفزاري فقال له مثل ما قال لمخلد فقال له يا امير المومنين
هذا حصن بنته الروم في نحر الدروب وجعلته لها ثغرا من الثغور

وليس

وليس بالاهل فان انت فتحته لم يكن فيه ما يعم المسلمين من
الغنائم وان تعذر فتحه كان نقصا في التدبير والراي عندي
ان يسير امير المومنين الى مدينة عظيمة من مدن الروم فان
فتحت عمت غنائمها المسلمين وان تعذر ذلك قام العذر
فمال الرشيد الى قول مخلد فنزل على هرقلة ونصب
حواليها الحرب سبعة عشر يوما فاصيب خلق من المسلمين
وفنيت الازواد والعلوفات وضاق صدر الرشيد من ذلك
فاحضر ابا اسحق الفزاري فقال يا ابرهيم قد ترى ما نزل بالمسلمين
فما الراي الان عندك فقال يا امير المومنين قد كنت اشفقت
من هذا وقدمت القول فيه اشفاقا ورايت ان يكون الجد بالجد
من المسلمين على غير هذا الحصن والان فلا سبيل الى الرحيل عنه
بعد المباشرة فيكون ذلك نقصا في الملك ووهنا على الدين
واطماعا لغيره من الحصون في الامتناع على المسلمين والمصابرة
لهم ولكن يامر امير المومنين تاما بالندا في الجيش ان امير المومنين
مقيم على هذا الحصن الى ان يفتحه الله عز وجل على المسلمين وتام
بجمع الحجارة وقطع الخشب وبناء مدينة بازاء هذا
الحصن الى ان يفتحه الله ولا يكون هذا الخبر نموا الى من في الجيش
الا على المقام فان النبي صلى الله عليه وسلم قال الحرب خدعة
وهذه حيلة لا يحتاج فيها الى سيف وامر الرشيد من ساعته بالنداء
فحملت الحجارة وقطعت الشجر واخذ الناس في البنا فلما
راى اهل الحصن ذلك جعلوا يتسللون في الليل ويدلون
انفسهم في الحبال ۝ وفي خبر ابي عمير زيادات منها خبر
الجارية التي سباها الرشيد من هذا الحصن وهي ابنة بطريقه
وكانت ذات حسن وجمال فرادها صاحب الرشيد في
المقسم وبالغ حتى اشتراها له فبلغت من قلبه وبنا لها
الرافقة بناء على طريق بالس حصنا سماه هرقلة على الفراة
يحاكي به حصن هرقلة ببلاد الروم في حديث طويل قد
اتينا على جميعه في كتابنا الاوسط وهذا الحصن باق وهناك
الى هذه الغاية خراب يعرف بهرقلة ۝ واخبرنا محمد بن الحسن
بن دريد قال اخبرني ابو العساق الجبري عن شبيل الترجمان
قال كنت مع الرشيد حين نزل على هرقلة ففتحها ورايت على
بابها حجرا منصوبا مكتوبا عليه باليونانية فجعلت اترجمه والرشيد
ينظر الي وانا لا نعلم فكانت ترجمته ۝ بسم الله الرحمن الرحيم

يا ابن آدم غافص الفرصة عند امكانها وكل الامور الى وليها ولا يحملنك افراط السرور على المأثم ولا تحمل على نفسك هم يوم لم يأت فانه ان يكن من اجلك ويعش عمرك ان الله فيه برزقك ولا تكن من المغرورين بجمع المال فكم قد رأينا جامعا لبعل حليلته ومقترا على نفسه توفيرا لخزانة غيره وقد كان تاريخ الكتاب في ذلك اليوم زائدا على النيف سنة وباب هرقلة مطل على واد وخندق يطيف بها وذكر جماعة من اهل الحرم ومن اهل الثغور ان اهل هرقلة لما اشتد بهم الحصار وعضتهم الحرب بالحجارة والنار د والسهام فتحوا الباب فاستبشر المسلمون لذلك فاذا رجل من اهلها كاجمل ما يكون من الرجال قد خرج في اكمل السلاح فنادى يا معشر العرب قد طالت مواقفكم ايانا فليخرج الي منكم الرجل والعشرون مبارزة فلم يخرج من الناس احد ينتظر فيه اذن الرشيد وكان الرشيد نائما فعاد الرومي الى حصنه فلما انتهى الرشيد الخبر بذلك تأسف ولام خدمه على تركهم ايقاظه فقيل يا امير المؤمنين ان امتناع الناس منه اليوم سيطمعه ويطغيه واحر ان يخرج في غد فيعود لمثل قوله فطالت على الرشيد ليلته واصبح كالمنتظر له اذ فتح الباب فاذا الفارس قد خرج وعاد الى كلامه فقال الرشيد من له فابتدر جلة القواد فعزم على اخراج بعضهم فضج اهل الثغور والمطوعة بباب المضرب فاذنت لبعضهم وفي مجلسه مخلد بن الحسين وابراهيم الفزاري فدخلوا فقالوا يا امير المؤمنين قوادك مشهورون بالباس والنجدة وعلو الصيت ومباشرة الحروب ومتى خرج واحد منهم فقتل هذا العلج لم يكبر ذلك فان قتله العلج كانت وهنة عظيمة وثلمة لا تسد ونحن عامة ولا يرتفع لاحد منا صوت فان رأى امير المؤمنين ان يختار رجلا منا يخرج اليه فعل فاستصوب الرشيد رأيهم ووافق لمخلد وابراهيم صدقوا يا امير المؤمنين فاومى الجند الى رجل منهم يعرف بابن الجزري مشهور في الثغور موصوف بالنجدة فقال له الرشيد اتخرج فقال نعم واستعين بالله عليه فقال اعطوه فرسا ورمحا وسيفا وترسا فقال يا امير المؤمنين انا بفرسي اوثق ورمحي في يدي اشد ولكني قد قبلت السيف والترس فلبس السلاح فاستدناه الرشيد فودعه واتبعه الدعاء وخرج معه عشرون من المطوعة فلما انقض من الوادي قال لهم العلج وهو يعدهم واحد واحد انما كان الشرط فرد فقد

وقد زدتم رجلا ولكن لا بأس فنادوه ليس اليك منا الا رجل واحد فلما انفصل منهما ابن الجزري تأمله العلج وقد اشرف اكثر الروم من الحصن يتأملون صاحبهم فقال له الرومي اتصدقني عما اسألك عنه قال نعم قال انت ابن الجزري قال اللهم نعم فكفر له فقال انا كفوء لك ثم اخذا في شأنهما فتطاعنا حتى طال الامر بينهما وكاد الفرسان تقوم تحتهما وليس احد منهما خدش صاحبه ثم زحيا برمحيهما ولحق الجو اصحابه وهذا نحو حصنه وانتضيا سيفيهما وقد اشتد الحر عليهما وتبلد جواداهما فجعل ابن الجزري يضرب الرومي الضربة التي يظن انه قد بالغ فيها فيتقيها الرومي وكانت درقته حديدا فيسمع لذلك صوت منكر ويضربه الرومي فيتغير لان ترس ابن الجزري كانت درقة لمط وكان العلج يخاف ان يعض السيف فيعطب فلما يئس كل واحد منهما من صاحبه انهزم ابن الجزري فدخلت الرشيد والمسلمين كآبة لم يصبهم مثلها وعطعط المشركون وانما كانت حيلة من ابن الجزري على العلج وعدا خلفه العلج فلما تمكن منه ابن الجزري رماه بوهق فاختطفه من سرجه ثم عطف عليه فما
ن وصل الى الارض حتى فارق رأسه فكبر المسلمون والسرور المشركون وبادروا الباب ليغلقوه واتصل الخبر بالرشيد فصاح بالقواد ان يجعلوا في حجارة المجانيق النار فليس عند القوم دفع بعده وعاجلهم المسلمون الى الباب فدخلوه بالسيف وقيل انهم نادوا بالامان فامنوا وافتتحها عنوة اثنتي من شوال وقال ابو المعالي ففتحت صحافة لهذا اليوم ابيات عن المكي

هوت هرقلة لما ان رأت عجبا ‖ جوائما ترتمي بالنفط والنار
كأن نيراننا في جنب قلعتهم ‖ مصبغات على ارسان قصار

ان صم

ومما كلام ضعيف لكنه عظيم القدر في ذلك الوقت لمعنى وعظمت لصاحبه الجائزة وصبت عليه الاموال وعلى ابن الجزري وتوفر خلع عليه فلم يقبل شيئا من ذلك وسال ان يعفى ويترك على ما هو وفي ذلك يقول ابو العتاهية

الا نادت هرقلة بالخراب ‖ من الملك الموفق للصواب
غدا هرون يرعد بالمنايا ‖ ويبرق بالمهند والقضاب
ورايات يحل النصر فيها ‖ تمر كأنها قطع السحاب
امير المؤمنين ظفرت فاسلم ‖ وابشر بالغنيمة والاياب

وللرشيد مع نقفور هذا بعد ذلك اخبار كثيرة قد اتينا
على مبسوطها في كتابنا الاوسط وما كان من خبره في ارساله
ليحيى بن النحيز حين امر ان يتطارش على نقفور وما كان
من نقفور واخباره لبطارقته ان الرشيد بعث هذا
متصاما وما طالبه ابن النحيز حين عرضت عليه الجواري بدينار
او درهم عليه صورة الملك وما كان من انقياد نقفور بعد
ذلك الى طاعة الرشيد وشرطه ان يحمل اليه ابنة كان رهط
العشيرة وهي عند الهدون وهي في غاية الصفاء والرقة
وغير ذلك مما عندنا امسكنا طلبا للاختصار ثم ملك بعد نقفور
استبراق بن نقفور في ايام محمد الامين ولم يزل ملكا حتى غلب
على الملك قسطنطين بن قلفط وكان ملك قسطنطين هذا
في خلافة المامون ثم ملك بعده توفيل وذلك في خلافة
المعتصم وهو الذي فتح زبطرة وغزاه المعتصم بسببه ثم ملك
بعده ميخائيل بن توفيل وذلك في خلافة الواثق والمتوكل
والمنتصر والمستعين ثم كان بين الروم تنازع في الملك فملكوا
عليهم توفيل بن ميخائيل بن توفيل ثم غلب على الملك بسيل
الصقلبي وليس من اهل بيت الملك فكان ملكه ايام المعتز
والمهتدي وبعض خلافة المعتمد ثم ملك بعده ابنه
اليون بن بسيل بقية ايام المعتمد وصدرا من خلافة
المعتضد ثم هلك فملكوا عليهم ابنا له يقال له الاكند دوس
فلم يحمدوا امره فخلعوه وملكوا عليهم اخاه لاوي بن اليون
ابن بسيل الصقلبي وكان ملكه بقية ايام المعتضد والمكتفي
فصدرا من ايام المقتدر ثم هلك وخلف ولدا له صغيرا
يقال له قسطنطين فملك وغلب على مشاركته في الملك ارمنوس
بطريق البحر وصاحب حربه فزوج قسطنطين الصبي بابنته
وذلك في بقية ايام المقتدر وايام القاهر والراضي والمتقي
الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلثين وثلثمائة في خلافة
ابي اسحق المتقي لله بن المقتدر فملوك الروم في هذا الوقت
المؤرخ ثلثة فالاول منهم والمدبر للامور ارمنوس المتغلب
ثم الثاني وهو قسطنطين بن لاوي بن اليون بن بسيل الملك
المتملك ثم الثالث ابن ارمنوس خاطبه اسمه اصطفانوس
وجعل ارمنوس ابنا له اخر صاحب الكرسي بالقسطنطينية
وهو البطرك الاكبر الذي يأخذ وا عنه دينهم وقد كان خصا

قبل ذلك

قبل ذلك وقرب الى الكنيسة فامر الروم في وقتنا هذا يدور على
من ذكرنا من ملوك الروم قال المسعودي الى هذا الوقت اتينا
اخبار ملوك الروم على حسب ما ذكرنا والله اعلم بما يكون من امرهم في
المستقبل من الزمان فجميع عدد سني ملوك الروم المتنصرة من
قسطنطين بن هيلاني وهو المظهر لدين النصرانية على ما ذكرنا
الى هذا الوقت خمسمائة سنة وسبع سنين والذي اجتمع عليه
من عدد ملوكهم من قسطنطين الى هذا الوقت المؤرخ احدو اربعون ٥
ملكا ولم نعد ابن ارمنوس ودفعنا العدد على قسطنطين وارمنوس
اللذين هما ملكا الروم في هذا الوقت المؤرخ وان ادخلنا في
هذا العدد ابن ارمنوس فعدد ملوك الروم من بدء النصرانية
وهو ملك قسطنطين بن هيلاني اثنان واربعون ملكا في مدة هذه
السنين المذكورة وقد ذهب جماعة ممن عني باخبار العالم
من هبوط ادم الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلثين وثلثمائة ر
المؤرخة ستة الاف سنة ومائتان وتسع وخمسون سنة وسنذكر لر
فيما يرد من هذا الكتاب جملا من تاريخ سني العالم والانبياء
والملوك في باب نفرده لذلك ان شاء الله تعالى وبه العون والقوة

ذكر مصر واخبار نيلها وعجائبها واخبار ملوكها
وغير ذلك مما اتصل بهذا الباب

قال المسعودي ذكر الله عز وجل ثناؤه مصر في مواضع
من كتابه فقال عز وجل وقال الذي اشتراه من مصر لامراته وقال
ادخلوا مصر ان شاء الله امنين وقال واوحينا الى موسى واخيه
ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا وقال اهبطوا مصرا فان لكم ما سالتم
وقوله وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه
ووصف بعض الحكماء مصر فقال ثلثة اشهر لؤلؤة بيضاء
وثلثة اشهر مسكة سوداء وثلثة اشهر زمردة خضراء وثلثة
اشهر سبيكة حمراء فاما اللؤلؤة البيضاء فان مصر في شهر ابيب
وهو تموز ومسرى وهو اب وتوت وهو ايلول يركبها الماء فترى ذهب
الدنيا بيضاء وضياعها على روابي وتلال مثل الكواكب وقد
احاطت بها المياه من كل وجه فلا سبيل الى بعضها الا في
الزواريق وأما المسكة السوداء ففي شهر بابه وهو تشرين
الاول وهتور وهو تشرين الثاني وكيهك وهو كانون الاول ينكشف
الماء عنها وينضب عن ارضها فتصير مسكة سوداء فيها تمكن
المزدرعات وللارض روائح طيبة تشبه روائح المسك

فاما الزمرد الاخضر فان في شهر طوبه وهو كانون الثاني وامشير
وهو شباط وبرمهات وهو آذار تلمع ويكثر عشبها ونباتها
فتصير الدنيا خضرا كالزمرد. واما السبيكة الحمرا فان
في شهر برموده وهو نيسان وبشنس وهو ايار ويبقى برده
حين يطلع سنبل الزرع ويتورد العشب وهو سبيكة
الذهب منظرا ومنفعة وسنذكر هذه الشهور بالسريانية
والعبرية والفارسية ونستخرج شهرا منها بعد هذا الموضع
من هذا الكتاب وان كنا قد اتينا على جميع ذلك في الكتاب
الاوسط. ووصف بليغ مصر فقال نيلها عجب وارضها
ذهب وهي لمن غلب ملكها سلب ومالها رغب وخيرها
جلب وفي اهلها صخب وطاعتهم رهب وسلمهم شغب
وحربهم حرب. ونهر النيل من سادات الانهار واشراف
البحار لانه يخرج من الجنة على حسب ما ورد به خبر الشريعة
وهو ان النيل وسيحان وهو نهر اذنة من الثغر الشامي ويصب
الى البحر الرومي ويخرج من الحوم ثلاثة ايام من ناحية
ملطية ويجري في بلاد الروم وليس للمسلمين عليه الا
مدينة اذنة بين طرسوس والمصيصة وجيحان ومخرجه
من عيون بعد وبعرف جيحان على ثلاثة ايام من مدينة مرعش
ويطرح الى البحر الرومي وليس للمسلمين عليه من المدن الا
المصيصة وكفربيا ويجري بينهما والفرات. وقد قدمنا
الاخبار عن وصف النيل ومبداه ومقدار جريانه على وجه
الارض ومصبه فيما سلف من هذا الكتاب بجيحون والجند
وكذلك دجلة والفرات وغيرهما مما اشتهر من الانهار
الكبار وقد قالت العرب في النيل اذا زاد غاضت له الانهار د
والعيون والآبار واذا غاض زادت وزيادتها من غيضه
وغيضه من زيادتها وقالت الهند زيادته ونقصانه بالسيول
ونحن نعرف ذلك بتوالي الانوا وكثرة الامطار وركود السحاب ب
وقالت الروم لم يزد قط ولم ينقص وانما زيادته من الشمال اذا
كثرت واتصلت وقالت القبط زيادته ونقصانه من عيون
في شاطئه يراها من سافر ولحق باعاليه وقد ذكرنا تنازع
الناس في النيل وزيادته ممن سلف وخلف على الشرح
والايضاح وغيره من الانهار الكبار والبحار والبحيرات
الصغار في كتاب اخبار الزمان في الفن الثاني فاغنى ذلك

عن اعادته

عن اعادته في هذا الكتاب. ومصر من سادات القرى ورؤسا المدن
قال اسحاق حاكيا عن يوسف اجعلني على خزاين الارض وهي
مصر وليس في انهار الدنيا نهر يسمى بحرا غير نيل
مصر لكبره واستبحاره وقد قدمنا فيما سلف من كتبنا
الخبر عن جبل القمر الذي يبدا النيل منه وما يظهر من تاثير القمر
فيه عند زيادته ونقصانه من النور والظلام في البدو والمحاق
وقد روي عن زيد بن اسلم في قوله جل من قايل فان لم يصبها
وابل فطل قال هي مصر ان لم يصبها وابل زكت وان لم يصبها
مطر ضعفت ولبعض الشعرا

مصر ومصر شانها عجيب ونيلها يجري به الجنوب

وهي مصر اسمها معناها وعلى اسمها سميت الامصار ومنه
اشتق هذا الاسم عند علما المصريين وقد قال عمرو
ابن معد يكرب

ما النيل اصبح زاخرا بمدوده وجرت له ريح الصبا فجرى لها

قال المسعودي ويبتدى نيل مصر بالتنفس والزيادة
بقية بوونه وهو حزيران وابيب وهو تموز ومسرى
وهو آب فاذا انتهت الزيادة الى ذراع ست عشرة ففيه
تمام خراج السلطان واخصب الناس وفيه تمام ريع البلد
عام وهو ضار بالبهايم لعدم المرعى والكلا واتم الزيادات
كلها النافعة للبلد كله سبع عشرة ذراعا وذلك
كفايتها وري ارضها جميعا واذا زاد على السبعة عشر
ذراعا وبلغ ثماني عشرة ذراعا اغلقت استبحر من مصر
الربع وفي ذلك ضرر لبعض الضياع لما ذكرنا من وجه
الاستبحار وغير ذلك. واذا كانت الزيادة ثماني عشرة
ذراعا كانت العاقبة في انصرافه حدوث وبا بمصر واكثر
الزيادات ثماني عشرة ذراعا وقد كان النيل بلغ في زيادته
تسع عشرة ذراعا وذلك في سنة تسع وتسعين في خلافة
عمر بن عبد العزيز ومساحة الذراع الى ان يبلغ اثنتي عشرة
ذراعا ثمان وعشرون اصبعا ومن اثنتي عشرة ذراعا
الى ما فوق يصير الذراع اربعا وعشرين اصبعا واقل ما يبقى في
قاع المقياس من الما ثلاثة اذرع وفي مثل تلك السنة يكون قليلا
والاذرع التي يستسقى عليها بمصر ذراعان يسمى منكرا ونكيرا وهي
ذراع ثلاث عشرة ذراعا وذراع اربع عشرة ذراعا واذا انصرف الما

الما صح

في هذين الدراعين اعني ثلث عشر واربع عشر وزيادة نصف
نصف دراع من الخمس عشر استبشر الناس بمصر وكان الفرد
شاملا لكل البلد الا ان باذن الله في زيادة الما واذا تم ستة عشر
ودخل في سبعة عشر كان فيه صلاح لبعض الناس ولا يستسقى
فيه وكان ذلك نقصانا من خراج السلطان والترع التي لقصبة
مصر اربع امهات اسماها ترعة ذنب التمساح وترعة بلقينه
وخليج دودس وخليج ذات الساحل ويفتح هذه الترع اذا كان
اذا كان الما زايد في عيد الصليب وهي لاربع عشرة تخلو
من توت وهو ايلول وقد قدمنا خبر تسمية هذا اليوم بعيد
الصليب فيما سلف من هذا الكتاب والنبيذ الشيري يتخذ بمصر من ماء
شهر طوبي وهو كانون الاخر بعد الغطاس وهو لعشر يمضين من طوبي
واصفا ما يكون النيل في ذلك الوقت واهل مصر يفتخرون بصفا النيل
في هذا الوقت وفيه يخزن الما اهل تنيس ودمياط وتونة وساير
قرايا البحيرة ولليلة الغطاس بمصر شان عظيم عند اهلها لا ينام
الناس فيها وهي ليلة احدى عشرة تمضي من كانون الثاني ولقد حضرت سنة
ثلثين وثلثماية ليلة الغطاس بمصر والاخشيد محمد بن طغج في داره
في المختارة في الجزيرة وجانب الفسطاط الف مشعل غير ما اسرج
اهل مصر من المشاعل والشمع وقد حضر النيل في تلك الليلة الوف الوف
من الناس من المسلمين والنصارى منهم في الزوارق ومنهم في الدور
الدانية للنيل ومنهم في الشطوط لا يتناكرون الحضور ويظهرون
كل ما يمكنهم اظهاره من المآكل والمشارب والملابس والات الذهب
والفضة والجواهر والملاهي والعزف والقصف وهي احسن ليلة
تكون بمصر واشملها سرورا ولا تغلق فيها الدروب ويغطس اكثرهم في
النيل ويزعمون ان ذلك امان من المرض ونشرة للداء قال المسعودي
فاما المقاييس الموضوعة بمصر لمعرفة زيادة النيل ونقصانه فاني
سمعت جماعة من اهل الخبرة يخبرون ان يوسف النبي عليه السلام
حين بنا الفيوم اتخذ مقياسا لمعرفة زيادة النيل ونقصانه
ولم يكن بمنف ولما بنا الفسطاط وهو بابليون دلوكة الملكة العجوز
وضعت مقياسا لغربا قصير الدراع صغيرا ووضعت دلوكة مقياسا
لغربا الصعيد ببلاد اخميم وهذه المقاييس الموضوعة قبل الاسلام
ثم ورد الاسلام وافتتحت مصر وكانوا يتعرفون زيادة النيل ونقصانه
بحلوان والى عبد العزيز بن مروان فاتخذ مقياسا بحلوان وهو صغير الدراع
وحلوان فوق الفسطاط ثم اتخذ اسامة بن زيد التنوخي مقياسا بالجزيرة

التي تدعا جزيرة الصناعة وهي الجزيرة التي بين الفسطاط والجيزة
والعبور اليها من الفسطاط على الجسر ثم منها الى الجسر الى الجيزة
وهو الجانب الغربي لان الفسطاط من الجانب الشرقي وهذا المقياس
الذي اتخذه اسامة اكبرها ذراعا واتخذ ذلك في ايام سليمن
ابن عبد الملك وهو المقياس الذي يعمل عليه في وقتنا هذا وهو
سنة اثنين وثلثين وثلثماية بالفسطاط وقد كان من سلف يقيسون
بالمقياس الذي بمنف ثم ترك استعماله وعملوا المقياس الجزيرة
المعمول في ايام سليمن بن عبد الملك وفي هذه الجزيرة مقياس لبني
احمد بن طولون والعمل عليه عند زيادة الما وترادف الرياح
واختلاف مهابها وكثرة الموج وقد كانت ارض مصر تروي من
ست عشرة ذراعا عامرها وغامرها لما احكموا من جسورها وبناء
قناطرها ومصب خلجانها وكان بمصر سبع خلجان فمنها
خليج الاسكندرية وخليج سخا وخليج دمياط
وخليج منف وخليج الفيوم وخليج سردوس وخليج
المنهى وكانت مصر فيما يذكر اهل الخبرة اتصل البلاد جنانا
وذلك ان جنانها كانت متصلة بحافتي النيل من اوله الى اخره
من حد اسوان الى رشيد وكان الماء اذا بلغ في زيادته تسع اذرع
دخل خليج المنهى وخليج الفيوم وخليج سردوس وخليج
سخا وكان الذي تولى حفر خليج سردوس لفرعون عدو الله
هامان فلما ابتدا في حفره اتاه اهل القرى يسالونه ان يجري
الخليج تحت قراهم ويعطونه على ذلك ما اراد من المال وكان
يعمل ذلك حتى اجتمعت له اموال عظيمة فحمل تلك الاموال الى
فرعون فلما وضعها بين يديه ساله عنها فاخبره بما فعل فقال
فرعون انه ينبغي للسيد ان يعطف على عبيده ويفيض عليهم
معروفه ولا يرغب فيما في ايديهم ونحن احق من فعل هذا
بعبيده فاردد على اهل كل قرية ما اخذت منهم ففعل هامان
فرد على اهل كل قرية ما اخذ منهم فليس في الخلجان
التي في ارض مصر اكثر عطوفا وعراقيل من خليج سردوس
فاما خليج الفيوم وخليج المنهى فان الذي حفرهما يوسف
ابن يعقوب صلى الله عليهما وذلك ان الريان بن الوليد ملك
مصر لما راى رؤياه في البقرات والسنابل وعبرها يوسف
استعمله على ما كان يلي من ارض مصر وقد اخبر الله بذلك عند
اخباره عنه بقول يوسف اجعلني على خزاين الارض اني
حفيظ عليم قال المسعودي وقد تنازع اهل
الملة في مصر المؤمنين مع الفاسقين فمنهم من زعم ان الملك

كان مؤمنا ولولا ذلك لما وسع يوسف معاونة الكفار والتصرف في
أوامرهم ونواهيهم ومنهم من رأى أن ذلك جائز على توجيه الحال
الوقت والأصلح للحال وقد ذكرنا قول كل فريق من هؤلاء في كتابنا
في المقالات في أصول الديانات فأما أخبار مصر وخلجانها
المنهى والمطاطي ومطاطي المطاطي وهذه عمارة أهل مصر يريد [الفيوم صح]
بذلك المنخفض وكيفية فعل يوسف فيها وعمارة أرضها بعد
نوبها ضربه ومصفاة الماء من الصعيد ومن جزيرة وقد أحاط
الماء جنبتيه بأكثر أقطاره وقد أتينا على ذلك في الكتاب الأوسط
وقد أغنى عن إعادته في هذا الكتاب وكذلك في تسمية الفيوم فيوما
ولم ذلك ألف يوم فما كان من خبر يوسف مع الوزير وحسده
إياه وقد كانت مصر على ما زعم أهل الخبرة والعناية بأخبار شأن
العالم يركب أرضها ماء النيل وينبسط على ما نزل إذا الصعيد
إلى أسفل الأرض وموضع الفسطاط في وقتنا هذا وكان يأتي ذلك
في موضع يعرف بالجنادل بين أسوان والحبشة والنوبة وقد قد
ذكرنا ذلك فيما سلف من هذا الكتاب إلى الزعم لذلك موانع من
اشتغال الماء وجريانه وما ينقلع من الرمل بتياره من موضع إلى موضع ومصب
من بعض المواضع من بلاد مصر على حسب ما وصفنا عن صاحب المنطق
في عمران الأرض وخرابها فيما سلف من هذا الكتاب فسكن الناس
بلاد مصر ولم يزل الماء ينضب عن أرضها قليلا قليلا حتى امتلأت
أرض مصر بالمدن وطرقوا الماء وحفروا له الخلجان وعقدوا
في وجهه المسنيات إلا أن ذلك خفي عن ساكنيه لأن طول الزمان
ذهب بمعرفة أول سكانها كيف كان ذلك ولم نعرض في هذا
الكتاب لذكر العلل الموجبة لامتناع المطر بمصر والكثير من
أخبار الإسكندرية وكيفية بنائها والأمم التي تداولتها والملوك
التي سكنتها من العرب وغيرهم لأنا قد أتينا على ذلك في الكتاب الأوسط
وسنورد بعد هذا الموضع جملا من أخبارها مما لم نقدم شيئا منها وما كان
من الإسكندرية فيما قال المسعودي وقد كان لأحمد بن طولون
بمصر بلغه في سنة نيف وستين ومائتين أن رجلا بأعلى
بلاد مصر من أرض الصعيد لدى النوبة وفي سنه من الأقباط ممن
يشار إليه بالعلم من أهل الحداثة والنظر والإشراف على
الآراء والنحل من مذاهب المتفلسفين وغيرهم من أهل الملل
وأنه علامة بمصر وأرضها وبرها وبحرها وأخبارها
وأخبار ملوكها وأنه ممن سافر في الأرض وتوسط في الممالك
وشاهد الأمم من أنواع البيضان والسودان وأنه ذو معرفة

بهيآت

بهيآت الأفلاك في النجوم وأحكامها فبعث أحمد بن طولون رجلا من
أصحابه في قواده فحمل في النيل إليه مكرما وكان قد انفرد عن الناس
في بنيان قد اتخذه وسكن في أعلاه قد أرى له الولد الرابع
عشر من ولد ولده فلما مثل بحضرة أحمد بن طولون نظر الحاضرون
دلائل الهرم في بنيته وشواهد ما أتى عليه من الدهر ظاهرة
والحواس سليمة والعصبة قائمة والعقل صحيح بينهم عن
مخاطبته فتحيروا البنيان والحواس عن نفسه فاستنبهه بعض
مقاصيره ومهد له وحمل إليه لذيذ المآكل والمشارب فأبى
أن ينوطا على شيء وأن يتغذى بغذاء إلا بغذاء كان
حمله معه من كعك وغيره وقال هذه بنية قوامها بما أزود
من هذا الغذاء وبهذا الملبس فإن أنتم حملتموني النقلة عن
هذه العادة وتناول ما لم أعود عليه من المآكل والمشارب
والملابس كان ذلك سبب اختلال هذه البنية وتغير هذه
الصورة فتركه على ما كان عليه وجرت عادته تركا لحضرة
أحمد بن طولون في حضرة من أهل الدراية ومن يرغب همته إليه وخلا
له بنفسه في ليالي وأيام يتبرم لسمع كلامه وإيراده جوابه
فيما يسأل فكان مما سئل عنه الخبر عن حين تنيس
ودمياط فقال كانت أرضا لم يكن بمصر مثلها استواء وطيب
تربة وثراوة وكانت جنانا ونخلا وكرما وشجرا ومزارع
وكانت فيها قرى على ارتفاع من الأرض وقرى في قرارها ولم
ير الناس بلدا كان أحسن من هذه الأرض ولا أحسن اتصالا
من جنانها وكرومها ولم يكن بمصر كورة يقال إنها تشبهها
إلا الفيوم وحدها وكانت أكثر خيرا من الفيوم وأخصب
وأكثر فاكهة وريحانا من الأصناف الغريبة وكان الماء منحدرا
إليها لا ينقطع عنها صيفا ولا شتاء يسقون منه جنانهم
إذا شاؤوا وكذلك زروعهم وسائره ينصب إلى البحر من سائر
خلجانه ومن الموضع المعروف بالأشتوم وقد كان بين البحر
وبين هذه الأرض مسيرة يوم وكان فيما بين العريش والجزيرة [نحو صح]
قبرس طريق مسلوك بحجر تسلكها الدواب ولم يكن فيما
بين جزيرة قبرس والعريش إلا مخاضة وجزيرة قبرس
اليوم منها وبين العريش في البحر مسير طويل وكذلك فيما
بينها وبين أرض الروم وقد كان بين الأندلس وبين الموضع
الذي يسمى الخضراء وهو قريب من فاس المغرب وطنجة قنطرة مبنية

بالحجاره والطوب ثم علتها الدواليب والابل من ساحل المغرب الى بلاد
الاندلس والى المغرب وطي البحر تحت تلك القنطرة بقناطير
خلجانات صغار تجري تحت قناطرها والعقاد من الطاقات بعضها
على بعض وقد عقد من كل جحر الى جحر طاق وهو يسد بحر
الروم من الخندم اقيانس وهو البحر المحيط الاكبر فلم يزل الماء
يتزيد ماؤه ويعلوا ارضنا فارضنا في طول ممر السنين يرى ما بنته
اهل كل زمان ويتبسه اهل كل عصر ويبنون عليه حتى علا
الما الطريق الذي كان بين الوثبل وبين قرس وعلا القنطرة
التي كانت بين الاندلس وبين جزيرة فاس وما وصفت فيه ظاهر
عند اهل الاندلس واهل فاس من ساحل المغرب من خبر هذه القنطرة
فربما بدا الموضع لاهل المراكب تحت الما فيقولون هذه القنطرة
وكان طولها نحوا من عشرين ميلا في عرض واسع فلما مضت
له ثمانون من ملكه مايتان واحدى وخمسون سنة هجم الما من
البحر على بعض المواضع التي تسمى اليوم بحيرة تنيس فلعله فقد
وتزيد في كل عام فلغرقها باجمعها فما كان من القرى التي في قرارها
تعرف واما التي كانت على ارتفاع من الارض فبقيت منها تونة
وسنود وغير ذلك مما هي باقية الى هذا الوقت والما محيط بها
وكان اهل القرى التي في هذه البحيرة يلقون موتاهم الى بنيس
فيعبون بهم واحدا فوق واحد وهي هذه الاكوام تسمى بالكوم وكان ل
استحكام غرق هذه الارض باجمعها وقد مضى لملك دقيانوس س
مايتان واحدى وخمسون سنة وذلك قبل ان تفتح مصر بمايه سنة
قال وقد كان الملك من ملوك الامم كانت داره الفرما مع اركون
من اكبر البنيا وما اتصل بها من الارض حروب وخنادق
وخلجان فتحت من النيل الى البحر تمنع كل واحد من الاخر
فكان ذلك داعيا لتشعب الما من النيل واستيلايه على تلك
الارض وسيل عن حلول الاحابش على النيل ومما لكهم فقال
لقيت من ملوكهم ستين في ممالك مختلفة كل ملك منهم ينازع من
يليه من الملوك وبلادهم حاره يابسه مسوده لبشرهم لسعة هوائها تها
واستحكام النارية فيها تغيرت الفضة ذهبا لطبخ الشمس
اياها بحر ارتها ويبسها ونار يتها فتحولت ذهبا وقد يطبخ
الذهب الذي يوتى به من المعدن خالصا صفاحا بالملح والزاج ح
والطوب فيخرج منه فضة خالصة بيضا وليس هذا الامر
الامر له لا الا بما وصفنا ولا تقارب شيا مما ذكرناه قيل له فما

منتهى

منتهى النيل في اعلاه قال البحيرة التي لا يدرك طولها وعرضها
وهي تحت الارض التي فيها الليل والنهار متساويان طول الدهر
وهو الموضع الذي تسميه المنجمون الفلك المستقيم وما ذكرت خرميم
فمعروف غير منكر وسيل عن بنا الاهرام فقال انها قبور ملوك
كان الملك منهم اذا مات وضع في حوض حجاره وتسمى بمصر والشام
الجرون واطبق عليه ثم بنا له من الهرم على قدر ما يريدون من
ارتفاع الاساس ثم يحمل الحوض فيوضع وسط الهرم ثم يعتقد عليه
البنيان والاقتا ثم يرفعون البنا على هذا المقدار
الذي يريدونه ويجعل باب الهرم تحت الهرم ثم يحفر له طريق في الارض الارض
ويعقد ازج فيكون طول الازج تحت الارض مايه ذراع واكثر
ولكل هرم من هذه الاهرام باب مدخله على ما وصفت قيل له
فكيف بنيت هذه الاهرام الململسة على اي شي كانوا يصعدون وله
ويبنون وعلى اي شي كانوا يحملون هذه الحجاره العظيمه التي
لا يقدر اهل زماننا هذا على ان يحركوا الحجر الواحد الا بجهد
ان قدروا فقال ان القوم كانوا يبنون الهرم مدرجا ذا مراقي
كالدرج فاذا فرغوا منه نحتوه من فوق الى اسفل فهذا كانت
حيلتهم وكانت مع هذا لهم قوة وصبر وديانة وطاعة وكانت
لملوكهم ديانة فقيل له ما بال هذه الكتابة التي على الاهرام م
والبرابي لا تقرا فقال درس الحكما واهل العصر الذين كان
هذا قلمهم وتداول اهل مصر الامم فغلب اهلها القلم الرومي
فاشكال الاحرف نبتت لاهل الروم تقروه على حسب تعارفها
اياها وخلطها لاحرف الروم باحرفها على حسب ما ولدوا
من الكتابة بين الروم والقبطي الاول فذهبت عنهم كتابة
اباهم قيل له فمن اول من سكن مصر قال اول من نزل هذه الا ص
مصر مصر بن حام بن نوح وهي الى انساب اولاد نوح الثلثه
واولادهم وتفرقهم على الارض قيل له اتعرف بمصر مقاطع رخام
قال نعم في الجانب الشرقي من الصعيد جبل عظيم من الرخام كانت
الاوائل تقطع منها العمد وغيرها وكانوا يحكون ما عملوا بالرمل
بعد النقر واما العمد والقواعد والرووس التي عملها اهل
مصر الاسوانية ومنها حجاره الطواحين فكان الاولون
بعد حدوث النصرانية بمايتين من السنين ومنها العمد التي بالا سكندر
والعمود الذي بها الضخم الكبير لا يعلم بالعالم عمود مثله وقد
رايت في اسوان اخا هذا العمود قد هندم ونقر ولم ينفصل

الجبل فيها الى حيث يريد القوم وسيل عن مدينة العقاب
فقال هي غربي اهرام بوصير الجيزه وهي على خمسة ايام بلياليها
لمن اراد الجد وقد عفي طريقها وعمي المسلك اليها والسمت الذي يوصل
نحوها وذكر ما فيها من عجايب البنيان والجواهر والاموال العظيمة
التي لها سميت مدينة العقاب ووصف مدينة اخرى غربي اخميم
من ارض الصعيد ذات بنيان عجيب اتخذتها الملوك السالفة دوابا دهم
الدهر وذكر من شان هذه المدينة الاخرى عجايب الاخبار وعمران
بينها وبين اخميم من ارض الصعيد مسيرة ستة ايام وسيل عن
النوبة وارضها فقال هم اصحاب ابل وبخت وبقر وغنم وملكهم
يستفيد الخيل العتاق والاغلب من ركوب عامتهم البراذين
ورميهم بالنبل عن قسي عربية وعنهم اخذ الرمي اهل الحجاز واليمن
وغيرهم من العرب وهم الذين تسميهم العرب رماة الحدق ولهم
النخل والكروم والذرة والموز والحنطة وارضهم كانها ارض
اليمن وللنوبة اترج كبار مثلها بارض الاسلام وملوكهم يزعمون
انهم من حمير وملكهم يستولي على مقري ونوبة ووراء علوة امة
عظيمة من السودان تدعى بكنه وهم عراة كالزنج وارضهم
ينبت فيها الذهب وفي ممالك هذه الامة يتشعب النيل ويفرق
منه خليج عظيم ثم يخرج من الخليج بعد انفصاله عن النيل
وينحدر الاكثر الى بلاد النوبة وماء النيل لا يتغير فاذا كان
في بعض الازمنة انفصل الاكثر من الماء في ذلك الخليج وابيض
الاكثر واخضر الاقل فيشق ذلك الخليج في اودية وجبال
واعماق من نوسر حتى يخرج الى الخلجان والجنوب في ذلك ساحل
الزنج ومصبه في بحرهم ثم سيل عن الفيوم وبحر اللاهون
فذكر كلاما ليس في امر الفيوم ولن جارية من بعض بنات الروم
وانهم تولوا الفيوم وكانوا البدو في عمارة ارضها وانما كان
الماء ياتي الفيوم من المنهى ايام جري النيل ولم يكن بحر
اللاهون بعد وانما كان مصب الماء من المنهى من الموضع المعروف
بديموه من بحر اللاهون على ما هو اليوم عليه ويقال ان يوسف
ابن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم بناه في ايام العزيز ودبر
امر الفيوم ما هو اليوم قايم بين من الخليج المرتفع والمطاطي طي
وهو خليج فوق خليج وبنا القنطرة المعروفة بسنوقوتيه
واقام العمود الذي وسط الفيوم وهو غايص في الارض لا يدرك
منتهاه منها وهو احدى عجايب الدنيا مرتفع الشكل وقد

وجد

وقد وجد اناس من الامم بعد يوسف لم ينتهوا الى قعر في الارض طه
حفرا فلم ياتي لهم دركه لا يقدرون عليه وغلبهم الماء
فلم يمهم وراس هذا العمود مساو للارض فهذي حال واما
بحر اللاهون فان من سطح الحجر الذي فيما بين القبتين
الى ناحية اللاهون واللاهون هي القرية بعينها فيما بين
السطح الى القرية ستون درجة تدرج قبل الماء الى اعلاه في ظهر
بعض الدرج وفي حايط الحجر فوارات بعضها اليوم
يخرج منه الماء وبعض لا يرى وفيما بين السطح الحجر الذي
فيما بين القبتين وبين القرية شاذروان وهو اسفل الدرج وانما
يدخل الماء الفيوم بوزن الحجر وجعلت الاسقا له ومنه المقاطر
ليخرج الماء منها ولا يعلو الماء الحجر ايام سيده فيما يتقادر
بين بحر اللاهون ويقدر ما يلي الفيوم من الماء يدل اليها
وبنا بحر اللاهون من عجب الامور واحكم البنيان ومن البنا
الذي بني على وجه الارض ولا يتحرك ولا يزول بالهندسة
عما الفلسفة اتقن وفي السعود لنصب وقد ذكر كثير من اهل
بلدنا ان يوسف عمل ذلك بالوحي والله اعلم ولم تزل ملوك
الامم اذا غلبت على بلادنا واحتوت على ارضنا صارت الى هذا
الموضع فتاملته لما قدمنا اليها من اخباره وصارت في الخليقة
من عجيب بنيانه واتقانه وكان هذا الرجل من اقباط مصر ممن
يظهر دين النصرانية وراي اليعقوبية قال له ابن طولون في
بعض الايام وقد احضر مجلسه بعض اهل النظر ان يسئله
عن الدليل على صحة دين النصرانية فساله عن ذلك فقال القبطي
دليلي على صحة النصرانية وجودي اياها متناقضة متنافية
تدفعها العقول وتنفر منها النفوس لتباينها وتضادها
لا نظر يقويها ولا جدل يصححها ولا برهان يعضدها من العقل
والحس عند التامل لها والفحص عنها ورايت مع ذلك
امما كثيرة وملوكا عظيمة ذوي معرفة وحسن قد انقادوا
اليها وتدينوا بها مع ما ذكرت من تناقضها في العقل لدلايل
شاهدوها وايات علموها ومعجزات عرفوها اوجبت
انقيادهم اليها وتدينهم بها فقال له السايل وما التضاد
الذي فيها قال وهل يدرك ذلك او تعلم غايته منها قولهم
بان الواحد ثلثة والثلثة واحد ووصفهم الاقانيم والجوهر
وهو الثالوث القديم بالانسان المحدث وما جرى في ولادة فليد

وقتله وهل في التشنيع اكبر والخزي من الله صلب وبصق
في وجهه ووضع على راسه اكليل الشوك وضرب راسه
بالقضيب وسمرت يداه ونخس بالاسنة والخشب جنباه
وطلب الماء فاسقي الخل في بطيخ الحنظل فامسكوا عن مناظ تر
وانقطعوا عن مجادلته لما قد اعطاهم من تناقض مذهبه
وفساده ووهيه فقال لطبيب لابن طولون يهودي وقد
حضر المجلس اياذن الامير في مخاطبته قال شانك فاقبل
على القبطي مسايلا له فقال له القبطي وما انت ايها الرجل
قال يهودي فقال المجوسي اذن قال له وكيف ذاك وهو
يهودي فقال لانهم يرون نكاح البنات في بعض الحالات اذ
كان في دينهم ان الاخ يزوج بنت اخيه وعليهم ان يتزوجوا
نساء اخوتهم اذا ماتوا فاذا وافق اليهودي ان يكون امراة
اخيه ابنته لم يجد بدا من ان يتزوجها وهذا من اسرارهم
ومما يكتمونه ولا يظهرونه فاي المجوسية اشنع من هذا
فانكر اليهودي ذلك وجحد ان يكون في دينه او يعرفه احد
من اليهود فابحث ابن طولون صحة ذلك فوجد ذلك الطبيب
اليهودي قد تزوج امراة اخيه وهي ابنته ثم اقبل القبطي على
ابن طولون فقال ايها الامير هولاء يزعمون واشار الى اليهودي ان
الله خلق ادم على صورته وعن نبي من انبيائهم سماه له قال في كتابه
انه راى قديم الايام ابيض الراس واللحية وان الله قال
اني انا النار المحرقة والحمى الاكلة وانا الذي اخذ الابناء
بذنوب الاباء ثم لم يرض في توراتهم ان نسبوا لوطا سقيه الخمر حتى
سكر وزنى بهن وحملهن معه وحملن منه ولم يرضوا حتى ادعوا على
الله الرسالة مرتين حتى اشتد غضب الله عليه وان هرون
صنع العجل الذي عبده بنو اسرائيل وان موسى اظهر معجزات
لفرعون فعملت السحرة مثلها من قلب الماء دما والحيوان والبقر
والتوريث الحاسن في ابدانها ولحومها وبحكمهم على العقل
ومنعهم من النظر بغير برهان وهو قولهم ان شريعتهم لا تنسخ
ولا يقبل قول احد الانبياء بعد موسى اذا اخرج عما جاء
به موسى فلا فرق في قضية العقل بين موسى وغيره من الانبياء
اذا اتى ببرهان وبان نجد من الاخبار نفيهم وقولهم في يوم عيار
الكبور وما يلحقهم سفا وهو لعمري يخلو من ان الاول ان الرب

الصغير

الصغير يسمونه سيطرون يقوم في هذا اليوم قائما وينتف
شعر راسه ويقول الهي اذا اخترتني وقامتي منتصبه
الا ان رفعتها حتى اني بيتي وذرع اليهود اقاصيص وتخاليط
كثيرة ومناقضات واسعة واخذ القبطي في مجالس كثيرة
مع ابن طولون مع جماعة من الفلاسفة والثنوية والديصانية
والصابئة والمجوس وعدة من متكلمي الاسلام قد اتينا على
ذكر ما احتمل منها ايراده كتابنا في اخبار الزمان وذكرنا جميع
ذلك في كتابنا المقالات في اصول الديانات وكان هذا القبطي
على ما ظهر للناس خيره وصح عندنا من قوله يذهب الى فساد النظر
والقول بتكافؤ المذاهب واقام عند ابن طولون نحو سنة فاجازه
واعطاه فابا قبول شي من ذلك فرده الى الاسكندرية واقام بعد
ذلك مدة من الزمان يترهب ولهم مصنفات تدل على كلامهم
على ما ذكرنا عنه والله اعلم بكيفية ذلك واليهودي يابا ما ذكر
عنهم القبطي في نكاح بنت الاخ وانكرهم يوبل التزوج لبنت
الاخ **قال المسعودي** وفي نيل مصر وارضها عجايب
كثيرة من انواع الحيوان مما في البر والبحر من ذلك السمك المعروف
بالرعادة وهو نحو الذراع اذا وقعت في شبكة الصياد
ارتعدت يداه وعضداه فيعلم بوقوعها فبادر الى اخذها
واخراجها عن شبكته ولو امسكها بخشبة او قصبة فعلت
كذلك وقد ذكر جالينوس وانها ان جعلت على راس
من به مرض او صداع شديد او شقيقة وهي في الحياة هدا
من ساعته والفرس الذي يكون في نيل مصر اذا خرج من الماء
وانتهى وطاه الى بعض المواضع من الارض علم اهل مصر ان زيد
النيل الى ذلك الموضع بعينه غير زايد عليه ولا مقصر عنه لا يختلف
ذلك عندهم لطول المعاملة والتجارب وفي ظهوره من الماء
ضرر باهل الارض والغلات لرعيه الزرع وذلك انه يظهر
في الماء في الليل فينتهي الى موضع من الزرع ثم يولي عايدا الى
الماء فيرعى في حال رجوعه من الموضع الذي انتهى اليه في مسيره
ولا يرعى من ذلك شيا في ممره كانه يحدد مقدار ما في حوايله
في موضع شي فيلبث ذلك من رايته فاذا كثر ذلك من فعله
واتصل ضرره بارباب الضياع طرح لهم الترمس في الموضع
الذي يعرف خروجه منه مكاييل كثيرة مبددا على سطح اليبس طا
فياكله ثم يعود الى الماء فيربو في جوفه ويزداد في انتفاخه

فينشق جوفه فيموت ويطفو على الماء ويقذف به الى الساحل
والموضع الذي يكون فيه ولا يكاد يرى فيه تمساح وهو على
صورة الوزغ الا ان حوافره ودنبه بخلاف ذلك والجبهة ترفع
قال المسعودي وقد ذكر جماعة من الشرعيين ان مصر
ابن حام بن نوح لما انفصل عن ارض بابل بولده وكثير من اهل
بيته غرب نحو مصر وكان له اولاد اربعة مصرين بيصر دون
ابن بيصر وماح وياح فنزل بموضع يقال له منف ولذلك
يسمى الجيوق هذا وكان عددهم ثلثين فسميت بهم كما سميت
مدينة ثمانين من ارض الجزيرة وارض الموصل من ديار بني حمدان
وانما سميت الى عدد ساكنيها ممن كان مع نوح في السفينة وكان
بيصر بن حام قد كبرت سنه فاوصى الى الاكبر من ولده وهو مصر
واجتمع الناس اليه وانضافوا الى جملته واخصبت البلاد فملك
عليهم مصر بن بيصر وملك من حد رفح من ارض فلسطين من بلاد
الشام وقيل من العريش وقيل من الموضع المعروف بالشجرة
وهو اخر ارض مصر والفرق بينها وبين الشام وهو الموضع المشهور
بين العريش ورفح الى بلاد اسوان من ارض الصعيد طولا ومن ايلة
وهي تخوم الحجاز الى برقة عرضا وكان لمصر اولاد اربعة وهم
قبط واشمون واتريب وصا فقسم مصر بين ولده الاربعة الارض اربا عا
وعهد الى الكبير من ولده وهو قبط واقباط مصر ينضافون
في النسب اليه وهو قبط بن مصر واضيفت المواضع الى ساكنيها
وعرفت باسمائهم فمنها اشمون وقبط وصا واتريب وهذه اسماء
هذه المواضع الى هذه الغاية فاختلطت الانساب وكثر ولد
قبط وهم الاقباط فغلبوا على سائر الارض ودخل غيرهم في
انسابهم لما ذكرنا من الكثرة فقيل لكل قبط مصر وكل فريق
منهم يعرف نسبه واتصاله بمصر بن بيصر بن حام بن نوح
الى هذه الغاية ولما هلك قبط بن مصر ملك بعده اشمون بن مصر
ثم ملك بعده صا بن مصر وملك بعده اتريب بن مصر ثم ملك بعده
تاليق بن دارس ثم ملك بعده حربا بن تاليق ثم ملك كلكلى
بن حربا واقام في الملك نحوا من مائة سنة ثم ملك بعده اخ
له يقال له ماليا بن حربا ثم ملك بعده طوطيس بن ماليا نحوا
من سبعين سنة ثم ملكت ابنة له يقال لها حوريا بنت طوطيس نحوا
من ثلثين سنة ثم ملكت بعدها امراة اخرى يقال لها ماموم من
ولد بيصر بن حام بن مصر فتشعبوا وملكوا النساء فطمعت

بارض مصر

فيهم ملوك الارض فسار اليهم من الشام ملك من ملوك العماليق
يقال له الوليد بن دومع فكانت له حروب بها وغلب على
الملك فانقادوا اليه واستقام له الامر الى ان هلك ثم ملك
بعده الريان بن الوليد العملاقي وهو فرعون يوسف وقد
ذكر الله عز وجل خبره مع يوسف وما كان من امرهما في
كتابه العزيز وقد اتينا على شرح ذلك في الكتاب الاوسط
ثم ملك بعده دارم بن الريان العملاقي ثم هلك بعده كامس
بن معدان العملاقي ثم ملك بعده الوليد بن مصعب
وهو فرعون موسى وقد تنوزع فيه فمن الناس من راه من
العماليق ومنهم من راه من لخم من بلاد الشام ومنهم من راه
من الاقباط من ولد مصر بن بيصر وكان يعرف بظلمى وقد
اتينا على خبره في الكتاب الاوسط وهلك فرعون غرقا حين
خرج في طلب بني اسرائيل حين اخرجهم موسى بن عمران
وجعل الله لهم طريقا في البحر يبسا ولما غرق فرعون
ومن كان معه من الجنود خشي من بقي من الذراري والنساء
والعبيدان ان يغزوهم ملوك الشام والمغرب فملكوا عليهم امراة
ذات راي وحزم يقال لها دلوكة فبنت على بلاد مصر حائطا
يحيط بجميع البلاد وجعلت عليه المحارس والاجراس
والرجال متصلة اصواتهم بعضهم ببعض واثر هذا
الحائط باق الى هذا الوقت وهو سند اسنى وبلينس وقلنا به
يعرف بحائط العجوز وقيل انما بنته خوفا على ولدها كان كثير القنص
فخافت عليه سباع البر والبحر والاغتيال ممن جاوره ومن غيرهم
من الملوك والبوادي فحوطت الحوائط من التماسيح وغيرها وقد
قيل في غير سبب بنيان الحوائط غير ما ذكرنا ووصفنا فملكتهم ثلثين
سنة وقيل اقل من ذلك واتخذت عمر البرابي والصور واحكمت
الات السحر وجعلت في البرابي صور من يرد من كل ناحية ودوابهم
كانت ابلا او خيلا وصورت فيها من يرد في البحر من المراكب من
بحر المغرب والشام وجمعت في هذه البرابي العظيمة
المشيدة البنيان اسرار الطبيعة وخواص الاحجار والنبات
والحيوان من الجاذبة والدافعة والنافعة وجعل ذلك في
اوقات وحركات فلكية واتصالها بالمؤثرات العلوية وكانوا
اذا ورد عليهم جيش من نحو الحجاز واليمن عورت تلك الصور التي في

البرابي من الابل وغيرها فيتعوه مما في ذلك الجيش وينقطع ناسه
وحيوانه واذا كان الجيش من نحو الشام فعل في الصور التي
من الجهة التي اقبل منها جيش الشام فعل بها ما وصفنا قبلها
فيحدث في ذلك الجيش من الآفات في ناسه وحيوانه مما صنع
في تلك الصور وكذلك من ورد من البحر من رومية والشام
وغيرها من الممالك فبذلك تمنعوا الملوك الامم ومنعوا جهتهم
من عدوهم واتصل ملكهم بتدبير هذه العجوز وانقيادها
لزم اقطارها واحكامها السياسه وقد تكلم الناس ممن
سلف وخلف في هذه الخواص واسرار الطبيعة التي كانت
ببلاد مصر وهذه البرابي المعروفة بفعل العجوز عند المصر يين
مستفيض لا يشكون فيه والبرابي بمصر من صعيدها وغيرها
باقية الى هذا الوقت وفيها انواع الصور مما اذا صورت
في بعض الاشيا احدثت افعالا على حسب ما رسمت له وصنعت
من اجله على حسب قولهم في الطباع التام والله اعلم
بكيفية ذلك قال المسعودي واخبرني غير واحد
ببلاد اخميم من صعيد مصر عن ابي الفيض المصري الاخميمي
الزاهد وقد كان حكيما وقد كانت له طريقة ياتيها ونحله
يقصدها وكان ممن ينقر عن اخبار هذه البرابي وآثارها
وبحث كثيرا عما رسم فيها من الصور والكتابة قال رايت في
بعض البرابي كتابا تدبرته فاذا هو احذروا العبيد
المعتقين والاحداث المتقدمين والجند المتعبدين
والنبط المستعربين قال ورايت في بعض البرابي كتابا
تدبرته فاذا فيه يقدر المقدر والقضا يضحك فزعم انه
راى في لغة ذاته فبينتها بذلك القلم الاول
خ لم يدر
تدبر بالنجوم وليس يدري ورب النجم يفعل ما يشاء
وكانت هذه الامة التي احدثت هذه البرابي تحكم باحكام
النجوم مواظبين على اسرار معرفة الطبيعة فكان عندهم
مما دلت عليه احكام النجوم ان طوفانا سيكون في الارض
ولم يقطع على ذلك الطوفان ما هو اما نار تاتي على الارض
فتحرق ما عليها او ما يغرقها او سيف يبيد اهلها
فخافت على ذهاب العلوم وفنائها بفناء اهلها فاتخذت هذه
البرابي واحالهم برباء ورسمت فيها علومها من الصور والتماثيل

والكتابة

والكتابة وجعلت بنيانها نوعين طينا وحجارة وفرزت ما بني
بالطين مما بني بالحجر وقالت ان كان هذا الطوفان طوفان نار
استحجر ما بني بالطين والخزف وبقيت هذه العلوم وان كان الطوفا ن
الوارد ما ذهب ما بني بالطين وبقي ما بني بالحجارة وان كان الطوفا ن
سيفا بقي كلا النوعين على الحالة من الطين والحجر وهذا على قبل
والله اعلم كان قبل الطوفان وقيل ان ذلك كان بعد الطوفا ن
الذي كانوا يتوقعونه ولم يعينوا انارا هو ام ماء ام سيف فان
كان سيفا اتى على جميع اهل مصر من امة غشيتها وملك بلا ل
عليها فابادوا اهلها ومنهم من راى ان ذلك الطوفان وباء عم اهلها
ومصداق ذلك ما يرى ببلاد تنيس من التلال المنضدة
من الناس من صغير وكبير وذكر وانثى كالجبال العظام وهي
المعروفة ببنيس من ارض مصر وما يوجد ببلاد مصر وصعيد ها
من الناس المكبوسين بعضهم على بعض في كهوف وغيران
ونواويس ومواضع كثيرة من الارض لا يدرى من اي الامم
هم فلا النصارى تخبر عنهم انهم من اسلافهم ولا اليهود
تقول انهم من اوائلهم ولا المسلمون يدرون من هم ولا تاريخ
ينبي عن حالهم وعليهم اثوابهم وكثير ما يوجد في تلك الروابي
والجبال من حليهم والبرابي ببلاد مصر بنيان عجيب قايم كالبر با
المتخذة ببلاد انصنا من بلاد مصر وهو احد الموصوفات منها
والبربا الذي ببلاد اخميم والبربا الذي ببلاد سمنود وغير
ذلك والاهرام فطولها عظيم وبنيانها عجيب
عليها انواع من الكتابات باقلام الامم السالفة والممالك
الدائرة لا يدرى ما تلك الكتابة ولا المراد بها وقد قال
من عني بتقدير ذرعها ان مقدار ذهابها في الهواء نحو من
اربعمائة ذراع بل اكثر وكلما علا الصعود دق ذلك والعر ض
نحو ما وصفنا وعليها من الرسوم ما ذكرنا ومن ذلك علوم
وخواص وسحر واسرار الطبيعة ومن تلك الكتابة انا
بنيناها فمن يدعي موازنتنا في الملك وبلوغنا في القدرة وانتها ينا
من السلطان فليهدمها ولينزل رسمها فان الهدم ايسر من
البنا والتفريق ايسر من التاليف وقد ذكر ان بعض ملوك الاسلام
شرع في قلعها فاذا خراج مصر وغيرها لا يفي بقلعها وهي من الحجر
والرخام والغرض في كتابنا هذا الاخبار عن جمل الاشياء
وجوامعها لا عن تفصيلها وبسطها وقد اتينا على سائر ما شا هدنا

حسا في مطافاتنا الارض والممالك ولما نماه الينا خبر ان الخواص
واسرار الطبيعة من الحيوان والنبات والجماد في عجايب البنيان
والاسرار والبقاع في كتابنا المترجم بكتاب القضايا والتجارب ولا
تدافع بين ذوي الفهم ان في مواضع من الارض مدنا وقرى
لا يدخلها عقرب ولا حية مثل حمص ومعرة مصرين وانطاكية
وقد كان ببلاد انطاكية اذا اخرج الانسان يده خارج السور
وقع عليها البق فاذا جذبها الى داخل السور لم يبق عليها من ذلك شي
الى ان كسر عمود من الرخام في بعض المواضع بها فاصيب في
اعلاه حق من نحاس في داخله بق مصور من نحاس نحو كف فما
مضت ايام او على الفور من ذلك حتى صار البق في وقتنا هذا
يعم الاكثر من دورهم وهذا حجر المغناطيس يجذب الحديد
ولقد رايت بمصر حجرا مصورة من حديد او نحاس يوضع على
شي ويدني حجر المغناطيس منها فتحدث فيه حركة ساعة
منه وحجر المغناطيس اذا اصابته رايحة الثوم بطل فعله بالحديد يد
فاذا غسل بشي من الخل او بالشي من العسل النحل عاد الى فعله الا دل
من جذب الحديد وللمغناطيس والحديد خواص عجيبة غير
ما ذكرنا كالحجر الناغص الدم والله عز وجل قد استاثر بعلم
الاشيا فاظهر للعباد ما يشا مما لهم فيه الصلاح على قدر الوقت
وحاجتهم فيه الى ذلك واشيا استاثر بعلمها لم يطلع عليها الخلق
فلا تقف العقول على علمها وكما يجمع بين اشيا فيحدث من اجتماعها
معنى هو غيرها كما يحدث من الزاج والعفص والزاج عند الاجتماع
شدة السواد ويحدث من جوهر الزجاج عند جمعنا بين الرمل والقلي
والمغنيسيا عند الطبخ والمسك كذلك وكذلك لو جمع
بين ماء القلي وماء المرتك وهو المرداسنج غير الحار من
مزاجهما كالزبد بياضا واذا امتزج ماء القلي بماء الزاج خرج من
امتزاجهما لون احمر كالعصفر وكجمعنا الى النتاج بين الحجر والحمار
فيحدث بغلة ولو حملنا دابة على اتان لخرج منهما بغل افطس
ذو خبث وقدم يسمى الكودن وقد ذكرنا النتاج الذي كان بصعيد
مصر مما يلي الحبشة وما كان يلحق من النتاج على الاتن والحمير
على البقر وما كان يحدث من ذلك من الدواب العجيبة التي تحمد ولا تبق
كالبغل الذي ليس بدابة ولا حمار وقد ذكرنا ضروبا من المولدات
في انواع الحيوان والنبات من تطعيم الغروس والاشجار وما تولد

الطعوم

الطعوم في المذاق في كتابنا المترجم بالقضايا والتجارب في انواع
العلاجات وغيرها وذكرنا ما في خواص الاشيا ومعرفتها
والطلسمات وعجايبها وهو باب عظيم في ذكر بعضها بانه
عرض والجزء منه يوهم الكل واليسير منه يدل على
معرفة الكثير ويملك والله اعلم بعد الخواص والاسما
والطلسمات والاشيا المحدثة في العالم الحركات مما وصفنا
والدافعة والمانعة والمنفرة والجاذبة والفاعلة في الحيوان
وغيره مثل الطرد والحرب كانت دلالة لبعض الانبيا السالفة
في الامم الخالية جعلها الله لذلك النبي دلالة ومعجزة تدل
على صدقه وتبينه من غيره ليؤدي عن الله امره وما فيه الصلاح ج
لخلقه في ذلك الوقت ثم رفع الله النبي وبقيت علومه وما
ابانه الله عز وجل مما ذكرنا في ايدي الناس واصل ذلك الالهي
كما وصفنا اذ كان ما ذكرنا ممكنا غير واجب ولا ممتنع ٥
قال المسعودي فلنرجع الان الى ما كنا فيه من اوصاف
اخبار ملوك مصر وكان الملك بعد انقضا ملك دلوكة العجوز
دركوس بن بلوطس ثم ملك بعده بودس بن دركوس
ثم ملك بعده لقاس بن بودس نحوا من خمسين سنة ثم ملك
بعده دنيا بن بودس نحوا من عشرين سنة ثم ملك بعده
بيارس بن دنيا عشرين سنة ثم ملك بعده بلوطس بن
ميناكيل اربعين سنة ثم ملك بعده قالس بن بلوطس عشر
سنين ثم ملك بعده ميناكيل بن بلوطس ثم ملك بعده
ملوبه بن ميناكيل وكانت له حروب ومسير في الارض وهو فرعون ل
الاعرج الذي غزا بني اسرايل وخرب بيت المقدس ثم ملك
بعده مرسوس وكانت له حروب بالمغرب ثم ملك بعده نقاس
بن مرسوس ثمانين سنة ثم ملك بعده قومس بن نقاس عشر سنين
ثم ملك بعده كابيل وكانت له حروب مع ملوك المغرب وغزاه
البخت نصر مرزبان المغرب من قبل ملوك فارس فخرب ارضه
وقتل رجاله وسار البخت نصر الى المغرب وقد اتينا على ذكر
اخباره في كتاب راحة الارواح لان هذا الكتاب رسمناه
باخبار سير ملوك الامم واخبار مقاتلهم دون ما ذكرنا في كتابنا
في اخبار الزمان ولم يزل امر البخت نصر وقد تابعه من رجال
فارس ملكت الروم مصر وغلبت عليها فقتل اهلها ولم تزل
على ذلك الى ان ملك [illegible] فغلبت جيوشه على الشام وسار

نحو مصر فملكوها وغلبوا على اهلها نحوا من عشر سنين وكانت
بين الروم وفارس حروب وسير فكان اهلها يؤدون خراجين
عن بلادهم خراجا الى فارس وخراجا الى الروم ثم انجلت فارس
عن مصر والشام وتمادوا الى النصرانية فشمل ذلك الى من بمصر
والشام الى ان اتى الله بالاسلام وكان من امر المقوقس صاحب
القبط مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الهدايا ما كان
الى ان فتحها عمرو بن العاص ومن كان معه من الصحابة في
خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فبنى عمرو بن العاص الفسطاط ط
وهو قصبة مصر في هذا الوقت وكان ملك مصر وهو المقوقس
صاحب القبط ينزل الاسكندرية في بعض فصول السنة
وفي بعض الفصول بمدينة منف وفي بعضها بقصر الشمع وهو
اليوم يعرف بهذا الاسم في وسط مدينة الفسطاط ولعمرو
ابن العاص في فتح مصر اخبار وما كان بينه وبين المقوقس
وفتحه لقصر الشمع وغير ذلك من اخبار مصر والاسكندرية
في الجاهلية وما كان من خبره مع الراهب والكرة الذهب
التي كانوا يطرحونها في اعيادهم ووقوعها في حجر عمرو
ابن العاص وذلك قبل ظهور النبي صلى الله عليه وآله وسلم
وقد اتينا على جميع ذلك في كتابنا اخبار الزمان والاوسط
قال المسعودي والذي اتفقت عليه التواريخ مع تباين
ما فيها في عدة ملوك مصر من القبط اثنان وثلاثون فرعونا
ومن ملوك بابل ممن ملك على مصر خمسة ومن ملوك ... هم
العمالقة فيون ... الى ... بلاد الشام اربعة ومن الروم
سبعة ومن اليونانيين عشرة وذلك قبل ظهور المسيح عليه
السلام وملكها اناس من الفرس من قبل الاكاسرة فكان جملة
من ملك مصر من الملوك عدد العمالقة والروم واليونانيين الفا سنة
وثلثمائة سنة **قال المسعودي** وسالت جماعة من
اقباط مصر بالصعيد وغيره من بلاد مصر من اهل الخبرة
عن تفسير فرعون فلم يخبروني عن ذلك ولا تحصل في
لغتهم فيما يظن ولعلهم لذلك الاسم كان سمة لملوك تلك
الاعصار ولذلك اللغة تغيرت كتغير الفهلوية وهي الفارسية
الاولى الى الفارسية الثانية وكاليونانية الاولى الى الرومية ميد
وتغير الحميرية وغيرها من اللغات ولمصر اخبار عجيبة من
الدفائن والبنيان وما يوجد في الدفائن من ذخائر الملوك التي

اسودعو

اسودعوها الارض وغيرهم من الامم ممن سكن تلك الارض
وتدعى المطالب الى هذه الغاية وقد اتينا على جميع ذلك
فيما سلف من كتبنا فمن عجيب اخبارها في ذلك ما ذكره يحيى
ابن بكير قال كان عبد العزيز بن مروان عاملا على مصر لاخيه
عبد الملك فاتاه رجل متنصح فساله عبد العزيز عن
نصيحته فقال بالقبة الفلانية كنز عظيم قال لعبد العزيز ز
وما مصداق ذلك قال هو ان يظهر لنا بلاط من انواع المرمر
والرخام عند يسير من الحفر ثم ينتهي الحفر الى قلع باب من
الصفر تحته عمود من الذهب على اعلاه ديك من الذهب
عيناه ياقوتتان تساويان الدنيا وجناحاه مضرجان
بالياقوت والزمرد براثنه على صفائح الذهب على اعلا
ذلك العمود فامر له عبد العزيز بنفقة الكون من الدنانير لاجرة
وكثير من ذلك من الرجال ويعمل فيه وكان هناك تل عظيم
فاحتفروا حفيرة عظيمة في الارض والدلائل المقدم ذكرها
من الرخام والمرمر تظهر فازداد عبد العزيز حرصا واوسع
في النفقة واكثر من الرجال ثم انتهوا في حفرهم الى ظهور راس
الديك فبرق عند ظهوره لمعان عظيم كالبرق الخاطف
لما في عينيه من الياقوت وشدخ نحوه واستوضحنا به
ثم بان جناحاه ثم بانت براثنه وظهر حول العمود عمود
من البنيان بانواع من الاحجار والرخام وقناطر معقودة
وطاقات على ابواب معقودة ولاحت منه تماثيل وصور
واشخاص من انواع الصور من الذهب وابعد من الاحجار
قد اطبقت عليها اغطيتها وشبكت ويعمل ذلك باعجاه
الذهب فركب عبد العزيز حين اشرف على الموضع فنظر
الى ما ظهر من ذلك فتسرع بعضهم فوضع قدمه على درج
مشبك من النحاس تنتهي اليه هنالك فلما استقرت
قدمه على المرقاة الرابعة ظهر سيفان عظيمان عاديان
من يمين الدرجة وشمالها فالتقيا على الرجل فلم يدرك
وجزآه قطعا وهوى جسمه سفلا فلما استقر على بعض
الدرج بعض جسمه اهتز العمود وصفر الديك
صفيرا عجيبا اسمع من كان بالبعد من هنالك وحرك
جناحيه وظهر من تحته اصوات عجيبة قد عملت باللوالب
والحركات اذا وقع على بعض الدرج شيء او ماسها

فتهافت من كان هناك من الرجال الى اسفل تلك الحفيرة وكان فيها من يحفر وينقل التراب ويبصر ويحوط ايام ونيف نحو الالف رجل فهلكوا جميعا فجزع عبد العزيز وقال هذا ردم الامر ممنوع النيل نعوذ بالله منه وامر جماعة من الناس فطرحوا ما اخرج من هنالك من التراب على من هلك من الناس وكان الموضع قبورا لهم قال المسعودي وقد كان جماعة من اهل الدفاين والمطالب ومن قد اغري بحفر الحفاير وطلب الكنوز وذخاير الملوك والامم السالفة المستودعة باطن الارض ببلاد مصر على اذرع يسيرة من بعض الاهرام المقابلة ذكر ها ان فيها مطلبا عجيبا فاخبر الاخشيد محمد بن طغج بذلك فاذن لهم في حفره واباحهم اعمال الحيلة في استخراجه فحفروا حفرا عظيما الى ان انتهوا الى ازاج واقباء وحجارة مجوفة في صخر منقور فيه تماثيل قايمة على ارجلها من نوع من الخشب قد طلي بالاطلية المانعة من سرعة البلا وتفرق الاجزاء والصور مختلفة منها صور شيوخ وشبان ونساء واطفال واعينهم من انواع الجواهر كالياقوت والزمرد والفيروزج والزبرجد ومنها ما وجوهها ذهب وفضة فكسرت بعض تلك التماثيل فوجد في اجوافها رمم بالية واجسام فانية والى جانب كل نوع من الانية كالبرابي وغيرها من الالات كالمرمر والرخام وفيه نوع من الطلا الذي قد طلي منه ذلك الميت الموضوع في تمثال الخشب وقد بقي من الطلاء شيء في تلك الانية والطلاء دواء مسحوق واخلاط معمولة لا رايحة له فجعل منه على النار ففاحت منه روايح طيبة لا يعرف في نوع من انواع الطيب وقد جعل لكل تمثال من الخشب على صورته ما قد مثل من الناس على اختلاف اسنانهم ومقادير اعمارهم وتباين صورهم وبازاء كل تمثال تمثال من المرمر ومن الرخام الاخضر على هيئة الصنم على حسب عبادتهم للتماثيل والصور عليها انواع من الكتابات لم يقف على استخراجها احد من اهل الملل وزعم قوم من اهل الدراية منهم ان لذلك القلم منذ فقد من ارض مصر اربعة الاف سنة وفيما ذكرناه دلالة على ان هولاء ليسوا يهودا ولا نصارى ولم يؤد الحفر الا الى ما ذكرنا من هذه التماثيل وكان ذلك في سنة ثمان وعشرين وثلثماية وقد كان لمن سلف وخلف من ولاة مصر الى الهجري

تحلفوهم

طولون

طولون وغيره الى هذا الوقت وهو سنة اثنين وثلثين وثلثماية اخبار عجيبة فيما استخرج من الدفاين في ايامهم والاموال والجواهر وما اصيب من المطالب في القبور والخزاين وقد اتينا على ذكرها فيما تقدم من تاليفنا وذكرناه في تصنيفنا ولله الحمد ومنه التوفيق ٥

ذكر الاسكندرية وبنائها وملوكها وعجايبها [illegible]

ذكر جماعة من اهل العلم ان الاسكندر المقدوني لما استقام ملكه في بلاده سار يتخير ارضا صحيحة الهواء والتربة والماء فانتهى الى موضع الاسكندرية فاصاب في موضعها اثر بنيان وعمدا كثيرة من الرخام وفي وسطها عمود عظيم عليه مكتوب بالقلم المسند وهو القلم الاول من اقلام حمير وملوك عاد انا شداد بن عاد بن شداد بن عاد شددت بساعدي البلاد وقطعت عظيم العماد من الجبال والاطواد وانا بنيت ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد اردت ان ابني هاهنا كارم وانقل اليها كل ذي قدم وكرم من جميع العشاير والامم وذلك لا خوف ولا هرم ولا اهتمام ولا سقم فاصابني ما اعجلني عما اردت وحال مع وقوع ما طال همي وشجني وقل نومي وسكني فارتحلت بالامس عن داري لا لقهر ملك جبار ولا لخوف جيش جرار ولا عن رغبة ولا عن صغار لكن لتمام المقدار وانقطاع الاثار وسلطان العزيز الجبار فمن راى اثري وعرف خبري وطول عمري ونفاذ بصري وشدة حذري فلا يغتر بالدنيا بعدي وكلام يذكر فناء الدنيا ويمنع من الاغترار بها والسكون اليها فنزل الاسكندر متفكرا يتدبر هذا الكلام ويعتبره ثم بعث بحشر الصناع من البلاد وخط الاساس وجعل طولها وعرضها اميالا وحشد اليها العمد والرخام واتته المراكب فيها الرخام وانواع المرمر والاحجار من جزيرة صقلية وبلاد افريقية واقريطش واقاصي بحر الروم مما يلي مصبه بحر اوقيانس وحمل اليه من جزيرة رودس وهي جزيرة تقابل الاسكندرية على ليلة منها في البحر وهي اول بلاد الافرنجة وهي الجزيرة التي في وقتنا هذا دار صناعة الروم وبها تبنى المراكب الحربية وفيها خلق من الروم ومراكبهم تطرق بلاد الاسكندرية وغيرها

ملك

ميلاد مصر فعبر وتياسر وتسبى دام الاسكندر الفعله والصناع
ان يدودوا بما رسم لهم من اساس سور المدينه وجعل على كل
قطعه من الارض خشبه قايمة وجعل في الخشب الى الخشب
حبالا منوطه بعضها الى بعض واوصل جميع ذلك بعمود من
الرخام وكان امام مضربه وعلق على العمود جرسا عظيما
مصوتا وامر الناس والقوام على الصناع والبنايين الفعله
انهم اذا سمعوا صوت ذلك الجرس وتحركت الحبال وقد علق
على كل قطعه منها جرس صغير ضربوا على ان يجعلوا اساس المدينه
ويضعوه دفعه واحده من سائر اقطارها واحب الاسكندر ان
يجعله في وقت يختاره وطالع سعد ياخذه فخفق الاسكندر
نوما براسه واخذته نعسة في حال ارتقابه الوقت المحمود
فياخذ فيه الطالع فجا غراب فجلس على حبل الجرس الكبير
الذي فوق العمود فحركه وخرج صوت الجرس وتحركت
الحبال وخفق ما عليها من الاجراس الصغار وكان ذلك
معمولا بحركات فلسفيه وحيل حكميه فلما راى الصناع
تحريك تلك الحبال وسمعوا تلك الاصوات وضعوا الاساس
دفعه واحده وارتفع الضجيج بالتحميد والتقديس
فاستيقظ الاسكندر من رقدته وسال عن الخبر فاخبر بذلك
فتعجب وقال اردت امرا واراد الله غيره ويابى الله الا ما يريد
اردت طول بقائها واراد الله سرعة فنائها وخرابها وتداول
الملوك اياها وان الاسكندر لما احكم بنيانها وثبت اساسها
وجن الليل عليهم خرجت دواب البحر فاتت على جميع ذلك
البنيان فقال الاسكندر حين اصبح هذا بدء الخراب في عمارتها
وتحقق مراد الباري في زوالها وتطير من فعل الدواب فلم
يزل البنا يبنى في كل يوم ويحكم ويوكل به من يمنع الدواب
اذا خرجت من البحر فيصبحون وقد اخرب البنيان فقلق
الاسكندر لذلك وراعه ما راى فاقبل يفكر في الذي يصنع
واي حيله يرفع في دفع ذلك عن المدينه فسنحت له الحيله في
ليلته وعند خلوته بنفسه وارادة الامور واصدارها
فلما اصبح دعا بالصناع واتخذ له تابوتا من الخشب طوله عشرة
اذرع في عرض خمس وجعل فيه جامات من الزجاج قد
احاط بها خشب التابوت وقد امسك ذلك بالقار والزفت
وغيره من الاطليه الدافعه من الماء حذرا من دخوله الى التابوت

من جلان

من جلان من تابه ممن له علم باتقان التصوير ومبالغه فيه
وامر ان يسد عليه الابواب وان يطلا بما ذكرنا من الاطليه
وامر فاتى بمركبين عظيمين فاخرجا الى لجة البحر وعلق على
التابوت من اسفله مثقلات الرصاص والحديد والاحجار
ليهوى التابوت سفلا اذ كان من شانه لما فيه من الهواء ان يطير
فوق الماء ولا يرسب الى اسفله وجعل التابوت بين المركبين
والزقهما بخشب بينهما لئلا يفترقا وشد حبال التابوت الى
المركبين وطولها فغاص التابوت حتى انتهى الى قرار البحر
فنظر الى دواب البحر وحيواناته من ذلك الزجاج الشفاف في صفا
البحر فاذا بصور شياطين على مثال الناس رووسهم على امثال
رووس السباع وفي ايدي بعضهم الفووس وفي ايدي بعض
المناشير والمقامع يحاكون بذلك صناع المدينه والفعله
وما في ايديهم من آلات البنا فاثبت الاسكندر ومن معه
الصور وحكوها بالتصوير في القراطيس على اختلاف انواعها
وتنوع خلقها وقدودها واشكالها ثم حرك الحبال فلما
احس بذلك من في المركبين استقوا التابوت فلما خرج الا
من التابوت وسار الى مدينة الاسكندريه امر صناع الحديد
والنحاس والحجاره فعملوا تماثيل تلك الدواب على ما كان صوره
الاسكندر وصاحباه فلما فرغوا منها وضعت على العمد بشاطى البحر
ثم امرهم فبنوا فلما جن الليل ظهرت تلك الدواب من البحر
فنظرت الى صورها على العمد مقابله البحر رجعت ولم تعد
فعند ذلك عمر بنا الاسكندريه وشيدت وامر الاسكندر ان
يكتب على ابوابها هذه الاسكندريه اردت ان ابنيها على
الفلاح والنجاح واليمن والسرور والثبات على الدهور فلم يرد الباري
عز وجل ملك السموات والارض ومفني الامم ان ابنيها كذلك
فبنيتها واحكمت بناها وشيدت سورها واتاني الله من كل
شي حكما وعلما وسهل لي وجود الاشيا فلم يتعذر علي
في العالم شي مما اردته ولا امتنع عني شي مما طلبته لطفا من
الله جل وعز لا اله الا هو رب كل شي ورسم الاسكندر بعد
هذه الكتابه على ما يحدث بهذه البلده من الاحداث بعده
في مستقبل الزمان من الحدثان والعمران والخراب وما يوول امرها
اليه الى وقت خروج العالم وكان بنا الاسكندريه طبقات

وتحتها قناطر مقنطرة تحت دور المدينة يسير تحتها الفارس
وبيده رمح لا يضيق به حتى يدور جميع تلك الآزاج
والقناطر التي تحت المدينة وقد عمل لتلك العقود والآزاج
مخاريق ومتنفسات للضياء ومنافذ للهواء وقد كانت
الاسكندرية تضيء في الليل بغير مصباح لشدة بياض
الرخام والمرمر اسواقها وشوارعها وازقتها مقنطرة كلها
لا يصيب اهلها شيء من المطر وقد كان عليها سبعة
اسوار من انواع الاحجار المختلفة الوانها بينها خنادق
بين كل خندق وسور فصيل وربما تعلق في المدينة
شقاق الحرير الاخضر لخطف بياض الرخام ابصار
الناس لشدة بياضه فلما احكم بناؤها وسكنها اهلها
كانت آفات البحر وسكانه على ما زعم الاخباريون من
المصريين والاسكندرانيين تختطف بالليل اهل
المدينة فيصبحون وقد افتقد منهم العدد الكثير
فلما علم الاسكندر بذلك اتخذ الطلسمات على اعمدة هناك
تدعى المسال وهي باقية الى هذه الغاية على كل واحد من
هذه الاعمدة على هيئة المسرة وطول كل واحد منها ثمانون
ذراعا على عمد من نحاس وجعل صورا واشكالا وكتابة
وذلك عند انخفاض درج الفلك وقربها من هذا العالم وعند
اصحاب الطلسمات من المنجمين والفلكيين ان اراد ارتفاع
الفلك درج وانخفاضه في مدد يذكرونها في المستأنف
نحو ستماية ياتي في العالم فعل الطلسمات المانعة والدافعة
وقد ذكر هذا جماعة من اهل الزيجات والنجوم وغيرهم من
مصنفي الكتب في هذا المعنى ولهم في ذلك عن اسرار الفلك
ليس كتابنا هذا موضع له ولغيرهم ممن قد احكم لطف
قوى الطبائع التمام وغير ذلك مما قاله الناس وقد ذكرنا
من ذلك في الفلك لموجود في كتب من تاخر من علماء المنجمين
والفلكيين مثل ابي معشر البلخي والخوارزمي ومحمد بن كثير
الفرغاني وماشاء الله وحبش البهري ومحمد بن جابر
البتاني في زيجه الكبير وثابت بن قرة وغير هؤلاء ممن تكلم في
علوم هيئات الفلك والنجوم
فاما بناء الاسكندرية فذهب الاكثر من المصريين والاسكندرانيين الى انه
ممن عني باخبار بلدهم ان الاسكندر بن فيلبس المقدوني هو

الذي

الذي بناها على حسب ما قدمنا في بناء المدينة ومنهم من زعم ان
دلوكة الملكة هي التي بنتها وجعلتها مرقبا لمن يرد من العدو الى
بلدهم ومنهم من راى ان العاشر من فراعنة مصر هو الذي بناها
وقد قدمنا ذكر هذا البلد فيما سلف من هذا الكتاب ومنهم
من راى ان الذي بنى مدينة رومية هو الذي بنى مدينة الاسكندرية
ومنارتها والاهرام بمصر وانما اضيفت الاسكندرية اليه لشهرته به
واستيلائه على الاكثر من ممالك العالم فشهرت به وذكروا في ذلك
اخبارا كثيرة يدلون بها على ما قالوا والاسكندر لم يطرقه في هذا
البحر عدو ولا هاب ملكا يرد اليه في بلده ويغزوه في داره فلو
هو الذي جعلها مرقبا وان الذي بناها جعلها على كرسي من الزجاج
على هيئة السرطان في جوف البحر وعلى طرف اللسان الذي
هو داخل في البحر من البر وجعل على اعلاها تماثيل قد اشار منها
من يده اليمنى نحو الشمس اين كانت من الفلك واذا علت في
الفلك فاصبعه يشير بها نحوها فاذا انخفضت انخفضت
يده سفلا يدور معها حيث دارت ومنها تمثال يشير بيده
في البحر اذا صار العدو منه على نحو من ليلة فاذا دنى وجاوز
ان يرى في البصر لقرب المسافة سمع لذلك التمثال صوت هايل
يسمع على ميلين او ثلاثة فيعلم اهل المدينة ان العدو قد دنا
منهم فيرمقونه بابصارهم ومنها تمثال كلما مضى من الليل
والنهار ساعة سمعوا له صوتا بخلاف ما صوت في الساعة
التي قبلها وصوته مطرب وقد كان ملك الروم في ملك الوليد
ابن عبد الملك انفذ خادما من خواص خدمه ذا راي ودهاء
سرا وجاء مستامنا الى بعض الثغور بالرحبة وتقدمها
فحمل الى الوليد فاعلمه انه من خواص الملك وانه اراد قتله
لموجدة وحال بلغه عنه لم يكن لها اهلا وانه استوحش
ورغب في الاسلام على يد الوليد وتقرب من قلبه ونصح
اليه في دفائن استخرجها له من بلاد دمشق وغيرها من الشام
بكتب كانت معه فيها صفات تلك الدفائن فلما صارت
الى الوليد تلك الاموال والجواهر وشرهت نفسه واستحكم
طمعه قال له الخادم يا امير المومنين ان هاهنا اموالا
وجواهر ودفاين الملوك فسأله الوليد عن الخبر فقال تحت
منارة الاسكندرية اموال الارض وذلك ان الاسكندر احتوى
على الاموال والجواهر التي كانت لشداد بن عاد وملوك العرب

بمصر والشام فبنا لها الازاج تحت الارض وقنطر لها الاقباء والقناطر والسراديب واودعها تلك الذخاير من العين والورق والجوهر
وذلك تحت المنارة وكان طولها في الهواء الف ذراع والمراة على علوها والدبادب جلوس فاذا نظروا الى العدو في البحر صوتوا بمن قرب منهم ونشروا اعلاما
فيراها من بعد منهم فيحذر الناس وينذر البلد فلا يكون للعدو عليهم سبيل فبعث الوليد مع الخادم بجيش واناس من جلسائه وثقاته فهدم
نصف المنارة من اعلاها وازيلت المراة فضجت الناس من اهل الاسكندرية وغيرها وعلموا انها مكيدة وحيلة في امرها فلما علم الخادم استفاضت
ذلك وانه سينمى الى الوليد وانه قد بلغ ما احتاج اليه هرب في الليل على ما ذكرنا في هذا الوقت وهو سنة ٣٣٢ وكان حول منارة الاسكندرية
في البحر مغاص يخرج منه قطع من الجوهر يتخذ منه فصوص للخواتيم ... انواع الجوهر منها الكركهن والادرك والاسباذشم ويقال ان
ذلك كان من الالات التي اتخذها الاسكندر للشراب فلما مات كسرتها امه وفرقت بها في تلك المواضع ومنهم من راى ان الاسكندر اتخذ ذلك النوع من الجوهر وغرقه حول

ولقد رايت منها بارض الهند الوانا تظهر حتى البصر عند
تاملها لا يدرك ولا يحصر ولا يشبه بلون من الالوان لما يتموج
من الالوان في ريشها ويتاتى ذلك منها لعظم خلقها وكبر
اجسامها وسعة ريشها لان الطواويس بارض الهند
شانها عجيب والذي يحمل منها الى ارض الهلال وبخارج
عن ارض الهند فيبيض ويفرخ تلون صغير صغير الاجسام
كثير الالوان لا يحيط انوار الابصار بادراكها دون الكبار
واما تشبه بالهندية بالشيء اليسير هذا في الذكور دون
الاناث وذلك نحو النارنج والاترج المدور حمل من ارض الهند
بعد الثلاثمائة فزرع بعمان ثم نقل الى البصرة والعراق والشام
حتى كثر في البلاد ودور الناس بطرسوس وغيرها من الثغر الشامي
وانطاكية وسواحل الشام وفلسطين ومصر وما كان يعهد
ولا يعرف فعدمت منه الروائح الطيبة واللون الحسن الذي
وجد بارض الهند لعدم ذلك الهواء والتربة والماء وخاصية
البلد ويقال ان هذه المنارة انما جعلت هذه المراة في
اعلاها لان ملوك الروم بعد الاسكندر كانت تحارب ملوك
مصر والاسكندرية فجعل من كان بالاسكندرية من الملوك تلك
المراة ترى من يرد في البحر من عدوهم والان من يدخل
يتيه فيها الا ان يكون عارفا بالدخول والخروج لكثرة بيوتها
وطبقاتها وممراتها وقد ذكر ان المغاربة حين وافوا في
خلافة المقتدر في جيش صاحب المغرب دخل جماعة
منهم على خيولهم الى المنارة فتاهوا فيها وفيها طرق تؤدي الى
مهاوي تهوي الى السرطان الزجاج وفيه مخاريق الى البحر
فتهوروا بدوابهم وافتقد منهم عدد كثير وعلم بعد ذلك
فقيل انه هوى بهم وكان في كرسي المنارة لحاقداتها وفيها
مسجد في هذا الوقت يرابط فيه في الصيف مطوعة المصريين
وغيرهم ولبلاد مصر والاسكندرية والمغرب وبلاد الاندلس
وما في الشرق والغرب واليمن وكل جزء في اخبار كثيرة في
عجائب البلدان والابنية والاثار وخواص البقاع وما ورد
في ساكنيها اعرضنا عن ذكرها اذ كنا قد اتينا على اخبار عجيبها
فيما سلف من كتبنا من مجالس العالم من جاهر وبحر وغير ذلك
عن اعادة ذكره ولم نعرض فيما سلف من هذا الكتاب لذكر بيوت
النيران والهياكل المعظمة بل ذكره في الموضع المسمى في هذا الكتاب الانشاء الله

المنارة لكيلا تخلو من ان حولها لان من شان الجوهر ان يكون مطلوبا ابدا في سائر الاعصار في معادنه براكان او بحرا فيكون الموضع عامرا ولم الاوقات
بالناس معمورا والاكثر مما يستخرج من الجوهر حول منارة الاسكندرية الاسباذجشم وقد رايت كثيرا من اصحاب الملوك يحتكمون غيري باعمال الجوهر
المسمى بالمعدنية يعمل هذا الجوهر المسمى بالاسباذجشم ويتخذ منه الفصوص وغيرها وكذلك الفصوص المعروفة بابا قلمون وهي الوان
تريك الوانا مختلفة من حمرة وخضرة وصفرة تتلون في المنظر الوانا مختلفة على حسب قلة الصفاء والتلون من ذلك على حسب الجوهر في صفائه واحكامه
مناظر البصر في ادراكه ولون هذا النوع من الجوهر عن ابا قلمون نحو تلون ريش صدور الطواويس فانها تتلون اذنابها واجنحتها اعني
الذكور من الطير

ذكر السودان

والسود الحمر فيعيض حكل
مما يليه بعناء

ذكر السودان وانسابهم واختلاف انواعهم واجناسهم وتباينهم في ديارهم واخبار ملوكهم

قال المسعودي ولما تفرق ولد نوح في الارض سار ولد كوش بن كنعان
نحو المغرب حتى قطعوا نيل مصر ثم افترقوا فسارت منهم طائفة ميممة بين المشرق
والمغرب وهم النوبة والبجة والزنج وسار فريق منهم نحو المغرب وهم
انواع كثيرة نحو الزغاوة والهاقو ومرتك وكوكو وغانه وغير ذلك
من انواع الحبابش والدمادم ثم افترق الذين يمموا بين المشرق والمغرب
فصارت الزنج من المكير والمشتبانة وغيرهم من انواع الزنج وقد
قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا البحر الحبشي الخليج البربري
وما عليه من انواع السودان واتصالهم في ديارهم الى بلاد الدهلك والزيلع
وقاطع وهولاء القوم هم اصحاب جلود النمور والنمر وهي لباسهم
ومن ارضهم تحمل الى بلاد الاسلام وهي ابرار يلون من جلود النمور واحسنها
للسروج ه وبحر الزنج والحبابش وغيرهم غير بحر الهند وان كانت
مياههما متصلة ومن ارضهم تحمل الذبل من ظهور السلاحف وهو الذي يتخذ
منه الامشاط كالقرون واكثرها يلون الدابة المعروفة بالزرافة فمنهم
من راى ان بدا نتاجها من الابل ومنهم من راى ان ذلك بجمع بين
الابل والزرافة وان النمور ظهرت من ذلك ومنهم من زعم انه نوع
من الحيوان قائم بذاته كقيام الخيل والحمير والبقر وليس سبيلها
سبيل البغال المولدة النتاج بين الخيل والحمير ويدعى الزرافه
بالفارسية اشتركاو وقد كانت تهدى الى ملوكهم من ارض النوبة
كما تحمل الى ملوك العرب في من مضى من خلفاء بني العباس وولاة مصر وهي
دابة طويلة اليدين والرقبة قصيرة الرجلين لا ركبتين لرجليها
واما الركبتان ليديها وقد ذكر الجاحظ في كتاب الحيوان عند ذكره الزرافة
كلاما كثيرا في نتاجها وان في اعالي بلاد النوبة تجتمع سباع ووحوش ودواب
كثيرة في حرارة القيظ الى مراضع المياه فتتسافد هنالك فيلقح منها ما تلقح
ويمتنع منها ما تمتنع وتجي من ذلك خلق كثيرة مختلفة الصور والاشكال
منها الزرافة والزرافة ذلول الظلاف وهي دابة مختلفة الخلقة
منصوبة الظهر الى مؤخرها وذلك لقصور رجليها وللناس في الزرافة
كلام كثير على حسب ما قدمنا في نتاجها وان النمور من عظيم الخلق
وابن الابل صغير الخلق قصيرة القوائم وان ذلك كاتساع ارحام الهلاك
الغرسية لفوالج كرمان وغيرها من بلاد خراسان فيقطر بينهما ويتولد بينهما
الجمال والبخت والجمازات ولا يبتج بين بختي وبختية وانما يصح هذا
النوع من فوالج الابل وهي ذوات السنامين وبين قلاص الابل وهي

فيا رضهم وان كان عامة الوجود
وكان من النوبة ونواحي بلاد الحبشه
وينشق نوعا ونتاج ذلك النوع الذي
المعروف بالزرافه

النوق العربية ونتاج البخت بين البخاتي والعرابية ه وللزرافة
اخبار كثيرة قد ذكرها صاحب المنطق في كتابه الكبير في الحيوان
وفي منافع اعضائها وغير ذلك من اعضاء سائر الحيوان وقد
اتينا على جميع ما يحتاج اليه من ذلك في كتابنا المترجم بالقضايا
والتجارب ه والزرافة تختلف في الفعل في تاليفها وتردد الى
اهلها وهي كالفيلة منها وحشية ومنها مستانسة
اهلية ومن قد منا ذكره من آل نوح والجنابر من الحبشة
الذين صاروا عن يمين النيل وصاروا ناسا الى البحر الحبشي
وقطعت الزنج دون سائر الحبش الخليج المنفصل من اعلا النيل
الذي يصب الى بحر الزنج فسكنت الزنج في ذلك الصقع واتصلت
مساكنهم الى بلاد سفالة وهي اقاصي بلاد الزنج واليها تقصد
المراكب العمانيين والسيرافيين وهي غاية مقاصدهم في
اسافل بحر الزنج كما ان اقاصي بحر الصين متصلا ببلاد السيلا
وقد تقدم ذكرها فيما سلف من هذا الكتاب وكذلك اقاصي
بحر الزنج فسكنت الزنج في ذلك الصقع واتصلت مساكنهم الى
بلاد سفالة وهي اقاصي بلاد الزنج واليها تقصد المراكب
العمانيين والسيرافيين وهي غاية مقاصدهم في اسافل بحر
الزنج كما ان اقاصي بحر الصين وقد تقدم ذكرها فيما
سلف من هذا الكتاب وكذلك اقاصي بحر الزنج وهي بلاد سفالة
واقاصيه بلاد الوقواق وهي ارض كثيرة الذهب كثيرة
العجائب خصبة حارة واتخذت الزنج دار مملكة وملكوا عليهم
ملكا سموه وقليمي وهي سمة لسائر ملوكهم في سائر الاعصار
على ما قدمنا آنفا وركب الوقليمي وهو ملك ملوك سائر الزنوج
في ثلثمائة الف فارس ودوابهم البقر وليس في ارضهم خيل
ولا بغال ولا ابل ولا يعرفونها وكذلك لا يعرفون الثلج والبرد د
ولا غيرهم من الحبش ومنهم محدد الجنابر تاكل بعضهم بعضا
ه ومساكن الزنج من حد الخليج المتشعب من اعلا النيل الى بلاد
سفالة والوقواق ومقدار مسافة مساكنهم واتصال ممالكهم
في الطول والعرض نحو سبعمائة فرسخ واوديه وجبال ورمال
والفيلة في ارض الزنج في نهاية الكثرة وحشية كلها غير مستانسة
ه والزنج لا يعملون شيئا منها في حرب ولا غيره بل يصيدونها وذلك انهم
يطرحون لها نوعا من ورق الشجر والاغصان يلوث بالصمغ في الماء
وتختفي رجال الزنج فترد الفيلة لتشربها فاذا شربت من ذلك الماء

ورقبها واسفلها فتقع والمفاصل لقوائمها والاركب على حسب ما قدمنا
انفا فيخرجون اليها باعظم ما يكون فيقتلونها لاخذ انيابها فمن
ارضهم يجهز انياب الفيلة في كل ناب منها خمسون ومائة من الى اكثر من
ذلك فيحمل الاكثر منها من بلاد عمان الى ارض الصين والهند
وذلك انها تحمل من بلاد الزنج الى عمان ومن عمان الى حيث ذكرنا
ولولا ذلك لكان العاج بارض الاسلام كثيرا واهل الصين
تتخذ ملوكها وقوادها واركانها الاعمدة من العاج ولا يدخل
من قوادها ولا احد من خواصها على ملوكها بشي من الحديد بل بتلك
الاعمدة المتخذة من العاج ورغبتهم فيما استقام من انياب الفيلة
ولم يتفوقوا لاتخاذ الاعمدة منها على ما ذكرنا وتستعمل في بخور بيوت
اصنامها وتبخير هياكلها كاستعمال النصارى في الكنائس
الدخنة المعروفة بدخنة مريم وغيرها من البخورة واهل الصين
لا يتخذون الفيلة في ارضهم ويتطيرون من اقتنائها والحرب
عليها لخبر كان لهم في قديم الزمان في بعض حروبهم والهند تكثر استعمالها ل
لما يجهز اليهم من العاج في نصب الخناجر وهي الجرازنج واحدها
الجرازنجي وفي قوائم سيوفها وهي القرطلة واحدها قرطل وهي
سيوف معوجة والاغلب في استعمال الهند العاج لاتخاذها
منه النرد والشطرنج فذو صور واشكال على صور الحيوان من الطير
وغيرهم كل قطعة من الشطرنج كالشبر في عرض ذلك او اكثر واذا
لعبوا بها فانما يقوم الواحد منهم فانما ينقلها في نقلها والاغلب
عليهم في لعبهم القمار بالشطرنج والنرد على الثياب والجواهر وربما
انفد الواحد ما معه فيلعب في قطع اعضاء من جسمه وهو ان
يجعلوا بحضرتهم قدرا من النحاس صغيرة على نار الجمر فيها دهن لهم
احمر يغلي ذلك الدهن المدمل للجراح والماسك لسيلان الدم
فاذا لعب في اصبع من اصابعه وقمر يقطعها بذلك الخنجر وهو مثل
النار ثم غمس يده في ذلك الدهن فكواها ثم عاد الى لعبه
فان توجه عليه اللعب ابان اصبعا ثانية وربما توجه عليه
اللعب في قطع الاصابع والكف ثم الى الذراع والزند وسائر
الاطراف وكل ذلك يستعمل فيه الكي بذلك الدهن وهو دهن
عجيب يخلط ويعمل من عقاقير واخلاط بارض الهند وعجيب المعنى
لما ذكرنا ولم نذكر عنهم مستفيض من فعلهم ه والهند تتخذ
الفيلة في بلادها وسائح في ارضها ليس فيها وحشية وانما
هي حربية ومستعملة كاستعمال البقر والابل واكثرها اوفي

الى المروج والغياض كالجواميس في ارض الاسلام والفيلة تهرب
من الموضع الذي فيه الكركدن على حسب ما قدمنا فلا ترعى في موضع
تشم فيه رائحته ويعمر الفيل بارض الهند والزنج نحوا من اربعمائة
سنة كذلك تذكر الزنج لانها تعرف ذلك بالادهم ومما ورث الفيل
العظيم حملا اساطين لم تفسد ه ومنها الاسود والابيض والابلق
والاغبر وفي ارض الهند منها ما يعمر المائة سنة والمائتين
ويضع حمله في كل سبع سنين وبها بارض الهند افذ عظيمة
من نوع الحيوان يعرف بالزرق وهو دابة اصغر من الفهد
لعم ذو زغب وعينين زاهرتين عجيب سريع الوثبة يبلغ في
وثبته الثلثين والاربعين والخمسين ذراعا واكثر من ذلك فاذا
اشرف على الفيلة علاها ببوله فيحرق فروها والانسان
فاتى عليه وفي الهند اذا اشرفت عليهم هذه الدابة تعلوا ما تجد
ما يكون من شجر الساج وهي اكرم من النخيل واكثر من شجر الجوز
تلك الشجرة منها الخلق من الناس وغيرهم من الحيوان على
حسب ما يحمل الى البصرة والعراق من خشب الساج في طوله فاذا
تعلق الانسان باعلى هذه الشجرة وعجز هذا الحيوان عن
ادراكه لطى الارض ووثب الى اعلى الشجرة وان لم يلحق الانسان
في وثبته رشه من بوله الى اعلى الشجرة والا وضع راسه
في الارض وصاح صياحا عجيبا فيخرج من فيه قطع الدم فيموت
من ساعته واي موضع من الشجرة سقط عليه من بوله لعرفه وان
اصاب الانسان شيء من بوله اتلفه وكذلك سائر الحيوان
وملوك الهند تدخر في خزائنها من اذناب هذه الدابة ومذاكيرها ومواضع
من اعضائه وهو السم القاتل من ساعته ومنه ما يسقى به السلاح
فيتلف من فوره وهذا ذكر هذه الدابة نذكر كلب الماء التي
يخرج منه الجند بانستر وهذا الكلب مشهور امره عند الصياد
له وغيرهم وهو اسم فارسي معرب اعامو شند وتفسيره الخصيد
فعرب فقيل جند بادستر ه والدابة المتقدم ذكرها المعروفة
بالزرق لا ياوي في مواضع كثيرة فيها النرسان وهو الكركدن
وتهرب منه كما يهرب الفيل منه ايضا والفيل يهرب من السنانير
وهي القطاط ولا يقف لها البتة اذا ابصرها وقد ذكر عن ملوك
الفرس انها كانت توقي الفيلة بالرجالة المقاتلة حولها من دعاة
خيل الاعداء عند الحرب بجلد السنانير عليها وكذلك افعال
ملوك السند والهند الى هذه الغاية وقد ذكرنا الخنازير ربما نفرت منها

يعمر الفيل بارض الهند والزنج سنة ٤٠٠

يضع الحمل في سنة ٧

الفيلة وقد كان رجل بالمولتان من ارض السند يدعى هارون بن موسى
مولى الازد وكان شاعرا شجاعا ذا رياسة في قومه ومنعة بارض السند
مما يلي بلاد المولتان وكان في حصن له فالتقى مع بعض ملوك الهند
وقد قدمت الهند امامها الفيلة فبرز هرون بن موسى امام الصف
وقصد لعظيم الفيلة وقد وضع ثوبه سنورا فلما دنا منه في حملة
من الفيل خلى السنور عليه فولى الفيل منهزما لما بصر بالسنور فكان
في سبب ذلك هزيمة الجيش وقتل الملك عليهم وغلبة المسلمين عليهم
ولهرون بن موسى قصيدة يصف فيها ما ذكرنا منها ه

اليس عجيبا بان تلقه ۝ له قطر الانس في جرم فيل
واطرق من فيه زوله ۝ يحمل عن جنشليل
واوقص مختلف خلقة ۝ طويل الثيوب قصير النصيل
ويلقى العدو بناب عظيم ۝ وجوف رحيب وصوت ضئيل
فاشبه شيء اذا انته ۝ لخنزير وجاموس غيل
ويعصف بالرجل النحور ۝ كما يعصف الريح بالعندبيل
ويخصر من انفه يدا ۝ فان وصلوه فسيف صقيل
واقبل كالطود ذا الخميس ۝ بهول شديد امام الرعيل
فان سمته زاد في هوله ۝ بساعد اذنين جاس عول
وقد شاهد دهره له ۝ قليل التهيب للزنديل
فلما احس بمن في الهياج ۝ اتانا الاله بفتح جليل
وطار ولم يعرفها لسأله ۝ بقلب نجيب وجسم نبيل
فسبحان خالقه وحده ۝ فرب الانام ورب القبول

العنذبيل هو طائر صغير جدا يكون بارض الهند والسند
تذكره الشعراء في اشعارهم يمثلا لصغره والزنديل هو العظيم
من الفيلة والمقدم فيها وقد قيل ان الزنديل هو ما اشتد
في الحرب من ذوات الفيلة وقد قال بعض الشعراء في
صفة فيل شعر

ذاك الذي مشفره طويل ۝ وهو من الافيال زنديل
وفي لغير ۝ وفيله كالطود زنديل

وقد ذكر الجاحظ في كتاب الحيوان هذه القصيدة وفسر بعض
اباتها والفيل لا ينتج ولا يتولد الا بارض الهند والسند
ولا تعظم انيابها بارض الهند والسند على حسب عظمها بارض
الزنج والزنج يتخذ من جلود الفيلة الدرق وكذلك الهند والصين
ذلك شيء في المنفعة من الدرق الصيني والتبتي والقبطي والنجاسي

ولاما يقع في اللين وغير ذلك من انواع الدرق وخرطومه انفه وبه يوصل
الطعام والشراب الى جوفه وهو شيء بين الغضروف والعصب وبه
يقاتل ويضرب ومنه يصيح وليس صوت الفيل المقدار على مقدار عظم
جسمه وكبر خلقته وقد كان المنصور عني بجمع الفيلة لتعظيم الملوك
انسا لقد اتيانها واقتنائها واعدادها للحروب والزينة والاعياد وغيرها
والهيا اوطا المراكب وامهدها ۵ واخبرني بعض الكتاب ممن يرجع الى
ادب ومعرفة بايام الناس بمدينة السلام انه اشترى بغلة في غاية الفراهة
والحسن وكان يركبها في مهماته ومتصرفاته فكانت اذا رات الجمال البخت
او النوابغ من الجمالة وغيرها في الطرق نفرت وشبت فكان يلقى منها جهدا
جهيدا فيصبر على ذلك المكروه لما هي عليه من الفراهة والنظافة وانه
لا يجد لها غيرها من عظم جسمه وثقل بطنه فلما ان كان في بعض الايام اجتاز
بباب الطاق وذلك في ايام المعتضد وقد اخرج الفيلة للرياضة والتمهيد
ليحمل عليها الليث بن علي الصفار واصحابه وقد كان مونس المظفر الخادم
اسره ببلاد فارس حين خرج على السلطان قال فاشرفت على قطيع
من الجمال البخت منه خائفا من الفيلة تجمز في مشيها لا سبيل الى نهي قدمه
عليها الى ردها لما اختنها من الجزع فلما رات البغلة ذلك شبت وولت
على عقبيها وضربت في الارض ووقعت لجلد ثور منفوخ ودخل الجمال
الى درب لا ينفذ وقد كانت البغلة حين نهت بي ونفرت من الجمال
دخلت ذلك الدرب وجاءت الفيلة على اثر ذلك فلما نظرت البغلة
الى الفيلة وعظم خلقها الحقت بالجمال قد خلت بينها كانها
لم تزل معها وذلت لذلك الجمال اذ رات جماعة من الناس يعرفني
ودخل الغلام فاخرج البغلة وما استطاع اخراجها حتى مضت
الفيلة واخرجت في وسط ذلك الجمال فوالله ما نفرت بعد ذلك من جمل
ولقد الفت الجمال حتى كانها بعضها لاستصغار صورة الجمل عندما
شاهدت من عظم صورة الفيل وكل حيوان ذي لسان فاصل لسانه الى
داخل وطرفه الى خارج الا الفيل فان طرف لسانه الى داخل واصله الى
خارج ۵ والهند تزعم لولا ان لسانه مقلوب ثم لقن الكلام لتكلم
والهند تشرف الفيل وتفضله على سائر الحيوان لما اجتمع فيه من الخصال ل
المحمودة من علو سمكه وعظم صورته وبديع منظره واتفاق
صورته وطول خرطومه وسعة اذنه وكبر غرموله مع خفة وطئه
وطول عمره وثقل جسمه وقلة اكتراثه لما فوق ظهره وانه مع كبر على
هذا الجسم وعظم هذه الصورة يمر بالانسان فلا يحس بوطئه
ولا يشعر به حتى يغشاه لحسن خطوه واستقامة مشيته ۵ وقد

وصف

وصف الجاحظ الفيل في كتاب الحيوان فاغرق في وصفه واكثر في مدحه
واورد ايرادا كثيرا في وصفه وهيئته ولم ينبه عليه من عجائب التركيب
وغريب التاليف والمعاني العجيبة والاجناس اللطيفة وفي قبولها
التاليف والمعاني للتاديب وسرعتها الى المتعلمين والتقويم وفي
ابدانها من الاعضاء الكريهة والاجزاء الشريفة وكم مقدار منافعها
ومبلغ مضارها وبكم فضلت تلك الاجسام وما جعل فيها من الآيات والبر نات
والعلامات النيرات التي جلاها للعيون خلقه وعرف بينها وبين عقول
عباده وقيدها عليهم وحفظها لهم ليزيدهم في وضوح الحجة و تسخيرهم
لتمام النعمة ما ذكره في الكتاب الناطق والخبر الصادق في الاداب
والمعرفة والامثال المضروبة والتجارب الصحيحة وما قال فيها الشعراء
ونطقت به الخطباء ومزيته العلماء وتحدثت منه الحكماء وحالها عند
الملوك وموضع نفعها عند الحروب وتباينها في العيون وجلالتها
في الصدور وفي طول اعمارها وقوة ابدانها وفي اعراقها واخفافها وشدة
اكترائها وطلبها بطوائلها وارتفاعها عن تلك السقاط وعن اقتناء الارذال ل
والسفلة عن رخاصتها في الثمن واغتباطهم على الخسف وابتذالها
واذلالها وعن ابتذالها وطبائعها وعمع عوارها ان تصلح ابدانها ويدس
ابدانها وبعظم جوارحها وتشرافه وتلاحق الاثنى في معادنها وفي بلادها
ومغارس اعراقها ما ينبع التماس الملوك ذلك وطمع القوم عليها بالتقرب منها
حتى اعجزت الخيل وخرجت عن حد الطمع وعن الاكتساب وحجمها ووضعها
مواضع اعضائها والذي خالفت فيه الاشكال الاربعة التي تحيط بجميع
ما ينساح او يقوم او يمشي او يطير وجميع ما ينتقل عن اوليه خلقه
وما يتجافى الطبع الاول من صورته وعما يتنادر عن شبه الحيوان وما يخالف
فيه جميع الحيوان وعن القول في شدة قلبه واسره وحوافره على عظم بدنا
منه واشد كليا واحد اظفارا وادرب لسانا وهربه مما هو اصغر جسما
واقل حدا واضعف اسرا واخمل ذكرا وعن الاخبار عن خصاله المذمومة وامور ح
المحمودة وعن القول في لونه وجلده وشعره ولحمه وعظمه وبوله وعن لسانه
وفمه مع غير ذلك من المواضع الكثيرة التي يضمن ايرادها فلما انتهى الى مواضع
نظمها وايراد وصفها وما اسلفه من القول في هذه المعاني التي قدمها اورد
جوامع متفرقة وبلغا غير متسق في الفيلة وغيرها واعرض عن اصول اعضائها
وكرم منافعها وعجيب خصالها وما ذكر من اسرار الطبيعة فيها ف
قال الله فلا اسفد الهند في بدئها وما اثرته عمن تقدم من حكمائها
في بدء اوليتها وعلة تلونها بارض الزنج والسند دون سائر
البقاع من الارض والسبب المانع لملوكها والتضاد الذي بينها

وبين الكركند مع عظمها وخلقتها وفراره من السنور مع صغر جسمه
ولطافة منظره وفي كثرة الطرب الذي يوجد في الفيل دون غيره من
الحيوان وقبوله الرياضة والدراية والمعرفة عند المحاورة والدهاء
والخبث والتمييز ه وقد ذكر صاحب المنطق في كتاب الحيوان جملا كثيرة
من خصال الفيل ومنافع اعضائه وسلك طريقة لم يسلكها من تقدم
من حكماء الهند في الفيل وما ذهب اليه حكماء الهند ان العالم
بما فيه من الاجسام متفق ومختلف ومتضاد وان ذلك في الجملة
هو جماد ونام ولذلك جعلوا العالم الافلاك والنجوم والبروج وغير
ذلك من الاجسام السماوية وانها ليست بجماد ولا نام وانها حية
ناطقة قال المسعودي فلنرجع الان الى ما كنا فيه انفا
في صدر هذا الكتاب من ذكر الزنج وبلادهم وغيرهم من انواع الحبش
فالزنج مع كثرة اصطيادها لما ذكرنا من الفيلة وجمعها لعاجها غير
منتفعة بشي من ذلك في الالات وانها تحلي الزنج بالحديد بدلا من
الذهب والفضة وقد ذكرنا ان دوابهم انما البقر وانها التي يقاتلون ن
بدلا من الابل والخيل وهي تجري كالخيل بسروج ولجم
وقد رايت بالري نوعا من البقر يبرك كما يبرك الجمل ويحمل
كما تنهض الابل اذا استقلت باحمالها وهذا النوع من البقر
يجمع اليه المشبه من الحيوان كالخيل والابل والبقر والحمير وما اشبهها
نوع من الحيوان مردفة لهم خارج الري قرية لا يسالون عنهم غيرهم فيها
فاذا اتاه بالري او قزوين او سائر ما ذكرنا من البهائم وذوات الجمال
منهم مع ثوره فاناخه وحمل عليه تلك الصورة وصار بها الى
قريته فاكلها منه وبنيا لهم من عظامها ويحففون من لحمها ما يدخر ونه
لمشتاهم فاكثر اكلهم واكل بقرهم من تلك الجمال رطب ويابس وهذا
النوع من البقر الغالبة كثيرهم الحدق وسائر البقر صهب وشقر
من هذه البقر وقد رايت باصبهان بقرا منها في انوفها
حلق الحديد والصفر وقد ضربت فيها الحبال وخطمت بها كما يفعل
بالجمال البخت وكذلك بالري وقد رايت ثورا منها قد غدا في
نور من هذا النوع فلما راه قد قصد ما من نزعا من هذا الجنس
ه وليس في سائر انواع البقر مما يأوي المياه والجزائر والبحيرات
الا البقر المعروف بالحبشية التي تكون ببلاد مصر في نواحيها وبحيرة
تنيس ودمياط وما اتصل بتلك الديار واما الجواميس
فانها في الثغر الشامي ببقر اكبرها يالون من العجل في انوفها
حلق الحديد والصفر على ما ذكرنا في هذا الكتاب فاما النوبة

فانهم

فانهم تفرقوا فرقتين في شرقي النيل وغربيه وانحت على شاطئه فاتصلت
ديارها بديار القبط من ارض مصر والصعيد من بلاد اسوان وغيرها
واتسعت مساكن النوبة على شاطئ النيل وغربيه وانحت على شاطئه
فاتصلت ديارهم مصعدة ولحقوا بقرب من عالية وبنوا دار مملكة
وهي مدينة يدعى دنقلة والفريق الاخر من النوبة يقال لها علوة وتنزل
مدينة الملك تسمى سوبة قال المسعودي وانتهيت في
تصنيفي لهذا الموضع من كتابنا هذا في ربيع الاخر سنة اثنتين وثلثين وثلثمائة به
وكنت بفسطاط مصر سنة ثلثين وثلثمائة فاخبرت ان ملك النوبة في
مدينة ماسه كبرى من سبدرو وهو ملك بن ملك بن ملك فصاعدا فيما عدا
ومملكته تحتوي على ارض مقرة وعلوة والبلد المتصل بمملكته مما يلي اسوان
يعرف بمريس واليها يضاف الريح المريسية وعمل هذا البلد يتصل باعمال
مصر من ارض الصعيد ومدينة اسوان فاما ارض البجة فانها نزلت بين بحر
القلزم ونيل مصر وتشعبوا فرقا وملكوا عليهم ملكا وفي ارضهم معادن ل
الذهب والفضة وهو التبر ومعادن الزمرد وتتصل سراياهم ومياسر هم
على النجب الى بلاد النوبة يغيرون ويسبون وقد كانت النوبة قبل
ذلك اشد من البجة الى ان قوي الاسلام وظهر وسكن جماعة من المسلمين
في معدن الذهب وبلاد العلاقي والعيذاب وسكن في تلك البلاد جماعة
من العرب من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان فاشتدت شوكتهم وتزوجوا في البجة
فقويت البجة بمن صاهرها من ربيعة وقويت ربيعة بالبجة على من ناواها
من قحطان وغيرهم من مضر بن نزار ممن سكن تلك الديار وصاحب المعدن
في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلثين وثلثمائة ابو مروان بشر بن اسحاق
وهو من ربيعة يركب في ثلثة الاف من ربيعة واحلافها من مضر واليمن وثلثين
الف حراب على النجب من البجة بالحجف البجاوية واما الحبش فان مسمى
دار مملكتهم كعبر وهي مدينة عظيمة وهي دار مملكة النجاشي وللحبشة مدن
كثيرة وهو مقابل لبلاد اليمن فمن مدن الحبشة على الساحل الزيلع والدهلك
وناصع ومن هذه المدن فيها من المسلمين خلق الا انهم ذمة للحبشة وبين ساحل
الحبشة ومدينة غلافقة وهي ساحل زبيد من ارض اليمن بلاد ثلثة ايام عرض
البحر بين الساحلين ومن هذا الموضع عبرت الحبشة البحر حين
ملكت اليمن في ايام ذي نواس وهو صاحب الاخدود والمذكور في القران
وصاحب زبيد في وقتنا هذا ابرهيم بن زياد الحرملي ومراكبه تختلف الى
ساحل الحبشة وتركب فيها التجار بالامتعة وبينهما دون هذا الموضع
في البحر بين هذين الشطين اعني ساحل اليمن وساحل الحبشة اقل المواضع
فيهما عرضا وهنالك جزائر بين هذين الساحلين منها جزيرة يقال لها جرية

العقل فيهما ما يعرف بماء العقل يسقى منه ارباب المراكب وينفعل
في الفراح والدكا بغالاحياله وقد ذكر بعض الفلاسفة المتقدمين
ما ينفعل بهذه المياه والارض من الخواص وذكر علة ذلك وقد اتينا على
الخبر في كتابنا في اخبار الزمان عند ذكرنا اخبار المتطببين في تجاربهم
وما كان من قضاياهم في علاجاتهم ممن سلف قبل ظهور الاسلام وغيرهم
ممن اتصل بالملوك والخلفا بعد ظهور الشرع وقد غلب في زماننا
على هذه الجزيرة ولد في الوقت فيها رجال من مشهوري اصحابه وفي هذا
البحر مقابل بلاد عدن جزيرة تعرف بسقطرة اليها يضاف الصبر
الاسقوطري لا يوجد ذلك الا فيها ولا يحمل الا منها وقد كان ارسطاطاليس
ابن نوماخس كتب الى الاسكندر بن فيلبس حين صار الى الشام في امر هذه
الجزيرة يوصيه بها وان يبعث اليها جماعة من اليونانيين يسكنهم فيها
من اجل الصبر الذي يقع في الايارجات وغيرها فسير الاسكندر الى هذه
الجزائر خلوق من اليونانيين اكثرهم من مدينة ارسطاطاليس من مدينا
حى وهي مدينة ارسطا ... المراكب باهاليهم في بحر القلزم فغلبوا
على من كان بها من الهند وملكوا الجزيرة وكان الهند بها صنم عظيم
بعد ذلك الصنم في اخبار يطول شرحها وتسلسل من يلي ذلك اليونانيين
ومضى الاسكندر وظهر المسيح فتنصر من كان فيها الى هذا الوقت
فليس في الدنيا والله اعلم موضع فيه قوم من اليونانيين يحفظون
انسابهم لم يدخلهم فيه دخيل ولا يخالطهم غير اهل هذه الجزيرة
وهم في هذا الوقت يأوي اليهم بوارج الهند الذين يقطعون
على المسلمين في هذه البوارج وهي المراكب على من اراد
الصين والهند وغيرهما كما يقطع الروم في الشواني على المسلمين
في البحر الرومي من ساحل الشام ومصر وبهذه الجزيرة سقطرة الصبر
وغيره من العقاقير ولهذه الجزائر اخبار عجيبة وما فيها من خواص
النبات والعقاقير قد اتينا على كثير من ذكرها فيما سلف من كتبنا وأما
غير هولاء من الحبشة الذين قدمنا ذكرهم ممن امعن في المغرب مثل الزغاو
والكوكو والقوافر ومريد والمرس والبجه والكلاب والزنج والقرما
وغيرهم وبلاد القرمة فلكل واحد من هولاء وغيرهم من انواع الحبشة
ملوك ودار ممالكه وقد اتينا على جميع اجناس السودان وانواعهم
ومساكنهم ومواضعهم من الفلك ولاية علة تفلفلت شعورهم واسودت
الوانهم وغير ذلك من اخبارهم واخبار ملوكهم وعجائب سيرهم
وتشعبهم في اجناسهم في كتابنا في اخبار الزمان في الفن الاول من
جملة الثلثين وفي الكتاب الاوسط مما لم نذكره في كتابنا اخبار الزمان

اخبارهم

اخبارهم وذكرنا في هذا الكتاب ما لا يمتنع في اليوم تركا ايراده فيه
لا نعوّل منه قال المسعودي وقد كان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه لما افتتح عمرو بن العاص رحمه الله مصر كتب اليه
بمحاربة النوبة فغزاهم المسلمون فوجدوهم يرمون الحدق فأبى
عمرو بن العاص ان يصالحهم حتى صرف عن مصر وولِيها عبد الله
بن سعد فصالحهم على رؤوس من السبي معلومة مما يسبيه هذا
الملك المجاور للمسلمين وغيرهم من ممالك النوبة المقدم ذكرها
فيما سلف من هذا الكتاب المدعو بملك مريس وغيرها من ارض النوبة
فصار ما يقبض من السبي جارية في كل سنة الى هذه الغاية تحمل
الى صاحب مصر وتدعى هذه السبي والضريبة بارض مصر والنوبة بالبقط
وعدد ذلك ثلثمائة راس وخمسة وستون راسا وراس ديسم على عدد
ايام السنة هذا البقط للمسلمين لشرط الهدنة بين النوبة
وبينهم وللامير بمصر غير ما ذكرنا من هذا السبي اربعون راسا وللخليفة
المقيم ببلاد اسوان المجاور لارض النوبة وهذا المتولي لقبض
هذا البقط عشرون راسا غير الاربعين وللحاكم المقيم باسوان
الذي يحضر مع امير اسوان قبض البقط خمسة ارؤس غير العشرين
التي يقبضها الامير ولاثني عشر شاهدا عدولا من اهل اسوان
يحضرون مع الحاكم قبض البقط اثنا عشر راسا من البقط السبي
على حسب ما جرى قديما من الرسم في صدر الاسلام في بدء ايقاع الهدنة
بين المسلمين والنوبة والموضع الذي يسلم فيه هذا البقط ويحضره
من سمّيناه وغيرهم من النوبة ومن ثقات الملك يعرف بالقصر وهو
على ستة اميال من مدينة اسوان بالقرب من جزيرة بلاق وبلاق
هذه مدينة في الموضع المعروف بالجنادل من الجبال والاحجار
وهذه المدينة هي هذه الجزيرة يحيط بها ماء النيل كاحاطته
ما الفرات بالمدائن التي في الجزيرة بين رحبة مالك بن طوق وهي
الرحبة وعانة والحديثة وفي مدينة بلاق حسن
وخلق كثير من المسلمين وفي بلاد الشقظب وبهذه المدينة
ينتهي اليها سفن النوبة وسفن المسلمين من ارض مصر واسوان يسكنها
خلق من العرب من قحطان ونزار من ربيعة ومضر وخلق من قريش
واكثرهم ناقلة من الحجاز وغيره من البلاد كثيرة النخل خصبة
كثيرة الخير تودع النواة الارض فتنبت نخلة ويؤكل ثمرها بعد
سنتين وليست ثمرتهم كثمرة البصرة والكوفة ولا غيرهما من ارض
النخل لان النخل بالبصرة لا تنبت من النوى بل تنبت من الغرس الفسيل

وهو النخل الصغير والمخرج من اليمن فليس يورق ولا يثمر ولهم باسوان ضياع
كثيرة داخلة بارض النوبة يودون خراجها الى ملك النوبة واشتري هذه
الضياع من النوبة في صدر الزمان في دولة بني العباس وبني امية وقد كان ملك
النوبة استعدى المامون حين دخل مصر على هولاء القوم بوفد وفدهم الى
الفسطاط ذكروا عنه ان اناسا من اهل مملكته وعبيده باعوا ضياعا من ضياعهم
ممن جاورهم من اهل اسوان وانها ضياعه والقوم عبيده لا املاك لهم وانما
يملكهم على هذه الضياع ملك العبيد العابرين فيها ورد المامون امرهم الى الحاكم
بمدينة اسوان ومن بها من الشيوخ واهل العلم وعرف من ابتاع هذه الضياع من
اهل اسوان ومن انها ستنتزع من ايديهم فاحتالوا على ملك النوبة بان تقدموا
الى من ابتاعوا منهم من اهل النوبة انهم اذا حضروا الى حضرة الحاكم ان لا يقروا للملك
بالعبودية وان يقولوا سبيلنا معاشر اهل النوبة سبيلكم مع ملككم يجب
علينا طاعته وترك مخالفته فان كنتم انتم عبيد ملككم واموالكم له
فنحن كذلك فلما جمع بينهم الحاكم وبين صاحب الملك اتوا بهذا الكلام
ونحوه مما وقفوا عليه من هذا المعنى فمضى البيع لعدم اقرارهم بالرق لملكهم
الى هذا الوقت وتوارثت الناس تلك الضياع بارض النوبة من بلاد مريس
وصارت ايدي النوبة اهل مملكة هذا الملك نوعان نوع من وصفنا
احرار غير عبيد والنوع الاخر من اهل مملكته عبيد وهم من سكن من النوبة
في غير هذه البلاد والمجاورة لاسوان وهي بلاد مريس ومعدن
الزمرد في عمل الصعيد الاعلى من اعمال مدينة قفط ومنها يخرج
الى المعدن والموضع الذي فيه الزمرد يعرف بالخربة مفازة وجبال
وانجاد وهذا الموضع المعروف بالخربة واليه يودي الخفارات
من يرد الى حفر الزمرد والزمرد الذي يقلع من هذه المعادن يتنوع
اربعة انواع الاول يعرف بالزمرد وهي اعلاه واجوده ثمنا وهو
شديد الخضرة كثير الماء تشبه خضرته بخضرة ما يكون من السلق وهذا
اللون غير كدر ولا ضارب الى السواد والنوع الثاني يدعى البحري
ومعناهم في هذه التسمية هو ان ملوك البحر من السند والهند والزنج
والصين ترغب في هذا النوع من الزمرد وتنافس في استعماله ولبسها
في تيجانها واكلتها وخواتيمها واسورتها سمي البحري لما ذكرنا
وهو تالي في الجودة ويشبه خضرته بالاول والماء كتفاح ورق الاس
الذي يظهر في اوائل اغصان الاس واطرافه والنوع الثالث
يعرف بالمغربي ومعناهم في هذه التسمية واضافتهم اياه الى المغرب هو
ان ملوك المغرب من الافرنجة والنوكبرد والاندلس والجلالقة والوشكنس
والصقالبة والروس وان كان اكثر هولاء الامم متصلين بالجنوبي

وهو بين

وهو بين المشرق والمغرب على حسب ما ذكرنا عن ديارهم ولديها ثم نوع
يتنافسون في هذا النوع من الزمرد كتنافس من ذكرنا من ملوك الهند والصين
في النوع المعروف بالبحري والنوع الرابع هو المعروف بالاصم وهو ادنى
الانواع واقلها ثمنا لقلة مائه وخضرته وهذا النوع يقارب في اللون
من الحجر في الثقل وبهم جملة الوصف لهذه الانواع الاربعة في الجودة
والمبالغة في الثمن هو اكثرها ماء واصفاها ماء واكثرها خضرة وابعدها
من السواد والصفرة وغير ذلك من النوع مع تعري هذا الجوهر من النمش
فاذا سلم مما ذكرنا كان في نوعه في الغاية من الجودة والنهاية في الوصف
وفي الجياد ما يبلغ الحبة منه مثقالا في الوزن الى ان يسمى الحجر
العدسي في المقدار فيدخل ذلك الى النظم في المخانق وغيرها وافات
هذا الجوهر النوع كثيرة منها الرمرم والحجارة والعروق البيض التي
تشوب هذا الجوهر وتوجد فيه ولاصحاب ذوي الدراية بهذا
الجوهر ومن عني بمعرفته ان الحيات والافاعي وسائر انواع الحيات من
الثعابين وغيرها اذا ابصرت الزمرد الخالص سالت احداقها وان
الملسوع اذا سقي من الزمرد الخالص وزن دانقين في الفور امن على نفسه
من سريان السم في جسمه ولا يوجد شيء من انواع الحيات بالقرب من
معدنه وارضه وهو حجر لين رخو ينكسر اذا ادمن على النار وقد
كانت ملوك اليونانيين ومن تلاهم من ملوك الروم تعظم شان هذا الجوهر
وتفضله على غيره من سائر الجواهر لما اجتمع فيه من الخواص العجيبة والمنافع
الكثيرة وحسنه في الوصف وفي سائر الجواهر المعدنية واكثر ما يوجد من
هذه الانواع الاربعة العروق في الارض وهو المتنافس فيه اذا سلم
من الاعوجاج والنقب واستقام شكله واستطال فاستدار وادون
ما يخرج من معدنه من التراب ويلتقط من الطين وقد يوجد على ظهر
الارض من هذه المعادن في وهاده وجباله وما انخفض وانقطع من
ارضه نوعان منه وهو الغرجي والاصم المقدم ذكرهما وقد يحمل من
ارض الهند من بلاد سان ونحو ساير من مملكة البلهرا صاحب
المانكير والمقدم ذكره فيما سلف من هذا الكتاب نوع من الزمرد
يلحق بخضرته ما وصفنا من التوديد والشعاع الا انه حجر صلب اصلب
مما وصفنا واثقل مما ذكرنا ولا يفرق بين هذا النوع المحمول من ارض
الهند وبين الانواع الاربعة المتقدم ذكرها الا ذو دراية وفطن
شامه وهذا النوع الهندي تعرفه اصحاب الجوهر بالمكي
لانه يحمل من ارض الهند الى بلاد عدن وغيرها من سواحل اليمن
فيؤتى به مكة فاشتهر بهذا الاسم لما وصفنا وبان هذا النعت

لما ذكرنا ه وقد اتينا على مبسوطها واخبار الجواهر السافة وغيرها
ووصف معادنها على التشريح والايضاح في كتابنا في اخبار الزمان
ووجدت جماعة بصعيد مصر من اهل الدراية ممن اتصلت معرفته
بهذه المعادن وعرف هذا النوع من الجوهر الذي هو الزمرد يخبرون
ان الزمرد يقل ويكثر في فصول من السنة في قوة مواد الهواء وهبوب
نوع من الرياح الاربع ويقوى الحجر فيه والشعاع النوري
في اوائل الشهر والزيادة في نور القمر وكذلك وجدت اخبار اكثر
من عني بمعرفة اكثر المعادن من جوهرية وغيرها ان الذي يكثر
في معدنه في السنة التي يكثر فيها وتشتد صواعقها على حسب
ما اخبرنا فيما سلف من هذا الكتاب عن الكائن في بلاد الاقصور
وغيرها من ارض الهند يكثر في السنة التي يكثر فيها الصواعق والرعود
والبروق ولولا ان ذلك الاثار لخاطب لسائل والاعتبار لمحه
دالة ووجه صريح عن ضمير البالغ افصاح باخبار لا اسهب
في هذا الباب وبين هذا الموضع المعروف بالخربة الذي فيه
معدن هذا النوع من الجوهر وهو الزمرد وبين ما اتصل به من
العمارة وقرب منه من الديار مسيرة تسعة ايام وهي قفط
وقوص وغيرهما من صعيد مصر فوق راجية النيل وبين
قفط نحو ميلين ولمدينتي قفط وقوص اخبار عجيبة في بدو
عمرانهما وما كان في ايام الاقباط من اخبارهما الا ان ما اشتهر قفط
في هذا الوقت مدة العشيرة الحرب دون قوص اعم والناس فيها
اكثر ووادي البجة انما هو لهذا المعدن معدن الزمرد ويتصل
ديارها بالعلاقي وهو معدن الذهب على حسب ما قدمنا انفا
في هذا الكتاب وبين العلاقي والنيل نحو من خمس عشرة مرحلة وماء العلاقي
ماء السماء وكلهم معين يسيل في وسط العلاقي واقرب العمارة
اليه مدينة مدينة اسوان مختلط بالنوبة قال المسعودي
فاما بلاد الواحات وهي بين مصر والاسكندرية وصعيد مصر
والمغرب وارض الحبشة من النوبة وغيرهم فقد ذكرنا جملا من
اخبارها وكيفية العمارة بها والخواص التي ارضها فيما سلف
من كتبنا وبها ارض احيه وشب وعيون حامضة وغير
ذلك من الطعوم وصاحب الواحات في وقتنا هذا وهو سنة
اثنتين وثلاثين وثلثمائة عبد الملك بن مروان وهو رجل من لواته
الا انه مرواني المذهب فيركب في الوقت من الناس جيشا وبجاب
وبينه وبين الحبشة نحو ستة ايام وكذلك بينه وبين

ماذكرنا

ما ذكرنا من العمائر هذا المقدار والمسافة وفي ارضه خواص وعجائب
وهو بلد قائم بنفسه غير متصل بغيره ولا مفتقر اليه ويحمل
من ارضه التمور والزبيب والعناب وقد رايت صاحب هذا الرجل
المقيم بالواحات بباب الاخشيد محمد بن طغج وذلك سنة
ثلثين وثلثمائة وسالته عن اخبار كثيرة من بلادهم فيما احتجت اليه من
خواص ارضهم وكذلك كان تعلقي في غيره في سائر الاوقات
ممن لم اصل اليه من البلاد ه واخبرني هذا الرجل عما بارضهم
من الشب وانواع الزاج واجناس من الادهان وما بارضهم من انواع
العيون الحامضة وغير ذلك من المياه المختلفة الطعوم ه وقد
ذكر صاحب المنطق ان بعض المواضع عيونا حامضة تستعمل
منها الانواع العيون المر فان في مياهها من المرارة التي تخالطها اشياء
الامر ولان العلة في اختلاف هذه الطعوم في المياه ان في الارض
المختلفة مثل الشب اذا خالطت الماء افادته طعوما مختلفة
على قدر اختلافها واعداد طعومها واعداد الطعوم ثمانية
فاولها العذب والدسم والحلو والمالح والحامض والمر
والحريف والقابض وقد تنازع الناس فيما ذكرنا فمنهم
من راى ان اعدادها سبعة ومنهم من ذهب الى انها ستة واكثر
من قال في اعدادها هو ما ذكرنا انها ثمانية وقد قال من سلف في
قوى المياه اقاويل مختلفة فمن ذلك ان العذب نوعان بارد وسخن
فان كان سخنا فان استعمل من خارج ومن داخل بقدر الحاجة
اليه فانه ينقي الجسد ولان استعمل اكثر مما يحتاج اليه فانه
يرخي الاعضاء ويضعفها ولان البارد يشد الاعضاء ويدفع
العطش فان الزيادة منه يحدث الجسم وهيئته ولان الماء المالح
ينفع من سدد البلغم والطحال وينفع الجراحات والقروح العتيقة
والحكة ه والبورقي نافع الجرب ه واما القاري فانه نافع من
اوجاع الصلب والعصب وما الحديد نافع من الاسترخاء
وما بطن من الاوعية ه وما النحاس نافع من الرطوبة والبلة
الكائنين في الجسد والراس ه وماء الحصا يبيح المعدة وينقيها
ويليها ه وماء الزاج يحبس الدم ه وماء البحر نافع من
البرص ه وقد ذكر جماعة انه ينفع من الاخلاط الفاسدة اذا شرب
اليسير منها مع دهن اللوز وله في البصر اتعاب وطبع والمزاج
المياه للاجسام الابيض الرقيق الذي يخرج من جبال الطين
من مشرق الارض نحو مغربها القليل الرخ مايرد اليه من الحر

والبرد وللناس فيما ذكرنا كلام كثير في انواع المياه واوصافها ومنافعها
ومضارها ليس بكتابنا هذا موضع لها وانما تغلغل بنا
الكلام الى ذكرها وتشعب بنا القول الى وصفها وكل ما ذكرنا من بلاد
الاحابش ما كان من غربي اليمن وجدة والحجاز مما يلي بلاد القلزم
فبلاد نسبه الجزع في ارضها ولا في شي مما يحمل من ساحلها
الا ما وصفنا من الذبل والنمور وغيرهما وكذلك ما عليه من ساحل
وبلاد الاحقاف ومن ساحل حضرموت الى عدن فبلد الخصب
فيه لاهله ولا يحمل من ارضهم الا الكندر وقشار الكندر وهذا البحر
واتصاله بالقلزم وهو عم بحر الهند ولكن الماء متصل
وليس في البحار ما ذكرنا من الخلجان مما احتوى عليه البحر
الحبشي اصعب ولا اكثر خبالا ولا اشد لججا ولا اخبط
ولا اقل خيرا في بطنه وظهره من بحر القلزم وسائر البحر الحبشي
تقطعه المراكب في ابان سيرها فيه في اناء الليل والنهار الا بحر
القلزم فان المراكب تسير فيه بالنهار فاذا جن الليل ارست في موضع
معروف من المراحل المشهورة والمنازل المعروفة لكثرة جباله وظلمه
ووحشته وليس هذا البحر مما اتصل به من بحر الهند
والصين وغيره في شي وهو بالضد من ذلك لان بحر الهند والصين
في قعره اللؤلؤ وفي جباله العنبر ومن نباته الابنوس والخيزران
والقنا والبقم والعود واشجار الكافور والجوز بوا والقرنفل
والصندل وانواع الافاويه والطيب والعنبر وطيوره الببغاء
البيض والخضر واحدها ببغة ثم الطواويس وانواعها في صورها
واختلافها في الصغر والكبر ومنها ما يكون كالنعامة كبرا وحوت
ارض الهند الزباد كالسنانير كثيرة بارض الهند منهم كالسنور
واكثر ما يخرج من موضعه الطيب المعروف بالزباد وهو نوع من
الطيب عجيب ٥ ثم ما يظهر في وقت من السنة من حياء الفيلة
بارض الهند وورود سائر العرق الذي هو المسك والهند ترغب
ظهور هذا الطيب في الفصل من الزمان الذي يكون فيه فياخذه وتجعله
على بعض ادهانها الطيبة فيكون اعلى الطيب والمستطرف عندهم
والذي يستعمله ملوكها وخواصها لمعروف من المنافع منها طيب الرائحة
واللحم الذي فاق سائر الطيب ويؤثر في الانسان عند شمه اياه
واستعماله له من ظهور الشبق من الرجال والنساء والطلب للنساء
والغلمان ودوام الطرب والنشاط والاريحيه وكثير من ملوك الهند يحجا عنها
يستعمل هذا الدهن عند اللقاء والحرب لانه يذكر عنه ما يشجع

القلب

القلب ويقوي النفس ويبعثها على الاقدام واكثر ما يظهر هذا النوع من العرق
من حياء الفيلة في ذلك الفصل من السنة في حال اغتلامها وهيجانها
اذا كان ذلك منها هربت عنها سواسها ورعاتها لا تفرق بينها ولا تفرق بين من
تعرف وغيره من الناس فاذا وجد الفيل الذي ذكرنا سلك الاودية
والجبال وبعد عن بلده وغاب عن وطنه فاذا قدم على النوشان وهو الاكثر لذلك
هرب حينئذ من الفيل ولا اتهم في الموضع الذي هو فيه لان الفيل
عند ذلك بحال سكر لا يعقل ولا يميز بين الاكثر لذلك الذي يخافه
قبل ذلك وغيره فاذا خرج عنه ذلك الفصل من السنة واسترجع عاد الى
بلاده على مسيرة سنة واكثر من ذلك وهو في نهاية سكره فيجحد الهدار
الذي كان هيجانه فيه عليلا ولا يكون ذلك الا في الفحول من الفيلة ذوي
الجراه والاقدام منها وما ذكرنا من ظباء المسك وغير ذلك مما عنه امسكنا
من عجائبه وحيوانه وفيما ذكرنا تنبيه على غيره وللهند خطب طويل
في ظهور هذا النوع من الطيب في هذه الحال من الفيلة والفرق
بينه وبين سائر انواع الدواب وما يظهر من الفيل الجرح عند
وروده المياه من الغدران والانهار للشرب اذا كان الماء صافيا
وما يثيره وبالكدره اشاع من شربه حين صفائه وان ذلك يوجد
في اكثر الخيل اذا وردت لشرب الماء وكان صافيا ضربته بايديها
وكدرته فتشرب حينئذ وموافقة الخيل للفيلة في هذا المعنى
دون سائر الحيوان وان ذلك لمشاهدة الصورة على سطح الماء لصفائه
فلعلها تروع لذلك عند كدره ما تعرف بالتها لعدم ظهور
الصور في حال الكدر ولان الاغلب منها ان تفعل ذلك والمعاني
غير ذلك مما وصفنا من ان ما عظم من الحيوان اذا راى صورته
منعكسة على صفاء الماء انحجبت لعظمها وجسمها وما بان به
لحسن الهيئة عما دونه من انواع الحيوان وليس شي من
الحيوان يفعل ذلك غير ما ذكرنا من الخيل والابل ولان الفيل
مع عظم جسمه ولطافة حسه وخفة روحه وحسن
تمييزه والمعرفة بمن وليه وعدوه من الناطقين وغيرهم وقبوله
الرياضة يمتنع كما تمتنع النوق اذا لقحت وليس شي
من الدواب تمتنع من الاناث عند حملها الا الفيلة والابل
وهذا باب لو تحرينا تقصيه وذكرنا ما فيه لطال
الكتاب به وخرج عن حد الاختصار والايجاز وقد اتينا
على وصف جميع ذلك في كتابنا في اخبار الزمان وغيره من كتبنا
فلنذكر الان انواع من ولد يافث بن نوح اذ كنا قد قدمنا

فيما سلف من هذا الكتاب من ذكر الأمم مع اختلاف ألوانهم وتباينهم
في ديارهم واختلافهم في أحوالهم

ذكر الصقالبة ومساكنها وأخبار ملوكها وتفرق أجناسها

الصقالبة من ولد ماداي بن يافث بن نوح وإليه يرجع أجناس الصقالبة
وبه يلحقون في أنسابهم هذا قول كثير من أهل الدراية ممن عني بهذا
الشان ومساكنهم بالجربي حتى يتصلوا بالمغرب وهم أجناس مختلفة
وبينهم حروب ولهم ملوك فمنهم من ينقاد إلى دين النصرانية إلى رأي
اليعقوبية ومنهم من لا كتاب له ولا ينقاد إلى شريعة وهم جاهلية لا يعرفون
شيئا من الشرائع وهؤلاء أجناس فمنهم جنس كان الملك فيهم قديما
في صدر الزمان وكان ملكهم يدعى ماجك وهذا الجنس يدعون ولينانا
وكان يتلو هذا الجنس في القديم سائر أجناس الصقالبة اضطرابه
وملكهم في هذا الوقت يدعى اصقلابج وجنس يقال له دولانه
وملكهم يدعى وانج صالاب وجنس يقال له بلخانين وملكهم يدعى
غرابة وهذا الجنس أشجع أجناس الصقالبة وأفرس وجنس
يدعى نمانين ثم جنس يقال له سرباين وهو عند الصقالبة
مهيب لعلل يطول ذكرها وأوصاف يكثر شرحها وبعدهم عن ملة
ينقادون إليها ثم جنس يقال له مراوا ثم جنس يقال
له صاصين ثم جنس يقال له خشانين وجنس يقال
لهم برانجابين وما سميناه من بعض الملوك هذه الأجناس فمسماه
معروفة لملكهم والجنس الذي سميناه المعروف بسرباين
يحرقون أنفسهم بالنار إذا مات لهم الملك أو الرئيس ويحرقون
دوابه ولهم أفعال مثل أفعال الهند وقد قدمنا فيما سلف من هذا
الكتاب طرفا من ذكرهم عند ذكرنا الجبل القبخ والخزر وأن في بلاد
الخزر مع ملك الخزر خلق من الصقالبة وغيرهم فمتصلون بالمشرق
ومتصلون بالمغرب فالأول من ملوك الصقالبة ملك الدير وله مدن
واسعة وعمائر كثيرة وعساكر ومدد ويرد المسلمون دار مملكته بأنواع التجارات
ثم يلي هذا الملك من ملوك الصقالبة من ملوكها الفراغ وله
مدن وعمائر كثيرة وجيوش واسعة وعدد كثير ويحارب
الروم والإفرنج والنوكبرد وغيرهم من الأمم والحرب بينهم سجال
ثم يلي هذا الملك من بلاد الصقالبة ملك الترك وهذا الجنس أحسن
الصقالبة صورا وأكثرهم عددا وأشدهم بأسا والصقالبة
أجناس كثيرة وأنواع واسعة لا يأتي كتابنا هذا على وصف أجناسهم
وتفريع أنواعهم وقد قدمنا الأخبار عن الملك الذي كان ينقاد إلى

ملوكهم

ملوكهم في قديم الزمان وهو ماجك ملك ولينانا وهذا الجنس أصل من أصول
الصقالبة معظم في أجناسهم وله قدم فيهم ثم اختلفت الكلمة بين أجناسهم فزال
نظامهم وتحزبت أجناسهم وملك كل جنس منهم ملكا على حسب ما ذكرنا
من ملوكهم لأمور يطول ذكرها وقد أتينا على جمل من شرحها وكثير من مبسوطها
في كتابنا أخبار الزمان إن شاء الله تعالى

ذكر الإفرنجة والجلالقة وملوكها

الإفرنجة والصقالبة والنوكبرد والأشبان ويأجوج ومأجوج والترك
والخزر وبرجان واللان والجلالقة وغير ما ذكرنا ممن حل الجربي وهو
الشمال لا خلاف بين أهل البحث والنظر من الشرعيين أن جميع من ذكرنا من هؤلاء
الأمم من ولد يافث بن نوح فالإفرنجة أشد هؤلاء الأجناس بأسا وأمنعهم جهة
وأكثرهم عددا وأوسعهم ملكا وأكثرهم مدنا وأحسنهم نظاما وانقيادا لملوكهم
وأكثرهم طاعة إلا أن الجلالقة أشد من الإفرنجة بأسا وأعظم منهم نكاية والرجل
من الجلالقة يقاوم عدة من الإفرنجة وكلمة الإفرنجة متفقة على ملك واحد
لا تنازع بينهم في ذلك ولا تحزب واسم دار مملكتهم في وقتنا نويرة وهي مدينة
عظيمة ولهم من المدن نحو خمسين ومائة مدينة غير العمائر والكور وكان
أوائل بلاد الإفرنجة قبل ظهور الإسلام في البحر في جزيرة رودس وهي التي
ذكرنا أنها مقابلة للإسكندرية وأن فيها دار صناعة المراكب
في وقتنا هذا للروم ثم جزيرة اقريطش وقد كانت الإفرنجة
أيضا فتحتها وركبوا إلى هذه الغاية وقد كانت إفريقية وجزيرة
صقلية للإفرنجة أيضا وقد أتينا على أخبار هذه الجزيرة وخبر
الجزيرة المعروفة بالبركان وهي الأطمة التي يخرج منها أجسام من
النار كأجسام بلا رؤوس فتعلو في الهواء بالليل ثم تسقط في البحر
وهي الحجارة التي يحك بها الكتابة من الدفاتر وهي خفاف بيض على
هيئة أنوار الزنابير الصغار وهي الأطمة المعروفة بأطمة
صقلية وفيها قبر الحكيم الذي صنف الإيساغوجي
وهو المدخل إلى علم المنطق وهذا الكتاب بهذا الرجل يعرف وقد
أتينا على ذكر سائر الأطام من الأرض كأطمة وادي برهوت من أرض
حضرموت وبلاد الشحر وأطمة بلاد الزابج وبحر الصين وأطمة
بلاد اسك فيما بين بلاد فارس وبين الأهواز من أعمال أرجان
وبلاد فارس فهذه النار ترى في الليل من نحو عشرين فرسخا وهي
مشهورة من أرض الإسلام وتفسير الأطمة عين النار التي تنبع
من الأرض ولم نعرض في هذا الكتاب لذكر الحمات الكبريتية
ولا الزاجية ولا الحمات التي تظهر منها النار كالحمة التي في بلاد ماسبذان

من ارض برجان والسيرولين يقال لها البومان وهي الجمة تظهر من وسط
بابها النار وهي الجمة عجيبة لا يستطيع ورودها على اطفائها
ودفعها لشدة قوتها وسلطان لهبها وهي احدى عجايب العالم
اذ كنا قد اتينا على جميع ذلك فيما سلف من كتبنا وقد اتينا علامه
على منافع انواع المياه بجوامع ذكرها ولمع لوجناتها فيما سلف من
هذا الكتاب عند ذكرنا الارض الرجافات من ارض مصر وان كنا قد
اتينا على مبسوط ذلك فيما تقدم من كتبنا قال المسعودي
ووجدت في كتاب وقع الي بفسطاط مصر سنة ست وثلثين وثلثماية
اهداه غودمار الاسقف بمدينة جرندة من مدن الافرنجة في سنة ثمان
وعشرين وثلثماية الى الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن
عبد الرحمن بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك
ابن مروان بن الحكم ولي عهد ابيه عبد الرحمن صاحب الاندلس في
هذا الوقت المخاطب في عمله بامير المومنين ان اول ملوك الافرنجة
قلودية وكان مجوسيا فنصرته امراته واسمها غرطلة ثم ملك
بعده لذريق ثم ولي بعده لذريق ابنه دقشرت ثم ولي
بعده ابنه لذريق ثم ولي بعده قارلمان بن دقشرت ثم ولي بعده
قارله بن قارلمان وكانت ولايته ستة وعشرين سنة وكان في ايام
صاحب الاندلس وتدافع اولاده بعده ووقع الاختلاف
بينهم حتى تفانت الافرنجة بسببهم وكان لذريق بن قارله
صاحب ملكهم ثلث عاشرة وعشرين سنة وستة اشهر وهو
الذي اقبل الى طرطوشة فحاصرها ثم ملك بعده قارله بن
لذريق وهو الذي كان يهادي محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام
بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان وكان
محمد يخاطب بالامام وكانت ولايته تسعا وثلثين سنة وستة
اشهر ثم ولي بعده ابنه لذريق ستة اعوام ثم قام عليه قائد
للافرنجة يسمى بوسه فملك الافرنجة واقام في ملكهم ثماني سنين
وهو صالح المجوس عن بلده سبع سنين بستماية رطل من فضة وهو بها
صاحب الافرنجة اليهم ثم ولي بعده قارله لغير فملك كذا
وثلثين سنة وثلثة اشهر ثم ولي بعده لذريق بن قارله وهو
ملك افرنجة الى هذا الوقت وهو سنة ست وثلثين وثلثماية وقد
استوفى في مملكته عشر سنين الى هذا التاريخ على حسب ما ذكرنا وهما
نمي الينا خبره قال المسعودي واشد ما على الاندلس من الامم
المحاربة لهم الجلالقة على ان الافرنجة حرب لهم غير ان الجلالقة اشد باسا

وقد

وقد كان لمحمد بن عبد الرحمن صاحب الاندلس في هذا الوقت وزير من وزرايه
يقال له محمد بن اسحق فقبض عليه عبد الرحمن لامر كان منه استحق في الشريعة
العقوبة عليه فقتله وكان لهذا الوزير اخ يقال له امية في مدينة من
ثغور الاندلس يقال لها شنترين فلما نما اليه ما فعل باخيه عصى عبد الرحمن
وصار في حيز ردمير ملك الجلالقة فاعانه على المسلمين ودله على
عوراتهم ثم خرج امية في بعض الايام عن المدينة يتصيد في بعض متنزهاته
فتغلب على المدينة بعض غلمانه ومنعه من الدخول اليها وكاتب عبد الرحمن
فمضى امية بن اسحق اخو الوزير المقتول الى ردمير فاصطفاه واستوزره
وصيره في جملته وغزا عبد الرحمن صاحب الاندلس سمورة دار مملكة الجلالقة
المقدم صفة بنيانها واسوارها في باب جمل هذا الكتاب وكان عبد الرحمن
في مائة الف او يزيدون فكانت الوقعة بينه وبين ردمير ملك
الجلالقة في شوال سنة سبع وعشرين وثلثماية بعد الكسوف الذي
كان في هذا الشهر بثلثة ايام وكانت للمسلمين عليهم ثم بانوا بعد
ان حوصروا والجوا الى المدينة فقتلوا من المسلمين بعد عبورهم الخندق
خمسين الفا وقيل ان الذي منع ردمير من طلب من نجا من المسلمين امية بن
اسحاق وخوفه الكمين ورغبه فيما كان في عساكر المسلمين من الاموال
والعدد والخزاين ولولا ذلك لاتى على جميع المسلمين ثم ان امية هذا
استامن بعد ذلك الى عبد الرحمن وتخلص من ردمير فقبله عبد الرحمن
احسن قبول وقد كان عبد الرحمن صاحب الاندلس بعد هذه الوقعة
جهز عساكر مع عدة من قواده الى الجلالقة وكانت لهم حروب هلك
فيها من الجلالقة ضعف ما قتل من المسلمين في الوقعة الاولى وكانت
للمسلمين عليهم فيما بعد هذا الى هذه الغاية وردمير ملك الجلالقة الى هذا
الوقت وهو سنة ست وثلثين وثلثماية وكان قبله على الملك اذفونش وكان
قبل اذفونش اذرنوش والافرنجة والجلالقة يتدينون بالنصرانية على راي الملكية

ذكر النوكبرد وملوكها

ولده قد تقدم ذكر النوكبرد والنوكبرد من يافث بن نوح وبلادهم متصلة بالمغرب
ومحلهم بالجربية ولهم جزاير كثيرة فيها امم من الناس وهم ذوو باس شديد
بر ومنعة ولهم مدن كثيرة يجمعهم ملك واحد واسماء ملوكهم في سائر
الاعصار انكبرس والمدينة العظمى من مدنهم وهي حاضرتهم
وهذا النهر احد انهار العالم الموصوف بالكبر والعجائب يقال له
سابط فذكر جماعة ممن عني بهذا المعنى ممن تقدم وقد كان
المسلمون ممن جاورهم من بلاد الاندلس والمغرب غلبوهم على عدة كثيرة
من مدنهم مثل مدينة دارم ومدينة طارنتو ومدينة سبراسه وغيرها

زمن قيصر الكبار وسكنها المسلمون مدة من الزمان ثم ان للنوكرد بانوا
ورجعوا على من كان في تلك المدن من المسلمين فاخرجوهم عنها بعد
حروب طويلة وما ذكرنا من المدن في وقتنا هذا في ايدي الناس ه
قال المسعودي وقد ذكرنا من الجلالقة والافرنجة والصقالبة بلد
والنوكرد وغيرهم من الامم قد رياها استقادبه والاكثر منهم لاهل
الاندلس محاربون وصاحب الاندلس في هذا الوقت ذو منعة
وذو عظيمة على ما قدمنا من نسبه واخباره وقد كان عبد الرحمن
بن معاوية بن هشام صار الى الاندلس ودار مملكة الاندلس قرطبة
على ما ذكرنا ولهم مدن كثيرة وعمائر متصلة واسعة وثغور في اطراف
ارضهم ولربما اجتمع عليهم ممن جاورهم من الامم ولد يافث بن
نوح من الجلالقة وبرجان والافرنجة وغيرهم من الالسن وصاحب
الاندلس في هذا الوقت يركب في مائة الف وهو ذو منعة من الرجال
والمال والكراع والعدد والحمد لله رب العالمين ه

ذكر عاد وملوكها

ذكر جماعة من ذوي العناية باخبار العالم ان الملك ببابل من بعد نوح في
عاد الاولى بدا قبل سائر الملوك للعرب كلها ومصداق ذلك
قوله عز وجل وانه اهلك عادا الاولى فهذا يدل على تقدمهم وان
هنالك عادا ثانية واخبر الله عن ملكهم ونطق عن شدة بطشهم وما
بنوه من الابنية المشيدة التي تدعى على مر الدهور العادية وقد
اخبر الله عن قول نبيه هود عليه السلام يخاطبهم اتبنون بكل ريع
آية تعبثون وعاد اول الممالك في الارض في قول هذه الطائفة
بعد ان اهلك الجبابرة من قوم نوح ودليل ذلك قوله عز وجل واذكروا
اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح الآية وذكر ان هولاء القوم
كانوا في هيئات النخيل طولا وكانوا في اتصال الاعمار وطولها
بحسب ذلك من القدر وكانت نفوسهم قوية واكبادهم غليظة
ولم يكن في الارض امة اشد بطشا واكثر اثارا واقوى عقولا واعظم
احلاما من عاد ولم يكن الهلاك يعرض في اجسامهم لقوة انار الطبيعة
فيها وما اوتوا من الزيادة في تمام البنية وكمال الهيئة على حسب
خبر الله عز وجل وكان عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وكان ل
يعبد القمر وذكروا انه راى من صلبه اربعة الاف ولد وانه
تزوج الف امراة وكانت بلاده متصلة باليمن وهي بلاد الاحقاف
وبلاد صحار وهي بلاد عمان الى بلاد حضرموت على حسب ما قدمنا
انفا فيما سلف من هذا الكتاب وغيره وقد ذكر جماعة من الاخباريين ان

محمد علي

ممن عني باخبار العرب ان عادا لما توسط العمر واجتمع اليه الولد
وولد الولد ورأى البطن العاشر من ولده وظهور الكثرة مع تشييد
الملك واستقامة الامر عمر احيانه الناس وقرى الضيف واحواله منتظمة
وامور الدنيا اليه مقبلة وعاش الف سنة ومايتي سنة ه ثم مات
وكان الملك بعده في الاكبر من ولده وهو شديد بن عاد وكان ملكه ثمانماية
سنة وثمانين سنة وقيل غير ذلك ه ثم هلك بعده اخوه شداد بن عاد
وكان ملكه تسعمائة سنة ويقال انه احتوى على سائر ممالك العالم
وهو الذي بنى مدينة ارم ذات العماد على حسب ما قدمنا فيما سلف
وذكرنا عند اخبارنا عن هذه المدينة وتنازع الناس في كيفيتها
وماهيتها واي بلاد هي وهذه عاد الثانية التي ذكرها الله عز وجل
فقال الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد والحكم ان الجهد اسمى
البطش ولشداد بن عاد مسير في الارض وطواف في البلاد وحروب
عظيمة في ممالك الهند وغيرها من ممالك الشرق والغرب وحروب كثيرة
اعرضنا عن ذكرها لشرط الاختصار وعولنا في ذلك على ما ضمناه
من اخبارهم في كتاب اخبار الزمان وسنورده فيما يرد من هذا الكتاب عند
ذكرنا تفرق الناس ببابل وتشعب الانساب وما قالوا في ذلك من اشعار
العرب من اخبار عاد ونبيها هود ه فاما تنازع الناس ممن سلف وخلف
في العلة التي لها عظمت اجسامهم وطالت اعمارهم فقد اتينا على ذلك
في كتابنا المترجم بكتاب السبعة من السياسة الملوكية وكذلك في
كتابنا المترجم بكتاب الزلف وذكرنا العلة التي لها ومن اجلها عدم
كون السباع والجمال بارض الاندلس ولم تكون في هذه الارض من الحيوان
في نباتها ومعادنها وما في ارض جلقية الى هذه الارض اضيفت
مملكة الجلالقة المقدم ذكرها فيما سلف من هذا الكتاب وهم اشد الامم
على اهل الاندلس واعظمهم بطشا ممن جاورهم غير ان بينهم امة من الناس
عظيمة الملك يقال لها البرسكس على حسب ما قدمنا ذكرهم فيما
سلف من هذا الكتاب وفي غيره من كتبنا مما تقدم من التصنيف قبل هذا الكتاب

ذكر ثمود وملكها وصالح عليه السلام

قال المسعودي قد ذكرنا فيما سلف خبر ثمود ونبيها
صالح عليه السلام لمعا ولكنا قد بسطنا ذلك في غير هذا الكتاب
وكان ملك ثمود بن ارم بن جاثر بن سام بن نوح بين الشام
والحجاز الى ساحل البحر الحبشي وديارهم بفج الناقة وبيوتهم
الى وقتنا هذا بينة منحوتة في الجبال ورممهم باقية واثارهم بادية
وذلك في طريق الحاج لمن ورد الشام بالقرب من وادي القرى وبيوتهم

منحوتة في الصخر بابواب صغار ومساكنهم على قدر مساكن اهل عصرنا
وهذا يدل على ان اجسامهم كانت كاجسامنا دون ما يخبر به القصاص
من بعد هذا وليس هؤلاء كعاد اذ كانت ديارهم ومواضع مساكنهم
وبنيانهم بارض الشحر يدل على بعد اجسامهم فكان ملكهم الاول
من ملوكهم مائتي سنة وهو عابر بن ارم بن سام بن نوح ثم ملك
بعده جندع بن عمرو بن الدميل بن ارم بن ثمود بن عابر بن سام
ابن نوح فكان ملكه الى ان هلك مائة سنة وتسعين سنة وملك
جندع هذا بعد ان كان من امر صالح النبي عليه السلام ما كان
على ما ذكرنا له عشر سنة فجميع ما ملك هذا الرجل وهو جندع ثلثمائة
وسبع وثمانين سنة فهؤلاء ملوك ثمود ه وبعث الله صالحا
نبيا وهو غلام حدث الى ثمود على فترة وكان بينه وبين هود نحو
مائة سنة فدعاهم الى الله ومكث فيهم يومئذ لسير وكبر صالح
ولم يزدد قومه من الايمان الا بعدا فلما تواتر عليهم انذاره واعذاره
ووعده ووعيده ساموه المعجزات واظهار العلامات ليمنعوه
من دعائهم ويعجزوه عن خطابهم فخرج في عيد لهم وقد احضروا اوثانا
وكان القوم اصحاب ابل فساموه الدلالة من حيث اموالهم وطالبوه
علامة من جنس اشكالهم وذلك من بعد اتفاق من رايهم فقال له زعيم
من زعمائهم يا صالح ان كنت صادقا في قولك وانت مبعوث من ربك
فاظهر لنا من هذه الصخرة ناقة ولتكن سوداء عشراء ثوجلا الك
صهابية ذات عرف وناصية وشعر ووبر فاستغاث ربه
فتحركت الصخرة وتمخضت وبدا منها انين وحنين ثم انصدعت
بعد تمخض شديد كتمخض المراة حين الولادة وظهر منها ناقة
على ما وصفوا ثم تلاها من الصخرة سقب لها نحو ما في الوصف فامعنا
في رعي الكلا وطلب الماء والمرعى فامن خلق من حضر وامن
زعيمهم وهو جندع بن عمرو واقامت الناقة يحلبون من لبنها ما
نعم بشربه ثمود كلها وضايقتهم في الكلا والماء وكان فيهم امراتان
ذواتا حسن وجمال فراودهما رجلان من ثمود وهما قدار بن سالف ومصدع
بن مهرج والامراتان عنيزة ابنة غنم وصدوق بنت المحيا فقالت
صدوق لو كان لنا في هذا اليوم ماء لاوسعناكما خمرا وهذا يوم
الناقة وورودها الى الماء ولا سبيل لنا الى الشرب فقالت عنيزة
بل والله لو كان لنا رجال لكفونا اياها وهل هي الا بعير من الابل فقال
قدار يا صدوق ان كفيتك امر الناقة فما لي عندك قالت نفسي وهي
حائل دونها عنك واجابت الاخرى صاحبها بنحو ذلك فقالا ايتيا العليا

بالخنجر فشق باحتي وسطها السكين ثم خرجا فاستعونا سبعة رهط
وهم التسعة الذين اخبر الله عنهم في كتابه انهم يفسدون في
الارض ولا يصلحون فقصدوا طريق الناقة حال صدرها فضرب
قدار عرقوبها بالسيف فعرقبها واتبع فعله مصدع ووجى
العرقوب الاخر بسهمه فخرت الناقة لوجهها وجا قدار لبتها
بالسيف وولادها السقب بصخرة فلحقه بعضهم فعقره وفرقوا لحم
الناقة وورد صالح فنظر الى ما فعلوا فوعدهم بالعذاب وكان ذلك
في يوم الاربعاء فقالوا له مستهزئين يا صالح متى يكون ما وعدتنا
به من العذاب عن ربك فقال تصبح وجوهكم يوم مونس وهو
الخميس مصفرة ويوم العروبة محمرة وهو الجمعة ويوم شيار
وهو السبت مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم اول وهو الاحد
قال المسعودي وسنذكر فيما يرد من هذا الباب اسماء
الشهور والايام بلغتهم فهم التسعة بقتل صالح وقالوا ان كان
صادقا كنا قد عاجلناه قبل ان يعاجلنا وان كان كاذبا كنا
قد الحقناه بناقته فاتوه ليلا فحالت الملائكة بينه وبينهم وامطر
الحجارة ومنعهم الله منه فلما اصبحوا نظروا الى وجوههم صفرا
كانهم الورس قد حالت الالوان وتغيرت وتيقن القوم صدق
الوعيد وان العذاب واقع بهم وخرج صالح ليلة الاحد بمن
ظهر اتباعه ومن خف به من المومنين فنزل موضع مدينة الرملة
من بلاد فلسطين واتاهم العذاب يوم الاحد فقال فيهم بعض
جناب بن عمرو وكان ممن اعتزلهم من المومنين من قصيدة ه

كانت ثمود ذوي عز ومكرمة ، ما ان يضام لهم في الناس من جار
فاهلكوا ناقة كانت لربهم ، قد انذروها وكانوا غير ابرار

وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب عند ذكرنا لتفرق الناس
ببابل من اخبار ثمود جملا وما كان من امر الناس بارض بابل وافتراق
لغاتهم وما قاله كل فريق منهم من الشعر على حسب ما اعطاه
اسم اللسان وان كنا قد اتينا على شرح ذلك على الكمال فيما
تقدم لنا من كتابنا في اخبار الزمان ان شا الله تعالى ه

ذكر مكة واخبارها وبنا البيت ومن تداوله من جرهم وغيرهم والحوادث الكاينة

قال المسعودي ابو الحسن علي
بن الحسين بن علي عبد الله ولما اسكن ابراهيم ولده اسمعيل مكه
مع امه هاجر واسود عما خالفه على حسب ما اخبر الله تعالى
عنه وانه اسكنه بواد غير ذي زرع ولم كان موضع البيت ربوة

حمل ابراهيم هاجر ان تتخذ عليه عريشا يكون لها مسكنا وكنا
وكان من خبر اسمعيل وخبر هاجر ما كان الى ان انبع الله لهما زمزم
واقحط الحجاز واليمن فتفرقت العماليق نحو تهامة يطلبون الماء
والمرعى والمدر الخصبة وعليهم السميدع بن هوبر بن لاى
ابن قيطور بن كركر بن خدان فلما امعنت بنو كركر بن حدان في
السير وقد غدمت الماء والمرعى واشتد بها الجهد اقبل السميدع
ابن هوبر يحثهم بشعر له يحثهم على السير ويسهم فيما قد نزل عليهم
فقال

«سيروا بني كركر في البلاد» «اني ارى ذا الدهر في فساد»
«قد ساد قحطان ذووا الرشاد»

فاشرف روادهم وهم المتقدمون منهم لطلب الماء على الوادي
فنظروا الى الطير يقع ويخفط فاستبطنوا الوادي فنظروا
الى العريش على الربوة الحمراء وفيه هاجر واسمعيل وقد زمت
حول الماء بالاحجار ومنعوه من الجريان وقد روى بذلك خبر
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رحم الله امنا هاجر لولا انها
عجلت ومنعت ماء زمزم ان يجري بما حوطت حوله من الاحجار
لجرى على وجه الارض ۵ فسلم الرواد عليها واستاذنوها في نزولهم
وشربهم الماء فانست اليهم واذنت لهم في النزول فالقوا ورآهم
من اصلهم واخبروهم خبر الماء فنزلوا مطمئنين مستبشرين
بالماء وبما لصابوا بالوادي من غدر الخصب وموضع البيت الحرام وخصب
وعقل اسمعيل وتكلم بالعربية بحال لغة ابيه وقد ذكرنا ما في ذلك
الكتاب وغيره ما قالوا الناس في ذلك من قحطان فزوج اسمعيل
بالحدا بنت سعد العلقمي وقد كان ابراهيم استاذن سارة في
زيارة اسمعيل فاذنت له فوافا مكة واسمعيل في الصيد والرعي
معه امه هاجر فسلم على الحدا ابنة سعد زوجة اسمعيل فلم ترد
السلام فقال لها هل من منزل قالت لا والله قال فانعل رب البيت
قالت هو غايب فقال لها اذا ورد فاخبريه ان ابراهيم يقول لك
ان مسلمة عنك وعن امك استبدل بعتبة بيتك وغيرها
وانصرف ابراهيم من فوره نحو الشام وراح اسمعيل وهاجر فنظر
الى الوادي وقد اشرق والاغنام تشتم الارض فقال لزوجته
العلقمية هل كان لك بعدي من خبر قالت نعم شيخ من فاخبر
بالقصة فقال لها ذلك الخليل الرحمن وقد امرني بتخليتك فالحقي
باهلك فالخير فيك وتسامعت جرهم بني كركر ونزولهم في الوادي وما فيه

من الخصب

من الخصب ودرور الضرع وهم في حال قحط فساروا نحو مكة وعليهم الحرث
ابن مضاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن ظالم بن هيس بن نبت بن جرهم حتى
اتوا الوادي ونزلوا مكة واستوطنوا الدار مع اسمعيل ومن تقدم من العما
وقيل من جرهم والاشمه انهم من العماليق وتزوج اسمعيل زوجته الشامية
وهي سامة بنت مهلهل بن سعد بن عوف بن هني بن نبت واستاذن
ابراهيم سارة في زيارة اسمعيل فاستحلفته عزم عليه انه اذا اتى الموضع
انه لا ينزل من مكانه وقد تنازع الناس على اي شيء كان فمنهم من راى انه كان
راكبا على البراق ومنهم من قال على الاتان وقيل غير ذلك الحيوان فلما اتى
ابراهيم الوادي سلم على زوجة اسمعيل الجرهمية فسلمت عليه وتلقته
بالبشر وجه وسالها عن خبر اسمعيل وهاجر فاخبرته بخبرهما وانهما
في رعيهما وعرضت عليه النزول فابى وقيل ان هاجر كان قد ماتت ولها
من السن تسعون سنة والحت الجرهمية على ابراهيم في النزول فابى فقدمت
اليه لبنا وشواء من لحم الصيد فدعا فيه بالبركة وجاءته بحجر كان
في البيت فدعا على ركابه وجعله تحت قدمه اليمنى فحلقت شعر
ودهنته ثم حولت الحجر الى شماله فوضع رجله اليسرى عليه ومالت راسه
نحوها وحلقته ودهنته واثرت قدماه في الحجر على ما وصفنا من جنب
اليمين والشمال فلما رات الجرهمية ذلك اكبرته وهذا الحجر مقام ابراهيم
فقال لها ابراهيم ارفعيه فسيكون له شان من الشان وبقاء بعد حين ۵
ثم قال لها اذا جاء اسمعيل فقولي له ان ابراهيم يقرا عليك السلام
ويقول لك احفظ بعتبة بيتك فنعم العتبة هي وسار ابراهيم راجعا
نحو الشام وقيل انما سمي اسمعيل لان الله سمع دعاء هاجر فرحمها حين
هربت من سيدتها سارة ام اسمعيل وقيل ان الله سمع دعاء ابراهيم ۵
وقبض اسمعيل وله ماية وسبع وثلثون سنة فدفن في المسجد
الحرام حيال الموضع الذي كان فيه الحجر الاسود وولد لاسمعيل اثنى عشر
ذكرا وهم نابت وقيدر واذبل ومبسم ومسمع ودوما ودوام
ومسا وحداد وتطور ونافس وكل هولاء قد انسل وقد كان ابراهيم
قدم الى مكة ولاسمعيل ثلثين سنة حين امر الله ببناء البيت فبناه
هو واسمعيل من احجار وغيره من الجبال ذكرت وجعل طوله بالابن ذراعا
والحجر فيه وهو سبعة ووضع الركن موضعه والصق المقام بالبيت
بعد نابت بن اسمعيل ۵ ثم قام بعده باسمه جرهم لغلبة جرهم على دار
اسمعيل وكان ملك جرهم الحرث بن مضاض وهو اول من ولي البيت
وكان ينزل هنالك بقعيقعان في ذلك الوقت وكان كل من دخل مكة من ملك
العماليق السميدع بن هوبر ينزل اجياد اسفل مكة فيعشر من دخل مالة

من ناحيته فكانت بينهم حرب فخرج الحرث بن مضاض ملك جرهم
بقعيقعان معه الرماح والدرق فسمي الموضع بقعيقعان لما ذكرنا
وخرج السميدع العماليقي ومعه الجياد والخيل فعرف الموضع بجياد
الى هذا الوقت فكانت على الجرهميين فافتضحوا فسمي الموضع
فاضح الى هذه الغاية ثم اصطلحوا ونحروا الجزر وطبخوا فسمي
الموضع مطابخ ٥ وصارت ولاية البيت الى العماليق ثم كانت
لجرهم عليهم فاقاموا ولاة البيت نحوا من ثلثمائة سنة وكان اخر
ملوكهم الحرث بن مضاض الاكبر وزاد في بناء البيت ورفعه
على ما كان عليه من بناء ابرهيم وبغت جرهم في الحرم وطغت حتى
فسق رجل منهم بامراة في البيت وكان الرجل يدعى اساف والمراة
تدعى نايلة فمسخهما الله حجرين صيرا بعد ذلك وثنين يعبدا يتقرب
بهما الى الله وقيل بل كانا حجرين نحتا ومثلا بمن ذكرنا وسميا باسمايهما
فبعث الله على جرهم الرعاف والنمل وغير ذلك من الآفات فهلك
كثير منهم وكثر ولد اسمعيل وصاروا ذوي قوة ومنعة
فغلبوا على اخوالهم وهم جرهم فاخرجوهم عن مكة فلحقوا ببلاد
جهينة فاتاهم في بعض الليالي السيل فذهب بهم وكان
الموضع يعرف باضم وقد ذكر ذلك امية بن ابي الصلت الثقفي في
شعر له يقول

وجرهم دمنوا تهامة في الدهر فسالت بجمعهم اضم

وفي ذلك يقول الجرهمي بن مضاض الاصغر الجرهمي

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا ... انيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا اهلها فابادنا ... صروف الليالي والجدود العواثر
وكنا لاسمعيل صهرا وجيرة ... ولما تدر فيها علينا الدوائر
وكنا ولاة البيت من بعد نابت ... نطوف بذاك البيت والخير ظاهر

وفي ذلك يقول عمرو بن الحرث ابنه

وكنا ولاة البيت والقاطنين الذي ... اليه يوفي نذره كل محرم
سكنا بها قبل الظباء وداره ... لنا لعرى قبائل جرهم

ثم صارت ولاية البيت في ولد اياد بن نزار بعد ٥ ثم كانت حروب
كثيرة بين مضر واياد وكانت لمضر على اياد فجلوا عن مكة الى العراق
وسنورد بعد هذه جملا من اخبار مكة وولد نزار وغيرهم ٥
قال المسعودي وقد اتينا على جمل من الاخبار في هذا الباب
من اخبار جرهم وغيرها ووجدت في وجه اخر من الروايات
ان اول من ملك من ملوك جرهم بن قحطان مائة سنة ثم ملك

بعده

بعده عمرو بن الحرث مائتي سنة ٥ ثم ملك بعده مضاض بن عمرو الاصغر
ابن الحرث بن عمرو بن مضاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن هني
بن نبت بن جرهم بن قحطان اربعين سنة ٥ وانقرضت العرب
العاربة من عاد وعبيل وثمود وجديس وطسم والعماليق وزيادوهم
ولم يبق من العرب الا من كان من عدنان وقحطان ودخل فيمن ذكرنا
من العرب البائدة في عدد قحطان وعدنان فانمحت انسابهم
وزالت آثارهم وقد كانت العماليق تسلطت على ملوك الارض فافنتها
وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا للروم وانسابهم
من الخلق ولد عملاق وغيرهم ممن ذكرنا بولد عيص بن اسحق بن ابرهيم وان
علماء العرب تنسبهم الى غير ذلك وهو الاشهر في الناس فقال بعض شعرائهم

مضى آل عملاق فلم يبق منهم ... حقير ولا ذو نخوة متشاوس
عتوا فاذال الدهر منهم وحدهم ... على الناس غدار يعد وابايس

واما طسم وجديس فتفانت في نحو من سبعين سنة في البراري لما كان
بينهما من الشحناء وطلب الرياسة فدثروا ولم يبق منهم باقية فضربت بهم
العرب المثل وعرفت فيهم الشعراء المقال واما الرس واصحابه فقد
قدمنا ذكرهم فيما سلف من كتابنا وهم قوم حنظلة بن صفوان العبسي
بعثه الله فكذبوه وقد قدمنا من خبرهم لمعا وقد قيل في اصحاب
الرس اوجه كثيرة غير ما ذكرنا في هذا الكتاب وقد ذكرت
هذه القبائل في التورية وكل يرجع الى سام بن نوح من بني ارم بن
سام بن نوح وهم ولد عوص بن ارم فولد عوص بن ارم عاد
ابن عوص بن ارم بن عاد بن عوص وولد عابر ثمود بن عابر
وجديس بن عابر وولد تحل عاد بن عوص بن ارم بن سام
ابن نوح وولده الاحقاف من بلاد حضرموت وحل ثمود بن
عابر بن ارم بن سام بن نوح وولده اكناف الحجاز وحل
جديس بن عابر بلاد جو وهو بلاد اليمامة ما بين البحرين والحجاز
وهذه البلد في هذا الوقت وهو سنة اثنين وثلثين وثلثمائة
بيد ولد الاخيضر العلوي وهو من ولد الحسن بن علي بن ابي
طالب عليهم السلام وهو مجاور البحرين ومن بها في هذا الوقت
وحل طسم بن لود بن سام بن نوح وولده اليمامة مع جديس
وحل عمليق بن لود بن نوح من الحجاز وقد ذكرنا ولد عيلام بن سام
بن نوح وحل نبيط بن ماش بن ارم بن نوح بابل فغلبوا على
العراق وهم النبط وهم ملوك بابل الذين قدمنا ذكرهم وهم
الملوك الذين عمروا الارض ومهدوها والبلاد وكانوا اشرف

ملوك الارض فازال ذلك منهم الدهر وسلبهم الملك والعز
فصاروا على ما هم عليه من الذل في هذا الوقت بالعراق وغيره
٥ وقد زعم جماعة من المسلمين منهم ضرار بن عمرو وثمامة بن اشرس
وعمرو بن عثمان الجاحظ ان النبط خير من العرب لان من جعل
النبي عليه السلام منه فلم تدع ابيرش في المدينة والحيرة
الا وقد قتلهم ولا نعمة الا اعطاهم ولا بلوى الا من لم يجعل
النبي اكرم خرج النبي عليه السلام عنه الا انعم مع هذا كله لم منهم
عند الله فضل ما بين النعمة والبلاء قال المسعودي
ولم يبال من قدمنا ذكرهم من تشريف النبط وتفضيلهم على ولد
قحطان وعدنان والفضل والشرف والجنود والملك فقال لهم
المحتج عن قحطان ونزار اذا كان النبط قد صاروا افضل
العرب لما امتحن به النبط من سلبه النبوة فيهم وانعم على العرب
بان يكون النبي منهم فللعرب ايضا التعلق بهذه العلة التي
اعتل بها النبط فيقول قد صرنا بعد افضل من النبط لما قد امتحنا
معاشر العرب من سلب ما جعل الله لهم بتعذيبهم من فضل النبط
من شدة امتحانهم بتعذيب الله اياهم من النبي ما ليس للنبط
فتصير العرب ايضا خيرا من النبط وهذا لا يصح لهم الا كما يصح
عليهم والكلام موجه عليهم فيما قالوه ومكافي لغتهم فيما
اوردوه من تفضيل النبط على العرب وقد ذكرنا تنازع
الناس في الانساب وتفضيلها والاعمال دون الانساب ومن قال العمل
والنسب ومن قال العمل دون النسب وما قالت الشعوبية وغيرها
في كتابنا في المقالات في اصول الديانات ٥ وقد ذكر ابو الحسن
احمد بن يحيى في كتابه على الشعوبية علل الاثرة وادخالات فذكر من
اختصه الله من عباده واصطفاه من خلقه ادلة على طريق
الثواب لا على طريق التفضيل قال فان زعم زاعم ان ذلك ليس
خرج من معقول كلام العرب ومفهوم خطابها لانه لا يقال
لمن اعطى الاجير اجرته ووفى العامل ثوابه قد اختص فلانا
بعطيته وانما يقال ذلك اذا تطول عليه بالعطية بغير عمل ومنعها
غيره بغير جرم ٥ وان زعموا انها تفضيل قلنا لهم فاذا جاز
ان يصرف الله رحمته الى بعض خلقه بغير عمل استحق به
فلا يجوز ان يشرفهم بانسابهم وان لم تأت الانساب من اعمالهم فان
قالوا ليس في العدل ان يشرفهم بغير اعمالهم قلنا لهم ارايتم
ان عارضكم معارض فزعم انه ليس من العدل الذي يمن عليهم برحمته

دون غيرهم بغير عمل كان منهم وبمعصية كانت من غيرهم اذ ايكون
الفضل معشر الشعوبية بينكم وبينه ٥ وقد اخبر الله عن اصطفاه
من خلقه فقال ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابرهيم وال عمران
على العالمين ذرية بعضها من بعض الاية ٥ والواجب على ذي
الحسب الشريف والمجد الرفيع ان لا يتكل دون سمو الخلائق في
في الاعمال الموافقة لنسبه والاتكال على اباه ولئن شرف نفسه ايضا
يحرص على شريف الاعمال والشريف بهذا اولى اذ كان الشرف
يدعو الى الشرف كما الحسن يدعو الى الحسن وان الممدوحين
انما يمدحون باعمالهم دون انسابهم وهذا كثير في اشعار الناس
وسنورد من كلامهم وقد قال الشاعر فيها يمدح عبد مناف وهو
امام ذوي الانساب ٥

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ٥ ورجال مكة مسنتون عجاف

فمدحه بفعله ولم يذكر نسبه ولئن كان شريفا رفيعا وانما ينبغي
لذوي الاحساب ان يكونوا كما قال احدهم وشريكهم في
النسب الشريف ٥

اني وان كنت ابن فارس عامر ٥ وفي السر منها والصريح المهذب
فما سودتني عامر عن وراثة ٥ ابى الله ان اسمو بام ولا اب
ولكنني احمي حماها واتقي ٥ اذاها وارمي من رماها بمقنب

وكما قال الاخر

لسنا وان كرمت اوائلنا ٥ يوما على الاحساب نتكل
نبني كما كانت اوائلنا ٥ تبني ونفعل مثل ما فعلوا

ولما خرج عمرو بن عامر وولده من مأرب
انخدع بنو ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر فنزلوا تهامة
فسموا خزاعة لانخزاعهم ولما ثارت الحرب بين اياد ومضر
ابني نزار وكانت على اياد فقلعت الحجر الاسود ودفنته في بعض
المواضع فرأت امرأة من خزاعة فاخبرت قومها فاشترطوا على
مضر انهم ان ردوا الحجر جعلوا الولاية فيهم فوفوا لهم بذلك
ووليت خزاعة امر البيت فكان اول من وليه منهم عمرو بن لحي
واسم لحي حارثة بن عامر فغير دين ابرهيم وبدله وبعث العرب
على عبادة التماثيل بخبر قد ذكرناه في هذا الكتاب وغيره حين
خرج الى الشام ورأى قوما يعبدون الاصنام فاقتطع منها
صنما فنصبه على الكعبة وقويت خزاعة وعم الناس ظلم عمرو
ابن لحي فحكى ذلك يقول رجل من جرهم كان على دين الحنيفية ٥

يا عمرو لا تظلم بمكة انها بلد حرام
سائل بعاد اين هم وكذاك يخترم الانام
وبني العماليق الذين لهم بها كان السوام

فلما اكثر عمرو بن لحي من نصب الاصنام حول الكعبة وغلب على العرب عبادتها وامحت الحنيفية الا لمعا منهم فقال شحنة ابن خلف الجرهمي

يا عمرو انك قد احدثت آلهة … شتى بمكة حول البيت انصابا
وكان للبيت رب واحد ابدا … فقد جعلت له في الناس اربابا
ليعرفن بان الله في مهل … سيصطفي دونكم للبيت حجابا

وعمر عمرو بن لحي ثلثمائة سنة وخمسا واربعين سنة فكانت ولاية البيت في خزاعة وفي مضر الا ثلث خصال الاجازة بالناس من عرفة والافاضة بالناس غداة النحر الى منى فانتهى ذلك منهم الى ابي سيارة فدفع ابو سيارة من مزدلفة الى منى اربعين سنة على حمار لا تعتل في ذلك حتى ادركه الاسلام فكانت العرب تتمثل به فتقول اصح من عير ابي سيارة يقول قائل منهم

نحن دفعنا عن ابي سياره … حتى افاض محرما حماره
مستقبل القبلة يدعو جاره

والنسي للشهر الحرام وكانت النساة من بني مالك بن كنانة فكان اولهم حذيفة بن عبد ثم ولده قلع بن حذيفة وورد الاسلام واخوهم ابو ثمامة وذلك ان العرب كانت اذا فرغت من الحج وارادت الصدر اجتمعت اليه فيقوم فيهم فيقول اللهم اني قد احللت احد الصفرين الصفر الاول ونسأت الآخر للعام المقبل فظهر الاسلام وقد عادت الشهور الحرم الذي بدئت على حسب ما كانت عليه من اصلها وفي ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وما ذكره عليه السلام في هذا الحديث الى اخره وقد اخبر الله عز وجل عنهم بذلك بقوله انما النسيء زيادة في الكفر الآية وقد افتخر بذلك عمير بن قيس الفزاري فقال في كلمة له

السنا الناسئين على معد … شهور الحل نجعلها حراما

وقد كان قصي بن كلاب بن مرة تزوج ابنة حليل وهذا اخر من ولي البيت من خزاعة وقد كان عمرو بن لحي حين عمر السنين

ما ذكرنا

ما ذكرنا مات ولده وولد الولد وولد الولد الثالث فلما حضر حليل الوفاة وهو آخر من ولي البيت من خزاعة على ما ذكرنا وجعل ولاية البيت الى ابنته زوجة قصي بن كلاب فقالت انا لا اقدر على فتح الباب وغلقه فجعل ولاية البيت اليها وفتح الباب وغلقه الى رجل من خزاعة يعرف بابي غبشان سليمان بن عمرو فرأى قصي بن كلاب انه اولى بولاية البيت من خزاعة اذ كانت نسلا له ولد اسمعيل وابتاع ولاية البيت من ابي غبشان الخزاعي ببعير وزق خمر فارسلت العرب ذلك مثلا فقالت اخسر من صفقة ابي غبشان في بيعه ولاية البيت ببعير وزق خمر ونقله ذلك عن قومه من خزاعة الى قصي بن كلاب قال الشاعر

ابو غبشان اظلم من قصي … واظلم من بني فهر خزاعه
فلا تلحوا قصيا في شراه … ولوموا شيخكم اذ كان باعه

وقال آخر

اذا افتخرت خزاعة في قديم … وجدنا فخرها شرب الخمور
وبيعت كعبة الرحمن جهرا … بزق بئس مفتخر الفخور

وقد كانت ولاية البيت في خزاعة ثلثماية سنة واستقام الامر لقصي وعشر على من دخل مكة من غير قريش وبنا الكعبة ورتب قريش على منازلها في النسب بمكة وبين الاباطح من قريش وهم الاباطح وجعل الظاهر ظاهرا فقريش البطاح هي قبائل بني عبد مناف وبني عبد الدار وبني عبد العزى ابن قصي وزهرة ومخزوم وتيم ومرة وجمح وسهم وعدي وهم لعقة الدم وبنو حسل بن عامر بن لوي وقريش الظاهر بنو محارب والحرث بني فهر وبنو الادرم بن غالب بن فهر وبني معيص بن عامر بن لوي وفي ذلك يقول ذكوان عبد الدار مولى الضحاك بن قيس الفهري

تطاولت للضحاك حتى رددته … الى حسب في قومه متقاصر
فلو شاهدتني من قريش عصابة … قريش البطاح لا قريش الظواهر
ولكنهم غابوا واصبحت شاهدا … فقبحت من حامي ذمار وناصر

والاحلاف من قريش بنو عبد الدار بن قصي وسهم وجمح وعدي ومخزوم والمطيبون بنو عبد مناف وبنو اسد بن عبد العزى وزهرة وتيم وبنو الحرث بن لوي وفي ذلك يقول عمر بن ابي ربيعة المخزومي في امرأة

ولها في المطيبين جدود … ثم نالت ذوائب الاحلاف
انها بين عامر بن لوي … حين تدعا وبين عبد مناف

والخذت قريش الايلاف من الملوك وتفسير ذلك الامن وتعرشت
والتقريش الجمع وفيه قول ابي خالد اليشكري

اخوة قرشوا الذنوب علينا ۝ في حديث من دهرنا وقديم

والتحذت قريش عند اخذها الايلاف من الشام من الملوك الى الشام
والى الحبشة

يا ايها الرجل المحول رحله ۝ هلا نزلت بال عبد مناف
الاخذين العهد من افاقها ۝ والراحلين برحلة الايلاف

ولقريش اخبار كثيرة وكرهم وخزاعة وغيرها من معد قد اتينا
على جميع اخبارها فيما سلف وسنورده في كتبنا وانما نذكر في
هذا الكتاب لمعاتبة بها على ما سلف وسنورد بعد ذكرنا
تفرق الناس من بابل جملا من اخبار تلك وعبد المطلب والحبشة
وغير ذلك مما لحق بهذا الباب ان شاء الله ولا قوة الا بالله العلي العظيم

ذكر جوامع من الاخبار في وصف الارض والبلدان وحنين
النفوس الى الاوطان

ذكر ذو الدراية ان عمر بن
الخطاب رضي الله عنه حين فتح الله البلاد على المسلمين من العراق
والشام ومصر وغير ذلك من الارض كتب الى بعض حكماء ذلك
العصر انا اناس عرب وقد فتح الله علينا البلاد ونريد ان نتبوا
الارض ونسكن الامصار فصف لنا المدن واهويتها ومساكنها
وما يوثره الترب والاهوية في سكانها فكتب اليه ذلك الحكيم
اعلم يا امير المومنين ان الله تعالى قسم الارض اقساما شرقا
وغربا وجنوبا وشمالا فما تناهى في المشارق ودخل في المطلع
السائح منه التوى فهو محرق لاحراقه واحراقه ونارية وحار
واحراقه من حرارته وما يحمى مغيرا بالفرسكانه ايضا ما دخل
في المشارق وهذا ما تناهى في الشمال افرط برده وقره
وتلوجد الاجسام واوهنها الاسقام وما اتصل بالجنوب
بالمهافة احراو سار به وما اتصل بين الخطين ولذلك صار
المسلمون جزءا يسيرا لناسب الاعتدال واخذ بخطوط القسمة
وهما وصف لك يا امير المومنين القطع المسلونة من الارض
اما الشام بحر ركام ريح غمام وعدق ريام رطب
الاجسام وسلد الاحلام ونصفي الالوان لاسيما ارض
حمص وانها تحسن الجسم وتصفي لونه وسلد الفهم وينزع
عوره ويحي الطبع ويذهب بما الوجه وينصب العقول
والشام يا امير المومنين وان كان على ما وصفنا فمشرح خصيب

ودابل

ودابل سلسبيل كثرت اشجاره واضطربت انهاره وغمرت عشاره وبه
انزل الانبياء والقدس والمجد وفيه خلق الله من الصالحين والمتعبدين
وجباله مساكن المجتهدين واما ارض مصر فارض قوراء غوراء
ديار الفراعنة ومنازل الجبابرة تحصل بنيلها وذمها اكثر من
حمدها هواها راكد وحرها زائد وشرها نابد تكدر
الالوان وتخبث الفطن وركن الحزن ومعدن الذهب
والجوهر والزمرد والاموال ومغارس الغلات والاكحال غير انها
تسهل الاجسام وتسود الابشار وتنمو فيها الاعمار في اهلها
مكر ورياء وخبث ودهاء وخديعة الا انها بلد مكسب ليس بلد
سهل وانصال سرورها واما اليمن فتضعف الاجسام
وتذبل الافهام وتذهب بالرطوبة في اهلها همم كبار واهم
احساب ولهم واخطار ومعاقلها حصينة واطرافه
حديثة في هوائه انقلاب ولسكانه اعتدال وليس قطع من
الحنين وشعبه من الرقة وقوم من الفصاحة واما الحجاز
فحاجز بين الشام والمغرب والتهائم هواؤه حرور وليله يحمو
يحف الاجسام ويخيف الادمغة ويشجع القلوب ويسقط
الهمم وتبعث على الاحن وتذهب بالرحمة وتكسب الشجاعة ويشع
الفراعة في اهله غدر ولهم خبث ومكر وديارهم مختلفة
وهممهم غير موثقة ولديارهم في اخر الزمان نبأ عظيم وخطب
جسيم من خطب امرهم واحوال تشتهر فاما العراق فنار
المشرق وسرة الارض وقلبها اليه تطارد المياه وبه
اتصلت النضارة وعنده وقف الاعتدال فصفت امزجة
اهله ولطفت اذهانهم واحتدت خواطرهم واتصلت سرائر
فطنهم فنتجت الدهاء وقويت عقولهم وثبتت بصائرهم وقلب
الارض العراق وهو مفتاح المشرق ومسلك النور ولاهله
اعدل الالوان وانقى الروائح وافضل الامزجة وفيه جوامع
الفضائل وقواعد المحاسن دفعنا الله بتبرمها لصفاء جوها
وطيب منتسمه واعتدال تربته واعتدال المياه اليه
واما الجبال فتخشن الاجسام وتغلظها وتبلد الافهام وتقطعها
وتفسد الاخلاق وعيت اذهانهم لما هجم عليهم من غلظ التربة ومائه
الهواء ويكابد والخلاف به وسوء مصرفاته فتوارثه فتوافقه
وكل بلد اعتدل هواؤه وخف ماؤه ولطف غذاؤه كانت
صور اهله واخلاقهم تناسب ما عليه اربابه ولما اسس بنيانها

واما ارض خراسان فتكثر الهوام وتعظم الاجسام وتلطف الاحلام
ولاهلها عقول وهمم طامحة وفيهم غوص وتفكر وراي
وتقدير ۵ واما بلاد فارس فخصبة الهوا مراكبة الماء
بالاشجار كثيرة الثمار وفي اهلها شح ولهم حب لعوامهم
شديد وهمتهم ايسر وفيهم مكر وخداع ۵ واما بلاد
خوزستان وهي كور الاهواز فتفسد الاحلام وتبلد
الافهام وتخبث الهمم وتستاصل الكرم سياق اهلها سوق
الانعام واطبع الطعام واما ارض الجزيرة فتناسب البر
والهوا اللطيف وفيها خصب وسعة وفي اهلها فهم وعلم
باس وراس والبر يا امير المومنين افضل قطع الارض
واسناها واشرفها واعلاها لانحراف الجناد والتمام بحسن تربة
الهوا والانداء عن سكانها ودفعه الافات عن قطانها وسماحة
الهوا وتهذيب الماء وصحة النسيم وارتفاع الاكدار وذهاب
الاضرار ولعلم يا امير المومنين ان الله قسم الارض اقساما فضل
بعضها على بعض وافضل اقسامها العراق وهو سيد
الافاق وقد سكنته اجيال وامم ذوو جمال ۵ واما الهند والصين
وارض الروم فالاحتجاج في وصفها لاتساعها مائية والبلاد ن
كثيرة طاعته وفي الذي ذكرت لك ان استجيبك الحاسوب الى
علمه ونكته وصفته في ماله البلدان فتحو الاعم من امور الدنيا
اهلها والاغلب من احوالهم فان وجدتها تجدك وفي ذلك تنهى في
البناء يا امير المومنين والحكم في ذلك الاغلب قال المسعودي
وذكر جماعة من اهل العلم بالاخبار ان عمر بن الخطاب لما اراد
الشخوص الى العراق وجاه بلغه ما عليه الاعاجم من الجمع فسال
كعب الاحبار عن العراق فقال يا امير المومنين لما خلق الله الاشياء
قال العقل اني لاحق بالعراق فقال العلم وانا معك فقال المال
اني لاحق بالشام قالت الفتن وانا معك قال الخصب اني لاحق
بمصر قال الذل وانا معك قال المسعودي واوسط الاقاليم مل
الاقليم الذي مولدنا به وان كانت الايام بيننا وبينه وساحت
مسافتنا عنه وولدت في قلوبنا الحنين اليه اذ كان وطننا ومسقط
وهو اقليم بابل وقد كان هذا الاقليم عند ملوك الفرس جليلا وقدره
عظيما وكانت عنايتها اليه مصروفة وكانوا يشتون بالعراق واكثرهم يصيف
بالجبال وينتقلون في الفصول وقد كان اهل المروة في الاسلام
مثل ابي دلف القسم بن عيسى العجلي وغيره يشتون في الحروم ويو

العراق

العراق ويصيفون في الصرود وهي الجبال ولذلك يقول ابو دلف
واني امرؤ كسروي الفعال ۶ اصيف الجبال واشتو العراقا ۶
والمخصوص به هذا الاقليم من كثرة مواقعه واعتدال ارضه وغضارة
عيشه ومادة الرافدين اليه وهما دجلة والفرات وعموم الامن
فيه وبعد الاشراد عنه وتوسطه الارض واقليم الشمس المتوسط
الاقاليم السبعة وقد كانت الاوايل تشبهه من العالم بالقلب من الجسد
لان ارضه من اقليم بابل التي تشعبت الاراء لاهله بحكمة الامور كما
يرتفع ذلك عن القلب ولذلك اعتدلت الوان اهله واقتدرت اجسامهم
فسلموا من شقرة الروم والصقالبة وسواد الحبشة وغلظ البربر وغير
جفاء الامم فاجتمعت فيهم محاسن جميع الاقطار وكما اعتدلوا في
الخلقة كذلك لطفوا في الحكمة والتميز بمحاسن الامور واشرف
هذا الاقليم مدينة السلام ويعز علي ما اضطرتني اليه الاقدار من
فراق هذا المصر الذي عن بقعته فصلنا وفي قاعه نجمنا لكنه الزمن
الذي من شيمته الشتت والدهر الذي من شرطه الافاته وقد ذكرت
العلماء فيما اليه ذهبنا من هذا المعنى ان من علامة وفاء المرء ودوام
عهده حنينه الى اخوانه وشوقه الى اوطانه وبكاه على ما مضى من زمانه ۵
وان من علامة الرشد ان تكون النفس الى بلدها مشتاقة والى
مسقط راسها تواقة والالف والعادة قطع الرجل نفسه لصلة وطنه
وقال ابن الزبير ليس الناس بشي من اقسامهم اقنع منهم باوطانهم ۵
وقال بعض الحكماء من العرب عمر الله البلدان بحب الاوطان وقالت
الهند حرمة بلدك عليك مثل حرمة ابويك لان غذاك منهما وغذاهما
منه ۵ وقال اخر ميلك الى موضع مولدك من كرم محتدك ۵
وكان بقراط يداوي كل عليل بعقاقير ارضه فان الطبيعة
من نفع ادويتها ۵ وقال جالينوس يتروح العليل بنسيم ارضه
كما تنبت الحبة ببل القطر ۵ وللنفوس في علة حنينها الى الاوطان
كلام ليس هذا موضعه وقد ذكرنا في كتابنا المترجم بكتاب الحياه
وفي كتاب طب النفوس ولولا تقييد العلماء خواطرهم اوايل العلم
وضاع لغر اذ كان كل علم من الاخبار يستنبط والفقه يستثار
والفصاحة منها تستفاد واصحاب القياس عليها يبنون واهل
المقالات بها يحتجون ومعرفة الناس منها توخذ وامثال الحكماء فيها توجد
ومكارم الاخلاق ومعاليها منها تقتبس وادب سياسة الملك والحرب
فيها تلتمس وكل غريب منها تعرف وكل اعجوبة منها تستطرف وهي
علم يستمتع بسماعه العالم والجاهل ويستعذب موقعه الحمق والعاقل

وقال آخر ... بالموضع بعاده وقطعه اعدابه

سرح

لبطل علم

ويأتي بمكانه ويبرع اليد الخاصي والعامي ويعمل المجد وابن العربي
والأعجمي ويبعد وفاته يوصل بشرط كلام ويتزين به في كل مقام ويتجمل
به في كل مشهد ويحتاج اليه في كل محفل فتفضيله علم الاخبار
مقصود في كل فهم ولا يصير على علمه وتنفذ ما فيه وايراده واصداره
الا انسان قد تجرد للعلم وفهم معناه وذاق ثمرته واستشعر
عزه ونال من سروره ۵ وقد قالت الحكماء ان الكتاب نعم
الجليس والقعيد ان شئت الهتك نوادره واضحكتك علاله
وان شئت اشجتك مواعظه وان شئت تعجبت من غرائب فوائده وان
تجمع لك الاول والآخر والناقص والوافر والشاهد والغائب
والبادي والحاضر والشكل وخلافه والجنس وضده وهو
ميت ينطق عن الموتى ويترجم على الاحياء وهو مونس
ينشط بنشاطك وينام لنومك ولا ينطق الا بما تهوى ۵
ولا نعلم جارا ابر ولا خليطا انصف ولا رفيقا اطوع
ولا معلما اجمع ولا صاحبا اظهر كفاية ولا اقل خيانة ولا ابدا
تبغا ولا احمد اخلاقا ولا اقل خلافا ولا ادوم سرورا
ولا اسلم غيبة ولا احسن ولا اعجل مكافاة ولا اخف
مؤونة ان نظرت فيه اطال امتاعك وشحذ طباعك وابد
فهمك واقر علمك يعرفك منه في شهر ما لا تاخذه من افواه
الرجال في دهر ويغنيك عن كد الطلب والخضوع لمن
انت منه اصلا او اشح منه فرعا وهو المعلم الذي ان جفوته
وان قطعت عنه المادة لم يقطع عنك الفايدة وهو الذي
يطيعك بالليل كطاعته لك بالنهار ويطيعك في السفر
كطاعته في الحضر وقد قال الله تعالى اقرأ وربك الاكرم
الذي علم بالقلم الآية فوصف عن نفسه انه علم بالقلم كما ه
عن نفسه بالكرم وقد كان عبد الله بن عبد العزيز بن عمر بن الخطاب عبد الله بن
رضي الله عنهم لا يجالس الناس ويلزم مقبرة وكان لا يرى الا وفي
يده كتاب يقرأه فسئل عن ذلك فقال لم ار واعظا اوعظ
من قبر ولا ممتعا امتع من كتاب ولا شيء اسلم من الوحدة فقيل
له فقد جاء في الوحدة ما جاء فقال افسدها للجاهل وقد
قال بعض الشعراء فيمن يجمع الكتب ولا يعلم ما فيها ۵

زوامل للاسفار لا علم عندهم ، بجيدها الا كعلم الاباعر
لعمرك ما يدري البعير اذا غدا ، باوساقه او راح ما في الغرائر

ذكر

130

ذكر تنازع الناس في المعنى الذي من اجله سمي اليمن يمنا والعراق عراقا والشام شاما والحجاز حجازا

تنازع الناس
في اليمن وتسميته يمنا فمنهم من زعم انه انما سمي يمنا لانه عن يمين
الكعبة وسمي الحجاز حجازا لانه حاجز بين اليمن والشام وهو مثل الحجر
الله تعالى عن القدر الذي بين بحر القلزم وبحر الروم بقوله
تعالى وجعل بين البحرين حاجزا ۵ وانما سمي العراق عراقا
لمصب المياه اليه كالدجلة والفرات وغيرهما من الانهار وانه
ماخوذ من عراق الدلو وعراق القربة ۵ ومنهم من زعم انه انما
سمي اليمن يمنا باليمن والشام شاما لشومه وهذا قول يعزى
الى قطرب النحوي في احرف من الناس ۵ ومنهم من راى انه انما
سمي يمنا لان الناس لما تفرقت لغاتهم ببابل يامن بعضهم عن
الشمس وهو التيمن وبعضهم تشام فسميت بهذا الاسم
وسنذكر تفرق هؤلاء القبائل من ارض بابل بعد هذا الموضع
وبعض ما قالوا في ذلك من الشعر عند مسيرهم في الارض واختيارهم رهم
البقاع وقيل انما سمي الشام شاما لشامات في ارضه بيض وسود د
وذلك في الترب والبقاع وانواع النبات والاشجار وهذا
قول الكلبي وقال الشرقي بن القطامي انما سمي الشام شاما بسام
ابن نوح لانه اول من نزله وفطن فيه فلما فطنته العرب تطيرت
من ان تقول سام وقيل ان من سكنها من خلفاء بني اسرائيل
دعموها بهذا الاسم والخاصر لمن زارها وقد ذكرنا في اسماء
هذه البقاع والامصار وجوامع ما ذكرنا قد اتينا على ذلك
فيما سلف من كتبنا وبالله التوفيق ۵

ذكر اليمن واخبارها وانسابها وما قاله الناس في ذلك

قال المسعودي اختلف الناس في انساب قحطان فحكى
هشام بن الكلبي عن ابيه والشرقي بن القطامي انهما كانا يذهبان
الى قحطان بن الهميسع وهو ابن نبت بن اسمعيل بن ابرهيم الخليل
ويحتجون لذلك بوجوه من الاخبار منها ما روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم وهو ما رواه هشام عن ابيه عن ابن عباس
ورواه الهيثم عن ابن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ان النبي
صلى الله عليه وسلم مر على فتية يتناضلون فقال ارموا
يا بني اسمعيل فان اباكم كان راميا ارموا وانا مع ابن الادرع
رجل من خزاعة فالقى القوم نبالهم فقالوا يا رسول الله من كنت معه
فقد نضل فقال ارموا وانا معكم جميعا قال المسعودي

وسائر ولد قحطان بن حمير وكهلان تابى هذا القول وتنكره
وتذهب طائفة منهم في انسابها وما اتضح عن حسابها
ان قحطان هو يعرب واغاوب فقيل له قحطان وحكى
ابن الكلبي ان اسمه يقطن في التوراة لخبار بن عابر بن شالح
ابن ارفخشد بن نوح والواضح من انساب اليمن في تدين
بني كهلان وحمير ابنا قحطان الى هذا الوقت قولا وعملا يتقلده
الباقي عن الماضي والصغير عن الكبير والذي وجدت عليه
التواريخ القديمة للعرب وغيرها من الامم وعليه وجدت الاكثر
من شيوخ ولد قحطان بن حمير وكهلان بارض اليمن والتهائم
والنجاد وبلاد حضرموت والشحر والاحقاف وبلاد عمان
وغيرها من الامصار ان الصحيح في نسب قحطان بن عابر بن شالح
ابن سام وهو قينان بن ارفخشد بن سام بن نوح وكان لعابر
ثلاثة اولاد فالع بن قحطان وملكان والخضر عليه السلام من ولد
ملكان في قول كثير من الناس وولد لقحطان احد وثلاثون
ولدا ذكورا وامهم حوينب بنت دوف بن فارة بن منقذ بن سويد
ابن عوص بن ارم بن سام بن نوح وولد لقحطان يعرب بن قحطان
وولد ليعرب يشجب بن يعرب وولد يشجب رجلين احدهما
عبد شمس وهو سبا بن يشجب وانما سمي سبا لسبيه
السبايا فولد سبا حمير بن سبا وكهلان بن سبا
فالعقب الباقي من ولد هذين وهما حمير وكهلان فهذا
المتفق عليه من اهل الخبرة منها وكان الهيثم بن عدي الطائي
يذكر ايضا ان قحطان من ولد اسمعيل وانما تكلم اسمعيل بالعربية
بلغة جرهم لانه كان سريانيا اللسان على لغة ابيه ابراهيم الخليل
اسكنه هو وامه هاجر بمكة على ما ذكرنا فصاهر جرهم ونشا على
لغتها والعرب بكلامها ووقفا على مراده خطابها وزاد بانه
ان تكلم اسمعيل نشا على لغة جرهم ويقولون ان اسمعيل نشا ونطق
اسمعيل هذه اللغة وكذلك ان ابراهيم خلفه هو وامه هاجر
واسمعيل ابن ست عشرة سنة وقيل ابن اربعة عشر سنة بواد
غير ذي زرع ولا انيس فحفظهما الله واوسع لهما زمزم وعلم اسمعيل
هذه اللغة العربية لولا لغة جرهم غير هذه اللغة ووجودنا لغة ولد
قحطان بخلاف لغة نزار بن معد يقتضي بابطال قول من قال ان
اسمعيل العرب بلغة جرهم ولجاز ان يكون اسمعيل انما كان عربي اللسان
لاجل جرهم ونسبه فيهم اوجب ان يكون فيها موافقة للغة جرهم

او لغيرها

او لغيرها ممن ترك كلامه وقد وجدنا قحطان سريانيا اللسان وولده
يعرف بخلاف لغته وليست منزلته تقرب عند الله عز وجل العلي من
منزلة اسمعيل ولا منزلة قحطان اعلى من منزلة ابراهيم خليل الرحمن فيمنع
اسمعيل فضيلة اللسان العربي الذي اعطاه يعرب بن قحطان
ولولد قحطان ولو ذكرنا خطب طويل ومناظرات نزارهم لاتى
عليها كتابنا هذا بجملة من التنازع والتفاخر والانبياء والملوك
وغيرها مما قد اتينا على جمل من ذكر حججهم وما ادلى به كل فريق منهم
ممن سلف وخلف وكذلك مناظرات السودان والبيضان
والعرب والعجم ومنازعات الشعوبية في كتابنا في اخبار الامم
وزعم الهيثم بن عدي ان عامر بن شالح يقطن هو قحطان وبان
الهيثم قول النبي صلى الله عليه وسلم للانصار يا بني ارموا
يا بني اسمعيل عليه السلام نسبهم الى اسمعيل من جهة الامهات
وبانا لمن من الاولاد من ولد اسمعيل لانه عليه السلام لا يزيل
نسبا قد ثبت وينسب قوما الى غير ابائهم وقد فعلوا ذلك قولا
وعملا وقد روي صلى الله عليه وسلم ان سائلا ساله عن سبا
كان رجلا او امراة او واديا او جبلا فقال رجل ولد له عشرة
فتشام اربعة وتيمن ستة فالذين تشاموا لخم وجذام
وعاملة وغسان والذين تيمنوا حمير والازد ومذحج وكندة
والاشعريون وانمار والذين هم بجيلة وخثعم وقال ابو
المنذر هو انمار بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان
ابن سبا قال المسعودي وقد تنوزع في نسب انمار فقال بعضهم
الاكثر الى ان انمار واياد وربيعة ومضر وبني نزار بن معد بن
عدنان وانما دخلوا الى اليمن فاضيفوا اليهم وما ذكرنا عن النبي
صلى الله عليه وسلم وما يتامن ومن يشام فمن اختار الاحاد
وليس بحجة مجي استفاضة التي يقطع بها العذر وتثبت
بها الحجة وللناس في هؤلاء كلام كثير ٥ وقد ذكرنا عن هشام
عن ابيه الكلبي قال كان يقال لسائر ولد سبا السابئون فلم تكن
لهم قبائل تجمعهم دون سبا وستذكر فيما بعد من هذا الكتاب
خبر عمرو بن عامر مزيقيا وخبر طريفة الكاهنة وخبر عمران
الكاهن اخي عمرو بن عامر واخبار العرم والسيل وما كان من
تفرقهم في امر السد وسيل العرم وتفرق القبائل في ما دب
ومن لحق بعمان والشحر والشام وغير ذلك من بقاع الارض

ذكر اليمن وتعداد سنيها

قال المسعودي اول من قعد من ملوك اليمن ملك سبا بن
يشجب بن يعرب بن قحطان واسمه عبد شمس وقد اخبرنا
فيما سلف من هذا الكتاب وغيره من كتبنا لاي علة سمي سبا
على ما قيل على ما قيل والله اعلم فكان ملكه اربعمائة واربعة وثمانين
سنة ثم ملك بعده حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب وكان اشجع
الناس في وقته وافرسهم واكثرهم جمالا فكان ملكه خمسين سنة
وكان يعرف بالعرنج وكان اول من وضع على راسه التاج من
الذهب من ملوك اليمن ه ثم ملك بعده اخوه كهلان بن سبا فطال
عمره وكبرت سنه واستقامت له الامور فكان ملكه ثلثمائة سنة
وقيل اقل من ذلك ثم عاد الملك بعد هلاك كهلان الى ولد حمير
لاخبار ذكرها وتنازع في الملك من ولد كهلان وحمير فملك ابو مالك
بن سبا واتصل ملكه وعم الناس عدله وشملهم احسانه فكان
ملكه ثلثمائة سنة وقيل ان اول من ملك بعد كهلان الرايش
وهو الحرث بن شداد ه ثم ملك حماد بن زيد بن كهلان وكان
ملكه عشرين ومائة سنة ه ثم ملك بعده الحرث بن مالك بن
افريقيس بن صيفي بن يشجب بن سبا وكان ملكه مائة سنة ونحو
اربعين سنة وقيل ان هذا الملك هو ابرهة بن الرايش المعروف
بذي المنار ه ثم ملك بعده الرايش بن شداد وهو ذو المنار
فكان ملكه مائة وثمانين سنة ه ثم ملك بعده افريقيس بن
ابرهة وكان ملكه مائة واربعة وستين سنة ه ثم ملك بعده
اخوه العبد بن ابرهة وهو ذو الاذعار فكان ملكه خمسا
وعشرين سنة ه ثم ملك بعده الهدهاد بن شرحبيل بن عمرو
ابن الرايش وقد تنوزع في مقدار ملكه فمنهم من راى انه عاش
عشر سنين ومنهم من ذكر غير ذلك ومنهم من قال سنة ه ثم ملك
تبع الاول اربعمائة سنة وقد ذكر كثير من الناس ان بلقيس قتلته
وقيل غير ذلك والاشهر ما قدمنا ذكره ه ثم ملكت بعده بلقيس
بنت الهدهاد وكان لقومها خبر ظريف ذكرته الرواة فيما تقصد
لابيها في بعض قنصه حيتين بيضا وسودا وان قتل السودا
ثم ما ظهر له بعد ذلك من شخص بان من الجن وكراء التزويج
زوجه بابنته واشتراط الهدهاد شروطها فعلقت منه بلقيس
وبعض تلك الشروط الماخوذة عليه لها فعاتب عنه في خبر
ظريف هو موجود في كتاب اخبار التبابعة وانما نحكي هذه
الاخبار على حسب ما وجدناها في كتب الاخبار وعلى حسب ما توجبه

الشريعة

الشريعة والتسليم لها وليس ما وصفنا في ذلك اقاويل اصحاب القدم
الذين يمنعون هذا وينكرونه وانما نحكي في هذا الباب اقاويل
اصحاب الحديث والمنقادين للشرع والمسلمين للحق واخبار
الشياطين على حسب ما نطق به الكتاب المنزل على النبي المرسل
وما قارن ذلك من الدلايل الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم
واعجاز المخلوقين ان ياتوا بمثل هذا القرآن الذي لا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه وكان ملك بلقيس عشرين ومائة سنة ه وكان
امرها مع سليمان ما ذكره الله في كتابه من خبر الهدهد وما احضر
من امرها فملك سليمان اليمن ثلثا وعشرين سنة ه ثم ملك بعده ياسر
ابن افريقيس بن ابرهة فكان ملكه ثلثا وخمسين سنة ه ثم ملك بعده
تبع الاقرن بن ياسر فكان ملكه ثلثمائة وعشرين سنة وسار بقومه
نحو المشرق من بلاد خراسان والتبت والصين وسجستان ه ثم ملك
بعده حسان بن تبع فاستقام له الامر ثم وقع بعد ذلك في
ملكه تنازع وخلاف فكان ملكه الى ان قتل خمسا وعشرين سنة
ه ثم ملك بعده عمرو بن تبع وهو القاتل اخيه حسان اليماني
فكان ملكه اربعا وستين سنة وقيل انه عدم النوم لما كان
من فعاله في قتل اخيه ه ثم ملك بعده تبع بن حسان ابو كرب
وهو الملك السائر من اليمن الى يثرب فكانت له مع الاوس والخزرج
حروب كثيرة واراد هدم الكعبة لما كان من احبار اليهود وكان
الغضب اليماني وسار نحو اليمن ه وقد تهود وغلب على اليمن اليهودية
ورجعوا عن عبادة الاصنام فكان ملكه نحو مائة سنة ه ثم ملك
عمرو بن تبع بعد تفرق وتنازع كان بينهم في المملكة ثم خلع عن
الملك وملكوا عليهم مرثد بن عبد كلال وكان في اليمن تنازع وتحازب
وحروب فكان ملكه اربعين سنة ه ثم ملك بعده وليعة بن مرثد
فكان ملكه تسعا وثلثين سنة ه ثم ملك بعده ابرهة بن الصباح بن
وليعة بن مرثد وهو الذي كان يدعى شيبة الحمد فكان ملكه ثلثا
وسبعين سنة وقيل اقل من ذلك وكان عالما من ولد سائر ملوك
ثم ملك بعده عمرو بن ذي قيفان فكان ملكه تسع عشرة سنة ه ثم ملك
بعده لخنيعة ذو شناتر ولم يكن من اهل بيت الملك فغرى
بالاحداث من ابناء الملوك وطالبهم بما يطالب به النسوان وظهر
الفسق باليمن واللواط وعمل مع ذلك في الرعية وانصف المظلوم
فكان ملكه ثلثين سنة وقيل تسعا وعشرين سنة وقتله يوسف
ذو نواس وكان من ابناء الملوك خوفا على نفسه منه لئلا يفسق به ه ثم ملك

ثم ملك بعده يوسف ذو نواس بن زرعة بن تبع الاصغر بن حسان
ابن تبع بن كرب وقد ذكرنا خبره في غير هذا الموضع من كتبنا
وما كان من امره مع اصحاب الاخدود والنار ذات الوقود وتحريقه
اياهم بالنار وهم الذين اخبر الله عنهم في كتابه فقال قتل
اصحاب الاخدود والنار ذات الوقود وذلك عبرت الحبشة
من بلاد ناصع والزيلع وهو ساحل الحبشة على ما ذكرنا الى بلاد
او الافقه من ساحل زبيد من ارض اليمن فغرق يوسف ذو نواس
نفسه بعد حروب طويلة خوفا من العار وكان ملكه مايتين سنة
وستين سنة وقيل اقل من ذلك بكثير وذلك ان النجاشي ملك الحبشة
لما بلغه فعل ذو نواس باتباع المسيح وما يعذبهم به من انواع العذاب لب
والتحريق بالنيران غزا الحبشة اليمن وعليهم ارياط بن اصحم فملك
اليمن عشرين سنة ثم وثب عليه ابرهة الاشرم ابو يكسوم فقتله
وملك اليمن فلما بلغ ذلك من فعله النجاشي غضب وحلف بالمسيح
لن ياخذ ناصيته ويريق دمه ويطا تربته يعني ارض اليمن
فبلغ ذلك ابرهة فجز ناصيته وجعلها في حق من عاج وفصد
دمه في قارورة وجعل من تربة اليمن في جراب وانفذ ذلك الى
النجاشي ملك الحبشة وضم الى ذلك هدايا كثيرة والطافا وكتب
اليه يعترف له بالعبودية ويحلف له بدين النصرانية انه في طاعته
وانه بلغه ان الملك حلف بالمسيح لن يجز ناصيته ويريق دمه
ويطا ارضي وقد انفذت الى الملك بناصيتي ليجزها بيده ودمي
في قارورة فليرقه وبجراب من تربة بلادي فليطاها بقدمه وليطف
عني الملك غضبه فلقد ابرت يمينه وهو على سرير ملكه فلما
وصل ذلك الى النجاشي استصاب رايه واستحسن عقله وصفح
عنه وكان ذلك في ملكه فاد ملك فارس وابرهة ابو يكسوم هو الذي
صار باصحاب الفيل الى مكة لاخراب الكعبة وذلك لاربعين سنة خلت
من ملك انوشروان فعدل الى الطايف فبعث معه ثقيف بابي رغال ليدله
على الطريق السهلي الى مكة فهلك ابو رغال بالطريق في موضع يقال له المغمس
بين الطايف ومكة فرجم قبره بعد ذلك العرب تمثل بذلك وفيه
يقول جرير الخطفي للفرزدق

اذا مات الفرزدق فارجموه ... كما ترجمون قبر ابي رغال

قال المسعودي وقد قيل ان ابا رغال وجهه صالح النبي على
صدقات الاموال فخالف امره واساء السيرة فوثب عليه ثقيف وهو
قسي بن منبه فقتله قتلة شنيعة لسوء سيرته في اهل الحرم فقال

غيلان

غيلان بن سلمة يذكر نسبوا ابيهم ثقيف على ابي رغال الى قيس
وقيس ابينا وفي ذلك يقول امية بن ابي الصلت الثقفي

نفوا عن ابيهم عدنا باطرا ... وكانوا للقبايل قاهرينا
وهم قتلوا الرئيس ابا رغال ... بمكة اذ يسوق بها الوصينا

وفي ذلك يقول عمرو بن دراك العبدي

تراني اذ قطعت حبال قيس ... وخالفت المرود على تميم
لاعظم فخرا من ابي رغال ... واجور في الحكومة من سدوم

وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب قصد الحبشة وورودهم الحرم
وما كان من امرهم في ذلك قال وفي طريق العراق الى مكة وذلك بين الثعلبية
والهبير نحو البطانية موضع يعرف بقبر العبادي ترجمه المارة الى
هذه الغاية كما ترجم قبر ابي رغال وللعبادي في هذا الخبر طريف قد
اتينا على ذكره في كتابنا في اخبار الزمان وفي كتابنا الاوسط ان في
اخبار مبعث النبي عليه السلام فكان ملك ابرهة على اليمن الى ان هلك
بعد ان رجع من الحرم وقد سقطت انامله وتقطعت اوصاله حين
بعث الله عليه الطير الابابيل ثلثا وعشرين سنة وكان قدوم اصحاب
الفيل مكة يوم الاحد لسبع عشرة ليلة خلت من المحرم سنة اثنين
وثمانين سنة للاسكندر وسنة ست عشر ومايتين من تاريخ العرب
الذي اوله حجة الغدر وسنذكر بعد هذا الموضع المستحق له
من هذا الكتاب جملا من تاريخ العالم وتاريخ الانبيا والملوك
في باب نفرده لذلك ان شاء الله ثم ملك اليمن بعد ابرهة الاشرم ولده
يكسوم فعم اذاه سائر اليمن وكان ملكه الى ان هلك سنتين ثم ملك
بعده مسروق بن ابرهة فاشتدت وطاته على اليمن وعم اذاه سائر
الناس وزاد على ابيه واخيه في الاذا فكانت ليمدة من آل ذي يزن وكان
سيف بن ذي يزن قد ركب البحار ومضى الى قيصر يستجيره فاقام
ببابه سبع سنين فابى ان يجيره وقال انتم يهود والحبشة نصارى
وليس في الديانة ان ينصر المخالف على الموافق فمضى الى كسرى انوشروان
يستنجده وشاله بالقرابة وساله النصرة فقال له كسرى
وما القرابة التي ادليت بها الي فقال ايها الملك الجلدة وهي الجلدة
البيضاء على السودا اذ كنت اقرب اليك منهم فوعده انوشروان
بالنصرة وشغل بحرب الروم وغيرها من الامم ومات سيف بن ذي يزن
فاتاه ابنه معدي كرب بن سيف فصاح على باب الملك فلما سال عن
حاله وادخل قيل الملك ميراث فوقف بين يدي انوشروان فساله عن
ميراثه فقال انا ابن الشيخ الذي وعده الملك النصر على الحبشة فوجه معه

ان هرزا الصهبذ الديلمي في اهل السجون وقال ان فتحوا قتلنا
وان ملوا قتلنا وعلي الوجهين فتح فحملوا في السفن من وجد لهم معد
خيولهم وغلمانهم وعددهم حتي ابلة البصرة ومنها فرع البحر اقوا
ولم يكن يومئذ بحره بصرة ولا كوفة وصلح مدن اسا لابيد فركبوا
في سفن البحر وساروا حتي اتوا ساحل حضرموت موضعا
يقال له مثوب فخرجوا عن السفن وقد كان اصيب بعضهم
في البحر فامرهم وهرز ان يحرقوا السفن ويعلموا انه الموت
ولا وجه يولون الفرار اليه فنحملوا من انفسهم وفي ذلك يقول
رجل من حضرموت

اصبح في مثوب الف في الجنن ، من رهط ساسان ورهط مهرمس
ليخرجوا السودان من اهل اليمن ، دلهم قصد السبيل ذو يزن

في شعر له طويل فلما خبرهم الي ملك اليمن مسروق بن ابرهة فاتاهم
في مائة الف من الحبشة وغيرهم من حمير وهمدان ومن سائر من سكن من
الناس اليمن فتصاف القوم وكان مسروق علي فيل عظيم فقال
وهرز لمن كان معه من الفرس اصدقوهم الحملة واستشعروا الصبر
ثم تامل ملكهم وقد نزل عن الفيل فركب جملا ثم نزل عن الجمل وركب فرسها
ثم انف من محاربة الفرس علي فرس استصغارا لاصحاب السفن فدعا
بحمار فركبه فقال وهرز ذهب ملكه ونقل عن كبير الي اصغر وكان
بين عيني مسروق ياقوتة حمرا معلقة في تاجه بعقال من الذهب
يضيء كانها نار فرماه وهرز وراح القوم فقال وهرز لاصحابه
قد رميت ابن الحمار فانظروا ان كان اصحابه يجتمعون عليه ولا يتفرقون قول
عنه فقد هلك فنظر القوم يجتمعون الدم يتفرقون عنه فاخبروه
بذلك فقال احملوا علي القوم فحملوا عليهم وصدقوهم فانكشف
الحبشة واخذهم السيف ورفع راس الملك مسروق بن ابرهة
مع رؤوس خواص اصحابه ورؤسائهم فقتل منهم نحو من الف
وقد كان انوشروان شرط علي معدي كرب شروطا منها ان
الفرس تتزوج في اليمن ولا تتزوج اليمن اليهم وخراج يحمله فتزوج
وهرز لمعدي كرب سيف وكان معه ويد من الفضة اليه اياها
وكتب الي انوشروان بالفتح وخلف هنالك جماعة من اصحابه وكان
جميع ما ملكت الحبوش اليمن اثنين وسبعين سنة وكان ملك
مسروق بن ابرهة الي ان قتله وهرز تلك سنين وذلك بعد
واربعين سنة خلت من ملك انوشروان وفي مسير الفرس الي
اليمن ونصرهم علي الحبشة يقول بعض اولاد فارس

نحن

نحن خضنا البحار حتي فككنا ، حميرا من بلية السودان ،
بليوث من نسل ساسان شوس ، يمنعون الحريم بالمران ،
فقتلنا مسروق اذ بات لما ، ان تدلعت قبائل الحبشان ،
وفلقنا ياقوته بين عينيه ، بنشابة الفتي الساسان ،
وحوينا بلاد قحطان قسرا ، ثم سرنا الي ذري عمران ،
فنعمنا فيه بظل سرور ، ومننا علي بني قحطان ،

وفي ذلك يقول ابو عبادة البحتري لبعض ابناء العجم يذكر فضل
الفرس علي اسلافه لانه رجل من قحطان

اهل الكرم زيد زكو الثنا بها ، ونعم ذكرهم باق علي الزمن ،
ان تقبلوها فليس بكر انعمكم ، ولا ببدء ايادي لهم في اليمن ،
ايام جال انوشروان جندهم ، عناية الذلع سيف بن ذي يزن ،
اذ لا يزال لخيل ذا فعلهم ، بالضرب والطعن من صنعا او عدن ،
انتم بنوا المنعم المجدي ونحن بنوا ، من فاز منكم بفضل الطول والمنن ،

قال المسعودي وانت معدي الوفود من العرب مهنية
بعود الملك اليهم واشراف العرب وزعماؤها وفيهم عبد المطلب
ابن هاشم بن عبد مناف وامية بن عبد شمس بن عبد
مناف وخويلد بن اسد بن عبد العزي بن قصي وجد امية
ابن ابي الصلت الثقفي وقيل بل ابو الصلت ابوه فدخلوا اليه
وهو في اعلي قصره المعروف بغمدان بمدينة صنعاء وهو مضمخ
بالعنبر وسواد المسك يلوح علي مفرقه وسيفه بين يديه وعلي
راسه وعن يمينه ويساره الملوك وابناء الملوك وابناء المقاول
فتكلمت الخطباء ونطقت الزعماء وقد تقدمهم عبد المطلب
ابن هاشم فقال عبد المطلب ان الله تعالي قد احلك ايها الملك
محلا رفيعا صعبا منيعا شامخا باذخا وانبتك نباتا حسنا
طابت ارومته وعزت جرثومته وثبت اصله وبسق فرعه
في اكرم معدن واطيب موطن فانت ابيت اللعن راس العرب
وربيعها التي تخصب به وانت ايها الملك ذروة العرب
الذي اليه تنقاد وعمودها الذي عليه العماد ومعقلها الذي
يلجا اليه العباد سلفك خير سلف وانت لنا منهم خير خلف
فلن يخمل ذكر من انت سلفه ولن يهلك من انت خلفه ايها
الملك نحن اهل حرم الله وسدنة بيته اشخصنا اليك الذي
انهجنا لكشف الكرب الذي فدحنا فنحن وفد التهنية
لا وفد المرزئة فقال له الملك وايهم انت ايها المتكلم قال انا

عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، قال الملك معدي كرب بن سيف
ابن اختنا قال نعم قال ادنو فادني ثم اقبل عليه وعلى الوفد
فقال لهم مرحبا واهلا وناقة ورحلا ومستناخا سهلا
وملكا ربحلا يعطي عطاء جزلا قد سمع الملك مقالتكم
وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم فانتم اهل الليل واهل النهار
لكم الكرامة ما اقمتم والحباء اذا ظعنتم ، ثم قام ابو زمعة
جد امية بن ابي الصلت الثقفي فانشده قصيدته التي
اولها

ليطلب الوتر امثال ابن ذي يزن ، لج في البحر للاعداء احوالا
حتى اتى ببني الاحرار يحملهم ، تخالهم في سواد الليل اجبالا
سد درهم من عصبة خرجوا ، ما ان رايت لهم في الناس امثالا
اثلت اسدا على سود الكلاب فقد ، امسى شريدهم في الارض فلالا
فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا ، في راس غمدان دارا منك محلالا
ثم اطلي المسك اذ شالت نعامتهم ، واسبل اليوم في برديك اسبالا
تلك المكارم لا قعبان من لبن ، شيبا بماء فعادا بعد ابوالا

ولمعدي كرب بن سيف ذي يزن هذا كلام كثير مع
عبد المطلب وله اين خبره بما في امر النبي صلى الله عليه وسلم
وبدو ظهوره تبشر بها عبد المطلب وخبره عن احواله وما
يكون من امره وحباء معدي الوفد وانصرفوا وقد اتينا على الكلام
من اخبارهم في كتاب اخبار الزمان فاغنى ذلك عن اعادته ووصف

قال المسعودي فاما عبد شمس الجمحي حين وفد الى
معاوية وساله عن اخبار اليمن وملوكها وتواريخ سنيها فانه
ذكر ان اول ملوك اليمن على حسب ما قدمنا في هذا الكتاب
سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ملكها اربعا وثمانين سنة
، ثم ملك بعده الحرث بن شداد بن الملطاط بن عمرو مائة سنة
ثلثا وثلثين سنة ، ثم ملك بعده افريقين بن ابرهة مائة واربعا
وستين سنة ، ثم ملك بعده العبد بن ابرهة خمسا وعشرين
سنة ، ثم ملك بعده الهدهاد بن شرحبيل بن عمرو وهو صاحب
الصرح سنة ، ثم ملكت بعده بلقيس بنت الهدهاد سبع
سنين ، ثم ملك بعدها سليمن بن داود ثلثا وعشرين سنة
على حسب ما قدمنا من امر بلقيس ، ثم ملك بعده رحبعم بن سليمن
سنة ، ثم رجع الملك الى حمير فملك من بعد رحبعم بن سليمن ياسر ينعم
ابن عمرو ذي الاذعار خمسا وثمانين سنة ، وقد قيل انه سمي ذا الاذعار

خبر

خبرنا به العقول وتكرم النفوس ويجوزون ذلك في المقدور وانما سمي ذا الاذعار
لانه وصل الى قوم في اقاصي مفاوز اليمن وارض حضرموت مشوهي الخلق عجيبي
الصور وجوههم في صدورهم فلما راهم اهل اليمن ادعروا ما شاهدوا من
ذلك ووجعت منه نفوسهم فسمي ذا الاذعار وقيل غير ذلك والله اعلم بكيفيته
، ثم ملك بعده عمرو بن ... افريقين ثلثا وخمسين سنة ، ثم ملك بعده
تبع الاقرن بن عمرو وهو تبع الاكبر مائة وثلثا وخمسين سنة ، ثم ملك
من بعده تبع بن ملكيكرب اربعة وثمانين سنة ، ثم ملك بعده كلال
ابن سودت اربعا وسبعين سنة ، ثم ملك من بعده تبع بن حسان
ابن تبع ثلث مائة سنة وستا وعشرين سنة ، ثم ملك من بعده مرثد
سبعا وثلثين سنة ، ثم ملك بعده ابرهة الصباح ثلثا وسبعين
سنة ، ثم ملك بعده ذو نواس بن زرعة ويقال له يوسف ويقال
عرب بن قطن سبعا وثلثين سنة ، ثم ملك الحبشة ذو السار
اربعا وثمانين سنة فذلك الف وتسع مائة وسبع وعشرين سنة
وانما ذكرنا ما حكيناه عن عبيد بن شرية في ترتيب ملوكهم
وتباين تاريخ سنيهم لنأتي على جميع ما قيل في ذلك من التاريخ
والله ولي التوفيق ، ولما ملكت الحبشة معدي كرب بن سيف
على حسب ما قدمنا الى الوجه نحوا انهم كانوا بصنعاء
خليفة لهم وهرز في جماعة من العجم ممن كان ضمنهم وهو والى
معدي كرب فرتب والي عمل من كان هنالك من الحبشة وضبط
البلاد وكتب بذلك الى وهرز وهو بباب انوشروان الملك
وذلك بالمداين من ارض العراق فقدم وهرز ان الملك بذلك
فسيره الى اربعة الاف من الاساورة وامره باصلاح اليمن
وان لا يبقي على احد من بقايا الحبشة ولا جعد وقطط قد شرك
السودان في نسبه فاتى وهرز اليمن ودخل صنعاء فلم يترك
احدا من السودان ولا من انسابهم وملك انوشروان وهرز على اليمن
الى ان هلك بصنعاء ، ثم ملك بعده رجل من فارس يقال له
سيحان ، ثم ملك بعده خود زاد السمار ، ثم ملك بعده
نوبحان ثم المرزبان وكان من مملكة فارس ، ثم ملك بعده
ابنه خورخسرو وكان مولده باليمن ، ثم ملك باذان بن ساسان

قال المسعودي فهولاء جميع ملوك اليمن
واسم هميسع بن تيمن بن بديل بن فرز بن ابراهيم الخليل وكان
له شان عظيم في ملك اليمن وطالت ايامه وذكره امرؤ القيس
في شعره وكانت ملوك اليمن بظفار مثل ذي نخر

بن تبع وهو تبع الوسط
اسعد بن ملكيكرب صح

ثم ملك بعده نوبحان بن
وهذا الاصلاح صح

اصلاح

يوم شيدت

والى ذي الكلاع والى ذي اصبح والى ذي يزن الا اليسير منهم فانهم
نزلوا غيرها وكان على باب ظفار مكتوبا بالقلم الاول في حجر اسود

ثم سيلت ظفار قيل لمن انت   فقلت لحمير الاخيار
ثم سيلت من بعد ذاك فقلت   لمن ملكي للاحبش الاشرار
ثم سيلت من بعد ذاك فقلت   ان ملكي لحمير سحار
وقليلا ما يلبث القوم فيها   ثم سدها لحاكي البوار
من اسود يلقيهم البحر فيهم   تشعل النار في اعالي الديار

ثم سيلت من بعد ذاك فقلت لمن ملكي الحبش الاشرار

وهذا خبر عن ملوك تداولوها اخبر عن ملكهم فتداولتها هذه الممالك على حسب ما وصف وسطر في المستقبل من الزمان ما ذكر من وقود النيران في اعالي الديار وعند اهل اليمن ان ديارهم سيغلب عليها الحبشة في اخر الزمان من بعد هبات وهنات وكوائن وحدثان وبعث النبي صلى الله عليه وسلم وعلى اليمن عمال كسرى وظهر الاسلام فغلب بحمد الله وقد اتينا على اخبار من ذكرنا من الملوك وسيرهم ومطافاتهم في البلاد وحروبهم واتيتهم في سائر في الكتاب الاوسط فاغنى ذلك عن اعادته في هذا الكتاب ان شاء الله وبلاد اليمن فطويل عريض حده مما يلي مكة الموضع المعروف بطلحة الملك سبع مراحل ومن صنعاء الى عدن وهو اخر عمل اليمن تسع مراحل والمراحل من جبل فراح الى سند والحد الثالث من صلم وجا الحماتين مفاوز حضرموت وعمان عشرين مرحلة والى الوجه الرابع بحر اليمن على ما ذكرنا انه بحر القلزم والصين والهند فجميع ذلك عشرون مرحلة في ستة عشر مرحلة وسمات ملوك اليمن كذي نواس وذي منار وغير ذلك مضافة الى المواضع والى افعال لهم وسير وحروب بغير هذه وسمات لهم تميزهم عن غيرهم وتبين كل واحد منهم بها عن غيره من الملوك وقد ذكرنا جوامع من اخبار اليمن وملوكها فلنذكر الان ملوك الحيرة من بني نصر وغيرهم باليمن من تعصب لذلك بملوك الشام من اليمن وغيرهم ان شاء الله تعالى

مطافاتهم صح

ذكر ملوك الحيرة من مصر وغيرهم

قصة جذيمة الابرش والزبا وقصير وعمرو بن عدي

ولما هلك جذيمة الوضاح واتت عليه الزبا ابنة عمرو بن ظرب بن حسان بن اذينة بن السميدع بن هوبر وقد ملكها على مشارف الشام الى الفرات من قبل الروم وكانت دارها بالموضع المعروف بالمضيق من الاد الخانوقة وقرقيسا وقد كانت الزبا ملكت بعد ابيها واطمعت جذيمة في نفسها الى ان قتلته واقام جذيمة متملكا الزمان ملوك خمسا وتسعين سنة وفي ملك اردشير بن بابك

كان صح

وسابور

وسابور الجنود بن اردشير ثلثا وعشرين سنة وكان ملكه مائة وثماني عشرة سنة وكان يلقب بالي الملك وفيه يقول سويد بن ابي كاهل اليشكري

ان ادق حتفي فقبلي ذاقه   طسم عاد وجديس والسبع
وابو مالك الكهل الذي   قتلته بنت عمرو بالخدع

وكان الملك قتل جذيمة اباه وهو اول من ملك بالحيرة واستحكم وكان يقال له مالك بن فهم بن دوس بن الازد بن الغوث بن نبت ابن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان سار من اليمن مع اولاد جفنة بن عمرو بن عامر مزيقيا فسارت بنو جفنة نحو الشام وانفصل بنو مالك نحو العراق وملك على مضر نيفا عشرين سنة ثم ملك بعده ابنه جذيمة على ما ذكرنا ثم ملك بعد جذيمة ابن اخته عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة بن الحارث ابن مالك بن العثم بن نمارة بن لخم وهو اول من نزل من الملوك الحيرة واتخذها منزلا ودار ملك عمرو بن عدي بن اخت جذيمة الابرش

ث

قال المسعودي وقد ذكر غير واحد ممن عني باخبار العرب وايامها ان جذيمة اول من ملك قضاعة وانه جذيمة بن مالك بن فهم التنوخي وانه قال ذات يوم لنداماه لقد ذكر لي عن غلام من لخم في اخواله من اياد ظرف وادب فلو بعثت اليه ووليته كاسي والقيام على راسي كان الراي فقالوا الراي ما راه الملك فليبعث اليه ففعل فلما قدم عليه قال له من انت قال انا عدي بن نصر بن ربيعة فولاه مجلسه فعشقته رقاش بنت مالك اخت الملك فقالت يا عدي اذا سقيت القوم فامزج لهم وعرق الملك فاذا اخذت الخمر فيه فاخطبني اليه فانه يزوجك فاشهد عليه وانصرف الغلام اليها فعرفها فقالت عرس باهلك فلما اصبح غدا مضرجا بالخلوق فقال له جذيمة ما هذه الاثار يا عدي قال اثار العرس قال اي عرس قال عرس رقاش فنخر واكب على الارض ودفع عدي جراميزه واسرع جذيمة في طلبه فلم يحسه وقيل بعضهم رآه قتله وبعث اليها يقول

حدثيني وانت لا تكذبيني   أبحر زنيت ام بهجين
ام بعبد فانت اهل لعبد   ام بدون فانت اهل لدون

فاجابته رقاش

انت زوجتني وما كنت ادري   واتاني النساء للتزيين
ذاك من شربك المدامة صرفا   وتماديك في الصبا والمجون

فنقلها جذيمة اليه وحصنها في قصره فاشتملت على حمل وولدت غلاما
فسمته عمرا وربته حتى اذا ترعرع حلته وعطرته والبسته
كسوة فاخرة ثم ازارته خاله فاعجب به والقيت عليه محبة منه وخرج
الملك في سنة فبسط له في روضة وخرج عمرو في غلمة يجتنون
الكماة وكانوا اذا اصابوا الكماة طيبة اكلوها واذا اصابها عمرو
خباها ثم اقبلوا يتعادون وعمرو يتقدمهم وهو يقول

هذا جناي وخياره فيه ° اذ كل جان يده الى فيه

فالتزمه جذيمة وحباه ثم ان الجن استطارته فضرب له جذيمة
في الآفاق زمانا فلم يسمع له بخبر اذ اقبل رجلان من القين يقال لهما
مالك وعقيل ابنا فالج وهما يريدان الملك بهدية
فنزلا على ماء ومعهما قينة يقال لها ام عمرو فنصبت لهما قدرا
وهيأت لهما طعاما فبيناهما يأكلان اذ اقبل رجل اشعث
الرأس قد طالت اظفاره وساءت حاله حتى جلس مزجر
الكلب ومد يده فناولته القينة طعاما فاكل فلم يغن عنه شيئا
فمد يده فقالت له القينة ان تعط العبد كراعا يسع ذراعا
فارسلتها مثلا ثم ناولت صاحبيها من شرابهما واوكت سقاها

فقال عمرو بن عدي

عدلت الكاس عنا ام عمرو ° وكان الكاس مجراها اليمينا
وما شر الثلاثة ام عمرو ° بصاحبك الذي لا تصبحينا

فقال له الرجلان فقال لئن تنكراني لا تنكرا نسبي انا عمرو بن
عدي فقاما اليه فلثماه وغسلا راسه وقلما اظفاره وقصرا
من لمته والبساه من طرائف ثيابهما وقالا ما كنا نهدي الى الملك
هدية هي انفس عنده ولا هو عليها احرص منه بابن اخته
قد رده الله عليه فخرجا به حتى اذا وقفا الى باب الملك وبشراه
فسر به وصرفه الى امه وقال لهما حكمكما فقالا حكمنا منادمتك
ما بقيت وبقينا قال ذلك لكما فهما ندمانا جذيمة المعروفان
واياهما عنى متمم بن نويرة اليربوعي في قوله

وكنا كندماني جذيمة حقبة ° من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كاني ومالكا ° لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وقول ابي خراش الهذلي

الم تعلمي ان قد تفرق قبلنا ° خليلا صفاء مالك وعقيل

وان ام عمرو بعثت اليه فبعث معه حفدة يقومون عليه في
امره حتى اذا خرج البسته من طرائف ثياب الملوك وجعلت في عنقه

طوقا

طوقا من ذهب لبه بكان عليها ثم امرته بزيارة خاله فلما راى خاله
لحيته والطوق في عنقه قال شب عمرو عن الطوق واقام عمرو
مع جذيمة خاله وقد حمل عنه عامة امره وان الزباء
بنت عمرو بن ظرب بن حسان ملك الشام والجزيرة من اهل بيت عاملة
العماليق كانوا اسلحوا وقال بعضهم كانت رومية وكانت
تتكلم بالعربية مدائنها على شاطئ الفرات من الجانب الشرقي والغربي
وهي اليوم خراب وكان فيما ذكر قد اسقفت الفرات وجعلته
اسرابا بين مدائنها وكانت تغزو بالجنود فتقاتل يقول اخطبها
جذيمة الابرش وكتبت اليه اني فاعلة ومثلك من رغب فيه
فاذا شئت فاشخص الي وكانت بالجزيرة فجمع جذيمة عنده ثقات
اصحابه فاستشارهم فاشاروا عليه بالمضي وخالفهم قصير
ابن سعد وكان له من الحزم ام له الا يفعل ويكتب اليها فان
كانت صادقة اقبلت اليه والا لم يقع في حبالها فعصاه ولما
وسار حتى اذا كان منها من دون هيت الانبار جمعهم وشاورهم
ثانية فامروه بالشخوص موافقين له لرأيه في ذلك واشار قصير
عليه الا يفعل فقال جذيمة سبق فضل الامر فارسلها مثلا
وقال قصير حين رآه قد عزم لا يطاع لقصير امر فارسلها
مثلا وظعن جذيمة حتى اذا عاين مدينتها وهي بحيال دون
الخانوقة ورأى الكتائب دونها فقال له ما ترى فقال اي
قصير الرأي قد تركت الرأي فقال تركت الرأي سيء البقية
فقال على ذلك اشر علي فقال اذا لقيتك الكتائب بتحية
الملوك وانصرفوا امامك فالمرأة صادقة وان هم اخذوا
جنبيك ووقفوا بعدك فالقوم منعطفون عليك فيما
بينك وبين جنودهم فاركب العصا فانها لا تدرك ولا تسبق
يعني فرسا كانت تجنب معه واستقبلته القوم فلحاطوا
به فلم يركب العصا فعمد اليها قصير فركبها وخلى الخيل وانطلق
فالتفت جذيمة فاذا هو بالعصا عليها قصير امام خيلهم حتى توارت
عنهم فقال جذيمة ما ضل من تجري به العصا وادخل على الزباء فاستقبلته
وقد كشفت عن عنقها وقالت يا جذيمة اي متاع امة
عروس ترى قال ارى متاع امة لعاهر ذات خمر فقالت
انا واسماه ذاك من عدم مواس ولا قلة اوان ولكن شيمة من اناس
ثم اجلسته على نطع ودعت اليه بطشت من عسجد فقطعت رواهشه
واستنزفته حتى اذا ضعف قواه ضرب بيديه فقطرت قطرة

فردمه على رخام ورخام وقد قيل لها ان دفع من دمه في غير الطست
طلب دمه فقالت لا تضيعن من دم الملك شيئا فاني
انما بعثت اليك وقد بلغني ان دمك شفاء من الخبل فقال
جذيمة ما يحزنك من دم اضاعه اهله ففي ذلك تقول
العرب

من الداريين الذين دماؤهم   شفاء من الداء المجنة والخبل

واستصفت دمه فجعلته في قارورة وقد قال بعضهم ان جلوس
جذيمة عليها في قصرها ليس فيه الا الجواري وهي على سرير
لها فقالت للاماء خذن بيد سيدكن ثم دعت بنطع فاجلسته
عليه فعرف الشر وكشفت عن عورتها فاذا هي قد عقدت
استها من دبرها فقالت اشوار عروس ترى فقال بل شوار راعية
بظراء فقالت اما ذاك من عدم مواس ولا من قلة اواس ولكن
شيمة من اناس ثم امرت برواهشه فقطعت فجعل دمه يشخب
في النطع كراهة ان يفسد مقعدها فقال جذيمة لا يحزنك
دم اضاعه اهله ونجا قصير فاورد الخبر على عمرو بن عدي اللخمي
التنوخي بالحيرة فاشفق من ذلك فقال له قصير اطلب بثار
عمك والا سبتك بها العرب فلم يحفل بذلك فخرج قصير
الى عمرو بن عدي فقال له هل لك في ان اصرف الجنود اليك على
ان تطلب بثار خالك فضمن له ذلك فصرف وجوه الجند
عليه وبيناهم بالمال والحال فانصرف اليه منهم بشر وبس فالتقى
هو والتنوخي فلما خافوا الفناء تابعه التنوخي وتم الامر لعمرو
ابن عدي فقال له قصير انظر لما وعدتني به في الزباء فقال
عمرو وكيف لنا بها وهي امنع من عقاب الجو فقال اما اذا ابيت
فاني جادع انفي واذني ومحتال لمقتلها فاعني
وخلاك ذم فقال عمرو انت ابصر وعلي معونتك فجدع انفه
فقيل لامر ما جدع قصير انفه ثم انطلق حتى دخل على
الزباء فقالت من انت فقال انا قصير لا ورب البرية ما كان على
وجه الارض بشر انصح لجذيمة ولا اغش لك مني حتى
جدع عمرو بن عدي انفي واذني فعرفت انه لم يكن مع
احد هو اثقل عليه مني معك فقالت يا قصير نقبل منك
ونصرفك في بضائعنا فاعطته مالا للتجارة فاتى بيت مال
الحيرة فاستخرج ما فيه بامر عمرو بن عدي وانصرف به
اليها فلما رات ما جاء به فرحت بذلك وزادته مالا الخ

جاء به

جاء به وقال لها ليس من ملك ولا ملكة الا وهم يتخذون
في مدائنهم انفاقا لوقت الهرب عدوا فقالت اما انا فقد فعلت
ذلك وقد بنيت سربا تحت سريري هذا يخرج الى سرب
تحت سرير اختي فعلمها قصير ثم ظعن حتى اتى عمرا فركب عمرو في
الفي رجل على الف بعير في الصناديق حتى صار اليها فتقدم قصير
وسبق الابل وقال لها اصعدي حائط مدينتك وانظري
الى مالك وتقدمي الى بوابك فلا يعرض الى شيء من اعكامنا
فاني قد جئت بمال صامت وقد كانت امنته ولم تخافه ففعلت
ما امرها فلما نظرت الى ثقل مشي الجمال قالت

ما للجمال مشيها وئيدا   اجندلا يحملن ام حديدا
ام   باردا شديدا   ام الرجال جثما قعودا

ودخلت الابل المدينة حتى اذا اتى اخرها جمل الحصن البواب
فطعن بمخصرة في جنبه فاصابت خاصرة رجل فضرط فقال البواب بشنا
سما اي شر في الجوالق وثار الرجال من الجوالق ضربا بالسيف
فخرجت الزباء هاربة الى السرب فابصرت قصيرا عند فم السرب
مصلتا فانصرفت راجعة وتلقاها عمرو بن عدي فضربها فقال
بعضهم مصت خاتمها وكان فيه سم ساعة وقالت بيدي
لا بيد عمرو وخربت المدينة وسبيت الذراري فقال الشعراء
في امرها وامر قصير في ذلك قول المتلمس

ومن طلب الاوتار ما حز انفه
قصير وخاض الموت بالسيف بيهس

في ابيات والاشعار في هذا كثيرة وكانت الزباء قد اتخذت حصنا
الاطراف باسمها وخلفها ثم تملكت به فقلعه حتى
فعلت ذلك بمارد حصن دومة الجندل وبالابلق حصنين
منيعين فقالت تمرد مارد وعز الابلق فذهبت مثلا
وهما الحصنان اللذان يذكرهما العرب في اشعارها كثيرا
قال الاعشى

بالابلق الفرد من تيماء منزله   حصن حصين وجار غير غدار

وانما سمي جذيمة الابرش الوضاح لانه كان به برص فكني عنه تعظيما له
قال المسعودي فهذا بدو خبر عمرو بن عدي وما كان
من امره ولما هلك عمرو بن عدي وقد قدمنا ان مدة ملكه كانت
ماية سنة هلك بعده ابنه امرؤ القيس بن عمرو بن عدي
ستين سنة ثم هلك بعده عمرو بن امرئ القيس وهو محرق

الحرب خمسا وعشرين سنه وكانت امه مارية البرهية اخت عمرو
ابن ثعلبه بن امرى القيس قاتل الفرس خمسا وستين سنه وكانت
امه الهيجانه بنت سلول بن مرة وهو يقال له ابن ماء السما وملك النعمن بن
امرى القيس خمسا وعشرين سنه وكانت امه الفارسية بنت
مالك بن المنذر من ال نصر وملك النعمن بن المنذر بن فارس حليمه
وهو الذى بنا الخورنق وكره دير الكراديس خمسا وثلثين سنه
وكانت امه هند بنت زيد بن مناه من غسان وملك الاسود
ابن النعمان عشرين سنه وكانت امه هند ابنة الهيجانة من ال نصر
وملك الاسود بن النعمن بن الاسود اربعا وثلثين سنه وكانت
ماء السما ابنة عوف بن النمر بن قاسط بن هنب بن افصى بن دعمي بن اسد
ابن ربيعة بن نزار وانما سميت ماء السما لحسنها وجمالها ثم ملك
بعده عمرو بن المنذر اربعا وعشرين سنه وكانت امه حليمه بنت
الحرث من ال معدي كرب وملك المنذر بن عوف بن المنذر
ستين سنه وكانت امه اخت عمرو وقابوس من ال مضر
ثم ملك بعده قابوس بن المنذر ثلثين سنه وكانت امه هند بنت
الحرث من ال معويه بن معدي كرب وملك بعده النعمن
ابن المنذر وهو الذى يقال له ابيت اللعن اثنين وعشرين سنه وكانت
امه سلمى بنت وائل بن عطيه وذكر غيره من الاخباريين ان النابغة استاذن
على النعمن يوما فقال له الحاجب ان الملك على شراب فقال
النابغه هو وقت الملوك تسأل الافضال وهى تحول الرهبة والسماح
فان تسلح فان الجدى غير مواهبه فانت قسيم ما اذنت فقال له
الحاجب ما لى عنايه بدفن سلكه فليف لرغب فيها وصفت
ودون ما طلبت نهيه التعدي فهل من سبب فقال النابغه
هل لك ان تؤدي الى خالد ما تقول لك وهو ان تقول ان
مر قد دنك وقال الدرك بك وتحسن من السلم ما قد علمت فلما
صار خالد الى بعض ما بعثه فواد الشراب عليه نهض فاعترضه
الحاجب فقال نهتك ابا البسام حادث النعم قال وما ذاك
فاخبره الخبر وكان خالد فيما ياتي للاشيا بالطف وحسن
بصيرة فدخل متبسما وهو يقول

«الا املك اوفرانت سابقه سبق الجواد اذا استولى على الابد
بالالات لكانى انظر الى الملاك ذي رغين وقد مدت لهم قصبات
المجد الى معالم احسابهم ومناقب احسابهم في حلبة انت ابيت
اللعن غرتها فجئت سابقا متمهلا وجاوا ولم يلم لهم شعث فقال

النعمن

النعمن لانت في وصفك ابلغ احسانا من النابغه في قافيته فقال
خالد ما ابلغ فيك حسنا الا وهو دون قدرك واستحقاقك للشرف
الباهر ولو كان النابغه حاضرا لنا فعلنا فامر النعمن بادخاله فخرج
اليه الحاجب فقال للنابغه ها وذاك قال قد رفع الحجاب واذن
الباب فادخل فدخل فانتصب بين يديه وحياه بتحية الملك
وقال ابيت اللعن اتفاخر وانت سائس العرب وغرة الحسب
واللات لامسك ايمن من مخاريك ولقفاك احسن من وجهه
وليسارك احسن من يمينه ولوعدك اصدق من رفده ولعبدك
اكرم من قومه ولاسمك اسمى من قدره ولنفسك اكرم من جده
وليوم اشرف من دهره ثم قال

«احلاف مجد حلت ما لها خطر في البأس والجود بين العلم والخبر
متوج بالمعالي فوق مفرقه وفي الوغى ضيغم في صورة القمر»

فتهلل وجه النعمن بالسرور ثم امر فاحشي فوه جوهرا وقال
هكذا فليمدح الملوك وقد كان النعمن قد قتل عدي بن زيد
العبادي وكان بالتيه لكسرى ابرويز بالعربيه وترجمها له اذا وفدت
اليه زعماء العرب لموجد وجدها عليه النعمان في خبر طويل
الشرح فلما قتله صار زيد بن عدي ابنه مكان ابيه فذكر
لكسرى ابرويز جمال نساء ال المنذر ووصفهن له فكتب الى النعمان
يامره ان يبعث اليه باخته فلما قرا النعمان كتابه قال للرسول وهو
زيد بن عدي يا زيد اما لكسرى في مها السواد كفاية حتى يتخطى
للعربيات فقال زيد انما اراد الملك اكرامك ابيت اللعن بصهره ولو
علم ان ذلك يشق عليك ما فعل وساحسن ذلك عنده واعتذر
بما يقبله فقال النعمان فافعل فقد تعرف ما على العرب في تزويج
العجم من الغضاضة والشناعه فلما انصرف الى كسرى اخبره انه رغب
عنه وادى اليه قوله في مها السواد على اقبح الوجوه واوجده
عليه فقال رب عبد قد صار من الطغيان الى اكثر من هذا فلما
بلغت كلمته النعمان تخوفه فخرج هاربا حتى صار الى طي لصهر
كان لهم فيهم ثم خرج من عندهم حتى اتى بني رواحة بن ربيعه
ابن مازن بن الحرث بن قطيعه بن عبس فقالوا له اقم معنا
فانا مانعوك مما نمنع منه انفسنا فجزاهم خيرا ورحل عنهم
يريد كسرى ليرى فيه رأيه وذلك قول زهير بن ابي سلمى

«الم تر للنعمان كان بنجوة من الدهر لو ان امرا كان ناجيا
فغير عنه ملك عشرين حجة من الدهر يوم واحد كان غاربا»

فلم ار مسلوبا له مثل ملكه ... اقل صديقا باذلا او مواسيا
سوى ان حيا من رواحة حافظوا ... وكانوا اناسا يتقون المخازيا
فساروا له حتى اناخوا ببابه ... كرام المطايا والهجان المتاليا
فقال لهم خيرا واثنى عليهم ... وودعهم توديع ان لا تلاقيا

وأتى النعمان حتى المداين فصف له كسرى ثمانية الاف جارية عليهن المصبغات صفين فلما صار النعمان بينهن قلن له اما ينبغي للملك كفاية عن بقر السواد فعلم انه غير ناج منه ولقيه زيد بن عدي فقال له النعمان انت فعلت هذا بي لئن تخلصت لاسقينك بكاس ابيك فقال له زيد امض نعيم فقد اخيت لك اخية لا يقطعها المهر الارن وامر به كسرى فحبس بساباط المداين ثم امر به فرمي تحت ارجل الفيلة وقال بعضهم بل مات بحبسه بساباط وقد ذكرته الشعراء فاكثرت فمن ذلك قول الاعشى

ولا الملك النعمان يوم لقيته ... بغبطته يعطي للصكوك سوافق
ويقسم امر الناس يوما وليلة ... وهم ساكتون والمنية تنطق
فذاك وما انجى من الموت ربه ... بساباط حتى مات وهو محرق

وقد كان النعمان حين اراد المضي الى كسرى مستسلما امر سار فاودع سلاحه وعياله عند هاني بن مسعود الشيباني ولما اتى كسرى على النعمان بعث الى هاني بن مسعود يطالبه فامتنع وابى ان يخفر الذمة فكان ذلك السبب الذي اهاج حرب ذي قار وقد اتينا على ذكره في الكتاب الاوسط فاغنى عن اعادته في هذا الكتاب وقد كانت حرقة ابنة النعمان بن المنذر اذا خرجت الى بيعتها فرش لها طريقها بالحرير والديباج الموشى بالخز والوشي ثم تقبل في جواريها حتى تصل الى بيعتها وترجع الى منزلها فلما هلك النعمان نكبها الزمان فانزلها من الرفعة الى الذلة وقدم سعد بن ابي وقاص القادسية اميرا عليها لما هزم الله الفرس وقتل رستم فاتت حرقة ابنة النعمان في حشد من قومها وجواريها وهن في زيها عليهن المسوح والمقطعات السود مترهبات يطلبن صلته فلما وقفن بين يديه انكرهن سعد وقال ايتكن حرقة فقالت ها انا ذه قال انت حرقة قالت نعم فما تكرارك في استفهامي ان الدنيا دار زوال لا تدوم على حال تنتقل باهلها انتقالا وتعقبهم بعد حال حالا كنا ملوك اهل هذا المصر يجبى الينا خراجه ويطيعنا اهله مدى المدة وزمان الدولة فلما ادبر الامر وانقضى صاح بنا صايح الدهر فصدع عصانا وشتت ملانا وكذلك الدهر يا سعد انه ليس من قوم بحبرة الا

والدهر

والدهر يعقبهم عبرة ثم انشات تقول

فبينا نسوس الناس والامر امرنا ... اذا نحن فيهم سوقة نتنصف
فاف لدنيا لا يدوم نعيمها ... تقلب تارات بنا وتصرف

فبينا هي واقفة بين يدي سعد اذ دخل عمرو بن معدي كرب وكان زوارا لابيها في الجاهلية فلما نظر اليها قال انت حرقة قالت نعم قال فما دهاك فمحا محمودات شيمك واين تتابع نعمك وسطوات نقمك فقالت يا عمرو ان للدهر عثرات تعثر اهله بعد نعمة وتديلهم بعد عز ان هذا امر كنا ننتظره فلما حل بنا لم ننكره قال فاكرمها سعد واحسن جائزتها فلما ارادت فراقه قالت حتى احييك بتحية املاكنا بعضهم لبعض لا نزع الله من عبد صالح نعمة الا جعلك سببا لردها عليه ثم خرجت من عنده فلقيتها نساء المدينة فقلن لها ما فعل بك الامير قالت حاط لي ذمتي واكرم وجهي وانما يكرم الكريم الكريم وسنذكر خبر هند بنت النعمان مع المغيرة بن شعبة ايام امرته على الكوفة فيما يرد من هذا الكتاب عند ذكرنا اخبار معوية بن ابي سفيان

قال المسعودي فهولاء ملوك الحيرة الى ان ورد الاسلام فاطفاه الله وازال الكافرين فجميع من سمينا من هولاء الملوك من ولد عمرو بن عدي ابن اخت جذيمة الابرش على حسب ما قدمنا انفا في صدر هذا الكتاب ثم جا الاسلام وجا المرء كسرى ابرويز بن هرمز فملك على العرب بالحيرة اياس بن قبيصة الطاي فكان ملكه تسع سنين او ست سنين وثمانية اشهر ومضت من ملك اياس كان مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ملك الحيرة جماعة من الفرس وقد كان قبل عمرو بن عدي ملوك على الحيرة على حسب ما ذكرنا فكان عدة الملوك بالحيرة ثلاثة وعشرين ملكا من بني نصر وغيرهم من العرب والفرس وكانت مدة ملكهم ستماية سنة واثنين وعشرين سنة وثمانية اشهر وقد قيل ان عمران الحيرة دون الخورنق وفي بناء الكوفة كان خمسماية سنة

قال المسعودي ولم يزل عمرانها يتناقص من الوقت الذي ذكرنا الى صدر من ايام المعتضد فانه استولى عليها الخراب وقد كان جماعة من خلفاء بني العباس كالسفاح والرشيد وغيرهم ينزلونها ويطلبون المقام بها لطيب هوائها وصفاء جوهرها وصحة تربتها وصلابتها وقرب الخورنق والنجف منها وقد كان فيها ديارات كثيرة فيها رهبان فلحقوا بغيرها من البلاد لتداعي الخراب اليها واقفرت من انس

في هذا الوقت الابصدي واليوم وعند كثير من اهل الدراية
بما يحدث في المستقبل من الزمان ان سدها سيعود بالعمران
وان هذا النجف يزول وكذلك الكوفة **قال المسعودي**
ولمن سميناه من ملوك الحيرة اخبار وسير وحروب قد اتينا على
ذكرها والغرر من بسطها في كتابنا في اخبار الزمان والاوسط فاغنى
ذلك عن اعادته في هذا الكتاب ان شاء الله

ذكر ملوك الشام من اليمن من غسان وغيرها

كان اول من ملك غسان فالع بن يغور ثم ملك بعده بوناب
بن هوارث بن دراح وقد ذكر اسحق في كتابه ما كان من خبره على
لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وما اتصل من امرهم بغلبة اليمن
على ديارهم فتفرقوا في البلاد وكانت قضاعة بن مالك بن حمير اول من نزل
الشام وانضافوا الى ملك الروم فملكوهم بعد ان دخلوا في
دين النصرانية على من حوى الشام فكان اول ملوكهم تنوخ النعمان بن عمرو
بن مالك ثم ملك بعده عمرو بن النعمان بن عمرو ثم ملك بعده الحواري
ابن النعمان ولم يملك من تنوخ الا ثلاثة وهم تنوخ بن مالك بن فهم
بن تيم الله بن الاسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف
بن قضاعة بن مالك بن حمير وقد تنوزع في قضاعة فمنهم من يعدها في معد
وفي قحطان فقضاعة تابى ان تكون من معد وزعم انها على ما ذكرنا
وقد قيل في نسب قضاعة وانتسابها بحمير غير ما ذكرناه من
النسب ثم وردت سليح الشام فتغلبت على تنوخ وتنصرت
فملكتها الروم على العرب الذين بالشام وهم ولد سليح بن حلوان بن
عمران بن الحاف بن قضاعة واسم سليح عمرو وكانت سليح بالشام وتفرق
قبايل اليمن لما كان من مأرب وقصة عمرو بن عامر مزيقيا فسارت
غسان الى الشام وهم ولد مازن وكذلك الازد بن الغوث
ابن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب
ابن قحطان وله مازن واليه يرجع جميع قبايل غسان وانما
غسان ماء شربوا منه فسموا به وهو ماء بين زبيد ورمع وادي
الاشعريين بارض اليمن وفي ذلك يقول حسان بن ثابت الانصاري

اما سالت فانا معشر نجب ، الازد نسبتنا والماء غسان

وسنذكر بعد هذا الموضع خبر عمرو بن عامر مزيقيا وخبر
سيل العرم وتفرقهم في البلاد وخبر الماء الذي له المورد المعروف
بغسان وقد ذكر عمرو بن عامر خرج من مأرب لم يزل مقيما على ذلك الماء
الى ان ادركه الموت فكان عمره ثماني مائة سنة اربع مائة سوقة واربع مائة

ملكا

ملكا وغلبت غسان على من بالشام من العرب فملكتها الروم على العرب
فكان اول من ملك من ملوك غسان بالشام الحرث بن عمرو بن عامر بن
حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن وهو غسان بن الازد بن
الغوث ثم ملك بعده الحرث بن ثعلبة بن عمرو وامه مارية ذات
القرطين بنت ارقم بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو وقد قيل
مارية بنت ظالم بن وهب بن الحرث بن معوية بن ثور وهو
كندة وهي التي ذكرتها الشعراء في اشعارها وينسب جماعة
من ملوك غسان اليها وملك بعده النعمان بن الحرث بن جبلة
ابن الحرث بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو ثم ملك بعده ابو شمر
بن الحرث بن جبلة بن الحرث بن ثعلبة بن الحرث بن
ثعلبة بن جفنة بن عمرو ثم ملك بعده عوف بن ابي شمر
ثم ملك بعده الحرث بن ابي شمر وكان ملكه حين بعث
النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وفي ما ذكر عدة من الاخبار
ان حسان بن ثابت الانصاري زار الحرث بن ابي شمر
الغساني بالشام وكان النعمان بن المنذر اللخمي ملك
الحيرة ينافسه فقال له وهو عنده يا ابن الفريعة لقد
بلغني انك تفضل النعمان علي فقال وكيف افضله عليك
فوالله لقفاك احسن من وجهه ولامك اشرف من ابيه ولابوك
اشرف من جميع قومه ولشمالك اجود من يمينه ولحرمانك
انفع من رفده ولقليلك اكثر من كثيره ولثمادك امرع
من غديره ولكرسيك اوسع من سريره ولجدولك اغزر
من بحوره وليومك اطول من شهوره ولشهرك امد من
حوله ولطولك خير من حقبه ولزندك خير من زنده ولقليل
جندك خير من جنده وانك من غسان وانه من لخم فكيف
افضله عليك او اعدله بك فقال يا ابن الفريعة الا يسمع
الا في شعر فقال

نبئت ان ابا منذر ، يساميك للحدث الاصغر
قذالك احسن من وجهه ، وامك خير من المنذر
ويسرى يديك على عسرها ، كيمنى يديه على الميسر

ثم ملك بعده جبلة بن الايهم بن جبلة بن الحرث بن ثعلبة بن
جفنة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة
ابن مازن وهو غسان بن الازد بن الغوث وهو الملك
الذي امتدحه حسان بن ثابت وشعره فيه كثير مشهور

وكانت ديار ملوك غسان باليرموك والجولان وغيرهما
بين غوطة دمشق واعمالها ومنهم من نزل الاردن من ارض الشام
وجبلة هو الذي اسلم وارتد عن دينه خوفا من العار والقود
من اللطمة وخبره واضح مشهور وقد اتينا على ذكره فيما سلف من
كتبنا وسائر ملوك تنوخ وسليح وغسان وغيرهم ممن ملك بالشام
ودعا النبي صلى الله عليه واله وسلم الحرث بن ابي شمر الى الاسلام
ورغبه في الايمان وقد اتينا على خبره وما كان من اسلامه واخباره
مع النبي صلى الله عليه واله وسلم في كتابنا اخبار الزمان والاو سط
وفيه يقول النابغة الذبياني ٥

هذا غلام حسن وجهه   مستقبل الخير سريع التمام
للحرث الاكبر والحرث الا   صغر والاعرج خير الانام
ثم لهند ولهند وقد   اسرع في الخيرات منه امام
خمسة اباؤهم ما هم   اكرم من يشرب صوب الغمام

فجميع من ملك من غسان بالشام احد عشر ملكا وقد كان بالشام
ملوك من الدعامة من ارض البلقاء بلاد دمشق وكذلك مدائن
قوم لوط بين ارض الاردن وبلاد فلسطين وكانت خمس مدن
فكانت دار المملكة والمدينة العظمى سدوم وكانت سمة كل
ملك يملك بارع كذلك ذكرها الفراء وذكر اسماء هذه المدائن
اعرضنا عن ذكرها اذ كان فيه خروج عن شرط الاختصار
وقد كان لكندة وغيرهم من العرب من قحطان ومعد ملوك كثيرة
لم نعرض لذكرها اذ كان لا اسماء لها تعمهم وتسميهم كقولنا
خليفة وقيصر وكسرى والنجاشي ولئلا يطول الكتاب
بذكرهم وقد اتينا على سائر العرب من معد وقحطان وغيرهم
ممن وسم بالملك في بعض الممالك وسائر الامم الخالية والامم الباقية
والممالك من البيضان والسودان ممن اهمل ذكرهم ونابي لنا الاخبا ر
عنه وانما ذكرنا في هذا الكتاب من الملوك من اشتهر ملكه وعرفت
ممالكه ميلا الى الاختصار وطلبا للايجاز ونبهنا على ما سلف
من اخبارهم في كتبنا المقدم تصنيفها ٥

ذكر البوادي من العرب وغيرهم من الامم وعلة اسكانها البدو ولمع
من اخبار العرب وغير ذلك مما اتصل بهذا المعنى

قد تقدم ذكرنا لولد قحطان وان من عداهم من العرب العاربة ذكرت
من طسم وعاد وجديس وعملاق وجرهم وثمود وعبيل ووبار
وسائر من سميناه وان فرقة ممن ذكرناه دخلوا في العرب الباقية

الى هذا

الى هذا الوقت وهم قحطان ومعد ولا يعلم احد من العرب الباقية البائدة
البيد في الارض من العرب الاولى غير معد وقحطان وذكرنا من
طاف الارض من ملوكهم من التبابعة وال ذواء ونشيدهم البنيان
في الشرق والغرب ومصرهم الامصار وبنائهم المدن كمدينة
صقلية وافريقية وما كان من الملوك هنالك وما اتخذوا من العمائر
ومسير شمر الى ارض المشرق وبنيانه سمرقند ومن خلف هنالك
من حمير ببلاد التبت والصين وقد ذكر ذلك جماعة من شعرائهم
ممن سلف وخلف ومنهم دعبل بن علي الخزاعي في قصيدته التي
يرد فيها على الكميت ويفتخر بمن سلف من ملوكهم ومسيرهم في
الارض وقد ذكرنا طرفا من قوله في ذلك فيما سلف وتقدم
من هذا الكتاب وكان لاهل اليمن ملوك لا يدعون بالتبابعة
ممن تقدم وتأخر حتى ينقاد الى مملكته اهل الشحر وحضرموت
فحينئذ يسمى تبعا ومن تخلف عن مملكته ممن ذكرنا سمي بذلك
ولم يطلق له اسم تبع وقد قال الله عز وجل في قصة قريش
وتفاخرها وعودها اهم خير ام قوم تبع الاية حتى دخل الحرم
فبعث الله عليه الظلمة وانما سمي تبعا لمن تبعه ولذلك
ذكر عن عبد الله بن عباس وقد كان تبع ابو كرب سار في
الارض ووطئ الممالك وذللها ووطئ ارض العراق في ملك
الطوائف فعميد الطوائف يومئذ خرزاد بن سابور
فلقي ابو كرب ملك من الطوائف يقال له قباذ وليس بقباذ
ابن فيروز الساساني فانهزم قباذ والى ابو كرب على مملكته
وملك العراق والشام والحجاز وكثيرا من المشرق وفي ذلك
يقول تبع يذكر ما صنع من قصيدة ٥

اذ حبينا الطفار نار خباد   ثم سرنا بها مسيرا بعيدا
واستبحنا بالخيل ملك قباذ   وابن ابلوذ جانا مصفودا
وكسونا البيت الذي حرم الله   ملاء معصبا وبرودا
واقمنا به من الشهر عشرا   وجعلنا لبابه اقليدا

وقال ايضا ٥

لست بالتبع اليماني ان لم   تركض الخيل في سواد العراق
وتؤدي ربيعة الخرج قسرا   ويعتقي عوايق العوائق

وقد كانت لنزار بن معد منعة ووقائع وحروب كثيرة
واجتمعت على معد بن عدنان وربيعة ومضر واياد
وانمار وتدافعت نحو نزار وتواهبت ما كان بينها من

الدماء والطوائل فكاشحهم عليه ففي ذلك يقول ابو دواد الايادي
في قصيدة

ضربنا على ابن جفنة جياد البرود وخرج الذهب
وولى ابو قرهم هاربا وكان جبانا كثير الكذب

وقد ذكرنا في كتاب الاوسط بدو النسب من ابرهيم الخليل
عليه السلام وولده اسمعيل وتنوع النسب الى نزار بن
معد وتشعب النسب من نزار بن معد بن عدنان فلنذكر الان
في هذا الموضع خبر ولد نزار الاربعة مع الافعى بن الافعى
الجرهمي ثم نعقب بعد ذلك بما الله فقد تاتي هذا الكتاب
من علة سلوك العرب البوادي من العرب البدو وغيرهم ممن
سلك الجبال والاودية وسائر البراري والقفار ذكر في
اخبار العرب ان نزار بن معد ولد له ربيعة إياد وكان
[illegible] وانمار وهو ابو بجيلة وخثعم على ما قيل اذ كان فيما
ذكرنا تنازع لان من الناس من الحقهم باليمن وغير الناس من ذكر فيهم
ما وصفنا انهم من ولد انمار بن نزار وربيعة ومضر فلما
حضرت نزار الوفاة دعا بنيه ودعا بجارية له شمطا وقال
لاياد هذه الجارية وما اشبهها من مالي فلك ثم اخذ بيد انمار
فاعطاه بدرة وقال هذا وما اشبهه فلك وكذا المجلس ثم
اخذ بيد ربيعة فادخله خباء له اسود من شعر وقال هذا
البيت وما اشبهه من مالي فلك ثم اخذ بيد مضر فادخله
قبة له حمراء من ادم وقال هذه القبة وما اشبهها فلك وان
اشكلت عليكم هذه القسمة فاتوا الافعى بن الافعى الجرهمي
وكان ملك نجران حتى يقسم بينكم وتراضوا بقسمته فلم يلبث
نزار الا قليلا واشكلت عليهم القسمة فركبوا رواحلهم
ثم قصدوا نحو الافعى حتى اذا كانوا منه على يوم وليلة
من ارض نجران وهم في مفازة اذا هم باثر بعير فقال اياد لن هذا
البعير الذي ترون اثره اعور قال انمار وانه لابتر وقال
ربيعة وانه لازور وقال مضر وانه لشرود فلم ينشبوا
ان وقع لهم راكب توضع به راحلته فلما غشيهم قال لهم
ابعير ضال في وجهكم هذا قال اياد كان بعيرك اعور
قال اعور قال انمار كان بعيرك ابتر قال ابتر قال ربيعة كان
بعيرك ازور قال فانه لازور قال مضر كان بعيرك شرودا
قال انه لشرود ثم قال لهم فاين بعيري دلوني عليه قالوا والله ما احسسنا لك

بعيرا

بعيرا ولا رايناه قال انتم اصحاب بعيري وما اخطاتم من نعته شيا
قالوا ما راينا لك بعيرا فتبعهم حتى قدموا نجران فلما اناخوا بباب
الافعى استاذنوا عليه فاذن لهم فدخلوا وصاح الرجل من الباب
ايها الملك هولاء اخذوا بعيري وحلفوا انهم ما راوه فدعاه
الافعى فقال له ما تقول قال ايها الملك ذهبوا ببعيري وهم اصحابه
فقال لهم الافعى ما تقولون قالوا راينا في سفرتنا هذه اليك اثر بعير
فقال اياد انه لاعور قال وما يدريك انه اعور قال رايته مجتذا في
رعي الكلا من شق واحد والشق الاخر كثير الالتفات لم تمسسه
فعلمت انه اعور وقال انمار رايته يرمي ببعره مجتمعا ولو كان اهلب
لمصع به فعلمت انه ابتر وقال ربيعة رايت احدى يديه ثابتا
والاخر فاسدا فعلمت انه ازور وقال مضر رايته يرعى الشقة من
الارض ولا يتعداها ثم يلج الكلا الملتف الغض فلا ينهش منه
حتى ياتي ما هو ادق منه فيرعى فعلمت انه شرود فقال الافعى صدقتم
قد اصبتم اثر بعيرك وليسوا باصحابه التمس بعيرك ثم قال الافعى
للقوم من انتم فاخبروه بحالهم وانتسبوا له فرحب بهم وحياهم
ثم قال ما خطبكم فقصوا عليه قصتهم فقال الافعى كيف
تحتاجون الي وانتم على ما ارى قالوا امرنا بذلك ابونا ثم امر بهم
فانزلوا وامر خادما له على دار الضيافة ان يحسن اليهم ويكرم
مثواهم والطافهم بافضل ما يقدر عليه ثم امر وصيفا له فطن
حذقا ظريفا اديبا وقال انظر كل كلمة تخرج من افواههم فاتني بها
فلما نزلوا بيت الضيافة اتاهم القهرمان بشهد من شهد فاكلوا
منه وقالوا ما راينا شهدا اعذب من هذا ولا احسن ولا اشد
حلاوة منه فقال اياد صدقتم لولا ان نحله في هامة جبار فوعاها
الغلام فلما حضر غداؤهم وجي بالشواء فاذا شاة مشوية فاكلوا
منها فقالوا ما راينا شواء اجود ولا ارخص لحما ولا احسن منه
فقال انمار صدقتم لولا انه غذي بلبن كلبة ثم جاءهم بالشراب فلما
شربوا قالوا ما راينا خمرا ارق ولا اعذب ولا اصفى ولا اطيب
رائحة منه فقال ربيعة صدقتم لولا ان كرمها نبت على قبر ثم
قالوا ما راينا منزلا نزلنا به اكرم قرى ولا اخصب رحلا من هذا
الملك قال مضر صدقتم لولا انه لغير ابيه فذهب الغلام الى الافعى
فاخبره بما كان منهم فدخل الافعى على امه فقال اقسمت عليك الا اخبرتيني
من انا ومن ابي قالت يا بني ومن دعاك الى هذا انت ابن الافعى الملك
الاكبر قال حقا لتصدقيني فلما الح عليها قالت اي بني ان الافعى

التي تدعى لها كان شيخا قد اتلف فخشيت ان يخرج هذا الملك عنا
اهل البيت وكان قدم علينا شاب من ابناء الملوك فدعوته الى نفسي
فاباني فعلقت بكم منه ثم بعث اليه ان فقال الخبر عن الشهر الذي
يتقدم الى هؤلاء القوم ما خطبه قال انا الخبرنا بذريته فهذه بعثت
اليه يسوق فاخبرك انهم يجتمعوا على عظام نخر ينكر من ذلك
الكلف واذا النخل قد عملت في جهد وذلك المعظام فانو العمل
لم يرشد وقط فقدمته اليهم لجودته ثم بعث الى صاحب الثلاثة مائة
الشاة التي سويتها للولاة القوم قال اني بعثت الى الراعي ان
ابعث الي باسمن شيء عندك فبعث الي بها فسألته عنها فبعث
الي الراعي ان اعلمني خبرها فقال انها اول ما ولدت من غنمي عام
اول فماتت امها وبقيت وكانت كلبة لي قد وضعت فانست السخلة
الى الكلبة فكانت ترضع من الكلبة مع جرائها فلم اجد في غنمي شبهها
فبعثت بها اليك ثم بعث الى صاحب الشراب فقال ما هذه الخمر
التي سقيت هؤلاء القوم قال من حبة كرم غرستها على قبر ابيك
فليس في العرب مثل شرابها فقال الافعي ما هؤلاء الا شياطين ثم حضرهم
فقال ما خطبكم فقصوا عليه قصتهم فقال ما اياد فجعل الخيل
حاد ما سمطا وما لبث بها مات له فقال لهم ما ترك ركنا بشائي لك
ورعاتها مع الخادم فقال انما اراد ان الجعل الجيد وبجلسه وما لبثه
من ماله قال فلك ما ترك من الورق والرقة والحرث والارض فقال لربيعة
ان الجعل الجيد اسود وما لبثه منه قال لربيعة ترك خيلا
دهما وسلاحا فهي لك وفيها ما عبد فسمي ربيعة الفرس فقال لمضر ان
الذي جعل الجعل قبة حمراء من ادم وما لبثه مثل ما لكم ترك ابلا
حمرا فهي لك وما لبثه مما ترك من الابل والقبة الحمراء والذهب
فسمي مضر الحمراء فكانوا مع ذلك في اخوالهم جرهم على احسن حال سنة فهلكت
الشاء وعامة الابل وبقيت الخيل فكان ربيعة يغزو عليها ويغير على اخوته
ودنيت لما كان لا انمار من شيء في تلك السنين ثم عاود الناس الخصب والغيث
فرجعت الابل ودبابات التي انتفع وسبيت فتناسلت وكثرت وقال
مضر بابن اخوته فبينما هم كذلك قد عدم الرعاء بابلهم فعشوا لهم ليلا
وعشوا رعاتهم فقام مضر يوصي الرعاء في انمار رعاها يسوقه في ظلمة الليل
وهو لا يبصر فاذا تردع عين مضر فنفقاها وصاح مضر عيني عيني وتشاغل به
اخوته وركب انمار بعيرا من كرائم ابله فلحق بدبار اليمن فكان بن عقبه
ما ذكرنا من الشارع فيولاه فلدار الاربعة اليمن رجع سارع له ترار
على حسب وقعتنا التي مضر الحمراء لما ذكرنا من امر القبة وبذلك يفتخر مضر في

كلاهما

كلاهما من المشهور والمنظوم وربيعة الفرس الفشوم الفروسية
والشجاعة والنجدة والعزو وشن الغارات لما ذكرنا من امر الفرس
واياد قد ذكرنا الحق عقبه وبينا الخلاف في تفرع نسله وما قاله
النسابون في عقبه وكل هؤلاء من اعقب اخبار كثيرة يطول
شرحها من ذكر حلولها من الديار وتشعب انسابهم ومسكنهم
وقد اتى الناس على ذكرها وقد قدمنا فيما سلف من كتبنا البسيط من
مبسوطها اغنانا ذكره عن اعادتها في هذا الكتاب فلنذكر الان
الغرض من هذا الباب الذي ترجمه والبربر يسنب في سكنى حد البدو
من العرب وغيرها من الامم المتوحشة كالترك والكرد والبجه والبربر
ومما يبطن المرادي وقطن الجبال والعلة الموجبة لذلك من فعلهم
بتباين الناس في السبب الموجب لما ذكرنا فذهب كثير من الناس الى ان
الجيل الاول ممن سكن الارض من ملوك حين ان لم يزل اسم لهم
بناء ولا شيد ولا امد له وكان سكانهم فيما امرهم الاكواخ والمظال
ثم ان نفرا منهم اخذوا في ابتناء المساكن وخلف من بعدهم خلف
فابتنوا الابنية وتبسروا على بحيتها الاولى من البيوت
والاطلال ينتجعون الاماكن المرتفعة والخصبة ويتنقلون عنها
اذا اجدبت فصعب هذه الطائفة على بحيح الاقدمين وذكرت
طائفة ان اول ذلك ان الناس لما انقضب عنهم الطوفان الذي
اهلك اهل الارض في زمن نوح توقف بحيا في طلب البقاع الخصبة
المتخيرة والنوم من افرد بافتتاح الارض وحلول البيداء واستوطن
اخرون بقاع الخيرة وهم ممن ابتنى اقليم بابل من النبط ومن
حلها من ولد حام بن نوح مع نمرود بن كنعان بن سنجاريب بن
نمرود الاول بن كوش بن حام بن نوح وذلك حين ملك على اقليم
بابل من قبل الضحاك وهو بيوراسف ولمن حل بلاد مصر من
ولد حام على حسب ما ذكرنا في باب مصر واخبارها في هذا الكتاب
ولمن حل الشام من الكنعانيين ومن حل بوادي البربر وهم هوارة
وزناتة وضريسة ومغيلة وبجوحة ونفوسة وكتامة ولواتة
ومزانة ونفوسة ولمطة ومزيد ومصمودة وغمارة وفالة
وورايه وزناقة وانسه وبني سيجوب وانكنه ومن
بني زناته واكلان وبني يصد رات وبني درجين وبني مغنوس
وصنهاجة ومن سكن من انواع الحايش وغيرهم العابة
المعروفة بغابة الغابر ثم بني نوي ثم غوي والعزونه وبلهوم
ومن سكن غير الغابة والنجع في هذه البلاد من العرب وقد ذكرنا

علي الوزير اصلح
ما ذكره وفيها

ان ارض البربر خاصة كانت ارضا من بلاد الشام وان ملكهم كان جالوت فلم يتملك عليهم بعده ملك ومن الاسم سمي بلسانهم حلوكهم الى ان قتل
النبي داود عليه السلام ملكهم جالوت وانهم اسموا الى ديار المغرب الى موضع يعرف بارينيه ومراقية فانتشروا اهالك فنزل منهم زناتة ومغيلة
وضريسة الجبال وملكت الديار وتبطنوا الاودية ونزلت هوارة ولواتة ارض برقة ونزلت بلاد ايابس وهي بلاد طرابلس المغرب الى الشقوب مدائن وقد
كانت ملك الديار للافرنجة والروم فانجلوا عن البربر ووطنوا ارضهم الى جزائر البحار الرومي فسكن الاكثر منهم جزيرة صقلية ونزلت البربر

على الوزير ... رضوانا لما ذكر صاحب الكتاب
والملك حلاقا للعهر في حكاية العرب

المجموشدة الانقد والجميد من المجرح والهرب من العار بدأت بالتغلب في
المنازل والتقدير للمواطن فتأملوا اتقان المدن والابنيه
فوجدوا معرة ونقصا وقال ذووا المعرفة والتفسير منهم ان الارضين
تمرض كما تمرض الاجسام وتلحقها الافات والواجب تخير المواضع
بحسب احوالها في اصلاح الهواء ربما قوي فاضر باجسام
سكانها واحال امزجة قطانها وقال ذووا الفهم والاراء
منهم ان الابنية والحوط حصر عن التصرف في الارض ومقطعة
عن الجولان وتقييد للهمم وحبس لما في الغرائز والمسافرة الى
الشرف ولا خير في اللبث على هذه الحال مع حصول ايصال
الاظلال والابنية تحصر الغذاء وتمنع انفساح الهواء وتصد
من جد عن المجد وقد ادمن الملوك ما سلكوا البراري وفيها الذي
لا يخافون فيه من حصر الهواء ولا منازل لهم غير هذا مع ادمان
الاقذا وسماحة الهواء وعدم الوباء ومع تهذيب الاحلام في
هذه المواطن ونقاء القرائح في التنقل في المساكن مع صحة الامزجة
وقوة الفطن وصفاء الالوان ومتانة الاجسام فان الفصول والاكلاء
تتولد من حيث تولد الهواء وطيب الفضاء وفي هذا الامراض
العاهات والاسقام والعلل والافات فاثرت العرب سكنى
البوادي والحلول في البيداء فهم اقوى الناس هيما واشدهم احلاما
واصحهم اجساما واعزهم جارا واحماهم ذمارا وافصحهم
جوارا واجودهم فطنا لما اكسبهم اياه صفاء الجو ونقاء الفضا
لان المدن تحوي اجزاء على متكاثف الاكدار وغثاء الاقذا
لما يرفع اليه ويتلاطم في عرصاته وافتقر جميع المستحيلات
والمستنقعات من المياه ففي اكنافه متصعد اليه ولذلك
تراكب الاقذاء في اهل المدن تركب في اجسامهم وتضاعفت
في اشعارهم وابشارهم ففضلت العرب على سائر من علم اهتمامها
بوادي الامم المتفرقة لما ذكرنا من تخيرها الاماكن وارتيادها المواطن
قال المسعودي ولذلك جاء بنوا الاكراد وسكان
الجبال من الاجيال الجامدة وغيرهم الذين سكنتهم حزن الارض
ودلجها وذكر من الامم السالفة مثل الجبال والاودية لتناسب
اخلاقها وسكانها في انخفاضها وارتفاعها لعدم استقامة
الاعتدال في ارضها فلذلك اخلاق قطانها على الامر على البدن
الجفا والغلظ وذكر الهيثم بن عدي والشرقي بن القطامي وغيرهما
من الاخباريين انه وفد على كسرى النعمان ولده بعض خطبا العرب

فسال

فسأل كسرى عن شأن العرب وسكناهم البر واختيارهم البدو فقال
ايها الملك ملكوا الارض ولم تملكهم وامنوا من التحصين بالاسوار
واعتمدوا على المرهفات البارزة والرماح الشارعة جننا وحصونا
فمن ملك من قطر الارض فكانها كلها لهم يردون منها خيارها ويقصد
الطفها قال فاين حظوظهم من الارض قال تحت الفرقدين وبين الجدي
وشعبه الجدي مشرقين في البر حسب ذلك لرفاهيتهم قال كرضا
النجا بالليل والصبح عند انقلاب الشمس فاين الرياح قال الربح
فاذا انخفت ولحقه منها فهي نكباء وما بين سهيل الحارقة
الفجر جنوب وما بازائها مما يستقبلها من الغرب شمال وما جاء
من وراء الكعبة دبور وما جاء من قبل ذلك فهي صبا قال فما اكثر
اغذيتهم قال اللحم واللبن والنبيذ والتمر قال فما خلائقهم قال
العز والشرف والكرم وقرى الضيف واذمام الجار واجارة الجناة
واداء الحمالات وبذل المهج في المكرمات وهم سراة الليل واسد
الغيل وعمار البراري القفر الفوها القناعة وسبقوا الضراعة
لهم الاخذ بالثار والانفة من العار والحماية للذمار فقال كسرى
لقد وصفت عن هذا الجيل كرما ونبلا وما اولانا بالنجاح واولاه
فيهم فخر من العرب في البر والاهم مسالي ومنها مصايف
منهم المنجد والمتهم فالمنجد هم الذين سكنوا ارض نجد
والمتهم هم الذين سكنوا ارض تهامة ومنهم من سكن اغوار الارض
كغور بيسان وغيره من ارض الشام من بلاد فلسطين والاردن
وممن سكنه لخم وجذام وجميع العرب مياه يستون عليها ويخيمون
وقطع مكلية يرعون اليها كالدهناء والسماوة والتهايم والحا
الارض والبقاع والقيعان والى دولستة تكاد ترى قبيلا
من العرب يرحل عن الاماكن المعروفة لهم والمياه المشهورة بهم كحماء
ضارج وماء العقيق والهباة وما اشبه ذلك من المياه فاما
اجناس الاكراد وانواعهم فقد تنازع الناس في بدئهم فمنهم
من راى انهم من ربيعة بن نزار بن بكر بن وائل انفردوا في قديم الزمان
وانضافوا الى الجبال والاودية لاحوال دعتهم الى ذلك فجاوروا
من هنالك من الامم الساكنة المدن من الاعاجم والفرس فحالوا عن
لسانهم وصارت لغتهم العجمية ولكل نوع من الاكراد دولة
لغة بالكردية ومن الناس من رأى انهم انفردوا في قديم الزمان
لوقائع كانت ودماء كانت بينهم وبين غسان ومنهم من رأى انهم
من ربيعة ومضر اعتصموا بالجبال طلبا للمياه والمراعي فحالوا عن

فتوحشوا وتناسلوا في تلك الجبال فهم بدو الاكراد وهولاء من نسلهم
وتشعبوا افخاذا وما ذكرناه من خبر الضحاك والفرس لا ينكره اصحاب
التواريخ القديمة ولا الحديثة وللفرس في اخبار الضحاك مع
ابليس اخبار عجيبة هي موجودة في كتبهم وتزعم الفرس ان
طهمورث المقدم ذكره في ملوك الفرس الاولى وهو نوح النبي
عليه السلام وتفسيره درفش بالفارسية الفهلوية الاولى
الراية والمطرد والعلم فاما الترك واجناسها فقد قدمنا
كثيرا من اخبارها وقد غلط قوم فزعموا ان الترك من ولد طوج
ابن افريدون وهذا غلط بين لان طوج ولاه افريدون على
الترك وسلم على الروم والمغرب فكيف يولد عليهم وهم من
ولده وما ذكرنا يدل على ان الترك غير ولد طوج بن افريدون
بل لطوج في الترك عقب مشهور على حسب ما ذكرنا على ان بعض
التبابعة تركهم هناك وما قلنا في الاكراد فالاشهر عند
الناس والاصح في انسابهم انهم من ولد ربيعة بن نزار فاما نوع من
الاكراد وهي الشوهجان ببلاد ماه الكوفة والبصرة وهي
ارض الدينور وهمذان فلا تناكر انهم من ربيعة بن نزار بن
معد وما ذكرنا من الكيكان ببلاد اذربيجان والملقبانيه
والشراهوه من حوز بلاد الجبال من الشاذنجان واللوبه والمادنكان
والماذنجان والبارسنان والخالية والجلالية والجاوانيه
والمستكان ومن بالشام من الدنابلة وغيرهم فالاشهر انهم من
مضر بن نزار ومنهم اليعقوبية والجورقان وهم نصارى
وبلادهم مما يلي بلاد الموصل وجبل الجودي وفي الاكراد من راى
راي الخوارج والبراءة من عثمان وعلي رضي الله عنهما وقد حملت
اخبار نوادر العالم وقد اعضلوا ذكر الغور والخلج وهم
انواع من الترك مما يلي بلاد الرخج وبعين وبست وسطح مما يلي
بلاد غسان وكذلك من بلاد الوان من العفص والتلوخ والحب
واما ايام العرب ووقايعها وحروبها فقد
ذكرنا فيما سلف من كتبنا ما كان منها في الجاهلية والاسلام كيوم
الهباه وحرب عبس وغطفان وما كان من عبس وسائر العرب
من فزارة والنمر وحرب داحس والغبراء وحرب بكر وتغلب وهي
حرب البسوس ويوم الكلاب ويوم خزاز ومقتل شاس بن زهير
ويوم ذي قار وحرب الاوس والخزرج وما كان بين غسان وعك وسنذكر
بعد هذا الباب جملا من اخبار العرب الدائرة وغيرها وتفرقها في البلاد وذكر جملة

ارائها

ارائها ودياناتها في الجاهلية وما ذهبت اليه في الغيلان والهواتف
والقيافة والعيافة والكهانة والسوانح والبوارح والهام وغير ذلك
ورسمها لتشاكله

ذكر ديانات العرب وارائها في الجاهلية وتفرقها في البلاد وخبر اصحاب الفيل وعبد المطلب وغير ذلك مما لحق بهذا الباب

قال المسعودي كانت العرب في جاهليتها فرقا منهم الموحد
المقر بخالقه المصدق بالبعث والنشور موقن بان الله يثيب المطيع
ويعاقب العاصي وقد ذكرنا في ما سلف من هذا الكتاب وغيره من كتبنا من دعا
الى الله عز وجل ونبه على اياته في الفترة كقس بن ساعدة ورئاب الشني
وبحيرا الراهب وكان من عبد القيس وكان من العرب من اقر بالخالق
وابتدا خلق العالم واقر بالبعث والاعادة وانكر الرسل وعكف
على عبادة الاصنام وهم الذين حكى الله عز وجل قولهم ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى الاية ومن هذا الصنف هم الذين حجوا الى الاصنام
وقصدوها ونحروا لها البدن ونسكوا لها المناسك واحلوا لها وحرموا
ومنهم من اقر بالخالق والبدو وكذب بالرسل وبالبعث ومال الى
قول اهل الدهر وهولاء الذين اخبر الله تعالى عن الحادهم وصرح بمجرد
كفرهم بقوله تعالى وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا
الدهر فرد الله عليهم بقوله وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون
ومنهم من مال الى اليهودية والنصرانية ومنهم المار على عنجهيته
الراكب وقد كان صنف من العرب يعبدون الملائكة ويزعمون
انها بنات الله فكانوا يعبدونها لتشفع لهم الى الله سبحانه وهم
الذين اخبر الله عنهم بقوله سبحانه ويجعلون لله البنات سبحانه
ولهم ما يشتهون وقوله افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى
الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى فممن كان مقرا بالتوحيد
مثبتا للوعيد تاركا للتقليد عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف
وقد كان حفر بير زمزم وكانت مطوية وذلك في ملك كسرى بن قباد
فاستخرج منها غزالين من ذهب وعليهما الدر والجوهر وغير ذلك من الحلي
وسبعة اسياف قلعية وخمسة ادرع سوابغ فضرب من الاسياف
بابا للكعبة وجعل احد الغزالين صفايح من ذهب على الباب وجعل الاخر
في الكعبة وكان عبد المطلب اول من اقام الرفادة والسقاية للحاج وكان
اول من سقى الماء بمكة عذبا وجعل باب الكعبة ذهبا وقد كان نذر
ان رزقه الله عشرة ذكور ان يقرب احدهم لله فكان امرهم حتى رزقه
الله اياهم ان قرب احدهم اليه وهو عبد الله ابو النبي صلى الله

عليه وسلم فضرب القداح عليه حتى افدي بمائتين من الابل في خبر
طويل وقد كان ابرهة حين صار بالحبشة ودنا انصاب الحرم
ونزل بالموضع المعروف بحب المحصب فاتي بعبد المطلب واخبر
انه سيد مكة فعظمه وهابه لاستدارة نور النبي صلى الله
عليه وسلم في جبهته وقال له سلني يا عبد المطلب فابى ان
يسأله الا ابلا له فامر بردها عليه وقال له الا تسألني الرجوع قال
له انا رب هذه الابل وللبيت رب سيمنعه وانصرف عبد المطلب
وهو يقول

يا رب ان المرء يمنع رحله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك

فارسل الله عليهم الطير الابابيل امثال اليعاسيب ترميهم
بحجارة من سجيل وهو طين خلط بحجارة خرجت من البحر مع كل
طير ثلاثة احجار فاهلكهم الله وقد ذكرنا خبر ابي رغال مما سلف من هذا
الكتاب حين دلهم وهلاكه في الطريق وجعلت الحبشة توصي بسل
عن نفيل بن حبيب الخثعمي دليلها على الرجوع ونفيل يسمع كلام
الحبشة وسوالها عنه وقد رتاع لما عمهم من البلاء وانفرد عن جملتهم
يوم الخلاص وقد باهى بنحو ذلك يقول نفيل كلمته التي اولها

الا ردي جمالك يا ردينا نعمناكم مع الاصباح عينا
فانك لو رأيت ولم تريه لدى جنب المحصب ما رأينا
حمدت الله اذ عاينت طيرا وحصب حجارة تلقى علينا
وكل القوم يسأل عن نفيل كان علي للحبشان دينا

وقد ذكرنا ما كان منه وهلاك حميرهم فيما سلف من هذا الكتاب
فلما صرفهم الله عن الكعبة انشا عبد المطلب يقول

ايها الداعي لقد اسمعتني ثم ما بي عن نداكم من صمم
ان للبيت لربا مانعا من يرده باثام يصطلم
رامه تبع فيمن جندت حمير والحي من آل قدم
فانثنى عنه وفي اوداجه خارج امسك منه بالكظم
قلت والاشرم ردت خيله ان ذا الاشرم غر بالحرم
نحن آل الله فيما قد مضى لم يزل فينا على عهد ابرهم
نحن دمرنا ثمودا عنوة ثم عادا قبلها ذات الارم
لم يزل لله فينا حجة يدفع الله بها عنا النقم

قال المسعودي قد استدل قوم ممن ذهب الى الغلو في بعض
المذاهب والخروج عما اوجبته قضية العقل وضرورات الحواس

بهذا الشعر

بهذا الشعر وقول عبد المطلب فيما كان منه في قديم الزمان
وايدوا ذلك بشعر العباس في مدحه النبي صلى الله عليه وسلم
لقدومه عليه منصرفه من تبوك فانه قال سمعت العباس يقول يا رسول
الله اني اريد ان امتدحك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل لا
يفضض الله فاك فانشا يقول

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر انت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد الجم نسرا واهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم اذا مضى عالم بدا طبق
وانت لما ولدت اشرقت الارض واضاءت بنورك الافق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق

قالوا وهذه الاخبار قد ذكرها اصحاب السير والاثار والمغازي
ونقلوا هذا المديح من قول العباس وما كان من سرور النبي صلى الله
عليه وسلم بذلك واستبشاره فجعلت هذه الطائفة من الغلاة
اذا ما ذكرنا من الشعر بين دلالة في نحو ما ادعوه وتعلقوا الى
شبه بعيدة استخرجوها يمنع منها ما تقدم من الحجاج وادلة
العقول وموجبات الفحص وقد ذكر جماعة من مصنفي كتبهم ومن
حذاق مميزيهم من فرق المحمدية والعليائية وغيرهم من فرق
الغلاة منهم اسحق بن محمد النخعي المعروف في كتابه المعروف
بكتاب الصراط وقد ذكر ذلك الفياض بن علي بن محمد بن الفياض
في كتابه المعروف بالقسطاس في نقضه لكتاب الصراط هؤلاء
المحمدية نقضت هذا الكتاب وهو على مذهب العليائية وقد
اتينا على ذكر هؤلاء المحمدية والعليائية والمغيرية والنهرية وسائر
فرق الغلاة واصحاب التفويض والوسائط واستقصينا
النقض عليهم وعلى سائر من ذهب الى القول بتناسخ الارواح
في انواع اشكال سائر الحيوان ممن ادعى الاسلام وغيرهم ممن سلف
من اليونانيين والهند والسوبرية واليهود والمجوس والنصارى
وذكرنا قول احمد بن حائط وابن نادوس وجعفر القصبي الى محمد بن يحيى
وقسنا هذا ممن تقدم وباخر الحمد الى الوقت وهو سنة اثنتين وثلثين
وثلثمائة ممن احدث قولا لم يرتبه على ما سلف من اصولهم وابدا
شبها ابدعها ما تقدم من مذاهبهم مثل حامد بن منصور الحلاج
واصحاب ابي يعقوب المزابلي واصحاب المربعين وتابعيهم
وفارقهم في اصولهم مثل ابي جعفر محمد بن علي الشلمغاني المعروف

بائن إلى العراد وغيرهم ممن أنكر الجسم وذكرنا الفرق بينهم وبين غيرهم
من أصحاب الدور في هذا الوقت ممن راعى وقت الظهور وأصحاب
في الليل والنهار إذ هؤلاء قد أبوا القول في التناسخ والأرواح تنتقل
في شتى من أجسام الحيوان ولجأوا على القديم عز وجل أن يحيط علمه بشيء مما
ذكرنا من بعد من قبل رجع إلى ما كنا فيه آنفا ولم نتغلغل الكلام بنا عنه
من ذكر عبد المطلب كان مشركا وغيره من آباء النبي صلى الله عليه وسلم
وأنه نقل في الفلوس الطاهرة وأنه أخبر أنه ولد من نكاح لا سفاح
ومنهم من رأى أن عبد المطلب كان مشركا وغيره من آباء النبي صلى الله
عليه وسلم إلا من صح إيمانه وهذا موضع فيه تنازع بين الإمامية والمعتزلة
والخوارج والمرجئة وغيرهم من الفرق في النص والاختيار وليس
كتابنا هذا موضع للحجاج فأذكر حجاج كل فرقة منهم وقد أتينا على قول
كل فريق منهم وما أيد به قوله في كتابنا في المقالات في أصول الديانات
وفي كتاب الاستبصار ووصف أقاويل الناس في الإمامة وفي كتاب
الصفوة وكان عبد المطلب يوصي ولده بصلة الأرحام وإطعام
الطعام ويرغبهم ويرهبهم فعل من راعى في المتعقب معادا وبعثا
ونشورا وجعل السقاية والرفادة إلى ابنه عبد مناف وهو أبو طالب لب
ووصاه بالنبي صلى الله عليه وسلم وقد تنوزع في اسم أبي طالب
فمنهم من رأى أن اسمه عبد مناف على ما ذكرنا ومنهم من رأى أن اسمه
كنيته وأن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كتب في كتاب النبي صلى الله
عليه وسلم لليهود من خيبر بإملاء النبي صلى الله عليه وسلم وكتب علي بن أبي طالب
وقد ذكر عبد المطلب في رجز له وصيته بالنبي صلى الله عليه وسلم
إلى أبي طالب فقال

أوصيت من كنيته بطالب ... بابن الذي غاب وليس آيب

وقد كان أكثر العرب ممن نأى ودثر يقر بالصانع ويستدل على
الخالق وقد كان في ملوك اليمن وذي لوس من حام بن نوح
هيجان الرياح التي بعثت من صرح النمرود في إقليم بابل في أرض العراق
فبات الناس ولسانهم سرياني وأصبحوا وقد تفرقت لغاتهم على اثنين
وسبعين لسانا فسمي الموضع في ذلك الوقت بابل من ذلك فكان في ولد سام
ابن نوح تسعة عشر لسانا وفي ولد حام بن نوح ستة عشر لسانا
وفي ولد يافث بن نوح سبعة وثلاثون لسانا على حسب ما ذكرنا
في صدر هذا الكتاب وكان من تكلم بالعربية يعرب بن قحطان
وعاد وعبيل وجديس وجرهم وثمود وعملاق ووبار وعبد ضخم
فسار يعرب بن قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح

بلغ

ممن تبعه من ولده وغيرهم وهو يقول

أنا ابن قحطان الهمام الأفضل ... يا قوم سيروا في الرعيل الأول
أنا الذي باللسان المسهل ... المنطق الأسنى غير المشكل
نحو يمين الله في تمهل

فحل باليمن على ما وصفنا في هذا الكتاب آنفا وسار بعده عاد بن عوص
ابن إرم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه فحل الأحقاف بين بلاد عمان
وحضرموت واليمن وتفرق هؤلاء في الأرض فانتشر منهم أناس كثير
منهم جيرون بن سعد بن عاد فحل بدمشق فمصرها وجمع عمد الرخام م
والمرمر إليها وشيد بنيانها وسماها إرم ذات العماد وقد روي
غير هذا أن الأخبار في إرم ذات العماد غير هذا وهذا الموضع بدمشق
في هذا الوقت وهو سوق من أسواقها بباب
المسجد الجامع يعرف بجيرون وهو بنيان عظيم كان قصر
هذا الملك عليه أبواب من النحاس عجيبة بعضها على ما كانت عليه في العصر
على المسجد الجامع وقد ذكرنا فيما سلف خبر نبي الله هود وسار
بعد عاد بن عوص ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه
فنزلوا الحجر إلى قرح وقد ذكرناهم فيما سلف من هذا الكتاب وحال
بينهم صالح وأنهم نحوا وادي القرى بين الشام والحجاز وسار بعد
ثمود جديس بن عابر بن إرم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه وقد
قلنا فيما سلف أن هؤلاء نزلوا اليمامة وسار بعد جديس بن عملاق
ابن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه وهو يقول

لما رأيت الناس في تبلبل ... وسار هذا واللسان الأطول
فسر طرا بالسوام المهمل ... نحو يمين اليمن في تمهل

فنزل هؤلاء أكناف الحرم والتهائم ومنهم من سار إلى بلاد مصر
والمغرب وقد ذكر أن هؤلاء بعض فراعنة مصر وقد ذكرنا قول من ألحق
العماليق وغيرهم ممن ذكرنا بعيص بن إسحق بن إبراهيم الخليل عليه السلام
وزعم أنهم من ولد العيص على حسب ما ذكرنا فيما تقدم وقد كان للعماليق لبق
ملوك كثيرة سكنت في مواضع من الأرض بالشام وغيرهم وقد أتينا
على أخبارهم وذكر ما كان من حروبهم في كتابنا في أخبار الزمان
وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب قصة يوشع بن نون مع ملك العماليق
ببلاد أيلة وهو السميدع بن هوبر وكان من بقي من العماليق انضافوا إلى
ملوك فملكتهم الروم على مشارق الشام والعمد والجزيرة من ثغور
الروم فيما بينهم وبين فارس فممن ملك العماليق أذينة بن السميدع ع
الذي يذكره الأعشى في شعره

ازال اذينة عن ملكه • واخرج عن اهله ذا يزن •

وقد كان ملك بعد العماليق حسان بن اذينة بن طرب
بن حسان وكان يعرف بامنه بونا وقد كان بينه وبين جذيمة
الابرش الازدي لبوبا حروب كثيرة فقتله جذيمة على
ماذ تريا وكان من قبل الزبا بجذيمة ثم سار طسم بن لاوذ
ابن ارم بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح بعد عملاق بن
ابن لاوذ بولده ومن اتبعه فنزل البحرين وقد كان جميع
من ذكرنا انتشروا في ساير الارض على حسب ما ذكرنا ومنازلهم
منها وكثرت جديس وملكت عليها الاسود بن عفار وكثرت طسم
فملكت عليها عملاق بن جديس وقد ذكر عبيد بن شرية الجرهمي همي
حين وفد على معوية ان طسم بن نوح بن عامر بن ارم بن سام بن
نوح هم العاربة وكان منزلهم جميعا باليمامة واسمها اذ ذاك
جو وكان في طسم ملك يقال له عملوق وكان ظلوما غشوما
لا ينهاه شي عن هواه مع امره واقدامه على جديس وتعديه
عليهم وقهره اياهم فلبثوا في ذلك دهرا طويلا وهم اهل
بطالة قد غمطوا النعمة وانهم لوا الحم مع بلادهم افضل البلاد د
واكثرها خيرا فيها صنوف الثمر والاعناب وهي حدايق ملتفة
وقصور مصطفة فلم يزل على ذلك حتى اتته امراة من جديس يقال لها
هزيلة بنت مازن وزوجها قد فارقها يقال له ماشن
فاراد قبض ولده منها فابت عليه فادفعا الى الملك عملوق
ليحكم بينهما فقالت له المراة ايها الملك هذا الذي حملته تسعا
وقد وضعته دفعا وارضعته شفعا ولم انل منه نفعا
حتى اذا تمت اوصاله واستوفى خصاله اراد ان ياخذه قسرا
ويسلبنيه قهرا وتركني منه صفرا فقال زوجها قد اخذت
المهر كاملا ولم انل منها طايلا الا ولدا خاملا فافعل ما كنت
فاعلا فامر الملك ان يقبض منهما فيجعل في غلمانه فقالت هزيلة

اتينا اخا طسم ليحكم بيننا • فانفذ حكما في هزيلة ظالما •
لعمري لقد حكمت لا متورعا • ولا فهما عند الحكومة عالما •
ندمت فلم اقدر على متزحزح • واصبح زوجي جاير الراي نادما •

فبلغ الملك عملوق قول هزيلة فغضب وامر ان لا تزوج
امراة من جديس وتزف الى زوجها الا بعد ان يحمل اليه فيفترعها
قبل زوجها فلقوا من ذلك ذلا طويلا فلم يزل تلك حالهم حتى
زوجت عفيرة وقيل الشموس بنت عفار الجديسية اخت الاسود بن عفار

فلما كان ليلة اهدايها الى زوجها انطلقوا بها الى عملوق والجديسي
ليطاها على عادته ومعها امراتان تغنيان وتقلن في غنايهن

ابدي بعملوق وقومي فاركبي • وبادري الصبح لامر معجب •
فما لبكر بعده من مذهب •

فلما دخلت عفيرة على عملوق افترعها وخلى سبيلها فخرجت
عفيرة على قومها في دمايها شاقة جيبها عن قبلها ومن دبرها
وهي تقول

لا احد اذل من جديس • اهكذا يفعل بالعروس •

وقالت ايضا تحرض قومها على طسم وابت ان تمضي
الى زوجها في دمايها

ايصلح ما يوتى الى فتياتكم • وانتم رجال فيكم عدد النمل •
وتصبح تمشي في الدما فتاتكم • صبيحة زفت في النسا الى البعل •
فان انتم لم تغضبوا بعد هذه • فكونوا نساء لا تغبن من الكحل •
فدونكم طيب العروس فانما • خلقتم لاثواب العروس وللغسل •
فقبحا وسحقا للذي ليس دافعا • ويختال يمشي بيننا مشية الفحل •
فلو اننا كنا رجالا وانتم • نساء فانا لا نقر على الذل •
فموتوا كراما واصبروا لعدوكم • بحرب تلظى بالضرام من الجزل •
ولا تجزعوا للحرب يا قوم انما • يقوم باقوام كرام على رجل •
فيهلك فيها كل نكس مواكل • ويسلم فيها ذو النجابة والفضل •

قال فلما سمعت بذلك وغيره من اقوالها غضبت لذلك مليح
فقال لهم الاسود بن عفار وكان فيهم سيدا مطاعا يا جديس
اطيعوني فيما امركم به وادعوكم اليه ففيه عز الدهر وذهاب
الذل قالوا وما ذاك قال انكم قد علمتم ان هولا يعني طسم
ليسوا باعز منكم ولكن ملك صاحبهم عليكم وعليهم
هو الذي يدعونا اليه بالطاعة ولولا ذلك ما كان له علينا
من فضل ولو امتنعنا منه لكان لنا النصف فقالوا قد علمنا
ذلك ولكن القوم احوا منا واكثر عددا منا وعدة فنخاف
ان ظفروا بنا ان لا يستبقونا فقال لهم والله يا جديس لتطيعني
فيما امركم به وادعوكم اليه او لاتكين على سيفي واقتل نفسي
قالوا فانا نطيعك فيما تدعونا اليه قال فاني صانع لعملوق
وقومه من طسم طعاما وادعوهم اليه فاذا جاوا متفضلين
في الحلل والنعال نهضنا اليهم باسيافنا فانفردنا بالملك
ويفرد كل رجل منا برجل منهم وكل له فافعل ما بدا لك

واجتمع رايهم فقالت عفيرة اخيها الاسود لا تفعل هذا
فان الغدر ذلة وعار ولكن كاثروا القوم في ديارهم تظفروا او تموتوا
كراما قال لا ولكن نغلبهم بحيلة فلو ذكرنا امثل لنا من نواصيهم وابلغ
في الانتقام منهم فقالت عفيرة في ذلك اشعارا كثيرة قد ذكرناها
فيما سلف من كتبنا ثم ان الاسود صنع طعاما كثيرا وامر قومه
فاخترطوا سيوفهم ودفنوها في الرمل حيث تعدوا الطعام
ثم قال لهم اذا اتاكم القوم يرفلون في حللهم فخذوا اسيافكم
ثم شدوا عليهم قبل ان ياخذوا مجالسهم وابدوا بالرؤسا
فانكم اذا قتلتموهم لم تبالوا بالسفلة ولم تلبث منهم بعد
ذلك حالكم هو لهاف لو انفعل ذلك ثم دعا الاسود عملوق
الطسمي ومن معه من رؤساء طسم باليمامة فاسرعوا اجابة دعوة الاسود
فلما توافوا الى المدعاة وثبت جديس فاستثاروا سيوفهم
من الرمل وشدوا على عملوق واصحابه فقتلوهم حتى افنوهم
على اخرهم ومضوا الى ديارهم فنهبوها وقال الاسود بن غفار في
ذلك اشعارا يرثي بها طسم ويذكر بغيها وعمل عملوق والحميد بطول
ذكرها في الكتاب وقد تقدمت فيما سلف من كتبنا قال وهرب
رجل من طسم اسمه رياح بن مرة الطسمي فاتى الى حسان بن تبع فاستغاث
به وقد كان عمد الى جريدة من النخل رطبة فجعل عليها الطين
وحملها معه وخرج ومعه كلبه فلما ورد على حسان كسر رجل
الكلب ونزع الطين من الجريدة فخرجت خضراء ودخل على حسان
فاستغاث به واخبره بالذي صنعت جديس بقومه فقال له الملك
من اين وردت ومن اين مركبك فقال جئت ابيت اللعن من ارض قريبة
ويومك انه ما افنيهم من لحد انا رياح بن مرة الطسمي
دعتنا جديس الى طعامهم فاجبناهم متفضلين في الحلل وقد
اعدوا لنا السلاح عند جفانهم فلما دنونا لطعامهم حتى مرنا
حطاما بالاطلب دم ولا ثار يقدمت فدونك ابيت اللعن
قوما قطعوا ارحامنا وسفكوا دماءنا فقال الملك حسان انعتك
خرجت من الجريدة وهذا الكلب قال نعم فقال له الملك
لئن كنت صادقا لقد خرجت من ارض قريبة ووعده النصرة
ثم نادى حسان بالمسير واعلمهم ما صنع بطسم فقالوا ابيت نفعل
ذلك ابيت اللعن فانهم عبيدهم فقالوا له الناس ذكر من ارب
هم اخواننا فلا نعين بعضا على بعض وهم عبيدك ايها الملك
فقال حسان ما بهذا ابعث اذا يتم لو كان هذا فيكم كان حسنا

للمذكور ان يهدر دمائكم ولم علينا في الحكم الا ان ينصف بعضهم
من بعض فقال فرسانهم الامر امرك ابيت اللعن ثم رنا بما احببت
فامرهم بالمسير اليهم فسار بهم رياح بن مرة حتى اذا صاروا
من اليمامة على ثلث مراحل قال رياح بن مرة للملك حسان ابيت
اللعن ان لي اختا متزوجة في جديس ليس في الارض ابصر
منها ايها الملك انها لتبصر الراكب على مسيرة ثلث ليال واني انا
اخاف ان ينذر القوم بك فامر كل رجل من اصحابك بان يقلع
شجرة من الارض فيجعلها امامه ويسير فامرهم حسان بذلك
ففعلوا ثم ساروا وكانت اخت رياح يمامة بنت مرة قد نظرت
يمامة من منظرها فقالت يا جديس لقد سارت اليكم الشجر
قالوا لها وما ذاك قالت ارى اشجارا تسير وورائها شيء
والى ارى رجلا من وراء شجرة منها ينهس كتفا او يخصف
نعلا فكذبوها وكان ذلك كما ذكرت فغفلوا عن اهبة الحرب
ففي ذلك يقول اليمامة الجديس

اني ارى شجرا من خلفها بشر
فكيف تجتمع الاشجار والبشر
ثوروا باجمعكم في وجه اولهم
فان ذلك منهم فاعلموا ظفر

واقبل الملك حسان بحميره حتى اذا كان من جو على مسيرة ليلة
عباهم جيوشه ثم صبحهم فاستباح اهلها من جديس وقتلهم
فافناهم وسبا صبيانهم ونساءهم وهرب الاسود بن غفار
ملك جديس حتى نزل بديار طي فاجاروه من الملك وغيره من غير
لم يعرف ممن لم ينسله اليوم في طي بعد يوم فلما فرغ حسان
من جديس دعا باليمامة بنت مرة فكانت امراة زرقاء
فامر فنزعت عيناها فاذا في داخلهما عروق سود فسالها عن ذلك
فقالت بحجر اسود يقال له الاثمد كنت اكتحل به فاتخذه
الناس بعد ذلك وهي اول من اكتحل به وامر الملك باليمامة فصلبت
على باب جو وقال سموا جوا باليمامة فسميت بها الى اليوم

قال المسعودي ثم صار بعد طسم لاود وبار بن ارم
لاود بن ارم بن سام بن نوح ولد ومن تبعه من قومه فنزل ارض
وبار بالارض المعروفة برمل عالج فاصابهم نقمة من الله فهلكوا لما
كان من بغيهم في الارض وقد قدمنا فصلا من ذلك فيما سلف من
هذا الكتاب على جمع الاخبار من العرب ومن فيهم بذلك عن جد

المعقول والمعتاد من الامر عندهم زعمهم ان الله عز وجل حين اهلك
هذه الامة العظيمة المعروفة بوبار كما اهلك طسما وجديسا
وااميما وكانت ديار جاسم ببلاد السماوه فاهلكوا بالريح السودا ؛
الحاره وواميما كانت ديارهم بالجولان وجاسم من ارض نوال
وبلاد حوران والبثنيه وذلك بين دمشق وطبريه من ارض الشام
وعملاق وعادا وثمود اولت الجن سكنت في دياره وحمتها من
كل من اراده وقصد اليها من الانس وانها كانت اخصب بلاد الله
واكثرها شجرا واطيبها ثمرا وعنبا ونخلا وموزا وان دنا
احد من تلك البلاد غالطا او متعمدا احثت الجن في وجهه
الترب وسفت عليه سوافي الرمل واثارت عليه الزوابع
وان اراد الرجوع عنها خبلوه وتيهوه وربما قتلوه وهذا
الموضع عند كثير من اهل الحجاز باطل فاذا قيل لهم دلونا على
جهته وقعودا على حده زعموا ان من اراده الحى على قلبه
الصرف حتى كانهم بنوا اسرائيل الذين كانوا مع موسى في التيه
فصدهم الله عن الخروج ولم يجعل لهم اليه سبيلا الجن تمنعهم
من اراده واتى فيهم جملة وقد قال في ذلك شاعرهم مخبرا عما
ذكرنا من قولهم في تلك الارض المجهوله ٥
دعا جحلا لايهتدي لمقيله ، من اللوم حتى يهتدي لوبار
واقوالهم في مثل هذا كثيرة والعرب ممن سلف وخلف في
الجاهلية والاسلام يخبر عن كثير من هذه الارض كاجارم
غوادي الدوم والصمان والدهنا ودمل يبرين وغيرها من
الارضين التي ينزلون فيها ويخيمون عليها طلبا للماء والكلا
وزعموا انه ليس في تلك الارض اليوم احد الا الجن والابل
الحوشية من نسل ابل الجن والعنديه والعسجديه والنعا نيه
وقد ضربت فيها الحوش وفي ذلك يقول بعضهم
كاني على حوشية او نعامة ، لها نسب في الطير وهي ظليم
والاشعار في ذلك كثيرة وقد بسطنا في الجوامع اخبار العرب
فيما نقلته عن اسلافنا مما امكن كونه وخرج عن حد الوجوب
والجواز وخرج عن حد الاختصار والايجاز فقد اتينا
على ذكر ذلك فيما سلف من كتبنا ، وسار بعد وبار بن
اميم عبد ضخم بن ارم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه
فنزلوا الطائف فهلك هاولا ببعض غوائل الدهر وقد ذكرا
وقد ذكرهم الشعرا وقد ذكر انهم اول من كتب بالعربية ووضع الاحرف

[illegible]

المعجمة

المعجمه وهي حروف الف ب ت ث التسعة والعشرون وقد
قيل غير ذلك على حسب تنازع الناس في بدء الكتابة وسار
عبد ضخم بن ارم وجرهم بن قحطان بولده ومن تبعه فطافوا
البلاد حتى نزلوا مكة فنزلوها وسار اميم بن لاوذ بن ارم بعالم
فحل بارض فارس فالفرس على حسب ما قدمنا في هذا الكتاب ب
في باب تنازع الناس في انساب فارس من ولد كيومرث بن اميم
ابن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح وفي ذلك يقول بعض
من تقدم من اهل الحكمة من شعراء فارس بعد ظهور الاسلام ٥
ابونا اميم الخير من قبل فارس ، وفارس اربابا علونا بهم فخر
وقد ذكر جماعة من اهل السير والاخبار ان جميع من ذكرنا
من هذه القبائل كانوا اهل خيم وعمد ومخيمين في مساكنهم
من الارض وان اميما اول من ابتنى البنيان ورفع الحيطان
وقطع الاشجار وسقف السقوف واتخذ السطوح
وان ولد حام بن نوح حلوا بلاد الجنوب وان ولد كوش
بن كنعان خاصة هم النوبة على حسب ما قدمنا انفا في
بلاد السودان من هذا الكتاب وان فخذا من ولد كنعان
بن حام ساروا الى بلاد افريقية وطنجة من بلاد المغرب فنزلوها
وزعم هذا القائل ان البربر منهم فمنهم من راى انهم من غسان
وغيرهم من اليمن وانهم تفرقوا وغيرهم من اليمن نحو تلك الديار
حين تفرق الناس من بلاد مارب عند ما كان من سيل العرم
ما كان ومنهم من راى انهم من قيس بن غيلان ومنهم من راى غير
ذلك مما قد ذكرنا فيما سلف من كتبنا ونزل ولد كنعان بن حام
وهم الاغلب من ولد كنعان بلاد الشام وهم الكنعانيون
وبهم عرفت تلك الديار فقيل بلاد كنعان وقد قدمنا
فيما سلف من هذا الكتاب اخبار مصر بن حام وقبط والانباط
وسار توفير بن قوط بن حام بولده ومن تبعه الى ارض الهند والسند
وهم امم لها اجسام طوال وهم على بلاد المنصورة من ارض
السند فعلى هذا القول ان الهند والسند من ولد توفير بن
حام بن نوح فولد حام في الجنوب من الارض الاكثر منهم
وولد يافث في الشمال فيما بين الشرق والغرب على حسب ما ذكرنا
من الامم وتفرقهم في الترك وغيرهم مما يلي جبل القبق والباب
والابواب ولبث عاد في الارض وملكها الخلجان بن الوهم
فكانوا يعبدون ثلاثة اصنام وهي صمودا وصدا والهنا فبعث

اسد اليهم هودا على حسب ما قدمنا فكذبوه وهو هود بن عبد الله
ابن رباح بن خالد بن الجلود بن عاد بن عوص بن ارم
ابن سام بن نوح وقد قدمنا ان قوم عاد كانوا عشره
قبايل وقد تقدم ذكر اسماعهم فدعا عليهم هود فمنعوا
المطر ثلث سنين واجدبت الارض فلم يبد لهم زرع
وقد كان من ذكرنا من الامم لا يجحد الصانع عز وجل ويعلمون
ان نوحا عليه السلام كان نبيا وانه وفا لقومه بما وعدهم به
من العذاب الا ان القوم دخلت عليهم شبه بعد ذلك لتركهم
البحث واستعمال النظر ومالت نفوسهم الى الدعة وما تدعوا
اليه الطباع من الالاد والتقليد وكان في نفوسهم هيبة الصانع
والتقرب اليه بالتماثيل وعبادتها على المضاهاة بهم اليه وكانوا
مع ذلك يعظمون موضع الكعبة وكان موضعها على ما ذكرنا
ربوة حمرا فوفدت عاد الى مكة يستسقون لهم وكان بمكة يومئذ
العماليق فاتى الوفد بمكة فاقبلوا على الزنا والشرب حتى غنتهم الجرادتان وثان
مغنيا معوية بن بكر بشعر فيه حث لهم على ما قدموا من
اجله وهو

الا يا قيل ويحك قم فهيم ... لعل الله يمطرنا غماما
فنسقي ارض عاد ان عادا ... قد امسوا لا يبينون الكلاما
وان الوحش تاتي ارض عاد ... فلا تخشى لعادي سهاما
وانتم ها هنا فيما اشتهيتم ... نهاركم وليلكم التماما
فقبح وفدكم من وفد قوم ... ولا لقوا التحيه والسلاما

فاستيقظ القوم من غفلتهم وبادروا الى الاستسقاء
لقومهم وكان من امرهم في مجي السحب واختيارهم منها ما اختاروه ومنها
ما قد اتضح وفي ذلك يقول مرثد بن سعد من كلمة

عصت عاد رسولهم فاضحوا ... عطاشا ما تبلهم السماء
الا قبح الاله حلوم عاد ... فان قلوبهم قفر قوكاد

فارسل الله على عاد الريح العقيم فخرجت الريح عليهم من واد لهم
فلما راوا ذلك قالوا هذا عارض ممطرنا وتباشروا بذلك
فلما سمع هود ذلك من قولهم قال بل هو ما استعجلتم به
ريح فيها عذاب اليم الاية فاتتهم الريح يوم الاربعاء الثانية
وما منهم حي من اجل ذلك ترى الاربعاء لا تدور فيه وقد
اتينا على ما يرد من هذا الكتاب بتقييد ذلك وكيف وقوعه
من سائر الشهور وفي باب ذكر الشهور فلما شاهد النبي هود

عالالم

عليه السلام ما نال قومه انفرد هو ومن تبعه من المومنين ففي
ذلك يقول المهصل بن الجليل

لو ان عادا سمعت من هود ... واتبعت طريقة الرشيد
وقد دعا بالوعد والوعيد ... عادا وبالترهيب والتبعيد
ما اصبحت عارمة الخدود ... صرعى على الانف مع الخدود
ساقطة الاجساد بالوصيد ... ما اذا اجتنا الوفد من الوفود
احدوثة للابد الابيد

وكان الاخير من ملوكهم الخلجان وقد تقدم من ذكرنا في هذا
الكتاب لملك عاد وثمود وغيرهم وقيل ان ملك عاد ام
الملوك عاد بن عوص قال ولما دثرت هذه الامم من العرب
والقبايل خلت منهم الديار فسكنها غيرهم من الناس فنزل
قوم من بني حنيفة اليمامة واستوطنوها وقد كان نزل بلاد الجحفة
بين مكة والمدينة وعبيل بن عوص بن ارم بن سام بن نوح
هو وولده ومن تبعه فهلكوا بالسيل وسمي ذلك الموضع بالجحفة
لاجحافه عليهم وكان يثرب بن قلبية بن مهليل بن ارم
ابن عبيل نزل المدينة هو وولده ومن تبعه فسميت به
يثرب فهلك هولاء ايضا ببعض غوايل الدهر واقفرت منهم
تهامة فقال بعض ولده ممن رثاهم

عين جودي على عبيل وهل ... يرجع ما فات فيضها بانسجام
عمروا يثربا وليس بها شفر ... ولا صارخ ولا ذو سنام
غرسوا لينها بمجرى معين ... ثم حفوا الفسيل بالاجام

وقد اخبر الله عز وجل عمن ذكرنا فقال كذبت ثمود وعاد
بالقارعة فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية الاية وقد تنازع الناس س
اهل الرايع في ثمود شعيب بن نويل بن رعويل بن مر ابن
ابن عنقا بن مدين بن ابرهيم الخليل وكان لسانه العربية
فمنهم من راى انه من العرب البائدة والامم البائدة وبعض
من ذكرنا من الاجيال الخالية ومنهم من راى انه من ولد
المحصن بن جندل بن يعصب بن مدين بن ابرهيم وان شعيبا
اخاهم في النسب وقد كانوا اعدة ملوك تفرقوا في ممالك
متصلة ومنفصلة فمنهم المسمى بابي جاد وهوز وحطي
وكلمن وسعفص وقرشت وهم على ما ذكرنا بنو المحصن بن جندل
واحرف الجمل وقد قيل في هذه الاسماء غير ما ذكرنا من الوجوه
على حسب ما قدمنا في هذا الكتاب وليس كتابنا هذا موضعا

هي اسما هولاء الملوك الاربعه
معد بن عدنا الي النبي عليه السلام

لما قال له الناس وتنازعوا في تاويلها والمراد منها ابو جاد ملك
مكة وما يليها من الحجاز وكان هوز وحطي ملكان ببلاد
وج وهي ارض الطائف وما اتصل بذلك من ارض نجد
وكلمن وسعفص وقرشت ملوك بمدين وقيل ببلاد مصر
وكان كلمن على مدين ومن الناس من راى انه كان جميع من سمينا
مشاعا متصلا على ما ذكرنا ولن عذاب يوم الظلة
كان في ملك كلمن منهم ولن شعيبا دعاهم فكذبوه فوعدهم العذاب
يوم الظلة ففتح عليهم باب من السماء من نار ونجا شعيب
بمن امن معه الى الموضع المعروف بالايكة وهي غيضة نحو مدين فلما
احس القوم بالبلاء واشتد عليهم الحر وايقنوا بالهلاك
طلبوا شعيبا ومن امن معه وقد اظلتهم سحابة بيضاء طيبة
النسيم والهواء لا يجدون فيها الم العذاب فاخرجهم من مواضعهم
وتوهموا ان ذلك ينجيهم مما نزل بهم فجمعها الله عليهم نارا
فاتت عليهم وقد ذكرهم المنتصر بن المنذر المدني فرثاهم
بابيات يقول فيها

ملوك بني حطي وسعفص ذي الندى ... وهوز ارباب الثنية والحجر
هم ملكوا الارض الحجاز باوجه ... كمثل شعاع الشمس او صورة البدر
وهم قطنوا البيت الحرام ورتبوا ... قطورا وسادوا بالمكارم والفخر

ولهولاء الملوك اخبار عجيبة من حروب وسير وكيفية وتغلبهم
على هذه المملكة وتملكهم عليها واباديها من كان فيها وعليهم
قبلهم من الامم قد اتينا على ذكرها فيما مضى من كتبنا التي
المعنى مما كتابنا هذا منبه عليها باعث على درسها
واما بنو حصور فكانت امة عظيمة ذات بطش
وشدة وغلبت على كثير من الارض والممالك وقد تنازع
الناس في نسبهم وفي اخبارهم فمن ذهب الى انهم من العرب البائدة
ممن اسمينا ومنهم من راى انهم من ولد يافث بن نوح
وقيل في انسابهم غير ما ذكرنا من الوجوه وقد كان الله عز وجل
بعث اليهم شعيب بن مهدم بن حصور بن عدي نبيا وعما كانوا
عليهم زاجرا وهو غير شعيب بن نويل بن رعويل بن مر بن عنقا
بن مدين بن ابرهيم الخليل صاحب مدين المتزوج اليه موسى
بن عمران المهاجر كرها وبينهما ميون من السنين وقد كان بين

موسى

موسى بن عمران وبين المسيح الف نبي على ما ذكر اهل الكتاب
فلما اشتد ظلم بني حصور وبغيهم جد شعيب بن مهدم
في دعائهم وزجرهم وتوعدهم فقتلوه مظلوما محتسبا وكانت
له دلائل اظهرها الله على يديه تدل على صدقه وتثبت حجته
على قومه فلم يضيع الله دمه ولم يذهب وعيده فاوحى الله
الى نبي كان في عصره وهو برخيا بن احنيا بن زربابيل
ابن شالتان وكان من سبط يهوذا بن اسرائيل بن اسحق
ابن ابرهيم الخليل ان يأتي الى بخت نصر وكان بالشام
وقيل غيره من الملوك فامره ان يغزو العرب الذين لا اغلاق
لبيوتهم فلما اتى برخيا ذلك الرجل قال له الملك صدقت
لي سبع ليال اري في نومي ما ذكرت وانادي ان يحيك الي
والبس خطابك ونبه لي ما امرني به وان انتصر للنبي
المقتول المزيد المظلوم فسار اليهم في جنوده وغشي ديارهم
في عساكره وصاح بهم صائح من السماء وقد استعدوا للحرب
وحيث عم الصوت جمعهم وهو يقول

سيغلب قوم كايدوا الله جهرة
وان كايدوه كان اقوى وايدا
كذاك يضل الله من كان قلبه
مريضا ومن والى النفاق والحدا

فلما سمعوا ذلك علموا ان الامر قد نزل بهم فانقضت جموعهم
وولت ظاهرهم فاخذهم السيف فحصدوا اجمعين
وقد ذكر بان في قصة اهل حصور قال الله عز وجل فلما احسوا
باسنا اذا هم منها يركضون وقد تنوزع في ديارهم والموضع
الذي كانوا فيه فمن الناس من راى انهم كانوا بارض السماوة وانها
كانت عمارة متصلة ذات جنان ومياه متدفقة من ذلك
بين العراق والشام الى ذي الحجاز وهي الان خلو براري وقفار
ومنهم من راى ان ديارهم كانت من بلاد جند قيس الحلي مما يلي
الحجاز من الجبال دسوريه ومن المدن في هذا الوقت وهو
سنة اثنين وثلثين وثلثماية مضافة الى اعمال حلب من بلاد
قنسرين من ارض الشام قال المسعودي وقد اتينا
على جمل من اخبار العرب الباقية والماضية وقد كان لهم قبل
ظهور الاسلام للباقي منهم مذاهب واراء في التفرد يقول
الغيلان في الهواتف والجان وسنورد جملا منها مفردة على حسب

ما يقتضيه شرط الاختصار في هذا الكتاب على حسب ما يقتضيه
شرط الاختصار في هذا الكتاب على حسب ما يليق باخبارهم
وما تصل به من آثارهم وذكره الناس من آرائهم عند الفاني
والباقي منهم ان شاء الله ذكر ما ذهبت اليه العرب
في النفوس والهام والصفر وغير ذلك بلغ
كانت للعرب مذاهب في الجاهلية وآراء تنازعوا في كيفيتها
فمنهم من زعم ان النفس هي الدم وان الروح الهواء الذي كان
في باطن الجسم للانسان الذي منه نفسه ولذلك سموا المرأة
نفساء لما يخرج منها من الدم ومن اجل ذلك تنازع فقهاء الامصار
فيما له نفس سائلة اذا سقط في الماء هل ينجسه ام لا وقال
تأبط شرا لخاله الشنفرى الاكبر وقد سأله كيف كانت قصته فقال
لحميه غضبا فسالت نفسه سكبا وقالوا ان الميت لا ينبعث
منه الدم ولا يوجد فيه بل في حال الحياة وطبيعة الحياة والنما
هي الحرارة والرطوبة لان كل حي فيه حرارة ورطوبة فاذا مات
بقي البرد واليبس ونفي الحرارة وقال ابن زاقية في كلمة له
« وكم لاقيت ذا الخنث شديد » تسيل به النفوس على الصدور «
وطائفة منهم تزعم ان النفس طائر ينبسط في جسم
الانسان فاذا مات او قتل لم يزل مطيفا به متصورا
له في صورة طائر يصدح على قبره مستوحشا وفي ذلك
يقول بعض الشعراء وذكر اصحاب الفيل
« سلط الطير والمنون عليهم » فلهم في صدى المقابر هام «
لان هذا الطائر يسمونه الهام واحده هامة وجاء الاسلام
وهم على ذلك حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم لا هام ولا صفر
ويزعمون ان هذا الطائر يكون صغيرا ثم يكبر حتى يصير
نحو البوم وهو ابدا يتوحش ويصرخ ويوجد ابدا
في الديار المعطلة والنواويس وحيث مصارع القتلى واجداث
الموتى ويزعمون ان الهامة لا تزال عند ولد الميت
ومخلفيه لتعلم ما يكون بعده فتخبره به حتى قال الصلت بن امية
« هامي تخبرني بما يستشعروا » فتجنبوا الشنعاء والمكروها «
وفي ذلك يقول في الاسلام توبة في ليلى الاخيلية
« ولو ان ليلى الاخيلية سلمت » علي ودوني جندل وصفائح «
« لسلمت تسليم البشاشة او زقا » اليها صدى من جانب القبر صائح «
وهذا قولهم يدل على ان الصدى قد يزل الحي تعبدهم وسيصعد

وسنذكر

وسنذكر هذا الشعر في اخبار الحجاج بن يوسف مع ليلى الاخيلية
من هذا الكتاب وقد قيل ان هذه الابيات لغير توبة في غير ليلى
وهذا كثير في اشعارهم ومنثور كلامهم وسجعهم وخطبهم
وغيرهم ممن جاورهم وللعرب وغيرهم من اهل الملل ممن
سلف وخلف كلام كثير في تنقل الارواح قد اتينا على
مبسوطها في كتابنا المترجم بكتاب سر الحياة وفي كتاب الدعا وي
ان شاء الله تعالى ذكر اقاويل العرب في
الغول والتغول وما لحق بهذا الجنس
قال المسعودي وللعرب في الغيلان وتغولها اخبار
ظريفة لانهم يزعمون ان الغول تتغول لهم في الخلوات
والتيه وتظهر لخواصهم في انواع من الصور فيخاطبونها وربما
ضاجعوها وقد اكثروا في ذلك ومنه قول تأبط شرا
« على اثر نار تنور بها » فبت لها مدبرا مقبلا «
« فاصبحت والغول لي جارة » فيا جارتا انت ما اهولا «
« وطالبتها بضعها فالتوت » بوجه تغول فاستغولا «
« فمن كان يسأل عن جارتي » فان لها باللوى منزلا «
ويزعمون ان رجليها رجلا عير فكانوا اذا اعترضتهم الغول
في الفيافي يرتجزون ويقولون
« يا رجل عير انهقي نهيقا » لن نترك السبسب والطريقا «
وذلك انها كانت تتراءى لهم في الليالي واوقات الخلوات
فيتوهمون انها انسان فيتبعونها فتزيلهم عن الطريق
الذي هم عليه وكان ذلك قد استفاض فيهم وعرفوه فلم
يكونوا يزولون عما كانوا عليه من القصد فاذا اصيح بها على
ما وصفنا شردت عنهم في بطون الاودية ورؤوس الجبال وقد ذكر
جماعة من الصحابة ذلك منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه
انه شاهد ذلك في بعض اسفاره الى الشام وان الغول كانت
تتغول له وانه ضربها بسيفه وذلك قبل الاسلام وهذا مشهور
عندهم في اخبارهم وقد حكي عن بعض المتفلسفين ان الغول
حيوان شاذ من انواع الحيوان مشوم لم تحكمه الطبيعة وانه
لما خرج منفردا في هيئته وكلفه توحش في مسكنه فطلب
القفار وهو يناسب الانسان والحيوان البهيمي في الشكل وقد
ذهبت طائفة من الهند الى ان ذلك مما يظهر من فعل ما كان غائبا
من الكواكب عند طلوعه مثل طلوع الكوكب المعروف بكلب الجبار

وهي الشعرى العبور وان ذلك يحدث ذلك في الكلاب وسهيل في
الجمال والدب في الديبة وحامل راس الغول يحدث عند طلوعه اشباحا
يظهر في الصحاري وغيرها من العامر والخراب فتسميه عوام الناس
غولا وهذه ثمانية واربعون كوكبا قد ذكرها بطليموس وغيره ممن
تقدم وتاخر وقد وصف ذلك ابو معشر في كتابه المعروف بالمدخل
الكبير الى النجوم وذكر كيفية صورة كل كوكب عند طلوعه في انواع
مختلفة وقد قدمنا فيما سلف من كتبنا في هذا المعنى وان كل كوكب
من هذه يظهر في صورة مخالفة لما تقدم من الصور يحدث في هذا
العالم نوع من الافعال لم يتفرد بفعله غيره من الكواكب وقد زعمت
طايفة من الناس ان الغول اسم لكل شي يتعرض للسفار ويتمثل في
ضروب الصور ذكرا كان او انثى الا ان اكثر كلامهم على انه انثى وقد
قال ابو المطراب عبيد بن ايوب العنبري ٥

وغول قفرة ذكر وانثى ، كان عليهما قطع البجاد ،

وقال كعب بن زهير في قصيدته التي مدح بها النبي
صلى الله عليه وسلم ٥

ولا تدوم على حال تكون بها ، كما تلون في اثوابها الغول ،

وقد فرقوا بين السعلاة والغول وقال عبيد بن ايوب

وساحرة عيني لو ان عينها ، رات ما الاقيه من الهول جنت ،
ابيت وسعلاة وغول بقفرة ، اذا الليل وارى الجن فيه ارنت ،

قال ووصفها بعضهم فقال

وحافر العير في ساق خدلجة ، وجفن عين خلاف الانس بالطول ،

وللناس كلام كثير في هذه الغيلان والشياطين والمردة والجن والقطرب
والعدار وهي نوع من الانواع المستطبة يعرف بهذا الاسم وهذا
العدار يظهر في اكناف اليمن والتهايم واعالي صعيد مصر وانه ربما
تلحق الانسان فتدعوه فاذا اصاب الانسان اذا غاب ذلك سقط
مغشيا عليه ومنهم من يظهر اليه ذلك فلا يلزمه شيء منه وتشجع عند
نفسه وما ذكرنا مشهور في البلاد التي عينا ويمكن جميع ما قلنا
مما حكيناه عمن ذكرنا من اهل هذه البقاع ان يكون من ضروب السوانح الفاسدة
والخواطر الرديه او غير ذلك والله اعلم بكيفية ذلك ولم يذكر
في هذا الكتاب ما ذكره اهل الشرايع وما نقله اصحاب التواريخ
والمصنفون لكتب البدء كوهب بن منبه وابن اسحق وغيرهم ان الله
تعالى خلق الجان من نار السموم وخلق منه زوجته كما خلق حوا
من ادم وان غشيها فحملت منه وانها باضت احدى وثلثين

بيضة

بيضة تعلقت عن قطربة وهي ام القطاربة وان القطربة على صورة
الهر وان الابالس من بيضة أخرى تسكن الحرث لبومهم وان مسكنهم
البحور وان المردة من بيضة اخرى مسكنهم الجزاير وان الغيلان
من بيضة اخرى مسكنهم الخرابات والفلوات وان السعالى
من بيضة اخرى مسكنهم الجبال وان الوهاريس من بيضة اخرى
وسكنوا الحمامات والمزابل وان الهوام من بيضة اخرى وسكنوا
الهوا في صورة الحيات ذوات اجنحة يطيرون وان من بيضة اخرى
الرواسن وان من بيضة اخرى الحماميص لانا قد ذكرنا فيما سلف
من كتبنا وتقدم من تصنيفنا واتينا على ذكر شعب انسابهم
والمشهور من اسمايهم ومساكنهم من الارض ولئن كان ما ذكره اهل الشرع
مما وصفنا ممكنا غير ممتنع ولا واجب وان كان اكثر اهل النظر
والبحث والمستعملين لقضية العقل والفحص يمنعون مما ذكرنا
ويابون ما وصفنا والمصنف حاطب ليل فاوردنا ما قاله الناس
من اهل الشرايع وغيرهم اذ كان الواجب على كل ذي تصنيف ان يورد
جميع ما قاله الناس في معنى ما ذكرنا واتينا على ساير ما اخبرنا من
الاشخاص التي هي غير مرئية من الجن والشياطين وما قالوه
في سلوك الجن في الناس في كتابنا المترجم بكتاب المقالات في اصول
الديانات وبالله العون ٥ ذكر الغيلان والغول ولم تبل في مدن

ذكر قول العرب في الهواتف والجان

قال المسعودي فاما الهواتف فقد كانت كثرت في العرب
واتصلت بديارهم وقد كان من اكثرها امام مولد النبي صلى الله عليه
وسلم وفي اول مبعثه وزعموا الهواتف ان يهتف بصوت
مسموع وجسم غير مرئي قال المسعودي وقد تنازع
الناس في الهواتف والجان فذكر فريق انما يذكره
العرب ويحكيه من ذلك انما يعرض لها من قبل التوحد في القفار
والتفرد في الاودية والسلوك في المهامه والمروت الموحشة لان
الانسان هو اذا صار في مثل تلك الاماكن وتوحد تفكر فاذا هو فكر
وجل وجبن واذا هو جبن داخلته الظنون الكاذبة والاوهام
الردية والسوداوية فصورت له الاصوات ومثلت له الاشخاص
واوهمته نحو ما يعرض في الوسواس وقطب ذلك واساسه
سوء التفكير وخروجه على غير نظام قوي او طريق سليم لان
المنفرد في القفار والمروت مستشعر للمخاوف متوهم للمتالف
متوقع للحتوف لقوم الظنون الفاسدة على فكره وانغماسها في نف

فيتو هم ما يحكيه من هتف الهاتف واعتراض الجان له وقد
كانت العرب قبل ظهور الاسلام تقول ان من الجن من هو على نصف
صوره الانسان وانه كان يظهر لها في اسفارها وحين
خلواتها وتسميه شقا وذكر وا ان علقمة بن صفوان
ابن امية بن محرث الكناني جد مروان بن الحكم من قبل
امه انه خرج في بعض الليالي يريد مالا له بمكة فانتهى
الى الموضع المعروف بحائط حزمان في هذا الوقت فاذا هو بشق قد عرض ص
له في اوصاف ذكروها فقال علقمة

علقم اني مقتول ، وان لحمي ماكول ، اضربهم بالهذلول
ضرب غلام شملول ، رحب الذراع بهلول ، شق ما لحمي وكل

فقال علقمة

اغمد عني منصلك ، يقتل من لا يقتلك ، فقال شق
هيئت لك ، كما ابيح مقتلك ، فاصبر لما قد حم لك

فضرب كل واحد منهما صاحبه فخرا ميتين وهذا مشهور
عندهم وان علقمة بن صفوان قتلته الجان وحكوا عن الجن
بيتين من الشعر قالت في حرب بن امية حين قتلته وهما

وقبر حرب بمكان قفر ، وليس قرب قبر حرب قبر ،

واستدلوا على ان هذا الشعر من قول الجن ان احدا من الناس
لا ياتي له ان ينشد هذين البيتين ثلث مرات متواليات لا يتتعتع في
انشادهما لان الانسان قد ينشد العشرين بيتا والاقل
والاكثر اشد من هذا الشعر واثقل منه فلا يتتعتع فيه ، وممن قتلته
الجن مرداس بن ابي عامر بن مرداس السلمي ، ومنهم الغريض المغني
بعد ان ظهر غناؤه وحمل عنه وقد كانت الجن نهته ان يغني
بابيات من الشعر فغنى بها فقتلته ، وحدث يحيى عن علي
ابن حرب عن ابي عبيدة معمر بن المثنى عن منصور بن يزيد الطائي
ثم الصامتي قال رايت قبر حاتم طي ببقعة وهو جبل له واد
يقال له الحايل فاذا قدر عظيمة من بقايا قدور حاتم مكفاة
ناحية من القبر من القدور التي كانت تطعم فيها الناس وعن يمين
قبره اربع جوار من حجارة وعن يساره اربع جوار من حجارة
كلهن من صواحب شعر منشور محتجرات على قبره كالنائحات عليه
لم ير مثل بياض اجسامهن وجمال وجوههن الحسن على قبره
ولم ار مثلهن ممن يمر بالنهار كما وصفنا فاذا هدات العيون ارتفعت
اصوات الجن بالنياحة عليه ونحن في منازلنا نسمع ذلك الى ان
طلع الفجر فاذا طلع الفجر سكتن وهدان ودبيام الماء

فيراهن

فيراهن فيميل اليهن عجبا بهن فاذا دنا منهن وجدهن احجارا
وحدث يحيى بن عباس الجوهري قال انبانا عبد الرحمن بن يحيى المنذري علي بن المنذري
هشام الكلبي قال حدثني ابو مسكين بن جعفر بن محرز بن الوليد
عن ابيه وكان مولى لابي هريرة قال سمعت محمد بن ابي هريرة يحدث
قال كان رجل يكنى ابا الخيبري مر في نفر من قومه بقبر حاتم طي فنزلوا
قريبا منه فبات ابو الخيبري ينادي منه ابا الجعد اقرنا فقال
له رفقته مهلا ما تكلم من رمة بالية قال ان طيا يزعم انه لم ينزل به احد
قط الا اقراه وناموا فلما ان كان في اخر الليل قام ابو الخيبري فزعا
ينادي واراحلتاه فقال له اصحابه ما لك فقال خرج حاتم من قبره
بالسيف وانا انظر اليه حتى عقر ناقتي فقالوا كذبت ونظروا الى
ناقته بين نوقهم مجدلة لا تنبعث فقالوا اقراك وظلوا ياكلون لذلك قمح
من لحمها شواء وطبيخا حتى اصبحوا ثم اردفوه وانطلقوا سائرين فاذا
راكب بعيرا يقود اخر قد لحقهم فقال ما لكم ايكم ابو الخيبري فقال
ابو الخيبري انا ذاك قال انا عدي بن حاتم وان حاتما جاءني الليلة في
النوم ونحن نزول وراء هذا الجبل يذكر شتمك اياه وانه قرى
راحلتك اصحابك وانشدني يقول في شعره

ابا الخيبري وانت امرؤ ، ظلوم العشيرة شتامها ،
اتيت بصحبك تبغي القرى ، لدى حفرة صدحت هامها ،
اتبغي لي الذم عند المبيت ، وعندك طي وانعامها ،
فانا سنشبع اضيافنا ، وتاتي المطي فنعتامها ،

وقد امرني ان احملك على بعير مكان راحلتك فدونكه وقد ذكر
هذا سالم بن دارة الغطفاني في مدحه عدي بن حاتم حيث يقول

ابوك ابا سباقة الخير لم يزل ، لدن شب حتى مات في الخير راغبا ،
قرى قبره الاضياف اذ نزلوا به ، ولم يقر قبر قبله الدهر راكبا ،

وحدث ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد عن ابي حاتم السجستاني عن ابي
عبيدة معمر بن المثنى قال سمعت شيخا من العرب قد اناف على المائة
يذكر انه خرج وافدا على بعض الملوك من بني امية قال فخرجت في
ليلة صيفية حالكة كان السماء قد رفعت نجومها بطرائف السحاب
فظللت الطريق وتولجت واديا لا اعرفه فما همتني نفسي دلالة من
عريف الجن فقلت اعوذ برب هذا الوادي من شره واستجيره
في طريقي هذا واسترشده فسمعت قائلا من بطن الوادي يقول

يا ايها الساري تجاهك تلو السبيل ، سيراد يا منزوي المسالك ،

قال فتوجهت حيث اشار علي وقد امنت بعض الامن فاذا انا بقائل

نيران تلمع امامي في خلالها كالوجوه في قامات النخل السحيق فسرت
فاصبحت على اوشال وهو ما لكلب يقارب تربة دمشق وقد
ذكر الله عز وجل شاوه ذلك في كتابه فقال وانه كان رجال من
الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا

ذكر ما ذهب اليه العرب من القيافة والعيافة والزجر والسانح والبارح وغير ذلك

قال المسعودي تنازع العيافة والقيافة وغير ذلك مما ذكرنا
فذهبت طايفة الى تحقيق العيافة والاخذ بها لان الاشباه
تدعو وغير جائز ان يكون ولد غير مشبه لابيه او لواحد من اهله
من جهة من الجهات ومنهم من ذهب الى ان في الولد مواضع يحققها
القيافة دون غيرها من الاعضاء ممن لم يحكها الشبه ولا وافق
بينهما احد مشترك وانا اخذ من ما وصفنا اذ كان الناس قد
يتشابهون في خد الانسان وغير ذلك من الخدود ويفترقون
في غيرها من الصور وليس لوجود الاغلب من الاشباه مما يوجب
الحاق الشبيه بشبهه دون ان يخالفه من حيث اوجبت قضية
المخالف بالتباين وهذه المعاني من خواص العرب وما انفردت
به دون سائر الامم في الاغلب منها وان كانت الكهانة قد وجدت
في غيرها فان العيافة والزجر والفال والتطير ليس لغيرها في الاغلب
من الامور وليس هذا بموجود في سائر العرب وانما هو يختص منها
الفطن والمدرب الطبن وان وجد في بعض الامم يوجود
ذلك في الافرنجة وما جانسها مما هنالك من الامم فيمكن ان يكون
ذلك موروثا عن العرب ماخوذا عنها في سالف الدهر لان
العرب تتقلب في البلاد وتفرقت لغاتها فنسب ذلك الى الجنس
الذي وطيته من العرب ويمكن ان تكون الافرنجة من وجد
فيها ذلك من الامم اخذوه عند ظهور الاسلام عمن جاورهم من
العرب ممن سكن بلاد الاندلس من الارض الكبيرة وان
كان ذلك قبل ظهور الاسلام وان كان ما ذكرنا انفا ويمكن
ان يكون الله عز وجل خص بذلك غير العرب كما خص العرب
به ان كان داخلا في باب الممتنع والواجب فيكون الزجر والفال
شاملا لبعض العرب وغيرهم من خواص الامم لوجود المعظم للزجر
والنظر في الكتب وغير ذلك مما خص به كل جنس من الناس
وقد ذهبت طايفة ممن سلف من اهل البحث الى ان القيافة اسم
مشتق وهو بمعنى الاستدلال واصل ذلك ان الاشكال انفصلت

في صور

في صور انسابها باشياء تخص الانواع بالشكل بخواص وحيده
اجزاوها وحيدات الاشخاص وكان التناسل على تشابه
وقرب من الغير لما توجبه الطبيعة من اتفاق كل شكل في جوهره
وتصرفه الى جهة كما خصت الطبيعة كل نوع من الجنس بفصل
ابانه من اغياره وفرقت بينه وبين اشكاله ولذلك
ايضا خصت احاد الاشخاص المنفصلة في الهيئة بتغير
الغير من اغياره ولذلك لا يكاد يرى فرق الصور يتوالى في
المراي وان ضمها النوع وشملتها المادة فالمتالف يقارب
من الهيئات فيحكم للاقرب صورة ولان النسبة النسل
اقرب من نسبة النوع ولذلك يشبه الشخص الى النوع اقرب
منه الى الجنس لان النوع والشخص قد ضمهما حد لم يشركا ن
وما ضمه الجنس حد واحد وهو اصل القيافة عند الطايفة
وهو ضرب من ضروب البحث والحاق النظير في الاغلب بنظيره
وحيث تساويا فحيث ذكرنا في قضية العقل وهو القياس
بعينه فليس من الاستدلال ان الكلام احد من فقهاء القائلين
والغيرهم من المتكلمين دلما هيد الكلام استدعاه طائفة من المتقد مين
فيجب ان يكون المتالف على قول هذه الطايفة الى العدم الاتجاه نظر
نهاية الشكل وغاية الهيئة فالولد لو خالف صورة ابيه في كل
افعاله وباين في سائر شكله في الاغلب هو فقد في العدم لان
النسل لا بد له من تخصيص قوة بشيء تميزه عن غيره وتنسبه
من سوله ولذلك وجد الطول اردشنوه ولذلك صار الجفا
والغلظ في الروم واصحاب الجبال والاثير من اعتام الناس
واوباش مصر واللوم في الخزر واهل جرجان من بلاد ديار مصر
والسحر لفارس واللوم على الطعام باصبهان وصار تفرطح
الرجلين وفطس الانوف في السودان والطرب في الزنج
خاصا وهذا الذي وصفنا عند هذه الطايفة من اسرار الطبيعة
وخواص باثر الاشخاص العلوية والاجسام السماوية وقد
تعضدنا هذا الشان على كماله في كتبنا في الاسرار الطبيعية
العلوية والغرايب النفسية في كتبنا في الرءوس السبعية
في انواع السياسات المدنية وعللها الطبيعية وفي كتاب
الاسترجاع في الكلام على من زعم ان العالم متغير جوهره الظلمة
وان النور فيه غريب مجاور ولم يسمه انفس كالقائلين بالاثنين د
شيث بن ادم وزرادشت والمسيح ويونس واشان الاثنين

ذكر بها ان النور والظلمة قديمان وانهما لم يزالا غير متحايين
وان الاشياء الاماثية جوهرة ثم امتزجا بتلقاء انفسهما غير
داخل دخل عليهما ولا امر اكرههما وهذا الخلف من الكلام الفاسد
من المقال حدث المنقري عن العتبي قال وقف عبيد الراعي
ذات يوم مع ركب بسعيا فقالوا نريد من استقصاد
رئيس من بني تميم فسنحت ظباء سنحا فلما اعترضت الركب
مقصرة في حضرها واقفة على اشادها فانكر ذلك عبيد ولم يابه اصحابه
فقال عبيد

الم تتقد ما قال الظباء السوانح ، اظعن امام الركب والركب دائح ،
فكيف من لا يعرف الزجر منهم ، وايقن قلبي انني نوائح ،

ثم ساروا فلما قصدهم فالفوا الرئيس قد نهشته افعى فعصب عليه
قال ابو عبيدة معمر بن المثنى وهذا من غريب الزجر وذلك ان السانح
محمود عند العرب والبارح هو المخوف وانما عيب عبيد اعاجز الظبا
في حال رجوعها ووصف الحال الاولى في شعره كما شرط الواصف
وصف ان يبدا بهواذي الاسباب فيوضح عنها فهذا وجه زجر
عبيد الراعي في شعره يقال ان الكهانة لليمن والزجر
لبني اسد والقيافة لمدلج واحياء مضر بن نزار بن معد لما
كان من فعل بني نزار الاربعة في مسيرهم نحو الافعى الجرهمي
ووصفهم الجمل الشارد على ما ذكرنا وذلك منهم قيافة ثم هنالك
تفرقت القيافة في احياء مضر على حسب ما تغلغل في العروق وبرع
واهل المياه الهن من اهل البر وبارض الجفار وهي بلاد الرمل وهي
بين بلاد مصر وارض الشام من العرب في تلك الجفار يتناول الناس
من تميم ولخم فبعث عنهم السنين ولم يروا ولا شاهدوا من كان
دار بعدهم علموا انه لاحد لهم ولا يكادون يختلفون في ذلك
وهذا من فعلهم مشهور ولا يكاد يخفى عليهم اقدام اي الناس هم ورايت
بهذه الارض من الجفار اناسا قد ربتهم ولاة الامور والمنازل يطوفو ن
في هذه الرمال يعرفون بالقصاص يقصون اثار الناس وغيرهم ويخبرو ن
ولاة المنازل اي الناس هم ممن طرق تلك البلاد وهم لم يروهم وانما
راوا اثار اقدامهم وهذا معنى لطيف حسن دقيق وقد تقفت القافة
بقريش حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي الله عنه الى الغار
حتى اتت باب الغار على حجر صلد وصخر وجبال عالية لا رمل
عليها ولا طين ولا ترب تبين فيه الاقدام فحجبهم الله عن نبيه عليه
السلام بما كان من نسج العنكبوت وما تسفت عليه الرياح والحمام الواقف

من الحجرة وقولهم الى هنا انتهت الاقدام ومعه جماعة من قريش الا ان
على الصلد ما نرى ولا على الصفوان شيئا وابصارهم يمدونها الآفاق
عنهم مرتفعة والموانع عنهم زائلة ولولا ان هناك لطيفة لاستوى
الناس في علمها ولا ينفردون بالابصار في دركها بعلم ذلك طائفة دو ن
غيرها واهل الجبال والقفار والدهاس لدعي والعسف وقد
ذهبت قوم من اهل الشريعة من فقهاء الامصار وغيرهم ممن سلف الى الاستدلا ل
على شرف القيافة وعظم خطرها وكبير محلها وتحقيق قصة تعجب
النبي صلى الله عليه وسلم منها وتصديقه نحو محرز المدلجي وقد
انكر جماعة من فقهاء المصريين ممن سلف وخلف الحكم بالقيافة والدلا له
الدالة على فساد الحكم بها واحتجوا بالحاق النبي صلى الله عليه وسلم
الحكم بها حين شك فيه لعدم التشابه فقال يا رسول الله ان
امراتي وضعت غلاما وانه لاسود فقال النبي عليه السلام تقريبا
مقربا الى فهمه وقصدا منه لفساد ما عليه الى نفسه وشك من اجلها في
ولده هل لك من ابل قال نعم قال فهل فيها الورق او احمر قال نعم
قال النبي صلى الله عليه وسلم فمن اين ذلك قال لعل عرقا نزع فلعل — لعل صح
عرقا نزع ثم قال له عليه السلام في قصة شريك بن سحماء ان
جاءت به على النعت المكروه ووجد التشابه بينهما وبينه
رميت به قال صلى الله عليه وسلم لولا ما حكم الله لكان لي ولها
شان ولحق الولد مع عدم الشبه هناك ولم يلحق بالشبه
ها هنا ولم يجعله حكما وقضا بوجود الفراش وثبوت
النص على فساد الحكم بالتشابه وهذا باب قصدنا فيه
هذا الكلام وانما ذكرنا هذا الفصل لذكرنا الحكم بصدق من
القيافة وهذا باب يطول فيه الخطب ويلزم في معانيه
الشرح لغموضه ولطف الكلام فيه وقد ذكرنا وجه
الكلام في ذلك وما ذهب اليه كل فريق من الناس ممن سلف
وخلف في كتابنا المترجم بكتاب الرؤوس السبعية
في الاحاطة بسياسة العالم واسراره

ذكر الكهانة وما قيل في ذلك وما اتصل بهذا الباب مما يدركه الناس من وجه النفس باطنه

قال المسعودي قد تنازع الناس في الكهانة فذهب
طائفة من حكماء اليونانيين والروم الى المسلمين وكانوا يدعو ن
العلوم من الغيوب والكهانة فادعى صنف منهم ان نفوسهم قد
صفت فهي مطلعة على اسرار الطبيعة وعلى ما يريد ان تكون

منه الان من الاشيا عندهم في النفس الكلية وصنف منهم ادعى
ان الارواح المفردة وهي الجن تخبرهم بالاشيا قبل كونها
وان ارواحهم قد صفت حتى صارت لتلك الارواح من
الجن موافقة وذهب قوم من النصارى الى ان المسيح انما
كان يعلم الغايبات من الامور ويخبر عن الاشيا قبل كونها
لانه كانت فيه نفس عالم بالغة ولو كانت تلك النفس في
غيره من اشخاص الناطقين لكان يعلم الغيب ولا امة خلت الا
وقد كان فيها كهانة وقد كان الاوايل من الفلاسفة اليونانية
يدفعون الكهانات وشد فيهم ان فيثاغورس كان يعلم علوما
من الغيب وضروبا من الوحي لصفا نفسه وتجرده من ادناس هذا
العالم والصابة تذهب الى ان اوذاسيمس واداس الاول
وادراس الثاني وهماهرمس واغاثوذيمون كانوا يعلمون
الغيب ولذلك كانوا انبيا عند الصابة وشعوا ان تكون
الجن اتت من ذكرنا بشي من ضروب الغيب ولذلك صفت نفوسهم
حتى اطلعوا على ما استتر عن غيرهم من جنسهم وطايفة اخرى
ذهبت الى ان التكهن بسبب نفساني لطيف يتولد من صفا من الناس صح
مزاج الطباع وقوة النفس ولطافة الحس وذكر كثير ان
الكهانة من قبل شيطان يكون مع الكاهن يخبره بما غاب عنه
وان الشياطين كانت تسترق السمع وتلقيه على السنة الكهان
فيودون الى الناس الاخبار بحسب ما يرد اليهم وقد اخبر الله عز وجل
في كتابه فقال وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا
وشهبا الى اخر القصة وقوله تعالى جل ذكره ان الشياطين ليوحون ن
الى اوليايهم ليجادلوكم الاية وقوله تعالى يوحي بعضهم الى بعض
زخرف القول غرورا الاية والجن والشياطين لا تعلم الغيب
وانما ذلك لاستراقها السمع مما تسمع من الملايكة بطاعة فقوله تعالى
فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب
المهين وطايفة ذهبت الى ان وجه سبب الكهانة من الوجه الفلكي
وان ذلك يكون في المولد عند نشوة عطارد على شرفه وان ما عداه
من الكواكب المدركات بين المنيرين والخمسة اذا كانت في عقد تسا ديه
وارباع متكافية وتواطي متوازية وجب لصاحب المولد
التكهن والاخبار بالكاينات قبل حدوثها والاشراف من
هذه الاشراف الكوكبية ومن هولاء من اوجب كون ذلك في القرانات
الكبار وذهب كثير ممن تقدم ان علة ذلك علل نفسية وان النفس

اوربع

اذا هي قويت وزادت قهرت الطبيعة واباحت للانسان كل
شريف لطيف وخبرته بكل معنى شريف وغاصت بلطافتها
في كتايف المعاني البعيدة فاستصفتها وابرزتها الى الكمال
وكشفت هذه اللطايف ووجه اعتدالها فيما ذكرناه لو لا
راينا الناس تنسب الى قسمين هما النفس والجسد ووجدنا
الجسد مواتا لا حركة له ولا حس الا بالنفس وكان الموات
لا تعلم شيا ولا تؤديه فيجب ان يكون العلم للنفس والنفوس
طبقات منها الصافي ومنها النفس الناطقة ومنها الكدر
وهي الحسية والنفس النزاعية والنفس الحليمة ومنها ما قوته تد
اريد بها من قوة الجسم ومنها ما قوة الجسم ازيد منه الانسان صح
فلما كانت النسبة المؤدية للانسان الى النفس كانت تهدي
الانسان الى استخراج الغايب وعلم الاتي وكان طينته
ومئونته التعب والهم فاذا كانت النفس في غاية البروز يد
الخلوص وكانت تامة النور كاملة الشعاع كان توجهها الى دراية الغايب
بحسب ما عليه نفوس الكهنة ولهذا وجد الكهان على هذه السبيل
من نقصان الاجسام وتسوية الخلق كما اتصل بنا عن شق وسطيح
وسملقة وروبعة وسديف بن هرماس وطريفة الكاهنة وعمران
الخير عمرو ابن عامر مزيقيا وجارية جهينة وكاهنة باهلة واشباههم
من الكهان واما العراف وهو دون الكاهن مثل الابلق الاسدي
والاجلح الزهري وعروة بن زيد الاسدي ورباح بن كحلة عراف
اليمامة الذي يقول فيه الشاعر
جعلت لعراف اليمامة حكمه فانك ان ابراتني لطبيب
ولهند صاحب المستبين وكان في نهاية الكهانة والعرافة اصلها
نفس لا لحفظ لطيفه باقية ومقاربة الاعجاز ناهدة وهي تكون في
العرب على الاكثر ودفع مادة نور النفس واذا انت اعتبرت اوطانها
رايتها متعلقة بعفة النفس ودفع شرها ولزوم الوحدة وادمان
التفرد وشدة التوحش من الناس وقلة الانس بهم وذلك ان النفس
اذا هي تفردت هطلت عليها سحب العلم النفسي فنظرت بالعين
النورية وخطبت بالناظر الثاقب ومضت على المرتبة المستوية
فلحقت عن الاشيا على ما هي به وربما قويت النفس في الانسان
فاشرقت به على دراية الغايبات قبل ورودها وكان اليونانيون يلقبون
هذه الطايفة بالروحانية ويسمون بعرفهم فرقة الروحانية فيقولون
ان النفس اذا هي زادت وكانت اكثر جرى الانسان مجرى الحي

ويدعي بعض عامة العرب والسودان ان ذلك عقول سولها علو صفا المزاج الطبيعي

استخراج الودايع والاخبار المستترات واستدلوا على ذلك بالانسان
ربما قوي ذكره وزادت مواد نفسه وخاطره فتفكر في الطاري
قبل وروده فعلم صورته فيكون وروده الى الحال على ما يصوره
له وهكذا النفس ايضا اذا تهذبت كانت الرويا في النوم
صادقة في النوم صادقة في الزمان موجوده وقد تنازع الناس
في الرويا والسبب الموقع لها وباعثها وكيفيته ووقوعها فقال
قوم منهم النوم هو استقبال النفس عن الامور الظاهرة بالالة
حوادث باطنة فيها وذلك على وجهين احدهما معروف
بالعيان قايم بالفكر في خواطر تحدث في النفس معاني تعبره
وتفرق بينها ويستعمل به على استعمال الظاهر والباطن فيه
الذي اليه الحواس الخمس فتبطل الحواس اعني الروح لاشتغال
الروح عن اشغالها واذا وجب بطلانها سمي نوما عرضيا
لا انه ليس النوم الكلي الذي يعم الاطفال والعجايز والمشايخ
الذين قد عجزوا من دفع السهر او يخافوا السهر ولذلك عم
الليل على ما وصفت والوجه الاخر النوم الكلي الذي يعم
الطبقات الحيوانية دون الفكر وغيرها وهي طبيعة موجبة
الخلقة في وقت ضرورة كما يوجب الجوع في وقت ضرورة لان
الجوع عند اهل صناعة الطب علة وهي الموجبة تحريرا للكبد
من الفراغ من الاغذية ومنهم من راى ان النفس تدرك صورة
الاشياء على ضربين احدهما حسي والاخر فكري فالصور المحسوسة
لا يدركها الا في هيئتها فاذا خلص علمها عندما كان ادركها
لها من دوام طيبها فيكون فكر الانسان ما لم ينم بائنا للحس
حتى اذا نام فعدمت النفس الحواس كلها بقيت تلك الصور
التي اخذتها في خيال الاشياء قائمة فلما ارتفع الحس قوي الفكر قائم
فصارت الصور الاشياء في النفس كانها محسوسة لان الحس لها
في اعيانها كان قبل استيلائها بالفكر ضعيفا فلما ارتفع الحس
قوي الفكر فصارت صور الاشياء في النفس كانها محسوسة تخطر
على بال النائم منها كما يخطر على باله اذا كان يقظانا للشي الذي
قد كان انتبه وليس لذلك نظام وانما هو ما اتفق ولذلك
يرى صورة الطيران مزدوجة كما يعلمها اذا غابت وكان فكره
قوي حتى كانها معاينة له فاما ما يرى لبعض الاشياء التي تدل
على ما يريد فانما لذلك لان النفس عالمة بالصور فاذا خلصت
في الانام من شوايب الاجسام اشرفت على ما يريد ان ينالها وهي

عالمة

عالمة انها في حال اليقظة لا يمكنها معرفة ذلك فتخيل خيالات
تدل على تلك الاشياء التي تريد ان تكون حتى اذا انتبهت تذكرت
تلك الخيالات تلك الاشياء فمن كانت نفسه لم تكذب رؤياه صافية صح
ومن كانت نفسه كدرة كانت تكذب كثيرا ثم ما بين الكدرة
والصافية وسائط كثيرة على حسب مراتبها من الصفاء والكدر
تكون صدق ما يتخيله من ذلك قال وفريق اخر اذا بطل
استعمال قواها فتنتقل في الاماكن وتشاهد الاشخاص
بالقوى الروحية التي ليست بجسم لا بالقوى الجسمانية الغليظة
وذلك ان القوى الجسدانية لا تدرك الا ما شاهده مشاركة
وملابسة الاشياء اما باتصال كاتصال اللون باللون واما بانفصال
كانفصال الجسم من الاماكن والروح تدرك المتصل والمنفصل
جميعا لمشاركة الجسد الذي وجب الحاجة الى قرب المدرك
ومنهم من راى ان النوم هو اجتماع الدم وجريانه الى الكبد
ومنهم من راى ان ذلك من سكون النفس وهو الروح ومنهم
من زعم ان ما يجده الانسان في نومه من الخواطر انما هو عمل
الاغذية والاطعمة والطبايع ومنهم من راى ان بعض الرويا
من الملك وبعضها من الشيطان واعتل هولاء بقوله تعالى
انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين امنوا الاية ومنهم
من راى انها جزء من احد وستين جزءا من النبوة وتنازع
هولاء في كيفية ذلك الجزء ومنهم من ذهب الى ان الانسان
الحساس هو غير هذا الجسم المرئي وانه يخرج عن
البدن في حال النوم فيشاهد العالم ويرى الملكوت
على حسب صفائه واعتل هولاء وغيرهم ممن ذهب الى نحو هذا
المعنى بقوله عز وجل يتوفى الانفس حين موتها الى قوله
اجل مسمى وقد ذهب الجمهور من المتطببين في ذكر الحال
الاحلام من الاخلاط دون تعداد مزاج كل واحد منها وقوته
وذلك ان الذين تشتعل اجسامهم من المزاج الصفراوي رأوا في
نومهم النيران والبوارق ودخانا ومصابيح وبيوتا
تحترق وبلدان تلتهب بالنار ونحو ذلك وما اشبهه
والغالب على مزاجه البلغم ان يرى بحورا وانهارا وعيونا
وغدرانا واحواضا ومياه كثيرة وامواجا ويرى كانه يسبح
او يصيد سمكا وغير ذلك ونحوه وما قارب والغالب على
مزاجه المرة السوداء يرى في منامه احداثا وقبورا واموانا

ملقين سوادا وبكاء ونوحا وربما وصراخا واشباه
مفزعة وامورا مفظعة واسودا واما من كان الغالب على مزاجه
الدم فانه يرى خمرا ونبيذا ورياحين ولعبا وقصفا وعزفا
ومرحا وسرورا ومشاهدة انواع الملاهي وبعضها الرقص
والسلم والثياب المصبغات من الحمرة والصفرة وغيرها من الحلي
بما وصفنا من انواع السرور والخلاخيل المتطيبين في ان القصاب
واللعب على ما ذكرناه من انواع السرور من الدم وان كل حزن وخوف
وان اختلفت معاينه فان ذلك من المرة السودا واحتجوا بضروب
من الاحتجاج هذه جملتها وقد اوضحنا الكلام في كتاب النبي والكمال
في كتاب طب النفوس فلا وجه لاطنابنا في هذا الموضع من كتابنا
هذا اذ كان الكتاب كتاب خبر لا كتاب بحث ونظر وانما يتغلغل بنا
الكلام الى ما يتشعب من مذاهبهم في اخبارنا عنهم ولم نعرض
لهذا الكتاب لما ذهب اليه الناس في تحديد النفس وما
قاله افلاطون في تحديد النفس كان النفس جوهر ليس
يحرك للبدن وما حده صاحب المنطق ان حد النفس كمال
الجسم الطبيعي وحدها ومن وجه اخر انه حي بالقوة
وان الفرق بين النفس والروح ان الفرق بينهما الى الروح جسم
والى النفس جسم وان الروح يحويها البدن والنفس لا يحويها
البدن وان الروح اذا فارق البدن بطل والنفس تبطل افعالها
من البدن ولا تبطل هي في ذواتها والنفس في ذواتها والنفس
يحرك البدن وينيل الحس وقد ذكر افلاطون في كتاب السياسة
المدنية ما هو النسيان وما نطق الانسان من صفات النفس
الداخلة على النفس الناطقة وذكر افلاطون في كتاب الى
طيماوس في كتاب فادون في سفينة مقتل سقراط الحكيم وما تكلم
في ذلك في النفس والصورة وقد تكلم الناس في طبقات النفوس
وصفاتها من اصحاب الاديان وغيرهم من الفلاسفة ثم تنازع
اهل الكلام في ماهية الانسان الحساس الدراك المامور
المنهي وما قالته المتصوفة واصحاب المعارف والدعاوي
في طبقات النفوس من النفس المطمئنة والنفس اللوامة والنفس
الامارة بالسوء وغير ذلك مما ذهب اليه اليهود والنصارى والمجوس
والصابئة وغيرهم مما قد اتينا على ايضاحه في كتاب سر
الحياة وغيره من كتبنا وقد سطيح الكاهن وهو ربيع بن ربيعة
ابن مسعود بن مازن بن ذيب بن عدي بن مازن بن غسان بن

سار

160

سائر جسده كما يدرج الثوب لا عظم فيه الا الجمجمة الراس وكانت اذا
لمست باليد اثرت فيه للين عظمها وكان شق بن مصعب بن
يشكر بن رهم بن افرك بن قيس بن عبقر بن انمار بن نزار بن معد في عصر
واحد وكانت معهما طريفة الكاهنة وذلك بعلقمة ذو يعن كانوا
في عصر واحد والله تعالى اعلم بذلك وبه التوفيق لا اله غيره

ذكر جمل من اخبار الكهان وسيل العرم وتفرق الازد في البلاد

قال المسعودي وقد ذكرنا جملا من اخبار الكهانة والقيافة
والزجر والبارح والسانح فلنذكر الان لمعا من اخبار الكهان
وتفرق ولد سبا في البلاد ولم يزل قحطان في اطيب عيش الى ان هلك
سبا فكان القوم بين عز منضيد سبا تداولتهم الاعصار قرنا بعد
قرن الى ان ارسل الله عليهم سيل العرم وذلك ان الرياسة
انتهت فيهم الى عمرو بن عامر مزيقيا ماء السماء بن حارثة الغطريف
ابن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن الازد بن الغوث
ابن كهلان بن سبا وذلك ببلاد مأرب من ارض اليمن وهي
بلاد سبا التي ذكر الله عز وجل في القران انه ارسل على اهلها
سيل العرم وهو السد وكان فرسخا في فرسخ بناه لقمان الاكبر
العادي وهو لقمان بن عاد وقد ذكرنا خبره وخبر غيره ممن
عمر منهم عمر النسور وهذا السد هو الذي يرد عنهم السيل
فيما سلف من الدهور اذا جاء ان يغشى اموالهم ومن نجم ابيه
كل ممزق وباعد بين اسفارهم والناس في قصة هؤلاء مختلفون
وفي سياقة اخبارهم متباينون وذكر اصحاب التاريخ القديم
ان ارض سبا كانت من اخصب ارض اليمن واثراها واغدقها
واكثرها جنانا وغيطانا وافسحها مروجا من بنيان حسن
نعيم وشجر موصوف ومساكب لمياه متكاثفة وانهار
مفترقة وكانت مسيرة اكثر من شهر للراكب المجد على هذه
الحال وفي العرض مثل ذلك وان الراكب والمار كان يسير في
تلك الجنان من اولها الى ان ينتهي الى اخرها لا يرى جهة الشمس
ولا يفارقه الظل لاستتار الارض بالعمارة والشجر واستيلائها
عليها واحاطتها بها فكان اهلها في اطيب عيش وارفهه
واهنى حال وارغده في نهاية الخصب وطيب الهوا وصفاء
الماء وقوة الشوكة واجتماع الكلمة ونهاية المملكة فكانت
بلادهم في الارض مثلا وكانوا على طريقة حسنة من استعمال شرف
الاخلاق وطلب الفضائل على القاصد والمسافر بحسب الامكان

وما يوجد القدر من الحال فمضوا على ذلك ما شاء الله من الاعصار
لا يعاندهم ملك من الاقاليم ولا يوافيهم جبار في جيش الا
كسروه فدانت لهم البلاد واذعن لطاعتهم العباد فصاروا تاج
الارض وكانت المياه التي هي اكثر ما يرد الى ارض سبا تظهر
في مخارق من الحجر الصلد والحجر من ذلك السد والجبل اطول المخارق
فيما وصفنا فرسخ وكان وراء السد انهار عظيمة وكان في
هذه المخارق من تلك الاحجار في النهر ثلثون نقبا مستديرة في
استدارة الذراع طولا وعرضا مدورة على احسن حال من
الهندسة واحكم تقدير فكانت المياه تخرج من تلك النقاب في
مجاري لها حتى تاتي الجنان فيروونها سقيا ويعم شربه القوم
وقد كانت ارض سبا قبل ما وصفنا من العمارة والخصب يركبها
السيل من تلك المياه وكان ملك القوم في ذلك الزمان يقرب الحكماء
ويدنيهم ويوثرهم ويحسن اليهم فجمعهم من اقطار الارض
طلبا لاراءهم والاخذ من محض عقولهم فشاورهم في دفع
ذلك السيل وحصر ذلك انه كان ينحدر من اعالي الجبال
هابطا على راسه حتى يهلك الزرع ويسوق في حفاله البناء
فاجمع القوم رايهم على المصارف له الى براري يقذف به
الى البحار واخبروا الملك ان الماء اذا حفر له المصارف
حتى انحدر الماء وانصرف وتدافع الى تلك الجهات واتخذ ول
السد في الموضع الذي فيه بدء جريان الماء من الجبل الى
الجبل وجعلوا فيه المخارق على ما وصفنا آنفا ثم
اجتنبوا من تلك المياه نهرا مرسلا ومقدارا معلوما
ينتهي في جريانه الى المخارق ثم يتشعب الماء منه الى تلك
الانقاب وهي الثلاثون المخارق الصغار الذي قدمنا
ذكره فكانت البلاد عامرة على ما وصفنا ثم ان تلك الامم بادت
ومرت عليها السنون وضربها الدهور بجعانه وطحنها
بكلكله وعمل الماء في تلك المخارق واضعفه مر السنين عليه وتدافع
الماء في اصول ذلك المخارق وحوله وقد قيل ان تواتر قطر الماء
على الحجر الصلد يوثر فيه فما ظنك بسيل متدافع على حجر
وهي مصنوع فلما سالت ابناء قحطان ما وصفنا في
هذه الديار وتقلبت على ما كان فيها من العظام لم تعلم الا انه
من تحطم السد والمخارق فتغلب الماء على تلك الديار والجنان ن
والعمار والبنيان حتى انقرض سكان تلك الارض وزال [illegible]

ويجلل صح

عملهم صح

اصولها صح

المواطن

المواطن فهذه جمل من اخبار سيل العرم وبلاد سبا والخلاف بين
ذوي الدراية ان العرم هو المسناة التي قد احكموا عملها عليها
لتكون حاجزا بين ضياعهم وبين السيل ففجرته فارة ليكون
ذلك اظهر في الاعجوبة كما افار الله الطوفان من جوف تنور ليكون
ذلك اظهر في الاعجوبة واثبت في العبرة والله اعلم بالحجة ولا
سائر خلاف قحطان من اهل تلك الديار الى هذا الوقت ما كان
من العرم لاستفاضته فيهم وشهرته عندهم وقد فخر بعض
اولاد قحطان في مجلس السفاح لمناقب قحطان من حمير وكهلان ن
على ولد نزار وخالد بن صفوان وغيره من نزار بن معد حضور
منصتون هيبة للسفاح لان اخواله من قحطان فقال السفاح
لخالد بن صفوان الاشطق وقد غمر بكم قحطان بشرفها وغلبت
عليكم بتقديم مناقبها فقال لخالد فاذا اقول القوم ليس منهم
الا دابغ جلد وناسج برد وسائس قرد وراكب عود غرقتهم فارة
وملكتهم امراة ودل عليهم هدهد ثم دهمهم الحيات ثم الى ما كان
من قصصهم وملكت الحبشة عليهم ولما كان من استنقاذ
الفرس اياهم على حسب ما قدمنا آنفا وقد ذكروا في اشعارهم الو م
وما كان من سبا وارض مارب ومارب سمة للملك الذي كان يملك
على هذه البلد ولذا الاسم وقع على هذا البلد فانسماه
وصار سمة له وقال الشاعر

من سبا الحاضرين مارب اذ يبنون من دون سيله العرما

وقد قيل ان مارب سمة لقصر ذلك الملك في صدر هذا الزمان
وقال طهمان في ذلك

الم تروا مارب ما كان احصنه وما حواليه من سور وبنيان

وقد ذكر الاعشى في شعره ما وصفنا حيث يقول في كلمة

ففي ذلك للمؤتسي اسوة ومارب عفا عليها العرم
رخام بنته لهم حمير اذا جاء ماؤهم لم يرم
فاروى الزروع واعنابها على ساعة ماؤهم قد قسم
وكانوا الدهر لهم حقبة فمال بهم جارف منهدم
فطاروا سراعا وما يقدرو ن منه على شرب صبي فطم

وقد ذكرنا في كتابنا في اخبار الزمان الملك الذي طال عمره
وحسنت سيرته وانه بنا هذا السد الذي هو المسناة ولبث
عمره عمر النسور عند ذكرنا لطول الاعمار وقد اكثرت العرب في صفة
طول عمر النسر في الاعمار وضرب الامثال به وبلبد ونصحه بذلك

منهم صح

الديار صح

الغوايب فمن ذلك ما ذكره الخزرجي في شعره في ذكره لطول عمر معاد
ابن مسلم بن رجا مولى القعقاع بن حكيم

ان معاذ بن مسلم رجل * قد ضج من طول عمره الابد
يا نسر لقمان كم تعيش وكم * تلبس ثوب الحياة يا لبد
قد اصبحت دار ادم خربت * وانت فيها كانك الوتد
تسال غربانها اذا نجلت * كيف يكون الصداع والرمد

وقد قدمنا فيما سلف من كتبنا وفي مواضع من هذا الكتاب ما قالته الاوايل في علة طول الاعمار وقصرها وعظم الاجسام في مبدا الدهر وتناقصها على مر الاعصار ومرور الدهور وان الله تعالى لما بدا الخلق كانت الطبيعة التي جعلها الله جبلة للاجسام في تمام الكرم ونهاية القوة والكمال والطبيعة اذا كانت تامة القوة كانت الاعمار اطول والاجسام اقوى لان طرق الموت الطاري يكون بانحلال قوى الطبيعة فلما كانت القوة اتم وازيد فكان العالم في اول شانه تمام العمر ثم لم يزل ينقص اولا فاولا فينقص الاجسام والاعمار مع نقصان المادة حتى يكون ما صار اليه وقد اتى على ما ذكرنا في عظم الاجسام الناطقين في صدر الزمان كثير من اهل النظر والبحث ممن ناظر وزعموا ان ما اثرهم ببنيانهم وما ظهر في الارض من افعالهم يدل على صغر اجسامهم وانها كاجسامنا لما شاهدوه من مساكنهم وبوابهم ومراعيهم فيما احدثوه من البنيان والهيا والديار والمساكن في الجبال وحفرها في الصخر الصلد بيوتا صغارا وابوابها لطافا وذلك بارض عاد ومصر والشام وساير بقاع الارض في الشرق والغرب وهذا باب ان اكثرنا فيه القول طال وان اطنبنا في وصفه كثر فلنرجع الان الى ما عنه عدلنا من وصفه من خبر سد مارب ذكر سبا ومارب وما كان من الملك في ذلك الوقت وهو عمرو ابن عامر المقدم في هذا الباب انه كان اخ كاهن عقيم يقال له عمران وكانت لعمران كاهنة من اهل زمانه من حمير يقال لها طريفة الخير فكان اول شي وقع بمارب وعرف سيل العرم ان عمران الكاهن اخا عمرو راى في كهانته ان قومه سوف يمزقون كل ممزق ويباعد بين اسفارهم فذكر ذلك لاخيه عمرو وهو الملك مزقيا الذي كان يجمع القوم في ايام ملكه والله اعلم بحقيقة الحال في ذلك وبينا طريفة الخير ذات يوم نايمة

كل

اذرات

اذ رات فيما يرى النايم ان سحابة غشيت ارضهم فارعدت وابرقت ثم صعقت فاحرقت ما وقع عليه ووقعت الى الارض فلم تقع على شي الا احرقته ففزعت طريفة لذلك ودعت دعا شديدا واتت الملك عمرو وهو يقول ما رايت اليوم وقد ذهب عني القوم فقلت رايت غيما ارعد وابرق طويلا ثم صعق فما وقع على شي الا احرق قال فما بعد ذلك الا الغرق فلما راوا ما داخلها من الرعب خفضوها وسكنوها حتى سكنت ثم ان عمرو بن عامر دخل حديقة من حدايقه ومعه جاريتان له فبلغ ذلك طريفة فخرجت نحوه وامرت وصيفة لها شان ان تتبعها فلما برزت من باب بيتها عارضتها ثلث مناجد منتصبات على ارجلهن واضعات ايديهن على اعينهن وهي دواب تشبه اليرابيع تكون بارض اليمن فلما راتهن طريفة وضعت يديها على عينيها وقعدت وقالت للوصيفة اذا ذهبت هذه المناجد فاعلميني فلما ذهبت اعلمتها فانطلقت مسرعة فلما عارضها خليج الحديقة التي فيها عمرو وثبت من الما سلحفاة فوقعت في الطريق على ظهرها وجعلت تريد الانقلاب فلا تستطيع فتستعين بيديها وتحثو التراب على بطنها وجنبيها وتقذف بالبول فلما راتها طريفة جلست الى الارض فلما عادت السلحفاة الى الما مضت طريفة الى ان دخلت الى عمرو الحديقة حين انتصف النهار في ساعة شديد حرها فاذا الشجر يتكفا من غير ريح فتقدمت حتى دخلت على عمرو ومعه جاريتان له على الفراش فلما راها استحيا وامر الجاريتين فنزلتا عن الفراش ثم قال لها هلمي يا طريفة الى فراشك فتكهنت فقالت والنور والظلما والارض والسما ان الشجر لهالك ولن الما ليعودن كما كان في الدهر قال عمرو ومن خبرك بهذا قالت اخبرتني المناجد بسنين شدايد يقطع فيها الولد الوالد قال ما تقولين قالت اقول قول الندمان لهفا قد رايت سلحفاة تجرف التراب جرفا وتقذف بالبول قذفا فدخلت الحديقة فاذا الشجر يتكفا قال عمرو ما ترين ذلك قالت هي داهية ركيمة ومصيبة عظيمة بامور جسيمة قال وما هي ويلك قالت اجل ان لي فيها الويل وما لك فيها من نيل فلي ولك الويل مما يجي به السيل فالقى عمرو نفسه عن الفراش فقال ما هذا يا طريفة قالت هو خطب جليل وحزن طويل وخلف قليل والقليل خير من تركه

نقال العامه

قال عمرو وما علامة ذلك ومتى تذكرين قالت اذهب الى السد فاذا
رايت جرذا يكثر بيديه في السد الحفر ويقلب برجليه الصخر فاعلم
ان العقر عقير وان قد وقع الامر قال وما هذا الامر الذي وقع قالت قدم
وعد من الله نزل وباطل بطل ونكال منا نكل فبغيرك يا عمرو
فليكن النكل فانطلق عمرو الى السد يحرسه فاذا الجرذ يقلب
برجليه صخرة ما يقلبها خمسون رجلا فرجع الى طريفة فاخبرها
الخبر وهو يقول

ابصر امرا عادني منه الم	وهاج لي من جوله برح السقم
من جرذ كفحل خنزير الاجم	او تيس صرم من افاويق الغنم
يسحب قطرا من جلاميد العرم	له مخاليب وانياب قضم
ما فاته سحلا من الصخر قصم	كانما يرعى حضيرا من سلم

فقالت طريفة له ان من علامة ما ذكرت لك ان تجلس في مجلسك ها
بين الجنتين ثم تامر بزجاجة فتوضع بين يديك فان الريح يتملو
من تراب البطحاء من سهلة الوادي ومن رمله وقد علمنا ان الجنان
مظلله ما يدخلها شمس ولا ريح فامر عمرو بزجاجة فوضعت
بين يديه فلم تمكث الا قليلا حتى امتلات من تراب البطحاء فاذهب
عمرو الى طريفة بذلك وقال لها متى ترين هلاك السد قالت فيما
بينك وبين سبع سنين قال ففي ايها قالت لا يعلم ذلك الا
الله ولو علمه احد لعلمته ولا ياتي عليك ليلة فيما بينك وبين
السبع سنين الا ظننت ان هلاكه في غدها او في تلك الليلة
وراى عمرو في النوم سيل العرم وقيل له ان اية ذلك ان ترى
الحصباء قد ظهرت في سعف النخل فذهب الى جرائد النخل
وسعفه فوجد الحصباء قد ظهرت فعلم ان ذلك واقع بهم
وان بلادهم ستخرب فكتم ذلك واخفاه واجمع ان يبيع كل
شيء له بارض سبا ويخرج منها هو وولده ثم خشي الناس
تستنكر ذلك فصنع طعاما وامر بابل فنحرت وبغنم فذبحت
وصنع صنيعا واسعا ثم بعث عمرو الى اهل مارب انه صانع
يوم مجد وذكر فاحضروا طعامه ثم دعا ابنا له يقال له مالك
ويقال بل كان يتيما في حجره فقال له اذا جلست لطعم الناس
فاجلس عندي ونازعني الحديث واردده علي وافعل بي
مثل ما افعل بك وجاء اهل مارب فلما جلسوا لطعم الناس
وجلس عنده الذي امره بما امره به فجعل ينازعه الحديث ويرد
عليه فضرب عمرو وجهه وشتمه فصنع به مثل ما صنع عمرو

فقام

قام عمرو فصاح واذلاه يوم فخر عمرو فجمه صبي وضرب وجهه وحلف
ليقتله فلم يزالوا به حتى تركه وقال والله لا اقيم ببلد صنع هذا
بي فيه ولابيعن عقاري واموالي فيه فقال الناس بعضهم لبعض
اغتنموا غضبة عمرو واشتروا منه امواله قبل ان يرضى فابتاع
الناس منه كل مال له بارض مارب وفشا بعض حديثه فيما بلغهم من
شان سيل العرم فخرج ناس من الازد وباعوا اموالهم فلما اكثروا
البيع استنكر ذلك الناس فامسكوا بايديهم فلما اجتمعت
الى عمرو بن عامر امواله اخبر الناس بشان سيل العرم فقال الخوه
عمران الكاهن العاقر اني قد رايت انكم ستمزقون كل ممزق وتباعد
بين اسفاركم وساصف لكم البلدان فاختاروا ايها شئتم
فمن كان منكم ذا هم بعيد
وجمل شديد ومزاد غير بعيد فليلحق بالشعب من كرود وهي
ارض همدان فلحقت به وادعة بن عمرو فانتسبوا فيهم وقال
الكاهن من كان منكم ذا حاجة وطرق وسياسة ونطق وصبر
على ازمات الدهر فليلحق ببطن مر فكان الذين سكنوه خزاعة
لانخزاع عنهم في ذلك الموضع عمن كانت معه من الناس وهم
بنو عمرو بن لحي فانخزعت هنالك فقيل لهم خزاعة الى هذه
الغاية وفي ذلك يقول حسان بن ثابت الانصاري

ولما هبطنا بطن مر تخزعت	خزاعة منا في بطون كراكر

وفي ذلك وانيم ومكان بنو قصي بن حارثة بن عمرو بن ربيعة
قال الكاهن ومن كان منكم يريد الراسيات في الوحل المطعمات في
المحل فليلحق بيثرب ذات النخل وهي المدينة فكان الذين
سكنوها الاوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن ربيعة
قال الكاهن ومن كان منكم يريد الخمر والخمير والثياب الحرير والامر
والتامير فليلحق ببصرى وحفير وهما ارض الشام وكان الذين
سكنوها غسان قال الكاهن ومن كان منكم يريد الثياب
الرقاق والخيول العتاق والكنوز والارزاق فليلحق بالعراق
فكان الذين سكنوها مالك بن فهم الازدي وولده ومن كان بالحيرة
من غسان مع تبع بعد ذلك الزمان ثم خرج عمرو بن عامر وولده
من مارب وخرج من كان بمارب من الازد بعد ان ارضا منهم يتبعون
بها فغاربتهم وادعة بن عمرو مرتبعا فسكنوا ارض همدان
وتخلف عنهم مالك بن اليمان بن فهم بن غنم بن دوس بن عدثان بن
الازد فكان بعدهم بمارب الى ان كان من امرهم ما كان من الهلك

ثم ساروا حتى اذا كانوا بنجران تخلف ابو حارثة بن عامر بها
ودعيل الى حارثة فانتسبوا الى مذحج قال ابو المنذر ويقال ان ابا
حارثة موجد الحارث بن كعب بن ابي حذيفة الذي بنجران
والله اعلم ثم سار عمرو بن عامر حتى اذا كان بارض السراة وبها
اقام اناس من بني نصر بن الازد اقام معهم عمران بن عامر وبنو مازن
حتى نزلوا بين بلاد الاشعريين وعك على ماء يقال له غسان
بين واديين يقال لهما زبيد ورمع وهما مما يلي صدور بها بني
صعيد يقال له صعيد الحسك وبين الجبال التي تدفع في
زبيد فاقاموا على غسان وشربوا منه فسموا الغسان وغلبت
على اسمائهم فلا يعرفون الا به قال شاعرهم
الازد نسبتنا والماء غسان
اما سالت فانا معشر نجب
قال والذين سموا غسان من بني مازن الاوس والخزرج ابنا
حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزيقيا وجفنة بن عمرو مزيقيا والحرث
وعوف وكعب ومالك بنو عمرو مزيقيا والتوم وعدي ابنا
حارثة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن الازد ولحق من
اخبار في تغربهم وفي دخل منهم في معد بن عدنان وما كان
بينهم من الحروب الى ان ظهرت بهم معد فاخرجتهم الى ان لحقوا
بالسراة والسراة جبل الازد الذين هم به يقال له الحجاز وانما سمي
السراة من هذا الجبل ظهره فيقال لظهره السراة كما يقال لظهر الدابة
السراة فاقاموا به فكانوا في سهله وجبله وما قاربه وهو جبل
على تخوم الشام وفيه وبين الحجاز مما يلي اعمال دمشق والاردن
وبلاد فلسطين وقد كان اهل مارب يعبدون الشمس فبعث
اليهم رسل تدعوهم الى الله عز وجل وتزجرهم عما هم
عليه وتذكرهم نعم الله ونعمته عليهم فجحدوا قولهم وردوا
كلامهم وانكروا ان يكون لله عليهم نعمة وقالوا لهم ان كنتم
رسلا فادعوا الله ان يسلبنا ما انعم به علينا ويذهب عنا ما
اعطانا وفي ذلك تقول امراة منهم
ان كان ما يصبح في ظلاله
زيد فلينطلق عياله
اليه غنا وليحيا له
فدعت عليهم الرسل فارسل الله عليهم سيل العرم فهدم سدهم
وغشي الماء ارضهم فاهلك شجرهم وباد خضراهم وزالت
اموالهم وانعامهم فاتوا رسلهم فقالوا ادعوا الله ان يخلف علينا
انعامنا ويخصب بلادنا ويرد علينا ما شرد من انعامنا ونعطيكم

موثقا

موثقا الا نشرك به شيئا فسالت الرسل ربها فاجابهم الى ذلك
واعطاهم ما سالوا فاخصبت بلادهم واتسعت عمارتهم الى
الى ارض فلسطين وبلاد الشام وقرى ومنازل واسواقا
فاتتهم رسلهم فقالوا موعدكم ان تؤمنوا فابوا الا طغيانا
وكفرا ففرقهم الله كل ممزق وباعد بين اسفارهم قال المسعودي
وقد ذكرنا جملا من اخبار السد وبلاد مارب وعمرو بن
عامر وغير ذلك مما تقدم ذكره في هذا الباب فلنرجع الان
الى اخبار الكهان وقد كان اول من تكهن سطيح الغساني
اذ كان نائما في ليلة صهاكية مظلمة مع اخوته في خف ذي
حلوف اذ زعق بينهم وابان وتاوه وقال والضياء والشفق
والظلام والغسق ليطرقنكم ما طرق يا سطيح قال ما طرق
ال الاجلح حين سرى النسل النجم فلح ولا هم ردح
وقالوا ما علامة ذلك قال ام سدك النجم وحسه من
الزجره وغيرتها بعدها جرح في ليلة اخرى قرم فاض لولج
قوله واستهانوا بايامه وتعاصفت بهذه ودم زاودية هنالك
ففاجاتهم في ليلة قرم باردة كما ذكر فساقت الانعام والمواشي
وكادت ان تذهب بعامتهم ولسطيح الكاهن وشق بن
صعب اخبار كثيرة عجيبة منها خبر ذي ناسع الحميري في
ان جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بارض تهامة فاكلت
منها كل ذات جمجمة وما فسره له في ذلك وكذلك خبر
سطيح وعبد المسيح ورؤيا الموبذان وارتجاج الايوان
وخبر سلفه وذو بعد وما كان من امرها وخبر ساق الطلمه
وما كان من عك وغسان من الحروب في رقة اللبن وحلاوته
وكثرته ونزول غسان على الوكرب وعد سفله وما كان في
ذلك من القيافة بينهم في طلوع الشمس وغروبها على الحلم
وخبر السموال بن عاديا وما كان من امره ومازن الكاهن وما قال
له حين طرقه ليلا والقيادة الى بيته وما كان من العبد الاسود
والظليم الاعمى والزمرد الاشعر والجمل الاورق والشيخ الاخرق
وغير ذلك من اخبار الكهان والقافة وقد اتينا على ذكر ذلك
فيما سلف من كتابنا في اخبار الزمان والاوسط والحمد لله على ذلك

ذكر سني العرب والعجم وشهورها وما اتفق منها وما اختلف

قال المسعودي في عدد الشهور عند العرب وسائر الاعاجم
اثنا عشر شهرا فلذلك سنتهم اثنا عشر شهرا واسماء الشهور

اهله وهم العرب والفرس والروم والسريانيون والقبط اذ كان
قول اليونانيين في ذلك كما ذهب اليه الروم ولم نعرض لوصف
قول الهند في السنين والشهور والايام وما ذهبت اليه
في ذلك من الحساب ومن تبعهم على ذلك من اهل الصين وكثير
من الممالك والامم اذ كان يخرج ذلك خروجا عما عليه الجمهور
والمعهود بين الناس وجعل المبدا بذكر شهور
القبط لموافقتها السريانيين ثم نعقب ذلك بذكر شهور
السريانيين وموافقتها لشهور الروم ثم نعقب بعد ذلك
بذكر شهور الفرس وشهورها وايامها ولانه عدم استحقت
عندنا تسمية كل شهر منها وكل يوم ولما قالته العرب في
ذكر الليالي وجمل من ذكر افعال الشمس والقمر وتاثيرهما
في هذا العالم في الجماد والنبات وغير ذلك مما يقف عليه المتامل

ذكر شهور القبط والسريانيين والخلاف في اسمائها وجمل من التاريخ

اول شهور القبط توت وهو ايلول وبابه وهو تشرين الاول
وهاتور وهو تشرين الثاني وكيهك وهو كانون الاول وطوبه
وهو كانون الثاني وامشير وهو شباط وبرمهات وهو
اذار وبرموده وهو نيسان وبشنس وهو ايار وبؤنه
وهو حزيران وابيب وهو تموز ومسرى وهو اب
وللقبط بعدها خمسة ايام لواحق تدعى النسي يزيدونها
على اثني عشر شهرا وهي ثلاثمائة وستون يوما فاول يوم
من السنة عند القبط هو اليوم التاسع والعشرين من اب
وعدد كل شهر منها ثلاثون يوما فكانت ايام السنة ثلاثمائة وخمسة
وستون يوما بعدد ايام سنة الفرس فكان اول توت
اول اذرماه ثم كل شهر كذلك على هذا الوصف الى اخر
سنة القبط اخر اذرماه وهذا الحساب بعينه موجود
في كتب الزيجات في النجوم واهل مصر وسائر
القبط في هذا الوقت وهو سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة
يستعملون في حسابهم في الشهور غير ما قدمنا وذلك
انهم زادوا في ايام السنة ربع يوم على ما عليه السريانيين
والروم فصارت شهورهم مخالفة لشهور الفرس موافقة
لشهور اليونانيين والروم في عدد ايام السنة وتاريخ
القبط في كتاب المجسطي من اول السنة التي كان فيها ملك بخت ناصر
وكان اولها يوم الاربعاء وأما تاريخ القبط في كتاب

زيج

زيج بطليموس فمن اول سنة ملك فيلفوس وكان
اولها يوم الاحد والتباين الذي بين البخت ناصر وتاريخ
يزدجرد الف وثلثمائة وتسع وسبعون سنة فارسية
وثلثة اشهر والذي بين تاريخ فيلفوس ويزدجرد تسعمائة
وثلثين واربعين سنة من سني الروم واثنان وخمسون
يوما وبين تاريخ يزدجرد وتاريخ الهجرة من الايام ثلثة الاف
وستمائة واربعة وعشرين يوما فاول هذه التواريخ
تاريخ البخت ناصر ثم تاريخ فيلفوس ثم تاريخ الاسكندر
ثم تاريخ الهجرة ثم تاريخ يزدجرد وتاريخ العرب من اول السنة
التي هاجر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
من مكة الى المدينة وكان اولها يوم الخميس وتاريخ
الفرس من اول السنة التي ملك فيها يزدجرد بن شهريار بن
كسرى بن ابرويز وكان اولها الثلاثاء وتاريخ الروم
والسريانيين من اول سنة ملك الاسكندر وكان
اولها يوم الاثنين والله اعلم بذلك وبالله التوفيق

ذكر شهور السريانيين ووصف موافقتها لشهور العرب
وعدد ايام السنة ومعرفة الانواء

فاول ذلك ان ايام السنة ثلثمائة وخمسة وستون يوما
وربع يوم وهي مختلفة في العدد فنيسان ثلثون يوما
وايار احد وثلثون يوما وحزيران ثلثون يوما والثاني
عشر منه رجوع الشمس هابطة من الشمال وهو اطول
يوم في السنة واقصر ليلة وتموز احد وثلثون يوما
واب احد وثلثون يوما فاذا انسلخ اب ذهب الحر
وفي ذلك يقول محمد بن عبد الملك الزيات

برد الماء وطاب الليل والتذ الشراب
ومضى عنك حزيران وتموز واب

وايلول ثلثون يوما وفي الخامس منه عيد زكريا ولعشر
منه تطلع الصرفة فتنصرف الحر ولثلث عشر منه عيد
الصليب وهو الرابع عشر منه وفي مثل هذا اليوم يفتح
الترع بمصر على حسب ما ذكرنا فيما سلف في هذا الكتاب
ولثماني عشر منه تستوي الليالي والنهار قال ابو نواس

مضى ايلول وارتفع الحرور واخبت نارها الشعرى العبور

وتشرين الاول احد وثلثون يوما وفيه تلوح المهرجان

وبين النيروز والمهرجان مائة وسبعة وستون يوما
وعند الفرس في معنى المهرجان انه كان ملك في قديم
الزمان من ملوك الفرس قد خص ظلمه خواص الناس وعوامهم
وكان يسمى مهر وكانت الشهور تسمى باسماء الملوك فقيل
مهرماه هو الشهر وان ذلك الملك طال عمره واشتدت
وطاته فمات في النصف من هذا الشهر وهو مهرماه فسمي
ذلك اليوم مهرجان وتفسيره نفس مهر ذهب
لان الفرس تقدم في لغتها ما تؤخره العرب في كلامها وهذه
اللغة الفهلوية وهي الفارسية الاولى واهل الروات
بالعراق وغيرها من بلدان العجم يجعلون هذا اليوم اول
يوم من الشتاء فيغير فيه الفرش والالات وكثير من الملابس
والخمس منه وهو تشرين الاول عيد القيامة ببيت المقدس وفي
هذا العيد يجتمع النصارى من سائر الارض وتنزل عندهم
النار من السماء فتسرج هنالك الشمع ويجتمع فيه خلق كثير من
المسلمين للنظر الى هذا العيد ويقلع فيه ورق الزيتون
وللنصارى فيه اقاصيص في نزول النار حيلة لطيفة وسر
عظيم قد ذكرنا وجه الحيلة في ذلك في كتابنا المترجم بكتاب
القضايا والتجارب وتشرين الاخير ثلثون يوما ولتسع
عشر يوما منه يكون النهار تسع ساعات ونصف وربع وهو
منتهى قصره والليل اربعة عشر ساعة وربع وهو منتهى
طوله وفي ليلة الخامس والعشرين منه ميلاد المسيح عليه السلام
وكانون الاخر احد وثلثون يوما واول يوم منه القلندس
يلهون فيه بالشام لاهله عيد يوقدون في ليلته النيران
ويظهرون الاسيما بمدينة انطاكية ويجتمعون في كنيسة القسيان
بها من القداس عندهم وكذلك بسائر الشام وبيت
المقدس ومصر وارض النصرانية كلها ويظهر اهل دين
النصرانية بانطاكية من الفرح والسرور وايقاد النيران وسلعه
على ذلك كثير من عوامهم وكثير من خواصهم وذلك ان مدينة انطاكية
بها كرسي البطرك الاعظم عندها في دينها وان النصرانية
تسمي انطاكية مدينة الله ويسمونها ايضا مدينة الملك
وام المدن كان بدء ظهور النصرانية بها والبطارقة عند
اربعة اولهم صاحب مدينة رومية ثم الثاني وهو صاحب
مدينة القسطنطينية وهي اقسى واسمها القديم بوزنطيا

ثم الثالث

ثم الثالث وهو صاحب الاسكندرية من ارض مصر ثم الرابع وهو صاحب
انطاكية ورومية وانطاكية لبطرس ورومية لبولس فبدؤوا
بانطاكية لانها لبطرس ثم جعلوا رومية لانها لبولس تعظيما
له ثم احدثوا كرسيا خامسا ببيت المقدس ولم يكن هذا
فيهم متقدما وانما هو محدث وكان لايليا وهي بيت المقدس
اسقف والكورة لها من ارض فلسطين وبانطاكية ايضا
كنيسة بولس وتعرف بانطاكية بدير البراغيث وهي مما يلي
باب فارس وبها ايضا كنيسة لطيفة تدعى اشمونيث
ولها عيد عظيم عند النصرانية وكذلك بها كنيسة بربارا
وبها كنيسة مريم وهي كنيسة مدورة وبنيانها من احدى
عجائب العالم في التشييد والرفعة وقد كان الوليد بن
عبد الملك بن مروان اقتلع من هذه الكنيسة عمدا عجيبة
من المرمر والرخام لمسجد دمشق حملت في البحر الى ساحل
دمشق وعلو الاثر من هذه الكنيسة الى هذا الوقت
وقد كان لملك من ملوك الروم بانطاكية مع اليهود خبر
عجيب في كنيسة اشمونيث وكانت خارج السور من انطاكية
وهي في ايدي اليهود فعوض الملك دار اليهود دار الملك بانطاكية
بدلا من كنيسة اشمونيث وهذه الدار التي كانت دار الملك تعرف
بانطاكية وفي هذا الوقت بدار اليهود ولليهود حيلة احتالوها
حين خرجت الكنيسة من ايديهم حتى قتلوا من النصرانية
خلقا عظيما في هذه الكنيسة من شيء خشب فيها وغير ذلك
وقد قدمنا اخبار بطرس وبولس وكان من امرهما بمدينة
رومية وغيرها من تلاميذ المسيح وتفرقهم في البلاد وذكرنا
قصة الملك الذي بنا مدينة انطاكية وهو المعروف بانطخس
وتفسير ذلك محوط الحائط وكان اسم انطاكية بالرومية على
اسم انطخس فلما ورد المسلمون وافتتحوها حذفوا الالف
والنون والطا وفي تاريخ النصارى الملكية وغيرهم من اهل
النصرانية يكون لمولد المسيح الى وقتنا هذا وهو سنة اثنين وثلثين
وثلثمائة تسعمائة سنة واربعون سنة ويكون سنو الاسكندر
الفا ومايتين وخمس وخمسين سنة ويكون من الاسكندر الى
المسيح ثلثمائة سنة وتسع وستون سنة هذا ما وجدت في
تاريخ الملكية في كنيسة القسيان بمدينة انطاكية وسنذكر بعد
هذا الموضع من هذا الكتاب جوامع التاريخ في باب نفرده لذلك ان شاء الله

فلنرجع الآن الى وصف حساب الشهور شباط ثمانية وعشرون
يوما وربع ثلث سنين متوالية والرابع كبيسة فيكون تسعا
وعشرين يوما ويكون بذلك السنة ثلثمائة وستين يوما ولسبع
منه تسقط الجمرة الاولى وهي الجبهة ولاربع عشرة منه تسقط الجمرة
الثانية وهي الزبرة ولاحدى وعشرين منه تسقط الجمرة الثالثة
وهي الصرفة وينصرف البرد وثلثة ايام من آخره ايام العجوز
وآذار واحد وثلثون يوما واربعة من اوله تتمة ايام العجوز
والعرب تسمي هذه الايام صن وصنبر ووبر وآمر ومؤتمر ومعلل
ومطفئ الجمر " قال الشاعر

" كسع الشتاء بسبعة غبر   ايام شهلتنا من الشهر "
" فاذا انقضت ايام شهلتنا   بالصن والصنبر والوبر "
" وبآمر واخيه مؤتمر   ومعلل وبمطفئ الجمر "
" ذهب الشتاء موليا هربا   واتتك واقدة من الحر "

وخمس عشرة من آذار يستوي الليل والنهار وتدخل الشمس
الحمل وهذا اليوم تحويل سنة العالم " قال ابو نواس

" اما ترى الشمس حلت الحملا   وقام وزن الزمان فاعتدلا "
" وغنت الطير بعد عجمتها   واستوفت الخمر حولها كملا "
" واكتست الارض من زخارفها   وشي نبات تخاله الحللا "
" فاشرب على جدة الزمان فقد   اصبح وجه الزمان مقتبلا "

وليس لحلول الشمس الحمل تستوي في كل سنة وانما الى
حولها قد تمام الحول والقوم قال المسعودي فاما شهور
الفرس فهي موافقة لشهور السريانيين في العدد وذكر ان اول
شهور الروم هو ينواريوس وهو كانون الثاني وقد قدمنا
ان اول يوم منه يكون القلنداس وشباط فارجاويس واذار
مرطيوس ونيسان ابريليوس وايار ماييوس وحزيران
يونيوس وتموز يوليوس وآب اغسطس وايلول
سطمبريوس وتشرين الاول اقطوبريوس وتشرين الآخر نوبمبريوس
وكانون الاول ذقمبريوس

ذكر شهور الفرس

شهور الفرس كلها ثلثون يوما ثلثون يوما فاولها فروردين ماه
واول يوم منه النيروز وبينه وبين المهرجان مائة واربعة
وسبعون يوما والثاني اردبهشت ماه وخرداذ ماه
وتير ماه ومنه عيد المهرجان ومرداد ماه وشهرير ماه ويوم

السادس عشر منه المهرجان ومرداد ماه وشهرير ماه ويوم
السادس عشر منه المهرجان وابان ماه واناروز عيد الابكار
وهذه خمسة ايام الفروردجان وآذر ماه اول يوم منه يخرج
الكوسج فيه راكبا بغلة بالعراق وارض فارس فلا يعرف في
وصفنا الا بالعراق وارض فارس واهل الشام والجزيرة ومصر
واليمن لا يعرفون ذلك ويطعم هذه من ايام الجوز والثوم واللحم
السمين وما عدا ذلك من الاطعمة الحارة والاشربة المسخنة الدافعة
للبرد فيظهر طارد البرد ويصب عليه الماء البارد فلا يجد لذلك
شيئا من المه ويصيح بالفارسية كرما كرما الحر
وقت عند الاعاجم يطايبون فيه ويظهرون فيه ويطهرون
البرد وكذلك اوقات كثيرة من اوقات السنة وآذر دون
البرخس ودي ماه ودشه وذينا واوه وبهمن ماه
واسفندارمذ ماه ... وتستوفي ماه بذلك
ثلثمائة وخمسة وستون يوما

ذكر اسماء ايام الفرس

هرمز ، وبهمن ، واردبهشت ، وشهرير ، واسفندارمذ ، وخرداد ،
ومرداد ، ودي باذر ، وآذر ، وابان ، وخور ، وماه ، وتير ،
وجوش ، ودي بمهر ، ومهر ، وسروش ، ورشن ، وفروردين ،
وبهرام ، ورام ، وفيه يقول الشاعر

" باكر لنا الكاس المدام   في يوم سبت ويوم رام "
" شرائطي فيه لم تزل لي   وقت الضحى فاز الكلام "

وباد ودي بدين ودين واذر واسمان وزامياد ومار اسفند
وانيران فاما ايامهم المعروفة بالفروردجان فهي اهنود كاه اشتود كاه
سفنتمد كاه وهشتويش كاه وكانت تسمي هذه الايام الخمسة المسترقة
والكبيسة وقالب العمرين وحافل الطعن ويدحرج الكبير وكانت
الفرس تكبس في كل مائة وعشرين سنة شهرا وانما اخروا
ذلك الى مائة وعشرين سنة لان ايامهم كانت سعودا
ونحوسا فكرهوا ان يكبسوا في كل اربع سنين يوما فينتقل
بذلك ايام السعود الى ايام النحوس فلا يكون اول يوم من الشهر

ذكر سني العرب وشهورهم وتسمية ايامها ولياليها

شهور الاهلة اولها المحرم وايامها ثلثمائة واربعة وخمسون
يوما تنقص من السرياني احد عشر يوما وربع يوم فيتفق في كل
ثلث وثلثين سنة فتنسلخ تلك السنة العربية ولا يكون فيها

نيروز وقد كانت العرب في الجاهلية تلبس في كل ثلث سنين شهرا
وتسميه النسي وهو التاخير وقد ذم الله سبحانه وتعالى النسي
في قوله تعالى انما النسي زيادة في الكفر وسمت العرب الشهور فبدات
بالمحرم لانه اول السنة وانما سمته المحرم لتحريمهم الحرب والغارات
فيه وصفر الاسواق فانه باليمن تسمى الصفرية كانوا يمتارون
منها ومن يختلف عنها هلك جوعا قال النابغة الذبياني
اني نهيت بني ذبيان عاقرة وعن تربعهم في كل اصفار
وقد قيل انما سمي صفرا لان المدن كانت تخلو من اهلها
لخروجهم الى الحرب وهو ماخوذ من قولهم صفرت الدار منهم
اذا خلت من اهلها وربيع وربيع لارتباع الناس والخيل والدواب لب
فان قيل قد توجد الدواب ترتبع في غير ذلك الوقت قيل
قد يمكن ان يكون هذا الاسم لزمها في ذلك الوقت فاستمر
تعريفهما بذلك مع انفاق الزمان واختلافه وجمادى وجمادى
لجمود الماء فيهما في الزمان الذي سميت به هذه الشهور لانهم لم
يعلموا ان الحر والبرد يدوران فيستقل اوقات ذلك ورجب
لخوفهم يقول رجبت الشي اي خفته وانشد
فلا لهيبها ولا رجبها
وشعبان لتشعبهم الى مياههم وطلب الغارات ورمضان
لشدة الرمضاء فيه ذلك الوقت فيه والوجه انه اسم من اسماء
الله تعالى في جل ذكره ولا يجوز ان يقال رمضان وانما يجب
ان يقال شهر رمضان وشوال لان الابل كانت تشول
فيه في ذلك الوقت باذنابها من شهوة الضراب ولذلك كرهت
العرب التزويج فيه وذو القعدة لقعودهم فيه عن الحرب والغارات دلت
وذو الحجة لان فيه يكون الحج والاشهر الحج شوال وذو القعدة وعشر
من ذي الحجة والايام المعلومات ايام العشر والايام المعدودات
ايام التشريق والتعجيل باتفاق وغير جائز الا في اليوم الثالث
من يوم النحر فذلك كله ان اولها ثاني يوم النحر ولو كان
يوم النحر من المعدودات لكان التعجيل في يوم النحر وهذا
خلاف القرآن اخبار الله عز وجل ان التعجيل في يومين من المعدودات
واذا كانت العشر والمعدودات ما وصفنا صح ان المعلومات منها
والذبح في يوم النحر ذبح في المعلومات لكونها منها ولا مانع من ان يجوز
ان يقول القائل اسكن في الشهر والايام انما يكون في بعضه وحنث
في اليوم والمجي في بعض اوقاته ولا يصام يوم النحر ولا يوم الفطر

ولا ايام

ولا ايام منى لفرض ولا تطوع لنهي النبي صلى الله عليه واله وسلم
عن ذلك ولم يخص فرضا من تطوع بالنهي فالواجب الامتناع على ما
وصفنا وقد ذكر عن عقبة بن عامر ان النبي صلى الله عليه واله وسلم
نهى عن صيام ثلثة ايام التشريق وفي جميع ما ذكرنا من
المعلومات والمعدودات والصيام في ايام التشريق خلاف
بين الناس وايام التشريق اولها ثاني النحر واخرها اليوم الثالث
عشر من ذي الحجة الى العصر قال المسعودي وقد اختلف الناس
في علة تسميتها ايام التشريق وهي ايام منى ولياليها فقالت
طائفة انما سميت ايام التشريق لانهم كانوا يجوزون الذبائح يعني
ويشرقون اللحم في الشمس وغيره وقال اخرون انما سميت ايام التشريق
لانهم كانوا يخرجون لمنى وغيرها كالمزدلفة الى مصليات لهم
في فضاء من الارض يسمونها المشارق واحدها مشرق يسجون
ويدعون فسميت بذلك ايام التشريق وفيه قول اخر وهو ان
طائفة ذهبت انه ماخوذ من ذبح البهائم وهو التشريق وقالوا ان
النبي صلى الله عليه واله وسلم نهى عن الاضحية بالمشرقة يعني
مشقوقة الاذنين بالطول فهي ايام التشريق ولاهل الاراء
والنحل كلام كثير لا يحتمله كتابنا هذا وانما ذكرنا ما اوردناه
لئلا يخلو كتابنا من الكلام اليه وانصاله بما قدمنا اليه وان كان طلابه
يلحق بالعقد والايام الحسان اربع من الشهر مثل اربع خلون
واربع عشر خلت واربع عشر بقيت واربع وعشرين خلت
واربع بقيت فاما اسماء الايام اولها الاحد سمي بذلك
لانه اول يوم خلقه الله من الزمان وبذلك نطقت التوراة وقد قدمنا
في صدر هذا الكتاب ما في الايام في بدء الخلق وسمي الاحد لانه
اول والاثنين لانه ثاني له والثلثاء لانه ثالث والاربعاء
لانه رابع والخميس لانه خامس والجمعة لان الخلق اجتمع فيه
والسبت لان الخلق انقطع فيه وفيه فرغ من خلق ادم وهو ماخوذ
من قولهم فعل سبيت اذا كانت مقطوعة الشعر يقال سبت
شعره اذا قطعه وكانت العرب تسميها في الجاهلية الاحد اول
والاثنين اهون والثلثاء جبار والاربعاء دبار والخميس
مونس والجمعة عروبة والسبت شيار وكانوا يسمون الاشهر
المحرم ناتق صفر ثقيل طليق ناجر اسلخ اميح احلك
كسع زاهر برك حرف نعس وهو ذو الحجة وقد اختلف العرب في
اسماء الازمنة الاربعة فزعمت طائفة منها ان اولها الوسمي وهو

الخريف ثم الشتاء ثم الربيع ثم القيظ ومنهم من يعد الاول من فصول
السنة الربيع وهو الاشهر والاعم والعرب تقول صيفنا في بلد
كذا وشتونا في بلد كذا وتربعنا في بلد كذا وشهور العرب
ليست مرتبة على فصول السنة ولا على حساب الشمس بل القمر
وغيره من الشهور العربية قد يقع تارة في الربيع وتارة في غيره
من فصول السنة وشهور الروم مرسومة على ما يوافق فصول سنة
الشمس التي تقطع فيها بروج الفلك على آخرها ومقادير ايام كل
شهر منها ولياليه في الطول والقصر وظهور ما يظهر فيه من النجوم
البادية للابصار واستتار ما يستتر منها على مر الدهور
والسنين وهي اثنا عشر شهرا على حسب ما ذكرنا آذار او لها تشرين
وتشرين الى ايلول ولكل فصل من فصول السنة الاربعة شهور
معلومة من هذه الاثني عشر على حالها ولا تنتقل انتقال الشهور العربية
ولكل ربع منها شهر فايلول وتشرين وتشرين لسلطان السودا وكانون
وكانون وشباط لسلطان البلغم واذار ونيسان وايار لسلطان
الدم وحزيران وتموز واب لسلطان الصفرا فايلول برجه السنبلة
وتشرين الاول برجه الميزان وتشرين الثاني برجه العقرب وكانون
الاول برجه القوس وكانون الآخر برجه الجدي وشباط برجه
الدلو واذار برجه الحوت ونيسان برجه الحمل وحزيران برجه
الجوزاء وتموز برجه السرطان واب برجه الاسد ،
قال المسعودي وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملا من
الكلام في الطبايع وفصول السنة وقوايم ذلك من الاخبار والمآرب
وغير ذلك مما يلحق بهذا الباب ٥

ذكر قول العرب في ليالي الشهر القمرية وغيرها

كانت العرب تخبر عن القمر في كل ليلة من الشهر على حسب ما بدر من الضياء
وغيره على طريق المسئلة والجواب فتقول قيل للقمر ما انت
قال ابن ليلة رضاع سخيلة حل اهلها برميلة قيل
ما انت لليلتين قال حديث امتين بكذب ومين
قيل ما انت لثلث قال حديث فتيات بجمعن من شتات
وقيل قليل اللباث قيل ما انت لاربع قال عتمة ربع غير جايع
ولا مرضع قيل ما انت لخمس قال حديث وانس قيل
ما انت لست قال سر وبت قيل ما انت لسبع قال يبصر في
النسع وقيل دلجة الضبع قيل ما انت لثمان قال قمر اضحيان
وقيل رغيف اقسمه اخوان قيل ما انت لتسع قال التقطي

وصيفنا في بلد كذا صح

الجزع

الجزع قيل ما انت لعشر قال مخانق للفجر قيل ما انت
لاحدى عشرة قال ارى عشاء وارى بكرة قيل ما انت لاثنى
عشرة قال موثق في السير للبدو والحضر قيل ما انت
لثلث عشرة قال قمر باهر يغشى عين الناظر قيل ما انت
لاربع عشرة قال مقتبل الشباب اضيء دجنات السحاب قيل
ما انت لخمس عشرة قال تم التمام ونفدت الايام قيل ما انت
لست عشرة قال نقص الخلق في الغرب والشرق قيل ما انت
لسبع عشرة قال امكنت المفتقر الفقر قيل ما انت لثماني عشرة قال
قليل البقاء سريع الفناء قيل ما انت لتسع عشرة قال بطي الطلوع
من الخشوع قيل ما انت لعشرين قال اطلع سحرة وارى بكرة
قيل ما انت لاحدى وعشرين قال الطيل السري الا ريثما ارى
قيل ما انت لاثنين وعشرين قال مصقع خطب وليث حرب
قيل ما انت لثلث وعشرين قال كالقبس اطلع في الغلس
قيل ما انت لاربع وعشرين قال اطلع في قتمة ولا اجلي ظلمة
قيل ما انت لخمس وعشرين قال اتا في تلك الليالي الاوه لاهلال
قيل ما انت لست وعشرين قال دنا الاجل وانقطع العمل
قيل ما انت لسبع وعشرين قال دنا ما دنا فليس يرى مني سنا
قيل ما انت لثمان وعشرين قال اطلع بكرا ولا ارى ظهرا
قيل ما انت لتسع وعشرين قال اسبق شعاع الشمس ولا اطيل
المجلس قيل ما انت لثلثين قال هلال مستقبل سريع الافل
وكانت العرب تسمي الثلث الاول من ليالي الشهر ثلث غرر والثلث
التي تليها جهر والثلث التي تليها ثلث بيض وتقول في النصف
الباقي من الشهر الثلث الاول منه ثلث درع وفي الثلث التي تليها
ثلث ظلم وفي الثلث التي تليها ثلث محاق وقيل في وجه
آخر من الروايات ان يقال لليالي الشهر ثلث هلال وثلث
قمر وست نفل وثلث بيض وثلث درع وثلث ظلم وثلث حنادس
وليلتان دادي وليلة محاق قال المسعودي فاما
ما ذهب اليه العرب في تسمية القمر فانها تسميه لليلة طلوعه
هلالا وما لم يستدر فهو هلال ثم تسميه قمرا اذا ما استدار
واذا ما عظم ضياؤه فهو بدر قال عمر ابن سعد ٥
وقمر بدا ابن خمس وعشرين له قالت الفتاتان قوما
ثم يستوي في ليلة عشرة منه وهي ليلة السواء ثم ليلة البدر لاربع عشر
ويقال لغلام بدر اذا امتلا شبابا قبل ان يحتلم ويقال

عن جدرة بدرة اذا كانت جديده لعين الفرس والليالي
البيض ليلة ثلث عشره واربع عشره وخمس عشره
والليالي الدرع التي تسود صدورها وتبيض سايرها والمحاق
اذا ما طلع عليه الشمس والسواد حين ينتشر قبل خروج
الشمس ويقال قد عجز القمر اذا لم يستد ابخطاء بيوم عاير
ان يغلظ ويقال قد افتق القمر اذا اصابته فرجة من السحاب يخرج
وافتق عينا فاسهر الطرف وكل سواد من الليل خندس
والليالي المزهر الليالي البيض والزهر الساعي والله اعلم

ذكر القول في ماثر النيرين في هذا العالم وجمل ما قيل
في ذلك وغير ذلك مما يلحق بهذا الباب

قال المسعودي ذهب الحكما جميعا من اليونانيين وغيرهم
ان افعال القمر في الجواهر التي قلنا عظيمة الا انها اقصر من
افعال الشمس وهو الثاني بعدها وذكر ان التشابه يكون على
حسب حركته يجري اسرع وافعاله ترى اعظم وانه في حيوان
البحر خاصة وهو ينمي النبات والشجر ويعظم الثمار ويسمن
الحيوان والزم النسا الطمث ادمانا محدوده قال المسعودي
وقد تنازع الاوايل في كيفية تصور الجنين في الرحم فذهب قوم
من اهل الحكمة ان في المني يتصور الجنين اما منه واما من دم الطمث
وذهب قوم الى ان في الرحم وانما يتصور فيه الجنين وقد ذكر
جالينوس في كتابه في المني عن بقراط ان مقام المني مقام الفاعل
والمفعول في تصور الجنين وقال صاحب المنطق ان ذلك بمنزلة الفاعل
وان الجنين يتصور في دم الطمث من المني قال ولو المني يعطي الدم
مثل الحركة ثم يستحيل ريحا فيخرج من الرحم وزعم جالينوس
ان الجنين يكون من المني وانه يجذب اليه الدم الذي هو الطمث
والروح من العروق والشرايينات فيكون المني من ذلك الدم الذي
يجذبه ومن الريح التي تصير اليه من الشريانات قال ولو كان الجنين
بمنزلة كون النبات والطبيعة تصور من المني والدم وتفعل
الطبيعة في الجنين ما تفعله في النبات لان بزر النبات يحتاج
الى الارض لينال منها ما يغذيه فالجنين والرحم في النبات يخرج
عروق من الاصول ليجذب بها وهي اصول الجنين وبزر النبات
ينبت منه سوق ومن السوق اغصان كبار ومن الاغصان
اجزا اولا اولا حتى ينتهي الى الاقاصي ونظير ذلك موجود في الجنين
فيجد السوق في بدنه الذي من كل واحد من الاغصان لاصل واحد

منها صح

ومن الشريان

ومن الشريان الاعظم والعرق الاجوف والنخاع ثم تجد
كل واحد من هذه يتشعب منه شعب كالاغصان المقسمة
الى الغصان الاخر حتى ينتهي الى الاطراف ثم فرق بعد ذلك
ان المني هو المحرك لنفسه وان الجنين يكون من الرجل
والمراه ودم الطمث وحكي جالينوس عن ابقراط ان
اجزا الولد منقسمة في مني الذكر والانثى وان شهوة الجماع
تسوق الاجزا الى الالتيام وهذا موجود في كتاب ابن دقلس
الكبير فيما ذكره من مذهبه في كيفية تركيب العالم واتصال النفس
بعالمها وغرضه وقد ذهب قوم من اهل القدم الى ان ذلك هو
اجزا تخرج من اعضاء الانسان لطيفة من حين ساير
اعضاء الانسان فتنصب في الرحم فتتغذا منه وتنمو
فيكون من ذلك الجنين ومنهم من راى ان هذه الاجزا الموارده
من ساير اعضاء الذكر يتقاربها مواد من الرحم منها ومن
ماء المراة عند اجتماعهما فيكون الجنين من ذلك ومن اجل ذلك
صار الجنين يشبه اباه في الغالب من ساير اعضايه ويشبه
امه في بعضها ولهذا وقع الشبه بين البنين والآبا في
الاغلب من ساير الاعضا ومن هنا ادركت القافة الحاق
النسب عند الشبه والشك في النسبه وذلك على
قول من راى الحاق النسب بالقافة من الفقهاء وقد تقدم
الكلام في هذا المعنى فيما سلف من هذا الكتاب في باب القيافة
وللناس في كيفية تصور الجنين في الرحم ومبدئه ومنتهاه
وكيفية تقلبه في النطفة الى العلقة ومن العلقة الى المضغة
الى استكمال شكله كلام كثير منهم اصحاب الاثار وغيرهم
ممن تقدم وتاخر اعرضنا عن ذكره اذ كان فيه خروج عما اليه
قصدنا في هذا الباب قال المسعودي والذي يقضي
على ساير ما تقدم وصفه وينقطع علم العقول عنده هو ما
اخبر به البارى جل وعز في كتابه هو الذي يصوركم
في الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم ولم
يخبر عن كيفيته ونوع ذلك وما السبب مواده بل استاثر
بعلمه وابدا الدلالة بظهور حكمه داله على توحيده وانقيا
لما اظهر من حكمته لعباده ثم اخباره عن المبدا الذي خلقهم
منه فقال يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم
من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة

لتنبت لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم
طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى
ارذل العمر الاية   وللناس ممن سلف
من الاوائل وخلف من الشرعيين كلام كثير في كيفية افعال
النيرين وتاثيرهما في هذا العالم وما قالوه في ذلك وما
خصوا به كل واحد منهما واوقع وما ذهبوا اليه من فعل
الثاني منهما وهو القمر وما يظهر من تاثيره في الجزر والمد في بحر
الصين والهند والحبش والتمت على ما تقدم في هذا
الكتاب وكذلك فعله في المعادن وادمغة الحيوان والبيض
وساير النبات والحيوان وما يظهر من الزيادات فيه عند امتلائه
والنقص عند نقصانه وما يكون من بحران المرضى في اليوم السابع
من العلة والرابع عشر والحادي والعشرين والثامن والعشرين لان
القمر له اربعة اشكال هي اثبت صوره فيه شكل التنصيف وشكل
التمام وشكل التنصيف عن التمام وشكل المحاق ولكل شكل من ذلك
سبعة ايام لانه في سبع ليال ينتصف وفي الرابع عشر يتم
وفي الحادي والعشرين ينتصف وفي الثامن والعشرين يمحق وكذلك
البحرانات وعند هذه الطايفة يصح في السابع والرابع عشر
والحادي والعشرين والثامن والعشرين ويصح ايضا في تنصيفات ذلك
اذ كانت هذه اشكالا اثبت اشكال الكلي المنقسم وقد خالف
هؤلاء خلق كثير ممن ذهب الى غير هذا القول ولزم كثيرا من الخلا ط
وغير ذلك من الطبايع الاربع وغير ذلك مما قد اتينا على ايضاحه في كتابنا
المترجم بكتاب الزلف وفي كتاب المبادي والتراكيب وغيرهما من تصنيفات
تاثير النيرين الشمس والقمر فاما الدلايل على ان السماء على مثل
الكرة ودورها بجميع ما فيها من الكواكب لدور الكرة ولان الارض
بجميع اجزائها من البر والبحر على مثال الكرة ولان كرة الارض
مثبتة في وسط السماء كالمركز وقدرها عند قدر السماء كالنقطة
في الدائرة صغرا ووصف الربع المسكون من الارض ما يعرض فيه
من دور الفلك واختلاف الليل والنهار ووصف خواص هذا الربع
المسكون من الارض ووصف المواضع التي تطلع الشمس فيها شهورا
لا تغرب وتغرب عنها شهورا لا تطلع وقد اتينا على وصف جميع
ذلك وما اتضح عليه واشتهب من البراهين وما قال الناس في ذلك
في كتابنا المترجم بكتاب اخبار الزمان وما دونا فيه من هيئة الافلاك ك
والكواكب وان الارض مع ما وصفنا في تدويرها موضوعة في جوف

الفلك

الفلك كالمحة في البيضة والنسيم ايضا جاذب لما في ابدان
الخلق من الخفة والارض جاذبة لما في ابدانهم من الثقل اذ كانت
الارض بمنزلة حجر المغناطيس الذي يجذب بطبعه الحديد وان
الارض مقسومة بنصفين وبينهما خط الاستواء وهو من المشرق
الى المغرب وهو عندهم هو طول الارض لانه اكبر خط في كرة الارض كما
ان منطقة البروج اكبر خط في الفلك وعرض الارض من القطب الجنوبي الى
القطب الشمالي الذي تدور حوله بنات نعش ومقدار استدارة الارض في خط
الاستواء ست وثلاثون درجة والدرجة خمسة وعشرون فرسخا
والاصبع ست حبات وشعير مصفوفة بعضها الى بعض فيكون
ذلك تسعة آلاف فرسخ وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب في باب
ذكر الارض والبحار ومسافاتها مقدار الميل والذراع الا سوء
وانما نذكر في كل موضع من هذا الكتاب ما يسنح لنا ونجده في كتب
الناس فننقل ذلك عنهم على حسب ما وجدناه في كتبهم الا انا نقطع
على صحة ذلك اذ كان ما ذهب اليه من مقدار الميل من الاذرع والذراع ربع
من الاصابع هو ما بيناه آنفا في باب ذكر الارض والبحار وبين خط
الاستواء وكل واحد من القطبين تسعون درجة ولسنة الارض طولها
عرضا مثل ذلك فزعم هؤلاء ان العمارة في الارض بعد خط الاستواء
اربع وعشرون درجة وان الباقي قد غمره البحر الكبير ولان الخلق
على الربع الشمالي من الارض والربع الجنوبي خراب لشدة الحر فيه
والنصف الباقي من الارض لا ساكن فيه وكل ربع من الشمالي والجنوبي ب
سبعة اقاليم وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا
الارض والاقاليم السبعة عدد المدن على ما ذكره صاحب جغرافيا
اربعة آلاف مدينة ومائتا مدينة فاما ما قاله اهل المشرق والمغرب
والتيمن والجنوبي فقد ذكرنا جميع ذلك في كتابنا في اخبار الزمان
وقد وجد ذلك في كتاب ابو حنيفة الدينوري وقد سلب ذلك
ابن قتيبة فنقله الى كتبه نقلا وجعله عن نفسه وقد فعل ذلك
في كثير من كتب ابي حنيفة الدينوري هذا وكان ابو حنيفة ذا
محل من العلم كبير وبطليموس صاحب كتاب المجسطي فلعمري ممن
تقدم ثم من ظهر بعده بعد ظهور الاسلام مثل الكندي وبني المنجم
والسرخسي الطبيب وما شاء الله وابي جعفر الخوارزمي وما ذكره محمد بن جابر
الرقي في كتابه في الفصول المالابكر وثابت بن قرة والسرخسي
وحنين بن محمد جابر البتاني وغير هؤلاء ممن عني بعلوم الهيئة
علوم كثير في هذا المعنى وانما نقل من ذلك الجمل الى هذا الكتاب لمطلبا

لزينة البحار والخصا السعدية
بالنوبتين وتصحيحا

ذكر ارباع العالم والطبايع وما خص به كل حيز

الطبايع اربع فالنار حارة يابسه
والطبيعة الثانية باردة رطبة وهي الماء والطبيعة الثالثه
الهواء حار رطب والطبيعة الرابعة باردة يابسة وهي الارض
فاثنان منها يذهبان الصعد النار والهوا واثنان يرسخان سفلا
وهما الارض والماء والعالم اربعة اجزا فالمشرق الربع الاول
جميعا فيه حار رطب الهوا والدم والربيع وريحه الجنوب
وله من الساعات الاولى ثم الثانية والثالثة والرابعة وله من قوة
البدن قوة الطبيعة الهاضمة ومن المذاقاة خط الحلاوة وله من
الكواكب القمر والزهرة وله من البروج الحمل والثور والجوزا والمحبا
في هذا خطط طويل في وصف هذه الارباع هذا اجمل منه ما مضى
فاما باقي المغرب وهو الربع الثاني جميعا فيه بارد رطب والبلغم
والشتاء وريحه الدبور وله من الساعات العاشرة والحادية
عشر والثانية عشر وله من المذاقاة المالح وما شابه ذلك وله من القوي
القوة الرابعة وله من الكواكب المشتري وعطارد ومن البروج الد لو
والجدي والحوت الجزء الثالث التيمن جميعا فيه
حار يابس والمرة الصفرا والصيف والمشرق وريحه الصبا
وله من الساعات الرابعة والخامسة والسادسة من النهار وله من
قوى البدن القوى النفسية والحيوانية وله من المذاقات المرارة
وله من الكواكب المريخ والشمس وله من البروج السرطان والاسد
والسنبلة الجزء الرابع وهو الجربي جميعا فيه بارد يابس
مثل الارض والمرة السودا والخريف وريحه الشمال وله من
الساعات السابعة والثامنة والتاسعة وله من قوى البدن القوة
الماسكة وله من الطعوم والمذاقات العفص وله من الكواكب زحل
وله من البروج الميزان والعقرب والقوس والارض بعد ذلك
ما وصفناها في الهيئة وتختلف في التاثير على مقادير
الخطوط فاذا بعد الخط كان التاثير بخلاف ما قرب لان البعد
والقرب موجبات متنافية متغايرة وافضل المواضع في المسكون
ما تطرح الشمس ضوء شعاعها اليه والى الاقليم الرابع ينتهي
عند هذه الطائفة شعاعها في صفوه وارتفاع كدره لان
قوة شعاع الشمس يهبط مستويا الى هذا الموضع وهو العراق
والمواضع التي لا تسكن عند هذه

الطائفة

الطائفة من الارض عدمت الساكني لعلتين لافراط الحر ولدوام الشمس
ودوام تواتر شعاعها على تلك الارضين حتى قد جعلتها كلسية
وغاضت مياهها بالترم النشف والعلة الاخرى بعد الشمس
عن الاقليم وارتفاعها عن زانتر فانكشف تلك الارضين البرد
واستولى عليها القمر والجماد وزاد افراط البرد في الجوحتى ازال
حسن الاعتدال ورفع فضيلة النشو فلم يلبث الحار في الاجسام
ولم تظهر الرطوبة في انما المجبولين هناك فصارت تلك البلاد
التي تراها من طرف الحرارة والبرودة هي تنامي ما ذكرنا من هذه الديار
البالية فقع ولهذه الطائفة كلام كثير في فناء العالم وانقضيته
وعوده جديدا وذكروا ان السلطان في هذا الوقت السنبله
وهو سبعة الاف سنة ودنك غير هذا العالم الذي نحن فيه
وقد ساعد السنبلة المشتري في التدبير وان نهاية العالم
في قطع الكواكب المدبرة المسافة التامة بالقوي واذا استكمل
قطع مسافة وهناك يقع النفاد ووقوع الدثور بالعالم
والكواكب اذا كملت مالها في كرة ودوما زد ورعاد التدبير
الى الاول منهم وعادت اشخاص من عالم وصور تربع لاجتماع
المواد التي كانت له في حال حركة تاثير الكوكب الذي كان التدبير اليه
وهكذا لعند هولاء نحو شان العالم سرمدا وزعموا ان سلطان
الحمل اثنا عشر الف سنه وسلطان الثور عشرة الاف سنه
وسلطان التوامان عشرة الاف سنه وسلطان السرطان تسعة الاف
سنه وسلطان الاسد ثمانية الاف سنه وسلطان السنبلة سبعة
الاف سنه وسلطان الميزان ستة الاف سنه وسلطان العقرب
خمسة الاف سنه وسلطان القوس اربعة الاف سنه وسلطان
الجدي ثلاثة الاف سنه وسلطان الدلو الفا سنه وسلطان الحوت
الف سنه جميع ذلك ثمانية وسبعون الف سنه ودوران
ذلك هو انقضاء العالم وتقضي ما فيه ورجوعه الى كونه وتكلم هولاء
في الجان الذين كانوا في الارض قبل خلق ادم واستخلافه في الارض
ولمن المتولي لكم كوكب من الكواكب النارية وتكلم من الفرس في اوج الشمس
عند انتقالها الى البروج الجنوبية وما يحدث في العالم من لون الشمال
جنوبا والجنوب شمالا وتحول العامر غامرا والغامر عامرا على حسب
ذكرنا في كتابنا المترجم بكتاب الزلف وقد ذهب غير هولاء ممن تقدم
ان الاوايل التي بها وجد سائر الناس والموجودات كالاول والثاني
والثالث على حسب رتبناها وقدمناها في كتاب الزلف فاعدا ما صففنا

فهي الاجسام والاجناس ستة الجسم السماوي والحيوان الناطق والحيوان
غير الناطق والنبات والاجسام الحجرية وهي المعدنية والاستقصات
الاربعة وهي النار والهوى والماء والارض وتحكم هولاء فيما يخص
كل واحد مما ذكرنا ما لا يحمله كتابنا هذا اذ كان فيه خروج عن الغرض الذي
فيه وقد اتينا على ذلك في كتاب الدرس السبعة في باب السياسة المدنية
جزوها واجزائها ومن غيرها والبلد بنهاية اجزائها على حسب ما ذكره فرفوريوس
في كتابه في نفس منازعة افلاطون وارسطاطاليس في ذلك وعلى
علة كون الشتاء بارض الهند في الحال التي يكون بها الصيف عندنا
والحال التي يكون عندنا الشتاء يكون الصيف عندهم فقد ذكرنا
علة ذلك ووجه البرهان عليه وان ذلك للشمس في قربها وبعدها
وذكر علة تلون السودان في بعض البقاع من الارض دون بعض
وتفلفل شعورهم وغير ذلك وغير ذلك من شيمهم وصفاتهم
وعلة تلون البيضان في بعض البقاع دون بعض وتغير
الوان الصقالبة وصفرتهم وصهوبة شعورهم ولم اختلف الترك في
استرخاء مفاصلهم وتعوج اسوقهم ولين عظامهم حتى ان
احدهم ليرمي بالنشاب من خلف ظهره من قدام فيصير وجهه قفاه ه
وقفاه وجهه ومطاوعة فقار ظهرهم لهم في ذلك وكون
الحمرة في وجوههم عند تكامل الحرارة في الوجه على الاغلب
في الوانها وارتفاعها لغلبة البرد على اجسامهم فقد اتينا
بحمد الله على شرح ذلك وما انتظم من الدلايل الدالة على صحة اق
ما ذكرنا فيما سلف من كتبنا في هذه المعاني المقدم ذكرها
ولم نتعرض لذكر الاخبار عما لم يصح عندنا في العالم وجوده
حسا والخبر القاطع للعذر والدافع للريب والمزيل للشك
كاخبار العامة عن نوع النسناس بان وجوههم على نصف وجوه
الناس وانهم ذوو الباب وانهم يوكلون واخبارهم عن عنقا
مغرب وقد زعم كثير من الناس ان الحيوان الناطق ثلاثة اجناس
ناس ونسناس وساس وهذا محال من القول لان النسناس
انما وقع هذا الاسم على السفلة من الناس والاراذل وقد قال
الحسن بن وهب ذهب الناس وبقيت في النسناس وقال الاخر

ذهب الناس فاستقلوا وصرنا ... خلفا في اراذل النسناس

انا دبر ما وصفنا اعني ذهاب الناس وبقي من لا خير فيه وقد ذهب
كثير من الناس اعلاهم واشدهم الحسن اخفض الجنس واضعفهم
الجن وقد قال الراجز في ذلك

ابيت

ايتا هوى في شياطين ... مختلف نجواهم جن وجن

وهذا تفصيل بين الجنسين من الجن ولم يرد بذلك خبر ولا صح به
اثر وانما ذلك من توهم الاعراب على حسب ما بيناه انفا وقد غلب
على كثير من العوام الاخبار عن معرفة النسناس وصحة وجوده
في العالم كالاخبار عن وجود العنقا وغيرها من الممالك الباينة والا عصار
الماضية فبعضهم يخبر عن وجودهم بالشرق وبعضهم بالغرب فاهل الشرق
يذكرون انها بالغرب واهل الغرب يذكرون انها بالشرق وكذلك
كل صقع من البلاد يشير سكانه ان النسناس فيما بعد عنهم من البلاد
ونأى من الديار وقد رووا في ذلك خبرا من طريق الاحاد ان ذلك في جمع
ببلاد حضرموت من ارض الشحر ومن ذلك ما ذكره عبيد الله بن سعيد
ابن كثير بن عفير المصري قال حدثني ابي قال حدثني يعقوب بن
الحرث بن نجيم عن شبيب بن شيبة بن الحرث التميمي قال قدمت
الشحر فنزلت على رئيسها فتذاكروا النسناس فقال صيدوا
لنا منها فلما ان رحت اليه اذا انا بنسناس منها مع بعض اعوانه
المصريين فقال النسناس انا بالله وبك قال فقلت لهم خلوه
فخلوه فلما ان حضر الغداء قال هل اخذتم لنا منها شيئا فقالوا نعم
ولكن ضيفك خلاه قال استعدوا فانا خارجون في قنصها
فلما كان السحر سمعنا قايلا يقول ابا مجمر الصبح قد اسفر
والليل قد ادبر والقنص قد حضر فعليك بالوزر قال
كلا ولا وزر قال فخرج وهو يعدو وله وجه كوجه الانسان
وشعرات في صدغيه ومثل الثدي في صدره ومثل رجلي الانسا ن
رجلاه وقد التطم كلبان وهو يقول

الويل لي مما به دهاني ... دهري من الهموم والاحزان
رفقا قليلا ايها الكلبان ... واستمعا قولي وصدقان
انكما حين تجريان ... الفيتماني خضلا عنان
اولي شباب ما ملكتماني ... حتى تموتا او تفارقاني
لست بخوار ولا جبان ... ولا بنكس رعش البنان
لكن قضاء الملك الرحمن ... يذل ذا القدرة والسلطان

قال فالتقيا فاخذاه ويزعمون انهم ذبحوا منه نسناسا فقال قايلا
منهم سبحان الله ما اسود دمه فقال نسناس من شجرة كان
ياكل السماق قال لوا نسناس خذوه فاخذوه وقال لوالويلك هذا
لم يعلم به كانه قال فقال نسناس اخر من شجرة لغوي انا صمت وما
اتكلم قال لوا نسناس خذوه فاخذوه قال فقال لغو من شجرة باللسان

حفظ الراس قال والنسناس حذوه وزعم في هذا الحديث ان المهرة
تصطادها وتاكلها في بلادها ووجدت
اهل الشحر من ارض حضرموت وساحلها وهي تسما بديته
على ساحل البحر من ارض الاحقاف وهي ارض الرمل وغيرها
مما اتصل بهذه الديار من ارض اليمن وغيرها من عمان وارض
المهرة يستظرفون اخبار النسناس اذا ما اخبروا به ويتعجبون
من وصفه ويتوهمون ان ذلك بعض بقاع الارض مما قد ناي عنهم
وبعد لسماع غيرهم من اهل البلاد بذلك عنهم وهذا يدل
على عدم كونه في العالم وانما ذلك من هوس العامة واختلاطهم
كما وقع لهم اخبار عنقاء مغرب فرووا فيه حديثا عزوه الى
ابن عباس ونحن نحيل وجود النسناس والعنقاء وغير ذلك مما
اتصل بهذا الباب من الحيوان الغريب النادر في العالم من طريق
العقل وان ذلك ممتنع في القدرة ولكن احلنا ذلك لان الخبر
القاطع للعذر لم يرد بوجود ذلك في العالم وهذا باب هو داخل
في باب الامكان الجائز خارج عن باب الممتنع والجائز ويحتمل
هذه الانواع من الحيوان النادر ذكرها كالنسناس والعنقاء والغ ابر
وما اتصل بهذا المعنى ان يكون انواعا من الحيوان اخرجتها
الطبيعة من القدرة الى الفعل فلم تحكمه ولم ياتا فيها الصنع كما ينبغي
في غيره من انواع الحيوان فبقي شاردا فريدا مستوحشا نادرا في
العالم طالبا للبقاع النائية في الارض من البر والبحر مباينا لسائر
انواع الحيوان من الناطقين وغيرهم للضدية التي فيه لغيره مما قد
احكمته الطبيعة وعدم تشاكله والمناسبة التي بينه وبين غيره
من اجناس الحيوان على حسب ما قدمنا في باب الغيلان فيما سلف من
هذا الكتاب عمن زعم ان المتوكل بالله امر حنين بن اسحق المتطبب
او غيره ممن حضر عصره ممن عني بهذا الشان من الحكماء ان ياتيا
له بحمل النسناس والعربد من ارض اليمامة وحضرموت وان
حنينا حمل له شي من ذلك وقد اتينا على شرح هذا الخبر فيمن ارسل
الى اليمامة في حمل العربد والى بلاد الشحر في حمل النسناس في كتابنا
في اخبار الزمان والله اعلم بصحة ذلك وليس لنا في ذلك الا النقل
وان نخبر بما رواه وهو المتفرد بعلم ذلك فيما رواه وحكاه فننظمه
على حسب ما ياتي لنا نظمه في الموضع الذي يستحق ايراده فيه والله اعلم
فاما ما ذكر عن ابن عباس فهو خبر متصل بخبر خالد بن سنان
العبسي وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب انه ذكر انه كان في

الفترة

في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام وقد ذكرنا خبره مع النار
واطفائه لها فلنذكر خبر العنقاء على حسب ما رووه فلا بد من ايراد
خبر خالد لذكرنا العنقاء واتصال الخبرين ومخرج هذه الاخبار ر
كلها عن ابن عباس وابن عفير حدثنا الحسن بن ابرهيم قال
حدثنا محمد بن عبد الله المروزي قال حدثنا اسد بن سعيد
ابن كثير بن عفير عن ابيه عن جده كثير عن جد ابيه عفير عن علي مة
عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله خلق طائرا في الزمن الاول من احسن الطير وجعل
فيه من كل حسن قسطا وخلق وجهه على امثال وجه الناس س
وكان في اجنحته كل لون من الريش وخلق اربعة اجنحة
من كل جانب منه وخلق له يدين فيهما مخاليب وله منقار
على صفة منقار العقاب غليظ الاصل وخلق له انثى على
مثاله وسماها العنقاء واوحى الى موسى بن عمران اني خلقت
طائرا عجيبا ذكرا وانثى وجعلت رزقه في وحوش بيت المقدس س
وانستك بهما ليكونا مما فضلت بهما على بني اسرائيل فلم
يزالا يتناسلان حتى كثر نسلهما فادخل الله موسى وبني
اسرائيل في التيه فلبثوا فيه اربعين سنة حتى مات موسى
وهارون في التيه مع من كان مع موسى من بني اسرائيل وكانوا
ستمائة وخلفهم نسلهم في التيه ثم اخرجهم الله من التيه
مع يوشع بن نون تلميذ موسى صلى الله عليه ووصيه فانتقل
ذلك الطير فوقع بنجد والحجاز في بلاد قيس بن عيلان فلم
يزل هناك ياكل من الوحش وياكل الصبيان وغير ذلك
الى ان ظهر نبي من بني عبس بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما
يقال له خالد بن سنان فشكا اليه الناس ما كانت العنقاء
تفعل بالصبيان فدعا الله عليها ان يقطع نسلها فبقيت
صورتها تحكى في البسط وقد قال جماعة من ذوي الدرايات
ان قول الناس عنقاء مغرب في امثالهم انما هو الامر العجيب
النادر وقوعه وقولهم جاء فلان بعنقاء مغرب يريدون
به انه جاء بامر عجيب وقال الشاعر وصبحهم بالجيش عنقاء مغرب
والعنق السرعة قال ابن عباس وكان خالد بن سنان
نبيا بين عيسى ومبشرا برسول وهو محمد صلى الله عليه وسلم
فلما حضرته الوفاة قال لقومه اذا مت فادفنوني في حقف هذه هي
من الاحقاف وهي تلول عظام من الرمل واحرسوني اياما فاذا رايتم

عمادا اشهبا ابتر ايدو دحول الحقف الذي قبري فيه فاجتمعوا
ثم انبشوني واخرجوني الى شفير القبر واحضروني كاتبا ومعه ما
يكتب فيه حتى املي عليه ما كان وما يحدث الى يوم القيامة
قال فرصدوا قبره بعد وفاته ثلاثا ثم ثلاثا ثم بالايام فاذا الحمار
يرعى على الحقف قريبا من قبره فاجتمعوا عليه لينبشوه كما امرهم
فحضر ولده واشهروا اسيافهم وقالوا والله لا تركنا احدا
ينبشه اتريدون ان نعير بذلك غدا وتقول لنا العرب
هولاء بنو المنبوش فانصرفوا عنه وتركوه قال ابن عباس ووفدت
ابنة له عجوز قد عمرت فحضرت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتلقاها بخير واكرمها فاسلمت وقال لها مرحبا بابنة نبي
ضيعه قومه فقال فيهم شاعر بني عبس

بني خالد لو انكم اذ حضرتم ... نبشتم عن الميت المغيب في القبر
لابتم بما في آل عبس ذخيرة ... من العلم لا تبلى الى آخر الدهر

وقد روي عن ابن عفير اخبار كثيرة في هذا المعنى واشباه
من فنون الاخبار من اخبار بني اسرائيل وغيرها منها خبر
خلق الخيل وهو ما حدثنا به الحسين بن ابرهيم المعي
العاص الرجاني قال حدثنا ابو عبيد الله محمد بن عبد الله المرثدي
قال ابو الحرث اسد بن سعيد بن كثير بن عفير عن ابيه عفير
قال اخبرني علي بن عبد الرحمن عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله لما اراد ان يخلق الخيل اوحى الى الريح الجنوب
اني خالق منك خلقا فاجتمعي فاجتمعت فامر جبريل فاخذ
منها قبضة ثم قال الله هذه قبضتي قال ثم خلق منها
فرسا كميتا ثم قال الله عز وجل خلقتك فرسا وجعلتك عربيا
وفضلتك على سائر ما خلقت من البهائم بسعة الرزق والغنى
اغنام تقاد على ظهرك والخير معقود في ناصيتك ثم ارسله
فصهل فقال الله تعالى باركت فيك فبصهيلك ارعب المشركين
واملا اسماعهم واذلل اقدامهم ثم وسمه بغرة وتحجيل
فلما خلق الله ادم قال يا ادم اخبرني اي الدابتين احببت
يعني الفرس او البراق قال المسعودي وصفة البراق
على صورة البغل لا ذكر ولا انثى فقال ادم يا رب اخترت احسنهما
وجها فاختار الفرس فقال الله تعالى يا ادم اخترت عزك وعز ولدك
باقيا ما بقوا وخالدا ما خلدوا قال ابن عباس فذلك الوسم
فيه وفي ولده الى يوم القيامة يعني الغرة والتحجيل قال المسعودي

وقد ذ

وقد ذكر عيسى بن لهيعة في كتابه المترجم بكتاب الحلائب والحلاب
وذكر لكل حلبة اجري فيها الخيل في الجاهلية والاسلام ان سليمان
ابن داود عليه السلام نقل اليه ان اناسا من الازد عندهم فرسا
يصيدون عليه فسمي زاد الراكب وكذلك ذكر ابن دريد في
كتاب الخيل وغيره وللناس في الخيل اخبار كثيرة قد اتينا على
ذكرها فيما سلف من كتبنا ولولا ان المصنف لا يذكر في
تصنيفه من كل نوع لما ذكرنا هذه الاخبار اذ الناس من اهل
العلم والدراية في قبول الاخبار على وجوه فذهبت طائفة
الى ان الاخبار التي تقطع العذر وتوجب العذر والعمل في الاخبار
الاستفاضة ما رواه الكافة عن الكافة وان ما عدا ذلك فغير
واجب قبوله وذهب الجمهور من فقهاء الامصار الى قبول خبر الاستفاضة
وهو خبر التواتر وانه يوجب العلم والعمل بخبر الواحد وانه موجب
للعمل دون العلم باوصاف ذكروها ومن الناس من ذهب الى غير هذه
الوجوه في قبول الاخبار من الضرورة وغيرها ولم نذكره من حديث
النسناس والعنقاء وخلق الخيل فغير داخل في اخبار التواتر
الموجبة للعلم والعمل ولا في اللاحقة بما اوجب العمل دون العلم وباب الاخبار
الممكن لسامعها الى قبولها عند ورودها واعتقاد صحتها
من مخبر بها وهذا النوع من الاخبار وقد قدمنا في خبر الجائز
الممكن الذي ليس بواجب ولا ممكن ولا ممتنع وهو لاحق
بالاسرائيليات من الاخبار والاخبار عن عجائب البحار
ولولا ما قدمنا ايضا من اشتراطنا على انفسنا في صدر هذا الكتاب
من الاختصار والايجاز لذكرنا ما اتصل بهذا المعنى من الاخبار
مما رواه اصحاب الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وهم حملة
السنة ونقلة الاثار مما لا يثبتونه ويعرفونه ولا يدفعونه مثل
حديث القرد الذي كان في السفينة في بني اسرائيل مع رجل وكان
يبيع الخمر لاهل السفينة ويشوب الماء بالخمر وانه جمع لذلك دراهم ثمنه
وان القرد قبض على الكيس الذي فيه الدراهم وعلا به الى
اعلا الدقل وهو صاري المركب فجعل الكيس فلم يزل يرمي درهما
بعد درهم الى الماء ودرهم الى السفينة نصفين ومثل ما روي
الشعبي عن فاطمة بنت قيس عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد كان
قد رواه غير فاطمة عن النبي صلى الله عليه وسلم عدة من الصحابة
وهو خبر تميم الداري ان النبي صلى الله عليه وسلم انه اخبره انه
ركب في البحر في جماعة من بني عمه في سفينة فاغتلم بهم البحر

فالقاهم الى جزيرة فخرجوا من السفينة الى الجزيرة وانهم نظروا
الى دابة عظيمة الخلق قد نشرت شعرها فقالوا لها ايتها الدابة
من انت فقالت انا الجساسة التي اخرج في اخر الزمان وحلو لعنها
كلاما غير هذا وانها قالت عليكم بصاحب القصر فنظروا فاذا انهم
بقصر حاله وصفته فدخلوا اليه فاذا هم برجل في الحديد
والقيود مسلسل الى عمود حديد صفته كذا وكذا وانه
خاطبهم وسايلهم وانه الدجال وانه اخبرهم بحال من الملاحم
وانه لا يدخل النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما ذكر في هذا الحديث
وغيره مما ورد من الاخبار في معناه وهذا باب يكثر ويتسع ويعظم
شرحه ثم رجع بنا القول الى ما كنا فيه ايضا من ارباع العالم والطبايع
وغير ذلك مما اتصل بهذا المعنى قد قدمنا جوامع من الكلام في
الطبايع وغيرها مما بينه على عظم هذا الباب ومبسوطه وقد
زعم جماعة ممن تقدم وتاخر من الاطبا ومصنفي الكتب في الطبيعيات
وغيرها ان الطعام له ثلاثة انهضامات اما الاولى فهي المعدة تهضم
الطعام فتاخذ قوته فتصيره مثل ماء الكشك ثم تدفعه الى الكبد
والكبد تدفعه الى العروق الى جميع الجسد كاندفاع الماء من النهر
الى السواقي والى المسارب فتهضمه اعضاء الجسد الثالث
فتصيره الى شبهها اللحم لحما والشحم شحما وكذلك العروق والعصب
وما سوى ذلك وان اقدارها اذا استوت استوت اقدار القوى
واذا استوت اقدار القوى اشتد الجسد واعتدل وصح باذن
الله وان الازمان اربعة الصيف والخريف والشتا والربيع فالصيف
يقوي المرة الصفرا ويكثر فيه اهتياجها والخريف يقوي المرة السودا
والشتا يقوي البلغم والربيع يقوي الدم ثم يقسم عمر الانسان اربعة
اقسام الصبا وفيه الدم والفتوة وفيه قوى المرة الصفرا والكهولة
وفيه قوة المرة السودا والشيوخة وفيه قوى البلغم وان البلدان
تنقسم الى اربعة اقسام المشرق وطبعه الحرارة والرطوبة وفيه يقوى
الدم والجنوب وطبعه اليبوسة والبرودة وفيه يقوى المرة السودا
والمغرب طبعه البرودة والرطوبة وفيه يقوى البلغم والتيمن وطبعه
الحرارة واليبوسة وفيه تقوى المرة الصفرا فان بنية الجسد من
الاصول ربما كانت الاخلاط فربما كان احد الاخلاط اغلب من البقية
فظهرت قوته بنفسه حتى يكون مقويا الى ذلك الخلط اذا هاج وقد قال
ابقراط ينبغي ان يكون كل شي من هذا العالم مقدارا على سبعة اجزا
فالنجوم سبعة والاقاليم سبعة والايام سبعة واسنان الانسان

سبعة

سبعة اولها طفل ثم صبي الى اربعة عشره سنة ثم غلام الى احدى
وعشرين سنة ثم شاب ما دام يشب ويقبل الزيادة الى خمس
وثلاثين سنة ثم كهل الى سبع واربعين سنة ثم شيخ ثم هرم
الى آخر العمر وجميع تغير احوال الحيوان من النطاف وغيرهم من
الهوى يكون ذلك وقد قال الحكيم ابقراط ان تغير حالات الهوا ايا
تغير حالات الناس مرة الى الغضب ومرة الى السرور ثم الى الهم
ومرة الى السلوت وغير ذلك واذا استوت حالات الهوى استوت
حالات الناس مرة الى الغضب والخلا قهم وقال ان قوى النفس
تابعة لمزاجات الابدان ومزاجات الابدان تابعة لتصرفات
الهوى اذا برد مرة واذا سخن مرة فيخرج مرة الزرع نضيجا ومرة
غير نضيج ومرة قليلا ومرة كثيرا ومرة حارا ومرة باردا فيغير
لذلك صورهم ومزاجاتهم واذا استوى واعتدل الهوا خرج الزرع
معتدلا فاعتدل بذلك الصور والمزاجات فاما علة تشابه صور
الترك فانه لما استوى هوا بلدانهم في البرد استوت صورهم وتشابهت
ولذلك اهل مصر لما استوت اهوا هم تشابهت صورهم ولما كان
الغالب على هوا الترك وعدم الحرارة عن نسف رطوبات ابدانهم
فتشبهوا بالنسا في كثير من اخلاقهم فضعفت شهوة الجماع منهم
وقل ولدهم لبرد مزاجهم وللرطوبة الغالبة عليهم وقد يكون ضعف
الشهوة ايضا لعلة ركوبهم الخيل وكذلك نساؤهم لما سمنت
ابدانهن وبطنت ضعفت ارحامهن عن جذب الزرع اليها فاما
حمرة الوانهم فللبرد كما ذكرنا فان البياض اذا الحت عليه البرودة
صار الى البرودة وبيان ذلك ان اطراف الاصابع والشفة والانف اذا
اصابها برد شديد احمرت وذكر الحكيم ابقراط ان بعض البلدان
من الجنوب بلد كثيرة الامطار كثيرة النبت والعشب وان اشجارها
ذاهبة في الهوا وان اهلها عظيمة الخلق وهي خصبة
لان تلك البلاد بلاد لم يحرقها حر الشمس ولم يجففها يبس البرد
واجسام اهلها عظام وصورهم جميلة واخلاقهم كريمة في صورهم
وقاماتهم ولاعتدال طبايعهم يشبهون باعتدال زمن الربيع غير انهم
اصحاب دعة لا يحملون الشدايد والكد وقال الحكيم ابقراط ايضا
في معنى ما وصفنا وما اليه قصدنا في بيان الاهوية وتاثيرها في الحيوان
والنبات ان الروح المطبوعة فيه هي التي تجذب الهوا اليها وان
الرياح تقلب الحيوان من حال الى حال وتصرفه من حر الى برد ومن يبس الى
رطوبة ومن سعد الى نحس وانما نغيرها في البيوت من قوت او غسل

او فصد او شراب او تمتين فيسخن الدم ويبرد الدم وتصلب اللحم وترطبها
اخرى وعلى ذلك لتر الشمس والكواكب تغير الهوى بحركاتها واذا تغير
الهوا تغير بتغيره كل شي فمن تقدم وعرف احوال الازمنة وتغايرها
والدلائل التي فيها عرف السبب الاعظم من اسباب العالم وتقدم
في حفظ صحة الابدان وقال الحكيم ان الجنوب اذا هبت اذابت الهوا
وبردته وسخنت البحار والانهار وكل شي فيه رطوبة وتغير كل شي
رطب وحالته وهي ترخي الابدان والعصب وتورث الكسل وتحدث
ثقلا في الاسماع وغشاوة في البصر لانها تحلل المرة وتنزل الرطوبة الى
اصل العصب الذي يكون به العصب فاما الشمال فانها تطيب
الابدان وتصح الادمغة وتحسن اللون وتصفي الحس وتقوي
الشهوة والحركة غير انها تهيج السعال ووجع الصدر وقد زعم
بعض من تاخر في الاسلام من الحكما ان الجنوب اذا هبت بارض
العراق تغير لون العود وتنثر ورقه وتسقط الفسيط وتسخن
الماء وترخي الابدان وتكدر الهوا قال وذلك اشد بها قال ابقراط
ان الصيف او الشتا يسخن الابدان ويرخيها ويضعف قواها
وان اهل العراق ليكون الرجل منهم نايما على فراشه فيحس بهبوبها لانه
اذا برد الشمال برد الخاتم في اصبعه واتسع لانضمام البدن بها
وان هبت الجنوب سخن الخاتم وضاق واسترخا وحدث فيه
الثقل وهذا يجده سائر من بالعراق ممن له ادراك في هذا المعنى
ولذلك يجد سائر من يحل ما وصفنا في سائر الامصار في بقاع
الارض والبلدان وان كان بالعراق اظهر لعموم الاعتدال ثم قال
ابقراط الحكيم في معنى ما ذكرنا ان الرياح العامة اربعة احدها تهب
من الشرق وهي القبول والثانية تهب من الغرب وهي الدبور والثالثة لله
من التيمن وهي الجنوب والرابعة من الجدي وهي الشمال فاما الرياح
التي تهب من البلدان دون تلك فانها تسمى رياحا بلدية قال المسعودي
قد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب جوامع من الاخبار عن الارض
والبحار ولمع من الممالك والبلدان وذكرنا في هذا الباب جوامع
من الاخبار عن الطبايع والاهوية والبلدان ولنواحي الارض من العامر
والغامر وغير ذلك مما تقدم ذكره واشتهر وصفه واتسق بحمد الله ايراده
فراينا ان نختم هذا الباب بجوامع من مسافات الممالك وما بينهما من البعد
والقرب على حسب ما حكاه الفزاري صاحب الزيج في النجوم والقصيدة
في هيات الفلك والنجوم فزعم الفزاري صاحب الزيج ان عمل امير المومنين
من فرغانة واقصى خراسان الى طنجة بالمغرب ثلاثة الاف وسبعماية فرسخ

العرض

العرض من باب الابواب الى جدة ستماية فرسخ ومن الباب الى بغداد
ثلثماية فرسخ ومن بغداد الى مكة ثلثماية فرسخ ومن مكة الى جدة
اثنان وثلاثون ميلا عمل الصين في المشرق طوله الف
الف فرسخ في احد عشر الف عمل الهند بالمشرق احد عشر الف
فرسخ في سبعة الاف فرسخ عمل التبت خمسماية فرسخ في ماية
وثلثين فرسخا عمل كابل شاه اربعماية فرسخ في ستين فرسخا
عمل التغزغز بالترك الف فرسخ في خمسماية فرسخ عمل الترك الخاقان
سبعماية فرسخ في خمسماية فرسخ عمل برجان الف وخمسماية فرسخ
في ثلثماية فرسخ عمل الصقالبة ثلاثة الاف وخمسماية فرسخ في سبعماية
فرسخ عمل الروم قسطنطينية خمسماية فرسخ في اربعة الاف فرسخ
وعشرين فرسخا عمل رومية ثلاثة الاف فرسخ في ثمانين فرسخا عمل
ادريس الفاطمي الف ومايتا فرسخ في ماية وعشرين فرسخا
عمل خلف البحر الاندلسي لعبد الرحمن بن معوية ثلثماية فرسخ
في ثمانين فرسخا عمل ساحل سجلماسة الى المشرق اربعماية
فرسخ في ثمانين فرسخا عمل انبية الفان وخمسماية فرسخ في سبعماية
فرسخ عمل غانة بلاد الذهب الفا فرسخ في ثمانين فرسخا عمل
وبركام مايتا فرسخ في ثمانين فرسخا عمل الحبشة ماية وعشرين فرسخا
في ستين فرسخا عمل داجم ستون فرسخا في اربعين فرسخا عمل
الحبشة مايتي فرسخ في ثمانين فرسخا عمل النوبة للنجاشي بالمغرب
الف وخمسماية فرسخ في اربعماية فرسخ عمل الزنج بالمشرق وبلاد
شيعة الف وسبعماية فرسخا في خمسماية فرسخ عمل اسطولاب محمد
ابن منتصر اربعماية فرسخ في مايتين وخمسين فرسخا فذلك الطول
اثنان وسبعون الف فرسخ وثمان واربعماية فرسخ وذلك العرض
خمسة وعشرون الف فرسخ ومايتان وخمسون فرسخا فاما
الكلام في وصف اصول الطب فذلك ماخوذ من طريق الرياضة
والقياس او من غيره ووصف تنازع الناس في ذلك لم نعرض
لايراده في هذا الباب وان كان متعلقا به ومتصلا بالكلام
في الطبايع وجمل المعاني الماثورة في هذا الباب لانا قد اوردنا
فيما يرد من هذا الكتاب في اخبار الواثق عن الايضاح فيما روي
بحضرته وقد حضر مجلسه حنين بن اسحق وابن ماسويه والمتطببين
ما يغني ذكره عن ايراده في هذا الباب ولولا ان الكتاب يرد على
ذوي اغراض من الناس على ما هم عليه من اختلاف الطبايع والتباين
في المراد لما ذكرنا ما نورده فيه من انواع العلوم وفنون الاخبار وقد

يلحق الانسان الملل الفترة ما تهوي اليه نفسه فينتقل منه الى غيره
فجمعنا فيه من سائر ما يحتاج الناس اليه من ذوي المعرفة الى علمه ولما
يتغلغل بنا الكلام الى نظمه وتشعبه واتصاله بغيره من المعاني مما
لم يتقدم ذكره وقد اتينا في مبسوط ما ذكرناه على الاتساع والايضاح
في كتابينا في اخبار الزمان والاوسط

كان كثير من الناس من الهند والصين وغيرهم من الطوائف يعتقدون
ان الله تعالى جسم وان الملائكة اجسام وان الله عز وجل احتجب
والملائكة بالسما فدعاهم ذلك الى ان عملوا التماثيل والاصنام على
صورة البارئ جل وعز وبعضها على صورة الملائكة مختلفة القدود
والاشكال في الصور فمنها صورة الانسان ومنها على خلافه فعبدوها
وقربوا لها القرابين والنذور لتشبهها بالبارئ تعالى وقربها
منه فاقاموا على ذلك برهة من الزمان وكثير من الاعصار حتى نبههم
بعض حكمائهم على ان الافلاك والكواكب اقرب الاجسام الى الله
تعالى وانها حية ناطقة وان الملائكة تختلف بين الله وبينها
فعظموها وقربوا لها القرابين لتنفعهم فمكثوا على ذلك دهرا
فلما راوا الكواكب تخفى بالنهار وفي بعض اوقات الليل
لما يعرض في الجو من السواتر امرهم بعض من كان من حكمائهم ان
يجعلوا لها اصناما وتماثيل على صورها واشكالها وهيئاتها
فجعلوا اصناما على عدد الكواكب الكبار المشهورة والنجوم
فكل صنف منهم يعظم كوكبا منها ويقرب له نوعا من القربان
خلاف ما للاخر على انهم اذا عظموا صورا من الاصنام تحركت له
الاجسام العلوية من السبعة بما يريدون وبنوا لكل صنم
بيتا وهيكلا مفردا وسموا تلك الهياكل باسما تلك الكواكب
وقد ذهب قوم منهم وقد ذهب قوم منهم الى ان البيت الحرام
هو بيت زحل وانما طال بقا هذا البيت على مرور الدهر معظما
في سائر الاعصار لانه بيت زحل وان زحل تولاه لان من شان الثبات
والثبوت فما كان له فغير زائل ولا داثر وعن التعظيم غير حائل
وذكروا امورا كثيرة اعرضنا عن ذكرها لشناعة وصفها فلما
طال عليهم العهد عبدوا الاصنام على انها تقربهم الى الله تعالى
عز وجل والغوا عبادة الكواكب فلم يزالوا على ذلك حتى ظهر
بوداسف بارض الهند وكان هنديا وكان بوداسف
خرج من ارض الهند الى ارض السند ثم صار الى بلاد سجستان

وبلاد

وبلاد زابلستان وبلاد فيروز بن كبك ثم دخل السند ثم الى كرمان فتنبا
وانه رسول وواسطة بين الله عز وجل وبين خلقه واتى الى ارض فارس
وذلك في اول ظهور ملك طهمورث ملك فارس وقيل في ملك جمشيد
وانه اول من اظهر دين الصابئين على حسب ما قدمنا آنفا فيما سلف
من هذا الكتاب وقد كان بوداسف امر الناس بالزهد في هذا العالم
والاشتغال بالعلم العلوي اذ كان من هناك بدو النفوس واليه
يقع الصدور من هذا العالم وجدد عندهم بوداسف عبادة الاصنام
بضروب من الخدع والحيل وذكر ذوو الخبرة بشان هذا العالم واخبار
ملوكه ان جمشيد الملك اول من عظم النار ودعا الناس الى تعظيمها
وقال انها تشبه ضوء الشمس والكواكب لان النور عنده افضل
من الظلمة وجعل للنور مراتب ثم تنازع هولاء بعده فعظم كل
فريق منهم ما يرون تعظيمه من الاشيا تقربا الى الله جل اسمه بذلك
ثم تنازعوا برهة ونشا عمرو بن لحي فساد قومه بمكة واستولى
على امر البيت ثم صار الى مدينة البلقاء من اعمال دمشق من ارض الشام
فراى قوما يعبدون الاصنام فسالهم عنها فقالوا هذه ارباب
نستنصر بها فننصر ونستسقي بها فنسقى وكلما نسالها
تعطي فطلب منهم صنما فدفعوا اليه هبل فسار به الى مكة
ونصبه على الكعبة ومعه اساف ونائلة ودعا الناس الى عبادتهما
وتعظيمهما ففعلوا ذلك الى ان اظهر الله الاسلام وبعث نبيه
محمدا عليه افضل السلام فطهر الله البلاد وانقذ العباد وقد قال
هولاء ان البيت الحرام من البيوت السبعة المعظمة المتخذة على
اسماء الكواكب من النيرين والخمسة بيوتا وبيتا معظما على
راس جبل باصبهان يقال له مارس وكان فيه اصنام
الى ان اخرجها بشتاسف الملك لما تمجس وجعله بيت
نار وذلك على ثلاثة فراسخ من اصبهان وهذا البيت معظم
عند المجوس الى هذه الغاية والبيت الثالث مندوسان
ببلاد الهند وهذا البيت تعظمه الهند ولهم قرابين تقرب
وفيه من احجار المغناطيس الجاذبة والدافعة للحديد وفيه من
الاوصاف لا يسعنا الاخبار عنه لمن اراد ان يبحث عن
ذكره فليبحث فانه بيت مشهور ببلاد الهند والبيت
الرابع هو النوبهار الذي بناه منوشهر بمدينة بلخ من خراسان
على اسم القمر وكان مما يلي سدانته تعظمه الملوك في ذلك
السقع وتنقاد لامره وترجع الى حكمه وتحمل اليه الاموال

وكانت عليه وقوف وكان الملوك بسند اليه تدعا البرامكه وكان
خالد بن برمك منهم وهو من ولده من كان على هذا البيت وكان
هذا البيت من اعلا البيوت تشييدا وكان ينتصب لذلك
اعلاه الرماح عليها شقاق الحرير الحمر طول الشقه مايه ذراع فما
دون قد نصب لذلك رماح وخشب تدفع فوق البرج وتحمل
ما عليها من الحرير فيقال والله اعلم ان البرج الذاهب بعض البقا ق
فاصيبت على مسيرة خمسين فرسخا وقيل اكثر من ذلك المسافه
والله اعلم وهذا يدل على ذهابه في الجو وتشييد البنيان
وكان الحايط المحيط بهذا البنيان ابيا الاكم قد ذكرها اذ كان امر
ذلك مشهورا من صفته وعلو السور وعرضه قال المسعودي
وذكر اهل الدرايه والعارفين انه قرا على باب النوبهار
كتابا بالفارسيه قال بوداسف ابواب الملوك تحتاج الى ثلاث
خصال عقل وصبر ومال واذا تحته مكتوب بالعربيه كذب
بوداسف الواجب على الحر اذا كان معه واحده من هذه
الثلاث خصال ان لا يلزم باب السلطان والبيت الخامس بيت
غمدان الذي بصنعا من بلاد اليمن وكان الضحاك بناه على
اسم الزهره وخربه عثمان بن عفان وهو في وقتنا هذا
وهو سنه ست وثلثين وثلثمايه خراب قد تهدم وصار
تلا عظيما وكان علي بن عيسى بن الجراح حين نفي الى اليمن
وصار الى صنعا بني فيه سقايه وحفر فيه بيرا ورايت غمدان
ردما وتلا عظيما قد ارتدم بنيانه فصار تلا عظيما وكان
الوزير علي بن عيسى واسعد بن يعفر صاحب قلعة كحلان والنا نل
بها وصاحب مخاليف اليمن الذي في هذا الوقت وهو
المعظم فيه اراد ان يبني غمدان فاشار عليه يحيى بن الحسين
الحسني الرسي ان لا يتعرض لشي من ذلك اذ كان بناوه على
يد غلام يخرج من ارض سبا وبلاد مارب يوثر في بسيط من
العالم اثرا عظيما وقد ذكره جده امية بن ابي الصلت وقيل
بل ابو امية بن ابي الصلت واسمه زمعه في مدحه ليوسف
ذي يزن فقال

اشرب هنيا عليك التاج مرتفعا | براس غمدان دارا منك محلالا

وقيل هو معدي كرب سيف الممدوح بهذا الشعر وابو امية جاهلي
وهو القايل في اصحاب الفيل

ان ايات ربنا بينات | ما يماري بهن الا الكفور

حبس

حبس الفيل بالمغمس حتى | ظل يحبو كانه معقور
حوله من شباب كندة فتيان | الحروب صقور
واضعا خلفه الجران كما | قطر صخر من كبكب محدور

وقد قيل ان الملوك من اليمن كانوا اذا قعدوا في هذا البنيان
بالليل واشتعلت الشموع رى ذلك على مسيرة ايام كثيرة
والبيت السادس كاوسان بناه كاوس الملك بنا عجيبا
على اسم المدبر الاعظم من الاجسام السماويه وهي الشمس عند ينه
فرغانه من مدن خراسان وقد كان المعتصم بالله خربه وهدم
المعتصم بالله لهذا البيت خبر ظريف قد اتينا على ذكره في
كتاب اخبار الزمان والبيت السابع باعلا بلاد الصين بناه
ولد عامور بن سويد بن يافث بن نوح واورده لعلته الاولى
اذ كان منشي هذا الفلك وممده وباعث الانوار اليه وقيل
انما بناه بعض ملوك الترك في قديم الزمان وجعله سبعة ابيات
في كل بيت سبع كوا فيقال كل كوه صورة من الكواكب
الخمسه والنيرين من انواع الجواهر المضافة الى تاثير ذلك الكوكب
من ياقوت او عقيق او زمرد على اختلاف الوان الجواهر ولهم
في هذا الهيكل سر يروونه بلاد الصين مما قد زخرف لهم فيه
وزين لهم الشيطان ولهم في هذا علوم في اتصال الاجسام
السماويه في هذا العالم وهو على حسب الديباج الذي ينسج
فيضرب بحركات الصانع والخيوط الابريسم يحدث ضرب من الحركات
بظهر جناح طاير وباخرى راسه وباخرى رجلاه فلا يزال كذلك حتى
تتم الصوره على حسب مراد الصانع لها فجعلوا هذا المثال واتصال
الابريسم بالة النسج وما يحدثه الصانع في ذلك مثالا لما ذكرناه من الكواكب
العلويه وهي الاجسام السماويه فيضرب من الحركات حدث في
العالم وضرب من الحركات يحدث بيضه واخرى فرخا وكذلك ساير
ما يحدث في العالم ويسكن ويتحرك ويوجد ويعدم او يتصل
او ينفصل ويجمع او يفترق او يزيد او ينقص من جامد او نبات
او حيوان ناطق او غير ناطق فانما عن حركات الكواكب يحدث
عندهم على حسب ما وصفنا في نسج الديباج وغيره من الصنايع واهل
صنعة النجوم لا يتناكرون ان يقولوا اعطت الزهره لذا واعطاه
المريخ لذا من الشقره وصعوبة الشعر ومن زحل خضرة العارضين
وغموض العينين واعطاه عطارد ذهن الصنعا واعطاه المشتري
الحيا والدين والعلم واعطت الشمس لذا واعطاه القمر لذا وهذا

الباب يتسع الخطب فيه ويكثر وصف مذاهب الناس فيما قالوه من ذلك
والله اعلم

البيوت المعظمات

بناؤها الى من سلف من اليونانيين وهي بيوت ثلاثة فبيت منها كان
بانطاكية من ارض الشام على جبل بها داخل المدينة والسور محيط
به قد جعل المسلمون موضعه مرقبا ينذر بهم من قدر تبينه من الرجال
الرومية اذا وردوا من البحر والبر وكانوا يعظمونه ويقربون فيه
القرابين فخرب عند مجي الاسلام وقيل ان قسطنطين الاكبر
ابن هيلاني الملكة المظهر لدين النصرانية هو المخرب لهذا البيت وكان
فيه الاصنام من الذهب والفضة وانواع الجوهر وقيل ان هذا
البيت هو بيت بمدينة انطاكية على يسير المسجد الجامع وكان هيكلا عظيما
والصابة كانت تزعم ان الذي بناه سقلابيوس وهو في سنة ست
وثلاثين وثلثماية سوق يعرف بسوق الحرارين والبزازين وقد
كان ثابت بن قرة بن كرايا الصابي الحراني حين وافى المعتضد في
سنة تسع وثمانين ومايتين في طلب وصيف الخادم راى ثابت هذا
الهيكل فاكبره وعظمه على ما وصفنا والبيت الثاني من بيوت اليونانيين
هو بعض تلك الاهرام التي بمصر وهو بين مدينة الفسطاط على اميال منها
والبيت الثالث هو بيت المقدس على ما زعم القوم والشريعة انما
تخبر ان داود عليه السلام بناه واتمه سليمان بن داود عليهما
السلام بعد وفاة ابيه والمجوس تزعم ان الذي بناه الضحاك
وانه سيكون له خطب طويل ويعتقد فيه ملك عظيم عند ظهور شويف
على يوم صفتها كذا وكذا ومعه من الناس عدد كثير واقاصيص
تدعيها المجوس في هذا المعنى واختلاط كثير نذره كما شاهد لمن ذكره

[illegible]

بيت ببلاد المغرب بمدينة طنجة وذا اسم بلاد القيروان وهي
بلاد الافرنجه وبناه بانواع الرخام وبني على اسم الزهرة والبيت
الثاني بافريجه وهو بيت عظيم عندهم والبيت الثالث بمقدونية
وام مشهد في السيبية وما كان من خبره بما ذكرته وقد
اتينا على اخباره واخبار غيره من البيوت فيما سلف من كتبنا
كان في ديار الصقالبة بيوت
تعظمها منها بيت كان لهم في الجبل وهو الجبل الذي ذكرته الفلاسفة
انه احد جبال العالم العالية وهو البيت الذي له خبر في كيفية بنائه
وترتيب انواع احجاره واختلاف الوانها والمخاريق المصنوعة
وما اودع فيه من الجواهر والاثار المرسومة فيه الدالات على الكاينات

المستقبلة

المستقبلة وما تنذر به تلك الجواهر من الحوادث قبل كونها
وظهور اصوات من اعاليه وما كان يلحقهم عند سماع ذلك وبيت
اخر بناه بعض ملوكهم على الجبل الاسود تحيط به مياه اربعة عجيبة
ذات الوان وطعوم مختلفة عامة المنافع وكان لهم فيه صنم
عظيم على صورة زحل قد تخذ على صورة شيخ وبيده عصا
يحرك بها عظام الموتى من النواويس وتحت رجله صور لانواع
من النمل وغيره وتحت الاخرى خطاطيف سود من الغدفان وغيرها
صور عجيبة لانواع الحبشان والزنج وبيت لهم اخر على
جبل يحيط به خليج من البحر قد بني باجناس الاحجار من المرجان
الاحمر والزمرد الاخضر وفي وسطها قبة تحتها صنم اعضاؤه
من جواهر بعضه من زبرجد اخضر وياقوت احمر وعقيق اصفر وبلور
ابيض وراسه من الذهب الاحمر وبازائه صنم اخر على صورة
جارية وكان يقرب له القرابين ويدخن وكان هذا البيت
ينسب الى حكيم لهم قديم الزمان وقد اتينا على خبره وما كان
من امره بارض الصقالبة وما احدث فيهم من الدكوك والحيل
والمخاريق المصنوعة التي اجتذب بها قلوبهم وملك بها
نفوسهم واسترق بها عقولهم مع شراسة الصقالبة واختلاف
طباعهم فيما سلف من كتبنا

للصابة هياكل على اسماء الجواهر العقلية وهو هيكل العقل
ولا ادري اشاروا الى العقل الاول او الثاني وقد ذكرها صاحب
المنطق في المقالة الثالثة من كتاب النفس العقل الاول هو
الفعال والعقل الثاني وذكر ذلك ثامسطيوس في كتاب النفس
لشرحه لكتاب الذي عمله صاحب المنطق في المقالة الثالثة من
كتاب النفس وذكر العقل الاول والثاني الاسكندر الافرودسي
في مقالة افردها في ذلك قد ترجمها اسحق بن حنين ومن هياكل
الصابة هيكل السلسلة وهيكل الصورة وهيكل النفس
وهذه مدورات الشكل وهيكل زحل مسدس وهيكل الزهرة
مثلث في جوف مربع مستطيل وهيكل القمر مثمن الشكل
وللصابة فيما ذكرنا رموز واسرار يخفونها وقد حكى رجل من
ملكية النصارى من اهل حران يعرف بالحارث بن سنباط الصابة
الحرانيين اشياء ذكرها من قرابين يقربونها من الحيوان ودخن
للكواكب يبخرون بها وغير ذلك مما نستغني عن ذكره مخافة

التطويل والذي بقي من هياكلهم المعظمة بحران الى هذا الوقت
وهو سنة ست وثلثين وثلثمائة بيت لهم يعرف بمغلتيا بمدينة حران
بباب الرقة يعرف بمغلتيا وهو هيكل ازر ابي ابرهيم وللقوم
في ازر وابرهيم كلام كثير ليس كتابنا هذا موضوعا له ولابن
عيشون القاضي الحراني وكان ذا فهم ويعرفه وكانت
وفاته بعد الثلثمائة قصيدة طويلة عظيمة يذكر فيها مذاهب
الحرانيين المعروفين بالصابة ويذكر فيها البيت وما تحته
من السراديب الاربعة المتخذة لانواع صور الاصنام التي جعلت
مثالا للاجسام السماوية وما ارتفع عن ذلك من الاشخاص العلوية
واسرار هذه الاصنام وكيفية ايرادهم لاطفالهم الى تلك السراديب
وعرضهم لهم على هذه الاصنام وما يحدث ذلك في الوان
صبيانهم من استحالتهم من الصفرة وغيرها لما يسمعون من طرق
انواع الاصوات وفنون اللغات من تلك الاصنام والاشخاص
بحيل قد اتخذت ومنافع قد عملت تحت السدنة من وراء جدر
فيتكلم بانواع من الكلام فتجري الاصوات في تلك المنافخ والمخاريق
والمنافذ الى تلك الصور المجوفة والاصنام المنحتة فيظهر منها
نطق على حسب ما قد عمل من قديم الزمان لتقطاد لهم العقول
وتسترق بها الرقاب ويقام بها الملك والممالك فيما ذكر في
هذه القصيدة قوله

إن لمعلينا من العجايب ... بيتا لهم بني على سراديب
يختبرون فيه للكواكب ... اصنامهم فيه وبذل العاب

وهذه الطائفة المعروفة بالحرانيين والصابة فلاسفة الانام
من حاشية الفلاسفة واعوامهم مباينين لخواص علمائهم في مذاهبهم
وانما اضفناهم الى الفلاسفة لاضافة حكمه لا اضافة نسب
وهم اليونانية اذ كان ليس كل اليونانيين فلاسفه وانما الفلاسفة
حكماؤهم ورايت على باب مجمع الصابة بمدينة حران ملتويا على
مرقاة الباب بالسريانية قول افلاطون ا فسره لي تفسيره مالك
ابن عقبون وغيرهم منهم من عرف ذا دحنة صفاته وقال
افلاطون الانسان نبات سماوي قال والدليل على هذا
انه شبيه بشجرة منكوسة اصلها الى السماء وفرعها الى الارض
ولافلاطون ولغيره ممن سلك طريقه في النفس الناطقة كلام كثير
في هل النفس في البدن او البدن في النفس كالشمس
في الدار والدار في الشمس وهذا فن لتغلغل بنا الكلام فيه

الى تنقل الارواح في انواع الاجسام وقد تنازع اهل الاراء ممن فصل
هذه المقالة في النقلة على وجهين فطايفة منهم من الفلاسفة القدما
من اليونانيين والهند ممن لم يثبت كتابا منزلا ولا نبيا مرسلا منهم
افلاطون ومن يتبع طريقته فانه حكي عنهم انهم زعموا ان النفس
جوهر ليست بجسم وانها حية عالمة مميزة لاجل ذاتها وجوهرها
وانما هي مدبرة للاجسام المركبة من الطبايع الاربعة المتضادة وغرضهم
في ذلك ان يقيمها على العدل وما تميزه السياسة المستقيمة والنظام
المتسق ويردها من حكمة الحركة المضطربة الى المنتظمة وزعموا انها
تلد وتتالم وتموت وموتها عندهم انتقالها من جسد الى جسد
بالتدبير وبطلان ذلك الشخص الذي فسد ووصف بالموت لان
ذاتها تفسد ولان جوهرها ينتقص وزعموا انها عالمة لذاتها
وجوهرها عالمة بالمعقولات من ذاتها وجوهرها وفيها قبول
علم المحسوسات من جهة الحس ولافلاطون وغيره في هذا
المعنى كلام يطول ذكره ويعجز عن وصفه واظهاره وفهمه
لاعتياصه وغموضه ولذلك قول صاحب المنطق وفيثاغورس
وغيرهم من الفلاسفة ممن تقدم وتاخر لان الطالب لعلم هذه الاشياء
والاحاطة بها وبلوغ غايتها لا يدرك ذلك الا ان يبتدي من الكتب
ويستوفي التصنيف للعلوم المودية الذي اليها قصدوا في
كتبهم وهي معرفة الالفاظ الخمس وهي الجنس والنوع
والفصل والخاصة والعرض ثم معرفة المقالات وهي عشر الجوهر
والكمية والكيفية والاضافة وهي النسبة والزمان والمكان
والجدة وهي الملك والنصبة والفاعل والمنفعل ثم ما بعد
ذلك مما يتوافيه الطالب الى ان ينتهي الى علم ما بعد الطبيعة من
معرفة الاول والمولى ثم رجع بنا القول الى الاخبار عن مذاهب
الصابة من الحرانيين وذكر اخبار عن مذاهبهم وكشف عن احوالهم
فمن ذلك كتاب رايته لمحمد بن زكريا الرازي الفيلسوف صاحب كتاب
المنصوري في الطب وغيره ذكر فيه مذاهب الصابة الحرانيين منهم
دون من خالفهم من الصابة وهم الكيماريون وذكر اشياء يطول
ويقبح عند كثير من الناس وصفها لموضع حكايتها اذ كان
ذلك خروجا عن حد الغرض في كتابنا الى وصف الاراء والديانات
وقد خاطبت مالك بن عقبون وغيره منهم في شي مما ذكرنا وغيره
مما عندي كثيرا فمنهم من اعترف ببعضه وانكر بعضه من ذكر القرابين
وغيرها من الاراء مثل فعلهم بالثور الاسود وما يضرب في جسده بالملح اذا شالت

عينا ودبجهم اياه ومراعاتهم كل عضو من اعضايه ولم يظهر من
الحركات والاختلاج دعلي ما يدل ذلك من اسرارهم ومخباتهم واحوال
من قبلهم **قال المسعودي** وذكر جماعة ممن تامل شان العالم
واطلع على اخباره وبحث عنها ان باقاصي بلاد الهند هيكلا
مدور الشكل له سبعة ابواب في داخله قبة مسبعة عظيمة
البنيان عالية السمك في اعالي القبة شبه الجوهر زيد على
راس العجل يضي منها جميع اقطار ذلك الهيكل وان جماعة
من الملوك حاولوا اخذ تلك الجوهر فلم يدن احد منها الا سقط
ميتا وان حاول اخذ هذه الجوهر بشي من الالات الطوال
كالرماح وغيرها فانتهت الى هذا الحد دون الدرج انعكست
سفلا وعطلت وان رميت بشي كان كذلك فليس شي
من الحيل ياتي بردها باخذها بوجه ولا سبب وان تعرض لهدم
الهيكل مات من فوره وذلك عند جماعة من اهل الخبرة لقوة دافعة
منفرة قد عملت من انواع الاحجار من المغناطيسية وفي هذا
الهيكل بير مسبعة الراس متى اكب انسان على راسه لينظر في
في البير وصار في قراره على ام راسه وعلى راس البير شبه الطوق
مكتوب عليه بقلم قديم اراه بالقلم المسند هذه بير
تودي الى مخزن الكتب وتاريخ الدنيا وعلوم السما وما كان فيما
مضى من الدهر وما يكون فيما ياتي فيودي هذا البير ايضا الى
خزاين ورغايب هذا العالم لا يصل اليه الدخول اليه
ولا يقدر على الاقتباس منه الا من وازن قدرته قدرتنا واتصل
علمه بعلمنا وسارت حكمته بحكمتنا فمن قدر على الوصول الى هذا
المخارق فليعلم انه قد وازنا ومن عجز عن الوصول اليه فليعلم
اننا اشد منه باسا واقوى حكمة واكثر علما وانفذ درايه
واتم عنايه والارض التي عليها هذا الهيكل والقبة وفيها البير
ارض حجر يتصلد عالية من الارض كالجبل الشامخ لا يرام
قلعه ولا يتاتي نقب ما هو تحته واذا ادرك البصر ذلك
الهيكل والقبة والبير وقع على الراي عند رويته جزع وحرب
واجتذب للقلب اليه وحنين على تابيه وتاسفا على افساد
شي منه او هدمه

ذكر الاخبار عن بيوت النيران وغيرها

فاما بيوت النيران ومن رسمها ممن ملك من ملوك الفرس الاولى
الفرس الثانية فمنهم من حكى عند ذلك افريدون الملك وذلك انه

وجد نارا

وجد نارا يعظمها اهلها متعكفون على عبادتها فسالهم عن
خبرها ووجه الحكمة في عبادتها فاخبروه باشيا جذبت
نفسه الى عبادتها وانهم واسطة بين الله عز وجل وبين
خلقه وانها من جنس الالهية النورية واشيا ذكروها
اعرضنا عن ذكرها لاقتصاصها وذلك انهم جعلوا للنور
مراتب وفرقوا بين صنع النار والنور وان الحيوان يجتذب
بطبعه فيحرق نفسه كالفراش الطاير بالليل وما لطف جسمه
فيطرح نفسه في السراج فيحرقها وغير ذلك مما يقع في
صيد الزالي من الغزلان والطير والوحش وطهور الحيتان
في الماء طافيا حتى يقع في جوف المراكب والسرج قد جعلت
حواليه وان بالنور صلاح هذا العالم وشرف النار على الظلمة
ومضادتها لها ومرتبة الماء فزيادتها على النار في اطفايها
ومضادتها لها وانها اصل لكل حي ومبدا لكل نامي فلما اخبروا
افريدون بما ذكرنا امر بحمل جمر منها الى خراسان فاتخذ لها
بيتا بطوس وبيتا اخر بمدينة البزان بسجستان يقال
له كراكر كان الغدح بهمن بن اسفنديار بن بشتاسف بن لهراسف
وبيت لهم ببلاد الشر ولن كان فيه اصنام فاخرجها منه انوشروان
وقيل ان انوشروان صادف هذا البيت وفيه نار معظمة
فنقلها منه الى الموضع المعروف بالبركة وبيت للنار لعلمه
يقال له كوسجد بناه بناه المتخيرة وقد كان يقوس
بيت للنار معظم لا يدري من بناه يسمى جواس يقال ان
الاسكندر لما غلب عليها تركها ولم يطفها ويقال انه كان في
ذلك الموضع قديما مدينة عظيمة عجيبة البنا فيها بيت
بير عجيب الهيئة فيه اصنام فاخربت تلك المدينة وما
فيها من البيوت ثم جدد بعدها ذلك البيت وجعل فيه تلك
النار وبيت نار يسمى كنكدر بناه سياوش بن كاوس العجيب
وذلك في زمن لبثه بمشارق الارض من الصين مما يلي الرند
وبيت نار بمدينة ارجان من ارض فارس بناه بشتاسف
ويذكر ان فيها داره وبيت ببلاد مصر القديمة وهي
قصر الشمع قد حصل في وقتنا هذا وهو سنة ست وثلثين
وثلثماية مسجد بناه بهلاسف وبيت للنار بارض فارس
الجد في ايام بشتاسف وهذه البيوت الاحد عشر بيتا
كانت قبل ظهور الاسلام وقيل ظهور زرادشت بن اسبيمان ونبي

نبي المجوس ثم اتخذ زرادشت بعد ذلك بيوت النيران
فكان مما اتخذ بيتا بمدينة نيسابور من بلاد خراسان وبيت
للنار اخر اتخذه زرادشت بمدينة فسا والبنط بارض فارس
وقد كان زرادشت امر بشتاسف الملك ان يطلب نارا
كان يعظمها جم فاستند فطلبت فوجدت بمدينة خوارزم
فنقلها بشتاسف بعد ذلك الى مدينة دارابجرد من ارض
فارس وكورها وهذا البيت وهذه النار في وقتنا هذا
وهو سنة ست وثلثين وثلثمائة يدعى اذراحر اسماء النار والحار
احد اسماء النار والحرا ايضا احد اسماء الانهار بالفارسية سيه
الاولى والمجوس تعظم هذه النار ما لا تعظم غيرها من النيران
والبيوت وقد ذكرت الفرس لمسيحيها لما خرج لغزو الترك
وصار الى خوارزم سال عن تلك النار فلما وجدها وعظمها وسجد
لها ويقال ان انوشروان هو الذي نقلها الى الكاريان فلما
ظهر الاسلام تخوفت المجوس ان يطفئها المسلمون فتركوا بعضها
بالكاريان ونقلوا بعضها الى نسا وفسا من كور فارس لكي
احداهما ان طفئت الاخرى بقيت وللفرس بيت نار باصطخر فارس
تعظمه المجوس كان في قديم الزمان للاصنام فنظفته هماي ي
ابنة بهمن بن اسفنديار وجعلته بيت نار ثم نقلت عنه
النار فخرب والناس في وقتنا هذا وهو سنة ست وثلثين
وثلثمائة يذكرون انه مسجد سيدنا سليمان عليه السلام وبه
يعرف وقد دخلته وهو على فرسخ من مدينة اصطخر فرايت بناء
عجيبا وهيكلا عظيما واساطين ومحل عجيبة على اعلاها
صور من الصخر عظيمة من الخيل وغيرها من صور واشخاص قد
ذكيت واتقنت صورها ويزعم من حل هذا الموضع انها
صور الانبياء وهو في سفح جبل والريح تعبر خارجه من ذلك الهيكل
في ليل ونهار لها هبوب ودوي يذكر هناك من المسلمين ان
سليمان النبي عليه الصلوة والسلام حبس الريح في ذلك
الموضع وانه كان يتغدى في بعلبك من ارض الشام ويتعشى في هذا
المسجد وبين مدينة تدمر وقلعتها والمسجد فيه ومدينة
تدمر في البرية بين العراق ودمشق وحمص من ارض الشام نحو
من الى الشام نحو خمسة ايام او ستة وهي بنيان عجيب من
الحجر وكذلك الملعب الذي فيها وفيها خلق من الناس من العرب
من قحطان وفي مدينة سابور بارض فارس بيت للنار معظم

عندهم

عندهم اتخذه دارا بن دارا وفي مدينة جور من ارض فارس وهو البلد
الذي يعمل منه الماورد الجوري واليه يضاف بيت للنار بناه ازد شير
ابن بابك وهذا البيت بمدينة جور فيه ابتداء على ساعة منها على عين
هنالك عجيبة ولد عيد وهو احد متنزهات فارس وفي وسط
بنيان عظيم تعظمه الفرس يقال له الطربال اخربه المسلمون وبين
مدينة جور ومدينة كوار عشر فراسخ وبها يعمل الماورد الكوا ري
واليها يضاف وبها يعرف وهذا الماورد يعمل بجور وكوار وهو الطيب
ماورد يعمل في هذا العالم لطيب التربة وصفاء الهوى ولولا ان
لسكان هذه البلاد الحمرة في بياض وهي ليست لغيرهم من الامصار التي
ولكوار اول مدينة شيراز وغيرها من بلاد فارس اخبار ولها
فيها من بيوت النيران اقاصيص عجيبة يطول ذكرها قد ذكرها
الفرس وكذلك مما بارض فارس من الموضع المعروف بماء النار وقد بني
عليه هيكل وكان الملك كورش حين ولد المسيح عليه السلام بعث
ثلاثة انفس ودفع اليهم جرابا من لبان والى الاخر جرابا من مر والى
الاخر جرابا من تبر وسيرهم يهتدون بنجم وصفه لهم فساروا
حتى انتهوا الى المسيح وامه مريم عليهما السلام والنصارى يعلمون
من امرهم عجائب تظهر عند مولده كما في الانجيل وان الملك نظر الى
النجم قد طلع معلما بمولد المسيح فكانوا اذا ساروا سار معهم
النجم واذا وقفوا وقف لوقوفهم وقد بينا في كتابنا اخبار
الزمان على شرح هذا الخبر وما قالت فيه المجوس والنصارى
ومن الرغيف الذي دفعته اليهم مريم وما كان من الرسل وجعلهم
الخبز تحت الصخرة ودفنه في الارض وذلك بفارس وكيف حفروا عليها
الى الماء وانها وجدت وقد صارت شعلتين نار على وجه الارض ص
تتقد وغير ذلك مما قيل في هذا الخبر وقد كان لازدشير بيت
نار يقال له ماريو في اليوم الثالث من غلبته على فارس وبيت
نار في خليج القسطنطينية من بلاد الروم بناه سابور بن ازدشير
ابن بابك وهو سابور الجنود حين نزل على هذا الخليج وحاصر القسطنطينية
وكان مسيره في جيوش فارس وغيرها من الرعايا وملوك الامم يسمى
سابور الجنود لكثرة من تبعه من الجنود وقد كان سابور لما وصل الى
بلاد الجزيرة عدل عن طريقه فنزل على الحصن المعروف بالحضر وقد
كان هذا الحصن للساطرون بن اسطيرون ملك السريانيين في زمان
يقال له اناخرون من بلاد الموصل وقد ذكرته الشعراء لعظم ملكه ولكثرة
جيوشه وحسن بناء هذا الحصن المعروف بالحضر فممن ذكر ذلك

[illegible] فلم يزل هذا البيت عامرا الى
الخلافة المهدي فخرب وكان لذلك خبر
وقد كان سابور الجنود اشترط على الروم بناء
هذا البيت عند حربه حاصر القسطنطينية

ومن الشعراء ابو داود الايادي فقال

وادي الموت قد بدا من الحضر على رب اهله الساطرون

ولقد كان امنا للدواهي داثرا وجوهر مكنون

وقد قيل ان النعمان بن المنذر من ولد الساطرون بقوله هو النعمان ابن المنذر بن امرء القيس بن عمرو بن عدي بن نصر بن الساطرون ابن اسطيرون والساطرون والسطيرون القاب وهم عرب تملكوا على السريانيين ثم تملك الديار وغلب عليها بعد ما ذكرنا ممن تملك تلك الديار وغلب عليها بعد ما ذكرنا ممن افناهم الدهر جيهلة بن جيهلة وجيهلة امه وهو الضيزن بن معوية وكان ملكا على قومه من تنوخ بن ملك بن فهم بن تيم بن اسد بن وبرة بن تغلب بن سعد بن سليح بن حلوان بن عمران بن الحافي ابن قضاعة وكان كثير الجنود مهادنا للجنود متحيزا اليهم يغير رجاله في العراق والسواد فكان في نفس سابور عليه ذلك فلما نزل على حصنه تحصن الضيزن في الحصن فاقام عليه سابور شهرا لا يجد سبيلا الى فتحه ولا يتاتا له الحيلة في الدخول اليه فنظرت النضيرة بنت الضيزن اليه وقد اشرفت من الحصن فهويته وكان من اجمل الناس واتمهم قامة فارسلت اليه ان انت ضمنت لي ان تتزوجني وان تفضلني على سائر نسائك دللتك على فتح هذا الحصن فضمن لها ذلك فارسلت اليه اذا اصبحت ترى الثرثار وهو نهر في اعلاه فانثر فيه تبنا ثم اتبعه فانظر اين يدخل فادخل رجالك منه فان ذلك يفضي الى الحصن ففعل ذلك سابور فلم يعلم اهل الحصن الا وسابور معهم في الحصن وقد سقت النضيرة اباها الخمر العسل حتى اسكرته طمعا في تزويج سابور اياها وامر سابور بهدم الحصن بعد ان قتل الملك الضيزن ومن معه وعرس سابور بالنضيرة بنت الضيزن الملك فباتت ساهرة فقال سابور لها ما لك لا تنامين قالت ان جنبي متجافي عن فراشك قال والله ما نامت الملوك على الين منه ولا اوطاء وان حشوه لزغب النعام فلما اصبح سابور اذا ورقة اس بين عكنتيها فتناولها فكاد بطنها يدمي فقال سابور ويحك ما كان ابوك يغذوك قالت بالزبد والشهد والمخ والملح وصفو الخمر فقال لها سابور لحقيق ان استبقيتك بعد هلاك ابيك وقومك اذ كانت حالتك عنده الحال الذي تصفين ولم ترعي فامر بها فربطت بغدائرها الى فرسين حصانين ثم خلا سبيلهما فقطعاها

ففي

ففي هذا المقتول الملك ومن كان معه في الحصن يقول الجري بن الدهما العبسي شعر

الم يحزنك والانبا تنمي بما لاقت سراة بني العبيد

ومصرع ضيزن وبني ابيه واحلاف الكتائب من تزيد

اتاهم بالفيول مجللات وبالابطال سابور الجنود

فهدم من بروج الحصن صخرا كان ثقاله زبر الحديد

وفي قتل سابور النضيرة بنت الضيزن لما كان منها في الغدر بابيها وقومها وارشادها سابور الى ان دخل الحصن يقول عدي ابن زيد العبادي يقول

والحضر صبت عليه داهية من فوقه ايد مناكبها

ربيبة لم توق والدها لحينها اذ اضاع راقبها

واسلمت اهلها بليلتها تظن ان الرئيس خاطبها

فكان حظ العروس اذ جشر الصبح دماء تجري سبائبها

وفي ذلك يقول عدي بن زيد ايضا في هذا الحصن والنضيرة ويرثيهم

اقفر الحضر من نضيرة فالمر باع منه فجانب الثرثار

فالايامين من الايوان واصحاب ذلك المنار

وتواصوا بالوين لها حيث وفت لوامع الجدار المحذار

الكرام يمموا لتصبحوا انثي مثل اهل وبار

ومن ارض العراق بالقرب من مدينة السلام بيت بنته جوران ابنة كسرى ابرويز الملكة بالموضع المعروف باسفينا وبيوت النيران كثيرة مما تعظمها المجوس بالعراق وارض فارس وكرمان وارض سجستان وخراسان وطبرستان والجبال واذربيجان والران وفي الهند والصين اعرضنا عن ذكرها واقتصرنا ما اشتهر منها والهياكل المعظمة عند اليونانيين وغيرهم مثل بعلبك وهو الصنم الذي قال تعالى عنه اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين وهو بمدينة بعلبك من اعمال دمشق من نحو سنير وقد كانت اليونانية اختارت لهذا الهيكل قطعة من الارض بين جبل لبنان وجبل سنير واتخذته موضعا للاصنام وهما بيتان عظيمان احدهما اعظم من الاخر فيهما نقوش عجيبة في الحجر الذي لا يتاتى حفر مثله في الخشب مع علو سمكها وعظم احجارها وطول اساطينها وسعة فسحتها وعجيب بنيانها وقد اتينا على خبر هذا الهيكل وبقية الهياكل وما كان من خبر اهل هذه المدينة من سفك الدما وهيكل عظيم النيسان

ولم كان بخارج المنار مع
على ابراهيم الحلاك مع

في مدينة دمشق وهو الموضع المعروف بجيرون وقد ذكرنا خبره فيما
سلف من كتابنا هذا وان باب جيرون سعد العادي ونقل اليه
العمد الرخام وانه ارم ذات العماد مذكور في القران الا ما ذكر
عن كعب الاحبار حين دخل الى معاوية بن ابي سفيان وساله عن
خبرها ووصفها وذكر عجيب بنائها من الذهب والفضة والمسك
والزعفران وانه يدخلها رجل من العرب يتبع له جملان
فيخرج في طلبهما فيقع اليها وذكر حلية الرجل وكان اعرابي
قد دخلها في طلب ما شرد من ابله فاجاز معوية لكعب ما تبين صدق
مقالته واتضاح برهانه فان كان هذا الخبر من كعب حقا في وصف
هذه المدينة حسن وهذا خبر يدخله الفساد من جهات
في النقل وغيره وهو من صنعة القصاص وقد تنازع الناس في
هذه المدينة واين هي ولم يصح عند كثير من الاخباريين ممن وفد
على معاوية من اهل الدراية باخبار الماضين وسير الغابرين من
العرب وغيرهم من المتقدمين من الاخبار عبيد بن شرية واخباره
عما سلف من الايام وما كان فيها من الكوائن والحوادث وتشعب
الانساب وكتاب عبيد بن شرية متداول في ايدي الناس مشهور
وقد ذهب كثير من الناس ممن له معرفة باخبارهم ان هذه اوضاع
واخبار مصنوعة مخولة نظمها من تقرب الى الملوك بروايتها
وصال على اهل عصره بحفظها والمذاكرة بها وان سبيلها سبيل
الكتب المنقولة الينا والمترجمة لنا من الفارسية والهندية والرومية
وسبيل تاليفها ما ذكرنا مثل كتاب هزار افسان وتفسير ذلك
من الفارسية الى العربية الف خرافة والخرافة بالفارسية افسانة
والناس يسمون هذا الكتاب الف ليلة وليلة وهو خبر الملك
والوزير وابنته ودايتهما وهما شيرازاد ودينازاد ومثل
كتاب فرزة وشماس وما فيه من اخبار ملوك الهند والوزرا ومثل
كتاب السندباد وغيرها من الكتب في هذا المعنى وقد كان
مسجد دمشق قبل ظهور النصرانية هيكلا عظيما فيه التماثيل
والاصنام وطالع سعد ثم ظهرت النصرانية فجعل كنيسة
ثم ظهر الاسلام فجعل مسجدا واحكم بناه الوليد بن عبد الملك
والصوامع لم تغير وهي منار الاذان في هذا الوقت وقد
كان بدمشق بناء عجيب يقال له البريص وهو مبني الى هذا الوقت
وهو سنة ست وثلاثين وثلثمائة في وسطه يجري في الجرف
وقد ذكرته الشعراء في مدحهم الملوك غسان وغيرهم

وبيت بانطاكية يعرف بالديماس على يمين مسجدها الجامع مبني على
الاجر العادي والحجر عظيم البنيان يدخل القمر في كل سنة عند
طلوعه من باب من ابوابه والعالية وفي بعض الاهلة الصيفية
وقد قيل ان هذا الديماس من بنيان الروم حين ملكت انطاكية
وانه بيت نارها وقد وصفه قال بعض شعراء الانطاكيين يذكر
هذا الديماس وما كان منه شعر الابيات

ما مر بالديماس مذ كان قلم … نعف تبكي الاهلة ويعوله
فقلت له ما الذي وحله … انت تبكي ما نفعله
فقال هذا موقد النار الذي … ارى المجوس كلها تجله
قلت له باسروا هاد قا … عن بنيانه كيف كان اوله
فقال لا اعلم الا انني … اذكر اني بالكاف تشعله

قال المسعودي وقد ذكر ابو معشر المنجم في كتابه المترجم
بكتاب الالوف والهياكل والبنيان الهياكل الذي يحدث بنيانها
في العالم في كل الف عام وكذلك ذكر ابن البازيار تلميذ ابي جعفر
في كتابه المنتخب من كتاب طب النفوس وقد ذكر غيرهما ممن تقدم
عصرهما وممن تاخر عنهما اخبار البنيان والعجائب في الارض
وقد اعرضنا عن ذكر السد الاعظم وهو سد ياجوج وماجوج
وتنازع الناس في كيفية بنيانه هستاذ عمهم في ارم ذات العماد
على ما ذكرناه ايضا وكيفية بناء الاهرام بمصر وما عليها من الكتابة
المرسومة وما بصعيد مصر من البرابي المصنوعة وبغير الصعيد
من ارض مصر واخبار مدينة العقاب وما ذكر الناس فيها ولونها
في وجاه مصر مما يلي المغرب والحبشة وخبر العمود الذي بين
الماء من اعلاه في فصل من السنة بارض عاد واخبار النمل الذي
قدر الذياب والكلاب وقصة ارض الذهب الى وراء بلاد سجلماسة
من ارض المغرب والامة هناك من وراء النهر العظيم ومبايعتهم
من غير مشاهدة ولا مخاطبة لهم وتركهم المتاع وغدو الناس
الى امتعتهم فيجدون الجرم الذهب قد ترك الى جنب كل متاع
من تلك الامتعة فان شاء مالك المتاع اخذ الذهب وترك المتاع
وان شاء اختار متاعه وترك الذهب وان اراد الزيادة ترك
الذهب والمتاع هذا مشهور بارض المغرب ببلاد سجلماسة
وحمل التجار الامتعة منها الى ساحل هذا البحر وهو نهر عظيم
واسع في العرض غير الماء وكذلك عن باقي بلاد خراسان
مما يلي الترك من اقاصي بلادهم امة تبايع على هذا الوصف من غير مخاطبة

ولامشاهدة وهو هناك على امر عظيم وخبر البئر المعطلة والقصر
المشيد وذلك بارض الشحر من بلاد الاحقاف بين اليمن
وحضرموت والبئر وطي فيها من الحروف واتصالها بالهوا
والفضا من اعلاها واسفلها وما قال الناس في تاويل ذلك
من هذه الاية فيها وهل المراد بالقصر والبئر هذا او غيره
واخبار مخاليف اليمن وهي القلاع والحصون كقلعة نخل
وغيرها واخبار مدينة زبيد وكيفية بنائها وما حوته من
عجايب الهياكل والكنايس والعمود الذي عليه السودانية
من النحاس وما يحمل اليها من الزيتون في ابانه بالشام وغيره
يحمل من تلك الطاير المعروف بالسودانية في مخاليبه ومنقاره
فيطرحه على تلك الصورة المصورة على العامود من زيتون
رومية وزبيبها حتى ساع ارخص من معدنه في بعض السنين
على حسب ما ذكرناه من الطلسمات عن بلينوس وغيره وذلك في كتابنا
في اخبار الزمان ثم اخبار البيوت السبعة التي ببلاد الاندلس
وما كان من اخبار الملوك السالفة فيها وتعذر الوصول اليها ثم
ما كان من امر صاحب مدينة الصفر والقبة الرصاص التي بمفاوز
الاندلس ثم ما كان من امر صاحب عبد الملك بن مروان في نزوله
عليها وما تهافتت فيه من المسلمين عند الطلوع على سورها
واخبارهم عن انفسهم انهم وصلوا الى نعيم الدنيا والاخرة
وخبر المدينة الاخرى التي اسوارها من الصفر الذي على
ساحل البحر الحبشي في اطراف من الهند وما كان من
ملوك الهند بها وعدم وصولهم اليها وما بحر من وادي
الرمل نحوها وما ببلاد الروم من الهياكل المتخذة للاصنام
التي على صور البدية المتقدم ظهورها في اول الزمان بارض
الهند وخبر الهيكل المعظم عند الهند المعروف ببلاد
ري وهذا عند الهند يقصد من البلاد الشاسعة وله
باب قد قفل عليه حول لم يفتح الف مقصورة فيها حول رو
لمن يتطوع التعظيم هذا الصنم من الهند وخبر الهيكل الذي
فيه الصنم ببلاد المولتان على تخوم ارض السند
وخبر شيدا وسري ببلاد قرماسين من اعمال الدينور
من بلاد الكوفة وكثير من اخبار العالم وخواص بقاعه وابنيته
وجباله وبدايع ما فيه من الخلق والحيوان وغيرهم مما قد اتينا

[illegible]

على ذكره فيما سلف من كتبنا ولذلك ذكرنا ما خص به كل بلد من اللباس
والاخلاق دون غيرهم وما تفردوا به من الانواع والاغذية والما كل
والمشارب والنسيم وعجايب كل بلد وذكرنا اخبار البحار وما
قيل في اتصال بعضها ببعض وتغلغل مياهها وما يحدث في
كل بحر من الافات وما فيه من الجوهر دون غيره من البحار ككون
المرجان في بحر المغرب وعدمه من غيره ووجود اللولو في البحر
الحبشي دونه وقد كان ملك من ملوكنا من هذا العالم حفر
بين بحر القلزم وبين بحر الروم طريقا فلم يتاتى له ذلك لارتفاع
بحر القلزم وانخفاض بحر الروم وان الله عز وجل جعل ذلك
بينهما حاجزا على حسب ما اخبر به في كتابه العزيز والموضع الذي
حفر من بحر القلزم يعرف بذنب التمساح على ميل من مدينة القلزم م
عليه قنطرة عظيمة يجتاز عليها حاج مصر فاجرى خليجا من
هذا البحر الى موضع يعرف بالهامة صنعه لمحاربي على الماء درلي
من ارض مصر في هذا الوقت ويعرف بسند سترد والنهر فيه التماسيح فلم
يتاتى له اتصال ما بين بحر القلزم والروم وهو بحر الصين واليمن
فاحفر من بحر الروم خليجا اخر مما يلي بلاد تنيس الى موضع نعنعان
حتى اتصل نحو بلاد الهامة فكانت المراكب تدخل في بحر الروم
المحفور هذه القرية ومن بحر القلزم في خليج ذنب التمساح فيتبايع بع
ارباب المراكب ويقرب حمل ما في كل من بحر الى الاخر ثم ردم
ذلك على طول الدهر ومثله السوافي من الرمل وغيره وقد رام
الرشيد ان يوصل ما بين هذين البحرين مما يلي النيل من اعالي الحبشة
ونحو بلاد الحبشة واقاصي صعيد مصر فلم يتاتى له
قسمة من النيل ورام ذلك مما يلي بلاد الفرما نحو بلاد تنيس
على ان يكون مصب بحر القلزم الى البحر الرومي فقال له يحيى
ابن خالد البرمكي ان يتم ذلك اختطف الروم الناس من المسجد الحرام م
والطواف وذلك ان مراكبهم تنتهي من بحر الروم الى بحر الحجاز
فتطرح سراياها مما يلي جدة فتختطف الناس من المسجد الحرام
ومكة والمدينة على ما ذكرنا فامتنع من ذلك وذلك يحكى عن عمرو بن
العاص حين كان بمصر انه رام فعل ذلك فمنعه منه عمر بن الخطاب
وذكر نحو ما ذكرنا من امر الروم وذلك لما افتتحها عمرو بن العاص في
خلافة عمر بن الخطاب واثار الحفر بين ما ذكرنا من المواضع والخلجان
فتبين على حسب ما شرعت فيه تلك الملوك السالفة طلبا لعمارة الارض
وخصب البلاد وعيش العباد يا لا قوت وان يحمل ذلك

[illegible]

الى كل بلد مما ليس فيه من الاقوات وغيرها من ضروب المنافع وصنوف
المرافق ذكر جامع التاريخ من بدء العالم الى مولد النبي صلى الله عليه وسلم وعدد سنين
ما الحق بهذا الباب قد ذكرنا فيما سلف من كتبنا كلام تباين الناس
في بدء العالم ممن اثبت حدوثه ونفاه وما جرت الاراء فيه
الى جهات وقد اخبرنا انهم الهند وفرق اليونان ومالوا فقهم
بالقول على العدم من المتكلمين والطبايعيين وما اوردته الحكماء
من قولها الى الحركة الصانعة للاشخاص المحلة فيها الادوار
متى قطعت المسافة التي بين العقدة التي ابتدات منها حتى
تنتهي اليها راجعة ثم تنفصل عنها اذا عادت كما بدات
بداولا لهيئته واشخاصه وصوره وضروب اشكاله اذ
كانت العلة والسبب الذين كان بوجودهما وجود الاشيا
فقد وجد الوجود بما بدا فوجب ظهور الاشيا متى ما عادت
الى المبدا الذي كان عنه الصدر ثم ما يعقب هذا القول من
اقوال الطبايعيين ان علة كون الاشيا الجسمانية من قبل
الحركات للطبايع واختلاطها لان الطبيعة عندهم تحركت في
بدوها واختلطت فاظهرت الحيوان والنبات وسائر الموجودات
في العالم وجعلت لها اصولا من التناسل لما عجزت عن تقييد
الاشخاص عدلت الى النسل وان الطبايع تنتقل من تركيب
الى بسيط ومن بسيط الى تركيب حتى اذا ادى المركب نهايته
عادت الاشيا الى البسيط وابتدا الكون مارا على طريقته
لان الذي اوجبه اولا قد وجد بحقه لن يوجد منه بوجود
المعنى الذي اوجده ومثلوا ذلك بظهور النبات في الربيع
وتحركه تحت الثرى وذلك ان الشمس تبلغ في الربيع الى
راس الحمل بادئة في شرفها آخذة في مرها وهي العلة الكبرى
في احيا النبات ودفا الجو فتغتدي اشخاص النبات
وتاخذ الثمر في الظهور من الشجر بادئا كما كان ظاهرا بالمثال
الاول الذي قد بدا في الشتاء ويبسه وبرده لان علة
الكون الحرارة والرطوبة الى البرودة واليبوسة فارقت الكون
المتمم ودخلت في الفساد فاذا انتهى بها الفساد الى غايته
واوصلها الى نهايته عاود الكون بوصول الشمس الى راس
الحمل فدام بعادته في انشائها وابرازها وخسايسه الفساد
الى نفاسة الكون ولو كانت الحواس تضبط شان الاجساد وتحيط
باستقلالها من حال الى حال لشاهدت ثم الى دوام الزمان مستدية بلى

زمنية راجعة الى مشكلها في مختلط الدايم باشكال تواتر
مواضع السلوك لها مختلفة باختلاف العلل متفرقة في الابعد كاختلاف
الاسباب وهذا القول من هذه الطائفة ما صرح بالكون
وابان عنه وقضية المخصص توجب ان الاشيا الموجوده
غير خالية من احدى منزلتين اما ان يكون بيد وانتهاء او لا يجب
ان يكون اجزاؤها وابعاضها غير متناهية ويجب
ان يكون الزمان غير عادلها والحاد بجميعها وقد
وجدنا التناهي والابتدا وابعاضها على الرويه ثابتا في
كل يوم جديد تجاري خلقا جديدا وصورا في العالم مركبات
وصورا بادية لم تحتمل مماثلة وفي هذا ما يدل على حصر الاشيا
ووقوعها في غاية اليها صدورها فاوجب ان يكون
للاشيا بدء وانتهاء وبطل قسم المتوهم ان الاشيا بلا نهاية
وان ليس لها ابتدا ولا غاية باطل ومحال فاسد
ولو وجب ان يكون الاشيا الموجوده بلا بدء ولا نهاية لوجب
ان لا يزول شي عن مركزه ولا يحول عن رتبته وبطلت
الاستحالة وسقطت المتضاد وهذا مستحيل
ولو وجب ان يكون الاشيا الى غير نهاية ولما كان لقولنا
اليوم وامس وغدا معنى لان هذه الازمان يحدها هو
بالنهاية ويوجد في حوزتها الحادثة ما لم يلزم وادخاله
الى حوزته ما هو كائن وفيما ذكرنا اوضح سبيل شاهد على المعاني
دال على حدوث الاجسام وهذه دلالة ماخوذة من الحس
ومطرده في المعقول والبحث واذ قد صح ان الاشيا محدثة
بكونها بعد ان لم تكن فلا بد من محدث هو بخلافها لا شكل
له ولا مثل لان العقل لا يقيم لشي مثلا حتى يعلم له
قدرا ووزنا يعادله مثله وشكله واسم عز وجل لا يعبر
عن ذاته اللغات ويعجز القول ان يحصره بالصفات ويدرك
بالاشارات او يكون ذا غايات ونهايات قال المسعودي
فلنرجع الآن الى الكلام في خبر تاريخ العالم لما ذكرنا
ووصف اقاويل الطوائف في ذلك لانا ان ذكرنا الكلام
في حدث العالم لما ذكرنا من قال بقدمه ودل على ازليته وقد
وقد تقدم ذكرنا لقول الهند في ذلك فيما سلف من هذا الكتاب
فاما اليهود يزعمون ان عمر الدنيا سبعة الاف سنة واخذوا
ذلك لحدا شرعيا وذهبت النصارى في عمر العالم الى ما ذهبت

٢

اليه اليهود فاما الصابة وهم الحرانيون والكيماريون فقد
ذكرنا قولهم في جملة قول اليونانيين فاما المجوس فانهم ذهبوا
في ذلك الى حد غير معلوم من نفاد قوة الهرمزد وهو الله والشيطان
ومنهم من ذهب في ذلك الى نحو ما ذهب اليه اصحاب الاثنين
في الجواز والخلاص وان العالم يعود بدا بتخلص النور من الظلمة
والافات وزعمت المجوس ان من وقت زرادشت بن سبيتمان
نبيهم الى الاسكندر مايتين وثمانين سنة وملك الاسكندر
ست سنين ومن ملك الاسكندر الى ملك اردشير خمسماية
سنة وسبع عشرة سنة ومن اردشير بابكان الى الهجرة خمسماية
واربعة وستون سنة وذكر من هبوط ادم عليه السلام الى الطوفان
الفان ومايتان وستة وخمسون سنة ومن الطوفان الى مولد
ابرهيم عليه السلام الف وتسع وسبعون سنة ومن مولد
ابرهيم الى ثمانين سنة خلت من عمر موسى وهو وقت خروجه
ببني اسرائيل الى التيه من مصر خمسماية وخمس وستون سنة
ومن خروجهم الى التيه الى سنة اربع من ملك سليمان بن داود عليهما
السلام وذلك في ابتدا بنا بيت المقدس ستماية سنة وست
وثلاثون سنة ومن بنا بيت المقدس الى ملك الاسكندر سبعماية
سنة وسبع عشرة سنة ومن ملك الاسكندر الى مولد المسيح
النبي عليه السلام خمسماية واحدى وعشرون سنة ومن مولد
المسيح الى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم خمسماية وست واربعون
سنة وبين مبعث المسيح وبين هجرة النبي عليه السلام خمسماية واربع
وسبعون سنة وكانت وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في
سنة تسعماية وخمسين من سني الاسكندر ومن ملك داود الى محمد صلى الله عليهما الفا الف سنة وستماية سنة
وسنتان وستة اشهر وعشرة ايام ومن ابرهيم
الى محمد صلى الله عليهما الفا الف سنة وسبعماية سنة وثمان
وعشرون سنة وستة اشهر وعشرة ايام ومن نوح
الى محمد صلى الله عليهما ثلاثة الاف سنة وسبعماية سنة واحدى
وعشرون سنة وستة اشهر وعشرة ايام فعلى
هذا القول لمن عمل التاريخ من هبوط ادم الى الارض الى هذا
الوقت ... سنين وشهور وايام من خلافة ابي اسحق المتقي بالله
وذلك الرقة من ديار مضر سنة الاف سنة ومائة وستة وخمسون سنة
وقد ذكرنا جملا من التاريخ فيما سلف من هذا الكتاب فلم نعد فيه ما تقدم

فان — الطو

دوهي

وللمجوس في التاريخ اقاصيص يطول ذكرها وعود الملك اليهم والى
غيرهم من الامم السالفة في بدء العالم وفنائه ومن قال منهم ببقائه
وان لا ابتداء له ولا نهاية ومن ذهب منهم الى ان له ابتداء ولا انتهاء له
وقد اتينا على ذكر ذلك فيما سلف من كتبنا فاغنى عن اعادته في هذا الكتاب
لاشتراطنا على انفسنا الاختصار والايجاز والتيسير على
من سلف من الكتب وقد ذهب جماعة من اهل البحث والنظر من اهل
الاسلام ان الدلالة قد قامت على حدوث العالم وكونه من بعد
ان لم يكن وان المحدث له الخالق عز وجل الباري احدثه
لا من شيء وبانه لما شاء من الاخر ليصح بذلك وعده ووعيده
وان لا سبيل لتحليله وان اول العالم من لدن ادم وقد غاب
عنا من السنين وحصادها وتنازع الناس في بدء التاريخ
والكتاب لم يخبر بحصر اوقاته ولا ابان عن تحديد اعداد سنيه
فيما مضى وليس له علم ذلك مما تحجر عليه الاثار وتحصره
قضيات العقول وموجبات الخصص ومن ضرورات الحواس
عند ادراكها المحسوسات فكيف يجوز ان يوقت عمر الدنيا
سبعة الاف سنة والله عز وجل يقول وقد ذكر الاجيال ومن
ضمه الهلاك وعادا وثمودا واصحاب الرس وقرونا بين ذلك
كثيرا والله تعالى لا يقول في الشيء واعلمنا في كتابه عز وجل
خلقه لادم وما كان من امره وامر الانبياء بعده ولم يخبر
بمقدار ذلك فيقف عليه لوقوفنا عند ما اخبرنا به لا سيما
مع علمنا ان المدة بيننا وبينه بعيدة متقاربة وان الارض
كثرت بها الامم والملوك والعجائب فلا يحصرها الا ان يخبر
الله عز وجل ولا يقبل عن اليهود ما اوردته مع ما نطق به القران
من انهم يحرفون الكلم عن مواضعه ويكتمون الحق وهم يعلمون
ودفعهم النبوات والمعجزات وجحدهم ما اتوا به من الايات
مما اظهر الله عز وجل على يدي عيسى بن مريم من المعجزات وعلى
يد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من البراهين المبهرات والدلائل
والعلامات والله عز وجل يخبر عما اهلك من الامم لما كان من فعلهم
وكفرهم بربهم قال الله عز وجل الحاقة ما الحاقة وما ادراك
ما الحاقة كذبت ثمود وعاد بالقارعة فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية
واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال
وثمانية ايام حسوما فترى القوم فيها صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية
فهل ترى لهم من باقية ثم قول النبي عليه السلام كذب النسابون

له — الكتاب — عيده — ان — ن — غيه

وامر ان ينسب الى معد وحده ونهى ان تجاوز بالنسب الى غيره ولكن
لعلمه بما مضى من الاعصار الخالية والامم الماضية والقرون الفانية
ولولا ان الناس الى الطرائف احن وبالنوادر اشغف والى
قصار الاحاديث اميل وبها احب لذكرنا من اخبار المتقد[مين]
وسير الملوك الغابرين ما لم نذكر في هذا الكتاب لكن
ذكرنا فيه ما يقرب تناوله تلويحا بالقول دون الايضاح
والشرح اذ كان معولنا في جميع ذلك على ما سلف من كتبنا
من تصنيفنا واذا علم الله عز وجل موقع النية وحسن القصد
اعان على السلامة من كل مخوف وقد ذكرنا في هذا الكتاب
ذكر فنون من العلوم ومن كل باب من الابواب على حسب الطا[قة]
ومبلغ الجهد والاختصار لما يسعر في ذكره من قراءة فاذ
قد ذكرنا جميع ما يحتاج اليه المبتدي والمنتهي من
علوم العالم واخباره فلنذكر الآن نسب النبي صلى الله
عليه وسلم ومولده ومبعثه وهجرته ووفاته وايام الخلفاء
والملوك من عصره الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلثين
وثلثمائة ولم نعرض في كتابنا هذا لكثير من الاخبار بل القول
خوفا من الاطالة ووقوع الملال ولا بد للعاقل ان
ينبغي ان يحمل البنية ما ليس في طاقتها ويسوم النفوس
ما ليس في جبلتها وانما الالفاظ على قدر المعاني وكثيرها
للكثير وقليلها للقليل وهذا باب ينوب بعضه عن بعض
والحمد لله ومنه نستمد معونة الكل

ذكر مولد النبي عليه السلام ونسبه وغير ذلك وما لحق بهذا الباب

قد ذكرنا فيما سلف من كتبنا بدء التاريخ في خلق العالم
واخبار الملوك وعجايب البر والبحر وجوامع التواريخ
للفرس والروم والقبط والهند وثمود القبط والروم وما كان
من مولد النبي عليه افضل الصلوة واتم السلام الى
مبعثه ومن امره وقبل رسالته وقد قدمنا في هذا الكتاب
ما كان بينه وبين المسيح عليهما السلام من اهل الفترة فلنذكر الآن
مولده اذ كان الطاهر المطهر الاغر الازهر الذي
اتسعت اعلام نبوته وتواترت دلايل رسالته ونطقت النجوم دالة
له قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم وهو **محمد** بن عبد الله
ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة

ابن

ابن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن
خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان
ابن اد بن ادد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب
ابن نابت بن اسمعيل بن ابرهيم خليل الرحمن بن تارخ وهو
آزر بن ناحور بن ساروح بن ارعو بن فالغ بن غابر
بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام
ابن لامك بن متوشلخ بن خنوخ بن يرد بن مهليل بن قينن
ابن انوش بن شيث بن آدم عليه السلام هذا ما هو في نسخة
ابن هشام في كتاب المغازي والسير عن ابن اسحق والنسخ
مختلفة الاسماء في النسب من نزار بن معد وفي نسخة محمد بن
زكريا العلائي البصري هو نزار بن معد بن عدنان بن ادد بن
ابن ناحور بن نخب بن يعرب بن الهميسع بن صانوخ بن نابت
ابن قيذر بن اسمعيل بن ابرهيم بن تارخ بن ناحور بن ارغو
بن الروح بن فالغ بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح بن
متوشلخ بن اخنوخ بن مهلاييل بن انوش بن شيث بن آدم
عليه السلام وفي رواية ابن الاعرابي عن هشام بن محمد الكلبي
هو نزار بن معد بن عدنان بن ادد بن ادد بن الهميسع بن
نبت بن سلامان بن قيذر بن اسمعيل بن ابرهيم عليه السلام
ابن تارخ ابن ناحور بن ارغو بن اشروح بن غابر بن شالخ بن ارفخشد
ابن سام بن نوح بن لامك بن متوشلخ بن اخنوخ بن يرد بن
مهليل بن قينان بن انوش بن شيث بن آدم عليه السلام
وفي التوراة ان آدم عاش سبعمائة سنة وثلثين سنة فيجب
والله اعلم ان آدم كان له تسعماية سنة ولامك وهو ابو نوح
النبي عليه السلام ابن ثمانماية سنة واربع وسبعين سنة
وشيث بن سبعماية سنة واربع وسبعين سنة فيجب
على هذا الوصف بالحساب ان مولد نوح كان بعد وفاة آدم
بثمانماية سنة وستة وعشرين سنة وقد نهى النبي
عليه السلام ان يتجاوز عن معد فقد سلف ان يوقف
في النسب على معد فقط وقد اختلف اهل النسبة على ما
ذكرناه لوجب التوقف عند امره صلى الله عليه وسلم
ونهيه ووجدت نسب معد بن عدنان بن ادد بن الهميسع
ابن سلامان بن عوص بن بوز ابن قموال بن ابي العوام بن
بابك بن براي بن بدوان بن بدلاف بن كالم بن حاكم بن

ماحص بن ماحي بن عما بن سان بن عيص بن افياد بن الهام
ابن مقصر بن ناحث بن زراح بن سنان بن مزم بن عوص
ابن عوام بن قيدار بن اسمعيل بن ابرهيم خليل الرحمن وقد
كان لارميا النبي مع معد بن عدنان اخبار يطول شرحها
وما كان من امرهما بالشام وقد اتينا على ذكرها فيما سلف
من كتبنا وانما ذكرنا هذا النسب من هذه الوجوه
ليعلم التنازع في ذلك فلذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم
عن تجاوز معد بن عدنان في الانساب وقد تنازع الاوائل في طول هذه
الاعصار. وكنيته عليه السلام ابو القاسم وفي ذلك يقول الشاعر

الله ما قد حاز صفوته ... وصفوة الخلق بنو هاشم
وصفوة الصفوة من هاشم ... محمد النور ابو القاسم

صلى الله عليه وسلم وهو محمد واحمد والماحي الذي يمحو الله به
الذنوب والعاقب الذي لا نبي بعده والحاشر الذي
يحشر الناس على عقبه لاهل الشفاعة صلى الله عليه وسلم وكان
مولده عليه السلام عام الفيل وكان بين عام الفيل وعام
الفجار عشرون سنة والفجار حرب كانت بين قيس عيلان
وبين كنانة استحلوا فيها القتال في الاشهر الحرم فسميت الفجار
وكنانة بن خزيمة بن مدركة وهو عمرو بن الياس بن مضر بن نزار
وكان ولد الياس عمرو وعامر وعمير فعمرو هو مدركة
وهو عمرو بن الياس بن مضر وعامر هو طابخة وعمير هو قمعة
وكانت امهم ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة
وهي خندف فغلب عليها ذكرنا الالقاب ونسب ولد الياس
الى خندف ثم بنو هاشم بن عبد مناف وبنو المطلب بن عبد مناف وزهرة
بن كلاب وتيم بن مرة وبنو الحرث بن فهر فاتفقوا على انهم
ينصفون المظلوم ويمنعون الظالم وصاروا الى دار عبد الله
ابن جدعان فتحالفوا هناك على ما ذكرنا وقد قدمنا
في الكتاب الاوسط اخبار العالم والفجارات الاربعة فجار
الرجل وهو بدر بن معشر وفجار العود وفجار المراه والفجار
الرابع هو فجار البراض وبين الفجار الرابع الخارج الى الشام
في تجارة خديجة ونظر نسطورا الراهب اليه وهو في صومعته
والنبي عليه السلام كان مع ميسرة وقد اظلته غمامة وقال .
هذا نبي وهو آخر الانبياء اربع سنين وتسعة اشهر وستة

ايام والى ان تزوج خديجة بنت خويلد شهران واربعة وعشرون
يوما والى ان شهد بنيان الكعبة وحضر تنازع اعيان قريش
في وضع الحجر الاسود عشر سنين وقد كان السيل هدم الكعبة
فسرق منها لما انهدمت غزال من ذهب وحلي وجوهر فنقضتها
قريش وكان في حيطانها صور كثيرة بانواع من الاصباغ
عجيبة منها على صورة ابرهيم الخليل عليه السلام وفي
يده الازلام ويقابلها صورة اسمعيل ابنه على فرس بحر بالناس
معهما العادوب قائم على وفد الناس يقسم فيهم وبعد هذه
الصور صور كثيرة من اولاد ابرهيم الى قصي بن كلاب وغيره في نحو
ستين صورة مع كل واحد من تلك الصور الهه صاحبها وكيفية
عبادته وما اشتهر من علمه فلما انتهوا من الكعبة ورفعت
سمكها وتاتي لهما ما ارادت في بنيانها من الخشب الذي
ابتاعوه من السفينة التي رمى بها البحر الى ساحلهم التي بعث
بها ملك الروم من القلزم من بلاد مصر الى الحبشة ليبني له بذلك
كنيسة وانتهوا الى الموضع المعروف بالحجر على ما ذكرنا وتنازعوا
ايهم يضعه واتفقوا انهم يرتضوا باول من يطلع عليهم من باب
بني شيبة فكان اول من ظهر لابصارهم النبي عليه السلام
من ذلك الباب وكانوا يسمونه بالامين لوقاره وتهديه به
وصدق لهجته واجتنابه القاذورات والادناس فحكموه
فيما تنازعوا فيه وانقادوا الى قضائه فبسط ما كان عليه من
رداء وقيل كساء طاروني واخذ عليه السلام الحجر
فوضعه في وسطه وقال لاربعة رجال من قريش اهل
الرياسة منهم والزعماء منهم وهم عتبة بن ربيعة بن
عبد شمس بن عبد مناف والاسود بن عبد المطلب بن
عبد العزى بن قصي وابو حذيفة بن المغيرة بن عمر بن مخزوم
وقيس بن عدي السهمي ليأخذ كل واحد منهم بجنبة
من جنبات هذا الرداء فشالوه حتى ارتفع عن الارض وادنوه
من موضعه فاخذ عليه السلام الحجر ووضعه مكانه وقريش
كلها حضور فكان ذلك اول ما ظهر من فعله وقضاياه واحكامه
صلى الله عليه وسلم فقال قائل منهم لمن حضر منهم من قريش
متعجبا من فعلهم وانقيادهم الى من هو اصغرهم سنا واقلهم
مالا لتجعلون رئيسا وحاكما واللات والعزى ليفوقنهم سلفا
وليقسمن بينهم حظوظا وجدودا وليكونن له بعد ذلك شان

عظيم وقد تنوزع في هذا القايل فمن الناس من راى انه ابليس ظهر في
زي رجل من قريش قد كان مات فذكر ان اللات والعزى لحيته
لذلك المشهد ومنهم من راى انه بعض رجال قريش وحكمايهم
وممن كان له فطنة فلما استتمت قريش بنا الكعبة نسبت ادد ية
الرخام وهي الوصايل واعادوا الصور التي كانت مصوره في
الكعبة واتقنوا تشكيل ذلك واحكامه فكان بنا الكعبة
على ما وصفنا الحال بعد ان اسرى عز وجل نبيا خمس سنين ومن م
مولده الى مبعثه صلى الله عليه اربعون سنة ويوم ومن النبي مع
من مولده عليه السلام انه كان بعد قدوم اصحاب الفيل مكة
يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة ثمانية اوثين
وثمانين من عهد ذي القرنين وكان قدوم ابرهة لسبع عشرة
ليلة خلت من المحرم ولست عشرة ليلة ولست عشرة ومايتين
من تاريخ العرب الذي اوله حجة الغدر ولسنة اربعين من ملك
كسرى انوشروان فكان مولده عليه السلام لثمان خلون من شهر ربيع الاول
من هذه السنة بمكة في دار ابن يوسف وقد كانت بلغ الخيزران
ام الهادي والرشيد مسجدا وكان ابوه عبد الله غايبا بارض الشام
فانصرف مريضا فمات بالمدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل
وقد تنوزع في ذلك فمنهم من قال انه مات بعد مولده صلى الله عليه
وسلم بشهرين ومنهم من قال انه مات في السنة الثانية من مولده
وامه امنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب
وفي السنة الاولى من مولده دفع الى حليمة بنت عبد الله بن الحرث
ابن صعصعة وفي السنة الثانية من كونه عليه السلام في بني سعد
كان ابوه يقول **الحمد لله الذي اعطاني هذا الغلام الطيب الاردان**
قد ساد في المهد على الغلمان اعيذه بالبيت ذي الاركان
وفي السنة الرابعة من مولده عليه السلام شق الملكان بطنه
واستخرجا من قلبه علقة سوداء ثم غسلا قلبه وبطنه بالثلج
وقال احدهما لصاحبه زنه بعشرة من اصحابه فوزنهم ثم ما زال
يزيد حتى بلغ الالف فقال والله لو وزنته بامته لوزنها وفي
السنة الخامسة ردته الى امه مرضعته حليمة في منتهى السادسة
وبين ذلك وبين الفيل خمس سنين وشهر لم عشر ايام وفي
السنة من مولده عليه السلام خرجت به امه الى اخواله بني عدي فتوفيت
بالابواء وقدمت به ام ايمن الى مكة بعد خمسة من موت امه وفي السنة

الثامنة من مولده عليه السلام توفي جده عبد المطلب وضمه
عمه ابو طالب اليه فكان في حجره وخرج معه الى الشام وله ثلث
عشرة سنة ثم خرج في تجارة خديجة بنت خويلد الى الشام مع
غلامها ميسرة واخبره بحيرا باسمه وهو ابن خمس وعشرين
سنة **قال المسعودي** وقد اتينا على مبسوط ذلك
في كتابنا في اخبار الزمان والكتاب الاوسط **ذكر مبعث النبي عليه**
السلام وطرف من الهجرة ثم ابتعث الله رسوله واختصه بما
اكرمه من نبوته بعد بنيان الكعبة بخمس سنين على حسب ما
قدمنا انفا وهو ابن اربعين سنة كاملة واقام بمكة ثلاث عشرة سنة
كاملة واخفى امره ثلاث سنين ونكح خديجة بنت خويلد وله
خمس وعشرون سنة وانزل الله عليه القران عشرين سنة
وثمانون سورة ونزل تمام بعضها بالمدينة واول ما نزل عليه
القران اول سورة كانت اقرا باسم ربك الذي خلق واتاه
جبريل عليه السلام في ليلة السبت ثم في ليلة الاحد ثم جاءه
بالرسالة في يوم الاثنين وذلك بحرا وهو اول موضع نزل فيه
القران وخاطبه باول السورة الى قوله تعالى علم الانسان
ما لم يعلم فقط ثم نزل تمامها بعد ذلك وخوطب بفرض الصلاة
ركعتين ركعتين ثم امر باتمامها بعد ذلك فاقرت ركعتا السفر
وزيدت في صلاة الحضر وكان مبعثه عليه السلام لعشرين
عشرة سنة من ملك كسرى ابرويز على راس مايتي سنة من يوم
المحاربة بالرهبة وذلك لستة الاف وماية وثلاث عشرة سنة من
هبوط ادم وقد ذكر مثل هذا بعض حكماء العرب في
صدر الاسلام ممن قرا الكتب السالفة على حسب ما استخرج
من غامض الكنز وفي هذا يقول في ارجوزة طويلة **شعر**

في راس عشرين من السنين الى بلا حصلت بقايا
والماية المعدودة التمام الى الوقوف ستة تمام

ارسله الله الينا رسولا وقد تنوزع في علي بن ابي طالب
رضي الله تعالى عنه واسلامه فذهب كثير من الناس الى انه لم يشرك
فيستانف الاسلام بل كان تابعا للنبي صلى الله عليه وسلم
في جميع افعاله مقتديا به وبلغ وهو على ذلك وان الله تعالى عصمه
وسدده ووفقه لعصمته للنبي صلى الله عليه وسلم لانهما لم
يكونا مضطرين ولا مجبورين على فعل الطاعات بل مختارين قادرين
فاختارا طاعة الرب وموافقة امره واجتناب منهياته ومنهم

من راي انه اول من آمن وان الرسول دعاه وهو موضع التكليف بظاهر قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين فكان بدوه بعلي اذ كان اقرب الناس اليه واتبعهم له ومنهم من راي غير ما وصفنا وهذا موضع قد تنازع فيه الناس من الشيعة والاباضية وغيرهم ممن توسط القول في ذلك من اهل السنة وقد احتج كل فريق لقوله ممن قال بالنص في الامامة والاختيار ومن راي من كل فريق تمنيه اسلامه ومقدار سنه وقد اتينا على ذكر ذلك على الشرح والايضاح في كتابنا المترجم بكتاب الصفوة في الامامة وفي كتاب الاستبصار وفي كتاب الزاهي وغيره من كتبنا في هذا المعنى ثم اسلم ابو بكر رضي الله عنه ودعا فيه الى الاسلام فاسلم على يديه عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن ابن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة بن عبيد الله فجاء بهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فاسلموا وهولاء النفر هم الذين سبقوا الناس بالايمان وقد قال بعض من تقدم من الشعرا في صدر الاسلام يذكرهم

في شعره

فيا سايلي عن خيار العباد ... صادفت ذا العلم والحزم
خيار العباد جميعا قريش ... وخير قريش ذوو الهجرة
وخير ذوي الهجرة السابقون ... ثمانية وحدهم نصرة
علي وعثمان ثم الزبير ... وطلحة واثنان من زهرة
وذو برلين قد جاورا احمدا ... وجاور قبرهما قبره
فمن كان بعدهما فاخرا ... فلا تذكرن عنده فخره

وقد اختلف في اول من اسلم فمنهم من راي ان ابا بكر الصديق كان اول الناس اسلاما واسبقهم ايمانا ثم بلال ثم عمرو بن عنبسة ومنهم من ذهب الى ان اول من اسلم من النساء خديجة ومن الرجال علي صلوات الله عليه ومنهم من راي ان اول من اسلم زيد بن حارثة حب النبي صلى الله عليه وسلم ثم خديجة ثم علي عليه السلام وقد ذكرنا ما اجتلبناه لانتظام القول في هذا فيما قدمنا ذكره من كتبنا في هذا المعنى وبالله التوفيق كما ذكرنا

ذكر هجرة محمد صلى الله عليه وسلم وما كان في ايامه الى وقت وفاته

وجوامع ما كان في ايامه في ودب وما صلى الله عليه وسلم

امر الله تعالى رسوله بالهجرة وفرض عليه الجهاد وذلك في سنة احدى من سني الهجرة وهي السنة التي زيد فيها الاذان وكانت سنة اربع عشرة وهاو عشر او قبض وهو ابن ثلاث وستين سنة وكانت سنة احدى

من الهجرة وهي سنة اثنتين وثلثين من ملك كسرى ابرويز وسنة تسع من ملك هرقل ملك النصرانية وهي سنة تسع مائة وثلاث وثلثين من ملك الاسكندر المقدوني وقد ذكرنا في الكتاب الاوسط كيفية فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في حين خروجه من مكة المشرفة ودخوله الغار واستجارته على الابل ونوم علي على فراشه فخرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة ومعه ابو بكر وعامر بن فهيرة مولى ابي بكر وعبد الله بن اريقط الديلي دليلهم على الطريق ولم يكن مسلما وكان مقام علي بمكة بعده ثلاثة ايام الى ان ادى ما امره باداية ثم لحق بالرسول صلى الله عليه وسلم وكان دخوله عليه السلام الى المدينة يوم الاثنين لاثني عشر ليلة من شهر ربيع الاول فاقام بها عشر سنين كوامل وكان نزوله عليه السلام في حال دخوله المدينة بقبا على كلثوم بن هدم اخي بني عمرو بن عوف فاقام بقبا ثلاثا وابتنى المسجد وقد قيل انه اقام في بني عمرو بن عوف اكثر من ذلك وقد قيل انه نزل بقبا على سعد بن خيثمة فكان مقامه بقبا يوم الاثنين والثلاثا ويوم الاربعا وسار يوم الجمعة ارتفاع النهار واتته الانصار حيا حيا يسالونه النزول عليه ويتعلقون بزمام راحلته وهي تجذبهم فيقول عليه السلام خلوا عنها فانها مامورة حتى ادركته الصلاة في بني سالم فصلى فيهم الجمعة وكانت اول جمعة صليت في الاسلام فذهب الشافعي في آخرين معه الى ان الجمعة لا تجب الا حتى يكون عدد المصلين اربعين فصاعدا واقل من ذلك لا يجزي وخالفه غيره من الفقهاء من اهل الكوفة وغيرهم وكانت صلاته في بطن الوادي المعروف بوادي رونا بالحشر هذه الغاية ثم استوى على ناقته فسارت لا تعرج على شي ولا يردها راد حتى اتت الى موضع مسجده عليه السلام والموضع يوميذ لغلامين يتيمين من بني النجار فبركت ثم ثارت ومضت غير بعيد ثم عادت الى مبركها فبركت واطمانت والنبي صلى الله عليه وسلم يراعي احوال الباري فيه وتوفيقه له فنزل عنها وصار الى منزل ابي ايوب الانصاري وهو خالد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار فاقام في منزله شهرا حتى ابتنى المسجد بعد ابتياعه الموضع ولحقت به الانصار واشتد سرورهم واظهروا التاسف على ما فاتهم من نصرته ففي ذلك يقول

صرمة بن ابي انس احد بني عدي في قصيدة له

ثوى في قريش بضع عشرة حجة ... يذكر لو يلقى صديقا مواتيا
فلما اتانا اظهر الله دينه ... فاصبح مسرورا بطيبة راضيا
نعادي الذي عادى من الناس كلهم ... جميعا وان كان الحبيب المصافيا

سار يعني الى المدينة ومن الموضع الذي فيه الاسلام وان العلماء والعدد في صلاة الجمعة

وافترض صيام رمضان وحولت القبلة الى الكعبة بعد قدومه بثمانية
عشر شهرا وقد قيل انما نزل عليه في المدينة من القرآن اثنان وثلاثون
سورة ثم قبضه الله تعالى يوم الاثنين لاثني عشرة ليلة خلت من
شهر ربيع الاول في سنة عشر في الساعة التي دخل فيها المدينة
في منزل عايشة رضي الله عنها وكانت علته ثلاثة عشر يوما وكانت غزواته
صلى الله عليه وسلم بنفسه ستا وعشرين غزوة ومنهم من راى انها سبع
وعشرون فالذين ذهبوا الى انها ستة وعشرون جعلوا منصرف النبي
صلى الله عليه وسلم الى خيبر الى وادي القرى غزوة واحدة والذين
جعلوها الى سبعة وعشرين جعلوا غزوة خيبر مفردة وغزوة وادي
القرى منصرفه اليها غزوة اخرى غير خيبر فوقع التنازع في اعداد الغزوات
من هذا الوجه وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم حين فتح خيبر انصرف منها
الى وادي القرى من غير ان ياتي الى المدينة وكان اول غزواته عليه السلام
من المدينة بنفسه الى ودان وهي الغزوة المعروفة بغزوة الابواء ثم غزوة
بواط الى ناحية رضوى ثم غزوة العشيرة من بطن ينبع ثم غزوة بدر
الكبرى وهي بدر الثانية التي قتل الله فيها صناديد قريش واسر اشرافهم
واسر من ذكرنا منهم ثم غزوة بني سليم حتى بلغ الموضع المعروف بالكدر
ماء لبني سليم ثم غزوة السويق طلبا لابي سفيان بن حرب فبلغ فيها
الموضع المعروف بقرقرة الكدر ثم غزوة غطفان الى نجد وتعرف هذه
الغزوة بغزوة ذي امر ثم غزوة بحران وهو معدن بالحجاز من فوق
الفرع ثم غزوة احد ثم غزوة حمراء الاسد ثم غزوة بني النضير
ثم غزوة ذات الرقاع من نخل ثم غزوة بدر الاخيرة ثم غزوة دومة
الجندل ثم غزوة الخندق ثم غزوة بني قريظة ثم غزوة بني لحيان
من هذيل بن مدركة ثم غزوة ذي قرد ثم غزوة بني المصطلق وخيبر
والفتح وحنين والطائف هذا قول ابن اسحاق في قتال النبي صلى الله
عليه وسلم في هذه التسع غزوات وزاد بان النبي صلى الله عليه وسلم قاتل
في غزوة وادي القرى وقتل بها غلامه المعروف بمدعم رمي بسهم فقتل وقاتل
في يوم الغابة فقتل من المشركين ستة نفر وقتل يومئذ محرز بن نضلة
ففي قول الواقدي انه قاتل في احدى عشرة غزوة وفي قول ابن اسحاق في
تسع باتفاق منهما وزاد الواقدي عليه اثنتين وقد قيل ان اول غزوة غزاها
عليه السلام ذات العشيرة وقد تنازع من سلف من اهل السير والاخبار
في عدد سراياه وبعوثه فذكر محمد بن اسحاق عن عبيد الله بن ابي بكر
قال كانت سرايا النبي صلى الله عليه وسلم وبعوثه بعد ان قدم المدينة
وبين ان قبضه الله اليه خمسا وثلاثين ما بين بعث وسرية وذكر محمد بن
جرير الطبري في كتابه في التاريخ قال حدثني ابن سعد قال قال محمد بن عمر الواقدي

ذكر سراياه وبعوثه صلى الله عليه وسلم

الجزء الحادي عشر

كانت

كانت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثماني واربعين سرية وقد قيل
ان سراياه عليه السلام وبعوثه كانت ستا وستين وقبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة على حسب ما تقدم في صدر هذا
الكتاب على قول ابن عباس ولم يخلف من الولد الا فاطمة عليها وعلى ابيها السلام
بعد سنة مضت من الهجرة وقيل اقل من ذلك وكانت زوج النبي صلى الله
عليه وسلم خديجة بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي وكانت وفاتها
في شوال بعد مبعثه بعشر سنين وقبل الهجرة بثلاث سنين وا[illegible]
وهو ابن احدى وخمسين سنة وثمانية اشهر وعشرين يوما وكانت وفاة عمه
ابي طالب واسمه عبد مناف بن عبد المطلب بعد وفاتها بثلاثة ايام وهو
ابن تسع واربعين سنة وثمانية اشهر وقيل ان ابا طالب مات قبلها وتزوج
بعد وفاة عمه ووفاة السيدة خديجة سودة بنت زمعة بن قيس بن عمير
ابن نضر بن مالك بن حنبل وتزوج بعايشة بعد الهجرة بسبعة اشهر وتسعة
ايام وقد اتينا على ذكر سائر ازواجه في الكتاب الاوسط فاغنى ذلك عن
اعادته حدثني محمد بن جعفر عن ابيه علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي
الله تعالى عنهم قال ان الله عز وجل ادب محمدا عليه السلام فاحسن تاديبه
فقال تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فلما كان ذلك
قال الله تعالى انك لعلى خلق عظيم فلما قبل عن الله فوض اليه فقال ما اتاكم
الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وكان له على الله الجنة فاختار له
ذلك وكان عدة من تزوج من النساء خمس عشرة ودخل بثلاث عشرة منهن
ولم يدخل باربع وقبض عليه السلام عن تسع قال المسعودي وقد تنوزع
في مقدار عمره عليه السلام وقد قدمنا ما روي في ذلك عن ابن
عباس وهو ما ذكره حماد بن سلمة عن ابن عمر عن ابن عباس وقد روي
عن الخيرية مثل قول ابن عباس وذكر يحيى بن سعيد انه
سمع سعيد بن المسيب يقول انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
القرآن وهو ابن ثلث واربعين واقام بمكة عشر سنين وبالمدينة
عشرا وتوفي وهو ابن ثلث وستين ولذلك ذكر عن عايشة قالت
توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلث وستين وقد روي
من وجه اخر عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهو
ابن خمس وستين لذلك ذكر هشام قال حدثنا علي بن زيد عن
يوسف بن مهران عن ابن عباس وذكر قتادة عن الحسن عن دغفل
يعني ابن حنظلة ان النبي صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن خمس
وستين وقد قيل انه قبض وهو ابن ستين فممن ذكر ذلك عنه
ابن عباس وعايشة وعروة ابن الزبير ذكر حماد قال اخبرنا

عمرو بن دينار عن عروة بن الزبير قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو ابن اربعين سنة ومات وهو ابن ستين سنة وانما حكينا هذا
الخلاف ليعلم من نظر في كتابنا انا لم نغفل عن شيء مما قالوه ولا تركنا شيئا مما
ذكروه الا ذكرنا منه ما تأتى لنا ذكره واشرنا اليه ميلا الى الاختصار طلبا
للايجاز والذي وجدنا عليه آل محمد عليه السلام وشيعتهم ما قدمنا ايضا
من قول ابن عباس انه قبض عليه السلام وهو ابن ثلاث وستين سنة ولما
غسل عليه السلام كفن في ثلاثة اثواب ثوبين سحوليين وثوب حبرة ادرج
فيها ادراجا ونزل في قبره علي بن ابي طالب والفضل وقثم ابنا العباس وشقران
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر في مقدار السن غير ما ذكرنا
والله اعلم بكيفية ذلك فلنذكر الآن لمعا من اموره واخباره واخبار
كانت من مولده عليه السلام

ذكر الاخبار عن اموره واحوال كانت من مولده الى وفاته

وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب من ذكر مولده عليه
السلام ومبعثه وهجرته ووفاته جوامع يكتفي به العالم المستبصر
ويتنبه بها الطالب المسترشد وذكرنا جملا من الكوائن والاحداث
في تضاعيف ذلك وافردنا هذا الباب لنذكر ترتيب جمل من السنين
من مولده الى وفاته وجمل الحوادث والكوائن كانت في ايامه ليقرب تناول
ذلك على مريده ويسهل ماخذه على الطالب له وان كنا قد اتينا على اللمع
من مبسوط هذا الكتاب فيما تقدمه من الابواب في اول سنة من
مولده صلى الله عليه وسلم دفع الى حليمة بنت عبد الله بن الحارث
ابن شجنة بن جابر بن رزام بن ناصرة بن سعد بن بكر بن هوازن بن
منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار
ابن معد بن عدنان وفي السنة الخامسة من مولده ردته حليمة
الى امه على ما ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب وفي السنة السادسة
اخرجته امه الى اخواله بني النجار فتوفيت بالابواء بين مكة والمدينة
فنمي ذلك الى ام ايمن فخرجت اليه وقدمت به الى مكة وكانت
مولاة له ورثها عن امه وفي السنة التاسعة خرج مع عمه ابي طالب
الى الشام وله ثلاث عشرة سنة وقد كان ابو طالب اخا عبد الله
ابي النبي صلى الله عليه وسلم لابيه ولامه فلذلك تكفل بأمر النبي
من بين سائر اخوته وهم العباس وحمزة والزبير والمقوم والضرار
والحارث وابو لهب وهم عشرة اولاد وكان لعبد المطلب ستة
عشر ولدا عشرة ذكور وهم من سمينا وست اناث وهن عاتكة
وصفية واميمة والبيضاء وبرة واروى ولم يسلم منهن الا صفية
ام الزبير بن العوام وقد تنوزع في اروى فمنهم من رأى انها اسلمت

وفي خروجه مع عمه عليه السلام في هذه السنة نظر اليه بحيرا الراهب
واوصاهم بمراعاته من اليهود فانهم اعداؤه لعلمهم بما يكون من نبوته عليه السلام
وذكر في باب اهل الفترة ممن كان بين المسيح ومحمد عليهما السلام وقد
قدمنا انه عليه السلام شهد يوم الفجار وذلك في سنة احدى وعشرين
سنة من مولده عليه السلام وانها حرب كانت بين قريش وقيس عيلان فيما
سلف من هذا الكتاب وغيره وانها انما سميت بهذا الاسم الذي هو
الفجار لانها كانت في الاشهر الحرم وكانت لقيس على قريش ولان النبي صلى
الله عليه وسلم لما شهدها صارت لقريش على قيس وقد كان على قريش
يومئذ عبد الله بن جدعان التيمي وكان نخاسا في الجاهلية بايعا
للجواري فكان هذا احد الدلائل المنذرة بنبوته صلى الله عليه وسلم
والتيمن بحضوره وفي سنة ست وعشرين كان تزويجه لخديجة بنت
خويلد وهي يومئذ بنت اربعين سنة وقيل في سني غير هذا وفي سنة ست
وثلاثين بنت قريش الكعبة وتراضوا به في وضع الحجر على حسب ما قدمنا وفي
سنة احدى واربعين بعثه الله نبيا ورسولا الى كافة الناس وذلك يوم
الاثنين لعشر خلون من ربيع الاول على حسب التنازع في تاريخ مبعثه عليه
السلام وفي سنة ست واربعين كان حصار قريش النبي صلى الله عليه وسلم
ولبني هاشم ولبني عبد المطلب في الشعب وفي سنة خمسين كان خروجه
عليه السلام ومن معه من الشعب وفي هذه السنة كانت وفاة خديجة
على حسب ما ذكرنا على غير هذا التفصيل وفيها كان خروجه الى الطائف
على حسب ما ذكرنا وفي سنة احدى وخمسين كان رجوعه من الطائف الى مكة
في جوار مطعم بن عدي على حسب ما قيل والله اعلم من التنازع في التاريخ
وفي سنة احدى وخمسين كان الاسراء به عليه السلام الى بيت المقدس
على حسب ما نطق به التنزيل وفي سنة اربع وخمسين كانت هجرته الى المدينة
وفيها بنى صلى الله عليه وسلم مسجده وفيها دخل بعائشة بنت ابي بكر رضي الله
عنهما وهي ابنة تسع سنين تزوج بها قبل الهجرة وبنى بها بعد الهجرة
بسبعة اشهر وقيل عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبض وهي بنت ثماني عشرة سنة وكانت وفاتها سنة ثمان وخمسين من
الهجرة بالمدينة وصلى عليها ابو هريرة في ايام معاوية بن ابي سفيان وقد
قاربت السبعين وفي هذه السنة وهي السنة الاولى من الهجرة امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بلالا بالاذان ورأى عبد الله بن زيد في منامه كيفية الاذان
وفيها تزوج علي بن ابي طالب بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم على حسب
ما ذكرنا من التنازع في التاريخ وفي سنة اثنين افترض على المؤمنين صيام رمضان
وفي هذه السنة امر النبي صلى الله عليه وسلم بالتوجه الى الكعبة وفيها

توفيت ابنته رقية وفي آخر هذه السنة وهي سنة اثنين من الهجرة
كان دخول علي بن ابي طالب بفاطمة بنت سيدنا محمد صلى الله عليهما وفيها
كانت وقعة بدر وذلك في يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان
وفي سنة ثلث كان تزويجه لزينب ابنة خزيمة وكانت وفاتها
بعد شهرين وفي هذه السنة كان تزويجه لحفصة بنت عمر بن
الخطاب وفيها كان تزويج عثمان بن عفان بام كلثوم بنت رسول
الله صلى الله عليه وسلم وفيها كان مولد الحسن بن علي بن ابي طالب
عليه السلام على ما في ذكر من التنازع في التاريخ وفيها كانت غزوة احد
وفيها استشهد حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وفي سنة اربع كانت
غزوة ذات الرقاع وفي هذه الغزوة صلى عليه السلام صلوة الخوف
بالناس على ما ذكر في كيفيته وذكر من التنازع فيها وفيها كان تزويجه
عليه السلام بام سلمة بنت ابي امية وفيها كان غزوه الى اليهود من بني
النضير وامتنعوا في حصونهم فقطع نخلهم وشجرهم واضرم
النار عليهم فلما راوا ذلك صالحوه وفيها كان غزوه الى بني المصطلق
وهي سنة اربع وفيها كان مولد الحسين بن علي بن ابي طالب عليهما السلام
وقد قيل ان مولد فاطمة عليها السلام كان قبل الهجرة بثمان سنين
وفي سنة خمس كانت غزوة الخندق وما كان فيها من حفر الخندق
وفيها غزا اليهود من بني قريظة فكان من امرهم ما اشتهر وكان فيها تزويجه
زينب بنت جحش وفيها كانت تقول اهل الافك على عائشة
وفي سنة ست كان استسقاوه عليه السلام لما لحق الناس من القحط
والجدب وفيها اعتمر عمرته المعروفة بعمرة الحديبية وواعد المشركين
وفيها اخذ فدك وفيها تزوج ام حبيبة بنت ابي سفيان ووجه الرسل
الى كسرى وقيصر وفيها تزوج جويرية بنت الحرث وفي سنة
سبع غزا خيبر وافتتحها واصطفى صفية بنت حيي بن اخطب
لنفسه وفيها تزوج ميمونة بنت الحرث الهلالية خالة عبد الله بن العباس
في سفره حين اعتمر وهي عمرة القضاء على ما ذكر من التنازع في نكاحه لها
في حال حله او في حال احرامه وما قال الفقهاء في ذلك وتنازع الناس
في نكاح المحرم وفيها كان قدوم حاطب بن ابي بلتعة من مصر من عند المقوقس
اليه وفيها كان قدوم جعفر بن ابي طالب من الحبشة ومعه اولاده وزوجته
وغيرهم من المسلمين ممن كان بارض الحبشة وركوبهم البحر وفي سنة
ثمان استشهد جعفر بن ابي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة
بارض موتة من ارض البلقاء بلاد الشام واعمال دمشق في وقعتهم مع الروم
وفيها كانت وفاة زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل غير ذلك من

التاريخ

التاريخ فيها وفيها وهي سنة ثمان كان افتتاح النبي صلى الله عليه وسلم مكة
وقد تنازع الناس في فتحها صلحا كان او عنوة وفيها كسر الاصنام وهدم
العزى ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش ما ترون اني فاعل بكم قالوا
خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء وفيها غزا غزوة
حنين وكان على هوازن مالك بن عوف النصري ومعهم دريد بن الصمة وفيها
كانت غزوة الطائف وفيها كان اعطاء المؤلفة قلوبهم وفيهم ابو سفيان
صخر بن حرب ومعوية ابنه وفيها كان مولد ابرهيم بن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من مارية القبطية وفي سنة تسع حج ابو بكر رضي الله عنه بالناس
وقرا عليهم علي بن ابي طالب سورة براءة وان لا يحج مشرك ولا يدخل
المسجد الحرام ولا يطوف بالبيت عريان وفيها كانت وفاة ام
كلثوم ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي سنة عشر حج عليه السلام
حجة الوداع وقال صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم
خلق الله السموات والارض وفيها كانت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وله سنة وعشرين شهرا وثمانية ايام وقيل غير ذلك وفيها كان بعثه عليه
السلام علي بن ابي طالب الى اليمن فاحرم كاحرام النبي صلى الله عليه وسلم
وفي سنة احدى عشرة كانت وفاته صلى الله عليه وسلم على ما ذكرنا في
هذا الكتاب قبل هذا الباب من ذكر وفاته ومقدار عمره وما قال الناس في
ذلك وفيها كانت وفاة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليهما وسلم على حسب
ما ذكرنا وما تنازع الناس في عمرها ومدة بقائها بعد ابيها وان النبي صلى
عليها العباس بن عبد المطلب امر بعلها علي عليه السلام ولما قبضت جزع
عليها جزعا شديدا واشتد بكاؤه وظهر انينه وحنينه وقال في ذلك

لكل اجتماع من خليلين فرقة ... وكل الذي دون الممات قليل
وان افتقادي فاطما بعد احمد ... دليل على ان لا يدوم خليل

وكان اولاده عليه السلام من خديجة خلا ابرهيم وولد عليه السلام القاسم
وبه كان يكنى وكان اكبر بنيه سنا رقية وام كلثوم وكانتا تحت عتبة وعتيبة
ابني ابي لهب عمه فطلقاهما بخبر يطول ذكره فتزوجهما عثمان بن عفان
رضي الله عنه واحدة بعد اخرى وزينب وكانت تحت ابي العاص بن الربيع
ففرق الاسلام بينهما ثم اسلم فردها عليه بالنكاح الاول وهذا موضع
خلاف بين اهل العلم في كيفية رده عليه السلام لزينب على ابي العاص وولد
لابي العاص امامة وقد كان علي بن ابي طالب تزوج امامة بعد وفاة فاطمة
عليها السلام وولد له بعد ما بعث عبد الله وهو الطيب والطاهر الثلاثة
اسماء له لانه ولد في الاسلام وفاطمة وابرهيم وقد اتينا في كتاب اخبار الزمان
والكتاب الاوسط على ما كان في سنة من مولده الى مبعثه ومن مبعثه الى هجرته

ومن هجرته الى وفاته ومن وفاته الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلثين وثلثمائة
وما كان من ذلك من المغازي والفتوحات والسرايا والبعوث والكوائن
والاحداث وانما نذكر في هذا الكتاب لمعا منبهة على ما سلف من كتابينا ومن
لما تقدم من تصنيفنا **ذكر ما بدا به عليه السلام من الكلام مما لم يحفظ**
قبله عن احد من الانام بعث الله نبيه عليه السلام رحمة للعالمين
ومبشرا للناس اجمعين وقهر الله بالايات والبراهين النيرات واتى بالقران
المعجز فتحدى به قوما هم الغاية في الفصاحة والنهاية في البلاغة واولوا
العلم باللغة والمعرفة بانواع الكلام من الرسائل والخطب والسجع والفقر
والمنثور والمنظوم والاشعار والافتخار في الحث على المكارم والكرم
والتحضيض والاغراء والوعد والوعيد والمدح والتهجين فقرع باسماعهم
وعجم بها دهانهم وقبح بها افعالهم وذم بها اراءهم وسفه بها احلامهم وازال
بدياناتهم وابطل بها ملتهم ثم اخبر عن عجزهم مع تظاهرهم ان لا ياتوا
بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا مع لوعهم بما بيناه وقد تنازع
الناس في نظم القران وليس الغرض في هذا الكتاب وصف اقاويل
المختلفين والاخبار عن كلام المتنازعين اذ كان كتاب خبر لا كتاب
بحث ونظر حفظ عنه عليه السلام بالعلم المودع ونقل الباقي عن
الماضي من بعد قيام الادلة على صدقه وما اورد من المعجزات والدلائل
والعلامات التي اظهرها الله على يديه ليودي رسالات ربه الى
خلقه انه قال اوتيت جوامع الكلم وقوله عليه السلام اختصر لي
جوامع الكلم يخبر انما ادرك من الحكمة واللفظ اليسير والكلام
القصير المفيد ذو المعاني الكثيرة والوجوه المتفرقة مع ما فيه من
الحكمة وتمام المصلحة وكان صلى الله عليه وسلم يجري الكلام في حسن
المقال لقلة الفاظه وكثرة معانيه ومن ذلك قوله عليه السلام
عند عرضه لنفسه على القبائل بمكة ومعه ابو بكر وعلي رضوان
الله عليهم وقد وقف على بكر بن وائل وتقدم ابي بكر اليهم وما جرى
بينه وبينهم من الكلام ولم يسبق الى هذا احد من الانام ثم اخباره
صلى الله عليه وسلم عن الحرب وقوله الحرب خدعة فعلم من هذا اللفظ
والكلام الموجز ان الحرب مكايد الحرب القتال بالسيف اذ كان
بدو خدعة كما قال عليه السلام العائد في هبته كالكلب
يعود في قيئه زاجرا بهذا القول للواهب ان يرجع شيئا
وهبه اذ كان القيء لا يرجع من فاه وللناس في هذا المعنى
كلام كثير وخطب طويل وانما الغرض فيما نذكر ايراد كلامه صلى الله
عليه وسلم ووصف قوله الذي لم يتعلمه به احد من الناس

وقوله عليه السلام ، احثوا في وجوه المداحين التراب ، المراد في ذلك
اذا كذب المادح ولم يرد عليه السلام اذا شكر الانسان خيرا
لما اولاه او وصفه بما هو فيه او قال له ما لا يقول ان يحثى في
وجهه التراب ولو كان هذا معنى قوله عليه السلام اذا ما مدح
احد احدا اذ كان النهي عموما للصادق والكاذب ان يحثى
التراب في وجه الجميع وهذا خلاف ما جاء به التنزيل حيث
يقول الله تبارك وتعالى مخبرا عن نبيه يوسف عليه السلام
وقوله للملك اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم
فقدم مدح نفسه ووصف حاله وجميع ما ذكرنا في
هذا الباب مستفيض في السير والاخبار متعارف عند
العلماء متداول عند الحكماء يتمثل به كثير من الناس ويستعمل
العوام كثيرا منه في الفاظها وتورده في امثالها وخطابها
والاكثر منهم لا يعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من تكلم
به وسبق الى ايراده وقوله صلى الله عليه وسلم ، مطل الغني ظلم
ومن اتبع على ملي فليتبع ، وقوله عليه السلام ، الارواح جنود
مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ، رأس الحكمة
مخافة الله ، يا خيل الله اركبي وابشري بالجنة ، الان حمي الوطيس
لا ينتطح فيها عنزان ، لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ، لا يجني
على المرء الا يده ، ليس الخبر كالعيان ، الشديد من غلب
نفسه ، بورك لامتي في بكورها ، ساقي القوم اخرهم شربا ،
المجالس بالامانات ، ولو بغى جبل على جبل لدك الباغي منهما ،
ابدا بمن تعول ، مات حتف انفه ، يريد بذلك من مات على فراشه فانه
مات عن غير علة واتحال ولا سبب من الاسباب ،
لم تزل امتي بخير ما لم تر الامانة مغنما والزكاة مغرما ، قيدوا العلم
بالكتاب ، خير المال عين ساهرة لعين نائمة ، المسلم مرآة المسلم ،
رحم الله عبدا قال خيرا فغنم او سكت فسلم ، المرء كثير باخيه ،
اليد العليا خير من اليد السفلى ، ترك الشر صدقة ،
فضل العلم خير من فضل العبادة ، الغنى غنى النفس ، الاعمال
بالنيات ، اي داء ادوى من البخل ، الحياء خير كله ، الخيل
معقود بنواصيها الخير ، السعيد من اتعظ بغيره ، عدة
المؤمن كالاخذ باليد ، ان من الشعر لحكمة ، وان من البيان لسحرا ،
عفو الملوك ابقاء للملك ، ارحم من في الارض يرحمك من في السماء ،
المكر والخديعة في النار ، المرء مع من احب وله ما اكتسب ،

ليس منا من لا يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا، المستشار موتمن، من قتل
دون ماله مات شهيدا، لا يحل لمومن ان يهجر اخاه فوق ثلث، الدال على
الخير كفاعله، الندم توبة، الولد للفراش وللعاهر الحجر، كل معروف
صدقة، لا يشكر الله من لا يشكر الناس، لا ياوي الضالة الا ضال، حبك
الشيء يعمي ويصم، السفر قطعة من النار، وقوله للانصار انكم لتقلون
عند الطمع وتكثرون عند الفزع وقوله المسلمون عند شروطهم الا شرط
احل حراما او حرم حلالا، الرجل احق بصدر مجلسه وصدر دابته
الناس معادن كمعادن الذهب، الظلم ظلمات على اهله يوم القيامة
وتمام التحية المصافحة، جبلت القلوب على حب من احسن اليها، امسك
الذي اعتبك، ما اقفر من ادم بيت فيه خل، التائب من الذنب كمن لا ذنب
له، الشاهد يرى ما لا يراه الغائب، خذ حقك في عفاف واف، اعط
الاجير حقه قبل ان يجف رشحه، اهل المعروف في الدنيا اهل المعروف
يوم القيامة، الجنة تحت ظلال السيوف، ليس المومن من جاره بوائقه خاف
اتقوا النار ولو بشق تمرة، اعروا النساء يلزمن البيوت، الكلمة الطيبة
صدقة، الخير في صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له، الدنيا سجن المومن
وجنة الكافر، ما املق تاجر صدوق، الدعاء سلاح المومن، خير الامور
اوسطها، اذا اتاكم الزائر فاكرموه، اشفعوا تؤجروا، وتجملوا الايمان
الصبر والسماحة، افضلكم افضلكم معرفة، ما هلك امرؤ عن مشورة
ما عال امرؤ اقتصد، ما هلك امرؤ عرف قدره، شر العمى عمى القلب
الكذب مجانب الايمان، ما قل وكفى خير مما كثر والهى، من اتى فقد
كافا قلة الحيا، المومن هين لين، شر الندامة يوم القيامة، شر
المعذرة عند الموت، اقيلوا عثرات الكرام، اطلبوا الخير عند حسان
الوجوه، الدنيا حلوة خضرة والله مستعملكم فيها فناظر كيف تعملون
انتظار الفرج عبادة، كادت الفاقة ان تكون كفرا، لم يبق من الدنيا الا بلاء
وفتنة، في كل عام ترذلون، زر غبا تزدد حبا، الصحة والفراغ نعمتان
مغبون فيهما كثير من الناس او قال لكل الناس، وقوله لا يلقى الله احد الا نادما
ان عمل خيرا قال يا ليتني ازددت، ومن عمل غير ذلك قال يا ليتني قصرت
وهذا مثل قوله اياكم والمطل والتسويف وطول الامل فانه كان
سبب هلاك الامم، وقوله ليس منا من غشنا، وهذا القول يحتمل
معاني كثيرة منه عليه السلام منها ان من غش المسلمين على حسب
الحال في الوقت وان بعض اهل الكتاب او المنافقين اخرجه عنهم بما كان
من فعله ويحتمل ان يكون على طريق الزجر والنهي عن الغش وقد قيل
غير ذلك والله اعلم ومثل ما روي عن ابن مسعود البدري انه قال

أحد

لا يبقى

لا يبقى على وجه الارض بعد مايه احد الا مات واستفاضت هذه الروا
عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في الناس فخرج الامر في
ذلك الى علي بن ابي طالب عليه السلام فقال صدق ابن مسعود فيما
قال وذهب عنه المراد بذلك وانما اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان
لا يبقى على وجه الارض احد بعد راس المائة ممن راى النبي
صلى الله عليه وسلم واوردوه في كتبهم وذكروه في تصانيفهم
وقد اورد ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد لذلك خبرا بان رحمه في كتاب
المجتبى يذكر فيه جملا من اخباره عليه السلام وكذلك ذكر ابو اسحق
الزجاجي النحوي صاحب ابي العباس المبرد وابن عبد الله نفطويه
وجعفر بن محمد بن حمدان الموصلي وغير هولاء ممن تقدم
وتاخر عنهم اوردنا ذلك في هذا الكتاب ما سهل ايراده
ويأتي فيه ذكره على حسب الحاجة واستحقاق الموضع له وان كنا
قد اتينا على جميع ما يحتاج اليه في هذه المعاني فيما سلف من
كتبنا وتقدم من تصنيفنا فاغنى ذلك عن اعادتها

ذكر خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه

قال المسعودي ثم بايع الناس
الناس ابا بكر رضي الله عنه في سقيفة بني ساعدة بن كعب من الخزرج
الانصاري يوم الاثنين الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتوفي ابو بكر ليلة الثلاثا لثمان بقين من جمادى الاخرة سنة
ثلاث عشرة من الهجرة وهو ابن ثلاث وستين سنة مستوفي لعمر
النبي صلى الله عليه وسلم وهذا اتفاق في سائر الروايات على ما ذكرنا
وكان مولد ابي بكر بعد الفيل بثلاث سنين فكانت ولايته
سنتين وثلاثة اشهر وعشرة ايام وقيل عشرين يوما ودفن
الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسمر ابن الحي ينفي النبي
كذلك قالت عايشة وقد قيل ان ابا بكر الصديق ولي سنتين
وثلاثة اشهر وعشرين يوما وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب
بعد ذكرنا لايام بني امية وبني العباس بابا نذكر فيه جامع التاريخ
التاريخ من الهجرة الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلثين وثلثمائة
في خلافة ابي اسحاق المتقي لله وبعد ذلك من الاوقات الى
حيث ينتهي بنا هذا التصنيف وما ذكره اصحاب الزيجات
وما ارخوه من مقادير السنين والشهور والايام وبين تاريخ اصحاب
السير والاخبار وكتب التواريخ من الاخباريين وغيرهم اذ كان
التفاوت بين الفريقين بينا ومعولنا في ذلك على ما ذكره اصحاب
الزيجات في النجوم وغيرها

ذكر نسبه ولمع من اخباره وسيره رضي الله عنه

ابا بكر صح

كان اسم ابي بكر عبد الله بن عثمن وهو ابو قحافة بن عامر بن عمرو بن سعد
بن تيم بن مرة بن كعب في مرة يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم
ولقبه عتيق انه عتيق من النار فسمي يومئذ عتيقا وقيل انما سمي عتيقا
لعتق امه ما تردد استخلف وابوه في الحياة وكان ازهد الناس واكثرهم
تواضعا في خلافته ولباسه ومطعمه وكان لباسه في خلافته
الشملة والعباة وقدم اليه زعماء العرب واشرافها وملوك اليمن
وعليهم الحلل وبرود الوشي المثقل بالذهب والتيجان والحبر فلما
شاهدوا ما عليه من اللباس والزهد والتواضع وما هو عليه من الوقار
والسكينة ذهبوا معه ونزعوا ما كان عليهم فكان ممن وفد
عليه من ملوك اليمن ذو الكلاع ملك حمير ومعه الف عبد دون من كان
معه من عشيرته وعليه التاج وما وصفنا من البرود والحلي فلما
شاهد وراي ابا بكر ما وصفنا القى ذو الكلاع ما كان عليه من البرود وزيا زيه
حتى انه راي ذات يوم في سوق من اسواق المدينة على كتفه جلد شاه ففزعت
عشيرته لذلك وقالوا فضحتنا بين المهاجرين والانصار والعرب
قال افتريدون ان اكون جبارا في الجاهلية جبارا في الاسلام لاها الله
لا تكون طاعة الرب الا بالتواضع لله والزهد في هذه الفانية وتواضعت
الملوك وغيرهم ومن وفد عليه من الوفود بعد التكبر وتذللوا بعد التجبر وبلغ
ابا بكر رضي الله عنه عن ابي سفيان بن حرب صخر امر فاحضره ابو بكر فجعل
يصيح عليه وابو سفيان يتملقه ويتذلل له واقبل ابو قحافة فسمع
صياح ابي بكر فقال لقائده على من يصيح ابني قال على ابي سفيان
فدنا من ابي بكر وقال له اعلى ابي سفيان ترفع صوتك يا عتيق لقد تعديت
طورك وتجاوزت مقدارك فتبسم ابو بكر ومن حضره من المهاجرين
والانصار وقال له يا ابتي ان الله رفع بالاسلام اقواما واذل اخرين ولم
يتقلد الخلافة احد وابوه باق غير ابي بكر وام ابي بكر سلمى وتكنى
ام الخير بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة وارتدت
العرب بعد استخلافه بعشرة ايام وكان له من الولد عبد الله
وعبد الرحمن ومحمد فاما عبد الله فانه شهد يوم الطايف مع النبي
صلى الله عليه وسلم فلحقته جراحة وبقي الى خلافة ابيه ومات في
خلافته وخلف سبعة دنانير واستكثرها ابوه ولا عقب لعبد الله
واما عبد الرحمن بن ابي بكر فانه شهد يوم بدر مع المشركين ثم اسلم
فحسن اسلامه ولعبد الرحمن اخبار وله عقب كثير بدو وحضر
في ناحية الحجاز مما يلي الجادة من طريق العراق في الموضع المعروف
بالصقيلب والمسح ومحمد بن ابي بكر امه اسما بنت عميس الخثعمية

ومنها

ومنها عقب جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه وخلف عليها حابن
عبد الله وعون ومحمد بنو جعفر فقتل محمد وعون ابنا جعفر
بالطف مع الحسين بن علي عليهما السلام ولا عقب لهما وعقب
جعفر ابن عبد الله بن جعفر وولد لعبد الله بن جعفر علي واسمعيل
واسحق ومعوية فتزوجها ابو بكر الصديق فخلف لها ثم
تزوجها علي بن ابي طالب فاولدها اولادا درجوا ولا عقب
له منها وام اسما العجوز الجرشية كان لها اربع بنات وهذه
العجوز اكرم الناس اصهارا كانت ميمونة الهلالية تحت النبي عليه
السلام وام الفضل تحت العباس بن عبد المطلب وسلمى تحت
حمزة بن عبد المطلب وخلف عليها بنتا ... واسما تحت من ذكرنا
من جعفر وابي بكر وعلي والعقب من محمد بن ابي بكر قليل وام جعفر
ابن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ام فروة بنت القاسم
ابن محمد بن ابي بكر وكان محمد يدعى عابد قريش لنسكه وزهده
ورباه علي بن ابي طالب وسنذكر خبره فيما يرد في هذا الكتاب
ومقتله في اخبار معوية بن ابي سفيان ومات ابو قحافة في خلافة
عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو ابن تسع وتسعين سنة وذلك
في سنة ثلاث عشرة من الهجرة وهي السنة التي استخلف فيها
عمر بن الخطاب وقد قيل انه مات في سنة اربع عشرة ولما بويع
ابو بكر يوم السقيفة وجددت البيعة له يوم الثلاثا على العامة
خرج علي عليه السلام فقال افسدت علينا امورنا ولم تستشر
ولم ترع لنا حقنا فقال ابو بكر بلى ولكني خشيت الفتنة وكان
للمهاجرين والانصار في السقيفة خطب طويل ومجاذبة في الامامة
وخرج سعد بن عبادة رضي الله عنه ولم يبايع وصار الى الشام
فقتل هناك في سنة خمس عشرة وليس كتابنا هذا موضعا
لخبر مقتله ولم يبايعه احد من بني هاشم حتى ماتت فاطمة بنت
رسول الله صلى الله عليهما ولما ارتدت العرب الا اهل المسجدين
ومن بينهما واناس من العرب قدم علي بابل الصدقة الى ابي بكر ففي
ذلك يقول الحرث بن مالك الطائي شعر

وفينا وفاء لم ير الناس مثله ... وسربلنا مجد لعدي بن حاتم

وكان ابو بكر قد سمته اليهود في شيء من الطعام واكل معه الحرث
ابن كلدة فعمي وكان السم لسنة ومرض ابو بكر قبل وفاته خمسة
عشر يوما ولما احتضر قال والله ما آسى الا على ثلاث فعلتها
وددت لو تركتها وثلاث وددت اني فعلتها وثلاث وددت اني سالت

رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فاما الثلاث التي فعلتها فوددت اني
تركتها وددت اني لم اكن حرقت الفجاءة والطلقه نجيحا او قتلته سريحا
ووددت اني يوم سقيفة بني هاشم وبني ساعدة قذفت الامر في عنق احد الرجلين
فكان اميرا وكنت وزيرا والثلاث التي تركتها فوددت اني فعلتها وددت
اني يوم اوتيت بالاشعث بن قيس اسيرا ضربت عنقه فانه قد خيل الي انه لا يرى
شرا الا اعانه، ووددت اني يوم جهزت جيش الردة ورجعت انا
مكاني فان سلم المسلمون سلموا وان كان غير ذلك كنت صدر اللقا او مددا
وكان ابو بكر قد بلغ مع الجيش الى مرحلة من المدينة وهو الموضع المعروف
بذي القصة والثلاث التي وددت اني سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها
وددت اني سالته هل للانصار في الامر نصيب فنعطيهم اياه وعن ميراث العمة
وبنت الاخ فان في نفسي منهما حاجة وخلف من البنات اسماء ذات النطاقين
وهي ام عبد الله بن الزبير وعمرت مائة سنة حتى عميت وعايشة زوجة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد تنوزع في بيعة علي بن ابي طالب اياه فمنهم من قال بعد
موت فاطمة بعشرة ايام وذلك بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنيف
وسبعين يوما وقيل بثلاثة اشهر وقيل بستة وقيل غير ذلك ولما انفذ ابو بكر
الامراء الى الشام كان فيما اوصى به يزيد بن ابي سفيان وهو مشيع له اذا قدمت
على اهل عملك فعدهم الخير وما بعده واذا وعدت فانجز واقلل عليهم الكلام
فان بعضه ينسي بعضا واصلح نفسك يصلح الناس لك واذا قدم عليك
رسول عدوك فاكرم منزله فانه اول خيرك اليهم واقلل حبسهم حتى يخرجوا
وهم جاهلون بما عندك وامنع من قبلك من محادثتهم وكن انت الذي تلي
كلامهم ولا تجعل سرك مع علانيتك فيمزج امرك واذا استشرت فاصدق
الخبر تصدق المشورة ولا تكتم المستشار فتوتى من قبل نفسك واذا بلغك
عن العدو عورة فاكتمها حتى تواقعها واستر في عسكرك الاخبار وادك حراسك
والزمها جانب عليهم في ليلك ونهارك واصدق اللقاء اذا لقيت ولا تجبن
فيجبن من سواك وقد اوضحنا كثيرا من الاخبار في هذا الكتاب طلبا
للاختصار والايجاز منها خبر العنسي الكذاب المعروف بعبهلة
وما كان من خبره باليمن وصنعاء وتنبيه ومقتله وما كان من فيروز
وغيره من الانبياء الكذابين وخبر طليحة وتنبيه وخبر سجاح بنت الحرث
ابن سويد وقيل بنت عقفان وتكنى ام صادر وهي التي تقول فيها

« اضحت نبيتنا انثى نطيف بها وأصبحت انبياء الناس ذكرانا **»**

وقد كانت ادعاؤها النبوة متابعة تدعي انه سبيلها سبيل سطيح الكاهن
وابن سلمة والمامون الحارثي وعمرو بن يحيى وغيرهم من الكهان واخذت فصارت
الى مسيلمة فتزوجها فكان من خبر مسيلمة الكذاب وحرب خالد بن الوليد

وددت اني وجهت الى المشرق
بعمر بن الخطاب فكنت قد بسطت
يدي يمينا وشمالا في سبيل الله

ارادوا

ام صادر

كذبت بنبوة مسيلمة الكذاب
ثم امنت بنبوته وقد كانت
قبل ادعائها النبوة

وقتل

وقتل وحشي له مع رجل من الانصار وذلك في سنة احدى عشرة وما كان من
الانصار في يوم سقيفة بني ساعدة وقول المهاجرين وقول المنذر بن الحباب
عه انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب اما والله لئن شئتم لنعيدنها جذعة
مثل ما بداها اول وقصة سعد بن عبادة وما كان من بشير بن سعد وتخلي
الاوس عن معاضدة سعد خوفا ان يفوز بها الخزرج والاخبار عمن قعد
عن البيعة ومن بايع وما قالت بنو هاشم وما كان من قصة الفدك وما قاله اصحاب
النص والاختيار في الامامة ومن قال بامامة المفضول وغيرهم وما كان
من فاطمة وكلامها وقولها متمثلة حين عدلت الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن قول صفية بنت عبد المطلب **متمثلة**

« قد كان بعدك انباء وهنبثة لو كنت شاهدها لم يكثر الخطب

قدم الى اخر الشعر وغير ذلك مما تركنا ذكره من الاخبار في هذا الكتاب اذ كنا اتينا
على ذلك في كتابنا في اخبار الزمان والكتاب الاوسط فاغنى ذلك عن اعادتها
بلغ هنا **ذكر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه** وبويع عمر بن الخطاب
فلما ان دخلت سنة ثلاث وعشرين حج حاجا فاقام للحاج تلك السنة
ثم اقبل حتى دخل المدينة فقتله فيروز ابو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة
يوم الاربعاء لاربع بقين من ذي الحجة تمام سنة ثلاث وعشرين فكانت
ولايته عشر سنين وستة اشهر واربع ليال وقتل في صلوة الصبح
وهو ابن ثلث وستين سنة ودفن مع النبي صلى الله عليه وسلم ولحده
عند رجلي النبي صلى الله عليه وسلم وقد قيل ان قبورهم مسطح
قبر ابو بكر الى جنب النبي صلى الله عليه وسلم وعمر الى جنب ابي بكر وحج
في خلافته تسع حجج وبعد ان قتل صلى بالناس عبد الرحمن بن عوف
وجعلها بعده شورى الى ستة نفر وهم علي وعثمان وطلحة
والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وصلى عليه صهيب الرومي
وكانت الشورى بعده ثلاثة ايام **ذكر نسبه ولمع من اخباره**
وسيره رضي الله عنه هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن قرط بن
رياح بن عبد الله بن رزاح بن عدي بن كعب وفي كعب يجتمع نسبه
مع النبي صلى الله عليه وسلم وامه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة
ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكانت امه سوداء وانما سمي
الفاروق لانه فرق بين الحق والباطل وكنيته ابو حفص وهو
اول من سمي بامير المؤمنين سماه عدي بن حاتم وقيل غيره والله
اعلم وكان اول من سلم عليه بها المغيرة بن شعبة واول من دعا
له على المنبر بهذا الاسم ابو موسى الاشعري وابو موسى اول من كتب به
اليه لعبد الله عمر امير المومنين من ابي موسى الاشعري فلما قرا ذلك

قال اني لعبد الله واني لعمر واني لامير المؤمنين والحمد لله رب العالمين
وكان متواضعا خشن الملبس شديد الامانة واتبعه عماله في
سائر افعاله وشيمه واخلاقه كل يتشبه به ممن غاب وحضر وكان
يلبس الجبة الصوف المرقعة بالادم وغيره ويشتمل بالعباءة
ويحمل القربة على كتفه مع هيبة قد رزقها وكان اكثر ركوبه الابل
ورحله مشدود بالليف وكذلك عماله مع ما فتح الله على يديه
من البلاد واوسعهم من الاموال وكان من عماله سعيد بن عامر بن حذيم
فشكاه اهل حمص اليه وسالوه عزله فقال اللهم لا تفل فراستي
فيه اليوم ماذا تشكون منه قالوا لا يخرج الينا حتى يرتفع النهار
ولا يجيب احدا بليل وله يوم في الشهر لا يخرج فيه الينا فقال عمر
علي به فلما جاء جمع بينه وبينهم وقال ما تنقمون منه قالوا لا يخرج
الينا حتى يرتفع النهار قال ما تقول يا سعيد قال نعم يا امير المؤمنين
انه ليس لاهلي خادم فاعجن عجيني واجلس حتى يختمر ثم
اخبز خبزي ثم اتوضأ واخرج اليهم قال وما تنقمون منه قالوا لا يجيب
بليل قال ما تقول قال نعم والله كنت اكره ذكر هذا اني جعلت كله لي الليل
وجعلت النهار لهم قال وماذا تنقمون منه ايضا قالوا له يوم
في الشهر لا يخرج فيه الينا قال عمر وما تقول قال نعم ليس لي
خادم فاغسل ثوبي فاجففه فامسا عنهم فقال عمر الحمد لله
الذي لم يخيب فراستي فيك يا اهل حمص استوصوا بواليكم
خيرا قال ثم بعث عمر اليه بالف دينار وقال استعن بها فقالت
له امراته قد اغنانا الله عن خدمتك فقال لها الا ندفعها الى من
ياتينا بها احوج ما كنا اليها قالت بلى فصيرها صررا ثم دفعها
الى من يثق به فقال انطلق بهذه الصرة الى فلان وبهذه الى يتيم فلان
وبهذه الى مسكين بني فلان حتى بقي منها شيء قليل فدفعه الى
امراته فقال انفقي هذا ثم رجع الى خدمته فقالت له امراته الا
تبعث بذلك المال فيشترى لنا منه خادم فقال سياتيك احوج
ما تكونين اليه ومن عماله بالمدائن سلمان الفارسي وكان يلبس
الصوف ويركب الحمار ببرذعة بغير اكاف وياكل خبز الشعير فكان
ناسكا زاهدا فلما احتضر بالمدائن قال له سعد بن ابي وقاص
اوصني يا ابا عبد الله قال نعم اذكر الله عند همك اذا هممت
وعند لسانك اذا حلفت وعند يدك اذا قسمت وجعل
سلمان يبكي فقال يا ابا عبد الله وما يبكيك قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان في الاخرة عقبة لا يقطعها الا المخفون

وادي هذه الاساود حولي فنظروا فلم يروا في هذا البيت الا دواة
ودلوا ومطهرة وكان عامله على الشام ابو عبيدة بن الجراح
وعليه الصوف الخلق فعذل على ذلك فقيل له انك بالشام وانك امير الجيش
وحولك الاعداء فغير زيك واصلح من شانك فقال ما كنت لاترك ما كنت عليه
في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الواقدي في كتابه في فتوح الشام
ان عمر قام في الناس فحمد الله واثنى عليه ثم دعاهم الى الجهاد وحضهم عليه وقال
انكم قد اصبحتم في غير دار مقام بالحجاز وقد وعدكم فتح كسرى وقيصر
فسيروا الى ارض فارس فقام ابو عبيد اشد الناس وقيل لعمر
امر علينا رجلا من المهاجرين او الانصار فقال لا اومر عليكم الا اول
من انتدب فوليته وقد امرته ان لا يقطع امرا دون سلمة بن اسلم بن حريش
وسليط بن قيس واعلمه انهما من اهل بدر فلقي جمعا من العجم عليهم
رجل يقال له جالينوس فانهزم وكان ابو عبيد حين جاز الفرات
عقد له بعض الدهاقين جسرا فلما خلف الفرات وراءه امر بقطع
الجسر فقال له سلمة بن اسلم ايها الرجل انه ليس لك علم بما نرى
وانت تخالفنا وتخلف من معك من المسلمين بسوء سياستك امر
بجسر قد عقد ان يقطع فلا يجد المسلمون ملجا في هذه الصحاري
والبراري فقال يا ايها الرجل تقدم فقاتل فقد حم ما ترى وقال
سليط بن قيس ان العرب لم يلق مثل جمع فارس قط ولا كان لها
عادة بقتالها فاجعل لها ملجا ومرجعا من هزيمة ان كانت فقال
والله لا افعل جبنت والله يا سليط فقال سليط والله ما جبنت
وما انا الا اجرا منك نفسا وقبيلا ولكن اشرت بالراي
فلما قطع الجسر والتحم القتال واشتد الناس نظرت العرب
الى الفيلة عليها التجافيف فراوا شيئا لم يروا مثله قط
فانهزم الناس جميعا ومات بالفرات اكثر ممن قتل بالسيف
وخالف ابو عبيد سليطا وقد كان عمر وصاه ان يستشيره ولا
يخالفه وكان راي سليط الا يعبروا البحر ولا يقطعوا الجسر
فخالفه وقال سليط في بعض قوله لولا اني اكره خلاف الطاعة
لانحزت بالناس ولكني اسمع واطيع وان كنت قد اخطاته
وقد اشركني عمر معك فقال له ابو عبيد تقدم ايها الرجل
فقاتل قال افعل فتقدما فقتلا جميعا وكان ابو عبيد في ذلك
اليوم راجلا وقد قتل من الفرس خمسة الاف فارس فدنا
اخر قالوا له من الفيل ودخله زبده فطعنه في عينه فخبط
الفيل ابا عبيد بيده فجال المسلمون وتراجعوا فلان فارس فاخذ

خ الامصار

ودعا سعد
ابن مسعود
فقال يا امير المؤمنين
انا اول من انتدب
الناس فلما انتدب
عبيد

فلما خالط المسلمين السيف لما قتل ابو عبيد وبادر رجل من بني بكر
ابن وايل مع المثنى بن حارثة فحبس الناس حتى عقد الجسر
فعبروا ومعهم المثنى بن حارثة وقد فقد من الناس اربعة الاف
فارس قتلا او غرقا وكان على جيش فارس يومئذ جادويه
ومعه راية فارس التي كانت لا يرتكبون حربا بارزا الناس
بالدهاك وهي المعروفة بدرفش كابيان وكانت من جلود النمور
طولها اثنى عشر ذراعا في عرض ثمانية اذرع على خشب
طوال توصل وكانت فارس تتيامن بها ويظهرونها في
الشدائد وقد قدمنا الخبر عن هذه الراية في اخبار الفرس الاول
فيما سلف من هذا الكتاب ولما قتل ابو عبيد الثقفي بالجسر
شق ذلك على عمر وعلى المسلمين فخطب عمر الناس وحضهم على
الجهاد وامرهم بالتاهب لارض العراق وعسكر عمر على صرار وهو
يريد الشخوص وقد استعمل على مقدمة العسكر طلحة بن عبيد الله
وعلى ميمنته الزبير بن العوام وعلى الميسرة عبد الرحمن بن عوف ودعا
الناس فاستشارهم فاشاروا عليه بالمسير ثم قال لعلي عليه السلام
ما تقول يا ابا الحسن اسير ام ابعث قال سر بنفسك فانه
اهيب للعدو وارهب وخرج من عنده ودعا العباس في
جلة مشيخته من قريش وشاورهم فقالوا اقم وابعث غيرك ليكون
للمسلمين ان انهزموا فئة وخرجوا فدخل عليه عبد الرحمن
ابن عوف فاستشاره فقال عبد الرحمن فداك ابي وامي
احد بعدك قلت بابي وامي اقم انت وابعث غيرك فانه ان يهزم
جيشك فليس ذلك كهزيمتك وانك ان تهزم او تقتل
يكفر المسلمون ولا يشهدوا ان لا اله الا الله ابدا قال اشر علي من ابعث
قال سعد بن ابي وقاص قال عمر ان سعدا رجل شجاع ولكني اخشى
ان لا يكون عنده تدبير في الحرب قال عبد الرحمن هو على ما تصف من
الشجاعة وقد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد بدرا
فاعهد اليه عهدا وشاورنا فيما اردت ان تحدث اليه ان
يخالف امرك ثم خرج فدخل عليه عثمان بن عفان فقال له يا ابا
عبد الله اشر علي اسير ام اقيم قال عثمان اقم يا امير المومنين
وابعث الجيش فاني لا امن عليك ان اتى عليك ات ان
ترجع العرب عن الاسلام ولكن ابعث الجيوش وداركها
بعضها على اثر بعض وابعث رجلا له تجربة في الحرب وبصر بها
قال فمن ابعث قال علي بن ابي طالب فارس يومئذ الحرب فابعث اليه

وكلمه وذاكره في ذلك فهل تراه يسرع اليه ام لا فخرج عثمان فلقي
عليا فذاكره في ذلك فابى علي ذلك وكرهه فعاد عثمان الى عمر فاخبره
فقال له عمر فمن ترى قال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قال ليس
بصاحب ذلك قال عثمان فطلحة بن عبيد الله قال له عمر فمن ترى قال
اين انت من رجل شجاع ضروب بالسيف رام بالنبل ولكني اخشى
ان لا يكون له معرفة بالتدبير في الحرب قال من هو قال سعد قال عثمان
هو صاحب ذلك ولكنه رجل غايب وما منعني من ذكره الا ذلك قلت
هو رجل غايب في عمالك قال عمر واريد ان اوجهه والكتاب اليه
ان يسير من وجهه ذلك قال عثمان نعم ومره فليشاور قوما من اهل
التجربة والبصر بالحرب ولا يقطع الامور حتى يشاور
ففعل عمر ذلك وكتب الى سعد في التوجه نحو العراق وجعل لهم
ربع ما غلبوا عليه من السواد وسهامهم مع المسلمين وخرج عمر
فشيعهم ولحق جرير بناحية الابلة ثم صعد الى ناحية المدار
وبها قدوم بجيلة الى مرزبان المدار وكان في نحو عشرة
الاف فارس من الاساورة وذلك بعد يوم الجسر ومقتل
ابو عبيد وسليط وقال لجرير اعبر الجسر الى المدار فقال
جرير ليس ذلك براي وقد مضى لكم في ذلك عبرة من قبل اخوانكم
يوم الجسر ولكن امهلوا القوم فان جمعهم فيه حتى يعبروا اليكم
فان فعلوا فهو الظفر ان شاء الله فاقام الفرس اياما بالمدار لا يعبرون
ثم اخذوا في العبور فلما عبر منهم النصف او نحوه حمل عليهم جرير
فيمن معه من بجيلة فمنحوا سلحه فقتل المرزبان ولحقهم
السيف وغرق اكثرهم في دجلة وغنم المسلمون ما كان في عسكرهم
وسار جرير فاجتمع مع المثنى بن حارثة الشيباني بالنخيلة فاقبل
اليهما مهران في جيوشه من فارس فامتنع المسلمون من العبور اليهم فعبر
مهران وبغى على المسلمين والتقوا وصبر الفريقان جميعا ثم اقبل
الفريقان وجزر فكانت على مهران فقتله جرير بن عبد الله البجلي
وحسان بن المنذر بن ضرار الضبي ضربه جرير وطعنه الضبي وفاز
جرير بمنطقته وسلبه وقد كان تشاجر جرير وحسان في ايهما
القاتل لمهران وقد كان جرير ضربه ضربة بعد ان طعنه حسان
ولحسان في ذلك ابيات بلغ

الم ترني خليت مهران نفسه ... باسمر فيه كالخلال لطريد

وقد تنازع اهل الاخبار والسير في جرير والمثنى فمن الناس من ذهب
الى ان جريرا كان المولى على الجيش ومنهم من راى ان جريرا كان

كان علي قومه والمثنى على قومه ولما قتل بهمن اعظمت الفرس وسار
سيد راد في جمع فارس الاعظم وفيته بوزنبر وقد كانت جمهور
الاساوره وتقدم امامهم رستم فنجي المسلمون لما بلغهم مسيره فلحق
جرير بكاظمة فرلها جرير وصار جرير في قومه من بلاد بوابل فنزل
سيراف وهي ارض شيره بين الكوفه وباده على ثلاثه ايام من المنزل
المعروف بواقصة وكان المثنى قد اصيب بجراحات كثيرة في بدنه
يوم الجسر وغيره فمات بسيراف رحمه الله عليه ولما ورد كتاب
عمر الي سعد بن ابي وقاص سار فنزل بالبرعل حسب ما امر به عمر ثم
الى سيراف فاتاه الناس من الشام وغيرها ثم سار فنزل العذيب
وهو على ثلثي الميل وطرف السواد ثم الى القادسيه فالتقي جيش
المسلمين وجيش الفرس عليهم رستم والمسلمون يومئذ في
ثمانية وثلاثين الف وقيل اكثر فيهم من اسمائهم ليلا اثنين القادسيه المنزلون ل
في ستة الاف امام جيوشهم الفيلة عليها الرجال وحرض الناس بعضهم
بعضا وبرز اهل النجدات فانشبوا القتال وخرج اليهم اول منهم
من صناديد فارس فتعتوروا الضرب والطعن وخرج غالب بن
عبد الله الاسدي فيمن خرج ذلك اليوم وهو يقول

قد علمت وادة المسايح ذات اللبان والبنان الواضح
اني سمام البطل المسالح وفارج الهم الهمام الفادح

فخرج اليه هرمز وكان من ملوك الباب والابواب وكان متوجا فاسره غالب
اسيرا واتى به سعدا ورجع الى المطارده وخرج الوطيس
وخرج عاصم بن عمرو وهو يقول مرتجلا

قد علمت صفراء صفراء اللبب مثل اللجين اذ تغشاه الذهب
اني امرؤ لا من يعيبه السبب

قال فخرج اليه عظيم من اساورتهم فجالده ثم ترك الفارسي وولى وتبعه
عاصم حتى جاء الى صفوفهم فاقحم وغاص عاصم بينهم حتى ابعد النبل
منه ثم خرج في مجنبات العلب وقدامه بغل عليه صناديق قد لبد له
حسنه فاتى به سعدا وعلى البغل غلام عليه مقطعات ديباج وقلنسوة
مذهبة واذا هو خباز الملك وفي الصناديق الطف ما يؤكل الملوك
من الاخبصه والعسل المعقد فلما نظر منه سعد قال انطلقوا به الى
اهل بيتك اعني اهل موقفه وقولوا لهم ان الامير قد نفلكم
هذا فكلوه ففعلوا ووجدت في روايه للعزي ان وقعة القادسيه
كانت في المحرم سنة اربع عشرة وكان مع رستم ثلاثة عشر فيلا على كل
فيل عشرون رجلا وعلى الفيلة تجافيف الحرير والصوف المجلله
بالديباج والحرير نحو بجيلة وحول الفيلة الرجال والخيل فبعث
سعد الى بني اسد لما نظر الى المواكب والفيول قدمها الثقل نحو بجيلة
يامرهم بمعونتهم ومال عشرون فيلا نحو القلب فخرج طليحة بن خويلد
الاسدي مع فرسان بني اسد فباشروا قتال الفيلة حتى اوقفوها واشتد
الجلاد على بني اسد في هذا اليوم فقتل منهم خمسمائة رجل دون من قتل في ذلك
اليوم من سائر الناس وهذا اليوم يعرف بيوم اغواث فلما اصبح الناس في اليوم
الثاني اشرف على الناس خيول المسلمين من الشام والامداد سائرة قد غطت
الافق عليها هاشم بن عتبة بن ابي وقاص في خمسة الاف فارس من ربيعة ومضر
والف من اليمن ومعهم القعقاع بن عمرو وذلك بعد فتح دمشق بشهر وقد كان
عمر كتب الى ابي عبيدة بن الجراح يصرف اصحاب خالد بن الوليد الى العراق
ولم يذكر في كتابه خالدا فشح ابو عبيدة بتخلية خالد ويرده وبعث رجاله
وعليهم هاشم بن عتبة على ما ذكرنا وقد كان في نفس عمر وخالد اشياء
من ايام ابي بكر من قصة مالك بن نويرة وغيرها وكان خالد بن الوليد بن خالة
عمر وتقدم القعقاع في اوائل المدد فاتى اهل القادسيه بالنصر على فارس
ونال عنهم ما لحقهم بالامس من القتل والجراح وورد القعقاع حتى
ورد امام الصف فنادى اهل من يبارز فبرز عظيم من الاساوره فقال له القعقاع
من انت قال انا ابن حارثة وهو المعروف بذي الحاجب فنادى القعقاع يا لثارات
ابي عبيد وسليط واصحابهم يوم الجسر وقد كان ذو الحاجب القاتل لاصحاب
سليط على ما ذكرنا فجالا فقتله القعقاع وبيا الذي القعقاع قتل في ذلك اليوم
ثلاثين في ثلاثين حملة كلما حمل حملة قتل فيها رجلا فكان احدهم قتل
عظيما من عظمائهم يقال له بزرجمهر وفي ذلك يقول القعقاع ذلك اليوم

حبوته جابسة للنفس هراوة مثل شعاع الشمس اخسه باليوم شاك الجنس

قال وبارز في هذا اليوم الاعور بن قطبة شهريار سجستان فقتل كل منهما
صاحبه واعتل سعد فتخلف في حصن العذيب في اعلاه يشرف على الناس
وقد تواقف الفريقان وامسى الناس ينتمون لاحسابهم وانسابهم فلما سمع ذلك
سعد قال لمن كان عنده في اعلا القصر ان تم الناس على الانتماء في احسابهم
فلا توقظوني فانهم اقويا على العدو وان سكتوا فايقظوني فان ذلك شر
واشتد القتال في الليل وكان ابو محجن الثقفي محبوسا في اسفل القصر فسمع
انتماء الناس الى ابائهم وعشائرهم ووقع الحديد ومسير الفرسان فاسف
على ما يفوته من تلك المواقف واشفق فجاحتى صعد الى سعد يستشفعه
ويستقيله ويساله ان يخلي عنه ليخرج الى الحرب فزجره سعد ورده فانحدر
باكيا فنظر الى سلمى بنت حفصة زوجة ابن حارثة الشيباني وقد
كان خلف عليها بعده فقال يا بنت حفصة هل لك في خير قالت وما ذاك
سعدهم

قال تخليني عني وتعيرينيه البلقاء ولله علي ان سلمني ان ارجع اليك
حتى اضع رجلي في قيدي فقالت وما انا وذاك فخلى سبيله فقعد
وهو يقول كفى حزنا ان تردي الخيل بالقنا واترك مشدودا علي وثاقيا
اذا قمت عناني الحديد وغلقت مصارع دوني قد تصم المناديا
وهي ابيات كثيرة فقالت سلمى عند ذلك اني استخرت الله ورضيت بعهدك
فاطلقته وقالت شأنك وما اردت فاتى الخيل سعد واخذ البلقاء فاخرجها
من باب القصر الذي يلي الخندق فركبها ثم دب عليها حتى اذا كان بحيال
ميمنة المسلمين كبر ثم حمل على ميمنة المسلمين فلعب على الميسرة يلعب برمحه
وسلاحه بين الصفين فاوقف بسرجهم وقتل رجالا من فرسان الكفار
وقتل اخرين والمسلمون ينظرون يرمقونه بابصارهم وقد شوزع في البلقاء فمنهم
من قال لهم علموا يرونه ومنهم من قال رأيتها بسرج ثم عاد في المسلمين فخرج
في ميسرتهم وحمل على ميمنة القلب فاوقفهم وهابته الرجال ثم رجع
تغاص في قلب المسلمين ثم برز امامهم ووقف بازاء قلب المشركين ففعل
مثل افعاله في الميمنة والميسرة ووافق القلب حتى لم يبرز منهم فارس
الا اختطفه وحمل على ميمنة الكفار فابادهم منهم خلقا كثيرا وعمل
عمل المسلمين الحرب فتعجب المسلمون منه وقالوا من هذا الفارس الذي
وقالوا من هذا الفارس الذي لم نره في يومنا فقال بعضهم هو ممن
قدم علينا من اخواننا من الشام ومن اصحاب هاشم بن عتبة المرقال
وقال بعضهم ان كان الخضر عليه السلام يشهد الحرب فهذا هو الخضر
قد من الله علينا به وهو علم نصرنا على عدونا وقال منهم قائل لولا
ان الملائكة لا تباشر الحرب قلنا هو ملك ولو محجن كالليث
الضرغام قد هتك الفرسان كالعقاب يجول عليهم ومن حضر من
فرسان المسلمين مثل معديكرب وطليحة بن خويلد والقعقاع
ابن عمرو وهشام بن عتبة المرقال ونساء فرسان العرب وابطالها تنظر
اليه وقد حار في امره وجعل سعد في اعلا القصر يفكر ويقول
وهو مشرف على الناس من فوق القصر واسلوا محبس ابي محجن لقلت
هذا هو وهذه البلقاء فلما انتصف الليل تحاجز الناس فرجعت
الروم على اعقابها وتراجع المسلمون الجموع صفهم على تعبيتهم ومصافهم
واقبل ابو محجن حتى دخل القصر من حيث خرج ولا يعلم به ورد
البلقاء الى مربطها وعاد في محبسه ووضع رجليه في القيد ورفع عقيرته
وانشأ يقول لقد علمت ثقيف غير فخر بانا نحن اكرمهم سيوفا
واكثرهم دروعا سابغات واصبرهم اذا كرهوا الوقوفا
وليلة فارس لم يشعروا بي ولم يشعر بمخرجي الزحوفا

فان احبس فذلكم بلائي وان اترك اذيقهم الحتوفا
فقالت له سلمى في اي شيء حبسك هذا الرجل يعني سعدا قال اما والله ما
حبسني لحرام اكلته ولا شربته ولكني كنت صاحب شرب في الجاهلية
وانا امرء شاعر يدب الشعر على لساني فاصف القهوة وتداخلني اريحية
ولذلك حبسني لاني قلت قصيدة
اذا مت فادفني الى اصل كرمة تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنني في الفلاة فانني اخاف اذا ما مت ان لا اذوقها
وهي ابيات وقد كان بين سلمى وسعد كلام اوجب غضبه عليها لذكرها
المثنى عند مختلف القنا فاقامت مغاضبة له عشية من ارماث وليلة
الهدأة وليلة السواد حتى اذا اصبحت اتت فترضته فصالحته ثم
اخبرته خبرها مع ابي محجن فدعا به فاطلقه فقال اذهب فما انا مؤاخذك
بشيء تقوله حتى تفعله قال لا جرم والله لا اجيب لساني الى صفة
قبيح ابدا واصبح الناس على مواقفهم وهو يوم عماس واصبح الروم
على مواقفهم واصبح بين الفريقين كالرجلة اذا الوليد في عرض ما بين
الصفين وقد قتل من المسلمين الفان وخمسمائة ما بين رثيث وميت وقتل
الاعاجم ما لا يحصى قال سعد ايها الناس من شاء غسل الشهيد الميت
والرثيث ومن شاء فليدفنهم بدمائهم واقبل المسلمون على قتلاهم فاخذوهم
وجعلوهم وراء ظهورهم وكان النساء والصبيان يدفنون الشهداء
ويحملون الرثيث الى النساء فيعالجن من كلومهم وكان بين موضع
الوقعة مما يلي القادسية وبين حصن العذيب نخلة فاذا حمل الجريح
وفيه تمييز وعقل نظر الى تلك النخلة ولم يكن هنالك يومئذ نخلة غيرها
واليوم بها نخل كثير قال الحاكم قد قربت من السواد فانه يجيء تحت
هذه النخلة فراح تحتها وسمع رجل من الجرحى قال [illegible]
الا يا سلمى يا نخلة بين فارس وبين العذيب لا يجاورك النخل
وسمع آخر [illegible] يقول
ايا نخلة الجرعاء يا جرعة العدى سقتك الغوادي والغيوث الهواطل
وفي آخرين يقولون [illegible] واصبح الناس ليلة القادسية
وهي صبيحة ليلة الهرير وهي تسمى ليلة القادسية من بين تلك
الايام والناس حيارى لم يغمضوا ليلتهم كلها وحرص سعد وبقي القوم [illegible]
واشتد الجلاد [illegible] وقت الزوال فكان اول من زال حين
قام قائم الظهيرة وولد عليهم النقع وهبت ريح عاصفة فقطعت
طيارات رستم عن سريره فهوت في نهر العقيق والريح دبور
فمال الغبار عليهم وانتهى القعقاع واصحابه الى السرير فعثروا به

وقد قام رستم عند حين طرت الريح الطيارة الى بغال قد قامت
عليها بمال يوميذ فهي واوقفها فاستظل بظل بغل منها بحمله فضرب
هلال بن علقمة الحمل الذي رستم تحته فقطع حباله ووقع عليه احد
العدلين وهلال لا يراه ولا يشعر به فازال عن ظهره فقار وضربه
هلال ضربة فنفحت مسكا ومضى رستم نحو نهر العقيق ورمى بنفسه
واقتحم هلال عليه فتناوله برجله ثم خرج به الى الخندق فضربه بالسيف
حتى قتله ثم جاء به حتى رمى به بين ارجل البغال وصعد السرير
ثم نادى قتلت رستم ورب الكعبة الي الي فطافوا به الناس وما يحسون
السرير ولا يرونه وقد وجلت قلوب المشركين عنده وانهزموا واخذهم
السيف فمن غرق وقتيل وقد كانوا ثلاثين الفا ومنهم من قرنوا انفسهم
بالسلاسل والحبال وتحالفوا بالنور وبيت النيران ان لا يبرحوا حتى
يفتحوا او يقتلوا عن اخرهم فجثوا على الركب وفرع بينهم قبايل الناس
فقتل القوم جميعا وقد تنوزع في قتل رستم فذهب الاكثرون الى
ان قاتله هلال بن علقمة من تيم الرباب على ما قدمنا ومنهم من راى ان
قاتله رجل من بني اسد على ما قدمنا يقول شاعرهم في ذلك وهو عمرو بن شاس
الاسدي من ابيات لبني تميم
"قتلنا رستما وبنيه قسرا" "باسد الخيل فوقهم الهلال"، والحفزان الحفاظ"
في ذلك المراتب العظمى المقدم ذكرها انها خلود النمور المعروفة
بدرفش كابيان وكانت مرصعة بالياقوت واللولو وانواع الجواهر
نعوض عن بثلاثين الفا وكانت قيمتها الف الف ومائتي الف وقيل
في هذا اليوم حولها اعني الراية غير من ذكرنا من المقربين عشر هم
عشره الاف وقد تنازع الناس ممن سلف وخلف في عام
القادسية والعذيب فذهب كثير من الناس الى ان ذلك كان في
سنة اربع عشرة وفيها امر عمر بن الخطاب بالقيام في شهر رمضان
بصلاة التراويح والذين ذكروا ان وقعة القادسية كانت في سنة
اربع عشرة احتجوا بهذا الراية وليت عمر الجامع انه امر الامصار
باقامة صلاة التراويح وذكر كثير من الناس منهم المداني وغيره
ان عمر انفذ عتبة بن غزوان سنة اربع عشرة الى البصرة فرتبها
ومصرها وذكر كثير من اهل السير انها مصرت في سنة ست عشرة
وان عتبة بن غزوان انما خرج اليها من المداين بعد فراغ سعد
ابن ابي وقاص من حرب جلولاء وتكريت ولن عتبة قدم البصرة
ومحيوتهذ عشرة من الهند وقد تجارة يبقى في ذلك الموضع
الحديبية ومصر سعد بن ابي وقاص وهو سعد بن مالك والنبي ابي

اسحاق الكوفة في سنة خمس عشرة دلهم على موضعها ابن بقيلة الغساني
وقال لسعد دلك على ارض ارتفعت عن البق والمنحدرت عن الفلاة فدلهم
على موضع الكوفة اليوم **قال المسعودي** وكان عمر لا يترك احدا من
العجم يدخل المدينة فكتب اليه المغيرة بن شعبة ان عندي غلاما
فان رايت ان تاذن لي في ادخاله فعلت فاذن له وقد كان المغيرة
جعل عليه في كل يوم درهمين وكان يدعا ابو لؤلؤة وكان مجوسيا
من اهل نهاوند فلبث ما شاء الله ثم اتى عمر يشكو اليه ثقل خراجه فقال
له عمر وما تحسن من الاعمال قال نجار نقاش حداد فقال عمر ما
خراجك بكثير في كنه ما تحسن من الاعمال فمضى عنه وهو يتذمر قال
ثم مر بعمر يوما وهو قاعد فقال له عمر الم احدث انك تقول لو شئت
ان اصنع رحا تطحن بالريح لفعلت فقال ابو لؤلؤة والله لاصنعن
لك رحا يتحدث بها الى يوم القيمة ومضى ابو لؤلؤة فقال عمر اما
العبد فقد توعدني ايضا فلما ازمع على الراي اخذ خنجرا واشتمل
عليه ثم قعد لعمر في زاوية من زوايا المسجد في الغلس وكان عمر يخرج
في السحر يوقظ الناس للصلاة فمر به فثار اليه فطعنه ثلاث
طعنات احداهن تحت سرته وهي التي قتلته وطعن اثني عشر رجلا
من اهل المسجد فمات منهم ستة ونحر نفسه بخنجره فمات فدخل
عليه ابنه عبد الله وهو يجود بنفسه فقال له يا امير المومنين
استخلف على امة محمد فانه لو جاءك راعي ابلك وترك ابله وغنمه
لا راعي لها للمته وقلت كيف تركت امانتك ضايعة فكيف
يا امير المومنين بامة محمد فاستخلف عليهم فقال ان استخلف عليهم
فقد استخلف عليهم ابو بكر وان اتركهم فقد تركهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيئس منه عبد الله حين سمع ذلك منه وكان
اسلام عمر قبل الهجرة باربع سنين وكان يخضب بالحناء والكتم وكان
له من الولد عبد الله وحفصة لام زوج النبي صلى الله عليه وسلم
وعبيد الله وعاصم وفاطمة وزيد لام وعبد الرحمن وبنات لام
وعبد الرحمن الاصغر وهو المحدود في الشراب وهو المعروف بابي شحمة
لام ولد وذكر عبد الله بن عباس ان عمر ارسل اليه فقال يا ابن عباس
ان عامل حمص قد هلك وكان من اهل الخير واهل الخير قليل
وقد رجوت ان تكون منهم وفي نفسي منك شيء لم اره منك
واعياني ذلك فما رايك في العمل قال لن اعمل حتى تخبرني بالذي
في نفسك قال وما تريد الى ذلك قلت اريده فان كان شيء اخاف
منه على نفسي خشيت منه على ما الذي خشيت وان لم يكن بريا

ل
م
ع
س
ب
اليوم ٣
بالغ
وغنمه
جاء الحد اوصد نافع اهل المدينة
شرح عني ... اهل ... ومنهم من راى ... سنة

ومثله علمت اني لست من اهله فقبلت عملك هنالك فاني رايتك
قل ما ظننت شيئا الا على الخبير قال يا ابن عباس اني خشيت ان ياتي
على الذي هو آت وانت في عملك فتقول هلم الينا ولا هلم اليكم دون
غيركم اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل الناس وترككم
قال قد والله رايت من ذلك ما رايت فلم تراه فعل ذلك قال والله
ما ادري اضن بكم عن العمل فاهل ذلك انتم ام خشي لن تبايعوا بمنزلتكم لتكلم
منه فيقع العتاب ولا بد من عتاب وقد فرغت من ذلك فما رايك
قلت اري ان لا اعمل لك قال ولم قال ان عملت لك وفي نفسك ما فيها لم ابرح
قذى في عينك قال فاشر علي قلت اري ان تستعمل صحيحا منك
صحيحا لك وذكر علقمة بن عبد الله المزني عن معقل بن يسار ان
عمر بن الخطاب شاور الهرمزان في فارس واصبهان واذربيجان
فقال اصبهان الراس وفارس واذربيجان الجناحان فان
قطعت احد الجناحين ناء الراس بالجناح الآخر وان قطعت الراس
سقط الجناحان فبدا بالراس فدخل المسجد فاذا هو بالنعمان
ابن مقرن يصلي فقعد الى جنبه فلما قضى صلاته قال ما اراني الا
مستعملك قال اما جابيا فلا ولكن غازيا قال فانك غاز فوجهه
وكتب الى اهل الكوفة ان يمدوه وبعث معه الزبير بن العوام وعمرو
بن معدي كرب وحذيفة بن عمرو والاشعث بن قيس فارسل
النعمان الى المغيرة بن شعبة الى ملكهم وهو يقال له ذو الجناحين
فقطع اليهم نهرهم فقيل لذي الجناحين ان رسول العرب ههنا
فشاور اصحابه فقال ما ترون اقعد له في بهجة الملك او اقعد
له في هيئة الحرب قالوا بل اقعد له في بهجة الملك فقعد
له على سريره ووضع التاج على راسه واقعد ابناء الملوك سماطين
عليهم الاقرطة واسورة الذهب والديباج واذن للمغيرة فاخذ
بضبعيه رجلان ومعه سيفه ورمحه قال فجعل المغيرة يضرب
برمحه في بسطهم يخرقها ليتطيروا فيغيظهم ذلك حتى قام بين
يديه وجعل يكلمه والترجمان يترجم بينهما فاثنى عليه ثم قال انا معشر
العرب كنا اذلة يطانا الناس ولا نطاهم وناكل الكلاب والجيف ثم
ان الله تعالى ابتعث منا نبيا في شرف منا اوسطنا حسبا
واصدقنا حديثا ونعت النبي صلى الله عليه وسلم بنعته واخبرنا باشياء
وجدناها كما قال وانه وعدنا فيما وعدنا انا سنملك ما ههنا ونغلب
عليه واني ارى ههنا بزة وهيئة ما من خلفي بتاركيها حتى يصيبوها
قال فقالت لي نفسي لو جمعت جراميزك فوثبت فقعدت مع العلج على

رفقا لكم انكم معشر العرب اصابكم جهد فان شئتم مرناكم ورجعتم فتكلم المغيرة فحمد الله واثنى عليه ثم قال

سريره حتى تبطر قال فوثبوا فاذا انا معه على سريره فجعلوا يطؤوني
بارجلهم ويجروني بايديهم فقلت لهم انا لا نفعل ذلك برسلكم وان
كنت عجزت او استحمقت فان الرسل لا يفعل بها هذا قال الملك ان شئتم
قطعنا اليكم وان شئتم قطعتم الينا قلت نحن نقطع اليكم فقطعنا اليهم
قال فتسلسلوا كل خمسة وستة وسبعة حتى لا يفروا فعبرنا اليهم
فصاففناهم فرشقونا حتى اسرعوا فينا فقال المغيرة للنعمان انه قد
اسرع في الناس وقد جرحوا فلو حملت فقال النعمان انك لذو مناقب
وقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اذا لم يقاتل اول النهار
انتظر حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر ثم اني هاز لوائي
هذا ثلاث مرات فاول هزة فليقض الرجل حاجته وليتوضا واما
الثانية فلينظر الرجل الى شسعه ويرم من سلاحه فاذا هززت الثالثة فاحملوا
ولا يلوين احد على احد وان قتل النعمان واني داع الله بدعوة فعزمت
على كل امرئ منكم الا امن عليها وقال في دعائه اللهم ارزق النعمان
الشهادة في هذا اليوم في فتح ونصر فامن القوم فهز لواءه ثلاث مرات ثم
لبس درعه وحمل فكان اول صريع قال معقل فاتيت عليه فذكرت عزمته فالقيت ذو الجناحين
عليه واعلمت علما لاعرف به مكانه فامعنا القتل فيهم ووقع ذو
الجناحين عن بغلة له شهباء فانشق بطنه وفتح الله على المسلمين فاتيت الى مكان
النعمان فصادفته وبه رمق فاتيته باداوة فغسلت وجهه فقال من هذا
فقلت معقل بن يسار قال فما فعل الله بالناس قلت فتح الله عليهم
فقال الحمد لله كثيرا فقال اكتبوا بذلك الى عمر وفاضت نفسه رحمه الله تعالى
واجتمع الناس الى الاشعث بن قيس وارسلوا الى ام ولده هل
عهد اليك النعمان عهدا او عندك كتاب فاتت بسفط فيه كتاب فاخرجوه
فاذا فيه ان قتل النعمان ففلان وان قتل فلان ففلان الى آخره فاعملوا
ذلك ففتح الله على المسلمين فتحا عظيما وهلك وفتحت نهاوند
وكان للاعاجم فيها جمع كبير وقتل هنالك خلق كثير من المسلمين منهم النعمان
وعمرو بن معدي كرب وقبورهم الى هذا الوقت بينة معروفة على نحو
فرسخ من نهاوند فيما بينها وبين الدينور وقد اتينا على وصف هذه
الوقعة فيما سلف من كتبنا وذكر ابو مخنف لوط بن يحيى قال لما قدم
قدم عمرو بن معدي كرب على عمر من الكوفة وساله عن سعد بن ابي وقاص
فقال له ما قال فيه من الثناء ساله عن السلاح فاخبره بما علم ثم ساله
عن قومه فقال اخبرني عن مذحج قال سلني عن ايهم شئت قال اخبرني
عن علة بن خالد قال هم فرسان اعراضنا وحماة اعراضنا واشفا
امراضنا وهم اعتقنا واحبنا واسرعنا طلبا واقلنا هربا وهم اهل

السماح والصفاح والرماح قال عمرو ما ابقيت لسعد العشيرة
قال هم اعظمنا شيخا واسخانا نفوسا واكثرنا رئيسا قال فما
ابقيت لمراد قال هم اوسعنا دارا واكثرنا زوارا وابعدنا آثارا هم
الاتقياء البررة والساعون الخيرة قال فاخبرني عن بني زبيد
قال انا لهم ضنايي لو سالت الناس قالوا هم الراس والناس
الاذناب قال فاخبرني عن طي قال خصوا الحرب وهم بعد
جمرة الحرب قال فما تقول في عبس قال جمع عظيم وذنب ابتر
قال فاخبرني عن حمير قال رعوا العفو وشربوا الصفو قال فاخبرني
عن كندة قال ساسوا العباد وملكوا البلاد قال فاخبرني
عن همدان قال ابناء الليل واهل السيل يمنعون الجار ويوفون
بالذمار ويطلبون الثار قال فاخبرني عن الازد قال اقدمنا
ميلادا قال فاخبرني عن الحرث بن كعب قال هم الحسكة المسلة
تلقى المنايا على اطراف رماحهم قال فاخبرني عن لخم قال اخوانا ملكا
واولنا هلكا قال فاخبرني عن جذام قال اولئك كالعجوز الغبراء
وهم اهل مقال وفعال قال فاخبرني عن غسان قال ارباب في
الجاهلية نجوم في الاسلام قال فاخبرني عن الاوس والخزرج
قال هم الانصار وهم اكرمنا جارا واسمحنا جوارا وقد مدحهم الله
اذ يقول والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم الاية
قال فاخبرني عن خزاعة قال اولئك معنا كما نزل بنا سهم ولهم
نفرهم قال فاي العرب ابغض اليك ان تلقاه اما فارس في مواعه
ابن همدان والحرث بن خديج واما من معد فعدي ابن فزاره ومرة
ابن ذبيان وطلاب عامر وشيبان بن بكر بن وائل وشرحب
عبد القيس والاراقم من تغلب بن وائل ثم لو جلت بفرسي على
مياه معد ما خفت هيجه احدهم ما لم يلقني حراها وعبداها
قال ومن حراها وعبداها قال اما حراها فعامر بن الطفيل وعتبة
ابن الحرث واما عبداها فعنترة وسليك المقانب قال له عمر
يا ابا ثور صف لي الحرب فضحك ثم قال سالت عنها خبيرا هي
والله يا امير المومنين مرة المذاق اذا شمرت عن ساق من صبر
فيها عرف ومن ضعف عنها تلف ولقد قال واصفها فاجاد

الحرب اول ما تكون فتية ❊ تسعى بزينتها لكل جهول ❊ حتى اذا حميت وشب ضرامها ❊
عادت عجوزا غير ذات حليل ❊ شمطاء جزت راسها وتنكرت ❊ مكروهة للشم والتقبيل ❊

ثم سالة عن السلاح فاخبره بما كان منه حتى بلغ هنالك فقال يقولون ان عند
نفسك الثكلى يا عمر فعلاه عمر بالدرة وقال بل امك ثكلى ايها

والله اني لاهم ان اقطع لسانك فقال عمرو الحجارة عثتني اليك فخرج
من عنده وهو يقول
اتوعدني كانك ذو رعين ❊ بانعم عيشة او ذو نواس ❊ فاصبح اهلها بادوا وامسى ❊
ينقل في اناس من اناس ❊ فكم قد كان قبلك من ملوك ❊ وعن ظاهر الجدار زار اس ❊
فلا يغررك ملكك كل ملك ❊ يصير مذلة بعد الشماس ❊
قال فاعتذر عمر اليه وقال ما فعلت الا لنعلم ان الاسلام
اعز وافضل من الجاهلية وفضله على الوفد وقد كان عمر ابن
عمرو بعد ذلك واقبل يسايله ويذاكره الحرب واخبارها في
الجاهلية فقال يا عمرو هل انصرفت عن فارس قط في الجاهلية هيبة له
قال نعم والله ما كنت استحل الكذب في الجاهلية فكيف استحله
في الاسلام لاحدثنك حديثا لم احدث به احدا قبلك خرجت
في بعض المغازي في خيل لبني زبيد اريد بني كنانة فاتينا
قوما سراة فقال عمر كيف علمت انهم سراة قال رايت مذاود خيل
وقدورا وقباب ادم حمرا ونعما كثيرا واشياء قال عمرو فاتيت
الى اعظمها فبينما نحن بعد ما حوينا السبي وقد كان مستبد دار البيوت
واذا امراة بادية الكمال على فرس لها فلما نظرت الي والى الخيل
استعبرت فقلت ما يبكيك قالت والله ما ابكي على نفسي ولكن
ابكي حسدا على بنات عمي يسلمن وابتلى انا من بينهن فظننت
انهما والله صدقة فقلت لها واين هن قالت في هذا الوادي
فقلت لاصحابي لا تحدثوا شيئا حتى اتيكم ثم همزت فرسي
حتى علوت كثيبا فاذا بغلام اصهب الشعر اهدب اقنى يخصف
نعلا له وسيفه بين يديه وفرسه عنده فلما نظر اليه نبذ
النعل من يده ثم احتزم غير مكترث واخذ سلاحه واشرف على
ثنية فلما راى الخيل محيطة ببيته اقبل نحوي ثم حمل علي وهو يقول
اقول لما نبحتني قدامها ❊ والبستني بكرم ردائها ❊ اذا ساحوني اليوم من حواها ❊
فليت شعري اليوم ما دهاها ❊ قال عمرو فحملت عليه وانا اقول ❊ عمرو على طول الجهاد هاها ❊
يا خيل بعضي على جواها ❊ حتى اذا خلا بها حواها ❊
قال ثم حملت عليه بالفرس فاذا هو اروغ من ثعلب فراغ عني ثم
حمل علي فصرعني واستاق ما في ايدينا ثم استويت على فرسي فلما
راني اقبل وهو يقول انا عبيد الله محمود الشيم
وخير من يمشي بساق وقدم علو ونقدي من كل السقم قال فحملت عليه وانا اقول
انا عبيد الله محمود الشيم ❊ انا ابن ذي التقليد في الشهر الاصم ❊
انا ابن ذي الاكليل قتال اللمم ❊ من يلقني يودي كما اودت ارم ❊ اتركه لحما على ظهر وضم ❊

قال فراغ عيني ثم حمل علي فضربني ثم صرخ صرخة فرايت الموت واسيا امير المومنين
ليس دونه شي وخفته خوفا لم اخفه احدا قط قبله فقلت له من انت ثكلتك
امك والله ما اجترا احد علي قط الا عامر بن الطفيل للاعجاب بنفسه وعمرو
ابن كلثوم لسنه وتجربته فمن انت قال بل من انت اخبرني والا قتلتك
قلت انا عمرو بن معدي كرب قال وانا ربيعة بن مكدم قلت اختر مني احدى
احدى ثلث خصال ان نجتلد بسيوفنا حتى يعجز احدنا او ان نصطرع وان شئت
السلم وانك يا ابن اخي حدث وبقومك اليك حاجة قال بل هي اليك
فاختر لنفسك فاحببت المرزق بالسلم قال فالق الي سيفك فالقيته اليه ثم
قال انزع فرسك فقلت يا ابن اخي قد جرحتني جرحتين ولا تزودني
فوالله ما كف عني حتى نزلت عنه فاخذ بعنانه ثم اخذ بيدي في يده وانهض فنا
الي الحي وانا اجر رجلي حتى طلعنا على الجبل فلما راونا هموا واحبوا لهم الحرب
فناديتهم اليكم واراد واربيعة فمضى والله كانه ليث حتى شتتهم ثم اتى
الي فقال يا عمرو لعل اصحابك يريدون غير الذي تريد فقلت والله ما في
القوم احد ينطق واعظموا ما راوا منه فقلت يا ربيعة بن مكدم لا يريد دن
الاخيار وانما سميته ليعرف القوم مكانه فقال لهم ما تريدون
فقال وما تريد وقد جرحت صاحبنا فادر العرب واخذت سيفه
ورمحه وفرسه ثم مضى ومضينا حتى نزل فقامت اليه صاحبته وهي معرم
ضاحكة فمسحت وجهه ثم اقبل بابل فنحرت وضرب علينا قباب
فلما امسينا جاءت الرعاة ومع ما ازوا من لربيعة لمراد وطيتها فلما
راى انظر اليها قال كيف ترى هذه الخيل قلت لم ادر مثلها قط قال اما
انه لو كان عندي بعضها ما لبثت في الدنيا الا قليلا فضحكت وما
ينطق احد من اصحابي فاقمنا عنده يومين ثم انصرفنا قال وكان عمرو بن
معدي كرب بعد ذلك بزمان اغار على بني كنانة في صناديد قومه فاخذ
عيالهم واخذ امراة ربيعة بن مكدم فبلغ ذلك ربيعة وكان غير بعيد
فركب في الطلب على فرس عري ومعه رمح بلا سنان حتى لحقه فلما نظر
اليه قال يا عمرو خل عن الضعينة وما معك فلم يلتفت اليه ثم اعاد فلم يلتفت
اليه عمرو فقال يا عمرو اما ان تقف واما ان اقف لك فوقف عمرو وقال لقد
انصف الرجل من نفسه فقال يا ابن اخي فوقف له ربيعة بن مكدم فحمل عليه عمرو
وهو يقول انا ابن ذي نعم ثنا ثا السدف ، لست بما فوق ولا محترف ،
واسر القوم اذا احمر الحدف ، اذا الرجال خوفوا من الحنف ، حتى طعنه فخالطه
بالسنان اذا هو لبب لفرسه ومر السنان على ظهر الفرس ثم وقف له عمرو
فحمل عليه ربيعة وهو **يقول** انا الغلام الابلج ، ثم زهير قد ركضوا انشرح ،
فقرع بالرمح راسه ثم قال خذها اليك يا عمرو فلولا اني اكره قتل مثلك لقتلتك

فقال عمرو لا ينصرف الا احدنا فوقف له ربيعة فحمل عليه حتى اذا خالطه السنان
اذا هو حزام لفرسه ومر السنان على ظهر فرسه ثم حمل عليه ربيعة فقرع بالرمح
راسه ايضا وقال خذها اليك يا عمرو ثانية وانما العفو مرتان وصاحت
به امراته السنان لله درك فاخرج سنانا من تحت ازاره كانه شعلة نار فركبه
على رمحه فلما نظر اليه عمرو وذكر طعناته بلا سنان قال له يا ربيعة خذ
الغنيمة قال دعها وانج بنفسك فقالت بنو زبيد اترك غنيمتنا لهذا
الغلام فقال عمرو يا بني زبيد والله لقد رايت الموت الاحمر في سنانه وسمعت
صريرا في تركيبه فقال بنو زبيد لا تحدث العرب ان قوما من بني زبيد فيهم
عمرو بن معدي كرب تركوا غنيمتهم لمثل هذا الغلام قال لهم عمرو انه لها قد
لكم بها وما رايت مثله قط فانصرفوا واخذ ربيعة زوجته والغنيمة وله
الي قومه **قال المسعودي** ولعمر بن الخطاب رضي الله عنه اخبار كثيرة في اسفا ره
في الجاهلية الى الشام والعراق مع كثير من ملوك العرب والعجم وسياير
في الاسلام واخبار وسياسات حسان وما كان في ايامه من الكوائن والاحداث ث
وفتوح مصر والشام والعراق وغير ذلك من الامصار وقد اتينا على مبسوطها
في كتابينا اخبار الزمان والاوسط وانما نذكر لمعا في هذا الكتاب
مما لم نذكره فيما سلف من كتبنا **ذكر خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه**
وبويع عثمان بن عفان رضي الله عنه يوم الجمعة لليلة بقيت من ذي الحجة
سنة ثلاث وعشرين وقيل لاحدى عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة سنة
عشرين وثلاث من الهجرة وقيل غير ذلك مما نورده بعد هذا الموضع الا انه
في ذي الحجة بجميع ما ولي اثنتي عشرة سنة الا ثمانية ايام وقتل وهو ابن
اثنتين وثمانين بالمدينة ودفن بموضع يعرف بحش كوكب **ذكر نسبه**
ولمع من اخباره وسيره رضي الله عنه هو عثمان بن عفان بن ابي العاص
ابن امية بن عبد شمس بن عبد مناف ويكنى بابي عبد الله وبابي عمرو
والاغلب منهما ابو عبد الله وامه اروى بنت كريز بن ربيعة
ابن حبيب بن عبد شمس وكان له من الولد عبد الله الاكبر
وعبد الله الاصغر امهما رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابان وخالد وسعيد وام عمرو وعايشة وكان عبد الله الا كبر
يلقب بالمطرف لجماله وحسنه وكان كثير التزوج كثير الطلاق وكان
اخوه ابان ابرص احول قد حمل عنه اصحاب الحديث عدة من السنن
وولي لبني مروان ايله وغيرها وكان سعيد احول بخيلا وقتل زمن
معاوية وكان الوليد صاحب شراب وفتوة ومجون وقتل يوم وهو
مخلق الوجه سكران عليه مصبغات واسعد فبلغ عبد الله الاصغر من
السن ستا وسبعين سنة فنقره ديك في عينه فمات وعبد الله

مات مغيرا والعقب له وكان عثمان في نهاية الجود والكرم والسماحة
والبذل في القريب والبعيد فسلك عماله وكثير من اهل عصره طريقته
وتاسوا به في فعله وبنى داره بالمدينة وشيدها بالحجر والكلس وجعل
ابوابها من الساج والعرعر واقتنا اموالا وجنانا وعيونا بالمدينة
وذكر عبد الله بن عتبة ان عثمان يوم قتل كان عند خازنه من المال
خمسون ومايه الف دينار والف الف درهم وقيمة ضياعه بوادي
القرى وحنين وغيرهما مايتا الف دينار وخلف خيلا وابلا كثيرة
وفي ايام عثمان اقتنى جماعة من الصحابة الضياع والدور منهم الزبير
ابن العوام بنى داره بالبصرة وهي المعروفة في هذا الوقت وهو سنة ٣٣٢
ينزلها التجار وارباب الاموال واصحاب الجهاز من البحريين وغيرهم
وابتنى ايضا دورا بالكوفة ومصر والاسكندرية وما ذكرنا من دوره
وضياعه فمعلوم غير مجهول الى عصرنا هذا وبلغ الثمن مما ترك
الزبير بعد وفاته خمسين الف دينار وخلف الزبير الف فرس والف
عبد وامة وخططا حيث ذكرنا من الامصار وكذلك طلحة بن عبيد الله
التيمي داره بالكوفة المشهورة به في هذا الوقت بدار الطلحيين ابتنى
وكانت غلته من العراق في كل يوم الف دينار وقيل اكثر وكذلك بناحية
السراة باكثر منها وشيد داره بالمدينة وبناها بالجص والاجر والساج ٢
وكذلك عبد الرحمن بن عوف الزهري ابتنى داره ووسعها وكان على
مربطه الف فرس وله الف بعير وعشرة الاف شاة من الغنم وبلغ
بعد وفاته الربع من ماله اربعا وثمانين الفا وابتنى سعد بن ابي وقاص
داره بالعقيق فرفع سمكها ووسع فضاها وجعل على اعلاها سعيد
شرفات وقد ذكر ابن المسيب ان زيد بن ثابت حين مات خلف من
الذهب والفضة ما كان يكسر بالفوس غير ما خلف من الاموال والضياع
بقيمة مايه الف دينار وابتنى المقداد داره بالمدينة في الموضع المعروف
بالجرف على اميال من المدينة بالتل وجعل على اعلاها شرفات وصيرها
مجصصة الباطن والظاهر ومات يعلى بن منبه وخلف خمسماية الف
دينار وهذا باب يكثر وصفه فيمن تملك واقتنى في ايامه من الاموال
ولم يكن مثل ذلك في عصر عمر بن الخطاب شي من ذلك بل كانت جادة واضحة
وطريقة بينة وحج عمر فانفق في ذهابه ومجيه ستة عشر دينارا
فقال لولده عبد الله لقد اسرفنا في نفقتنا في سفرنا هذا ولقد
شكا الناس اميرهم بالكوفة سعد بن ابي وقاص وذلك سنة احدى
وعشرين فبعث عمر محمد بن مسلمة الانصاري حليف
بني عبد الاشهل فحرق عليه باب قصره بالكوفة وعرض على مساجد الكوفة

[illegible]

يسالهم عنه فحمده بعضهم وشكاه بعض فعزله وبعث الى الكوفة عمار
ابن ياسر على الصلاة وعثمان بن حنيف على الخراج وعبد الله بن مسعود
على بيت المال وامره ان يعلم الناس القران وان يفقههم في الدين
وفرض عليهم شاة كل يوم وجعل شطرها وسواقطها لعمار بن ياسر
والشطر الاخر بين عبد الله بن مسعود وعثمان بن حنيف فاين
عمر عما ذكرنا واين هو عما وصفنا وقدم على عثمان عمه الحكم
وابنه مروان وغيرهما من بني امية والحكم هو طريد رسول الله صلى الله
عليه وسلم الذي غربه عن المدينة ونفاه عن جواره وكان عماله
على اعماله جماعة منهم الوليد بن عقبة بن ابي معيط على الكوفة
وهو ممن اخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه من اهل النار وعبد الله
ابن ابي سرح على مصر ومعوية بن ابي سفيان على الشام وعبد الله
ابن عامر على البصرة وصرف عن الكوفة الوليد بن عقبة وكان
يشرب مع ندمائه ومغنيه من اول الليل الى الصباح فاذا اذن
المؤذن بالصلوة خرج متفضلا في غلايله فتقدم الى المحراب في
صلاة الصبح فصلى بهم اربعا وقال ازيدكم وقيل انه قال في
سجوده وقد اطال اشرب واسقني فقال له بعض من كان خلفه في
الصف الاول ما تريد لا زادك الله مزيدا من الخير والله لا اعجب
منك الا ممن ولاك علينا اميرا وواليا وكان هذا القايل عتاب
ابن غيلان الثقفي وحصب الناس الوليد بحصا المسجد فدخل خل
قصره وهو يترنح ويتمثل بابيات لتابط شرا

ولست بعيدا عن مدام وقينة ... ولا بصفا صلد عن الخير معزل
ولكنني اروي من الخمر هامتي ... وامشي الملا بالساحب المتسلسل

وفيه يقول ابو مليكة الحطيئة

شهد الحطيئة حين يلقى ربه ... ان الوليد احق بالغدر
نادى وقد تمت صلاتهم ... ازيدكم ثملا ولا يدري
ليزيدهم خيرا ولو قبلوا ... لاتت صلاتهم على العشر
فابوا ابا وهب ولو فعلوا ... لقرنت بين الشفع والوتر
حبسوا عنانك اذ جريت ولو ... خلوا عنانك لم تزل تجري

قال وشاع بالكوفة فعله وظهر فسقه ومداومته شرب
الخمر فهجم عليه جماعة من المسجد منهم ابو زينب بن عوف الازدي
وابو جندب بن زهير الازدي وغيرهما فوجدوه سكرانا مضطجعا
على سريره لا يعقل فايقظوه فلم يستيقظ من رقدته حتى
تقيا عليهم ما شرب من الخمر فانتزعوا خاتمه من يده وخرجوا من
فورهم الى المدينة فاتوا الى عثمان بن عفان فشهدوا عليه عنده

انه يشرب الخمر فقال عثمان وما يدريكما انه شرب الخمر فقالا هي الخمر التي
كنا نشربها في الجاهلية واخرجا خاتمه فدفعاه اليه فزجرهما ودفع
في صدورهما وقال تنحيا عني فخرجا واتيا علي بن ابي طالب عليه السلام
فاخبراه الخبر فاتى عثمان وهو يقول دفعت الشهود وابطلت
الحدود فقال له عثمان فما ترى قال ارى ان تبعث الى صاحبك
فتحضره فان اقاما الشهادة عليه في وجهه ولم يدرأ عن نفسه
بحجة اقمت عليه الحد فلما حضر الوليد دعاهما فاقاما الشهادة
في وجهه فلم يدرأ عن نفسه بحجة فالقى عثمان السوط الى علي عليه
السلام فقال علي لابنه الحسن قم فاقم عليه ما اوجب الله سبحانه
وتعالى فقال يكفيه بعض ما يرى فلما نظر علي لامتناع الناس من اقامة
الحد عليه توقيا لغضب عثمان لقرابته منه اخذ علي السوط ودنا
منه فلما اقبل نحوه سبه الوليد فقال يا صاحب مكس فقال عقيل
عليه السلام وكان فيمن حضر انك لتتكلم يا ابن ابي معيط كانك
لا تدري من انت وانت علج من اهل صفورية وهي قرية على اميال
من اعمال الاردن من بلاد طبرية كان ذكوان يهوديا منها فاقبل الوليد
يروغ من علي عليه السلام فاجتذبه علي فضرب به الارض وعلاه
بالسوط فقال عثمان ليس لك ان تفعل به هذا قال بلى وشر من
هذا اذا فسق ومنع حق الله ان يؤخذ منه وولي الكوفة بعده سعيد والايام
ابن العاص فلما دخل سعيد الكوفة ابى ان يصعد المنبر الا ان يغسل
فامر بغسله وقال ان الوليد كان نجسا رجسا فلما اتصلت ايام
سعيد بالكوفة ظهرت منه امور انكرت عليه فاستبد بالاموال وقال الايام م
في بعض الايام او كتب به الى عثمان انما هذا السواد قطين لقريش فقال
له الاشتر وهو مالك بن الحارث النخعي اتجعل ما افاء الله علينا
بظلال سيوفنا ومراكز رماحنا بستانا لك ولقومك ثم خرج الى
عثمان في سبعين راكبا من اهل الكوفة فذكروا سوء سيرة سعيد
وسألوه عزله عنهم فمكث الاشتر وقومه اياما لا يخرج لهم من
عثمان في سعيد شيء وامتدت ايامهم بالمدينة وقدم على عثمان
امراؤه بالشام وغيره من الامصار منهم عبد الله بن سعد بن ابي
سرح من مصر ومعاوية من الشام وعبد الله بن عامر من البصرة وسعيد
ابن العاص من الكوفة فاقاموا بالمدينة اياما لا يردهم الى امصارهم
كراهة ان يرد سعيدا الى الكوفة وكره ان يعزله حتى كتب اليه من
بامصارهم يشكون كثرة الخراج وتعطيل الثغور فجمعهم عثمان
وقال ما ترون فقال معاوية اما انا فراض بي جندي وقال عبد الله

ابن عامر بن كريز ليكفك امرء ما قبله وقال عبد الله بن سعد بن ابي سرح
ليس بكثير عزل عامل للعامة وتولية غيره وقال سعيد بن العاص انك ان
فعلت هذا كان اهل الكوفة هم الذين يولون ويعزلون وقد صاروا حلقا
في المسجد ليس لهم شغل الا الاحاديث والخوض فجهزهم في البعوث
حتى يكون هم احدهم ان يموت على ظهر دابته قال فسمع مقالته عمرو بن
العاص فخرج الى المسجد فاذا طلحة والزبير جالسان يتحدثان
في ناحية منه فقالا له تعال الينا فصار اليهما فقالا ما وراءك قال الشر
قال ما ترك شيئا من المنكر الا امر به وجاء الاشتر فقالا له ان عاملكم الذي
قمتم فيه خطباء قد رد عليكم وامر بتجهيزكم في البعوث وبكذا وكذا
فقال الاشتر والله لقد كنا نشكو سوء سيرته وما قمنا فيه خطباء
فكيف وقد قمنا وايم الله لولا اني انفدت النفقة وانصبت الظهر
لسبقته الى الكوفة حتى امنعه دخولها فقالا له فعندنا حاجتك التي
تقوم بك في سفرك قال فاسلفاني اذا مائة الف درهم قال فاسلفه كل
واحد منهما خمسين الف درهم فقسمها بين اصحابه وخرج الى الكوفة فسبق
سعيدا وصعد المنبر وسيفه في عنقه فوضعه عنده ثم قال اما بعد
فان عاملكم الذي انكرتم عدوانه وسوء سيرته قد رد عليكم وامر بتجهيزكم
في البعوث فبايعوني على ان لا يدخلها فبايعه عشرة الاف من اهل
الكوفة على ذلك وخرج راكبا متخفيا يريد مكة او المدينة فلقي سعيدا
فواقفه فاخبره بالخبر فانصرف الى المدينة وكتب الاشتر الى عثمان انا والله
ما منعنا عاملك الدخول ليفسد عليك عملك ولكن لسوء سيرته
فينا وشدة عذابه فابعث الى عملك من احببت فكتب اليهم انظروا
كان م من كان عاملكم ايام عمر بن الخطاب فولوه عليكم وفي سنة خمس وثلاثين
كثر الطعن على عثمان وظهر عليه النكير لاشياء ذكروها من فعله منها
ما كان بينه وبين عبد الله بن مسعود وانحراف هذيل عن عثمان
من اجله ومن ذلك ما قال عمار بن ياسر من الغيظ وانحراف بني مخزوم
عن عثمان من اجله ومن ذلك ما فعل الوليد بن عقبة في مسجد
الكوفة وذلك انه بلغه عن رجل من اليهود من ساكني قرية من قرى
في المسجد م الكوفة مما يلي جسر بابل يقال له زرارة انه يعمل انواعا من السحر
والخيالات وانواع الشعوذة يعرف ببطروني فاحضره فاراه
ضربا من السحر والخيالات وهو ان اظهر له فيلا في الليل عظيما
على فرس يركض على ابسط الجامع ثم صار اليهودي ناقة تمشي
على حبل ثم اراه صورة حمار دخل من فيه وخرج من دبره ثم
ضرب عنق رجل وفرق بين جثته وراسه ثم امر بالسيف عليه

فقام الرجل وكان جماعة من الكوفة حاضرين منهم جندب بن كعب
الازدي فجعل يستعيذ بالله من الشيطان ومن عمل سعد
ابن عبد الرحمن وعلم انه ضرب من السحر والتخييل فاخترط
سيفه وضرب به عنق اليهودي ضربة اطارت راسه ناحية
وقال زاح الباطل وجاء الحق ان الباطل كان زهوقا وقد
قيل ان ذلك كان نهارا وكان جندب خرج الى السوق ودنا من
بعض الصياقلة واخذ سيفا فضرب به عنق اليهودي وقال
ان كنت صادقا فاحيي نفسك فانكر ذلك الوليد بن عقبة
عليه واراد ان يقتله به فحبسه الازد وارادوا قتله غيلة فحبسه ثم
ان السجان نظر الى قيامه ليله الى الصبح فقال له جندب يقتلني فقال
له ليس ذلك الا في مرضات الله والدفع عن ولي الله فلما اصبح الوليد
دعا به واستعد لقتله فلم يجده فسال السجان فاخبره بهربه فضرب
عنق السجان وصلبه منكسا ومن ذلك فعله بابي ذر وهو انه حضر
مجلسه ذات يوم فقال عثمان ان رايتم من زكى ماله هل فيه حق لغيره
فقال كعب لا يا امير المؤمنين فدفع ابو ذر في صدره وقال كذبت يا ابن
اليهودية ثم تلى قوله لن تنالوا البر الاية وتلى ليس البر ان تولوا وجوهكم
قبل المشرق والمغرب الاية فقال عثمن اترون باسا ان اخذ مالا
من بيت مال المسلمين فانفقه فيما ينوبنا من امورنا وبعد ذا نعطيكموه
فقال كعب لا باس بذلك فرفع ابو ذر العصا فدفع في صدره بها وقال
يا ابن اليهودي ما اجراك على القول في ديننا فقال عثمن ما اكثر اذاك لي
غيب وجهك فقد اذيتني فخرج ابو ذر الى الشام فكتب معوية الى عثمن
ان ابا ذر يجتمع اليه الجموع ولا امن ان يفسدهم عليك ويميلهم الى
الرجل فان كان لك في القوم حاجة فاحمله اليك فكتب عثمان
بحمله على بعير عليه قتب يابس معه خمسة من الصقالبة يطردون به حتى
اتوا به المدينة وقد تسلخت افخاذه وكاد يتلف فقيل له انك تموت
من ذلك فقال هيهات لن اموت حتى انفى وذكر جوامع ما نزل به بعد
ومن يتولى دفنه فاحسن اليه في داره اياما ثم ادخل على عثمان فجثى
على ركبتيه وتكلم باشياء وذكر الخبر في ولد ابي العاص اذا بلغوا
ثلاثين رجلا اتخذوا عباد الله خولا ومر في الخبر بطوله وتكلم
بكلام كثير وكان في ذلك اليوم قد اتي عثمن بتركة عبد الرحمن بن عوف
الزهري من المال كثيرا فنضدت البدر حتى حالت بينهم وبين
عثمان فلما بلغه ذلك من وصيته قال اني لارجو لعبد الرحمن خيرا
لانه كان يتصدق ويقري الضيف وترك ما ترون فقال كعب الاحبار

صدقت يا امير المؤمنين فشال ابو ذر العصا فضرب بها راس كعب ولم
يشغله ما كان فيه من الالم وقال يا ابن اليهودي تقول عن رجل مات وخلف هذا
المال كله ان الله اعطاه خير الدنيا والآخرة وتقطع على الله بذلك وانا سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما يسرني ان اموت وادع ما يزن قيراطا
فقال له عثمن واري عني وجهك فقال ابو ذر فاسير الى مكة قال لا والله قال فتمنعني
بيت ربي اعبده حتى اموت قال اي والله قال فالى الشام فقال لا والله قال
فاختر غير هذين البلدين قال لا والله لا اختار غير ما ذكرت لك ولو تركتني في دار
هجرتي ما اردت شيئا من البلدان فسيرني حيث شئت قال فاني مسيرك
الى الربذة قال الله اكبر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اخبرني بكل ذلك
قال عثمان وما قال لك قال اخبرني باني امنع من مكة والمدينة واموت
غريبا بالربذة ويتولى مواراتي نفر يردون من العراق الى الحجاز وبعث بابي
ذر الى جمل له فحمل عليه عياله وقيل ابنته وامر عثمان الناس ان يمتنعوا من تشييعه
حتى يرد الربذة فلما خرج عن المدينة ومروان يسيرهما اذ طلع عليهم علي
ابن ابي طالب عليه السلام ومعه ابناه وعقيل اخوه وابن اخيه عبد الله
ابن جعفر وعمار بن ياسر رضي الله عنهم اجمعين فاعترض مروان فقال
ان امير المؤمنين نهى ان تصحبوا ابا ذر او تشيعوه فان كنت لم
تعلم بذلك فقد اعلمتك فحمل علي عليه السلام عليه فضرب بالسوط
بين اذني راحلته وقال تنح نحاك الله الى النار ومضى مع ابي ذر
فشيعه وودعه وانصرف فلما اراد علي الانصراف بكا ابو ذر
وقال رحمكم الله اهل البيت اذا رايتك يا ابا الحسن وولدك
ذكرت بكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فشكى مروان الى عثمان
ما فعل به علي عليه السلام فقال عثمان يا معاشر المسلمين من يعذرني
من علي رد رسولي عما وجهته به والله لنعطينه حقه فلما رجع
علي عليه السلام استقبله الناس فقالوا له ان امير المؤمنين عليك
غضبان لتشييعك ابا ذر فقال علي غضب الخيل على اللجم ثم جاء
فلما كان بالعشي جاء الى عثمان فقال له ما حملك على ما صنعت بمروان
ولم اجترات علي ورددت رسولي وامري قال اما مروان فانه استقبلني
يردني فرددته عن ردي واما امرك فلم ارده فقال عثمان او لم يبلغك
اني نهيت الناس عن تشييع ابي ذر فقال له علي عليه السلام او كلما امرتنا
بشيء نرى طاعة الله في خلافه قال عثمان اقد مروان قال مما اقيده قال ضربت
بين اذني راحلته وشتمته فهو شاتمك وضارب بين اذني راحلتك قال علي
اما راحلتي فهي تلك فان اراد ان يضربها كما ضربت راحلته فليفعل واما
انا فوالله لئن شتمني لاشتمنك انت بشيء لا اكذب فيه ولا اقول الا حقا

قال عثمان ولم لا يشتمك اذا شتمته والله ما انت عندي بافضل منه
فغضب علي عليه السلام من قوله وقال الي تقول هذا القول وبمروان
تعدلني انا والله افضل منك وابي افضل من ابيك وامي والله افضل من
امك وهذه نبلي قد نثلتها فهلم فانثل نبلك فغضب عثمان واحمر
وجهه فقام ودخل وانصرف علي عليه السلام فاجتمع اليه الناس واهل
بيته ورجال من المهاجرين والانصار فلما كان من الغد واجتمع اليه الناس الى عثمان
شكى عثمان اليهم عليا فقال انه يعيبني ويظاهر من يعيبني يريد بذلك
ابا ذر وعمارا وغيرهما فدخل الناس بينهما حتى اصلحوا بينهما فقال له علي
والله ما اردت بتشييعي ابا ذر الا الله وقد كان عمار حين بويع فيه
عثمن ودخل داره ومعه بنو امية قال ابو سفيان افيكم احد من غيركم
وقد كان عمي قالوا لا قال يا بني امية تلقفوها تلقف الكرة فوالذي يحلف
به ابو سفيان ما زلت ارجوها لكم ولتصيرن الى صبيانكم وراثة فانتهى عمار
وساءه ما قال ونمي هذا القول الى المهاجرين والانصار وغير ذلك من الكلام
فقام عمار في المسجد فقال يا معشر قريش اما اذ صرفتم هذا الامر عن
اهل البيت هاهنا مرة وهاهنا مرة فما انا بامن ان ينزعه الله منكم
فيضعه كما نزعتموه من اهله ووضعتموه في غير اهله وقام المقداد
فقال ما رايت مثل ما اوذي به اهل هذا البيت بعد نبيهم فقال له
عبد الرحمن بن عوف وما انت وذاك يا مقداد بن عمرو فقال والله اني
لاحبهم بحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الحق فيهم ومعهم يا عبد الرحمن
اعجب من قريش وانما تطولهم على الناس بفضل اهل هذا البيت قد اتفق
على نزع سلطان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده من ايديهم اما وايم
الله يا عبد الرحمن لو اجد انصارا على قريش لقاتلتهم كقتالي اياهم
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وجرى بينهم من الكلام خطب طويل قد
اتينا على ذكره في كتابنا في اخبار الزمان في اخبار بدر في الشورى
والدار ولما كانت سنة خمس وثلاثين سار مالك بن الحرث
النخعي من الكوفة في مائتي رجل وحكيم بن جبلة العبدي في مائة رجل من
البصرة ومن اهل مصر ستمائة رجل عليهم عبد الله بن عديس البلوي
وقد ذكر الواقدي وغيره من اصحاب السير ممن بايع تحت الشجرة الى الخرجين
ممن كانوا بمصر مثل عمرو بن الحمق الخزاعي وسودان بن حمران التجيبي
ومعهم محمد بن ابي بكر وقد كان تكلم بمصر وحرض الناس على عثمن لامور
يطول ذكرها كان السبب فيها مروان بن الحكم فنزلوا الموضع المعروف
بذي خشب فلما علم عثمان بنزولهم بعث الى علي بن ابي طالب عليه السلام
فاحضره وساله ان يخرج اليهم ويضمن لهم عنه كل ما يريدون من العدل

وحسن السيرة فصار علي اليهم فكان بينهم خطب طويل واجابوه الى
ما اراد وانصرفوا الى مصر فلما صاروا الى الموضع المعروف بحسمى اذا هم
براكب على بعير فاملوه وهو مقبل من المدينة واذا هو وردان غلام عثمان
ففتشوه فاذا كتاب الى ابن ابي سرح صاحب مصر فيه اذا قدم عليك
الجيش فاقطع يد فلان واقتل فلانا وافعل بفلان كذا وقد احصى
اكثر من في الجيش وامر فيهم بما امر وعلم القوم ان الكتاب بخط مروان
فرجعوا الى المدينة واتفق رايهم وراي من قدم من العراق ونزلوا
المسجد وتكلموا وذكروا ما نزل بهم من عماله ورجعوا الى عثمان فحاصروه
في داره ومنعوه الماء فاشرف على الناس وقال الا احد يسقينا وقال
بماذا تستحلون قتلي وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لا يحل دم امرء مسلم الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان او زنا بعد
احصان او قتل نفس بغير نفس والله ما فعلت ذلك في جاهلية ولا اسلام
فبلغ عليا طلبه للماء فبعث اليه بثلاث قرب من الماء فما وصل ذلك اليه حتى
جرح جماعة من موالي بني هاشم وبني امية وارتفع الصوت وكثر الضجيج
واحدقوا بداره بالسلاح وطالبوه بمروان فابى ان يسلمه وفي
الناس بنو زهرة لاجل عبد الله بن مسعود لانه كان من احلافها وهذيل
لانه كان منها وبنو مخزوم واحلافها لعمار وغفار واحلافها لاجل
ابي ذر وتيم بن مرة مع محمد بن ابي بكر وغير هؤلاء ممن لا يحمل ذكره كتابنا هذا فلما
بلغ عليا انهم يريدون قتله بعث بابنيه الحسن والحسين مع مواليه
بالسلاح الى بابه لنصرته وامرهم ان يمنعوه منهم وبعث الزبير ابنه عبد الله
وبعث طلحة ابنه محمدا واكثر ابناء الصحابة ارسلهم اباؤهم اقتداء بمن
ذكرنا فصدوهم عن الدار فرمي من وصفنا بالسهام واشتبك القوم وجرح
الحسن وشج قنبر وجرح محمد بن طلحة فخشي القوم ان
يتعصب بنو هاشم وبنو امية فتركوا القوم في القتال على الباب ومضى
نفر منهم الى دار قوم من الانصار فتسوروا عليه فكان ممن وصل اليه
محمد بن ابي بكر ورجلان اخران وعند عثمان زوجته واهله ومواليه
مشاغلين بالقتال فاخذ محمد بن ابي بكر بلحيته فقال يا محمد والله
لو راك ابوك لساءه مكانك فتراخت يده وخرج عنه الى الدار ودخل
الرجلان فوجداه فقتلاه وكان المصحف بين يديه يقرا فيه فصعدت
امراته فصرخت وقالت قد قتل امير المؤمنين فدخل الحسن والحسين
ومن كان معهما من بني امية فوجدوه قد فاضت نفسه رحمة
الله عليه فبكوا فبلغ ذلك عليا وطلحة والزبير وسعدا وغيرهم من المهاجرين
والانصار فاسترجع القوم ودخل علي الدار وهو كالواله الحزين

وقال كيف قتل امير المؤمنين وانتم على الباب ولطم الحسن وضرب الحسين
وشتم محمد بن طلحة ولعن عبد الله بن الزبير فقال له طلحة لا تضرب
ولا تشتم ولا تلعن يا ابا الحسن فلو دفع مروان ما قتل وهرب مروان
وغيره من بني امية وطلبوا ليقتلوا فلم يوجدوا وقال علي لامرأته
نائلة بنت الفرافصة من قتله وانت كنت معه قالت دخل محمد بن ابي بكر
ودخل معه رجلان وقصت خبر محمد بن ابي بكر في دخوله الدار وما قال له
وما خاطبه به فاحضر محمد بن ابي بكر فلم ينكر ما قالت وقال والله لقد
دخلت عليه وانا اريد قتله فلما خاطبني بما قالت خرجت وانا
لا اعلم بشيء من قتله وكان مدة ما حوصر عثمان رضي الله عنه في
داره تسعا واربعين ليلة وقيل اكثر من ذلك وقتل ليلة الجمعة
لليلة بقيت من ذي الحجة وذكر ان احد الرجلين هو كنانة بن بشر
التجيبي ضربه بعمود على جبهته والاخر منهما سودان بن حمران
المرادي ضربه بالسيف على حبل عاتقه فحله وقد قيل ان عمرو بن
الحمق الخزاعي طعنه بسهام تسع طعنات وكان فيمن مال عليه عمير
ابن ضابئ البرجمي وخضخض سيفه في بطنه ودفن على ما وصفنا
في الموضع المعروف بحش كوكب وهذا الموضع فيه مقابر بني امية
ويعرف بفضا الخلا وصلى عليه جبير بن مطعم وحكيم بن حزام وابو جهم
ابن حذيفة والمحاصر لعثمان كان ابو ايوب الانصاري يصلي بالناس
ثم امتنع فصلى بهم سهل بن حنيف فلما كان يوم النحر صلى بهم علي
ابن ابي طالب عليه السلام وقيل ان عثمان قتل معه في الدار
من بني امية ثمانية عشر رجلا منهم مروان بن الحكم

وفي مقتله تقول زوجته نائلة بنت الفرافصة

الا ان خير الناس بعد ثلاثة / قتيل التجيبي الذي جاء من مصر
ومالي لا ابكي وتبكي قرابتي / وقد غيبوا عنا فضول ابا بكر

وقال حسان بن ثابت فيمن تخلف عن نصرته وخذله من الانصار وغيرهم ويعرض بعلي

خذلته الانصار اذ حضر الموت / وكانت ولاته الانصار
من عذيري من الزبير ومن طلحة / هاجا امرا له مقدار
فتولى محمد بن ابي بكر / عيانا وخلفه عمار

وذلك في طويل له فيه من عذر ذكرنا ويتهم الحال العالي على قتله
والرضى بما فعل به وكان حسان عثمانيا منحرفا عن علي وكان
عثمان اليه محسنا وهو المتوعد للانصار في شعره متى

لتسمعن وشيكا في ديارهم / الله اكبر يا ثارات عثمانا

وكان عثمان رضي الله عنه كثيرا ما ينشد ابياتا ويطيل ذكرها لا اعرف لغيره منها

ينجو على قبر سوء من عقبه / الخير في الذي بعده النار

وكان الوليد بن عقبة بن ابي معيط اخا عثمان لامه فسمع في الليلة الثانية
من قتل عثمان يندبه وتقول هذه الابيات

بني هاشم اني وما كان بيننا / لصدع الصفا ما يرمض الدهر عبده
بني هاشم ردوا سلاح ابن اختكم / ولا تنهبوه لا تحل مناهبه
غدرتم به كيما تكونوا مكانه / كما غدرت يوما بكسرى مرازبه

فاجاب عن هذا الشعر في زمان بني هاشم يروى انه الفضل بن العباس وهو عتبة بن ابي لهب

فلا تسالونا سيفكم ان سيفكم / اضيع والقاه لدى الروع صاحبه
سلوا اهل مصر عن سلاح ابن اختنا / فهم سلبوه سيفه وحرائبه
وكان ولي الامر بعد محمد / عليا وفي كل المواطن صاحبه
علي الذي اظهر الله دينه / وانت مع الاشقين فيمن يحاربه
وانت امرؤ من الصفوان نازح / فما لك فينا من حميم تعاتبه
وقد انزل الرحمن انك فاسق / فما لك في الاسلام سهم تطالبه

ولعثمان اخبار وسير ومناقب حسان قد اتينا على ذكرها في كتابنا في اخبار
الزمان والكتاب الاوسط ولذلك ما كان في ايامه من الكوائن والاحداث
والفتوح والحروب مع الروم وغيرهم

ذكر خلافة ابي الحسن علي بن ابي طالب عليه السلام

وبايع الناس علي بن ابي طالب في يوم قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه
فكانت خلافته الى ان استشهد عليه السلام اربع سنين وتسعة
اشهر وثمانية ايام وقيل اربع سنين وتسعة اشهر الا يوما وكانت
الحرب فيما بينه وبين معوية فيما ذكرناه من خلافته وكان مولده
في الكعبة وقيل خلافته كانت خمس سنين وثلاثة اشهر وسبع
ليال واستشهد وهو ابن ثلث وستين سنة وعاش بعد
الضربة الجمعة والسبت فتوفي في ليلة الاحد وقد قيل في مقدار
عمره اقل مما ذكرنا وقد تنوزع في موضع قبره فمنهم من
قال انه دفن بمسجد الكوفة ومنهم من قال انه حمل الى المدينة
ودفن عند قبر فاطمة عليهما السلام ومنهم من قال انه حمل في تابوت
على جمل وان الجمل تاه به ووقع الى بلاد طي وقد تكلم الوجوه عن ما ذكرنا
وقد اتينا على ذلك في كتابينا اخبار الزمان والاوسط

ذكر نسبه ولمع من اخباره وسيره رضي الله عنه

هو علي بن ابي طالب بن عبد
المطلب بن عبد مناف ويكنى ابا الحسن وامه فاطمة بنت اسد
ابن هاشم بن عبد مناف ولم يكن من عهد النبي صلى الله عليه وسلم
الى وقتنا هذا من خلافة المتقي من اسمه علي غيره وغير المكتفي بالله بن
المعتضد بالله وكان اول من ولدها هاشميان من الخلفاء وقيل انه بويع
البيعة العامة بعد قتل عثمان باربعة ايام وقد ذكرنا البيعة الاولى
فيما سلف وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب تنازع الناس

في اسم علي وابو طالب ابيه وولد ابو طالب بن عبد المطلب اربعة ذكور
وبنتان فطالب وعقيل وجعفر وعلي وفاطمة وجمانة لاب وام امهم فاطمة
بنت اسد بن هاشم وكان بين كل واحد من السنين عشرة اعوام فطالب
الاكبر وبينه وبين عقيل عشر سنين واخرج مشركوا قريش طالب بن ابي
طالب يوم بدر في حرب النبي صلى الله عليه وسلم كرها فلم يعرف له خبر
وحفظ من قوله في ذلك وفيه يقول ابياتا يذكر فيها انه كاره

يارب لما خرجوا بطالب، في معشر تلك من المقانب، فاجعلهم المغلوب غير الغالب
والرجل المسلوب غير السالب، وكان زوج فاطمة بنت ابي طالب ابا وهب
هبيرة بن عمرو بن مخزوم وخلف عليها ابناء وبنات وهاجرت ومات
زوجها بنجران مشركا وجعدة يقول القائل

اشاقتك هند ام اتاك سؤالها، كذاك النوى اسبابها وانفتالها
وارقني في راس حصن ممرد، بنجران يسري بعد نوم خيالها
فان تك قد تابعت دين محمد، وقطعت الارحام منك حبالها

وهي طويلة وكانت تكنى ام هاني وقد استعمل علي حين افضت الخلافة اليه
ابنها جعدة بن هبيرة

ابي من بني مخزوم ان كنت سائلا، ومن هاشم امي لخير قبيل
فمن ذا الذي يناى علي بخاله، وخالي علي ذو الندى وعقيل

وجمانة بنت ابي طالب كان بعلها ابا سفيان بن الحرث بن عبد
المطلب الهاشمي وهي اول هاشمية ولدت هاشميا كذلك ذكر الزبير
ابن العوام او ابن بكار في كتابه في انساب قريش واخبارها وهاجرت وماتت
في المدينة في ايام النبي صلى الله عليه وسلم وكان مصير علي عليه السلام
الى البصرة سنة ست وثلاثين وفيها كانت وقعة الجمل مع اهل البصرة وذلك
يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الاول وقتل فيها من اصحاب الجمل من اهل البصرة
وغيرهم ثلاثة عشر الف رجل وقتل من اصحاب علي عليه السلام خمسة الاف
رجل وقد تنازع الناس في مقدار ما قتل من الفريقين فمقلل ومكثر فالمقلل
يقول قتل منهم سبعة الاف والمكثر يقول عشرة الاف على حسب ميل الناس
واهوائهم الى كل فريق منهم وكانت وقعة واحدة في يوم واحد وقيل
انه كان بين خلافة علي و وقعة الجمل خمسة اشهر وعشرة ايام وبين ذلك
وبين ان دخل الى الكوفة شهر وبين ذلك وبين اول الحرب بصفين وقيل الى
سنة وستة اشهر وعشرة ايام وبين دخوله الكوفة وبين المسير مع
معاوية للقتال بصفين ستة اشهر وثلاثة عشر يوما وبين ذلك وبين اول
الحرب سنة وثلاثون سنة وثلاثة عشر يوما وقتل بصفين سبعون الفا
ومن اهل العراق خمسة وعشرون الفا وكان المقام بصفين مائة يوم وعشرة ايام

وقتل بصفين من الصحابة ممن كان مع علي خمسة وعشرون رجلا منهم عمار بن ياسر
ابو اليقظان المعروف بابن سمية وهو ابن ثلاث وتسعين سنة وكانت عدة
الوقائع بين اهل العراق واهل الشام تسعين وقعة وفي سنة ثمان وثلاثين
التقى الحكمان وهما عمرو بن العاص وابو موسى الاشعري بدومة الجندل من
ارض دمشق وقيل بدومة الجندل وهي على نحو عشرة اميال من دمشق فكان
من امرهما ما كان وما شهر وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب جوامع ما ذكرنا
وان كنا قد اتينا على مبسوط ذلك فيما سلف من كتبنا وفي هذه السنة حكمت
الخوارج وتحكمت وهم الشراة وكان ممن شهد صفين مع علي بن ابي طالب
من اصحاب بدر سبعة وثمانون رجلا منهم سبعة عشر من المهاجرين
وسبعون من الانصار وشهد ممن بايع تحت الشجرة وهي بيعة الرضوان من
المهاجرين والانصار سبعون ومن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعمائة
فكان جميع من شهد معه من الصحابة الفين وثمانمائة وفي سنة ثمان وثلاثين
كان حربه مع اهل النهروان من الخوارج وقعد عن بيعته جماعة من العثمانية لم
يروا الخروج عن الامر منهم سعد بن ابي وقاص وعبد الله بن عمر وبايع
بعد ذلك يزيد والحجاج لعبد الملك بن مروان ومنهم قدامة بن مظعون
ووهبان بن صيفي وعبد الله بن سلام والمغيرة بن شعبة الثقفي وممن
اعتزل من الانصار كعب بن مالك وحسان بن ثابت وكانا شاعرين وابو سعيد
الخدري ومحمد بن مسلمة حليف بني عبد الاشهل وزيد بن ثابت ورافع
ابن خديج والنعمان بن بشير وفضالة بن عبيد وكعب بن عجرة ومسلمة
ابن مخلد في اخرين ممن لم نذكرهم من العثمانية من الانصار وغيرهم من بني
امية وسواهم وانتزع علي املاكا كان عثمان اقطعها جماعة من الناس وقسم
ما في بيت مال المسلمين على الناس بالسوية ولم يفضل احدا على احد
وبعثت ام حبيبة بنت ابي سفيان الى اخيها معاوية بقميص عثمان مخضبا بدمه
مع النعمان بن بشير الانصاري واتصلت بيعة علي بالكوفة وغيرها
من الامصار وكانت الكوفة اسرعها اجابة الى بيعته واخذ له البيعة
على اهلها ابو موسى الاشعري حتى تكاثر الناس عليه وكان عليها عاملا
لعثمان واتاه جماعة ممن تخلف عن بيعته من بني امية منهم سعيد بن العاص
ومروان بن الحكم والوليد بن عقبة بن ابي معيط فجرى بينهم وبين
علي عليه السلام خطب طويل وقال له الوليد انا لم نتخلف عن بيعتك
رغبة عنك لكنا وترنا الناس وخفنا على نفوسنا وعذرنا فيما ورد فهو
اما انا فقتلت ابي صبرا وضربتني حدا وقال سعيد بن العاص كلاما كثيرا
وقال له الوليد واما سعيد فقتلت اباه واهنت مثواه واما مروان
فانك شتمت اباه وعبت عثمان في ضمه اباه وقد ذكر ابو مخنف لوط

ابن بحو ان حسان بن ثابت وكعب بن مالك والنعمان بن بشير قبل نفوذه
بالقميص اتوا عليا في آخرين من العثمانية فقال كعب بن مالك يا امير المؤمنين
ليس مسيئا من اعتب وخير لي ما جاء معتذرا في كلام له ثم بايع وبا بلغ
من ذكرنا جميعا وقد كان عمرو بن العاص لخروج عثمان للانحراف عنه
وتوليته مصر غيره نزل الشام فلما اتصل به امر عثمان وما كان من بيعة
علي كتب الى معوية يهزه ويشير عليه بالمطالبة بدم عثمان وكان فيما
كتب به اليه ما كنت صانعا اذا قشرت من كل شي تملكه فاصنع ما انت
صانع عند ذلك فبعث اليه معاوية فصار اليه فقال له معاوية بايعني
قال لا والله لا اعطيك من ديني حتى انال من دنياك قال سل قال تجعل
لي مصر طعمة فاجابه الى ذلك وكتب بها كتابا له فقال له عمرو بن العاص
في ذلك

معاوي لا اعطيك ديني ولم انل … به منك دنيا فانظرن كيف تصنع
فان تعطني مصرا فاربح صفقة … اخذت بها شيخا يضر وينفع

واتى المغيرة بن شعبة عليا فقال له ان لك علي حق الطاعة والنصيحة
وان الراي اليوم تحوز به ما في غد اقرر معوية على عمله واقرر ابن عامر
على عمله واقرر العمال على اعمالهم حتى اذا اتتك طاعتهم وبيعة الجنود
استبدلت او تركت قال حتى انظر فخرج من عنده وعاد اليه من الغد
فقال اني اشرت عليك بالامس براي تعقبته وانما الراي ان تعاجلهم بالنزع
فتعرف السامع من غيره وتستقبل امرك ثم خرج ابن عباس خارجا
وهو داخل فلما انتهى الى علي قال رايت المغيرة خارجا من عندك ففيم جاءك
قال جاءني بالامس بذيت وذيت وجاءني اليوم بذيت وذيت قال اما امس
فنصحك واما اليوم فغشك قال فما الراي قال كان الراي ان تخرج
حين قتل الرجل او قبل ذلك فتاتي مكة فتدخل دارك وتغلق بابك
فان كانت العرب مائلة منتظرة لك لا تجد غيرك فاما اليوم فان
بني امية سيحسنون الطلب بان يلزموك شعبة من هذا الامر ويشبهوا
فيك على الناس وقال المغيرة نصحته فلم يقبل فغششته وذكر
انه قال ما نصحته قبلها ولا انصحه بعدها قال المسعودي
ووجدت في وجه آخر من الروايات ان ابن عباس قال قدمت مكة
بعد قتل عثمان بخمسة ايام فجئت عليا ادخل عليه فقيل لي عنده المغيرة
ابن شعبة فجلست بالباب ساعة فخرج المغيرة فسلم علي وقال متى
قدمت قلت الساعة ودخلت الى علي فسلمت عليه قال لي اين لقيت
الزبير وطلحة قلت بالصفاح قال ومن معهما قلت ابو سعيد بن الحارث
ابن هشام في فتية من قريش فقال علي عليه السلام اما انهم لن يدعوا
ان يخرجوا يقولون نطلب بدم عثمان والله يعلم انهم قتلة عثمان فقلت له بلغ

وان الضياع اليوم يضيع به ما في غده

اخبرني عن شان المغيرة ولم خلا بك قال جاءني بعد مقتل عثمان بيومين
فقال لي اخلني ففعلت فقال ان النصح رخيص وانت بقية الناس وانا
لك ناصح واني اشير عليك برد عمال عثمان على عملهم هذا فاكتب اليهم
باثباتهم على اعمالهم فاذا بايعوا لك واطمان امرك غيرت من احببت واقررت
من احببت فقلت والله لا اداهن في ديني ولا اعطي الرياء في امري
قال فان كنت قد ابيت فانزع من شئت واترك معوية فان له جراة وهو
في اهل الشام مسموع منه ولك حجة في اثباته فقد كان ولاه عمر
ولاية الشام كلها فقلت له لا والله لا استعمل معوية يومين ابدا فخرج من
عندي على ما اشار به ثم عاد فقال اني اشرت عليك بما اشرت وابيت
علي فنظرت في الامر فاذا انت مصيب لا ينبغي ان تاخذ امرك بخدعة
ولا يكون لك فيه دلسة قال ابن عباس فقلت له اما اول ما اشار به
عليك فقد نصحك واما الاخر فقد غشك وانا اشير عليك بان تثبت
معوية فان بايع لك فعلي ان اقلعه من منزله فقال لا والله لا اعطيه الا
السيف وتمثل بهذا البيت

وما ميتة ان متها غير عاجز … بعار اذا ما غالت النفس غولها

فقلت يا امير المؤمنين انت رجل شجاع اما سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول الحرب خدعة قال بلى فقلت والله لئن اطعتني لاصدرن
بهم بعد ورود ولاتركنهم ينظرون في ادبار الامور ولا يدرون ما كان
وجهها في غير نقص عليك ولا اثم لك فقال يا ابن عباس لست
من هناتك ولا من هنات معوية في شي تشير علي برايي فاذا عصيتك
فاطعني فقلت فانا افعل فان ايسر ما لك عندي الطاعة

آخر الجزء الثاني ويتلوه الجزء الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر الخبر عن يوم الجمل وما كان فيه من الحرب وغير ذلك

وخرج طلحة والزبير الى مكة وقد كانا استاذنا عليا في العمرة فقال لهما
لعلكما تريدان البصرة والشام فاقسما انهما لا يقصدان غير مكة وقد
كانت عايشة بمكة وقد كان عبد الله بن عامر عامل عثمان على البصرة هرب
عنها حين اخذ البيعة لعلي بها على الناس جارية بن قدامة السعدي
ومضى عثمان بن حنيف الانصاري اليها على خراجها من قبل علي وانصرف
عن اليمن عامل عثمان وهو يعلى بن منية فاتى مكة فصادف بها عايشة وطلحة
والزبير ومروان بن الحكم في آخرين من بني امية فكان ممن حرض على الطلب بدم

عثمان فاعطى عايشه وطلحه والزبير اربعمايه الف درهم وكراعًا
وسلاحا وبعث الى عايشه بالجمل المسمى عسكر وكان شراه عليه من
اليمن بمايتي درهم فارادوا الشام فصدهم ابن عامر وقال ان معويه
لا ينقاد اليكم ولا يطيعكم من نفسه الطنه ولكن هذه البصره لي
بها ضنايع وعدد فجهزهم بالف الف درهم ومايه من الابل
وغير ذلك وسار القوم نحو البصره في ستمايه راكب فانتهوا في
الليل الى ما لبني كلاب يعرف بالحوب عليه اناس من بني كلاب فعوت
كلابهم على الركب فقالت عايشه ما اسم هذا الموضع فقال لها
السايق لجملها هذا الحوب فاسترجعت وذكرت ما قال لها في ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت ردوني الى حرم رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا حاجه لي في المسير فقال الزبير بالله ما هو الحوب ولقد
غلط فيما اخبرك وكان طلحه في ساقه الناس فلحقهما فاقسما ان
ذلك ليس بالحوب وشهد معهما خمسون رجلا ممن كان معهم فكان
ذلك اول شهاده زور اقيمت في الاسلام فاتوا البصره فخرج اليهم عثمان
ابن حنيف فمانعهم وجرى بينهم قتال ثم انهم اصطلحوا
بعد ذلك على كف الحرب الى قدوم علي فلما كان في بعض الليالي
بيتوا عثمان فاسروه وشفوا لحيته ثم ان القوم استرجعوا
وخافوا على انفسهم بالمدينه من اخيه سهل بن حنيف وغيره
من الانصار فخلوا عنه فارادوا بيت المال فمانعهم الخزان والموكلون
بروهم السيابجه فقتل منهم سبعون رجلا غير من جرح خمسون
من السبعين ضربت اعناقهم صبرا من بعد الاسر وهولاء اول من
قتل في الاسلام ظلما وصبرا وقتلوا حكيم بن جبله العبدي
وكان من سادات عبد القيس وزهاد ربيعه ونساكها
وتشاح طلحه والزبير في الصلاه بالناس ثم اتفقوا ان يصلي عبد الله
ابن الزبير يوما ومحمد بن طلحه يوما في خطب طويل كان من طلحه والزبير
الى ان اتفقا على ما وصفنا وسار علي من المدينه بعد اربعه اشهر وقيل
عدد ذلك في تسع مايه راكب منهم اربعمايه من المهاجرين والانصار
ومنهم سبعون بدريا وباقيهم من الصحابه وقد كان استخلف
على المدينه سهل بن حنيف الانصاري فانتهى الى الربذه
من الكوفه ومكه من طريق الجاده وفاته طلحه والزبير واصحابه
وقد كان علي اراد منعهم فانصرف حين فاتوه الى العراق في طلبهم فلحق
بعلي من اهل المدينه جماعه من الانصار فيهم خزيمه بن ثابت ذو الشهادتين
واتاه من طي ستمايه راكب وكاتب علي من الربذه ابا موسى الاشعري

ليستنفر الناس فثبطهم ابو موسى الاشعري وقال انما هي فتنه ونمي
ذلك الى علي عليه السلام فولى علي الكوفه قرظه بن كعب الانصاري
وكتب الى ابي موسى الاشعري اعتزل عملنا يا ابن الحايك مذموما
مدحورا فما هذا اول يومنا منك وان لك فينا لهنات وهنات
وسار علي فيمن معه حتى نزل بذي قار وبعث بابنه الحسن وعمار
الى الكوفه يستنفران الناس فسار اليه منها ومعهما من اهل المدينه والكوفه
نحو من سبعه الاف وقيل ستة الاف وخمسمايه وستين رجلا
فيهم الاشتر فانتهى علي الى البصره وارسل الى القوم وناشدهم
فابوا الا قتاله وذكر عن المنذر بن الجارود فيما حدث به ابو خليفه
الفضل بن الحباب الجمحي عن ابن عايشه عن المنذر بن الجارود انه
لما قدم علي البصره دخل مما يلي الطف فاتى الزاويه فخرجت انظر
اليه فورد في موكب نحو الف فارس يتقدمهم فارس على فرس
اشهب عليه قلنسوه وثياب بيض متقلدا سيفا معه رايه واذا
تيجان القوم الاغلب عليها البياض والصفره مدججين في
الحديد والسلاح فقلت من هذا فقيل لي هذا ابو ايوب الانصاري
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهولاء اصحابه رضوان الله
عليهم ثم تلاه فارس اخر عليه عمامه صفرا وثياب بيض متقلدا
سيفا متنكبا قوسا معه رايه على فرس اشقر في نحو الف فارس فقلت
من هذا فقيل لي هذا خزيمه بن ثابت الانصاري ذو الشهادتين
ثم مر بنا فارس اخر على فرس كميت متعمم بعمامه صفرا من تحتها قلنسوه
بيضاء وعليه قباء ابيض مصقول متقلدا سيفا متنكبا قوسا في نحو
الف فارس من الناس ومعه رايه فقلت من هذا فقيل ابو قتاده بن
ربعي ثم مر بنا فارس اخر على فرس اشهب عليه ثياب بيض وعمامه سودا
قد سدلها من بين يديه ومن خلفه شديد الادمه عليه سكينه ووقار
رافع صوته بالقران متقلدا سيفا متنكبا قوسا معه رايه بيضاء
في الف فارس من الناس مختلفي التيجان حوله مشيخه وكهول
وشبان كانما قد اوقفوا للحساب اثر السجود في وجوههم
فقلت من هذا فقيل عمار بن ياسر في عده من الصحابه من المهاجرين
والانصار وابنائهم ثم مر بنا فارس على فرس اشقر عليه ثياب بيض
وقلنسوه حمرا وعمامه بيضاء متنكب قوسا متقلد سيفا
تخط رجلاه الارض في الف فارس من الناس قلت من هذا قيل
قيس بن سعد بن عباده الانصاري في عده من الانصار وابنائهم
وغيرهم من قحطان ثم مر بنا فارس على فرس اشقر ما راينا احسن منه

عليه ثياب بيض وعمامة سودا قد سدلها بين يديه ومن خلفه
بيده لوا فقلت من هذا قال عبد الله بن عباس في ذوي لدة وعدة
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تلاه موكب اخر فيه
فارس على فرس اشهب اشبه الناس بالاولين فقلت من
هذا فقيل هذا القثم بن العباس ثم تلاه موكب اخر فيه فارس
اشبه الناس بالاولين فقلت من هذا فقيل هذا القثم بن عباس
او معبد بن عباس ثم اقبلت المواكب والرايات يقدم بعضهم
بعضا واشتبكت الرماح ثم ورد موكب فيه خلق من الناس عليهم
السلاح والحديد مختلفوا الرايات في اوله راية عظيمة من
تحتها فارس كانه قد كسر وجبر قال ابن عباس وهذه صفة
رجل شديد الساعدين نظره الى الارض اكثر من نظره الى فوق
كذلك تخبر العرب في وصفها اذا اخبرت عن الرجل انه كسر وجبر
كانما على رؤوسهم الطير وعن يمينه شاب حسن الوجه وعن
شماله شاب حسن الوجه وبين يديه شاب مثلهما فقلت من هولاء
فقيل اما هذا فعلي بن ابي طالب واما هذان الحسن والحسين عن
يمينه وشماله وهذا محمد بن الحنفية بين يديه معه الراية العظمى
وهذا خلفه عبد الله بن جعفر بن ابي طالب وهولا ولد عقيل وغيرهم من
فتيان بني هاشم وهولاء المشايخ هم اهل بدر من المهاجرين
والانصار فسار حتى نزل بالموضع المعروف بالزاوية فصلى اربع
ركعات وعفر خديه في التراب وقد خالط ذلك بدموعه
وقد رفع يديه الى السما يدعو ويقول اللهم رب السماوات
السبع وما اظلت والارضين وما اقلت ورب العرش العظيم هذه
البصرة اسالك من خيرها واعوذ بك من شرها اللهم انزلنا فيها خير منزل
وانت خير المنزلين اللهم ان هولاء القوم قد بغوا علي وخلعوا طاعتي
ونكثوا بيعتي اللهم احقن دماء المسلمين ثم بعث اليهم من يناشدهم
الله في الدماء وقال بم تقاتلوني فابوا الا الحرب فبعث رجلا
من اصحابه يقال له مسلم معه مصحف يدعوهم الى الله فرموه بسهم
فقتلوه فحمل الى علي قتيلا فقالت امه في ذلك شعر
يا رب ان مسلما اتاهم يتلو كتاب الله لا يخشاهم
فخضبوا من دمه لحاهم وامه قائمة تراهم
وامر علي اصحابه ان يصافوهم ولا يبدوهم بقتال ولا يرموهم بسهم
ولا يضربوهم بسيف ولا يطعنوهم برمح حتى جاء عبد الله بن بديل
ابن ورقا الخزاعي من الميمنة باخ له مقتول وجاء قوم من الميسرة
برجل قد رمي بسهم فقتل فقال علي اللهم اشهد ان القوم غدروني ثم قام

عمار بن ياسر بين الصفين فقال ايها الناس ما انصفتم نبيكم حين
كففتم عقايلكم في الخدور وابرزتم عقيلته للسيوف وعايشة في
هودج من دفوف الخشب قد البسوه المسوح وجلود البقر وجعلوا
دونه اللبود وقد غشي على ذلك بالدروع فدنا عمار بن ياسر من
موضعها فناداها الى ماذا تدعين قالت الى الطلب بدم عثمان فقال قاتل
الله في هذا اليوم الباغي والطالب بغير الحق ثم قال ايها الناس
انكم لتعلمون اينا الممالي بقتل عثمان ثم انشا يقول وقد رشقوه بالنبل
فمنك البكاء ومنك العويل ومنك الرياح ومنك المطر
وانت امرت بقتل الامام وقاتله عندنا من امر
وتواتر عليه الرمي واتصل فحرك فرسه وزال عن موضعه واتى عليا
عليه السلام فقال ما تنتظر يا امير المومنين وليس لك عندهم الا الحرب
وقام في الناس خطيبا رافعا صوته ايها الناس اذا هزمتموهم
فلا تجهزوا على جريح ولا تقتلوا اسيرا ولا تتبعوا موليا ولا تطلبوا
مدبرا ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل ولا تهتكوا سترا ولا
تقربوا شيا من اموالهم الا ما تجدونه في عسكرهم من سلاح او كراع
او عبد او امة وما سوى ذلك فهو ميراث لورثتهم على كتاب الله ثم خرج
علي بنفسه حاسرا على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى
يا زبير اخرج الي فخرج اليه الزبير شاكا في سلاحه فقيل ذلك
لعايشة فقالت واحرباه يا اسماء فقيل لها ان عليا حاسر فاطمانت
واعتنق كل واحد منهما بصاحبه فقال له علي ويحك يا زبير ما الذي
اخرجك قال دم عثمان فقال قتل الله اولانا بدم عثمان اما
تذكر يوم لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك الي واتبعه
فقلت انت يا رسول الله ما يدع علي زهوه فقال لك ليس به
زهو لتحبه يا زبير فقلت اي والله اني لاحبه فقال انك ستقاتله
وانت ظالم له فقال الزبير استغفر الله لو ذكرتها ما خرجت فكيف
ارجع الان وقد التقت حلقة البطان هذا والله العار الذي
لا يغسل ابدا فقال يا زبير ارجع بالعار قبل ان تجمع العار والنار
فرجع الزبير وهو ينشد هذه الابيات
اخترت عارا على نار موججة اني يقوم لها خلق من الطين
نادى علي بامر لست اجهله عار لعمرك في الدنيا وفي الدين
فقلت حسبك في الدنيا الى حسن فبعض هذا الذي قد قلت يكفيني
فقال له ابنه عبد الله اين تذهب وتدعنا قال ذكرني ابو الحسن امرا قد كنت
نسيته فقال لا ولكن فررت من سيوف بني هاشم فانها طوال حداد

تحملها فتية انجاد قال لا والله ذكرت امرا انسانيه الدهر فلا خاير
العار على انها راما الحين تعيرني لا ابالك ثم قلع سنان رمحه وشد
في ميمنة عسكر امير المومنين فقال علي عليه السلام افرجوا له فانه مهيج
ثم رجع فشد على الميسرة ثم رجع فشد في القلب ثم عاد الى ابنه
فقال ايفعل هذا جبان ثم مضى منصرفا حتى اتى وادي السباع
والاحنف بن قيس معتزل في قومه من بني تميم فاتاه رجل فقال له هذا
الزبير مار فقال ما اصنع بالزبير وقد جمع فيئتين عظيمتين
يقتل بعضهم بعضا وهو مار الى منزله سالما فلحقه عمرو بن جرموز
اليه ابن جرموز وقد نزل للصلوة فقتله غدرا في الصلاة وقتل
الزبير وله خمس وسبعون سنة وقد قيل ان الاحنف بن قيس
قتله بارسال من ارسله من قومه وقد رثاه الشعراء وذكرت غدر
ابن جرموز له وممن رثاه زوجته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل اخت
سعيد بن زيد فقالت

غدر ابن جرموز بفارس بهمة يوم اللقاء وكان غير معرد

يا عمرو لو نبهته لوجدته لا طائشا رعش الجنان ولا اليد

وهي ابيات واتى عمرو الى علي بسيفه وخاتمه وراسه وقيل انه
لم يات براسه فقال علي عليه السلام سيف طال ما جلا الكرب عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم لكنه الحين الحين ومصارع السوء وقاتل
ابن صفية في النار ففي ذلك يقول عمرو بن جرموز التميمي من ابيات

اتيت عليا براس الزبير وقد كنت ارجو به الزلفه
فبشر بالنار قبل العيان فبئس بشارة ذي التحفه
لسيان عندي قتل الزبير وضرطة عير بذي الجحفه

ونادى علي عليه السلام طلحة حين رجع الزبير ابا محمد ما الذي اخرجك
قال الطلب بدم عثمان قال علي قتل الله اولانا بدم عثمان اما سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم وال من والاه وعاد من عاداه
وانت اول من بايعني ثم نكثت وقد قال الله عز وجل فمن نكث فانما ينكث
على نفسه قال استغفر الله ثم رجع فقال مروان بن الحكم رجع الزبير
ويرجع طلحة ما ابالي رميت هاهنا ام هاهنا فرماه في اكحله
فقتله فمر به علي عليه السلام بعد الوقعة وهو مقتول في موضع
فنظر اليه فوقف عليه وقال انا لله وانا اليه راجعون والله لقد
كنت اكره ان ارى قريشا صرعى تحت بطون الكواكب

انت والله كما قال الشاعر

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه اذا هو ما استغنى ويبعده الفقر
كان الثريا علقت في جبينه وفي خده الشعرى وفي وجهه البدر

وقيل لما ولى طلحة سمعه وهو معاتب لنفسه في هذا الشعر

ندامة ما ندمت وضل حلمي فلهفي ثم لهف ابي وامي
ندمت ندامة الكسعي لما طلبت رضى بني جرم بزعمي

وهو يمسح من وجهه الغبار وهو يقول هذه الابيات وقال عليه
السلام وكان امر الله قدرا مقدورا وقيل انه سمع وهو يقول
هذا الشعر وقد جرح في جبهته ورماه مروان في الحلة وقد
وقع صريعا يجود بنفسه وهو طلحة بن عبيد الله بن عثمان
ابن عبيد الله بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة وهو ابن عم ابي
بكر الصديق رضي الله عنهما ويكنى ابو محمد وامه صفية وكانت
تحت ابي سفيان صخر بن حرب كذلك ذكر الزبير بن بكار في كتابه في
انساب قريش وقتل وهو ابن اربع وستين سنة وقيل غير ذلك
ودفن بالبصرة وقبره ومسجده بها مشهوران الى هذه الغاية وقبر
الزبير بوادي السباع وقتل محمد بن طلحة في ذلك اليوم مع ابيه ومر
به علي فقال هذا رجل قتله بره بابيه وطاعته له وكان يدعى بالسجاد
وقد تنوزع في كنيته فقال الواقدي يكنى بابي سليمان وقال الهيثم بن
عدي يكنى بابي القاسم وفيه يقول قاتله

واشعث قوام بايات ربه قليل الاذى فيما ترى العين مسلم
شككت له بالرمح جيب قميصه فخر صريعا لليدين وللفم
على غير شي غير ان ليس تابعا عليا ومن لا يتبع الحق يندم
يذكرني حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم

وقد كان اهل الجمل حملوا على ميمنة علي وميسرته فكشفوها
فاتاه بعض ولد عقيل وعلي عليه السلام يخفق نعاسا فقال
اسلت يا ابن اخي لن يعمك يوم لا يعدوه والله ما يبالي عمك وقع
على الموت او الموت وقع عليه ثم بعث الى ولده محمد بن الحنفية وكان
صاحب رايته احمل على القوم فابطا محمد بحملته وكان بازايه
قوم من الرماة ينتظر نفاد سهامهم فاتاه علي عليه السلام فقال هلا
حملت فقال له ما اجد متقدما الا على سنان وانى لمنتظر نفاد
سهامهم فقال له احمل بين الاسنة فان للموت عليك جنة فحمل محمد
ابن الحنفية فشك بالرماح والنشاب فاتاه علي فضربه بقائم
سيفه وقال له ادركك عرق من امك واخذ الراية منه فحمل
وحمل الناس معه فما كان القوم الا كرماد اشتدت به الرياح
فطار في يوم عاصف فاطافت بنو امية وكانهم الى لبون
قال فما رئي فضل من القوم ولواذهم بالجمل الذي عليه عايشه

واقبل على امير المومنين اليهم وهم يرتجزون بالاشعار فمن قول بعضهم

نحن بنو امية اصحاب الجمل ... ردوا علينا شيخنا ثم بجل
عثمان نردوه باطراف الاسل ... الموت احلى عندنا من العسل

قال وقطع على خطام الجمل سبعون يدا من بني امية فيهم كعب بن سور القاضي متقلدا مصحفا كلما قطعت يد امرئ منهم فصرع قام اخر فاخذ الخطام وقال انا الغلام الضبي ورمي الهودج بالنشاب حتى صار كانه قنفذ وعرقب الجمل وهو لا يقع وقد قطعت اعضاؤه واخذته السيوف حتى سقط الى الارض ويقال ان عبد الله بن الزبير قبض على خطام الجمل فصرخت عايشة وكانت خالته واثكل اسماء خل الخطام وناشدته فخلى عنه ولما سقط الجمل ووقع جاء محمد بن ابي بكر فادخل يده فقالت من انت قال اقرب الناس منك قرابة وابغضهم اليك اليوم انا اخوك محمد يقول لك امير المومنين هل اصابك شي فقالت ما اصابني الا سهم لم يضرني شيا فجاء علي عليه السلام حتى وقف عليها فضرب الهودج بقضيب وقال يا حميرا رسول الله صلى الله عليه وسلم امرك بهذا الم يامرك ان تقري في بيتك والله ما انصفك الذين اخرجوك اذ صانوا حلايلهم وابرزوك وامر اخاها فانزلها دار صفية بنت الحرث بن طلحة بن ابي طلحة العبدي وهي ام طلحة الطلحات ووقع الهودج من على الجمل والناس متفرقون في المواضع يقتلون ثم تضعضع السلاح والتقا الاشتر بن مالك النخعي وعبد الله بن الزبير فاعتركا وسقطا الى الارض عن فرسيهما وطال اعتراكهما على وجه الارض فعلاه الاشتر ولم يجد سبيلا الى قتله لشدة اضطرابه من تحته والناس حولهما يجولون من اصحاب الجمل وعبد الله بن الزبير ينادي من تحته اقتلوني واقتلوا مالكا معي فلا يسمعه احد لشدة الجلاد ووقع الحديد على الحديد ولا يراهما راي لشدة النقع وترادف العجاج وجاء ذو الشهادتين خزيمة بن ثابت الى علي عليه السلام فقال يا امير المومنين لا تنكس اليوم راس محمد واردد الراية اليه فدعا به ورد الراية اليه وقال

اطعن بها طعن ابيك تحمد ... لا خير في الحرب اذا لم توقد
بالمشرفي والقنا المسدد

ثم استسقى فاتي بعسل وماء فحسا منه حسوة وقال هذا الطايفي وهو غريب بهذا البلد فقال له عبد الله بن جعفر اما يشغلك ما نحن فيه عن علم هذا فقال له انه والله يا بني ما ملا صدر عمك شي قط

من امور الدنيا ثم دخل البصرة وكانت الوقعة في الموضع المعروف بالخريبة يوم الخميس لعشر خلون من جمادي الاخرة سنة ست وثلاثين على حسب ما قدمنا انفا من التاريخ وخطب الناس بالبصرة خطبة طويلة التي يقول فيها يا اهل المؤتفكة ائتفكت باهلها من الدهر ثلاثا وعلى الله تمام الرابعة يا جند المراة واتباع البهيمة رغا فاجبتم وعقر فانهزمتم اخلاقكم دقاق واعمالكم رقاق ودينكم زيغ وشقاق وماؤكم اجاج زعاق وقدم علي البصرة بعد هذا الموقف مرارا كثيرة وبعث بعبد الله بن عباس الى عايشة يامرها بالخروج الى المدينة فدخل عليها بغير اذنها واجتذب وسادة فجلس عليها فقالت يا ابن عباس اخطات السنة المامور بها دخلت علينا بغير اذننا وجلست على رحلنا بغير امرنا فقال لها لو كنت في البيت الذي خلفك فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دخلناه الا باذنك ولا اجلسنا على رحلك الا بامرك ان امير المومنين يامرك بسرعة الاوبة والتاهب للخروج الى المدينة وجهزها علي عليه السلام واتاها في اليوم التالي فدخل عليها ومعه الحسن والحسين وباقي اولاده واولاد اخوته وفتيان اهله من بني هاشم وغيرهم من شيعته من همدان فلما بصرت به النسوان صحن في وجهه وقلن يا قاتل الاحبة فقال لو كنت قاتل الاحبة لقتلت من في هذا البيت واشار الى بيت من تلك البيوت قد اختفى فيه مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير وعامر وغيرهم فضرب من كان معه الى قوائم السيوف لما علموا من في البيت مخافة ان يخرجوا فيغتالوه فقالت له عايشة بعد خطب طويل كان بينهما الحاجب ان اقيم معك فاسير الى قتال عدوك عند مسيرك فقال لها ارجعي الى البيت الذي تركك فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالته ان يومن ابن اختها عبد الله بن الزبير فامنه وتكلم الحسن والحسين في مروان فامنه وامن الوليد بن عقبة وولد عثمان وغيرهم من بني امية وامن الناس جميعا وقد كان نادى يوم الوقعة من القى سلاحه فهو امن ومن دخل داره فهو امن واشتد حزن علي على من قتل من ربيعة قبل وروده البصرة وهم الذين قتلهم طلحة والزبير من عبد القيس وغيرهم من ربيعة [illegible] قتل زيد بن صوحان العبدي قتله في ذلك اليوم عمرو بن يثربي وهو الذي قتل عمار بن ياسر عمرو بن يثربي في ذلك اليوم ايضا فكان يكثر قوله

يا لهف نفسي على ربيعة ... ربيعة السامعة المطيعة

وخرجت امراة من عبد القيس تطوف في القتلى فوجدت ابنين لها قد قتلا وكان قد قتل زوجها واخوان لها فيمن قتل قبل مجي علي الى البصرة فانشات تقول

شهدت الحروب فشيبنني ... ولم ار يوما كيوم الجمل
اضر على امة فتنة ... وقاتله من شجاع بطل
فليت الظعينة في بيتها ... وليتك عسكر لم ترتحل

وقد ذكر المدايني انه راي بالبصرة رجلا مصطلم الاذنين فسال
عن قصته فذكر انه خرج يوم الجمل ينظر الى القتلى فنظر الى رجل
يخفض راسه ويقول شعر بلغ

لقد اوردتنا حومة الموت امنا فلم ننصرف الا ونحن رواء
اطعنا بني تيم لشقوة جدنا وما تيم الا اعبد واماء

فقلت سبحان الله اتقول هذا عند الموت قل لا اله الا الله محمد
رسول الله فقال يا ابن اللخناء اياي تامر بالجزع عند الموت فوليت
عنه متعجبا منه فصاح ادن مني ولقني الشهادة فصرت اليه فلما قربت
منه استدناني ثم التقم اذني فذهب بها فجعلت العنه وادعو
عليه فقال اذا صرت الى امك فقالت لك من فعل بك هذا فقل عمير
ابن الاهيب الضبي مخدع المراة التي ارادت ان تكون امير المومنين
وخرجت عايشة من البصرة وقد بعث معها علي باخيها عبد الرحمن
وثلثين رجلا وعشرين امراة من ذوات الدين من عبد القيس وهمدان
وغيرها البسهن العمايم وقلدهن السيوف وقال لهن لا تعلمن عايشة انكن
نسوة وتلثمن كانكن رجال وكن اللاتي يلين حملها وخدمتها فلما
اتت المدينة قيل لها كيف رايت مسيرك قالت كنت بخير والله
لقد اعطى علي ابن ابي طالب فاكثر ولكنه بعث معي رجالا انكرتهم فعر فها
النسوة امرهن فسجدت وقالت ما ازددت والله يا ابن ابي طالب
الا كرما ووددت اني لم اخرج هذا المخرج وان اصابتني كيت وكيت
من امور ذكرتها شاقة وانما قيل لي تخرجين فتصلحين بين الناس
فكان ما كان وقد قدمنا فيما سلف من هذا الباب ان الذي قتل
من اصحاب علي في ذلك خمسة الف نفس ومن اصحاب الجمل من اهل البصرة
وغيرهم ثلاثة عشر الفا وقيل غير ذلك ووقف علي على عبد الرحمن
ابن عتاب بن اسيد بن ابي العيص بن امية وهو قتيل يوم الجمل فقال
لهفي عليك يعسوب قريش قتلت الغطاريف من بني عبد مناف
فقال له رجل ما اشد حزنك عليهم يا امير المومنين وقد ارادوا
بك ما نزل بهم فقال انه قامت عني وعنهم نسوة لم يقمن عنك
وقد كان قتله الاشتر النخعي فاصيب كفه [illegible] وقيل باليمامة
العقاب وعليها خاتم نقشه عبد الرحمن بن عتاب وكان
اليوم الذي وجد فيه الكف بعد يوم الجمل بثلاثة ايام ودخل علي
بيت المال في جماعة من المهاجرين والانصار فنظر الى ما فيه من العين
والورق فجعل يقول يا صفرا ويا بيضا غري غيري وادام النظر
الى المال مفكرا ثم قال اقسموه بين اصحابي ومن معي خمسماية خمسماية

ففعلوا فما نقص درهما وعدد الرجال اثني عشر الفا وقبض ما
كان في عسكرهم من سلاح ودابة ومتاع والة وغير ذلك فباعه وقسمه
بين اصحابه بالسوية واخذ لنفسه كما اخذ لكل واحد من اصحابه واهله
وولده خمسماية درهم فاتاه رجل من اصحابه فقال يا امير المومنين اني
لم احضر وخلفني كذا وكذا من العذر فاعطاه الخمسماية دينار فاتاه
رجل ايضا من اصحابه فقال يا امير المومنين اني لم احضر وخلفني عن
الحضور اهلي اذ لم يكن لهم كافل غيري قال والله لو تحي سيي ما منعتك
هو وقيل لابي لبيد الجهضمي من الازد اتحب عليا قال وكيف احب
رجلا قتل من قومي في بعض يوم الفين وخمسماية وقتل من الناس حتى
لم يكن احد من الناس يعزي احدا واشتغل اهل كل بيت بمن لهم وولي
على البصرة عبد الله بن عباس وسار الى الكوفة فكان دخوله اليها
لاثنتي عشرة ليلة مضت من رجب وبعث الى الاشعث بن قيس
فعزله عن اذربيجان وارمينية وكان عاملا لعثمن عليها وصر ف
عن همدان جرير بن عبد الله البجلي وكان عاملا لعثمن عليها فكا ن
في نفس الاشعث على ما ذكرنا من القول وما خاطبه به منذ قدم
عليه السلام فلما انقطع هنالك من الاحوال وجه بجرير بن عبد الله
البجلي الى معوية وكان الاشتر حذره من ذلك وخوفه من خبره وقال
لعلي ابعثني اليه فاني لم ار له مستصحبا ومودة قرابة فادعوه
الى ان يسلم اليك هذا الامر وادعو اهل الشام الى طاعتك فقال الاشتر
لا تبعثه ولا تصدقه فوالله اني لا اظنه الا ان هواه هواهم ونيته
نيتهم فقال علي عليه السلام دعه حتى ننظر ما يرجع الينا به فبعث
به وكتب الى معوية يعلمه بما يعد المهاجرين والانصار اياه واجتما عهم
عليه ونكث الزبير وطلحة وما اوقع الله بهما ويامره بالدخول في
طاعته ويعلمه انه من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة فلما قدم
عليه جرير دافعه وساله وكاتب عمرو بن العاصي على ما قد بينا فقدم
عليه فاعطاه مصر طعمة على ما وصفنا في هذا الباب فاشار عليه عمرو
بالبعث الى وجوه الشام وان يلزم عليا بدم عثمان ويقاتله
فقدم جرير على امير المومنين فاخبره خبرهم واجتماع اهل الشام
مع معوية على قتاله وانهم يبكون على عثمان ويقولون ان عليا قتله
واوى قتلته ومنع منهم وانهم لا بد لهم من قتاله حتى يفنيهم عن
اخرهم او يفنيهم فقال الاشتر قد كنت اخبرتك يا امير المومنين
بعداوته وغشه ولو بعثتني كنت خيرا من هذا الذي ارخى
جناحه واقام حتى لم يدع بابا يرجو فتحه الا فتحه ولا بابا يخاف

غلقه الا اغلقه فقال جرير لو كنت ثم لقتلوك لقد ذكروا انك من قتله
عثمان قال الاشتر والله لو اتيتهم يا جرير لم يعيني جوابهم ولا ثقل
علي خطابهم ولحملت معاويه علي خطه اعجلته فيها عن الفكر
ولو اطاعني امير المومنين لحبسك واشباهك في محبس لم تخرجوا
منه حتي يستقيم هذا الامر فخرج جرير عند ذلك الي بلاد قرقيسيا
والرحبه من شاطي الفرات وكتب الي معاويه يعلمه بما نزل به وانه
احب مجاورته والمقام في داره فكتب اليه معاويه يامره بالمصير
اليه وبعث معاويه الي المغيره بن شعبه الثقفي بعد منصرف علي من
الجمل وقبل منصرفه الي صفين بكتاب يقول فيه قد ظهر من راي علي
ابن ابي طالب ما كان تقدم من وعده لك في طلحه والزبير فما الذي
بقي من رايه فيك وذلك ان المغيره بن شعبه لما ان قتل عثمان وبايع الناس
عليا دخل عليه المغيره فقال يا امير المومنين ان لك عندي نصيحه
قال وما هي قال ان اردت ان يستقيم لك الامر فاستعمل طلحه بن عبيد الله
علي الكوفه والزبير بن العوام علي البصره وابعث الي معويه بعهده علي
الشام حتي يلزمهم طاعتك فاذا استقرت لك الخلافه فادرها كيف رايك
فقال اما طلحه والزبير فساري رايي فيهما واما معويه فلا والله
لا يراني ولا اراه ولا استعين به ما دام علي حاله ابدا ولكني ادعوه
الي ما عرفته فان اجاب والا حاكمته الي الله ورسوله فانصرف المغيره
مغضبا وهو يقول

نصحت عليا في ابن هند مقاله   فردت فلم يسمع لها الدهر ثانيه
وقلت له ارسل اليه بعهده   علي الشام حتي يستقر معاويه
ويعلم اهل الشام ان قد ملكته   واما ابن هند عند ذلك هاديه
فتحكم فيه ما تراه فانه   لداهيه فارفق به راي داهيه
فلم يقبل النصح الذي جيته به   وكانت له تلك النصيحه كافيه

قال المسعودي قد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب ما كان
من المغيره مع علي عليه السلام وما اشار به وهذا الحد الوجه المرويه
في ذلك فقصدنا جوامع ما يحتاج اليه من اخبار يوم الجمل وما
كان فيه دون الاكثار والتطويل وترداد الاسانيد والله ولي التوفيق
والتسديد لا شريك له

ذكر جوامع ما كان بين اهل العراق والشام

قال المسعودي قد ذكرنا جملا وجوامع من اخبار امير المومنين بالبصره
وما كان من يوم الجمل فلنذكر الان جوامع من مسيره الي صفين وما كان
فيها من الحروب ثم نعقب ذلك بشان الحكمين والتحكيم وحرب النهروان
وما كان من مقتله عليه السلام كان مسير علي من الكوفه الي صفين لخمس

220
خلون من شهر شوال سنه ست وثلاثين واستخلف علي الكوفه ابا مسعود
عقبه بن عمرو الانصاري فاجتاز في مسيره الي المداين ثم الي الانبار
ثم سار حتي نزل الرقه فعقد له هناك الجسر فعبر الي جانب
الشام وقد تنوزع في مقدار من كان معه من الجيش فمن مكثر ومقلل
والمتفق عليه من قول الجميع تسعون الفا وقال رجل من اصحاب
علي عليه السلام لما استعد وعبر الي الشام من ابيات لم ينسبها

معاويه اثبت قد اتاك الحافل   تسعون الفا كلهم مقاتل

وسار معاويه من الشام وقد تنوزع في مقدار من كان معه ايضا
فمن مكثر ومقلل والمتفق عليه من قول الجميع خمسه وثمانون الفا
فسبق عليا الي صفين وعسكر في موضع سهل افيح اختاره عند
قدومه علي شريعه لم يكن علي الفرات في ذلك الموضع اسهل منها
للوارد الي الماء وما عداها اجراف عاليه ومواضع الي الماء وعره
ووكل ابو الاعور السلمي بالشريعه في اربعين الفا وكان علي مقدمته
وبات علي عليه السلام وجيشه في البر عطاشا قد
حيل بينهم وبين الورود فقال عمرو بن العاص لمعاويه ان عليا
لا يموت عطشا هو وتسعون الفا من اهل العراق ومعهم
سيوفهم علي عواتقهم ولكن دعهم يشربون ونشرب فقال معاويه
لا والله او يموتوا عطشا كما مات عثمان عطشا وخرج علي في
عسكره في حال الليل فسمع قائلا يقول شعر

ايمنعنا القوم ماء الفرات   وفينا علي وفينا الهدي
وفينا الصلاه وفينا الصيام   وفينا المناجي تحت الدجي

ثم رمي اخر بكتاب ببيت وهو يقول

ايمنعنا القوم ماء الفرات   وفينا الرماح وفينا الجحف
وفينا علي له سوره   اذا خوفوه الردي لم يخف
ونحن غداه لقينا الزبير   وطلحه خضنا غمار التلف
فما بالنا امس اسد العرين   وما بالنا اليوم شاء النجف

والقي في فسطاط الاشعث بن قيس رقعه فيها مكتوب هذان البيتان

لين لم تجل الاشعث اليوم كربه   من الموت عنا للنفوس تعلت
ونشرب من ماء الفرات بسيفه   فهبنا اناسا قبل كانوا فموتوا

فلما قراها حمي واتي عليا فقال له اخرج في اربعه الاف فارس
من الخيل حتي تهجم بهم في عسكر معويه فتشرب وتسقي اصحابك اوتموتوا
عن اخرهم وانا مسير الاشتر في خيل من ورائك قال فسار
الاشعث في اربعه الاف من الخيل وهو يرتجز ويقول

لاوردن الخيل الفرات   شعث النواصي او يقال ماتا

قال ثم دعا علي بالاشتر فسرحه في اربعة الاف من الخيل والرجال
فسار يوم الاشعث وصاحب رايته رجل من النخع يرتجز ويقول
يا اشتر الخيرات يا خير النخع ... وصاحب النصر اذا عم الفزع
ان تسقنا اليوم فما هو بالبدع ... او نظما القوم فخير منقطع
ثم سار علي عليه السلام من وراء الاشتر في الجيش ومضى الاشعث
فما زال يحمل حتى هجم على عسكر معويه فازال ابا الاعور عن الشريعة
وغرق منهم بشر وخلق دواب ودخلة الفرات وذلك لان الاشعث
داخلته الحمية في هذا اليوم فكان يقدم رمحه ثم يحث اصحابه
فيقول ازحفوا هم مقدار هذا الرمح فيزيلهم عن ذلك المكان فبلغ ذلك
من قول الاشعث عليا فقال هذا يوم نصرنا فيه بالحمية

وفي هذا يقول رجل من اهل العراق

كشف الاشعث عنا ... كربة الموت عيانا ... بعد ما طارت طلايع ... طيرهم مستطهانا
فله المن علينا ... فلقد دارت رحانا

قال وارتحل معويه عن الموضع الذي كان فيه وورد الاشتر وقد كشف
القوم الاشعث عن الماء وازالهم عن موضعهم وورد علي عليه السلام
فنزل في الموضع الذي كان فيه معويه فقال معاويه لعمرو بن العاص يا ابا
عبد الله ما ظنك بالرجل اتراه يمنعنا الماء كما منعناه اياه وقد كان انحاز
باهل الشام الى ناحيه في البر نائيه عن الماء فقال له عمرو لا ان الرجل
جاء لغير هذا وانه لا يرضى حتى ندخل في طاعته او يقطع عاتقك
فارسل اليه معويه يستاذنه في وروده مشرعته واستقاء الماء في
طريقه ودخول رسله عسكره فاجابه الى ذلك على كل ما سال وطلب منه
فلما كان اول يوم من ذي الحجه بعد نزول علي هذا الموضع بعث الى معويه
يدعوه الى اجتماع الكلمه والدخول في طاعته في جماعه من المسلمين وطالت
المراسلات بينهم فاتفقوا على الموادعة الى المحرم من سنة تسع وثلاثين
وامتنع المسلمون عن الغزو في البر لشغلهم بالحرب وقد كان معاوية
صالح ملك الروم على مال يحمله اليه لشغله بعلي ولم يتم بين معويه
وعلي صلح مما اتفقوا عليه من الموادعة في المحرم وعزم القوم على الحرب
بعد انقضاء المحرم ففي ذلك يقول حابس بن سعد الطائي صاحب راية معاوية

فما دون المنى الا عد سبع ... بقين من المحرم او ثمان

ولما كان في اليوم الاخير من المحرم قبل غروب الشمس بعث علي عليه السلام
الى اهل الشام اني قد احتججت عليكم بكتاب الله ودعوتكم اليه واني
قد نبذت اليكم على سواء ان الله لا يهدي كيد الخائنين فلم يردوا جوابا الا السيف
بيننا وبينك او يهلك الاعجز منا واصبح علي عليه السلام يوم الاربعا

وكان اول يوم من صفر تعبية الجيش واخرج الاشتر امام الناس فاخرج
اليه معاويه وقد تصاف اهل الشام واهل العراق حبيب بن مسلمة الفهري
فكان بينهم قتال وقتال شديد سائر يومهم واسفرت عن قتلى
من الفريقين جميعا وانصرفوا فلما كان يوم الخميس وهو اليوم
الثاني اخرج علي عليه السلام هاشم بن عتبة بن ابي وقاص الزهري
المرقال وهو ابن اخي سعد بن ابي وقاص وانما سمي المرقال لانه كان
يرقل في الحرب وكان اعور ذهبت عينه يوم اليرموك وكان من شيعة
علي عليه السلام وقد اتينا على خبره الذي ذهبت فيه عينه وحسن
بلائه في ذلك اليوم في الكتاب الاوسط في فتوح الشام فاخرج اليه
معويه ابا الاعور السلمي وهو سفيان بن عوف وكان من شيعة معاويه
والمنحرفين عن علي عليه السلام فكانت بينهم سجالا وانصرفوا في
آخر يومهم عن قتلى كثير واخرج علي عليه السلام في اليوم الثالث وهو
يوم الجمعه ابا اليقظان عمار بن ياسر في عدة من البدريين وغيرهم
من المهاجرين والانصار وفيمن يسرع معهم من الناس فاخرج اليه معويه
عمرو بن العاص في جماعه وغيرهم من اهل الشام فكانت الحرب
بينهم سجالا الى الظهر ثم حمل عمار بن ياسر فيمن ذكرنا فازال عمرو عن
موضعه والحقه بعسكر معويه واسفرت عن قتلى كثير من اهل الشام
ودونهم من اهل العراق واخرج علي عليه السلام في اليوم الرابع
وهو يوم السبت ابنه محمد بن الحنفية في همدان وغيرهم ممن
خف معه من الناس فاخرج اليه معويه عبيد الله بن عمر بن الخطاب
في لخم وجذام وقد كان عبيد الله بن عمر لحق بمعويه خوفا من علي
عليه السلام ان يقيده بالهرمزان وذلك لان ابا لؤلؤة غلام المغيرة غلامه
ابن شعبة قاتل عمر كان في ارض العجم غلاما للهرمزان فلما قتل عمر شد
عبيد الله على الهرمزان فقتله وقال لا اترك بالمدينة فارسيا
ولا غيرها الا قتلته بابي وكان الهرمزان عليلا في الوقت الذي
قتل فيه عمر فلما افضت الخلافة الى علي عليه السلام اراد قتل
عبيد الله بن عمر بالهرمزان لقتله اياه ظلما من غير سبب استحقه
فلجأ الى معويه فاقتتلوا في ذلك اليوم وكانت على اهل الشام فنجا
ابن عمر في آخر النهار جريحا واخرج علي عليه السلام في اليوم الخامس
وهو يوم الاحد عبد الله بن العباس فاخرج اليه معويه الوليد بن عبده
عقبة بن ابي معيط فاقتتلوا واكثر الوليد من سب بني عبد المطلب
ابن هاشم فقاتله ابن عباس قتالا شديدا وناداه ابن عباس يا صفوان اي
وكان لقب الوليد فاني وكانت عليه لابن عباس وكان يوما صعبا

واخرج علي عليه السلام في اليوم السادس وهو يوم الاثنين سعد
ابن قيس الهمداني وهو سيد همدان يومئذ فاخرج اليه معوية
يومئذ ذو الكلاع فكانت بينهما الى آخر النهار واسفرت عن قتل كثير
وانصرف الفريقان معا واخرج علي عليه السلام في اليوم السابع الاشتر
في النخع وغيرهم فاخرج معوية حبيب بن مسلمة الفهري فكانت بينهم
سجالا وصبر كلا الفريقين فتكافؤا وتواقفوا للموت ثم انصرف الفريقان
واسفرت عن قتل بينهما والجراح في اهل الشام اكثر وخرج في اليوم الثامن
وهو يوم الاربعاء علي عليه السلام بنفسه والصحابة من البدريين
وغيرهم من المهاجرين والانصار وربيعة وهمدان قال ابن عباس
رايت في هذا اليوم عليا عليه السلام وعليه عمامة بيضاء وكان عينيه
سراجان وهو يقف على طوايف الناس يحرضهم ويحثهم
حتى انتهى الي وانا في كثف من الناس فقال معاشر المسلمين عموا
الاصوات واكملوا اللامة واستشعروا الخشية واقلقوا السيوف
في الجفان قبل السلة والحظوا الشزر واطعنوا الشزر ونافحوا
بالظبا وصلوا السيوف بالخطا والنبال بالرماح وطيبوا عن
انفسكم انفسا فانكم بعين الله ومع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
عاودوا الكر واستحيوا الفر فانه عار في الاعقاب ونار في الحساب يوم
ودونكم هذا السواد الاعظم والرواق المطنب فاضربوا ثبجه فان الشيطان
راكب صعيده معترض ذراعيه وقد قدم للوثبة يدا واخر للنكوص رجلا
فصبرا صمدا حتى ينجلي عن وجه الحق والله معكم ولن يتركم اعمالكم ثم تقدم
عليه السلام بعد هذا الخطاب الى الحرب على بغلة رسول الله صلى الله عليهما
الشهباء وخرج معاوية في عدد اهل الشام فانصرفوا عند المساء وكل غير
ظافر وخرج في اليوم التاسع وهو يوم الخميس علي عليه السلام وخرج شديدا م
معوية واقتتلوا الى ضحى النهار وبرز امام الناس عبيد الله بن عمر بن الخطاب
في اربعة آلاف من الخضرية معلمين بالشقاق الخضر الحمر متعهدين للموت يطلبون
بدم عثمان وابن عمر يقدمهم ويقول خير قريش من مضى ومن غبر
غير نبي الله شيخ الغر ، قد ابطات في نصر عثمان مضر ، والربعيون فلا اسقوا المطر
قال فناداه علي عليه السلام وقال له ويحك يا ابن عمر علام تقاتلني والله
لو كان ابوك حيا ما قاتلني قال اطلب بدم عثمان فقال علي عليه السلام والله
يطلب بدم الهرمزان وامر علي عليه السلام الاشتر النخعي بالخروج اليه فخرج
الاشتر وهو يقول اني انا الاشتر معروف الشتر
اني انا الافعى العراقي الذكر ، لست من حي ربيعة ومضر ، لكنني من مذحج البيض الغرر
قال فانصرف عنه عبيد الله ولم يبارزه وكثر القتلى يومئذ فقال عمار بن ياسر

اني لا ارى وجوه قوم لا يزالون يضاربون حتى يرتاب المبطلون والله لو هزمونا
حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا انا على الحق وهم على الباطل وتقدم عمار فقاتل ثم
رجع الى موضعه فاستسقى فاتته امراة من نساء بني شيبان من مصافهم بعس فيه لبن
فدفعته اليه فقال الله اكبر الله اكبر اليوم القى الاحبة تحت الاسنة صدق
الصادق وبذلك اخبرني الناطق هذا اليوم الذي وعدت فيه ثم قال
ايها الناس هل من رائح الى الله تحت العوالي والذي نفسي بيده لنقاتلنكم
على تاويله كما قاتلناكم على تنزيله وتقدم وهو يقول نحن ضربناكم على تنزيله
فاليوم نضربكم على تاويله ، ضربا يزيل الهام عن مقيله ، ويذهل الخليل عن خليله
او يرجع الحق الى سبيله ، قال فتوسط القوم واشتبكت عليه الاسنة
فقتله ابو الغادية العاملي وابن جوي السكسكي واختلفا في سلبه فاحتكما
الى عبد الله بن عمرو بن العاص فقال لهما اخرجا عني فاني سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول او قال اولعت قريش بعمار ما لهم ولعمار يدعوهم الى
الجنة ويدعونه الى النار وكان قتله عند المساء وله ثلاث وتسعون سنة
وقبره بصفين الجهة الغابة وصلى عليه امير المومنين عليه السلام ولم يغسله
وكان يغير شيبه وقد تنوزع في نسبه فمن الناس من الحقه ببني مخزوم ومنهم
من راى انه من حلفائهم ومنهم من راى غير ذلك وقد اتينا على خبره في كتاب
مناهج الاخبار وطرايف الاثار عند اشتراطنا الذكر الجميل الذين بايعوا
عليا عليه السلام على الموت وفي قتله يقول الحجاج بن عمرو الانصاري يرثيه
قال النبي له تقتلك شرذمة ، سيطت لحومهم بالبغي فجار
فاليوم يعلم اهل الشام انهم ، اصحاب تلك وفيها النار والعار
ولما صرع عمار بن ياسر تقدم سعيد بن قيس الهمداني في همدان
وتقدم قيس بن سعد بن عبادة الانصاري في الانصار وربيعة
وعدي بن حاتم الطائي في طي وسعيد بن قيس الهمداني في اول
الناس فخلطوا الجمع بالجمع واشتد القتال وحطمت همدان اهل
الشام حتى قذفتهم وقد كان معوية صمد فيمن معه لسعيد بن قيس
ومن معه من همدان وامر علي عليه السلام الاشتر ان يتقدم باللواء الى
اهل الشام مثل اهل حمص وغيرهم من اهل قنسرين فاكثر من القتل
في اهل حمص وقنسرين فيمن معه من القراء واتى المرقال يومئذ بمن معه
فلا يقوم له شي وجعل يرقل كما يرقل الفحل في قيده وعلي عليه السلام
وراءه يقول له يا اعور لا تكن جبانا تقدم والمرقال يقول
قد اكثروا لومي وما اقلا ، اعور يبغي اهله محلا ، قد عالج الحياة حتى ملا
لا بد ان يفل او يفلا ، اسلمهم بذي الكعوب سلا
قال ثم صدم هاشم بن عتبة المرقال ذا الكلاع وهو في حمير فحمل عليه

صاحب لواء ذي الكلاع وهو رجل من عذرة وهو يقول
أبثك فإني ليس من قوم مضر نحن اليمانيون ما فينا ضجر كيف ترى وقع غلام من عذر
ينعى ابن عفان ويلحي من غدر سيان عندي من سعى ومن أمر
فاختلفا بينهما بطعنتين فطعنه هاشم المرقال فقتله وقتل بعده
سبعة عشر رجلا وحمل المرقال وحمل ذو الكلاع ومع المرقال جماعة
من أسلم قد آلوا ألا يرجعوا أو يفتحوا أو يقتلوا فاجتلد الناس فقتل
هاشم المرقال وقتل ذو الكلاع جميعا فأخذ ابن المرقال اللواء حين
قتل أبوه في وسط المعركة وذكره الحجاج وهو يقول
يا هاشم بن عتبة بن مالك أعزز بشيخ من قريش هالك تخبطه الخيلان بالسنابك
أبشر بحور العين في الأرائك والروح والريحان عند ذلك
ووقف علي عليه السلام على مصرع المرقال ومن صرع حوله من
الأسلميين وغيرهم فدعا لهم وترحم عليهم وهو يقول
جزى الله خيرا عصبة أسلمية صباح الوجوه صرعوا حول هاشم
قال واستشهد في هذا اليوم صفوان وسعد ابنا حذيفة بن
اليماني وقد كان حذيفة عليلا بالكوفة في سنة ست وثلاثين فبلغه
قتل عثمان وبيعة الناس لعلي فقال أخرجوني وادعوا الصلاة جامعة معه
فوضع على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم
وعلى آله ثم قال أيها الناس إن الناس قد بايعوا علي بن أبي طالب فعليكم
بتقوى الله تعالى وانصروا عليا عليه السلام ووازروه فوالله
إنه لعلى الحق آخرا وأولا وإنه لخير من مضى بعد نبيكم ومن بقي إلى
يوم القيامة ثم أطبق يمينه على شماله ثم قال اللهم إني أشهد أني
قد بايعت عليا عليه السلام وقال الحمد لله الذي أبلغني إلى هذا
اليوم وقال لابنيه صفوان وسعد احملاني وكونا معه فستكون
له حروب كثيرة يهلك فيها خلق من الناس فاجتهدا أن تستشهدا
معه فإنه والله على الحق ومن خالفه على الباطل ومات حذيفة رضي الله
عنه بعد هذا اليوم بسبعة أيام وقيل بأربعين يوما واستشهد به
عبد الله بن الحرث النخعي أخو الأشتر واستشهد فيه عبد الله
وعبد الرحمن ابنا بديل بن ورقاء الخزاعي في خلق من خزاعة وكان
عبد الله في ميسرة علي عليه السلام وهو يقول
لم يبق إلا الصبر والتوكل وأخذك الترس وسيفا مصقل ثم التمشي في الرعيل الأول
والله يقضي ما يشا ويفعل
وقتل ثم قتل عبد الرحمن أخوه بعده في عدة من خزاعة ولما رأى معاوية
القتل في أهل الشام وكلب أهل العراق عليهم بعث إلى النعمان بن جبلة

وكان صاحب راية قومه من شهد نهروان قال لقد هممت أن
أولي قومك من هو خير منك مقدما وأنصح جليسا فقال له النعمان
إنا لو كنا ندعو إلى جيش ممنوع لكان في قطع الرجال بعض الأناة
فكيف ونحن ندعوهم إلى سيوف قاطعة وردينية شارعة وقوم
ذوي بصائر نافذة والله لقد نصحتك على نفسي وآثرت ملكك على ديني
وتركت لهواك الرشد وأنا أعرفه وحدت عن الحق وأنا أبصره وما وفقت
لرشدي حين أقاتل عن ملكك ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأول مؤمن
به ومهاجر معه ولو أعطيناه ما أعطيناك لكان أرأف بالرعية وأجزل
في العطية ولكن قد بذلنا لك أمرا لا بد من إتمامه كان غيا أو رشدا وحاشا
أن يكون رشدا وسنقاتل عن تين الغوطة وزيتونها إذ حرمنا ثمار الجنة وأنهارها
وخرج إلى قومه وصمد إلى الحرب وكان عبيد الله بن عمر إذا خرج للقتال قام
إليه نساؤه فشددن عليه سلاحه ما عدا الشيبانية بنت هانئ بن قبيصة
فخرج في هذا اليوم وأقبل على الشيبانية وقال لها قد عبأت لقومك اليوم
وايم الله إني لأرجو أن أربط بكل طنب من أطناب فسطاطي سيدا منهم فقالت
له ما أبغض إلي أن تقاتلهم قال ولم قالت لأنه لم يتوجه إليهم صنديد
في جاهلية ولا إسلام وبرأسه صعر إلا أقاموه وأخاف أن يقتلوك
وكأني بك قتيلا وقد أتيتهم أسألهم أن يهبوا لي جيفتك فرماها
بقوس فشجها وقال ستعلمين بمن آتيك من زعماء قومك فحمل عليه حريث
ابن جابر الجعفي فطعنه فقتله وقيل إن الأشتر النخعي هو الذي قتله
وقيل إن عليا عليه السلام ضربه ضربة فقطع ما عليه من الحديد حتى خالط
الحديد حشو جوفه وإن عليا عليه السلام قال لحاربه وطلبه ليقتله
بالهرمزان لئن فاتني في هذا اليوم لا يفوتني في غيره فلما قتل كلم نساؤه
معاوية في جيفته عشرة الآف ففعلن ذلك فاستأمرت ربيعة فأمرن أن يأتين ربيعة فيبذلن في جيفته
عليا فقال لهم إنما جيفته جيفة كلب لا يحل بيعها ولكن إن أجبتم
إلى ذلك فاجعلوه لابنة هانئ بن قبيصة الشيباني زوجته فقالوا
للنسوة عبيد الله إن شئتن شددناه إلى ذنب بغل ثم ضربناه حتى
يدخل إلى عسكر معاوية فقال لهن أتين الشيبانية فاسألوها أن
تكلمهم في جيفته ففعلن ذلك وأتت القوم وقالت أنا ابنة هانئ
ابن قبيصة وهذا زوجي القاطع الظالم فقد حذرته ما صار إليه
فهبوه لي جيفته ففعلوا وألقت إليهم بمطرف خز فأدرجوه فيه
ودفعوه إليها فمضت به وكان قد شد في رجله طنب فسطاط من
فساطيطهم ولما قتل عمار بن ياسر ومن ذكرنا في هذا اليوم حرض علي عليه
السلام الناس وقال لربيعة أنتم درعي ورمحي فانتدب له ما بين عشرة آلاف

الى الكرم وكثير من ربيعة وغيرهم قد جادوا بانفسهم لله وعلي عليه السلام
امامهم على البغلة الشهباء وهو يقول اي يومي من الموت افر يوم لا يقدر
او يوم قدر وحملوا وحملوا معه حملة رجل واحد فلم يبق لاهل الشام
صف الا انتقض وتفرق وكلما اتوا عليه حتى افضوا الى قبة معوية
وعلي عليه السلام لا يمر بفارس الا قده وهو يقول
اضربهم ولا ادري معاوية ... الاخزر العين العظيم الحاوية ... تهوي به في النار ام هاوية
وقيل ان هذا الشعر لبديل بن ورقاء قاله في ذلك اليوم ثم نادى
علي عليه السلام يا معوية علام يقتل الناس بيني وبينك هلم احاكمك
الى الله ورسوله فاينا قتل صاحبه استقامت له الامور فقال له عمرو
ابن العاص قد انصفك الرجل فقال معاوية ما انصفت وانك لتعلم
انه لم يبارزه قط مبارز الا قتله او اسره جنا او انسا قال عمرو
وما يجمل بك الا مبارزته فقال له معوية طمعت فيها بعدي يا عمرو وحقدها
عليه وقد قيل في بعض الروايات ان معوية اقسم على عمرو لما اشار عليه
بهذا ان يبرز الى علي عليه السلام فلم يجد عمرو من ذلك بدا فبرز فلما
التقيا عرفه علي عليه السلام فشال السيف ليضربه به فكشف عورته
وقال مكره اخاك لا بطل يا امير المومنين قال فحول وجهه عنه وولى علي
عليه السلام وجهه المكرم عنه وقال قبحت من شيخ ورجع عمرو
الى مصافه وقد ذكر محمد بن الكلبي عن الشرقي بن القطامي ان معوية قال
لعمرو بعد انقضاء الحرب هل غششتني منذ نصحتني قال لا
والله يوم اشرت علي عليه السلام وانت تعلم ما هو قال دعاك الى المبارزة
فكنت من مبارزته على احدى الحسنيين اما ان تقتله فتكون قد
قتلت قاتل الاقران وتزداد شرفا الى شرفك واما ان يقتلك فتكون
قد استعجلت مرافقة الشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا
فقال يا عمرو والثانية اشد من الاولى وكان في هذا اليوم من القتال
ما لم يكن مثله ووجدت في بعض النسخ من اخبار صفين ان هاشما
المرقال لما وقع الى الارض وهو يجود بنفسه رفع راسه فاذا بعبد الله
ابن عمرو مطروحا الى جنبه جريحا فحبى حتى دنا منه ولم يزل يعض على يديه
حتى ثبتت فيهما اسنانه لعدم السلاح والقوة لانه اصيب فوقه
فبينا هو ورجل من بكر بن وائل قد زحفا الى عبد الله بن عمرو فنهشاه
وانصرف القوم الى مواضعهم وخرج كل فريق منهما يحملون من الجرحى
حمله من قتلاهم فمر معوية في خواصه بالموضع الذي كانت فيه ميمنته
فنظر الى عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي معفرا بدمائه وقد كان
على ميسرة علي عليه السلام فجعل على ميمنة معوية فاصيب على اقدمنا

آنفا فاراد معوية ان يمثل به فقال له عبد الله بن عامر وكان صديقا
لابن بديل والله لا تركتك واياه فوهبه له فغطاه بعمامته وحمله
فواراه فقال معوية لابن عامر والله لقد واريت ليثا من ليوث القوم
وسيد خزاعة غير مدافع والله لو ظفرت بنا نساء الحي من خزاعة لاكلونا
ولو انا من جندل دون هذا البيت وانشا يقول
اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها ... وان شمرت يوما به الحرب شمرا
كليث هزبر كان يحمي ذماره ... رمته المنايا قصدها فتقطرا
ونظر علي عليه السلام الى غسان على مصافهم لا يزولون فحرض اصحابه
عليهم وقال ان هولاء لن يزولوا عن موقفهم دون طعن يخرج
منه النسيم وضرب يفلق الهام ويطيح العظام وتسقط المعاصم
منه والاكف حتى تشدخ جباههم بعمد الحديد وتنتثر حواجبهم
على الصدور والاذقان اين اهل الصبر وطلاب الاجر فثاب اليه
عصابة من المسلمين من سائر الناس فدعا ابنه محمدا فدفع اليه الراية
وقال امش بها نحو هذه الطائفة مشيا رويدا اذا شرعت في
صدورهم الرماح فامسك حتى ياتيك امري ففعل واتاه علي عليه
السلام ومعه الحسن والحسين عليهما السلام مع شيوخ
من بدر وغيرهم من الصحابة وقد لزم الخيل فحملوا على غسان
ومن يليها فقتلوا منهما بشرا كثيرا وعادت الحرب الى احوالها
في اوله وحملت ميمنة معاوية وفيها عشرة الاف مدجج معرول
الفا مقنعون في الحديد على ميسرة علي عليه السلام فاقطعوا الف
فارس فانتدب من اصحاب علي عليه السلام عبد العزيز بن الحرث
الجعفي وقال لعلي عليه السلام مرني بامرك فقال شد الله ركنك
سر حتى تنتهي الى اخواننا المحاط بهم وقل لهم يقول لكم الامام
عليه السلام كبروا ثم احملوا وتحمل انت حتى تلتقي فحمل الجعفي
فطعن في عرضهم حتى انتهى اليهم فاخبرهم بمقالة علي عليه السلام
فكبروا ثم شدوا حتى لحقوا بعلي عليه السلام وشد خولان بسعايه
من اهل الشام وقتل حوشب ذو ظليم وهو يومئذ من جبابرة
وكان على ابيه ذهل بن شيبان وغيرهم من ربيعة الحصين بن
المنذر بن الحرث بن وعلة الذهلي وهو يقول في هذا اليوم
لنا الراية الحمراء يخفق ظلها ... اذا قيل قدمها حصين تقدما
ق ل وامر بالتقدم واختلط الناس وبطل النبل واستعملت
السيوف وجنهم الليل وتنادوا بالاشعار وتقصفت الرماح
وتكادم القوم فكان يعثو الفارس للفارس فيتعانقان جميعا الى الارض

اليمنى في رهط الشام

عن فرسيهما وكانت ليلة الجمعة وهي ليلة الهرير فكان جملة من قتل
علي عليه السلام بالفه في يومه وليلته خمسماية وثلاثة وعشرين
رجلا اكثرهم في اليوم وذلك انه كان اذا قتل رجلا كبر ذكر ذلك
عند من كان يليه في حربه ولا يفارقه من ولده وغيرهم واصبح
القوم على قتالهم وكسفت الشمس في ذلك اليوم وارتفع القتام
وتقطعت الالوية والرايات ولم يعرفوا مواقيت الصلوات

وعدا الاشتر يحرض ويقول

نحن قتلنا حوشبا لما غدا ... قد اقدعلما
وذو الكلاع قبله ... ومعبدا اذ قدما
ان تقتلوا منا ابا ... اليقظان شيخا مسلما
فقد قتلنا بدله ... سبعين راسا مجرما
قد اصبحوا في ارض صفين ... وقد لاقوا نكالا مائما

وقد كان الاشتر في مثل هذا اليوم وهو يوم الجمعة على ميمنة علي
عليه السلام وقد اشرف على الفتح فنادت مشيخة الشام يا معشر
العرب الله في الحرمات والنساء والبنات وقال معوية هلم مخباتك
يا ابن العاصي فقد هلكنا وتذكر ولاية مصر فقال عمرو ايها الناس
من كان معه مصحف فليرفعه على رمحه فكثر في الجيش رفع
المصاحف وارتفعت الضجة ونادوا كتاب الله يكون بيننا وبينكم
من لثغور الشام بعد اهل الشام ومن لثغور العراق بعد اهل
العراق من لجهاد الروم من للترك من للكفار ورفع في عسكر
معاوية نحو خمسماية مصحف

وفي ذلك يقول النجاشي في الحرث

فاصبح اهل الشام قد رفعوا القنا ... عليها كتاب الله خير قران
ونادوا عليا يا ابن عم محمد ... اما تتقي ان يهلك الثقلان

فلما راى كثير من اهل العراق ذلك قالوا نجيب الى كتاب الله وننيب
اليه واحب القوم الموادعة وقال بعضهم لعلي عليه السلام كثرت
اصحابه قد اعطاك معوية الحق ودعاك الى كتاب الله فاقبل منه
وكان اشدهم في ذلك الاشعث بن قيس فقال علي عليه السلام ايها
الناس انه لم يزل في امركم ما احب حتى فصلتكم الحرب وقد والله اخذت
منكم وتركت وانها في عدوكم اشد وقد كنت امس اميرا فاصبحت مامورا وقد احببتم البقاء قال
الاشتر ان معاوية لا خلف له من رجاله ولكن بحمد الله الخلف ولو كان لك مثل
رجالك لما كان له مثل صبرك ولا نصرك فاقرع الحديد بالحديد واستعن
بالله وتكلم روسا اصحاب علي عليه السلام بنحو من كلام الاشتر فقال الاشعث انا لك اليوم
على ما كنا عليه امس ولست تدري كيف يكون غدا وقد والله كل الحديد
وفلت البصائر وتكلم معه غيره بكلام كثير فقال علي عليه السلام ويحكم
انهم ما رفعوها الا خديعة لانهم يعلمونها ولم يعملون بها ولم رفعوها الا

ودهاء ومكيدة فقالوا انه ما يسعنا ان ندعى الى كتاب الله فنابى ان نقبله
فقال ويحكم انما قاتلتهم ليدينوا بكتابه فقد عصوا الله فيما امرهم به ونبذوا
كتابه فامضوا على حقكم وصدقكم وجدوا في القتال لعدوكم فان معاوية
وابن العاصي وابن ابي معيط وحبيب بن مسلمة وابن النابغة وعددا غيرهم
هولاء ليسوا باصحاب دين وله قرآن وانا اعرف بهم منكم صحبتهم
اطفالا ورجالا فكانوا شر اطفال وشر رجال وجرى له مع القوم خطب
طويل قد اتينا ببعضه وتهددوه ان يصنع به ما صنع بعثمان فقال الاشعث
ان شئت اتيت معوية فسالته ما يريد قال ذلك اليك اتيته ان شئت فاتاه
الاشعث فساله فقال له معاوية نرجع نحن وانتم الى امر الله الذي امر في كتابه
تبعثون رجلا منكم ترضون به ونختار ونبعث نحن رجلا وناخذ عليهما
العهد والميثاق ان يعملا بما في كتاب الله ولا يخرجا عنه وننقاد جميعا الى
ما اتفقا عليه من حكم الكتاب فصوب الاشعث قوله وانصرف الى علي عليه
السلام فاخبره بذلك فقال اكثر الناس رضينا وقبلنا وسمعنا واطعنا فاختار
معوية عمرو بن العاص وقال الاشعث ومن ارتد من الناس الى الخوارج رضينا
نحن بابي موسى الاشعري فقال لهم علي عليه السلام قد عصيتموني في اول هذا
الامر فلا تعصوني الان اني لا ارى ان اولي ابو موسى الاشعري فقال
الاشعث ومن معه لا نرضى الا به قال ويحكم ليس هو ثقة قد
فارقني وخذل الناس عني وفعل كذا وفعل كذا وذكر اشياء فعلها
ابو موسى ثم هرب شهورا حتى امنته لكن هذا عبد الله بن العباس
اوليه ذلك فقال الاشعث واصحابه والله لا يحكم فينا مضريان
قال فالاشتر قالوا لا وهل اشعل ما نحن فيه الا الاشتر قال فاصنعوا
الان ما اردتم وافعلوا ما بدا لكم ان تفعلوه فبعثوا الى ابي موسى الاشعري
وليتولى القضية وقيل لابي موسى ان الناس قد اصطلحوا فقال الحمد لله
رب العالمين قيل وقد جعلوك حكما قال انا لله وانا اليه راجعون

ذكر الحكمين وبدء التحكيم والله اعلم

قال كان ابو موسى الاشعري يحدث
قبل وقعة صفين يقول ان الفتنة لم تزل في بني اسرائيل ترفعهم وتضعهم
حتى بعثوا الحكمين يحكمان بحكم الله وبحكم لا يرضى به من اتبعهما وان
هذه الامة لا تزال بها الفتن ترفعها وتضعها حتى يبعثوا حكمين
يحكمان بما لا يرضى به الله ومن اتبعهما فقال له سويد بن علقمة اياك
ان ادركت ذلك الزمان ان تكون احد الحكمين قال انا قال نعم انت
فكان يخلع قميصه ويقول لا جعل الله لي اذا في السماء مصعدا ولا في
الارض مقعدا فلقيه سويد بن علقمة بعد ذلك فقال يا ابا موسى
اتذكر مقالتك قال سل ربك العافية وكان فيما كتب في الصحيفة

ان يحيى الحكمان ما احيى القران وان يميتا ما امات القران ولا يتبعان
الهوى ولا يداهنان في شي من ذلك فان فعلا فلا حكم لهما والمسلمون
من حكمهما برا، وقال علي عليه السلام حين الزم علي امرهما ورد الاشتر
وقد كان اشرف ذلك اليوم على الفتح فاخبره مخبر بما قالوا في علي عليه
السلام وانه ان لم يرده سلم الى معوية او فعل به ما فعل بابن عفان
فانصرف الاشتر خوفا على علي فقال لهما علي ان تحكما بما في كتاب الله وكتاب
الله كله لي فان لم تحكما بما في كتاب الله فلا حكم لكما وصيروا الاجل الى
شهر رمضان على اجتماع الحكمين في موضع عدل بين الكوفة والشام
وكان الوقت الذي كتب فيه الصحيفة لايام بقين من صفر سنة
سبع وثلاثين من الهجرة وقيل بعد هذا الشهر منها وخرج الاشعث
بالصحيفة يقراها على الناس فرحا مسرورا حتى انتهى الى مجلس
لبني تميم فيه جماعة من زعمائهم منهم عروة بن ادية التميمي وهو
اخو بلال الخارجي فقراها عليهم فجرى بين الاشعث واناس
منهم خطب طويل وان الاشعث كان بدا هذا الامر والمانع
لهم من قتال عدوهم حتى يفيئوا الى امر الله وقال لهم عروة بن
ادية اتحكمون في دين الله وامره ونهيه الرجال لا حكم الا لله
فكان اول من قالها وحكم وقد تنوزع في ذلك فشد على الاشعث
بسيفه فعن فرسه عن الضربة فاصابت عجز الفرس ونجا الاشعث
وكادت العصبية ان تقع بين اليمانية والنزارية لولا اختلاف
كلمتهم في الديانة والتحكيم وفي فعل عروة بالاشعث يقول
رجل منهم من ابيات

عروة يلعو وقد فتش لقوم سلفت انما تكون فتيه
ثم تنحى وتعظم الخطب فيها فاحذر غب ما اتيت غديه
ا علي الاشعث المعصب بالتاج حملت السلاح يا ابن اديه
انها فتنة كفتنة ذي العجل يلعو والعصا من عصيه
فانظر اليوم ما يقول علي واتبعه فذاك خير البريه

وقد تنوزع في مقدار من قتل بها من اهل الشام والعراق في
مائة يوم وعشر ايام مائة الف وعشر الاف من الناس من اهل
الشام تسعون الفا ومن اهل العراق عشرون الفا ونحن نذهب الى
ان عدد اهل الشام ممن حضر الحرب بصفين اكثر مما قيل في هذا
الباب وهم خمسون ومائة الف مقاتل سوى الخدم والاتباع وعلى
هذا يجب ان يكون مقدار القوم جميعا ممن قاتل ومن لم يقاتل من الخدم
وغيرهم ثلاثمائة الف بل اكثر من ذلك لان اقل من فيهم معه واحد

فذكر ابن الداودي عن يحيى
بن معين ان عدد من حضرها
من الوقعة

يخدمه فيهم من الخمسة والعشرة من الخدم والاتباع واكثر من ذلك في اهل
العراق كانوا في عشرين ومائة الف مقاتل دون الاتباع والخدم واما
الهيثم بن عدي الطائي وغيره مثل الشرقي القطامي وابي مخنف لوط
بن يحيى فذكروا مثل ما قدمنا وهو ان جملة من قتل من الفريقين جميعا
سبعون الفا من اهل الشام خمسة واربعون الفا ومن اهل العراق
خمسة وعشرون الفا فيهم خمسة وعشرون بدريا وان العدد كان
يقع بالقصب والاحصاء للقتلى في كل وقعة وتحصيل هذا التفاوت
فيه يسير لان في قتلى الفريقين من يعرف ومن لا يعرف وفيهم من غرق وفيهم
من قتل في البر واكلته السباع فلم يدركهم الاحصاء وغير ذلك
مما يعتورهم ما وصفنا وسمعت امراة بصفين من اهل العراق وقد
قتل لها ثلاثة اولاد وهي تقول

اعيني جودا بدمع سرب
على فتية من خيار العرب
وما ضرهم غير حين النفوس
اي امير قريش غلب

ولما وقع التحكيم تباغض القوم واقبل بعضهم يتبرا من بعض
الاخ من اخيه والابن من ابيه وامر علي بالرحيل لعلمه باختلاف الكلمة
وتفاوت الراي وعدم النظام لامورهم وما لحقهم من الخلاف منهم
وكثر التحكيم في جيش اهل العراق وتضارب القوم بالمقارع
ونعال السيوف وتسابوا ولام كل فريق منهم الاخر في رايه
وسار علي عليه السلام يؤم الكوفة ولحق معوية بدمشق من
ارض الشام وفرق عساكره فلحق كل جند منهم ببلده من
الشام ولما دخل علي عليه السلام الكوفة انحاز عنه اثنا عشر
الفا من القراء وغيرهم فلحقوا بحروراء قرية من قرى الكوفة وجعلوا عليهم
شبيب بن ربعي التميمي وعلى صلاتهم عبد الله بن الكوا اليشكري
من بكر بن وائل فخرج علي اليهم فكانت له معهم مناظرات
فدخلوا جميعا الكوفة وانما سموا بالحرورية لاجتماعهم في هذه
القرية وانحيازهم اليها وقد ذكر يحيى بن معين قال حدثنا وهب
ابن جرير بن حازم عن الصلت بن بهرام قال لما قدم علي
عليه السلام الكوفة جعلت الحرورية تناديه وهو على
المنبر جزعت من البلية ورضيت بالقضية وقبلت الدنية
لا حكم الا لله فيقول حكم الله انتظر فيكم فيقولون ولقد اوحي اليك
والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين
فيقول فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون
وفي سنة ثمان وثلاثين كان التقاء الحكمين بدومة الجندل وقيل
بغيرها على ما قدمنا من وصف التنازع في ذلك وبعث علي عليه السلام

بعبد الله بن العباس وشريح بن هاني الحمداني في اربعماية رجل وفيهم
ابو موسى الاشعري وبعث معوية بعمرو بن العاص ومعه شرحبيل بن السمط
في اربعماية فارس فلما تدانا القوم من الموضع الذي كان فيه الاجتماع
قال ابن عباس لابي موسى الاشعري ان عليا عليه السلام لم يرض بك حكما
لفضل عندك والمتقدمون عليك فان الناس ابوا غيرك واني لاظن
ذلك لشر يراد بهم ولقد ضم داهية العرب معك فمهما نسيت فلا تنسى
ان عليا عليه السلام بايعه الذين بايعوا ابا بكر وعمر وعثمان حين فارقه
وليس فيه خصلة تباعده وليس في معوية خصلة تقربه من الخلافة ووصى
عمرو معاوية حين فارقه وهو يريد الاجتماع بابي موسى فقال يا ابا
عبد الله ان اهل العراق قد اكرهوا عليا على ابي موسى الاشعري وانا واهل
الشام راضون بك وقد ضم اليك رجلا طويل اللسان قصير الراي
فاجد الحز وضيق المفصل ولا تلقه برايك كله فوافاهم سعد بن
ابي وقاص وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن عوف الزهري والمغيرة بن
شعبة الثقفي وهولاء ممن قعد عن بيعة علي عليه السلام في اخرين
من الناس وكان التقاء عمرو وابي موسى في شهر رمضان من سنة
ثمان وثلاثين فقال عمرو لابي موسى تكلم وقل خيرا فقال ابو موسى بل تكلم انت
فقال عمرو ما كنت لافعل واقدم نفسي قبلك ولك حقوق كلها واجبة لسنك
وصحبتك رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت ضيف فتكلم ابو موسى
فحمد الله واثنى عليه وذكر الحدث الذي حل بالاسلام والخلاف
الواقع باهله ثم قال يا عمرو هلم الى امر يجمع الله به الالفة ويلم الشعث ويصلح
ذات البين فجزاه عمرو خيرا وقال ان الكلام اولا واخرا ومتى تنازعنا
الكلام خبطا لم نبلغ ذوي العقول اخره حتى ننسى اوله فاجعل ما كان من
كلام نتصادر عليه في كتاب يصير الينا امرنا قال فاكتب فدعا عمرو بصحيفة
وكاتب وكان الكاتب غلاما لعمرو فتقدم اليه ان يبدا به اولا دون ابي موسى
لما اراد من المكر به ثم قال له بحضرة الجماعة اكتب فانك شاهد علينا ولا تكتب
شيئا يامرك به احدنا حتى تستامر الاخر فيه فاذا امرك فاكتب واذا نهاك
فانته حتى يجتمع راينا فاكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا
ما تقاضى عليه فلان وفلان فكتب الكاتب وبدا بعمرو فقال له
عمرو لا ام لك اتقدمني قبله كانك جاهل بمكانه فبدا باسم عبد الله
ابن قيس وكتب تقاضيا على انهما يشهدان ان لا اله الا الله وان محمدا
عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين
كله ولو كره المشركون ثم قال عمرو ونشهد ان ابا بكر خليفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل بكتاب الله وسنة رسوله حتى قبضه

اليه وقد ادى الحق الذي عليه قال ابو موسى اكتب ثم ذكر في عمر مثل
ذلك فقال ابو موسى اكتب ثم قال عمرو وان عثمان ولي هذا الامر
بعد عمر على اجماع المسلمين وشورى من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ورضى منهم وانه كان مومنا فقال ابو موسى
ليس هذا مما قعدنا له قال عمرو والله لابد من ان يكون كافرا
او مومنا قال ابو موسى كان مومنا قال عمرو فمره يكتب قال ابو موسى
اكتب قال عمرو فظالما قتل عثمان او مظلوما قال ابو موسى بل قتل
مظلوما قال عمرو فعلى قاتله ان يقتل اينما وجد قال ابو موسى
قال عمرو فهل تعلم لعثمان وليا اقوى من معوية قال ابو موسى لا قال
عمرو فليس لمعوية ان يطلب قاتله حيث ما كان حتى يقتله
او يعجز قال ابو موسى بلى قال عمرو للكاتب اكتب وامره ابو موسى
فكتب قال عمرو فانا نقيم البينة ان عليا قتل عثمانا قال ابو موسى
هذا امر قد حدث في الاسلام وانما اجتمعنا لغيره فهلم الى امر
يصلح الله به امة محمد صلى الله عليه وسلم قال عمرو وما هو قال ابو موسى
قد علمت ان اهل العراق لا يحبون معاوية ابدا واهل الشام لا يحبون
عليا ابدا فهلم فلنخلعهما جميعا ونستخلف عبد الله بن عمر وكان
عبد الله على بنت ابي موسى الاشعري قال عمرو ويفعل ذلك عبد الله
قال ابو موسى نعم اذا حملت الناس على ذلك فعمد عمرو الى كل ما مال اليه ابو موسى
فصوبه وقال له هل لك في سعد قال ابو موسى لا فعدد له عمرو جماعة
وابو موسى يابى ذلك الا ابن عمر فاخذ عمرو الصحيفة وطواها
ووضعها تحت قدمه من بعد ان ختمها جميعا وقال عمرو ارايت ان رضي
اهل الشام وابى اهل العراق نقاتل اهل العراق قال ابو موسى لا قال عمرو اما
اذا رايت الصلاح في هذا الامر والخير للمسلمين فقم فاخطب الناس
واخلع صاحبينا جميعا وتكلم باسم هذا الرجل الذي تريد ان تستخلفه
قال ابو موسى بل انت قم فاخطب الناس فانت احق بذلك قال عمرو وما
احب ان اتقدمك وما قولي وقولك للناس الا واحد فقم راشدا فقام
ابو موسى فحمد الله واثنى عليه وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال ايها
الناس انا نظرنا في امرنا فراينا اقرب ما نحضره من الامن والصلاح ولم
الشعث وحقن الدماء وجمع الالفة خلعنا عليا ومعاوية وقد
خلعت عليا كما خلعت عمامتي هذه ثم اهوى الى عمامته فخلعها واستخلفنا
رجلا صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وصحب ابوه النبي
عليه السلام فبرز في سابقته وهو عبد الله بن عمر واطراه ورغب الناس
فيه ثم نزل فقام عمرو فحمد الله واثنى عليه وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم

ثم قال ايها الناس ان ابا موسى عبد الله بن قيس خلع عليا واخرجه من
الامر الذي يطلب وهو اعلم به الا واني قد خلعت عليا معه واثبت
معاوية علي وعليكم وان ابا موسى كتب في الصحيفة ان عثمان قتل مظلوما
شهيدا وان لوليه ان يطلب بدمه حيث كان وقد صحب معاوية النبي
عليه الصلاة والسلام وصحب ابوه النبي فهو الخليفة علينا وله طاعتنا قدم
وبيعتنا على الطلب بدم عثمان فقام ابو موسى فقال كذب عمرو ولم
نستخلف معاوية ولكنا خلعناه وعليا جميعا فقال عمرو بل كذب
ابو موسى قد خلع عليا ولم يخلع معاوية قال المسعودي ووجدت
في وجه اخر من الروايات انهما اتفقا على خلع علي ومعاوية وان يجعلا الامر
بعد ذلك شورى يختار الناس رجلا يصلح لها فقدم عمرو ابا موسى
فقال ابو موسى اني خلعت عليا ومعوية فاستقبلوا امركم وتنحى وقام
عمرو مكانه فقال ان هذا قد خلع صاحبه وانا اخلع صاحبه كما خلعه
واثبت صاحبي معوية فقال ابو موسى ما لك لا وفقك الله غدرت انما
مثلك كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ثم وكز ابو موسى عليا
فالقاه لجنبه فلما راى شريح الحميري ذلك قنع عمرا بالسوط فانخزل
ابو موسى فاستوى على راحلته ولحق بمكة ولم يعد الى الكوفة وقد كانت
خطته وولده واهله بها والى ان لا ينظر في وجه علي عليه السلام ما بقي
ومضى ابن عمر وسعد الى بيت المقدس فاحرموا وفي فعل الحكمين يقول الغنوي

"لو كان للقوم راي يعصمون به … عند الخطوب رموكم بابن عباس"
لكن رموكم بوغد من ذوي يمن … لم يدر ما ضرب اخماس باسداس

وفي اختلاف الحكمين والحكمة يقول بعض من حضر ذلك

رضينا بحكم الله لا حكم غيره … وبالله ربا والنبي وبالذكر
وبالاصلع الهادي علي امامنا … رضينا بذاك الشيخ في العسر واليسر
رضينا به حيا وميتا فانه … امام الهدى في الوقف والنهي والامر

ولابي موسى يقول ابن عباس

ابا موسى بليت فكنت شيخا … قريب القعر مخزون اللسان
وما عمرو صفاتك يا ابن قيس … فيا لله من شيخ يماني
فامسيت العشية ذا اعتذار … ضعيف الركن منكوب الجنان
تعض الكف من ندم وماذا … يرد عليك عضك بالبنان

وقيل انه لم يكن بينهما غير ما كتباه في الصحيفة واقرار
ابي موسى بان عثمان قتل مظلوما وغير ذلك مما قدمنا وانهما لم
يخطبا وان ابا موسى قال لعمرو قد سميت انا فسم انت قال نعم
اسمي لك اقوى هذه الامة عليها واسدهم رايا واعلمهم بالسياسة

معاوية بن ابي سفيان قال والله ما هو لذلك باهل قال فاتيك باخر
ليس هو دونه قال ومن هو قال ابو عبد الله عمرو بن العاص فلما قالها
علم ابو موسى انه يلعب به قال فعلتها لعنك الله وتسابا وانصرف ابو موسى
بملة فلما انصرف ابو موسى انصرف عمرو بن العاص الى منزله ولم يات معوية فارسل
اليه معاوية يدعوه فقال انما كنت اجيئك اذ كانت لي اليك حاجة فاما
اذا كانت الحاجة الينا فانت احق ان تاتينا فعلم معوية ما قد وقع الى
فخر الراي وعمل الحيلة وامر بطعام واستعد فامر موالي امه واهله فصنع ثم
دعا بخاصته ومواليه واهله وقال اني سأغدو على هذا فاذا دعوت
بالطعام فادعوا مواليه واهله فيجلسوا قبلكم فاذا شبع رجل وقام
فليجلس منكم رجل مكانه فاذا خرجوا ولم يبق في البيت منهم احد
فاغلقوا باب البيت واحذروا ان يدخل منهم احد الا باذني ثم
وغدا اليه معاوية وعمرو جالس على فرشه فلم يقم له عمرو ولا دعاه
اليها فجاء معوية وجلس على الارض واتكا على ناحية الفراش وكذلك
عمرو كان عند نفسه انه قد ملك الامر واليه العقد يصنع فيه ما يريد
ويندب للخلافة من يريد فجرى بينهما كلام كثير فكان فيما قال له عمرو
هذا الكتاب بيني وبينه عليه خاتمه وخاتمي وقد اقر بان عثمان قتل مظلوما
واخرج عليا من هذا الامر وعرض علي رجالا لم ارهم اهلا لها وهذا الامر
الى استخلف عليه من شئت قد اعطاني اهل الشام عهودهم ومواثيقهم
فحادثه معوية ساعة واخرجه عما كانوا عليه وضاحكه وداعبه
ثم قال يا ابا عبد الله هل من غداء قال والله ما عندي شيء يشبع ما ترى
فقال معوية يا غلام هلم بالغداء فجيء بالطعام المستعد فوضع فقال
يا ابا عبد الله ادع مواليك فدعاهم وقال لعمرو وادع انت اصحابك اولا
ثم يجلس هؤلاء بعد فجعلوا كلما قام رجل من حاشية عمرو قعد موضعه رجل
من حاشية معوية حتى خرج اصحاب عمرو وجلس اصحاب معوية فقام
الذي وكله بذلك فاغلق الباب فقال له عمرو وفعلتها فقال اي والله بيني
وبينك امران اختر ايهما شئت البيعة لي او قتلك ليس والله غيرهما
فقال عمرو فاذن لغلامي وردان حتى استشيره وانظر رايه قال لا تراه
والله ولا يراك الا قتيلا او على ما قلت لك قال فالوفاء اذا بطعمة مصر
قال هي لك ما عشت فاستوثق كل واحد منهما من صاحبه واحضر معاوية الخواص
من اهل الشام ومنع ان يدخل معهم احد من حاشية عمرو فقال لهم عمرو
قد رايت ان ابايع معوية فلم ار احدا اقوى على هذا الامر منه فبايعه
اهل الشام وانصرف الى منزله خليفة ولما بلغ عليا ما كان من ابي
موسى الاشعري وعمرو قال اني كنت تقدمت اليكم في هذه الحكومة ونهيتكم

عنهما فابيتم الا عصياني فكيف رايتم عاقبة امركم اذ ابيتم علي والله
واني لاعرف من حملكم على خلافي والترك لامري ولو اشاء اخذه لفعلت
ولكن الله من ورائه يريد بذلك الاشعث بن قيس والله اعلم

ولبعضهم في ما امر به كما قال اخو بني هاشم رحمه

امرتهم امري بمنعرج اللوى ... فلم يستبينوا الرشد الا ضحى الغد

وقال من دعا الى هذه الحكومة فاقتلوه قتله الله ولو كان تحت عمامتي
هذه الا ان هذين الرجلين الخاطئين الذين اخترتموهما حكمين قد
تركا حكم الله وحكما بهوى انفسهما بغير حجة ولا حق معروف فاماتا
ما احيا القران واحييا ما اماته واختلف في حكمهما كلاهما ولم يرشد
ولم يوفقهما فبرئ الله منهما ورسوله صلى الله عليه وسلم وصالح المومنين
فتهيوا للجهاد واستعدوا للمسير واصبحوا في معسكركم ان شا الله

قال المسعودي وقد اختلف اهل ملتنا في الحكمين فقالوا في
ذلك اقوالا كثيرة وقد اتينا على ما ذهبوا اليه وما قاله كل فرقة
منهم وما ايدت به قولها من الخوارج والمعتزلة والشيعة وغيرهم من فرق
هذه الامة في كتابنا في المقالات في اصول الديانات وذكرنا في اخبار
الزمان من قول علي عليه السلام في مواقفه وخطبه وما قاله في ذلك وما انكر
عليه وقوله وتانيبه لهم بعد الحكومة وما تقدم من التحكيم من تحذيره اياهم
منهما حين اختاروا في تحذيره من ابي موسى وعمرو الا وان القوم قد اختاروا
لانفسهم اقرب الناس مما يحبون واخترتم لانفسكم اقرب الناس
مما تكرهون الا وانما عهدكم بعبد الله بن قيس بالامس وهو يقول
الا انها فتنة فقطعوا اوتاركم وكسروا قسيكم فان يكن صادقا
فقد اخطا في مسيره غير مستكره عليه وان يكن كاذبا فقد لزمته التهمة
وهذا الكلام لابي موسى في تخذيله الناس وحضهم على الجلوس
وتثبيطهم عن نصرة امير المومنين علي عليه السلام في خروجه ومسيره الى
الجمل وغيره ثم ما قاله في بعض مقاماته من معاتبته لقريش وقد بلغه
عن اناس منهم تقعدهم عن بيعته او نفور في خلافته كلام فقال
وقد زعمت قريش ان ابن ابي طالب شجاع ولكن لا علم له بالحرب تربت
ايديهم وهل فيهم اشد مراسا لها مني لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين
وها انا ذا قد ذرفت على الستين ولكن لا راي لمن لا يطاع قال المسعودي
واذ قد تقدم ذكرنا لجمل من اخبار الجمل وصفين والحكمين فلنذكر الان
جوامع من اخبار يوم النهروان وتعقيب ذلك بذكر مقتله عليه السلام
وان كنا قد اتينا على مبسوط ذلك في غير هذا الكتاب وما تاخر فيما سلف
من كتبنا والحمد لله وحده والصلوة والسلام على من لا نبي بعده

ذكر حرب علي عليه السلام مع اهل النهروان ولحوق ... الناس ومقتل
محمد بن ابي بكر والاشتر وغير ذلك

قال المسعودي واجتمعت الخوارج في اربعة
الاف فارس فبايعوا عبد الله بن وهب الراسبي ولحقوا بالمداين فقتلوا
عبد الله بن خباب عامل علي عليه السلام وكان عاملا عليها ذبحوه
ذبحا وبقروا بطن امراته وكانت حاملا وقتلوا غيرها من النساء وقد
كان علي انفصل عن الكوفة في خمسة وستين الفا واتاه من
البصرة من قبل ابن عباس وكان عامله عليها عشرة الاف فيهم الاحنف
ابن قيس وجارية بن قدامة السعدي وذلك في سنة ثمان وثلاثين
فنزل على الانبار والتامت اليه العساكر فخطب الناس وحرضهم على الجهاد
وقال سيروا الى قتلة المهاجرين والانصار قدما طالما سعوا في
اطفاء نور الله وحرضوا على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه
الا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرني بقتال القاسطين وهم
هولاء الذين سرنا اليهم والناكثين وهم الذين فرغنا منهم والمارقين
الذين نحن سايرون اليهم ولم نلقهم بعد فسيروا الى القاسطين
فانهم اهم علينا من الخوارج سيروا الى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا جبارين
يتخذهم الناس اربابا من دون الله ويتخذون عباد الله خولا ومالهم
دولا فابوا الا ان يبدوا بالخوارج قال فسار علي عليه السلام
حتى اتى النهروان فبعث اليهم بالحارث بن مرة رسولا يدعوهم فقتلوه
وبعثوا الى علي عليه السلام ان تبت من حكومتك وشهدت على
نفسك بالكفر بايعناك وان ابيت فاعتزلنا حتى نختار
لانفسنا اماما فانا منك برآء فبعث اليهم علي ان ادفعوا الي
قتلة اخواني فاقتلهم ثم اتارككم الى ان افرغ من قتال اهل المغرب
ولعل الله يقلب قلوبكم فبعثوا اليه كلنا قتلة اصحابك وكلنا
مستحل لدمائهم ومشترك في قتلهم واخبره الرسول وكان رجلا
من يهود السواد ان القوم قد عبروا نهر طبرستان وهذا
النهر عليه قنطرة تعرف بقنطرة طبرستان في هذا الوقت بين
حلوان وبين بغداد من جادة خراسان فقال علي عليه
السلام والله ما عبروه ولا يعبرونه حتى نقتلهم بالرميلة دونه
ثم تواترت عليه الاخبار بقطعهم هذا النهر وعبورهم على هذا
الجسر وهو يابى ذلك ويحلف انهم لم يعبروه وان مصارعهم
دونه ثم قال سيروا الى القوم فوالله لا يفلت منهم الا عشرة ولا يقتل
منكم الا عشرة وسار علي عليه السلام فاشرف عليهم فقال الله
اكبر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فتصاف القوم ووقف

عليهم بنفسه فدعاهم الى الرجوع والتوبة فابوا ورموا اصحابه
فقيل له قد رمونا فقال لهم كفوا فكرروا القول عليه ثلاثا
وهو يامرهم بالكف حتى اتي برجل قتيل متشحط بدمه فقال
علي عليه السلام الله اكبر الان حل قتالهم احملوا على القوم
فحمل رجل من الخوارج على اصحاب علي عليه السلام فجرح
علي عليه السلام وحمل يغشى كل ناحية ويقول

اضربهم ولو ارى عليا البسته ابيض مشرفيا
فخرج اليه علي وهو يقول
يا ايها ذا المبتغي عليا اني اراك جاهلا شقيا
قد كنت عن لقائه غنيا هلم فابرز ههنا اليا

وحمل عليه علي عليه السلام فقتله ثم خرج اليه اخر فحمل عليه
ما حمل على الاول ثم خرج اخر فحمل على المسلمين
وحمل فيهم ويقول
اضربهم ولا ارى ابا الحسن ذاك الذي يوما الى الدنيا ركن
فخرج اليه علي وهو يقول
يا ايها ذا المبتغي ابا الحسن اليك فانظر اينا يلقى الغبن

وحمل عليه فقتله في الرمح وترك الرمح فيه فانصرف وعلي عليه السلام
يقول له لقد رايت ابا الحسن ورايت منه ما تكره وحمل ابو
ايوب الانصاري على زيد بن حصين فقتله وقتل عبد الله
ابن وهب الراسبي قتله هاني بن حاطب الازدي وزياد
ابن حفصه وقتل حرقوص بن زهير السعدي فكان من قتل من اصحاب
علي عليه السلام تسعة ولم يفلت كما قال عليه السلام من الخوارج
الا عشره واتي على القوم وهم اربعة الاف فيهم المخدج فطلبوه
فلم يقدروا عليه فقام علي عليه السلام وعليه اثر الحزن لفقد
المخدج فانتهى الى قتلى بعضهم فوق بعض فقال افرجوا
ففرجوا يمينا وشمالا واستخرجوه فقال علي عليه السلام الله
اكبر والله ما كذبت على محمد صلى الله عليه وسلم وانه لناقص اليد ليس فيها
عظم طرفها حلمة مثل ثدي المراه عليها خمس شعرات او سبع
رؤسها معقفه ثم قال ائتوني به فنظر الى عضده فاذا لحم مجتمع
على منكبه كثدي المراه عليه شعرات سود اذا مدت اللحمه امتدت
حتى تحاذي بطن يده الاخرى ثم تترك فتعود الى منكبه فثنى
رجله ونزل وخر لله ساجدا ثم ركب ومر بهم وهم صرعى فقال لقد
صرعكم من غركم قالوا ومن غرهم قال الشيطان والنفس السوء فقال
اصحابه قد قطع الله دابرهم اخر الدهر فقال لا والذي نفسي بيده
انهم لفي اصلاب الرجال وارحام النساء لا تخرج خارجة الا خرجت
بعدها مثلها حتى تخرج خارجة بين الفرات ودجلة مع رجل يقال

له الاشمط يخرج اليه رجل منا اهل البيت فيقتله فلا تخرج بعدها خارجة
وجمع علي عليه السلام ما كان في عسكر الخوارج فقسم السلاح
والدواب بين المسلمين ورد المتاع والعبيد والاماء
على اهليهم ثم خطب الناس فقال ان الله قد احسن اليكم واعز نصركم
فتوجهوا من فوركم هذا الى عدوكم فقالوا يا امير المؤمنين قد كلت سيوفنا
ونفدت نبالنا ونصلت اسنة رماحنا فدعنا نستعد باحسن
عدتنا وكان الذي كلمه بهذا الاشعث بن قيس فعسكر علي عليه السلام
بالنخيلة فجعل اصحابه يتسللون ويلحقون باوطانهم فلم يبق معه
الا نفر يسير ومضى الحرث بن راشد الناجي في ثلاثمائة من الناس فارتدوا
الى دين النصرانية وهم من ولد سامة بن لؤي بن غالب عند انفسهم وقد
ابى ذلك كثير من الناس وذكروا ان سامة بن لؤي ما اعقب
وقد حكي عن علي عليه السلام فيهم ما ذكرناه في كتابنا في اخبار الزمان
ولست ترى شاميا الا منحرفا عن علي عليه السلام من ذلك ما ظهر
من علي بن الجهم الشاعر السامي من النصب والانحراف وقد اتينا على
لمع من شعره واخباره في الكتاب الاوسط ولقد بلغ من انحرافه
وبغضه العداوة لعلي عليه السلام انه كان يلعن اباه فسئل عن ذلك
وبم استحق اللعن منه فقال بتسميته اياي عليا فبعث اليهم علي عليه
السلام معقل بن قيس الرياحي فقتل الحرث ومن معه من المرتدين
بسيف البحر وسبى عيالهم وذراريهم وذلك بساحل البحرين ونزل
معقل بساحل البحرين ونزل معقل بن قيس ببعض كور الاهواز
بسبي القوم وكان هنالك مصقلة بن هبيرة الشيباني عاملا لعلي
فصاح به السبي امنن علينا فاشتراهم بثلاثمائة الف واعتقهم وادى
من المال مائتي الف وهرب الى معاوية فقال علي قاتل الله مصقلة
فعل فعل السيد وفر فرار العبد لو اقام اخذنا ما قدرنا
عليه وان اعسر انظرناه وان عجز لم ناخذه بشيء وانفذ العتق

وفي ذلك يقول مصقلة من ابيات قالها

تركت نساء الحي بكر بن وائل واعتقت سبيا من لؤي بن غالب
وفارقت خير الناس بعد محمد لمال قليل لا محالة ذاهب

وفي ذلك يقول الشاعر

ومصقلة الذي قد باع بيعا ربيحا يوم ناجية بن سامه

ولمصقلة افعال اتاها وحيل عملها قد ذكرناها وما قيل فيه من
الشعر في الكتاب الاوسط وعلي بن محمد بن جعفر العلوي الذي يقول
فيمن ينتمي الى سامة بن لؤي بن غالب

وسامة منا فاما بنو ؛ فامرهم عندنا مظلم
اناس اتونا بانسابهم ؛ خرافة مضطجع يحلم ؛ وقلنا لهم مثل قول الوصي
وكل اقاويله محكم ؛ اذا ما سئلت فلم تدر ما ؛ تقول فقل ربنا اعلم

قال وفي سنة ثمان وثلاثين وجه معوية عمرو بن العاص الى مصر في اربعة آلاف ومعه معوية بن خديج وابو الاعور السلمي واستعمل عمرا عليها حياته ووفى له بما تقدم من ضمانه فالتقوا هم ومحمد ابن ابي بكر وكان عامل علي عليه السلام عليها بالموضع المعروف بالمسناة واقتتلوا فانهزم محمد لاسلام اصحابه اياه وتركهم له وصار الى موضع بمصر فاختفى فيه فاحيط به في الدار فخرج اليهم محمد فيمن معه من اصحابه فقاتلهم حتى قتل فاخذه معوية بن خديج وعمرو بن العاص وغيرهما فجعلوه في جلد حمار واضرموه بالنار وذلك في موضع بمصر يقال له كوم شريك وقيل انه فعل به ذلك وبه شيء من الحياة وبلغ معوية قتل محمد واصحابه فاظهر الفرح والسرور وبلغ عليا عليه السلام قتل محمد وسرور معوية به فقال جزعنا عليه على قدر سرورهم فما جزعت على هالك منذ دخلت في هذه الحرب جزعي عليه كان لي ربيبا وكنت اعده ولدا وكان بي برا وكان ابن اخي فعلى مثل هذا نحزن وعند الله نحتسبه وولى الاشتر مصر وانفذه اليها في جيش فلما بلغ ذلك معوية دس الى دهقان كان بالعريش فارغبه وقال اترك خراجك عشرين سنة واحتل بالسم للاشتر في طعامه فلما نزل الاشتر ساله الدهقان اي الطعام والشراب احب اليك فقال له العسل فاهدى له عسلا وقال هو من امره وشانه ووصفه له وكان الاشتر صائما فتناول منه شربة فما استقرت في جوفه حتى تلف واتى من كان معه على الدهقان ومن معه وقيل كان ذلك بالقلزم والاول اثبت فبلغ ذلك عليا عليه السلام فقال لليدين وللفم وبلغ ذلك معوية فقال ان لله جنودا في العسل وقبض علي اصحابه في هذه السنة ثلاثة الاف دون على حسب ما كان يحمل اليه من المال من اغالته ثم ورد عليه مال من اصبهان فخطب الناس وقال اغدوا الى عطاء اربع فوالله ما انا لكم بخازن وكان في عطائه اسوة الناس ياخذ كما ياخذ الواحد منهم ولم يكن بين علي عليه السلام وبين معوية من الحرب الا ما وصفنا بصفين وكان معوية في بقية ايام علي عليه السلام يبعث سرايا تغير وكذلك كان علي يبعث من يمنع سرايا معاوية من اذية الناس وقد اتينا على ذكر السرايا والغارات فيما سلف من كتبنا

قال المسعودي وقد تكلم طوائف من الناس ممن سلف وخلف من اهل الاراء من الخوارج وغيرهم في فعل علي عليه السلام يوم الجمل وصفين وتباين حكمه فيهما من قتاله اهل صفين مقبلين ومدبرين واجهازه على جرحاهم ويوم الجمل لم يتبع منهزما ولا اجهز على جريح ومن القى سلاحه او دخل داره كان امنا واجابهم من شيعة علي في تباين حكم علي عليه السلام في هذين اليومين لاختلاف حكميهما وهو ان اصحاب الجمل لما انكشفوا لم تكن لهم فئة يرجعون اليها وانما رجع القوم الى منازلهم غير محاربين ولا منابذين ولا لامامته خالعين فرضوا بالكف عنهم فكان الحكم فيهم رفع السيف اذ لم يطلبوا عليه اعوانا واهل صفين كانوا يرجعون الى فئة مستعدة وامام منتصب يجمع لهم السلاح ويبني لهم العطايا ويقيم لهم الانزال ويجبر كسيرهم ويحمل راجلهم ويردهم فيرجعون الى الحرب وهم الى امامته منقادون ولرايه متبعون ولغيره مخالفون ولحقه جاحدون ولامامته تاركون ويطلب ما ليس له قائلون فاختلف حكم اليومين بما وصفنا وتباين حكمهما لما ذكرنا ولكل من الفريقين من السائل والمجيب كلام يطول ذكره ويتسع شرحه قد اتينا على استيعابه وما ذكره كل فريق منهم فيما سلف من كتبنا فاغنى ذلك عن اعادته والله ولي التوفيق

ذكر مقتل علي عليه السلام

وفي سنة اربعين اجتمع جماعة من الخوارج فتذاكروا الناس وما هم عليه وقدر الحرب والفتنة فتعاهد ثلاثة منهم على قتل ثلاثة علي عليه السلام ومعوية بن ابي سفيان وعمرو بن العاص وتواعدوا واتفقوا ان لا ينكص رجل عن صاحبه الذي يتوجه اليه حتى يقتله او يقتل دونه وهم عبد الرحمن بن ملجم المرادي وكان من تجيب وكان عداده في مراد فنسب اليهم وحجاج بن عبد الله الصريمي ولقبه البرك وداود مولى بني العنبر فقال ابن ملجم لعنه الله انا اقتل عليا عليه السلام وقال البرك انا اقتل معوية وقال داود انا اقتل عمرو بن العاص وتواعدوا ان يكون ليلة سبع عشرة من رمضان وقيل ليلة احدى وعشرين فخرج عبد الرحمن بن ملجم المرادي الى علي عليه السلام فلما قدم الكوفة اتى قطام ابنة عمه وكان علي عليه السلام قد قتل اباها واخاه يوم النهروان وكانت اجمل اهل زمانها فخطبها فقالت لا اتزوجك حتى تسمي لي قال ما تسأليني شيئا الا اعطيتك فقالت له ثلاثة آلاف وعبد وقينة وان تقتل عليا فقال لها ما سالت فهو لك مهر الا قتل علي فلا اراك تدركينه قالت بل التمس غرته فان اصبته شفيت نفسي ونفعك العيش معي وان هلكت فما عند الله خير

لكن من الدنيا فقال والله ما جاء بي الى هذا المصر وقد كنت هاربا منه
الا ذلك فقد اعطيتك ما سالتني وخرج من عندها وهو يقول

ثلاثة آلاف وعبد وقينة ... وضرب علي بالحسام المصمم
فلا مهر اغلى من علي وان غلا ... ولا فتك الا دون فتك ابن ملجم

قال فلقي رجلا من اشجع يقال له شبيب بن بجرة من الخوارج فقال
له هل لك في شرف الدنيا والاخرة قال وما ذاك قال تساعدني
على قتل علي بن ابي طالب قال ثكلتك امك لقد جئت شيئا ادا
قد عرفت بلاءه في الاسلام وسابقته مع الرسول عليه السلام
فقال ابن ملجم لعنه الله ويحك اما تعلم انه قد حكم الرجال في كتاب الله
وقتل اخواننا الصالحين فنقتله ببعض اخواننا فاجابه حتى معدم
دخلا على قطام وهي في المسجد الاعظم وقد ضربت كلة لها وهي
معتكفة ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة مضت من رمضان فاعلمتهما
ان مجاشع بن وردان بن علقمة قد انتدب معهما لقتله ودعت
لهما بحرير فعصبتهما به واخذوا اسيافهم وقعدوا مقابلين لباب
السدة التي يخرج منها علي عليه السلام الى المسجد وكان عليه السلام
يخرج كل غداة اول الاذان يوقظ الناس للصلاة وقد كان ابن
ملجم مر بالاشعث وهو في المسجد فقال له الصبح فسمعها حجر بن عدي فضحك
فقال قتلته يا اعور قتلك الله وخرج علي ينادي ايها الناس الصلاة
الصلاة فشد عليه ابن ملجم واصحابه وهم يقولون الحكم لله لا لك وضربه
ابن ملجم على راسه بالسيف في قرنه واما شبيب فوقعت
ضربته بعضادة الباب واما وردان فهرب وقال علي عليه السلام لا يفو تنكم
الرجل وشد الناس على ابن ملجم لعنه الله يرمونه بالحصباء ويتناولو نه
ويصيحون فضرب ساقه رجل من همدان برجله وضرب المغيرة
ابن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وجهه فصرعه واقبل به الى
الحسن ودخل شبيب بين الناس فنجا بنفسه وهرب ابن وردا ن
حتى دخل رحله فدخل عليه عبد الله بن نجبة وهو احد بني امية
فرآه ينزع الحرير عن صدره فساله عن ذلك فاخبره خبره فانصرف
عبد الله الى رحله واقبل بسيفه فضربه حتى قتله وقد ذكر ان عليا
عليه السلام انه لم ينم تلك الليلة وانه لم يزل يمشي بين الباب والحجرة
وهو يقول والله ما كذبت ولا كذبت وانها الليلة التي وعدت
فلما خرج صرخ بط كان للصبيان فصاح بهن بعض من في الدار كان
فقال علي ويحك دعهن فانهن نوائح وقد ذكرت طائفة من الناس
ان عليا اوصى الى ابنيه الحسن والحسين لانهما شريكاه في آية التطهير

وهذا قول كثير ممن ذهب الى القول بالنص ودخل الناس عليه يسالو نه
فقال بعضهم يا امير المؤمنين ارايت ان فقدناك ولا نفقدك
انبايع الحسن والحسين لانهما شريكاه في آية هل نتبع الحسن
او الحسين قال ما آمركم ولا انهاكم انتم ابصر ثم دعا بالحسن
والحسين فقال اوصيكما بتقوى الله وحده ولا تبغيا
الدنيا وان بغتكما فلا تاسفا على شيء منها قولا الحق واشفقا
على اليتيم واعينا الضعيف وكونا للظالم خصما وللمظلوم غيثا هل ع
ولا تاخذكما في الله لومة لائم ثم نظر الى ابن الحنفية فقال سمعت
ما اوصيت به اخويك قال نعم قال اوصيك بمثله واوصيك
بتوقير اخويك وتزيين امرهما فلا تقطعن امرا دونهما ثم قال لهما
اوصيكما به فانه سيفكما وابن ابيكما فاكرماه واعرفا حقه
فقال له رجل من القوم الا تعهد يا امير المؤمنين قال لا ولكني اتركهم
كما تركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما ذا تقول لربك اذا
اتيته قال اقول اللهم ابقيتني فيهم ما شئت ان تبقيني ثم قبضتني
وتركتك فيهم فان شئت افسدتهم وان شئت اصلحتهم ثم قال
اما والله انها الليلة التي ضرب فيها يوشع بن نون ليلة سبع
عشرة وقبض ليلة احدى وعشرين وبقي على الجمعة والسبت
وقبض ليلة الاحد ودفن جثته الكريمة في الرحبة عند المسجد
بالكوفة وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب في اخباره وتنا زع
الناس في موضع قبره وما قيل في ذلك وقبض وقد اتى عليه اثنان
وستون سنة وقد قدمنا التنازع في مقدار سنه وقال الحسن
والله لقد قبض فيكم الليلة رجل ما سبقه الاولون الا بفضل
نبوة ولا يدركه الاخرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يبعثه المبعث فيكتنفه جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره
فلا يرجع حتى يفتح الله عليه وكان الذي صلى عليه الحسن ابنه
وكبر عليه سبعا وقيل غير ذلك ولم يترك صفراء ولا بيضاء الا سبعمائة
درهم بقيت من عطائه اراد ان يشتري بها خادما لاهله وقال
بعضهم ترك مائتين وخمسين درهما ومصحفه وسيفه ولما ادخل
ابن ملجم لعنه الله قال عبد الله بن جعفر دعوني حتى اشفي
نفسي منه فقطع يديه ورجليه واحمى له مسمارا حتى اذا صار
جمرة كحله به فقال سبحان الله الذي خلق الانسان انك لتكحل
عمك بملمول مضاض ثم ان الناس اخذوه فادرجوه في بواري
ثم طلوها بالنفط واشعلوا فيها النار فاحترق

وفي قول عمران بن حطان الرقاشي يمدح من سعى طويل

يا ضربة من تقي ما اراد بها ... الا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

اني لاذكره حينا فاحسبه ... اوفى البرية عند الله ميزانا

ولعمران بن حطان ولابيه حطان اخبار كثيرة قد اتينا على ذكرها في كتابنا اخبار الزمان في اخبار الخوارج من الازارقة والاباضية والحمرية والصفوية وفرق النجدية وغيرهم من فرق الخوارج الى سنة ثمان عشرة وثلاثماية فكان اخر من خرج منهم بديار ربيعة المعروف بعروف فادخل على المقتدر بالله بعث به ابن حمدان من تغلبي وقد كان خرج في ايامه ايضا المعروف بابي شعيب وقد رثى الناس علي عليه السلام في ذلك الوقت والى هذه الغاية وذكروا مقتله

ومما رثاه في ذلك الوقت ابو الاسود الدولي فقال من ابيات له

الا ابلغ معوية بن حرب ... فلا قرت عيون الشامتينا

افي شهر الصيام فجعتمونا ... بخير الناس طرا اجمعينا

قتلتم خير من ركب المطايا ... وذللها ومن ركب السفينا

ومن لبس النعال ومن حذاها ... ومن قرا المثاني والمبينا

اذا استقبلت وجه ابي حسين ... رايت البدر فوق الناظرينا

لقد علمت قريش حيث كانت ... بانك خيرهم حسبا ودينا

قال وانطلق البرك الصريمي الى معوية فطعنه بخنجر في اليته وهو يصلي فاخذ ووقف بين يديه وهو لمابه فقال له ويلك ما انت وما خبرك قال لا تقتلني فانا ابشرك انا بعثنا في هذه الليلة عليك وعلى علي وعلى عمرو بن العاص فاحبسني عندك فان كانا قتلا في هذه الليلة والا خلي سبيلي اطلب عليا وكذا علي ان انا قتلته ان اتيك حتى اضع يدي في يدك فقال بعض الناس قتله يومئذ خير لك وقال بعضهم اتركه حتى تعلم صحة كلامه فلما جاء خبر قتل علي عليه السلام اطلقه وخلى سبيله وانطلق زادويه وقيل انه عمرو بن بكر التميمي الى عمرو بن العاص فوجد خارجة قاضي مصر جالسا على السرير يطعم الناس في مجلس عمرو وقيل بل صلى خارجة الغداة بالناس ذلك اليوم وتخلف عمرو عن الصلوة لعارض فضربه بالسيف فدخل عليه عمرو وبه رمق فقال خارجة ما اراد غيري فقال عمرو ولكن الله اراد خارجة واوقف الرجل بين يديه فساله عن خبره فقص عليه القصة واخبره ان عليا ومعوية قد قتلا في هذه الليلة فقال ان قتلا او لم يقتلا فلا بد من قتلك فبكى فقال له اجزعا من الموت مع هذا الاقدام قال لا والله ولكن غما ان يفوز اصحابي بقتل علي ومعوية ولا افوز انا بقتل عمرو فضربت عنقه وصلب وكان علي كثيرا ما يتمثل بهذه الابيات

تلكم قريش تمناني لتقتلني ... فلا وربك لا بروا ولا ظفروا

فان هلكت فرهن ذمتي لهم ... بذات ودقين لا يعفو لها اثر

وقال ايضا

اشدد حيازيمك للموت ... فان الموت لاقيكا

ولا تجزع من الموت ... اذا حل بواديكا

وسمع في الوقت الذي قتل فيه وقد خرج الى المسجد فعرض عليه في باب داره وكان من جذوع النخل فاقتلعه وجعله ناحية وانحل ازاره فشده وجعل ينشد هذين البيتين وقد كان معوية قد دس اناسا الى الكوفة يشيعون موته فاكثر الناس القول في ذلك حتى بلغ عليا عليه السلام فقال في مجلسه قد اكثرتم من نعي معوية والله ما مات ولا يموت حتى يملك ما تحت قدمي وانما اراد ابن اكلة الاكباد ذلك مني فبعث من يشيع ذلك فيعلم ويتيقن ما عندي فيه وما يكون من امره في المستقبل من الزمان ومن خبر طويل ذكر فيه ايام معوية ومن تلاه من يزيد ومروان وبنيه وذكر الحجاج وما يسومهم من العذاب فارتفع الضجيج وكثر البكاء والعويل فقام قائم من الناس فقال يا امير المومنين لقد وصفت امورا عظيمة ان ذلك كائن قال علي عليه السلام والله ان ذلك لكائن ما كذبت ولا كذبت فقال اخر ومتى ذلك يا امير المومنين قال اذا خضبت هذه من هذه ووضع احدى يديه على لحيته والاخرى على راسه فاكثر الناس البكاء فقال لا تبكوا في وقتي هذا فستبكون بعدي طويلا فكاتب اكثر اهل الكوفة معوية سرا في امورهم واتخذوا عنده الايادي فوالله ما مضت الا ايام قلائل حتى كان ذلك وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب بعد ذكرنا الزهد ولمع من اخباره وايضا في اخبار معوية ابن ابي سفيان وبالله التوفيق

ذكر لمع من اخباره وزهده عليه السلام

لم يلبس عليه السلام في ايامه ثوبا جديدا ولا اقتنى ضيعة ولا ربعا ولا اشيا كان له يبيع مما تصدق به وحبسه فالذي حفظ الناس عنه من خطبه في سائر مقاماته اربع ماية خطبة ونيف وثمانون خطبة يورد على البديه تداول الناس ذلك عنه قولا وعملا وقيل له من خيار العباد فقال الذين اذا احسنوا استبشروا واذا اساوا استغفروا واذا اعطوا شكروا واذا ابتلوا صبروا واذا غضبوا عفوا وكان يقول ان الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها مسجد احباء الله ومصلى ملائكته ومهبط وحيه ومتجر اوليائه اكتسبوا فيها الرحمة فمن ذا يذمها وقد اذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها واهلها ومثلت لهم بلائها

ان لعلم

نكا الله وحمله

البلاء، وشوقت بسرورها السرور، وراحت بفجيعة، وابتكرت بعافية
تحذيرا وترغيبا، وتخويفا فذمها رجال عند الندامة، ومدحها
آخرون عند المكافاة، ذكرتهم فذكروا وانصاريتها، وصدقتهم
فصدقوا حديثها، فيا ايها الذام للدنيا المغتر بغرورها، متى استذمت
لك لعافيته في الدنيا، بل متى غرتك، بمصارع آبائك من البلى
ام بمصارع امهاتك من الثرى، كم عللت بكفك، كم مرضت بيدك
تبغي له الشفى، وتستوصف له الاطبا، لم تنفعه بشفائك ولم تسعف
له بطلبتك، قد مثلت لك به الدنيا نفسك، وبمصرعه مصرعك
غدات لا ينفعك بكاؤك، ولا يغني عنك احباؤك، ولم يسمع في
مدح الدنيا احسن من هذا، ومما حفظ من كلامه عليه السلام في
بعض مقاماته في صفة الدنيا انه قال الا ان الدنيا قد ارتحلت
مدبرة، وان الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ولهذه ابنا وللهذه
ابنا، فكونوا من ابنا الآخرة ولا تكونوا من ابنا الدنيا، الا كونوا
من الزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة، وان الزاهدين في الدنيا
اتخذوا الارض بساطا، والتراب فراشا، والما طيبا، وقرضوا
الدنيا تقريضا، الا ومن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات، ومن
اشفق من النار رجع عن المحرمات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه
المصيبات، ومن راقب الخير سارع في الخيرات، الا وان لله
عبادا كانهم يرون اهل الجنة في الجنة منعمين مخلدين، واهل
النار في النار معذبين مخلدين، قلوبهم محزونة، وشرورهم
مامونة، انفسهم عفيفة، وحاجتهم خفيفة، صبروا اياما قليلة
فصارت لهم العقبى راحة طويلة، اما الليل فصافين اقدامهم،
تجري دموعهم على خدودهم، يجارون الى ربهم، ويسعون
في فكاك رقابهم، واما النهار فعلما حكما، بررة اتقيا،
كانهم القداح براهم الخوف والعبادة ينظر اليهم الناظر فيقول
مرضى وما بالقوم من مرض، ام خلطوا فقد خالط القوم امر
عظيم من ذكر الدنيا وما فيها، وقال لابنه الحسن
يا بني استعد بالله واستغن عمن شئت تكن نظيره، واسال
من شئت تكن حقيره، واعط من شئت تكن اميره، ودخل
عليه رجل من اصحابه فقال كيف اصبحت يا امير المومنين فقال اصبحت
ضعيفا مهينا، اكل رزقي وانتظر اجلي، قال له وما تقول في
الدنيا قال وما اقول في دار اولها غم، وآخرها موت،
من استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن، حلالها حساب،

وحرامها عقاب، قال فاي الخلق انعم قال اجساد تحت التراب، قد
امنت العقاب، وهي تنتظر الحساب، ودخل ضرار بن ضمرة وكان
من خواص علي عليه السلام على معوية وافدا فقال له صف لي عليا
قال او تعفيني امير المومنين قال لا بد من ذلك قال اما اذا كان
ولا بد من ذلك فانه كان والله بعيد المدا، شديد القوى
يقول فصلا، ويحكم عدلا، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة
من نواحيه، يعجبه من الطعام ما خشن، ومن اللباس ما قصر، وكان
والله يجيبنا اذا دعوناه، ويعطينا اذا سالناه، وكنا والله على تقريبه
لنا وقربه منا لا نكلمه هيبة له، ولا نبتديه لعظمه في نفوسنا،
يبتسم عن ثغر مثل اللولو المنظوم، يعظم اهل الدين، ويرحم المساكين
ويطعم في المسغبة، يتيما ذا مقربة، او مسكينا ذا متربة، ويكسو العريان
وينصر اللهفان، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويانس بالليل
وظلمته، وكاني به والليل قد ارخى سدوله، وغارت نجومه،
وهو في محرابه قابضا على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي
بكاء الحزين، ويقول يا دنيا غري غيري، ابي تعرضت
ام لي تشوقت، هيهات هيهات لا حاجة لي فيك قد ابنتك
ثلاثا لا رجعة لك في، ولا لي فيك خاطر، فعمرك قصير، وعيشك
حقير، وخطرك يسير، آه من قلة الزاد، وبعد الطريق، ووحشة
السفر، فقال معوية زدني شيئا من كلامه فقال ضرار
كان يقول اعجب ما في الانسان قلبه، وله مواد من الحكمة واضداد
من خلافها، فان سنح له الرجا اذله الطمع، وان هاج به الطمع
اهلكه الحرص، وان ملكه القنوط اهلكه الاسف، وان
عرض له الغضب اشتد به الغيظ، وان اسعد بالرضى نسي
التحفظ، وان ناله الخوف فضحه الجزع، وان افاد مالا
اطغاه الغنى، وان عضته فاقة عضه الفقر، وان اجهده
الجوع اقعده الضعف، وان افرط به الشبع كظته البطنة،
فكل تقصير به مضر، وكل افراط له مفسد، فقال له معوية زدني
هذا كلما وعيته من كلامه قال هيهات ان اتي على جميع ما
سمعته منه ثم قال سمعته يوصي كميل بن زياد ذات يوم
فقال له يا كميل ذب عن المومن فان ظهره حما الله، ونفسه كريمة
على الله، وظالمه خصم الله، فاحذر من ليس له ناصر الا
الله، قال وسمعته يقول ذات يوم ان هذه الدنيا اذا
اقبلت على قوم اعارتهم محاسن غيرهم، واذا ادبرت عنهم

سلبتهم محاسن انفسهم قال وسمعته يقول نظر الغني يمنعه من عز
الصبر قال وسمعته يقول ينبغي ان يكون نظره عبره وسكوته
فكره وكلامه حكمه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان
قتل جعفر بن ابي طالب الطيار بموته من ارض الشام لا يبعث بعلي
في وجه من الوجوه الا يقول رب لا تذرني فردا وانت خير الوارثين
وحمل علي عليه السلام في يوم احد على كردوس من المشركين فكشفهم
فقال جبريل عليه السلام يا محمد ان هذه لهي المواساه فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ان عليا مني كهرون من موسى قال جبريل وانا منكما
ذكر ذلك اسحق بن اسرائيل وغيره ووقف على علي سائل
فقال للحسن قل لامك تدفع اليه درهما فقال انما عندنا
ستة دراهم للدقيق فقال علي لا يكون المومن مومنا حتى يكون
بما في يد الله اوثق منه بما في يده ثم امر للسائل بالستة دراهم كلها فما
برح صلوات الله عليه حتى مر به رجل يقود بعيرا فاشتراه منه بمائة
واربعين درهما واستاجله ثمانية ايام فلم يحل عقاله حتى مر به رجل
اخر والبعير معقول فقال له بكم قال بمائتي درهم قال قد اخذته
ووزن الثمن له فدفع منه علي عليه السلام المائة والاربعين للذي ابتاعه
منه ودخل بالستين الباقية على فاطمة عليها السلام فسالته عن ذلك فقال
هذا تصديق لما جاء به ابوك صلى الله عليه وسلم من جاء بالحسنة
فله عشر امثالها ومر ابن عباس بقوم ينالون من علي بن ابي طالب
ويسبونه فقال لقائده ادنني منهم فادناه فقال ايكم الساب
لله قال نعوذ بالله ان نسب الله قال فايكم الساب لرسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالوا نعوذ بالله ان نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال فايكم الساب لعلي بن ابي طالب عليه السلام فقالوا اما هذا فنعم
قال فاشهد اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سبني
فقد سب الله ومن سب عليا فقد سبني فاطرقوا فلما ولى
ابن عباس قال لقائده كيف رايتهم فقال

نظروا اليك باعين محمره ... نظر التيوس الى شفار الجازر

فقال زدني فداك ابي فقال

خزر العيون نواكس اذقانهم ... نظر الذليل الى العزيز القاهر

فقال زدني فداك ابي من مزيد الخير قال ما عندي ما ازيدك ولكن
انا عندي فقال

احياوهم تخزي على امواتهم ... والميتون فضيحه للغابر

وقد ذكر جماعة من اهل النقل عن ابي عبد الله جعفر بن محمد عن

للمومن

فضائله

ابيه محمد بن علي بن الحسين بن علي عليهم السلام ان عليا
قال في صبيحة الليلة التي ضربه فيها ابن ملجم عليه اللعنه
والعذاب قال بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على
رسوله واله كل امرء ملاقيه ما يفر منه والاجل تساق النفوس
اليه والهرب منه موافاته كم اطردت الايام ابحثها عن مكنون
هذا الامر فابى الله الا اخفاءه هيهات علم مكنون اما وصيتي
بالله لا تشركوا به شيا ومحمد صلى الله عليه وسلم لا تضيعوا
سنته اقيموا هذين العمودين حمل كل امرء منكم مجهوده
وخفف عن الجهلة رب رحيم ودين قويم وامام عليم كان في
اعصار ذوي رياح تحت ظل غمامة اضمحل راكدها ومحطها
من الارض حسا وهي من بعدي جثة خلاء ساكنة بعد حركه
كاظمة بعد نطق ليعظكم هدوي وخفوت اطرافي انه اوعظ
لكم من نطق البليغ ودعتكم وداع امرئ مرصد للتلاق غدا
ترون ايامي ويكشف الله عن سرائري عليكم السلام الى يوم اللزام كنت
بالامس صاحبكم واليوم عظة لكم وغدا افارقكم ان ابق فانا
ولي دمي وان افن فالقيامة ميعادي والعفو اقرب للتقوى
الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم ذكر خطبة من كلامه
في زهده في الدنيا وله عليه السلام في بعض خطبه

ان الدنيا قد ادبرت واذنت بوداع وان الاخره قد اشرفت
واقبلت باطلاع وان المضمار اليوم والسباق غدا الا وانكم
اليوم في ايام امل من ورائه اجل فمن اخلص في ايام امله
قبل حضور اجله فقد نفعه عمله ولا يضره اجله ومن
قصر في ايام امله قبل حضور اجله فقد خسر عمله الا فاعملوا لله
في الرغبة كما تعملون في الرهبه الا واني لم ار كالجنه نام طالبها
ولا كالنار نام هاربها الا وانه من لم ينفعه الحق لم يضره الباطل
ومن لم يستقم به الهدى يجر به الضلال الا وانكم قد امرتم بالظعن
ودللتم على الزاد وان اخوف ما اخاف عليكم اتباع الهوى
وطول الامل وفضائل علي عليه السلام ومناقبه ومقاماته ووصف
نسكه وزهده اكثر من ان ياتي عليه كتابنا هذا وغيره من الكتب
او يبلغه اسهاب مسهب او اطناب مطنب وقد اتينا على جمل من اخباره
وزهده وسيره وانواع كلامه وخطبه في كتابنا المترجم بكتاب
حدائق الاذهان وطرائف الاثار للصفوة النورية والذرية الزكيه
ابواب الرحمه وينابيع الحكمه قال المسعودي والاشياء التي استحق

من اخبار ال محمد عليهم السلام وفي اخبار كتاب جمع ...

بها آل الرسول صلى الله عليه وسلم الفضل في السبق الى الايمان والهجرة والنصرة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم والقرب منه والقناعة وبذل النفس له والعلم
بالكتاب والتنزيل والجهاد في سبيل الله والورع والزهد والقضاء
والحكم والفقه والعلم وكل ذلك فلعلي عليه السلام منه النصيب الاوفر
والحظ الاكبر الى ما ينفرد به من القول من رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
آخا بين اصحابه انت اخي وهو صلى الله عليه وسلم لا ضد له ولا ند له وقوله
صلى الله عليه وسلم انت مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي وقوله
عليه السلام من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر
من نصره واخذل من خذله ثم دعاؤه صلى الله عليه وسلم وقد قدم اليه
الطائر فدخل عليه علي عليه السلام الى آخر الحديث فهذا وغيره
من بعض فضائله وما اجتمع فيه من الخصال مما تفرق في غيره ولكل فضائل
ممن تقدم وتاخر وبغض النبي صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهم مخبر
عن بواطنهم بموافقتها لظواهرهم بالايمان وبذلك نزل التنزيل فتوالى
بعضهم بعضا فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتفع الوحي حدثت
امور تنازع الناس في صحتها منهم وذلك غير يقين ولا يقطع عليهم بها
والبقين فيهم ما تقدم والله اعلم بما حدث وهو ولي التوفيق

ثم بويع الحسن عليه السلام بالكوفة بعد وفاة ابيه بيومين في شهر رمضان
من سنة اربعين ووجه عماله الى السواد والجبل وقتل الحسن ابن
ملجم لعنه الله على حسب ما ذكرنا آنفا ودخل معوية الكوفة بعد صلح الحسن
ابن علي عليهما السلام لخمس بقين من ربيع الاول سنة احدى واربعين
وكانت وفاة الحسن وهو يومئذ ابن خمس وخمسين سنة بالسم ودفن
بالبقيع مع امه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد روي عن جعفر بن محمد الصادق عن ابيه
عن جده علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب قال دخل الحسين على الحسن قال
حدثنا ما سقي السم فقام لحاجة الانسان ثم رجع فقال لقد سقيت
السم عدة مرات فما سقيت مثل هذه لقد لفظت طائفة من كبدي
فرايتني اقلبه بعود في يدي فقال له الحسين يا اخي من سقاك فقال
وما تريد بذلك فان كان الذي اظن فالله حسيبه ولئن كان
غيره فما احب ان يوخذ بي بري فلم يلبث بعد ذلك الا ثلاث
حتى توفي رضوان الله عليه وذكر ان امراته جعدة بنت الاشعث
ابن قيس الكندي سقته السم وقد كان معاوية دس اليها انك
ان احتلت في قتل الحسن وجهت اليك بمائة الف درهم وزوجتك

بيزيد فكان هذا الذي بعثها على سمه فلما مات وفا لها معوية بالمال
وارسل اليها انا نحب حيوة يزيد ولولا ذلك لوفينا لك بتزويجه وذكر
ان الحسن قال عند الموت لقد حاقت شربته وبلغ امنيته والله لا وفى
بما وعد ولا صدق فيما قال وفي ذلك يقول ابو العباس الناشي وكان من شيعة علي عليه السلام

جعدة بكيه ولا تسأمي ... بعد بكاء المعول الثاكل
لم يسبل الستر على مثله ... في الارض من حاف ومن ناعل

وفي ذلك يقول بعض من شيعته

تعز فلم تدع سلوة ... تنزع عنك غليل الحزن
بموت النبي وقتل الوصي ... وقتل الحسين وسم الحسن

قال المسعودي ووجدت في كتاب اخبار لابي الحسن علي
ابن محمد سليمان النوفلي عن صالح بن علي بن عطية الاصم قال حدثنا
عبد الرحمن بن العباس الهاشمي عن ابي عون صاحب الدولة عن محمد بن علي بن عبد الله
ابن العباس عن ابيه عن جده عن العباس بن عبد المطلب قال كنت عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اقبل علي بن ابي طالب عليه السلام فلما رآه
اسفر في وجهه فقلت يا رسول الله انك لتسفر في وجه هذا الغلام
فقال يا عم والله ورسول الله والله اشد حبا له مني لم يكن نبي
الا وذريته الباقية بعده من صلبه وان ذريتي من بعدي من صلب هذا
انه اذا كان يوم القيمة دعي الناس باسمائهم واسماء ابائهم وامهاتهم
سترا من الله عليهم الا هذا وشيعته فانهم يدعون باسمائهم واسماء ابائهم
لصحة ولادتهم ولما دفن الحسن عليه السلام وقف محمد بن الحنفية
اخوه على قبره فقال لئن عزت حياتك لقد هدت وفاتك ولنعم الروح
روح تضمنه كفنك ولنعم الكفن كفن تضمنه بدنك وكيف لا يكون هذا
وانت عقبة الهدى وحليف اهل التقى وخامس اصحاب الكسا
غذتك بالتقى اكف الحق وارضعتك ثدي الايمان وربيت في
حجر الاسلام فطبت حيا وميتا وان كانت انفسنا غير سخية بفراقك
رحمك الله ابا محمد ووجدت في وجه آخر من الروايات في اخبار
اهل البيت عليهم السلام ان محمدا وقف على قبره فقال يا ابا محمد
لئن طابت حياتك لقد فجع مماتك وكيف لا يكون ذلك وانت
خامس اهل الكسا وابن محمد المصطفى وابن علي المرتضى وابن فاطمة
الزهرا وابن شجرة طوبى وقيل بعد ذلك هذه الابيات

اادهن راسي ام تطيب مجالسي ... وخدك معفور وانت سليب
سابكيك ما ناحت حمامة ايكة ... وما اخضر في دوح الحجاز قضيب
غريب واكناف الحجاز تحوطه ... الا كل من تحت التراب غريب

وجدت في بعض كتب التواريخ في اخبار الحسن صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
الخلافة بعدي ثلاثون سنة لان الصديق تقلدها سنتين وثلاثة اشهر
وثمانية ايام وعمر عشر سنين وستة اشهر وثمانية عشر يوما وعثمان
اثني عشر سنة واحدي عشر شهرا وثلاثة عشر يوما وعلي اربع
سنين وتسعة اشهر ويوما والحسن ثمانية اشهر وعشرة ايام
فذلك ثلاثون سنة حدث محمد بن جرير الطبري عن محمد بن حميد الرازي
عن علي بن مجاهد عن محمد بن اسحاق عن الفضل بن العباس بن ربيعة قال
وفد عبد الله بن العباس على معوية قال فوالله اني لفي المسجد اذ كبر
معوية فكبر اهل الخضراء ثم كبر اهل المسجد بتكبير اهل الخضراء فخرجت
فاطمة بنت قرظة بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف من خوخة لها فقالت
سرك الله يا امير المؤمنين ما هذا الذي بلغك فسررت به قال موت
الحسن بن علي بن ابي طالب قد اتاني فقالت انا لله وانا اليه راجعون
ثم بكت وقالت مات سيد المسلمين وابن بنت رسول رب العالمين فقال
معوية اما والله لئن فعلت ان كان لكذلك ان تبكي عليه فبلغ الخبر
ابن عباس فراح فلما دخل على معوية قال قد علمت يا ابن عباس ان الحسن
ابن علي توفي قال فلذلك كبرت قال نعم قال اما والله ما موته بالذي
يوخر اجلك ولا حفرته بسادة حفرتك ولئن اصبنا به فقد اصبنا
قبله بسيد المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين ثم بعده بسيد
الوصيين فجبر الله تلك المصيبة ورفع تلك العثرة فقال ويحك يا ابن
عباس ما كلمتك قط الا وجدتك معدا ولما صالح الحسن معوية اتانا له
من اهل الكوفة ولم يزل بين منهم اشار عمرو بن العاص على معوية وذلك
بالكوفة ان يامر الحسن ان يقوم فيخطب بالناس فكره ذلك معوية وقال
ما اريد ان يخطب بالناس وامر رجلا فنادى بالحسن بن علي عليه السلام
فقام اليه فقال قم يا حسن فكلم الناس فقام فتشهد في بديهته
ثم قال اما بعد ايها الناس فان الله هداكم باولنا وحقن دماءكم باخرنا
وان لهذا الامر مدة والدنيا دول قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه
وسلم قل ان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون انه يعلم الجهر من القول
ويعلم ما تكتمون وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين ثم قال في كلامه
ذلك يا اهل الكوفة لو لم تذهل نفسي عنكم الا لثلاث خصال
لذهلت مقتلكم ابي وسلبكم ثقلي وطعنكم في بطني واني قد بايعت
معوية فاسمعوا له واطيعوا وقد كان اهل الكوفة انتهبوا سرادق
الحسن ورحله وطعنوه بخنجر في بطنه فلما تيقن ما نزل به انقاد
الى الصلح وقد كان علي اعتل فامر ابنه الحسن ان يصلي بالناس يوم الجمعة

فصعد المنبر وحمد الله واثنى عليه ثم ذكر جده فصلى عليه ثم قال ان الله لم
يبعث نبيا الا اختار له نفسا ورهطا وبيتا والذي بعث محمدا بالحق نبيا
لا ينقص من حقنا اهل البيت احد الا نقصه الله مثله من عمله ولا تكون
علينا دولة الا وتكون لنا العاقبة ولتعلمن نبأه بعد حين ومن خطب
الحسن في ايامه انه خطب في بعض مقاماته وقال نحن حزب الله المفلحون
وعترة رسوله الاقربون واهل بيته الطيبون الطاهرون واحد الثقلين
الذين خلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم والثاني كتاب الله الذي فيه
تفصيل كل شيء لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والمعول علينا
في كل شيء لا نخطيء تاويله بل نتيقن حقائقه فاطيعونا فان طاعتنا
مفروضة اذ كانت بطاعة الله والرسول واولي الامر مقرونة فان تنازعتم
في شيء فردوه الى الله والرسول ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم
لعلمه الذين يستنبطونه منهم واحذركم الاصغاء لهتاف الشياطين بكم
فانه لكم عدو مبين فتكونوا كاوليائه الذين قال لهم لا غالب لكم اليوم واني
جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم
اني ارى ما لا ترون فتلقون للرماح ازرا وللسيوف جزرا وللعمد حطما وللسهام
غرضا ثم لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا

ذكر خلافة معاوية وما كان منه بويع معوية بن ابي سفيان
في شوال سنة احدى واربعين ببيت المقدس فكانت ايامه تسع عشرة
سنة وثمانية اشهر وتوفي في رجب سنة احدى وستين ودفن بدمشق
بباب الصغير وقبره يزار في هذا الوقت وهو سنة اثنين وثلثين وثمانمائة وعليه
بيت مبني يفتح كل يوم الاثنين والخميس وسنذكر بعض اخباره وسيره
ونوادر من بعض افعاله وفي سنة ثلاث وخمسين قتل معوية حجر بن عدي
الكندي وهو اول من قتل صبرا في الاسلام حمله زياد من الكوفة ومعه تسعة
نفر من اصحابه من اهل الكوفة واربعة من غيرها فلما صار على اميال من الكوفة يراد
به دمشق **انشات ابنته لم تعقل ولا عقب له غيرها**

ترفع ايها القمر المنير … لعلك ان ترى حجرا يسير … يسير الى معوية بن حرب
لذا يردي وقد زعم الامير … ليصلبه على بابي دمشق … وتاكل من محاسنه النسور
الا يا حجر حجر بني عدي … تلقتك السلامة والسرور … تجبرت الجبابر بعد حجر
وطاب لها الخورنق والسدير … اخاف عليك ما اردى عديا … وشيخا في دمشق له زئير
الا يا ليت حجرا مات موتا … ولم ينحر كما نحر البعير … فان تهلك فكل عميد قوم
الى هلك من الدنيا يصير

قال المسعودي ولما صار الى مرج عذرا على اثني عشر ميلا من دمشق
تقدم البريد باخبارهم الى معوية فبعث برجل اعور فلما اشرف على حجر واصحابه
قال رجل منهم ان صدق الزجر فانه سيقتل منا النصف وينجو الباقون
فقيل له وكيف ذلك قال اوما ترون الرجل المقبل مصابا باحدى عينيه
فلما وصل اليهم قال لحجر ان امير المومنين قد امرني بقتلك يا راس الضلال ومعدن
الكفر والطغيان والمتولي لابي تراب وقتل اصحابك الا ان ترجعون عن كفركم
وتلعنوا صاحبكم وتبروا منه فقال حجر وجماعة ممن كان معه ان القتل
لايسر علينا مما تدعونا اليه ثم القدوم على الله وعلى نبيه ووصيه
احب الينا من دخول النار واجاب نصف من كان معه الى البراة من علي
عليه السلام فلما قدم حجر ليقتل قال دعوني اصلي ركعتين فطول في
صلاته فقيل له اجزعا من الموت فقال لا ولكني ما تطهرت للصلوة قط
الا صليت وما صليت اخف من هذه وكيف لا اجزع واني لارى قبرا
محفورا وسيفا مشهورا وكفنا منشورا ثم قدم فنحر والحق به
من وافقه على قوله من اصحابه وقيل ان قتلهم كان في سنة خمسين
وذكر ان عدي بن حاتم الطائي دخل على معوية فقال له ما فعلت
الطفاه اولاده قال قتلوا مع علي قال ما انصفك علي اذ قتل اولادك
وابقى اولاده فقال عدي ما انصفت عليا اذ قتل وبقيت بعده
فقال معوية قد بقيت قطرة من دم عثمان لا يمحوها الا دم شريف
من اشراف اليمن فقال عدي والله ان قلوبنا التي ابغضناك بها لفي
صدورنا وان اسيافنا التي قاتلناك بها لعلى عواتقنا ولئن ادنيت
الينا الغدر فترا بعد الشبر وان حز الحلقوم وحشرجة الحيزوم
لاهون علينا من ان نسمع المساءة في علي عليه السلام فشم السيف
يا معوية يبعث السيف قال معوية هذه كلمات حكم فاكتبوها واقبل
على عدي محادثا له كانه ما خاطبه بشي وذكر ان معوية شاور عمرو بن
عثمان واسامة بن زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ارض
فقال عمرو لاسامة كانك تنكرني فقال اسامة ما يسرني نسبك بولائي
يوم بدر فقام مروان بن الحكم فجلس الى جنب عمرو بن عثمان وقام
الحسن فجلس الى جانب اسامة فقام سعيد فجلس الى جنب
عمرو ومروان فقام الحسين فجلس الى جنب اخيه الحسن واسامة
فقام عبد الله بن عامر فجلس الى جنب سعيد فقام عبد الله بن جعفر
فجلس الى جانب الحسن فقام عبد الرحمن بن الحكم فجلس الى جانب

ابن عامر

ابن عامر فقام عبد الله بن عباس فجلس الى جانب ابن جعفر فلما راى
معوية ذلك قال لا تعجلوا انا كنت شاهدا اذ قطعها رسول الله
صلى الله عليه وسلم اسامة فقام الهاشميون فخرجوا ظاهرين واقبل
الامويون عليه فقالوا الا كنت اصلحت بيننا فقال دعوني فوالله
ما ذكرت عيونهم تحت المغافر بصفين الا لبس على عقلي وان الحرب
اولها نجوى واوسطها شكوى واخرها بلوى وتمثل بابيات
امرئ القيس المتقدمة في هذا الكتاب في اخبار عمرو بن معدي كرب
الحرب اول ما تكون فتية تسعى بزينتها لكل جهول حتى اذا التهبت وشب ضرامها
عادت عجوزا غير ذات حليل شمطاء جز راسها وتنكرت مكروهة للشم والتقبيل
ثم قال ما في القلوب يشب الحروب والامر الكبير يدفعه الصغير وتمثل بهذا البيت
قد يلحق الصغير بالجليل وانما القدم من الافيل ويسحق النخل من الفسيل
قال المسعودي رحمه الله ولما هم معوية بالحاق زياد بابي سفيان ابيه
وذلك في سنة اربع واربعين شهد زياد بن اسماء الحرمازي ومالك بن ربيعة
السلولي والمنذر بن الزبير بن العوام ان ابا سفيان خبر انه ابنه وان
ابا سفيان قال لعلي بن ابي طالب عليه السلام حين ذكر زياد عند عمر
رضي الله عنه شعر اما والله لولا خوف شخص يراني يا علي من الاعادي
لبين امره صخر بن حرب ولم يكن المجمجم عن زياد ولكني اخاف صروف قوم
لها نيم وسيفي عن بلاد فقد طالت مجاملتي ثقيفا وتركي فيهم ثمر الفواد
الاسد ربهم قتلا وهم في فرحة بطراد ثم زاده تقينا
الى ذلك شهادة ابي مريم السلولي وكان اخبر الناس ببدو امره انه جمع
بين ابي سفيان وسمية ام زياد في الجاهلية على زنى وكانت سمية من ذوات
الرايات بالطايف تودي الضريبة الى الحرث بن كلدة وكانت تنزل بالموضع
الذي تنزل به البغايا وكان سبب ادعا معوية له فيما ذكر ابو عبيدة معمر
ابن المثنى ان عليا ولاه فارس حين اخرج منها سهل بن حنيف فضرب
زياد بعضهم ببعض حتى غلب وما زال ينتقل في كورها حتى اصلح فارس
ثم ولاه اصطخر وكان معوية يتهدده ثم اخذ بسر بن ارطاه عبيد الله
وسالما ولديه وكتب اليه يقسم ليقتلنهما ان لم يرجع ويدخل في طاعة معوية
فكتب معوية الى بسر الا تعرض لاحد من زياد وكتب الى زياد ان يدخل في
طاعته ويرده الى عمله فقدم زياد على معوية فصالحه على مال حمله
ودعاه معوية الى ان يستلحقه فابى زياد ذلك وكان المغيرة بن شعبة قال
لزياد قبل قدومه على معوية ارم الغرض الاقصى ودع عنك الفضول فان

هذا الامر لايمد احد يدا اليه الا الحسن بن علي وقد بايع لمعوية فخذ لنفسك
قبل التوطين قال زياد فاشر علي قال ارى ان تنقل اصلك الى اصله
وتصل حبلك بحبله وتعير الناس منك اذنا صما فقال ابن شعبة اغرس
عودا في غير منبته ولا مدرة فتحييه ولا عرق فيسقيه ثم ان
زيادا اعتزم على قبول الدعوى والاخذ براي ابن شعبة وارسلت
اليه جويرية بنت ابي سفين عن امر اخيها معوية فاتاها فاذنت له
وكشفت عن شعرها بين يديه وقالت انت اخي اخبرني بذلك ابي
ثم اخرجه معوية الى المسجد وجمع الناس فقام ابو مريم السلولي فقال
اشهد ان ابا سفين قدم علينا بالطايف وانا خمار في الجاهلية فقال
ابغي بغيا فاتيته وقلت لم اجد الا جارية الحرث سمية فقال
ايتني بها على ذفرها وقذرها فقال له زياد مهلا يا ابا مريم انما بعثت
شاهدا ولم تبعث شاتما فقال ابو مريم لو كنتم اعفيتموني لكان
احب الي وانما شهدت بما عاينت ورايت والله لقد اخذ
بكم درعها واغلقت الباب عليهما وقعدت دهشانا فلم البث ان خرج
علي يمسح جبينه فقلت مه يا ابا سفين فقال ما اصبت مثلها يا ابا
مريم لولا استرخا من ثدييها وذفر من فيها فقام زياد فقال ايها
الناس هذا الشاهد قد ذكر ما سمعتم ولست ادري حق ذلك من
باطله وانما كان عبيد الله ربيبا مبرورا ووليا مشكورا والشهود
اعلم بما قالوا فقام يونس بن عبيد ابو صفية بنت عبيد بن اسد
ابن علاج الثقفي وكانت صفية مولاة سمية فقال يا معوية قضى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الولد للفراش وللعاهر الحجر وقضيت
انت ان الولد للعاهر وان الحجر للفراش مخالفة لكتاب الله وانصرافا
عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بشهادة ابي مريم على زنا ابي
سفين فقال معوية والله يا يونس لتنتهين او لاطيرن بك
طيرا بطيا وقوعه فقال يونس هل الا الى الله ثم اقع قال نعم واستغفر
الله **قال عبد الرحمن بن ام الحكم في ذلك وقال الزبير بل هو مفرغ الحميري**

الا ابلغ معوية بن حرب ، مغلغلة عن الرجل اليماني
اتغضب ان يقال ابوك عف ، وترضى ان يقال ابوك زان
فاشهد ان رحمك من زياد ، كرحم الفيل من ولد الاتان

وفي زياد واخوته يقول حارث اليماني

ان زيادا ونافعا وابا بكرة عندي من اعجب العجب
ان رجالا ثلاثة خلقوا من رحم انثى مخالفي النسب
ذا قرشي فيما يقول وذا مولى وهذا ابن عمه عربي

قال ولما قتل علي عليه السلام كان في نفس معوية من يوم صفين على
هاشم بن عتبة بن ابي وقاص المرقال وولده عبيد الله بن هاشم احن فلما
استعمل معوية زيادا على العراق كتب اليه اما بعد فانظر عبيد الله
ابن هاشم بن عتبة فشد يده الى عنقه ثم ابعث به الي فحمله زياد
من البصرة مقيدا مغلولا الى دمشق وقد كان زياد طرقه بالليل في
منزله بالبصرة فادخل على معوية وعنده عمرو بن العاص فقال معوية
لعمرو هل تعرف هذا قال لا قال هذا الذي يقول ابوه يوم صفين

اني شريت النفس لما اعتلا ، واكثر اللوم وما اقلا
اعور يبغي اهله محلا ، قد عالج الحيوة حتى ملا
لا بد ان يفل او يفلا ، اشلهم بذي الكعوب شلا
لاخير عندي في كريم ولى ، **فقال عمرو متمثلا**

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى ، وتبقى حزازات النفوس كما هيا

دونك يا امير المومنين هذا الضب المضب فاشخب اوداجه على
اثباجه ولا ترده الى اهل العراق فانه لا يصبر على النفاق وهم اهل
غدر وشقاق وحزب ابليس ليوم هيجانه وان له هوى سيرديه
ورايا سيطغيه وبطانة ستغويه وجزاء سيئة سيئة مثلها
فقال عبيد الله يا عمرو ان اقتل فرجل اسلمه قومه وادركه
يومه فهلا كان هذا منك اذ تحيد عن القتال ونحن ندعو
الى النزال وانت تلوذ بشمال النطاف وعقائق الرصاف
كالامة السوداء والنعجة القوداء لا تدفع يد لامس فقال
عمرو اما والله لقد وقعت في لهاذم شدقم للاقران ذي لبد
ولا احسبك منفلتا من مخالب امير المومنين فقال عبيد الله اما
والله يا ابن العاص انك لبطر في الرخاء جبان عند اللقاء غشوم
اذا وليت هياب اذا لقيت تهدر كما يهدر العود المنكوس المقيد
بين مجرى السيول لا يستعجل في المدة ولا يرتجى في الشدة
افلا كان هذا منك اذ غمرك اقوام لم يعنفوا صغارا ولم يمزقوا
كبارا لهم ايد شداد والسنة حداد يدعمون العوج ويذهبون
العرج يكثرون القليل ويشفون الغليل ويعزون الذليل فقال
عمرو اما والله لقد رايت اباك يومئذ تخفق احشاوه
وتبق امعاوه وتضطرب اطلاوه كانما انطبق عليه صمد فقال عبيد الله
يا عمرو انا بلوناك ومقالتك فوجدنا لسانك كذوبا غادرا
خلوت باقوام لا يعرفونك وجند لا يسامونك ولو رمت المنطق في

غر اهل الشام لحط عليك عقلك ولتلجلج لسانك ولا اضطربت
نخداك اضطراب المفعود الذي يخبطه حمله فقال معوية ايها
عنكما وامر باطلاق عبيد الله فقال عمرو لمعوية امرتك امر الحازم
فعصيتني وكان من التوفيق قتل ابن هاشم اليس ابوه يا معوية (وانشا)
الذي رماك على يوم حز الغلاصم فلم ينثني حتى جرت من دمائنا
بصفين امثال البحور الخضارم وهذا ابنه والمرء يشبه شيخه
فيوشك ان تقرع لسنك نادم

فقال عبد الله مجيبه

معاوي لئن الحزم ابت له … ضغينة صدر غشها غير نائم
يرى لك قتلي يا ابن هند وانما … يرى عمرو ذا ايام ملوك الاعاجم
على انهم لا يقتلون اسيرهم … اذا امنت منه عهود المسالم
وقد كان منا يوم صفين نفرة … عليك جناها هاشم وابن هاشم
قضى ما قضى فيها له الله ما قضى … ولا ما مضى الا كاضغاث حالم
فان تعف عني تعف عن ذي قرابة … وان ترى قتلي تستحل محارم

فقال معوية مجيبا لعمرو شعرا

ارى العفو عن عليا قريش وسيلة … الى الله في اليوم العصيب القماطر
ولست ارى قتل العداة ابن هاشم … بادراك ثاري في لوي وعامر
بل العفو مني بعدما بان جرمه … وزلت به احدى الجدود العواثر
وكان ابوه يوم صفين جمرة … علينا فاردته رماح يحابر

قال وحضر عبيد الله بن هاشم ذات يوم مجلس معوية فقال
معوية من يخبرني عن الجود والنجدة والمروة فقال عبيد الله
يا امير المؤمنين انا اخبرك فاما الجود فابتذال المال والعطية قبل
السوال واما النجدة فالجراة على الاقدام والصبر عند ازورار
الاقدام واما المروة فالاصلاح في الدين والمال والعطية قبل
السوال والمحاماة عن الجار ولما فرق علي عليه السلام قيس
ابن سعد بن عباده عن مصر وجه مكانه محمد بن ابي بكر فلما وصل
اليها كتب الى معوية بن ابي سفيان بن صخر اما بعد فان
الله بعظمته وسلطانه خلق الخلق بلا عبث منه ولا ضعف في قوته
ولا حاجة الى خلقهم عبيدا وجعل منهم غويا ورشيدا وشقيا (لكنه خلقهم)
وسعيدا ثم اختار على علم واصطفى وانتخب منهم محمدا المصطفى
صلى الله عليه وسلم وعلى آله واهل بيته فانتخبه بعلمه واصطفاه
برسالته وائتمنه على وحيه وبعثه رسولا ومبشرا ونذيرا فكان

اول من اجاب واناب واسلم وسلم وآمن وصدق اخوه وابن عمه
علي بن ابي طالب عليه السلام صدقه بالغيب المكتوم وآثره على كل
حميم ووقاه بنفسه كل هول وحارب حربه وسالم سلمه
فلم يبرح مبتذلا لنفسه يوم مؤتة وعمه سيد الشهداء يوم
احد وابوه الذاب عن رسول الله فلم يزل ولم يبرح مبتذلا لنفسه (والخضوع)
في ساعات الليل والخوف والجوع والحر حتى برز سابقا لا نظير
له فيمن اتبعه ولا مقارب له في فعله وقد رايتك تساميه
وانت انت وهو هو اصدق الناس نية وافضلهم ذرية
وخير الناس زوجة وافضل الناس ابن عم اخوه الشاري بنفسه بعد
مؤتة وابوه الذاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حوزته وانت
اللعين ابن اللعين لم تزل انت وابوك تبغيان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
الغوائل وتجتهدان في اطفاء نور الله تجمعان على ذلك الجموع وتبذلان
فيه المال وتوليان عليه القبائل على ذلك مات ابوك وعلى ذلك خلفته
فالشاهد عليك من تدني وتلجأ اليه من بقية الاحزاب ورؤوس النفاق
والشاهد لعلي عليه السلام مع فضله المبين القديم انصاره
الذين معه الذين ذكرهم الله بفضلهم واثنى عليهم من المهاجرين
والانصار فهم معه كتائب وعصائب يرون الحق في اتباعه
والشقاء في خلافه فكيف يالك الويل تعدل نفسك بعلي
وهو وارث رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصيه وابو ولده اول الناس
له اتباعا واقربهم به عهدا يخبره بسره ويطلعه على امره وانت
عدوه وابن عدوه فتمتع بدنياك ما استطعت بباطلك وليمددك
ابن العاص في غوايتك فكان اجلك قد انقضى وكيدك قد
وهى ثم يتبين لك لمن تكون العاقبة واعلم انك انما تكايد (العليا)
ربك الذي امنت كيده ويئست من روحه فهو لك بالمرصاد وانت
منه في غرور والسلام على من اتبع الهدى فكتب
اليه معوية من معوية بن صخر الى الزاري على ابيه محمد بن ابي بكر اما
بعد فقد اتاني كتابك تذكر فيه ما الله اهله في عظمته وقدرته
وسلطانه وما اصطفى به رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله مع كلام
لك فيه تضعيف ولابيك فيه تعنيف ذكرت فيه فضل ابي
طالب وقديم سوابقه وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومواساته
اياه في كل هول وخوف فكان احتجاجك علي وعيبك لي بفضل

غيرك الا بفضلك فاحمد ربا صرف عنك هذا الفضل وجعله لغيرك
فقد كنا وابوك معانعرف فضل علي بن ابي طالب وحقه لازما لنا ومبرزا
علينا فلما اختار الله لنبيه ما عنده واتم له ما وعده واظهر
دعوته وافلج حجته وقبضه اليه صلوات الله عليه كان ابوك
وفاروقه اول من ابتزه حقه وخالفه على امره على ذلك اتفقا
واتسقا ثم انهما دعواه الى بيعتهما فابطا عنهما وتلكا عليهما
فهما به الهموم واراداه بالعظيم ثم انه بايعهما وسلم لهما واقاما
ولم يشركاه في امرهما ولا يطلعانه على سرهما حتى قبضهما ثم قام
ثالثهما عثمان فهدى بهديهما وسار بسيرتهما فعبته انت وصاحبك
حتى طمع فيه الاقاصي من اهل المعاصي فطلبتما له الغوايل واظهرتما
عداوتكما حتى بلغتما فيه مناكما فخذ حذرك يا ابن ابي بكر وقس شبرك
بفترك تقصر عن ان توازي وتساوي من يزن الجبال حلمه لا تلين
عن قسر قناته ولا يدرك ذو مقال اناته ابوك مهد مهاده وبني ملكه
وشاده فان يك ما نحن فيه صوابا فابوك استبد به ونحن شركاؤه
ولولا ما فعل ابوك من قبل ما خالفنا ابن ابي طالب ولسلمنا اليه
ولكنا راينا اباك فعل ذلك من قبلنا فاخذنا بمثله فعب اباك بدا لك
او دع والسلام على من اناب **وما كتبه معوية الى علي عليه السلام**
اما بعد فلو علمنا ان الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنها
بعضنا على بعض وان كنا قد غلبنا على عقولنا فقد بقي لنا منها ما نرم
به ما مضى ونصلح به ما بقي وقد سالتك الشام على ان لا يلزمني لك طاعة
وانا ادعوك اليوم الى ما دعوتني اليه امس فانك لا ترجو من البقاء
الا ما ارجو ولا تخاف من القتال الا ما اخاف فقد والله فنيت الرجال
وذهبت الانجاد ونحن بنو عبد مناف وليس لبعضنا على بعض
فضل نستذل به عزيزا ونسترق به حرا والسلام على اهل السلام
الجواب فكتب اليه علي عليه السلام اما بعد الى معوية بن ابي
سفيان الاموي فقد جاءني كتابك تذكر انك لو علمت ان الحرب تبلغ
بنا وبك ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض وانا واياك نلتمس
منها غاية لم تبلغها بعد فاما طلبك مني الشام فاني لم اعطيك
اليوم ما منعتك امس واما استواؤنا في الخوف والرجا فلست
بامضى على الشك مني على اليقين وليس اهل الشام على الدنيا باحرص
من اهل العراق على الآخرة واما قولك انا بنو عبد مناف فكذلك نحن

فليس امية لهاشم ولا حرب لعبد المطلب ولا ابو سفيان كابي طالب
ولا الطليق كالمهاجر ولا المبطل كالمحق وفي ايدينا فضل النبوة التي
قتلنا بها العزيز وبعنا بها الحر والسلام حدث ابو جعفر محمد بن
جرير الطبري عن محمد بن حميد الرازي عن ابي مجاهد عن ابن مجاهد عن
محمد بن اسحق بن ابي نجيح قال لما حج معوية طاف بالبيت سعد فلما فرغ
انصرف معوية الى دار الندوة فاجلسه معه على سريره ووقع في علي
عليه السلام وشرع في سبه فزحف سعد ثم قال اجلستني على سريرك
ثم شرعت في سب علي عليه السلام والله لو تكون لي خصلة من خصال
لعلي عليه السلام احب الي من ان يكون لي ما طلعت عليه الشمس والله
لان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي ما قال يوم خيبر لاعطين
الراية لرجل يحبه الله ورسوله ليس بفرار يفتح الله على يديه احب
الي من ان يكون لي ما طلعت عليه الشمس وايم الله لو يكون رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لي ما قال له في غزوة تبوك الا ترضى ان تكون مني
بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي احب الي من ان يكون لي
ما طلعت عليه الشمس وايم الله لا دخلت لك دارا ما بقيت ثم
نهض قائما ووجدت اخرى من الروايات وذلك في كتاب علي بن
محمد بن سليمان النوفلي في الاخبار عن ابن عايشة وغيره ان سعدا
لما قال لمعوية هذه المقالة ثم نهض ليقوم ضرط له معاوية وقال
له اقعد حتى تسمع جواب كلامك عندي لم ارقط انك الان انقص
وقد بعدت عن نبيك لو سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمعت
فيه لكنت خادما لعلي ما عشت فقال سعد والله اني احق بموضعك
منك فقال معوية ياباه عليك ذلك بنو عذرة وكان سعد فيما
يقال لرجل من بني عذرة **وفي هذا يقول السيد بن محمد الحميري من قصيدة**

سائل قريشا بها ان كنت ذا عمه ... من كان اثبتها في الدين اوتادا
من كان اقدمها سلما واكثرها ... علما واكثرها اهلا واولادا
من كان اقوم في الهيجاء ان نكلوا ... عنها وان بخلوا في ازمة جادا
من كان اعدلها حكما وابسطها ... حلما واصدقها وعدا وايعادا
ان يصدقوك فلم يعدوا ابا حسن ... ان انت لم تلق للابرار حسادا
ان انت لم تلق من تيم اخا صلف ... ومن عدي لحق الله جحادا
او من بني عامر او من بني اسد ... رهط العبيد ذوي ضغن واوغادا
او رهط سعد وسعد كان قد علموا ... عن مستقيم صراط الله صدادا
قوم تداعوا زنيما ثم سادهم ... لولا خمول بني زهر لما سادا

(هامش) اسم — اباكم — لنرم — بقدمه — الرجاء — ما — ل
(هامش) ومعهم — معات — كلات — في بعده — تر — فانه
(هامش) واسلن آلوجيني الرسول الله صلى الله عليه وسلم الى من العوالم لك احب الى من ان يكون لي ما طلعت عليه الشمس
(هامش) من حل اسادا وكان سادا وادا ... بني عم اساد واولادا

وكان اسامة وسعد وعبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة ممن قعد عن علي
عليه السلام وابوا ان يبايعوه وغيرهم ممن ذكرنا من القعّاد عن بيعته
وذلك انه صفقتهم خاسرة قالوا انها فتنة ومنهم من قال
لعلي عليه السلام اعطنا سيوفا نقاتل بها معك فاذا ضربنا بها
الكافرين نفذت في ابدانهم واذا ضربنا بها المؤمنين لم تعمل فيهم ونبت
عن اجسامهم فاعرض عنهم علي عليه السلام وقال ولو علم الله
فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون وذكر ابو
مخنف لوط بن يحيى وغيره من الاخباريين ان الامر لما افضى
الى معوية اتاه ابو الطفيل الكناني فقال له معوية كيف وجدت
على خليلك ابي الحسن قال كوجد ام موسى على موسى واشكو الى
الله التقصير فقال معوية اكنت ممن حضر قتل عثمان قال لا ولكني
ممن حضر فلم ينصره قال فما منعك من ذلك وقد كانت نصرته عليك واجبة
قال منعني منه ما منعك اذ تربصت به ريب المنون وانت بالشام
قال او ما ترى طلبي بدمه نصرة له فالحق ولكنك وإياه كما قال الجعدي

لا الفينك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادا

ودخل على معوية ضرار بن الخطاب فقال له كيف حزنك على ابي
الحسن قال حزن من ذبح ولدها على صدرها فما ترقا عبرتها
ولا يسكن حزنها ومما جرى بين قيس بن عبادة بن سعد
حين كان عاملا لعلي عليه السلام على مصر فكتب اليه معوية اما بعد
فانك يهودي بن يهودي ان ظفر احب الفريقين اليك عزلك واستبدل
بك وان ظفر ابغضهما اليك نكل بك وقتلك وقد كان ابوك اوتر قوسه
ورمى غير غرض فاكثر الحز واخطأ المفصل فخذله قومه وادركه
يومه ثم مات بحوران طريدا الجواب فكتب اليه سعد بن عبادة
اما بعد فانما انت وثن بن وثن دخلت في الاسلام كرها
وخرجت منه طوعا لم يقدم ايمانك ولم يحدث نفاقك وقد
كان ابي اوتر قوسه ورمى غرضه فشغب عليه من لم يبلغ عقبه ولا
يشق غباره ونحن انصار الدين الذي منه خرجت واعداء الدين
الذي فيه دخلت ودخل قيس بن سعد بعد وفاة علي عليه السلام
ووقوع الصلح في جماعة من الانصار على معوية فقال لهم معوية يا معشر
الانصار بم تطلبون ما قبلي فوالله لقد كنتم قليلا معي كثيرا علي ولفللتم
حدي يوم صفين حتى رايت المنايا تتلظى في اسنتكم وهجوتموني

باشد من وخز الاشافي حتى اذا اقام الله ما حاولتم ميله قلتم ارع وصية
رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا هيهات يابى الحقين العذرة فقال قيس نطلب
ما قبلك بالاسلام الكافي به الله ما سواه لا بما تمت اليك الاحزاب واما
عداوتنا لك فلو شئت كففتها عنك واما هجاؤنا اياك فقول يزول
باطله ويثبت صحيحه واما استقامة الامر فعلى كره كان منا واما فللنا حدك
يوم صفين فانا كنا مع رجل نرى طاعته لله طاعة واما وصية رسول الله
صلى الله عليه وسلم فمن آمن به رعاها بعده واما قولك يابى الحقين
العذرة فليس دون الله يد تحجزك منا يا معوية فقال معوية سوءة
ارفعوا حوائجكم وقد كان قيس بن سعد من الزهد والديانة والميل الى علي
عليه السلام بالموضع العظيم وبلغ من خوفه لله وطاعته انه كان يصلي فلما
اهوى للسجود اذا في موضع سجوده ثعبان مطوق فمال عن الثعبان براسه
وسجد الى جانبه فتطوق الثعبان في رقبته فلم يقصر من صلاته شيئا حتى فرغ ثم
اخذ الثعبان فرمى به كذلك ذكر الحسن بن علي عليهما السلام عن محمد بن خالد
عن ابي الحسن علي بن موسى الرضى وقال عمرو بن العاص لمعوية ذات
يوم قد اعياني ان اعلم اجبان انت ام شجاع لاني اراك تتقدم حتى اقول
اراد القتال ثم اراك تتاخر حتى اقول اراد الفرار فقال معوية والله
ما اتقدم حتى ارى التقدم غنما ولا اتاخر حتى ارى التاخر حزما كما قال الطائي

شجاع اذا ما امكنتني فرصة والا تكن لي فرصة فجبان

قال وذكر ابو مخنف لوط بن يحيى عن ابن الاعز التميمي بينما انا واقف بصفين
اذ مر بي العباس بن ربيعة مكفرا بالسلاح وعيناه تبصان من تحت المغفر كانهما
شعلتا نار او عينا ارقم وبيده صفيحة له يمانية يقلبها والمنايا تلوح في
شفرتها وهو على فرس صعب فبينما هو يرقمه ويلين من عريكته اذ هتف
به هاتف يقال له عرار بن ادهم من اهل الشام قال يا عباس هلم الى البراز قال
فالنزول فانه اياس من القفول فنزل الشامي وهو يقول

ان تركبوا فركوب الخيل عادتنا او تنزلون فانا معشر نزل

ونزل العباس وهو يقول

الله يعلم انا لا نحبكم ولا نلومكم الا تحبونا

ثم عصب فضلات درعه في حجزته ثم دفع فرسه الى
غلام له اسود كاني انظر الى فلفل شعره ثم دلف كل واحد الى صاحبه
ووقف الفريقان لعنة الخيل ينتظرون ما يكون من الرجلين فتكافحا بسيفيهما
مليا لا يصل احدهما الى الآخر لكمال لامته اذ لحظ العباس وهنا في

درع الشامي فاهوى اليه بيده فهتكه الى ثندوته ثم عاد لمجاولته
وقد اصلح له مفتوق درعه فضربه العباس ضربة انتظم بها جوانح صدره وخر
الشامي لوجهه وكبر الناس تكبيرة ارتجت لها الارض من تحتهم وانساب
العباس في الناس فاذا قائل يقول من ورائي قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم
ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مومنين الاية فالتفت
فاذا بامير المومنين علي عليه السلام فقال يا ابا الاعز من المبارز لعدونا
قلت ابن اخيكم هذا العباس بن ربيعة قال وانه لهو العباس قلت نعم
فقال يا عباس الم انهك وعبد الله بن عباس ان تخليا مراكزكما او تباشرا شرا
حربا قال ان ذلك كما قلت قال فما عدا مما بدا قال افادعى الى البراز فلا
اجيب قال طاعة امامك اولى بك من اجابة عدوك ثم تغيظ واستطار
ثم تطامن وسكن ورفع يديه الى السماء مبتهلا فقال اللهم اشكر للعباس
مقامه واغفر ذنبه اللهم اني قد غفرت له ذلك وتاسف معاوية على عرار
ابن ادهم وقال متى ينطف فحل بمثله ايطل دمه لاها الله اذا الا رجل يشري
نفسه ويطلب بدم عرار فانتدب له رجلان من لخم من اهل اليمن
وعرضهما يد اهل الشام وقال اذهبا فايكما قتل العباس فله مائة وقية
من التبر ومثلها من اللجين ومثلها من برود اليمن فاتياه فدعواه
الى البراز وصاحا بين الصفين يا عباس يا عباس ابرز الى الداعي فقال
ان لي سيدا اريد ان اوامره فاتى عليا وهو في جناح الميمنة
يحض الناس فاخبره الخبر فقال علي عليه السلام والله لود معاوية
انه ما بقي من بني هاشم نافخ ضرمة الا طعن في بطنه اطفاء لنور الله ويابى الله
الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون اما والله ليملكنهم منا رجال يسومونهم الخسف
حتى يعفوا الاثار ثم قال يا عباس ناقلني سلاحك بسلاحي فناقله ووثب
علي عليه السلام على فرس العباس وقصد اللخميين فلم يشكا انه العباس
فقالا له اذن لك صاحبك فتحرج ان يقول نعم فقال اذن للذين
يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير وكان العباس اشبه الناس
في جسمه وركوبه بعلي عليه السلام فبرز له احدهما فما اخطاه وبرز
له الاخر فالحقه بالاول ثم اقبل وهو يقول الشهر الحرام بالشهر الحرام
والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى
عليكم ثم قال للعباس خذ سلاحك وهات سلاحي فان عاد لك احد
فعد لي ونمى الخبر الى معاوية فقال قبح الله اللجاج انه لقعود ما ركبته
قط الا خذلت فقال عمرو بن العاص المخذول والله اللخميان والمغرور

من غررته لا انت المخذول فقال اسكت ايها الرجل ليس هذا من شانك
قال وان لم يكن يرحم الله اللخميين ولا اراه يفعل ذلك قال فذاك والله اضيق لحجتك فان لم
واخسر لصفقتك قال قد علمت ذلك ولولا مصر وولايتها لركبت عنها جا
منها فاني اعلم ان ابن ابي طالب على الحق وانا على ضده فقال معوية مصر والله
اعمتك ولولا مصر لالفيتك بصيرا ثم ضحك معوية ضحكا ذهب به كل مذهب
فقال ومما تضحك اضحك الله سنك قال اضحك من حضور ذهنك يوم
بارزت عليا وابدائك سوءتك اما والله يا عمرو لقد واقعت المنايا ورايت
الموت عيانا ولو شاء لقتلك ولكن ابى ابن ابي طالب في امرك الا تكرما فقال
عمرو اما والله اني لعن يمينك حين دعاك الى البراز فاحولت عيناك وربا
سحرك وبدا منك ما اكره ذكره لك فمن نفسك اضحك او دع وذكر
ابو مخنف لوط بن يحيى ان معوية برز في ايام صفين امام الناس وكر
على ميسرة علي عليه السلام وكان علي فيها في ذلك الوقت يعبي الناس فغير
لامته وجواده وخرج بلامة بعض اصحابه وخرج وقصد له معوية
فلما تدانيا ابتته معوية فغمز رجليه على جواده وعلي وراءه حتى
فاته ودخل في مصاف اهل الشام فاصاب علي رجلا من مصافهم
دونه ثم رجع وهو يقول

يا لهف نفسي فاتني معوية
فوق طمر كالعقاب الضاري ... ان يفتني اليوم فلي عليه ... والراقصات لا يفتني ثانيه

وقدم عمرو بن العاص من مصر على معوية في بعض الايام فلما راه
قال

تموت الصالحون وانت حي ... تخطاك المنايا لا تموت

فاجابه عمرو

فلست بميت ما دمت حيا ... ولست بميت حتى تموت

وذكر ان معوية لما نظر الى عساكر اهل العراق وقد اشرفت والخذ
الرجال الرايات من الصفوف نظر الى علي عليه السلام على فرس اشقر حاسر
الراس يرتب الصفوف ويغرسهم في الارض غرسا يثبتون كانهم بنيان
مرصوص فقال لعمرو يا ابا عبد الله اما تنظر الى ابن ابي طالب وما هو عليه
فقال عمرو من طلب عظيما خاطر بعظمته وقد كان معوية في سنة اربع
واربعين بعث بسر بن ارطاه في ثلاثة الاف فارس حتى قدم المدينة وعليها
ابو ايوب الانصاري فتنحى وجاء بسر بن ارطاه حتى صعد المنبر وتهدد
اهل المدينة بالقتل فاجابوا الى بيعة معوية اكرههم وبلغ الخبر عليا عليه
السلام فانفذ جارية بن قدامة السعدي في الفين ووهب بن مسعود
في الفين ومضى بسر الى مكة ثم سار الى اليمن وكان عبد الله بن العباس
بها فخرج عنها ومضى الى علي عليه السلام واستخلف عليها عبيد الله بن

عبد المدان الحارثي وخلف ابنيه عبد الرحمن وقثم عند امهما جويرية
بنت قارظ الكنانية فقتلهما بسر وقتل معهما خالا لهما من ثقيف وقد كان
بسر بن ارطاة العامري من لؤي بن غالب قتل بالمدينة وبين المسجدين خلقا
كثيرا من رجال همدان وقتل بصنعاء خلقا كثيرا من الابناء ولم يبلغه عن
احد يمالي عليا او يهواه الا قتله وبلغ الخبر عليا فوجه جارية بن قدامة
السعدي فهرب وظفر جارية بابن اخي بسر مع اربعين من اهل
بيته فقتلهم وكانت جويرية ام ابني عبيد الله بن العباس اللذين قتلهما
بسر بن ارطاة تدور حول البيت ناشرة شعرها وهي من اعقل الناس تقول ترثيهما

ها من احس بابني اللذين هما ... كالدرتين تشظى عنهما الصدف
ها من احس بابني اللذين هما ... سمعي وعقلي فقلبي اليوم مختطف
ها من احس بابني اللذين هما ... مخ العظام فمخي اليوم مزدهف
نبئت بسرا وما صدقت ما زعموا ... من قيلهم ومن الافك الذي وصفوا
انحى على ودجي ابني مرهفة ... مشحوذة وكذاك الاثم يقترف
اما لواله حرا موجعة ... على صبيين ضلا اذ مضى السلف

قال الواقدي دخل عمرو بن العاص يوما على معاوية بعدما كبر ودق
ومعه مولاه وردان فاخذا في الحديث وليس عندهما
غير وردان فقال عمرو يا امير المؤمنين ما بقي مما تستلذه فقال اما
النساء فلا ارب لي فيهن واما الثياب فقد لبست من لينها
وجيدها حتى وهي بها جلدي فما ادري ايها الين واما
الطعام فقد اكلت من لينه وطيبه حتى ما ادري اي الذ واطيب
وقد حشي خياشيمي من الطيب حتى ما ادري ايما الطيب فما شيء
الذ عندي من شراب بارد في يوم صائف ومن انظر الى بني وبني بني
يدورون حولي فما بقي منك يا عمرو فقال ما الغرسة فاصيب
من ثمرتها ومن غلتها فالتفت الى وردان فقال ما بقي منك
يا وردان قال صنيعة كريمة سنية اعلقها في اعناق قوم
ذوي احساب واخطار لا يكافؤني حتى القى الله وتكون لعقبي
في اعقابهم بعدي فقال معاوية تبا لمجلسنا في هذا اليوم
ان هذا العبد غلبني وغلبك وفي سنة ثلاث واربعين مات
عمرو بن العاص بن وائل بن سهم بمصر وله تسعون سنة وكانت
ولايته مصر عشر سنين واربعة اشهر ولما حضرته الوفاة
قال اللهم لا بريء فاعتذر ولا قوي فانتصر امرتنا فعصينا

ولله در نعم وعنه... خلقا كثيرا
(right margin, beside lines 13–18): ان م / معويه م
(right margin, beside line 22): ابن مسعود م

ونهيتنا فركبنا اللهم هذه يدي اليك فخذ حقك ثم قال خدي الى الارض
خدا وشنوا علي التراب شنا ثم وضع اصبعه في فيه حتى مات فصلى
عليه ابنه عبد الله يوم الفطر فبدا بالصلاة عليه قبل صلاة الفطر
ثم صلى بالناس بعد ذلك وكان ابوه من المستهزئين وفيه نزلت
ان شانئك هو الابتر وولى معاوية عبد الله بن عمرو ما كان الى ابيه
وخلف عمرو بن العاص من العين سبعين الف دينار بمصر وضيعته المعروفة
بمصر بالرهط وكان قيمتها عشرة الاف الف درهم وخمسة وعشرين
الف دينار من الورق وغلة مائتي الف دينار وفي قول الرماح الاسدي

الم تر ان الدهر اخنت صروفه ... على عمرو السهمي تجبى له مصر
فلم تغن عنه حزمه واحتياله ... ولا جمعه لما تعوره الدهر
فامسى مقيما بالعراء وضللت ... مكايده عنه واموالها درها

وفي سنة خمس واربعين ولى معاوية زياد بن ابيه البصرة واعمالها

وقال لما دخلها

الا رب مسرور بنا لا يسره ... واخر محزون بنا لا يسره

وقد كان معاوية غزا في هذه السنة سفيان بن عوف العامري
وامره ان يبلغ الطوانة فاصيب معه خلق كثير فمن الناس الجراحة
ممن اصيب بارض الروم وبلغ معاوية ان ابنه لما بلغه خبرهم وهو
على شرابه مع ندمائه **فقال** اهون علي بما لاقت جموعهم
يوم الطوانة من حمى ومن شوم ... اذا اتكيت على الانماط مرتفقا ... بدير مران عندي ام كلثوم
فحلف عليه ليغزون وارسل به في اردافه سفيان وسميت هذه الغزاة غزاة
الردافة وبلغ الناس فيها القسطنطينية وان ابا ايوب الانصاري
قد مات هناك وقد قيل ان ابا ايوب مات سنة احدى وخمسين
غازيا مع يزيد وقد اتينا على اخبره وخبر هذه الغزاة وما كان
من يزيد فيها في الكتاب الاوسط وفي سنة تسع واربعين
كان الطاعون بالكوفة فخرج عنها المغيرة بن شعبة وكان
واليها ثم عاد اليها فطعن فمات فمن اتى الى عليه وهو يدفن

فقال

ارسم ديار للمغيرة تعرف ... عليها دواعي الانس والجن تعزف
فان كنت قد لاقيت هامان بعدنا ... وقارون فاعلم ان ذا العرش منصف

وذكر ان المغيرة ركب الى هند بنت النعمان بن المنذر وهي في ديرها
بالحيرة مترهبة وهو امير الكوفة يومئذ وقد كانت هند عميت

(left margin, beside lines 2–6): صلوة العيد م / وعشرين الف دينار م / وخمس وعشرين الف درهم / ومن العقر والعقار

فلما جاء الدير استاذن عليها فاتتها جارية فقالت هذا المغيرة
يستاذن عليك فقالت لها الجارية القي له انماطًا فالقت له وسادة من
شعر فلما دخل قعد عليها وقال لها انا المغيرة فقالت قد
عرفتك عامل المدرة فما جاء بك قال اتيتك خاطبا لك نفسك
قالت اما والصليب لو اردتني لدين او جمال ما رددتك ولكنك
اردت ان تقول في المواسم والاسواق تزوجت ابنة النعمان قال
ذلك اردت فقالت لا ذلك وانما تقول ان اردت تزوجتني حتى في الموسم في العرب فتفتخر وتقول تزوجت
ابنة النعمان قال ذلك اردت وقال المغيرة متمثلا

ادركت ما منيت نفسي خاليا ، لله درك يا ابنة النعمان
اني لحلفك بالصليب مصدق ، والصلب افضل حلفة الرهبان
فلقد رددت على المغيرة دينه ، ان الملوك ذليلة الاديان
يا هند حسبك قد صدقت فامسكي ، والصدق خير مقالة الانسان

ثم قال لها اخبريني ابوك يقول في هذا الحي من ثقيف قالت كان
ينسبهم من اياد وقد اختصم عنده رجلان من ثقيف احدهما من
بني سالم والاخر من بني يسار فسالهما عن انسابهما فانتسب
احدهما الى هوازن والاخر الى اياد فقال لهما ما الحي من اولى على
اياد فضل فخرجا والى يقول

ان ثقيفا لم يكن هوازنا ، ولم تناسب عامرا او مازنا
الا حديثا والبس المحاسنا

فقال المغيرة اما نحن فمن هوازن وابوك اعلم بما قال فاخبريني
اي العرب كان احب الى ابيك قال الذين حموهم له قال ومن اولئك قالت
بكر بن وائل قال فاين بنو تميم قالت ما استعقبهم من طاعة
قال فقيس قالت ما اقربوا اليه من ما يحب الا استعطبوه بما
يكره قال فكيف اطلع فارس قالت كان اطاعته اياهم فيما هوى
وانصرف المغيرة ولما هلك المغيرة ضم معوية الكوفة الى زياد فكان
اول من جمع له ولاية العراقين البصرة والكوفة في سنة ثمان
واربعين فعرض معوية فدك على مروان بن الحكم وقد كان وهبها
له قبل فاسترده وقد كان حج معوية في سنة خمسين وامر
بحمل منبر النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة الى الشام فلما حمل
كسفت الشمس وظهرت الكواكب بالنهار فجزع من ذلك
جزع عظيم ورده الى موضعه وزاد فيه ست مراقي وفي سنة
ثلث وخمسين هلك زياد بن ابيه بالكوفة في شهر رمضان وكان
يلي الى المغيرة وقد كان كتب الى معوية انه قد ضبط العراق بيمينه

وشماله فارغة فجمع له الحجاز مع العراقين واتصلت ولايته باهل
المدينة فاجتمع الكبير والصغير بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وضجوا الى الله تعالى ولاذوا بقبره عليه السلام ثلاثة ايام لعلمهم
بما هو عليه من الظلم والعنف فخرجت فخرج عبد الله بن عمر فقال
اللهم اكفنا شمال زياد فخرجت في كفه بثرة فحكها ثم سرت
واسودت فصارت آكلة سوداء فهلك بذلك وهو ابن خمس
وخمسين سنة وقيل اثنين وخمسين سنة ودفن بالثوية من
ارض الكوفة وقد كان زياد جمع الناس بالكوفة بباب قصره
ليعرضهم على لعن علي بن ابي طالب عليه السلام فمن ابى ذلك
اعرضه على السيف فذكر عبد الرحمن بن السائب قال حضرت في
مجلس فصرت الى الرحبة ومعي جماعة من الانصار فنمت فرايت
شيا في منامي وانا جالس في الجماعة فخفق قلبي وهو لي
قد رايت شيا طويلا قد اقبل فقلت ما هذا فقال انا النقاد
ذو الرقبة بعثت الى صاحب هذا القصر فانتبهت فزعا فما كان
الا مقدار ساعة حتى خرج خارج من القصر فقال انصرفوا
فان الامير عنكم مشتغل واذا به قد اصابه ما ذكرنا من البلاء

وفي ذلك يقول عبد الله بن السائب ابيات

ما كان منتهيا عما اراد بنا ، حتى تاتاه النقاد ذو الرقبه
فاسقط الشق منه ضربة ثبتت ، لما تناول ظلما صاحب الرحبه

يعني بصاحب الرحبة علي بن ابي طالب عليه السلام وقد ذهب
جماعة الى ان عليا عليه السلام دفن بالقصر بالكوفة ويقال ان
زيادا طعن في يده فشاور شريحا في قطعها فقال له لك رزق
مقسوم واجل محتوم واني اكره ان كانت لك مدة ان تعيش
اجذم وان حم اجلك ان تلقى ربك مقطوع اليد فاذا سالك
لم قطعتها قلت بغضا للقائك فلام الناس شريحا فقال انه
استشارني والمستشار مؤتمن ولولا الامانة المشورة لوددت
ان الله قطع يده يوما ورجله يوما وساير جسده يوما يوما وفي سنة تسع وخمسين
وفد على معوية وفود الامصار من العراق وغيره فكان ممن وفد
من اهل العراق الاحنف بن قيس في اخرين من وجوه الناس
فقال معوية للضحاك بن قيس الفهري اني جالس من غد للناس فاتكلم بما شاء
الله فاذا فرغت من كلامي فقل في يزيد الذي يحق عليك وادع

وفيها تحقيقات

ورجله يوما

من العراق

الى بيعته فاني قدام عبد الرحمن بن عثمان الثقفي وعبد الله بن عاصم الاشعري وثور بن معن السلمي ان يصدقوا قولي اذا تكلمت وان يحسنوا الجواب ثم اليه فلما كان من الغد قعد معوية فاعلم الناس بما راى من حسن رعية يزيد ابنه وهديه وان ذلك دعاه الى ان يوليه عهده ثم قام الضحاك بن قيس فاجابه الى ذلك وحض الناس على البيعة ليزيد وقال لمعوية اعزم على ما اردت ثم قام عبد الرحمن بن عثمان الثقفي وعبد الله بن عاصم الاشعري وثور بن معن فصدقوا قوله ثم قال معوية اين الاحنف بن قيس فقام الاحنف بن قيس فقال ان الناس امسوا في منكر زمان قد سلف ومعروف زمان يؤتنف ويزيد حبيب قريب فان تولّه عهدك فعن غير كبر مفن او مرض مضن وقد حلبت الدهور وجربت الامور فاعرف من تسند اليه عهدك وتولية الامر بعدك واعص راي من يامرك ولا يقدر لك ويشير عليك ولا ينظر لك فقام الضحاك بن قيس مغضبا فذكر اهل العراق بالنفاق والشقاق وقال اردد رايهم في نحورهم وقام عبد الرحمن بن عثمان فتكلم بنحو كلام الضحاك ثم قام رجل من الازد فاشار الى معوية وقال انت امير المومنين فاذا مت فامير المومنين يزيد فمن لم يجب الى هذا فهذا واخذ بقائم سيفه فسله فقال معوية اقعد فانت من اخطب الناس فكان معوية اول من بايع لابنه يزيد وولاه العهد

وفي هذا يقول عبد الله بن همام السلولي

فان تاتوا برملة ام بهند ... نبايعها اميرة مومنينا
اذا ما مات كسرى قام كسرى ... نعد ثلاثة متناسقينا
فيا لهفي لو ان لنا انوفا ... ولكن لا نعود كما عنينا
اذا لضربتم حتى تعودوا ... بمكة تلعقون بها السخينا
خشينا الغيظ حتى لو شربنا ... دماء بني امية ما روينا
لقد ضاعت رعيتكم وانتم ... تصيدون الارانب غافلينا

قال وابت الكتب الى الامصار ببيعة يزيد وكتب معوية الى مروان بن الحكم وكان عامله على المدينة يعلمه باختياره يزيد ومبايعته له بولاية العهد ويامره بمبايعته واخذ البيعة على من قبله فلما قرا مروان ذلك خرج مغضبا في اهل بيته واخواله من بني كنانة حتى اتى دمشق فنزلها ودخل على معوية يمشي بين السماطين حتى اذا كان منه بقدر ما يسمع صوته سلم وتكلم بكلام كثير يوبخ به معوية منه اقم الامور يا ابن ابي سفيان واعدل عن تاميرك الصبيان واعلم ان لك

وفيكم نظرا على مناواتهم ووزرا فقال معوية انت نظير امير المومنين وعدته في كل شدة وعضده والثاني بعد ولي عهده فقال له معوية ارجع الى عملك ووده الى المدينة ثم انه عزله عنها وولاها الوليد بن عتبة بن ابي سفيان ولم يف لمروان بما جعل له من ولاية عهد يزيد

ذكر لمع من اخلاقه وسيره وسياسته وظرائف من اخباره

قد تقدم فيما ذكرنا لمعا من اخبار معوية وسيره فلنذكر الآن في هذا الباب جملا من اخباره وسيره في الخلافة وغير ذلك مما لحق بهذا المعنى الحق وفاته كان من اخلاق معوية انه كان ياذن في اليوم والليلة خمس مرات كان اذا صلى الفجر جلس للقاص حتى يفرغ من قصصه ثم يدخل فيوتى بالمصحف فيقرا جزوه ثم يدخل الى منزله فيامر وينهي ثم يصلي اربع ركعات ثم يخرج الى مجلسه فياذن لخاصة الخاصة فيحدثهم ويحدثونه ويدخل عليه وزراه فيكلمونه فيما يريدون من يومهم الى العشاء ثم يوتى بالغداء الاصغر وهو فضلة عشائه من جدي بارد او فرخ او ما يشبهه ثم يتحدث طويلا ويدخل الى منزله لما اراد ثم يخرج فيقول يا غلام اخرج الكرسي فيخرج الى المسجد فيسند ظهره الى المقصورة ويجلس على الكرسي ويقوم الاحداث بين يديه ويتقدم اليه الضعيف والاعرابي والصبي والمراة ومن لا احد له فيقول ظلمت فيقول اعزوه ويقول عدي علي فيقول ابعثوا معه ويقول صنع بي فيقول انظروا في امره حتى اذا لم يبق احد دخل فجلس على السرير فيقول ائذنوا للناس على قدر منازلهم ولا يشغلني احد عن رد السلام فيقال كيف اصبح امير المومنين اطال الله بقاه فيقول بنعمة من الله فاذا استووا جلوسا قال يا هولا انما سميتم اشرافا لانكم شرفتم من دونكم بهذا المجلس ارفعوا حاجة من لا يصل الينا فيقوم الرجل فيقول استشهد فلان فيقول افرضوا لولده ويقول آخر غاب فلان عن اهله فيقول تعاهدوهم واعطوهم واقضوا حوائجهم واخدموهم ثم يوتى بالغدا ويحضر الكاتب فيقوم عند راسه ويتقدم الرجل فيقول له اجلس على المائدة فيجلس فيمد يده فياكل لقمتين او ثلاثا والكاتب يقرا كتابه فيامر فيه بامره فيقول يا عبد الله اعقب فيقوم ويتقدم آخر حتى ياتي على اصحاب الحوائج كلهم وربما قدم اليه من اصحاب الحوائج اربعون او نحوهم على قدر الغدا ثم يرفع الغدا ويدخل منزله فلا يطمع فيه طامع حتى يوذن بالظهر فيخرج فيصلي ثم يدخل فيصلي اربع ركعات ثم يجلس فياذن لخاصة الخاصة

فان كان الوقت شتا اتاهم زاد الحاجب من الاخبصة اليابسة والخشكنانج
والاقراص المعجونة بالسكر واللبن ودقيق السميد والكعك المسمك
والفواكه اليابسة والدلجون وان كان الصيف اتاهم بالفاكهة
الرطبة ويدخل اليه وزراوه فيامرونه فيما يحتاجون اليه بقية
يومهم ويجلس الى العصر ثم يخرج فيصلي العصر ويدخل منزله
فلا يطمع فيه طامع حتى اذا كان في اخر اوقات العصر خرج
فجلس على سريره ويوذن للناس على قدر منازلهم فيوتى بالعشا
فيفرغ منه مقدار ما ينادي للمغرب فيخرج فيصلي ثم يصلي
بعدها اربع ركعات يقرا في كل ركعة خمسين اية يجهر ويخافت بمثلها ثم
يدخل منزله فلا يطمع فيه طامع حتى ينادي بالعشا الاخرة فيخرج
فيصلي ثم يوذن للخاصة وخاصة الخاصة والوزرا والحاشية فيوامره
الوزرا فيما ارادوا صدرا من ليلتهم ويستمر الى ثلث الليل في اخبار العرب
وايامها والملوك من العجم وسياساتها لرعيتها وغير ذلك من اخبار
الامم السالفة ثم تاتيه الطرف الغريبة من عند نسايه من الحلوى وغيرها
من المآكل اللطيفة ثم يدخل فينام ثلث الليل ثم يقوم فيقعد
فيحضر الدفاتر فيها سير الملوك واخبارها والحروب والمكايد
فيقرا ذلك عليه غلمان له مرتبون قد وكلوا بحفظها وقراتها
فيمر بسمعه كل ليلة جمل من الاخبار والسير والاثار وانواع
السياسات فيخرج فيصلي الصبح ثم يعود فيفعل ما وصفنا
في كل يوم وقد كان تم له خلايق جماعة من بعده مثل عبد الملك بن
مروان وغيره فلم يدركوا حلمه ولا اتقانه السياسة ولا التاني
للامور ولا مداراة الناس على منازلهم ورفقه بهم على طبقاتهم
وبلغ من احكامه السياسة واتقانه لها واجتذابه قلوب خواصه
ان رجلا من اهل الكوفة دخل على بعير له الى دمشق في حال
منصرفهم عن صفين فتعلق به رجل من دمشق فقال هذه ناقتي
اخذت مني بصفين فارتفع امرهما الى معوية واقام الدمشقي
البينة خمسين رجلا يشهدون انها ناقته فقضى معوية على الكوفي
وامره بتسليم البعير اليه فقال الكوفي اصلحك الله انما هو جمل
فقال معوية هذا حكم قد مضى ودس الى الكوفي بعد تفرقهم
واحضره وساله عن ثمن بعيره فدفع اليه ضعفه وبره واحسن
اليه وقال له ابلغ عليا اني اقاتله بماية الف ما فيهم من يفرق بين الناقة

والجمل ولقد بلغ من امرهم في طاعتهم له ان صلى بهم عند مسيرهم الى
صفين الجمعة في يوم الاربعا واعاروه روسهم عند القتال وحملوه
بها وركنوا الى قول عمرو بن العاص ان عليا هو قتل عمار بن ياسر
حين اخرجه لنصرته ثم ارتقى بهم الامر في طاعته ان جعلوا
لعن علي عليه السلام سنة ينشا عليها الصغير ويهلك عليها
الكبير **قال المسعودي رحمه الله** وذكر بعض الاخباريين انه
قال لرجل من اهل الشام من زعمايهم واهل الراي والعقل منهم من ابو تراب
هذا الذي يلعنه الامام على المنبر قال اراه لصا من لصوص
الفتن **وحكى** الجاحظ قال سمعت رجلا من العامة وهو
خارج وقد ذكر له البيت يقول اذا اتيته من يكلمني منه احد
وان اخبره رجل منهم وقد سمعه يصلي على محمد نبيه صلى
الله عليه وسلم ما تقول في محمد هذا ربنا هو **وذكر** ثمامة
ابن اشرس قال كنت مارا في السوق فاذا رجل عليه الناس
مجتمعون فنزلت عن بغلي وقلت لصبي ما هذا الاجتماع
ودخلت بين الناس فاذا رجل يصف كحلا معه انه يصح من
كل دا يصيب العين فنظرت اليه فاذا احدى عينيه برشا
والاخرى مولوسة فقلت له يا هذا لو كان كحلك هذا كما تقول
نفع عينيك فقال لي يا رجل انت جاهل اهاهنا اشتكت
عيني الا انما اشتكت بمصر فقالوا كلهم صدق فما كدت
ما انفلت من نعالهم الا بعد الجهد **وذكر** لي بعض اخواننا
ان رجلا من العامة بمدينة السلام رفع الى بعض الولاة الطالبيين
لاصحاب الكلام على جار له يتزندق فساله الوالي عن مذهب
الرجل فقال انه مرجي قدري ناصبي رافضي فلما نظر ذلك
قال انه يبغض معوية بن الخطاب الذي قاتل علي بن العاص فقال
له الوالي ما ادري على اي شي احسدك على علمك بالمقالات او على
تبصرك بالانساب **واخبرني** رجل من اخواننا من اهل العلم قال
كنا نقعد فنتناظر في ابي بكر وعمر وعلي ومعوية ونذكر ما يذكر
اهل العلم وكان قوم من العامة ياتون فيستمعون منا فقال لي ذات
يوم بعضهم وكان من اعقلهم واكبرهم لحية كم تطنبون في
علي ومعوية وفلان وفلان فقلت له فما تقول انت في ذلك قال
من تريد قلت علي ما تقول فيه قال اليس هو ابو فاطمة قلت ومن كانت

فاطمة قال امراة النبي صلى الله عليه وسلم بنت عائشة اخت معوية
قلت فما كان قصة علي قال قتل في غزوة خيبر مع النبي صلى الله عليه وسلم
وقد كان عبد الله بن علي حين خرج في طلب مروان الى الشام
وكان من قصة مروان ومقتله ما قد ذكرناه نزل عبد الله بن علي الشام
ووجه الى ابي العباس السفاح اشياخا من اهل الشام من ارباب النعم
والرياسة من سائر اجناد الشام فحلفوا لابي العباس انهم ما علموا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة ولا اهل بيت يرثونه غير بني
امية حتى وليتم الخلافة فقال في ذلك ابراهيم بن المهاجر البجلي

ايها الناس اسمعوا اخبركم ... عجبا زاد على كل عجب
عجبا من عبد شمس انهم ... فتحوا للناس ابواب الكذب
ورثوا احمد فيما زعموا ... دون عباس بن عبد المطلب
كذبوا والله ما نعلمه ... يحرز الميراث الا من قرب

وقد كان في بغداد في ايام هرون الرشيد متطبب يداوي الناس
فيه لما كان من صفاته وكان دهريا ويظهر انه من اهل السنة والجماعة ويلعن
اهل البدع بشتى شتائه البدا العامة فكان يجتمع اليه كل يوم بعوا دير
الماء خلق كثير فاذا اجتمعوا وثب قائما على قدميه فقال لهم يا معاشر
قلتم لا ضار ولا نافع الا الله فلا يشتكي مصيركم الا الى من يسال الوحي
عن مصادكم ومنافعكم الجواد الحليم وتوكلوا على باريكم حتى يلوت
تعللكم مثل قوتكم فيقبل بعضهم على بعض فيقولون اي والله قد
صدقنا فكم من مريض لم يعالج حتى مات ومنهم من كان يتركه حتى
يسكت ثم يريد الماء فيصف له الدواء ويقول انك ضعيف
ولولا انك لتوكلت على ربك لما امرضك فهو يريك فيقتل بقوله
خلقا كثيرا بتزهيده اياهم في معالجة مرضاهم ومن اخلاق العامة
ان يسودوا غير السيد ويفضلوا غير المفضل ويقولوا بعلم غير العالم
وهم اتباع من سبق اليهم من غير تمييز بين الفاضل والمفضول والمعرفة
الحق من الباطل ثم انظر هل ترى اذا اعتبرت ما ذكرنا ونظرت في
مجالس العلماء هل تشاهد بها الا صحونه بذوي الخاصة من اهل
العلم والنهى والمروءة والحجى وتفقد العامة في احتشادها وجموعها
فلا تراهم الدهر فلين الا الى قائد دب او ضارب دف او على شيا
قراد ومتشوفين الى اللهو والى اللعب ومختلفين الى متعبد متمس
مخرق او مستمعين الى قاص كذاب او مجتمعين حول مضروب
او مصلوب يتعوقهم فيتبعون ويصاح بهم فلا يرعون لا ينذرون

الملهي

الفاضل والمفضول

٢٦١

منكرا ولا يعرفون معروفا ولا يبالون ان يلحقوا البر بالفاجر والمؤمن
بالكافر وقد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم حيث يقول الناس
عالم ومتعلم وسائر ذلك همج رعاع لا يعبأ الله بهم وقد
عن علي عليه السلام وقد سئل عن العامة فقال رعاع همج اتباع
كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤوا الى ركن وثيق
وقد اجمع الناس على تسميتهم انهم غوغاء وهم الذين اذا اجتمعوا
غلبوا واذا تفرقوا لم يعرفوا ثم تدبر نحو تفرقهم في احوالهم
ومذاهبهم فانظر الى جماع ملامتهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اقام يدعو الله اثنين وعشرين سنة وهو ينزل عليه الوحي
وعليه على صحابته وكان معوية في هذه المدة بحيث علم الله
ثم كتب له صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بشهور فاشادوا من ذكره
ورفعوا من قدره بان جعلوه كاتب الوحي وعظموه بهذه الكلمة
واسقطوا ذكر من سواه واصل ذلك العادة والالف وما ولدوا عليه
ونشأوا فيه فالفوا وقت التحصيل والبلوغ وقد حملت العادة
عملها وبلغت مبلغها وفي العادة قال السموال وتكلم اهل الدراية والادب

لا تنهني بعد ان ارمتني ... فشديد عادة منتزعه

وقال آخر

ولكن فطام النفس اثقل محملا ... من الصخرة الصماء حين ترومها

وقد قالت حكماء العرب العادة املك بالادب وقالت حكماء
العجم العادة هي الطبيعة الثانية وقد صنف ابو عقال الكاتب كتابا
في اخلاق العوام يصف فيه اخلاقهم وشيمهم ومخاطباتهم وسماه
الملهي ولولا اني اكره التطويل والخروج عما قصدنا اليه في هذا
الكتاب من الايجاز لشرحت نوادر العامة واخلاقها وطرائف افعالها
عجائب ولذكرت مراتب الناس في اخلاقهم وتصرفهم في احوالهم فلنرجع
الان الى اخبار معوية رضي الله عنه وسياساته وما اوسع الناس من
اخلاقه وما افاض عليهم من بره وعطائه وشملهم من احسانه مما اجتذب
به القلوب واستدعى به النفوس حتى آثروه على الاهل والقرابات من
ذلك انه وفد عليه عقيل بن ابي طالب رضي الله عنه
شجعا زائرا فرحب به معاوية وسر بوروده لاختياره اياه على اخيه واوسعه
حلما واحتمالا فقال له يا ابا يزيد كيف تركت عليا قال تركته على
ما يحب الله ورسوله وخلفتك على ما يكره ان فقال له معوية لولا انك

زايرا ونتجع جنابنا الردوت عليك ابا زيد جوابا تالم منه وامر له
بنزل وحمل اليه مالا عظيما ثم قال للناس ارجع فيك الجعلان ع

وفتى يرى الجهل عند نزوله ... فخم الدسيعة من بني عجلان
وافى المروءة لو وزنت بحمله ... سهلا او الهضبات من ثهلان
لعلي به الرجحان عن الحي له ... عند الحفاظ اذا اعتلى حدثان

قال فلما كان من غد جلس وارسل اليه فاتاه فقال له يا ابا
يزيد كيف تركت عليا قال تركته خير الفتية منك وانت خير له
منه فقال معاوية والله كما قال الشاعر

واذا اعدت نجار المخرق ... فالمجد منهم في بني عتاب

نخل المجد بني هاشم منوط بكم يا ابا يزيد ما تغير الايام والليالي
فقال عقيل اصبر لحرب انت جانيها ... لابد ان تصلى بحاميها
وانت واسيا ابن ابي سفيان كما قال الشاعر

واذا هوازن اقبلت بفخارها ... يوما فخرتهم بآل مشاجع
بالحاملين على الموالي عن مهم ... والضاربين الهام يوم الفارع

ولكن انت يا معوية اذا فخرت بنو امية فبمن تفخر فقال
معوية عزمت عليك ابا يزيد لما امسكت فاني لم اجلس لهذا وانما
اردت ان اسالك عن اصحاب علي فانك ذو معرفة بهم قال عقيل سل عما
بدا لك فقال ميز لي اصحاب علي وابدا ببني صوحان فانهم مخاريق
الكلام قال اما صعصعة فعظيم الشان عذب اللسان
قائد الفرسان قاتل الاقران يرتق ما فتق ويفتق ما رتق قليل النظير
واما زيد وعبد الله فانهما جاريان تصب فيهما الخلجان
وتغاث بهما البلدان رجلا جد لا لعب وبنو صوحان كما قال الشاعر

اذا نزل العدو فان عندي ... اسودا تستلب الاسد النفوسا

فاتصل كلام عقيل بصعصعة فكتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم
ذكر الله اكرم وبه يستفتح المستفتحون وانتم مصابيح
الدنيا والاخرة اما بعد فقد بلغ مولاك كلامك لعدو
الله وعدوك فحمد الله على ذلك وسالته ان يفيء بك الى الدرجة العليا
والقضيب الاحمر والعمود الاسود فانه من فارقه فارق الدين الازهر
ولئن نزعت بك نفسك الى معوية طلبا لماله انك لذو علم بجميع
خصاله فاحذر ان تعلق بك ناره فيضلك عن الحجة فان الله قد رفع
عنكم اهل البيت ما وضع في غيركم فما كان من فضل واحسان فبكم وصل

نفسه

الينا فاجل الله اقدارهم وحمى اخطارهم وكتب اثارهم فان اقدارهم مرضية
واخطارهم محمية واثارهم بدرية وانتم سلم الله الى خلقه ووسيلته
الى طرقه ايدي عليه ووجوه جليله وانتم كما قال الشاعر

فما كان من خير اتوه فانما ... توارثه اباء ابائهم قبل
وهل ينبت الخطي الا وشيجه ... وتغرس الا في منابتها النخل

وحدث الهيثم عن ابي سفيان عن زيد عن محمد بن عبد الله بن الحرث
ثم المخبر عن عثمان قال لما انصرف علي عليه السلام من وقعة الجمل
قال لابنه من بالباب من وجوه العرب قال محمد بن عمير بن عطارد التميمي
والاحنف بن قيس وصعصعة بن صوحان العبدي في رجال
سماهم فقال ايذن لهم فدخلوا فسلموا عليه بالخلافة فقال لهم انتم وجوه
العرب عندي ورؤساء اصحابي فاشيروا علي في امر هذا الغلام المترف ف
يعني معوية فافتنت بهم المشورة عليه فقال صعصعة ان معوية
ترفه الهوى وحببت اليه الدنيا فهانت عليه مصارع الرجال
وباع آخرته بدنياه فان تعمل فيه براي تصب ان شاء الله والتوفيق
بالله وبرسوله وبك يا امير المؤمنين الراي ان ترسل اليه عينا
من عيونك وثقة من ثقاتك بكتاب تدعوه الى بيعتك فان
اجاب واناب كان له ما لك وعليه ما عليك والا جاهدته
وصبرت لقضاء الله حتى ياتيك اليقين فقال علي عليه السلام
عزمت عليك يا صعصعة الا كتبت الكتاب بيدك وتوجهت به
الى معوية واجعل صدر الكتاب تحذيرا وتخويفا وعجزه
استتابة والثلث فاتحة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم
من عبد الله علي امير المؤمنين اما بعد فما اشبه عليك واجعل
عنوان الكتاب الا الى الله تصير الامور قال اعفني من ذلك قال عزمت
عليك لتفعلن قال افعل فخرج بكتاب وتجهز وسار
حتى ورد دمشق فاتى باب معوية فقال للاذن استاذن لرسول ل
امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام وبالباب جماعة من بني امية
فاخذته النعال والايدي لقوله امير المؤمنين وهو يقول اتقتلون
رجلا ان يقول ربي الله وكثرت الجلبة واللغط فاتصل
ذلك بمعوية فوجه من يكشف الناس عنه فكشفوا ثم اذن لهم فقال ل
لهم من هذا الرجل فقالوا رجل من العرب يقال له صعصعة بن صوحان معه
كتاب من علي فقال والله لقد بلغني امر هذا الحد سهام علي بن ابي طالب

وخطباء العرب لقد لنت الى الغاية متطلعا اذ نوى لم قد دخل عليه فقال
السلام عليك يا ابن ابي سفيان هذا باب امير المومنين فقال معوية
اما لو كانت الرجل يقتل في الجاهلية او اسلام لقتلتك ثم اعترضه
معوية في الكلام واراد ان يستخبره ليعرف قريحته امطبعا
ام تكلفا فقال له ممن الرجل فقال من نزار قال وما كان نزار قال
اذا كان غزا انكمش واذا لقي افترش واذا انصرف احترش
والاعتراش هو الاحتراش في الطريق قال فمن اي اولاده انت
قال من ربيعة قال وما كان ربيعة قال كان يطيل النجاد
ويعول العباد ويضرب ببقاع الارض العماد قال فمن اي اولاده
انت قال من جديلة قال وما كان جديلة قال كان في الحرب
سيفا شاهرا قاطعا وفي المكرمات غيثا نافعا وفي اللقاء
لهبا ساطعا قال فمن اي اولاده انت قال من عبد قيس قال
وما كان عبد قيس قال كان خصيبا ابيضا وهرزاويا يقدم
لضيفه ما وجد ولا يسال عما فقد كثير المرق طيب العرق
يقوم للناس مقام الغيث من السما قال ويحك يا ابن صوحان
فما تركت لهذا الحي من قريش مجدا ولا فخرا قال بلى والله
يا ابن ابي سفيان تركت لهم ما لا يصلح الا لهم تركت لهم الاحمر
والابيض والاصفر والاشقر والسرير والمنبر والملك الى يوم
الحشر وانا لا يكون ذلك كذلك وهم منار الله في الارض
ونجومه في السما ففرح معوية وظن ان كلامه يشتمل على قريش
كلها قال صدقت يا ابن صوحان ان ذلك لكذلك فعرف صعصعة
ما اراد فقال له ليس لك ولا لقومك في ذلك اصدار ولا ايراد
بعدتم عن انف المرعى وعلوتم عن عذب الما قال فلم ذلك ويلك
يا ابن صوحان فقال الويل لاهل النار ذلك لبني هاشم قال
قم فاخرجوه فقال صعصعة الوعد بني عند الا الوعيد
من اراد المناجح يقبل الحاجج فقال معوية لشي ما سودت
قومه وودت واني من صلبه ثم التفت الى بني اميه فقال
هكذا فلتكن الرجال وحدث منصور بن حسن عن ابي الفضل
عبدالله بن محمد الهاشمي عن الوليد بن البختري العبسي عن الحرث
ابن مسلمة الباهلي قال حبس معوية صعصعة بن صوحان
العبدي وعبدالله بن الكوا اليشكري ورجالا من اصحاب علي عليه السلام

مع رجال من قريش فدخل عليهم معوية يوما فقال نشدتكم الله الا ما قلتم حقا وصدقا
اي الخلفاء رايتموني فقال ابن الكوا لولا انك عزمت علينا ما قلنا لانك
جبار عنيد لا تراقب الله في قتل الاخيار ولكنا نقول ما علمناك
لواسع الدنيا ضيق الاخرة قريب الثرى بعيد المرعى تجعل الظلمات
نورا والنور ظلمات فقال معوية ان الله اكرم هذا الامر باهل الشام
الذابين عن بيضته التاركين لمحارمه ولم يكونوا مثل اهل العراق المنتهكين
لمحارم الله والمحرمين ما احل الله والمحللين ما حرم الله فقال عبدالله بن الكوا
يا ابن ابي سفيان ان لكل كلام جوابا ونحن نخاف جبروتك فان كنت تطلق
السنتنا ذببنا عن اهل العراق بالسنة حداد لا تاخذها في الله لومة لائم والا
فانا صابرون حتى يحكم الله ويضعنا على فرجه قال لا والله لا اطلق لك لسانا
ثم تكلم صعصعة فقال تكلمت يا ابن ابي سفيان فابلغت ولم تقصر عما اردت
وليس الامر كما ذكرت انا يكون الخليفة من ملك الناس قهرا ودانهم كبرا واستوى
باسباب الباطل كذبا ومكرا اما والله ما لك في يوم بدر مضرب ولا مرمى وما كنت
فيه الا كما قال القايل لا حلي ولا سيري ولقد كنت انت وابوك في العير والنفير
ممن اجلب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا نصلح الخلافة لطليق
بلغ ابن طليق فقال معوية لولا اني ارجع فيها الى قول ابي الطيب حيث يقول

قابلت جهلهم حلما ومغفرة — والعفو عن قدرة ضرب من الكرم

وحدث ابو جعفر محمد بن حنيف قال اخبرنا ابو الهيثم يزيد بن رجا الغنوي
قال اخبرنا ابن البختري عن ابيه عن ابن مودوح الكلبي قال دخل صعصعة
ابن صوحان العبدي على معوية فقال يا ابن صوحان انت ذو معرفة
بالعرب وبحالها فاخبرني عن اهل البصرة واياك والحمل على قوم لقوم
قال البصرة واسطة العرب ومنتهى الشرف والسودد وهم اهل
الخطط في اول الدهر واخره وقد دارت بهم سوارب العرب كما تدور الرحا
على قطبها قال فاخبرني عن اهل الكوفة قال هم قبة الاسلام وذروة
عد الكلام ومظان ذوي الاعلام الا ان بها اخلاقا تمنع ذوي الامر الطاعة
وتخرجهم عن الجماعة قال فاخبرني عن اهل الحجاز قال اسرع الناس
الى فتنة واعجزهم عنها واقلهم غنا فيها غير ان لهم ثباتا وثباتا في الدين
وتمسكا بعروة اليقين ويتبعون الائمة الابرار ويخلعون الفسقة
الفجار فقال معوية من الفسقة ومن البررة قال يا ابن ابي سفيان ترك
الخداع من كشف القناع علي واصحابه من البررة الكرام وانت
واصحابك من الفسقة الفجار ثم امر معوية ان يقضي صعصعة في

كلامه بعد ان سرّي الغضب قال فاخبرني عن البقعة الحمراء من ديار مضر
قال اسد عفر تسلاب بين غيلين اذا ارسلتهما اوشبت واذا تركتهما
احترست فقال معوية هناك يا ابن صوحان الغرائر المراسي فهل
في قومك مثل هذا قال الاهل دونك يا ابن ابي سفيان ومن احب قوما
حشر معهم قال فاخبرني عن ديار ربيعة ولا يستخفنك الجهل
وسابقة الحمية لقومك قال والله ما انا عنهم براض ولكني اقول
فيهم وعليهم هم والله اعلام الخيل ارباب في الذيل والميل لن تقلب
راياتها اذا رسخت جوارح الدين بوارح اليقين من نصر وفخر
ومن خذلوه زل قال فاخبرني عن مضر قال كنانة العرب ومعدن العز
والحرب لتقذف بها الذين والبر ذيه ثم امسك معوية فقال
صعصعة سل يا معوية والا اخبرتك عما تحيد عنه قال وما ذلك
يا صعصعة قال اهل الشام قال فاخبرني عنهم قال اطوع الناس
لمخلوق واعصاهم للخالق عصاة الجبار وخلفة الاشرار فعليهم
الدمار ولهم سوء الدار فقال معوية والله يا ابن صوحان لقد حملت
حديثك منذ ازمان الا ان حلم ابن ابي سفيان يردعك فقال صعصعة
بل امر الله وقدره ان امر الله كان قدرا مقدورا وحدث ابو الهيثم
قال اخبرني ابو البشر محمد بن بشر الفزاري عن ابراهيم بن عقيل البصري
قال قال معوية يوما وعنده صعصعة وكان قدم عليه بكتاب
علي عليه السلام وعنده وجوه الناس فقال الارض لله يورثها
من يشاء من عباده وانا خليفة الله فما اخذت من مال الله فهو
لي وما تركت منه كان جائزا لي فقال صعصعة تمنيك نفسك
ما لا يكون جهلا معاوي لا تاثم فقال معوية يا ابن صوحان تعلمت
الكلام قال العلم بالتعلم ومن لا يعلم يجهل قال معوية ما احوجك
الى ان اذيقك وبال امرك قال ليس ذلك بيدك ذلك بيد الذي
لا يؤخر نفسا اذا جاء اجلها قال ومن يحول بيني وبينك قال الذي
يحول بين المرء وقلبه قال اتسع بطنك للكلام كما اتسع بطن البعير
للشعير قال اتسع بطن من لا يشبع ودعا عليه من لا يجمع

قال المسعودي ولصعصعة بن صوحان اخبار حسان وكلام
في نهاية البلاغة والفصاحة والايضاح عن المعاني على ايجاز
واختصار فمن ذلك وغيره من خبره مع عبد الله بن العباس وهو
ما حدث به المدائني عن يزيد بن صالح الذهلي الشيباني قال حدثني
ابي عن مصقلة بن هبيرة الشيباني قال سمعت صعصعة بن صوحان
وقد سأله ابن عباس ما السودد فيكم قال اطعام الطعام ولين الكلام
وبذل الكلام وكف المرء نفسه عن السؤال والتودد للصغير
والكبير وان يكون الناس عنده شرعا قال فما المروة
قال اخوان اجتمعا فان لقيا قهرا داريهما قليل وصاحبهما
جليل يحتاجان الى صيانة مع نزاهة وديانة فقال هل
تحفظ في ذلك شيئا قال نعم اما سمعت قول مرة بن ذهل بن شيبان

ان السياسة والمروة علقا ... حيث السماء من السماك الاعزل
واذا تقابل مرحبان لغاية ... عثر الهجين واسلمته الارجل
واذا تشاقر سيدان بمحفل ... طرح العداة فعادتا مثل الاول
ونجا الصريح من العثار معودا ... قرب الجياد ولم تخنه الافكل
فلذا المروة من تعلق حبلها ... فتل المرير بعلقة في الحبل

وهي ابيات لغوية فقال ابن عباس لو ان رجلا ضرب اباط ابله مشرقا
ومغربا لفائدة هذه الابيات ما عنفته وانا منك يا ابن صوحان
لعلي حلم وعلم واستنباط ما قد عفا من اخبار العرب فمن الحليم
فيكم قال من ملك غضبه فلم يعجل وسعي اليه بجهل او باطل فلم
يقبل ووجد قائل الخنا فصفح ولم يقبل ذلك الحليم يا ابن عباس
قال فهل يوجد ذلك فيكم كثيرا قال لا والله الا قليلا وانما
وصفت لكم اقواما لا تجدهم الا الخاشعين راهبين لله يتبتلون
ولا يبالون فاما الاخرون فانهم سبق جهلهم حلمهم ولا يبالي
احدهم اذا ظفر بغيته في حين الحفيظة من كان بعد ان يدرك
رغمه ويقضي بغيته ولو وتر ابوه لقتل اباه واخوه لقتل
اخاه اما سمعت قول زبان وذلك ان زبان قتل ملك بن لويد فقام
زبان زمانا ثم عزي مالكا فاتاه في ثمانين فارسا مسلحا وهو
في اربعين بيتا فقتله وقتل اصحابه وقتل عمه فيمن قتل ويقال
بل كان اخاه وذلك انه جاورهم فقيل لزبان قتلت صاحبنا

فقال هذا الشعر

فلو اني لقيت بحيث كانوا ... لبل بقلبي ماء غلو صبيب
ولو كان اشاعيه اخت عمرو ... لهذا الماء طل لها نخيب
شهرت السيف في الاقربين مني ... ولم يعطف اواصرنا قريب

قال له ابن عباس فمن الفارس منكم فيما حدا اسمعه منك فانك تضع

الاسنة الى اضعها يا ابن صوحان قال الفارس من قصر اجاله في
نفسه وعض على الملد بفرسه وكان الحرب اهون عليه من امسيه
ذلك الفارس اذا وقدت الحرب واشتد بالانف الكلب
وتداعوا النزال وزحفوا للقتال وتخالسوا المهج واقتحموا
بالسيوف اللجج قال احسنت واسه يا ابن صوحان انك
لسليل اقوام كرام خطباء فصحاء ما ورثت هذا عن كلاله زدني
قال نعم الفارس كثير الحذر يردد النظر يلتفت بقلبه ولا يلتفت بخرزات
صلبه قال احسنت واسه يا ابن صوحان فهل لك في مثل هذا
الوصف من شعر قال نعم قول زهير بن جناب الكلبي يرثي ابنه عمرو

حيث يقول

فارس تكلأ الصحابة منه ... بحسام يزم الحريق
لا تراه لدى الوغا في مجال ... يفعل الفرب لا ولا في المضيق
من يرد لغله في الحرب يوما ... انه بابه مفصل الطريق
واذا الخيل اوقدت وتلظت ... واستنار القتام بين الحريق
سل بالسيف كل قرن قتول ... باسل القلب هبرزي مطوق
لهف نفسي على الفتى وعيني ... ليس ينجي الجبان الحمي من غلوق
خلستني المنون عمرا وعمري ... قد اصابتني المنون بنوق

فقال له ابن عباس فان اخوك لعنك يا ابن صوحان صفهما لي لاعرف
ورثكم قال اما زيد فكما قال الشاعر

فتى لا يبالي ان يكون بوجهه ... اذا نال خلات الكرام شحوب
اذا ما تراه الرجال تحفظوا ... فلم ينطقوا العوراء وهو قريب
على خير ما كان الرجال بنايه ... وما الخير الا قسمة ونصيب
حليف الندى يدعو الندى فيجيبه ... اليه ويدعوه الندى فيجيب
يبيت الندى يا ام عمرو ضجيعه ... اذا لم يكن في المنقيات حلوب
كان بيوت الحي ما لم يكن بها ... بسابس ما يلقى بهن غريب
فان تشهدوا اوغاب بعض علمتم ... ثنى القوم وضاح الجبين نجيب
كعالية الرمح الرديني سيته ... اذا ابتدر القوم النهاب وهوب

قال كان واسه يا ابن عباس عظيم المروءة شريف الاخ جليل
الخطر بعيد الاثر لم يشن العدوه اليف الندوه سليم جوانح
الصدر قليل وساوس الدهر ذاكر اسه طرفي النهار وزلفا من الليل
الجوع والشبع عنده سيان لا ينافس في الدنيا واقل اصحابه من ينافس

فيها يطيل السكوت ويحفظ الكلام وان نطق نطق بتمام يهرب منه
الدعار الاشرار ويالفه الاخيار الاحرار فقال ابن عباس ما ظنك برجل من اهل الجنة
رحم اسه زيدا فاين كان عبد اسه منه قال كان عبد اسه سيدا شجاعا
مالفا مطلع خير وسلع وشره دفاع قلبي النحيزه اجودي
الغريزه لا ينهنهه منهنهه عما اراده ولا يركب من الامر الاعتياده
سمام عدي وباذل قرى صعب المقاده جزل الرفاده اخو
اخوان وفتى فتيان وهو كما قال الرحبي عامر بن سنان

فتى فيه شغب للعدو وانه ... لمن لم يسمه فيعذب
همام غدى بالنبل يقتل من رمى ... وبالسيف والرمح الرديني مشغب
مهيب مفيد للنوال معود ... بفعل الندى والمكرمات محبب
مضى وبقينا خلفه وكاننا ... ثكالى على الاولاد للفقد قطب

فقال له ابن عباس انت واسه يا ابن صوحان باقر علم العرب والذي قال الاول

اري خطيب يخجل الفرزدق ... شبان عضب يعصب الافواها
متطلبا يوم الخيار كلامه ... واذا رمى اخو المناقب تاها
فهم الصدور اذا وزنت حلومهم ... رجال الحمس تعرف الاشباها

ومن اخبار صعصعه ما حدث به ابو جعفر محمد بن حبيب الهاشمي
عن ابي الهيثم مرثد بن رجا العنوي قال وقف رجل على صعصعة فاسمعه
كلاما فقال منذ سطت لسانك يا ابن صوحان على الناس فهيهات اما
لئن شئت لاكونن لك لصاقا لا انطق الاحدده لسانك بادر به عن طيته
السيف بعضب قوي ولسان علي ثم لا اكونن لك في كل حال والرجال
فقال صعصعه لو اجد عرضا منك لرميت بل ارى شيخا وله
اخال مثالا لسر لم يتبعه يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم
يجده شيئا اما لو كنت كفوا لرميت حصاتها بادر بين
ذلق اللسان ولم يشعك بنبال لم يعد عن الصيال ولحطمتك بخطام
يخزم منك موضع الزمام فاتصل الكلام بابن عباس فاستضحك
من الفزاري وقال اما لو كلف اخو فزاره لنفسه نقل الصخور من
جبال تهامه الى الهضبات لكان اهون عليه من منازعة اخي عبد
القيس خاب ابو ما الجهله يستخف اخا عبد القيس وقواه
المديح

بمعنى يل

صبت عليه ولو تصبت غيرهم ... ان الشقاء على الاشقين مصبوب

وحدث المبرد عن الرياشي عن سعيد بن عبيد اسه التميمي قال الحريري

رجل من الازد قال نظرت الى ابي ايوب الانصاري يوم النهروان وقد علا عبد الله الراسبي فضربه ضربة على كتفه فابان يده وقال بؤ بها الى النار فقال عبد الله ستعلم اينا احق واولى بها صليا قال وابيك اني لاعلم اذ اقبل صعصعة بن صوحان فقال اولى بها صليا من ضل في الدنيا عميا وصار الى الاخرة شقيا ابعدك الله وانزحك لقد انذرتك هذه الصرعة يا اخسر فابيت الا نكوصا على عقبيك فذق مارق وبال امرك وشد كريب في قتله ضربه بالسيف ابان بها رجله وادركه فاوجر بطنه وقال لقد صرت الى نار لا تطفى ولا يبرح سعيرها ثم انشد رضي الله عنه

هذا جزاء المارقين الخلفهم … يجيبهم حسا على البيض والطلا
ونضربهم في الله لا رب غيره … الى الله الا ان يغل ويقتلا
ونحن اناس الناس خيف عدوهم … بلا جرم انا لن نضام ويعضلا

ثم اتى براسه امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام قال هذا راس الفاسق المارق الثالث عبد الله بن وهب فنظر اليه فقطب وقال شاه هذا الوجه حتى خيل الينا انه يبكي ثم قال لقد كان اخو راسب حافظا لكتاب الله تاركا لحدود الله ثم قال اطلبوا لي ذا الثدية فطلبوه فلم يوجد فرجعوا وقالوا ما اصبنا شيا فقال والله لقد قتل فيهم وما كذبني رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذبت عليه قوموا بجمعكم فاطلبوه فقامت جماعة من اصحابه فتفرقوا في القتلى فاصابوه في وهدة من الارض فوقها نحو من مائة قتيل فاخرجوه يجر برجله ثم اتوا به عليا عليه السلام فقال الله اكبر انه ذو الثدية وقد ذكرنا اخبار ذو الثدية فيما سلف من هذا الكتاب ولعلي في ربيعة كلام كثير يمدحهم ويقرظهم شعرا ونثرا وقد كانوا انصاره واعوانه والركن المنيع من اركانه فمن بعض مدحه قوله في يوم صفين

لمن راية حمراء يخفق ظلها … اذا قيل قدمها حضين تقدما
فيوردها في الصف حتى يعلها … حياض المنايا تقطر الموت والدما
جزى الله قوما قاتلوا في لقائه … لدى الموت قدما ما اعز واكرما
واطيب اخبارا واكرم شيمة … اذا كان اصوات الرجال تغمغما
ربيعة اعني انهم اهل نجدة … وباس اذا لاقوا جسيما عرمرما

وقد ذكر المدائني ان معوية اسر جميل بن كعب التغلبي وكان من سادات ربيعة شهد مع علي عليه

السلام وانصاره فلما اوقف بين يديه قال الحمد لله الذي امكنني منك

الست القائل يوم الجمل

اصبحت الامة في امر عجب … والملك مجموع غدا لمن غلب
قد قلت قولا صادقا غير كذب … ان غدا تهلك اعلام العرب

قال لا تقل ذلك فانها مصيبة قال معوية واي نعمة اكبر من ان يكون الله قد اظفرني برجل قد قتل في ساعة عدة من حماة اصحابي اضرب عنقه فقال اللهم ان معوية لم يقتلني فيك ولا لانك ترضى قتلي ولكن قتلني على حطام الدنيا فان فعل فافعل به ما هو اهله وان لم يفعل فافعل به ما انت اهله قال معوية قاتلك الله لقد سببت فابلغت في السب ولقد دعوت فبالغت في الدعاء ثم امر به فاطلق وتمثل معوية بابيات النعمان بن المنذر لما قتل النعمان عمرا فيما ذكر الكلبي وهي

تعفو الملوك عن الجليل من الامور بفضلها … ولقد تعاقب في اليسير
وليس ذاك لجهلها … الا ليعرف فضلها … ويخاف شدة نكلها

وذكر لوط بن يحيى وابن دأب والهيثم بن عدي وغيرهم ان معوية

لما احتضر تمثل بهذا البيت

هو الموت لا منجى من الموت والذي … نحاذر بعد الموت ادهى وافظع

ثم قال اللهم اقل العثرة واعف عن الزلة وعد بحلمك على جهل من لا يرجو غيرك ولم يثق الا بك فانك واسع المغفرة وليس لذي خطيئة مهرب فبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال لقد رغب الى من لا مرغوب اليه مثله واني لارجو ان لا يعذبه الله وذكر محمد بن اسحاق وغيره من نقلة الاثار ان معوية دخل الحمام في بدو علته التي كانت وفاته فيها فراى نحول جسمه فبكى لفنائه وما قد اشرف عليه من الدثور الواقع بالخليقة وقال متمثلا

ارى الليالي اسرعت في نقضي … اخذن بعضي وتركن بعضي … حنين طولي وحنين عرضي
اقعدني من بعد طول نهضي

ولما ازف امره وحان فراقه واشتدت علته ويئس من برئه

انشا يقول هذه الابيات

فيا ليتني لم اعن في الملك ساعة … ولم اك في اللذات اعشى النواظر
وكنت كذي طمرين عاش ببلغة … من الدهر حتى زار ضنك المقابر

قال المسعودي ولمعوية اخبار كثيرة مع علي عليه السلام وغيره قد اتينا على الغرر من اخباره وما كان في ايامه في كتابنا في

لما اوردنا ... في هذا
الباب سكيت الكلام في هذه
مما تقدم وتاخر ...
ومن ... الاختصار ...
لما الاكثار وانما ...
كلها ... الباب ...
... العلوم ...
... الكتب ...
ليستدل الناظر فيه على
ذكرنا على ما ...
وقد تقدم ...
فيما سلف من كتبنا واذ قد
تقدم ما ذكرنا فلنذكر الان

اخبار الزمان والكتاب الاوسط وغيرهما من كتبنا فلنذكر الان جملا
من فضل الصحابة رضي الله عنهم **ذكر الصحابة ومدحهم وعلي عليه**
بلغ **السلام والعباس** دخل عبد الله بن عباس على معوية وعنده وجوه
قريش فلما سلم وجلس قال له معوية اني اريد ان اسالك عن مسايل
قال سل عما بدا لك قال ما تقول في ابي بكر قال رحم الله ابا بكر
كان والله للقرآن تاليا، وعن المنكر ناهيا، وبدينه عارفا، ومن
الله خايفا، وعن المنهيات جازرا، وبالمعروف آمرا، وبالليل
قايما، وبالنهار صايما، فاق اصحابه ورعا وكفافا، وزادهم زهدا
وعفافا، فغضب الله على من يبغضه ويطعن عليه قال
معوية ايها يا ابن عباس فما تقول في عمر بن الخطاب قال رحم الله
ابا حفص كان والله حليف الاسلام، وماوى الايتام، ومنتهى
الاحسان، ومحل الايمان، وكهف الضعفاء، ومعقل الحنفاء، قام
بحق الله عز وجل صابرا محتسبا حتى اوضح الدين وفتح البلاد،
وامن العباد، فاعقب الله من يبغضه اللعنة الى يوم التناد
قال فما تقول في عثمان قال رحم الله ابا عمرو كان والله
اكرم الحفدة، وافضل البررة هجادا بالاسحار، كثير
الدموع عند ذكر النار، نهاضا عند كل مكرمة، سباقا الى
كل منجية، حييا ابيا وفيا، صاحب جيش العسرة ختن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعقب الله اللعنة على من يبغضه الى يوم
القيمة قال فما تقول في علي بن ابي طالب قال رضي الله
عن ابي الحسن كان والله علم الهدى، وكهف التقى، ومحل
الحجى، وبحر الندى، وطود النهى، وكهف العلا داعيا الى
المحجة العظمى، مستمسكا بالعروة الوثقى، خير من آمن واتقى، وافضل
من تقمص وارتدى، وابر من انتعل وسعى، وافصح من تنفس وقرأ،
واكثر من شهد النجوى، سوى الانبياء والنبي المصطفى، صاحب
القبلتين، فهل يوازيه احد وهو ابو السبطين، فهل يقارنه بشر
وهو زوج خير النسوان فهل يفوقه قاطن بلد وهو الاسد قاتل في
الحرب ختال، لم ترعيني مثله، فعلى من يبغضه ويشينه لعنة
الله ولعنة اللاعنين والعباد الى يوم التناد، قال ايها
يا ابن عباس قد اكثرت في ابن عمك فما تقول في ابيك العباس قال
رحم الله ابا الفضل كان صنو نبي الله وقرة عين صفي الله سيد الاعمام

لا اخلاق آبائنا الاجواد واحلام اجداده الامجاد فتلك عدة الاحساب بلغ ايدا وتصحيحا
عند فضيلة صاحب البيت والسقاية والمشاعر والتلاوة وكم لا
يكون كذلك وقد ساسه افضل من درج ومشى فقال معوية ايها
يا ابن عباس انا اعلم انك تكلمني في اهل البيت قال ولم لا يكون
كذلك وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم فقهه في الدين
وعلمه التاويل ثم قال ابن عباس بعد هذا الكلام يا معوية ان الله جل
ثناؤه وتقدست اسماؤه خص محمدا نبيه صلى الله عليه وسلم بصحابة
آثروه على الانفس والاموال وبذلوا النفوس دونه في كل حال
ووصفهم الله في كتابه فقال رحماء بينهم الآية قاموا بمعالم الدين وناصحوا صح
الاجتهاد للمسلمين حتى تهذبت طرقه وقويت اسبابه وظهرت آلاء الله
واستقر دينه ووضحت اعلامه واذل الله بهم الشرك وازال رؤوسه
ومحا دعايمه وصارت كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى
فصلوات الله ورحمته وبركاته على تلك النفوس الزاكية والارواح الطاهرة
العالية فقد كانوا لله في الحيوة اولياء وكانوا لعباد الله نصحاء رحلوا
الى الآخرة قبل ان يصلوا اليها وخرجوا من الدنيا وهم بعد فيها فقطع
عليه معوية الكلام وقال ايها يا ابن عباس خذ في غير هذا **ذكر**
ايام يزيد بن معوية بن ابي سفيان وبويع يزيد بن معوية فكانت ايامه ثلاث
سنين وثمانية اشهر الا ثمانية ايام واخذ يزيد لابنه معوية بن يزيد
البيعة على الناس قبل موته **وفي ذلك يقول عبد الله بن همام السلولي**

تلقفها يزيد عن ابيه ... فخذها يا معوي عن يزيدا
وقد علقت بكم فتلقفوها ... ولا ترموا بها الغرض البعيدا

وهلك يزيد بحوارين من ارض دمشق لاربع عشرة ليلة خلت من صفر سنة
اربع وستين وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة **وفي ذلك يقول رجل من عنزة**

يا ايها القبر بحوارينا ... ضممت شر الناس اجمعينا **وقد رثاه الاخطل النصراني بقوله**

لعمري لقد دلى الى اللحد خالد ... جنازة لا نكس الفؤاد ولا غمر
مقيم بحوارين ليس يريمها ... سقته الغوادي من ثوي ومن قبر

ذكر مقتل الحسين بن علي عليهما السلام ولما مات معوية ارسل الى الحسين عليه
السلام اهل الكوفة انا قد حبسنا انفسنا على بيعتك ونحن نموت
دونك ولسنا نحضر جمعة ولا جماعة بسببك وطولب الحسين
عليه السلام بالبيعة ليزيد بالمدينة فسام التاخير وخرج يتهادى
بين مواليه **وهو يقول**

لا دعوت السوام في فلق الصبح مغيرا ولا دعيت يزيدا
يوم اعطي مخافة الموت ضيما والمنايا ترصدنني ان احيدا

ولحق بمكة فارسل ابن عمه مسلم بن عقيل الى الكوفة وقال سر الى
الكوفة فان كان حقا ما كتبوا به عرفتني حتى الحق بك فخرج مسلم
من مكة للنصف من شهر رمضان حتى قدم الكوفة لخمس خلون من شوال
والامير عليها النعمان بن بشير الانصاري فنزل على رجل يقال له عوسجة
مستترا فلما ذاع خبر قدومه بايعه من اهل الكوفة اثنا عشر الف
رجل وقيل ثمانية عشر الف رجل فكتب بالخبر الى الحسين عليه السلام
وساله القدوم عليه فلما هم الحسين بالخروج الى العراق اتى اليه ابن عباس
فقال له يا ابن عمي قد بلغني انك تريد العراق وانهم اهل غدر وانما يدعونك
للحرب فلا تعجل وان ابيت الا محاربة هذا الجبار وكرهت المقام بمكة
فاشخص الى اليمن فانها في عزلة ولك فيها انصار واخوان فاقم فيها
وبث دعاتك واكتب الى اهل الكوفة وانصارك بالعراق فليخرجوا اميرهم
فان قووا على ذلك ونفوه عنها ولم يكن بها احد يعاديك اتيتهم وما
انا لغدرهم بامن وان لم يفعلوا اقمت بمكانك الى ان ياتي الله بامره
فان فيها حصونا وشعابا فقال الحسين يا ابن عمي اني لاعلم انك
لي ناصح وعلي شفيق ولكن مسلم بن عقيل كتب الي باجتماع اهل المصر
على بيعتي ونصرتي وقد اجمعت على المسير اليهم قال انهم من خبرت
وجربت وهم اصحاب ابيك واخيك وقتلتك غدا مع اميرهم انك لو قد
خرجت فبلغ ابن زياد خروجك استنفرهم اليك فكان الذين كتبوا اليك
اشد عليك من عدوك فان عصيتني وابيت الخروج الا الى الكوفة فلا
تخرجن نساءك وولدك معك فوالله اني لخائف ان تقتل كما قتل عثمان
ونساؤه وولده ينظرون اليه فكان الذي رد عليه ان قال والله لان اقتل بمكان
كذا احب الي من ان تستحل بي مكة فيئس ابن عباس منه وخرج من عنده فمر
بعبد الله بن الزبير فقال قرت عينك يا ابن الزبير وانشد يقول

يا لك من قنبرة بمعمر خلا لك الجو فبيضي واصفري ونقري ما شئت ان تنقري

ثم قال هذا الحسين عليه السلام خارجا الى العراق ويخليك والحجاز
وبلغ ابن الزبير ان الحسين يريد الخروج الى الكوفة وهو اثقل الناس عليه
قد غمه مكانه بمكة لان الناس ما كانوا يعدلونه بالحسين عليه السلام فلم
يكن شيء يؤتاه احب اليه من شخوص الحسين عن مكة فقال يا ابا عبد الله
ما عندك فوالله لقد خفت الله في ترك جهاد هذا القوم على ظلمهم واستذلالهم

الصالحين من عباد الله فقال الحسين قد عزمت على اتيان الكوفة فقال
وفقك الله اما لو ان لي بها مثل انصارك ما عدلت بها ثم خاف
ان يتهمه فقال ولو اقمت بمكانك ودعوتنا واهل الحجاز الى بيعتك
لاجبناك وكنا اليك سراعا وكنت احق بذلك من يزيد ولي يزيد
ودخل ابو بكر بن الحارث بن هشام فقال يا ابن عم ان الرحم تظارني
عليك ولا ادري كيف انا في النصيحة لك فقال يا ابا بكر ما انت
ممن يستغش ولا يتهم فقل فقال ان عليا كان اقدم سابقا في
الاسلام واحسن اثرا واشد باسا والناس له ارجى ومنه
اسمع وعليه اجمع فسار الى معوية والناس عليه مجمعون الا اهل
الشام وهو اعز منهم فخذلوه وتثاقلوا عنه حرصا على الدنيا
وضنا بها فجرعوه الغيظ وخالفوه حتى صار ما صار اليه من كرامة
الله ورضوانه ثم صنعوا باخيك بعد ابيك ما صنعوا وقد شهدت
ذلك كله ورايته ثم تريد انت تسير الى الذين عدوا على ابيك واخيك
تقاتل بهم اهل الشام واهل العراق ومن هو اعز واقوى منك والناس
منه اخوف وله ارجى فلو قد بلغهم مسيرك اليهم لقد استصنعوا
الناس بالاموال وهم عبيد الدنيا فيقاتلك من قد وعدك ان ينصرك
ويخذلك من انت احب اليه ممن ينصره فاذكر الله في نفسك فقال
الحسين عليه السلام جزاك الله خيرا يا ابن عمي فقد اجهدت رايك
ومهما يقض الله يكن فقال انا لله وعند الله نحتسب ابا عبد الله ثم
دخل على الحارث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومي وهو على مكة وهو يقول

كم نرى ناصحا يقول فيعصى وظنين المغيب يلقى نصيحا

قال وما ذاك فاخبره بما قال الحسين عليه السلام قال نصحت له
ورب الكعبة واتصل الخبر بيزيد فكتب الى عبيد الله بن زياد بتوليته
الكوفة فخرج من البصرة مسرعا حتى قدم الكوفة على الظهر فدخلها
في اهله وحشمه وعليه عمامة سوداء قد تلثم بها وهو راكب بغلة
والناس يتوقعون قدوم الحسين عليه السلام فجعل ابن زياد يسلم
على الناس فيقولوا وعليك السلام يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
قدمت خير مقدم حتى انتهى الى القصر وبه النعمان بن بشير فتحصن منه
ثم اشرف عليه فقال يا ابن بنت رسول الله مالي ولك وما حملك على قصد
بلدي من بين البلدان فقال ابن زياد لقد طال نومك وحسر اللثام
عنه فعرفه ففتح له الباب ونادى الناس ابن مرجانة وحصبوه بالحصباء

فقاتلهم ودخل القصر فلما اتصل خبر ابن زياد بمسلم تحول الى هاني
ابن عروة المرادي ووضع ابن زياد الرصد على مسلم حتى علم بموضعه
فوجه محمد بن الاشعث بن قيس الى هاني فجاء به فسأله عن مسلم
فانكر فاغلظ له ابن زياد القول فقال له هاني ان لزياد ابيك عندي
بلاء حسنا واني احب مكافاته فهل لك في خير قال ابن زياد
وما هو قال تشخص الى الشام انت واهل بيتك سالمين فانه قد جاء
من هو احق من حقك وحق صاحبك فقال ابن زياد ادنوه مني فادنوه
فضرب وجهه بقضيب كان في يده حتى كسر انفه وشق حاجبه ونثر
لحم وجهه وكسر القضيب على راسه ووجهه وضرب هاني بيده الى
قائم سيف شرطي من تلك الشرط فجاذبه الرجل ومنعه السيف
وصاح اهل هاني بالباب قتل صاحبنا فخافهم ابن زياد وامر بحبسه
في بيت الى جانب مجلسه واخرج اليهم ابن زياد شريحا القاضي فشهد
عندهم انه حي لم يقتل فانصرفوا ولما بلغ مسلما ما فعل ابن زياد بهاني
امر مناديا فنادى يا منصور وكانت شعارهم فنادى اهل الكوفة
بها فاجتمع له في وقت واحد ثمانية عشر الف رجل وسار الى
ابن زياد فتحصن في القصر منهم فلم يمس مسلم ومعه غير مائة رجل
فلما نظر الى الناس يتفرقون عنه سار نحو ابواب كندة فلما بلغ الباب ومعه منهم
سوى قليل من الناس ثم خرج من الباب فاذا ليس معه منهم احد
فبقي حايرا لا يدري اين يذهب ولا يجد احدا يدله حتى اذا انتهى الى باب
مولاة للاشعث بن قيس فاستسقاها ماء فسقته ثم سألته عن
حاله فاعلمها بقصته فرقت له وآوته فجاء ابنها فاعلمته فمضى الى
محمد بن الاشعث فاعلمه فمضى ابن الاشعث الى ابن زياد فاعلمه فقال
انطلق فاتني به ووجه معه عبد الله بن العباس السلمي في سبعين
رجلا فاقتحموا على مسلم الدار فثار اليهم بسيفه وشد عليهم واخرجهم حجم
من الدار فلما راوا ذلك علوا ظهور البيوت فرموه بالحجارة وجعلوا
يلهبون النار في اطناق القصب ويرمونها عليه من فوق البيوت فلما
راى ذلك قال يا نفس اخرجي الى الموت الذي ليس عنه محيص فخرج
عليهم مصلتا سيفه الى السكة فقاتلهم واختلف هو وبكير بن حمران
بضربتين فضرب بكير فم مسلم فقطع السيف شفته العليا واسرع في السفلى
وضربه مسلم ضربة منكرة في راسه واخرى على حبل العاتق فكاد يطلع
الى جوفه وهو يرتجز ويقول ، اقسمت لا اقتل الا حرا ،

ولا يجد احدا يدله
على الطريق فنزل عن فرسه
ومشى متلددا في ازقة
الكوفة لا يدري اين

، كل امرئ يوما ملاق شرا ، وان رايت الموت شيئا مرا ، اخاف ان اكذب او اغرا ،
فلما راوا ذلك تقدم محمد بن الاشعث فقال انك لا تكذب ولا تغر فاعطاه الامان
وامكنهم من نفسه وحملوه على بغلة واتوا به ابن زياد وقد سلب ابن الاشعث
حين اعطاه الامان سيفه وسلاحه وفي ذلك يقول بعض الشعراء ،

في مسلم يهجو بها ابن الاشعث

، وتركت عمك ان تقاتل دونه فشلا ولولا انت كان منيعا ،
، وقتلت وافد آل بيت محمد وسلبت اسيافا له ودروعا ،

فلما صار مسلم الى باب القصر نظر الى قلة من ماء مبردة فاستسقاهم ماء فمنعوه
مسلما وكان المانع لذلك مسلم بن عمرو الباهلي وهو ابو قتيبة بن مسلم
ابن سعيد فوجه عمرو بن حريث فاتاه بماء في قدح فلما رفعه الى فيه امتلا
القدح دما فصبه وملاه ثانية فلما رفعه الى فيه سقطت ثناياه وامتلا دما
قال الحمد لله لو كان من الرزق المقسوم لشربته ثم ادخل الى ابن زياد لعنه الله فلما
تقضى كلامه ومسلم يغلظ له في الجواب امر به فاصعد الى القصر ثم دعا
ابن الاحمر الذي ضربه مسلم فقال كن انت الذي تضرب عنقه لتاخذ من
ثارك بضربه اياك فاصعدوه الى اعلى القصر وضرب بكير بن الاحمر عنقه فاهوى
راسه الكريم الى الارض ثم اتبعوا راسه جسده ثم امر بهاني بن عروة
فاخرج الى السوق وضربت عنقه صبرا وهو يصيح يا آل مراد وهو شيخها
وزعيمها وهو يومئذ يركب في اربعة آلاف فارس دارع وثمانية
آلاف راجل واذا اجابتها احلافها من كندة كانت في ثلاثين
الف فارس مدرعة فلم يجب زعيمهم منهم احد فشلا وخذلانا

وفيهما يقول الشاعر في هاني بن عروة ومسلم بن عقيل ويذكرهما لما وراء الابيات

، فان كنت لا تدرين ما الموت فانظري	الى هاني في السوق وابن عقيل ،
، الى بطل قد هشم السيف وجهه	وآخر يهوي من طمار قتيل ،
، ترى جسدا قد غير الموت وجهه	ونضح دم قد سال كل مسيل ،
، فتى كان احيا من فتاة حيية	واقطع من ذي شفرتين صقيل ،
، اصابهما امر الاله فاصبحا	احاديث من يسعى بكل سبيل ،
، ايركب اسماء الهماليج آمنا	وقد طلبته مذحج بقتيل ،
، تطوف حواليه مراد وكلهم	على رقبة من سائل ومسيل ،
، فان انتم لم تثاروا باخيكم	فكونوا بغايا ارضيت بقليل ،

ثم دعا ابن زياد ببكير بن حمران الذي ضرب عنق مسلم فقال اقتلته قال
نعم قال فما كان يقول وانتم تصعدون به لتقتلوه قال كان يكبر ويسبح

ويهلل ويستغفر الله فلما ادنيناه لنضرب عنقه قال اللهم احكم بيننا وبين
قوم غرونا وخذلونا ثم ظلمونا واهانونا وقتلونا لتأخذ حقنا ممن ظلمنا
فقلت الحمد لله الذي اقادني منك فضربته ضربة فلم تعمل شيئا قال اوما
يكفيك في خدش مني وفاء بدمك ايها العبد قال ابن زياد لعنه الله
وفخرا عند الموت قال وضربته الثانية فقتلته ثم اتبعت راسه جثته
وكان ظهور مسلم بالكوفة يوم الثلاثا لثمان مضين من ذي الحجة سنة ستين
وهو اليوم الذي ارتحل فيه الحسين عليه السلام من مكة الى الكوفة وقيل يوم الاربعا
يوم عرفة لتسع مضين من ذي الحجة سنة ستين ثم امر ابن زياد بجثة مسلم
فصلبت وحمل راسه الى دمشق وهذا اول قتيل صلبت جثته من بني هاشم
واول راس حمل من رؤوسهم الى دمشق ولما بلغ الحسين القادسية لقيه الحر
ابن يزيد التميمي فقال له اين تريد يا ابن بنت رسول الله قال اريد هذا المصر
فعرفه بقتل مسلم وما كان من خبره ثم قال له ارجع فاني لم ادع لك خلفي خيرا
ارجوه لك فهم بالرجوع فقال له اخوة مسلم والله لا نرجع حتى نصيب
ثارنا او نقتل كلنا فقال الحسين عليه السلام لا خير في الحيوة بعدكم
ثم سار حتى لقي خيل عبيد الله بن زياد عليها عمر بن سعد بن ابي وقاص
فعدل الى كربلا وهو في مقدار خمس ماية فارس من اهل بيته واصحابه
ونحو ماية راجل فلما كثرت العساكر على الحسين ايقن انه لا محيص له
فقال اللهم احكم بيننا بالحق وانت خير الحاكمين فلما كثرت العساكر
لم يزل يقاتل حتى قتل رضوان الله على تلك الاجساد الشريفة وكان
الذي تولى قتله لعنه الله رجل من مذحج واحتز راسه الشريف وانطلق
به الى ابن زياد وهو يرتجز ويقول اوقر ركابي فضة وذهبا
انا قتلت الملك المحجبا قتلت خير الناس اما وابا وخيرهم اذ ينسبون نسبا
فبعث به ابن زياد الى يزيد بن معوية ومعه الراس الشريف فدخل على
يزيد وعنده ابو برزة الاسلمي فوضع الراس بين يديه فجعل ينكت بالقضيب
على فيه وهو يقول

نفلق هاما من رجال احبة الينا وهم كانوا اعق واظلما

فقال له ابو برزة الاسلمي ارفع قضيبك فطالما والله رايت في رسول
الله صلى الله عليه وسلم على فيه يلثمه وكان جميع من حضر قتل الحسين
من العساكر وحاربه وتولى قتله من اهل الكوفة خاصة لم يحضرهم شامي
وكان جميع من قتل مع الحسين في يوم عاشورا بكربلا سبعة وثمانين رجلا
منهم ابنه علي بن الحسين الاكبر وكان يرتجز ويقول

انا علي بن الحسين بن علي نحن وبيت الله اولى بالنبي

وقتل من ولد اخيه الحسن بن علي وعبد الله والقاسم وابو بكر
ومن اخوته العباس بن علي وعبد الله وجعفر وعثمان ومحمد الاصغر
ومن ولد عقيل بن ابي طالب مسلم بن عقيل بن ابي مسلم بن ابي طالب بن عقيل
قتل بالكوفة وعبد الله وعبد الرحمن وجعفر اولاد عقيل وعبد الله
بن مسلم بن عقيل وذلك لعشر خلون من المحرم سنة اربع وستين وقتل الحسين
وهو ابن خمس وخمسين سنة وقيل ابن تسع وخمسين وقيل غير ذلك
ووجد به عليه السلام حين قتل ثلاث وثلاثون طعنة واربع وثلاثون
ضربة ضربه زرعة بن شريك وطعنه سنان بن انس النخعي ثم نزل
واحتز راسه الكريم وفي ذلك يقول الشاعر

واي رزية عدلت حسينا غداة تبيره كفا سنان

وقتل معه من الانصار وباقي من قتل معه من اصحابه على ما قدمنا
من العدد من سائر العرب وفي ذلك يقول الشاعر وهو سليمان بن قتة مولى بني تيم

عين جودي بعبرة وعويل واندبي ان ندبت آل الرسول
واندبي تسعة لصلب علي قد اصيبوا وخمسة لعقيل
وابن عم النبي عونا اخاهم ليس فيما ينوبهم بخذول
وسمي النبي غودر فيهم قد علوه بصارم مصقول
واندبي كهلهم فليس اذا ما عدد الخير كهلهم كالكهول
لعن الله حيث كان زيادا وابنه النغل كان نغل النغول

وامر عمر بن سعد لعنه الله ان يطئوا بخيلهم ورجلهم جسد الحسين
ومن قتل معه في مصرعه فانتدب لذلك ابو اسحق بن حيوة الحضرمي
فوطئوه بخيلهم ودفن اهل الغاضرية وهم قوم من بني غاضرة من
بني اسد الحسين عليه السلام واصحابه بعد قتلهم بيوم وكان عدة
من قتل من اصحاب عمر بن سعد في حرب الحسين عليه السلام ثمانية وثمانون
رجلا ذكر اسماء ولد علي بن ابي طالب عليه السلام الحسن والحسين
ومحسن وام كلثوم الكبرى وزينب الكبرى وامهم فاطمة الزهرا
ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحمد وامه خولة بنت اياس الحنفية
وقيل ابنة جعفر بن قيس بن مسلمة الحنفي وعبيد الله وابو بكر
وامهما ليلى بنت مسعود النهشلي وعمر ورقية وامهما تغلبية
ويحيى وامه اسما بنت عميس الخثعمية وقد ذكرنا فيما سلف من هذا
الكتاب ان جعفر الطيار استشهد وخلف عليا وعونا ومحمدا وعبد الله

وان عقب جعفر منها من عبد الله بن جعفر وان ابا بكر الصديق تزوجها
بعده وخلف عليها محمد ثم تزوجها علي عليه السلام فخلف عليها يحيى
وانها ابنة النجوة الحبشية التي كانت اكرم الناس اصهارا وذكرنا
تسمية اصهارها ولد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعفر
والعباس وعبد الله وامهم ام البنين بنت حزام الوحيدية
ورملة وام الحسن امهما ام سعد بنت عروة بن مسعود الثقفي
وام كلثوم الصغرى وجمانة وميمونة وخديجة وفاطمة ام الكرام
ونفيسة وام سلمة وام ابيها وقد اتينا على انساب ابي
طالب ومن اعقب منهم ومن اعقب منهم ومصادرهم وغير ذلك من
اخبارهم في كتاب اخبار الزمان والعقب لعلي من محمد الحسن
والحسين ومحمد وعمر والعباس وقد استقصى عن انسابهم والى
على ذكر من لا عقب له منهم ومن له العقب في انساب غيرهم من قريش
من بني هاشم وغيرهم الزبير بن بكار في كتابه في انساب قريش واحسن
من ذكر الكتاب في انساب آل ابي طالب الكتاب الذي سمع
طاهر يحيى العلوي الحسيني بمدينة النبي عليه السلام وقد
صنف في انساب ابي طالب كتب شتى منها كتاب العباس من
ولد العباس بن علي وكتاب ابي جعفر على الجعفري وغيرهم

وفي قتيل الطف يقول سليمان بن قتة من ابيات

الا ان قتلى الطف من آل هاشم … اذلت رقاب المسلمين فذلت
فان تتبعوه عائذ البيت تصبحوا … كعاد تعامت عن هداها فضلت
مررت على ابيات آل محمد … فلم ارها امثالها قد تخلت
وكانوا سرورا ثم عادوا رزية … لقد عظمت تلك الرزايا وجلت
فلا يبعد الله الديار واهلها … وان اصبحت منهم برغمي تخلت
اذا افتقرت قيس جبرنا فقيرها … وتقتلنا قيس اذا النعل زلت
وعند غني قطرة من دمائنا … سنجزيهم يوما بها حيث حلت
الم تر ان الارض اضحت مريضة … لفقد حسين والبلاد اقشعرت
اولئك قوم لم يشيموا سيوفهم … ولم تنك في اعدائهم يوم سلت

ذكر لمع من اخبار يزيد وسيره ونوادر من بعض افعاله وما كان منه

ولما افضى الامر الى يزيد بن معوية دخل منزله فلم يظهر للناس الا بعد
ثلاثا فاجتمع ببابه اشراف الناس ووجوه البلدان وامراء الاجناد
ليعزوه بابيه ويهنوه بالامر فلما كان في اليوم الرابع خرج اشعث اغبر

فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان معوية كان حبلا من حبال الله
مده ما شاء الله ان يمده ثم قطعه حيث شاء ان يقطعه وكان دون
من قبله وخيرا من بعده ان يغفر الله له فهو اهله وان يعذبه فبذنبه
لذنبه وقد وليت الامر من بعده ولست اعتذر من جهل ولا اشتغل
بطلب علم فعلى رسلكم فان الله اذا اراد شيئا كان اذكروا الله
واستغفروه ثم نزل ودخل منزله ثم اذن للناس فدخلوا عليه
لا يدرون يهنونه ام يعزونه فقام عصام بن صيفي فقال السلام
عليك يا امير المومنين ورحمة الله وبركاته اصبحت يا امير المومنين
قد رزيت خليفة الله واعطيت خلافة الله ومنحت هبة الله
قضى معوية نحبه فغفر الله ذنبه واعطيت بعده الرياسة
فاحتسب عند الله اعظم الرزية واحمده على افضل العطية فقال
يزيد ادن مني يا ابن صيفي فدنا حتى جلس قريبا منه ثم قام
عبد الله بن مازن فقال السلام عليك يا امير المومنين رزيت
خير الآبا وسميت خير الاسما ومنحت افضل الاشيا فهناك
الله العطية واعانك على الرعية فقد اصبحت قريش مفجوعة
بعد سائسها مسرورة بما احسن الله اليها من الخلافة بك والعقبى
من بعده ثم انشا يقول في ذلك الابيات

الله اعطاك التي لا فوقها … وقد اراد الملحدون عوقها
عنك فيابى الله الا سوقها … اليك حتى قلدوك طوقها

فقال له يزيد ادن مني يا ابن مازن فدنا حتى جلس قريبا منه ثم قام
عبد الله بن همام فقال اجرك الله يا امير المومنين على الرزية
وصبرك على المصيبة وبارك لك في العطية ومنحك محبة الرعية
مضى معوية لسبيله غفر الله له واورده موارد السرور ووفقك
بعده لصالح الامور فقد رزيت جليلا واعطيت جزيلا جليت
بعده بالرياسة ووليت السياسة اصبت باعظم المصائب ومنحت
بافضل الرغائب فاحتسب عند الله اعظم الرزية واشكره على افضل
العطية واحدث لخالقك حمدا والله يمتعنا بك ويحفظك
ويحفظ لك وعليك ثم انشا يقول

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة … واشكر حباء الذي بالملك اصفاكا
اصبحت لا رزء في الاقوام نعلمه … كما رزيت ولا عقبى كعقباكا
اعطيت طاعة خلق الله كلهم … فانت ترعاهم والله يرعاكا

وفي معوية الباقي لنا خلف   اذا نعيت ولا نسمع بمنعاكا
وزادك الله فضلا بهم نعمته   بالشكر منك وهذا ليس من ذاكا

ثم قربه واجلسه قريبا منه ثم قام الناس يعزونه ويهنونه فلما ارتفع عن مجلسه امر لكل واحد منهم بمال على قدره في نفسه ونحله في نوبه وزادهم في اعطاياتهم وقد اتينا في كتابنا في اخبار الزمان على ما كان من اخبار يزيد وعنبسة في حال وفاة ابيه معوية ومسيره من ناحية حمص حين بلغه ما بابيه من العلة ووروده على ثنية العقاب من ارض دمشق فاغنى ذلك عن اعادته في هذا الكتاب وذكر جماعة من الاخباريين واهل السير ان عبد الملك بن مروان دخل على يزيد فقال ان ارضا لك الى جانب ارضي ولي فيها منفعة فاقطعنيها فقال يا عبد الملك انه لا يتعاظمني كبير ولا اخدع عن صغير فاخبرني عنها والا سالت عنها غيرك فقام عبد الملك ودعا له فلما ولى قال يزيد ان الناس يزعمون ان هذا يصير خليفة فان صدقوا فقد صانعناه وان كذبوا فقد وصلناه وكان يزيد صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود وفهود ومنادمة على الشراب وجلس ذات يوم على الشراب وعن يمينه ابن زياد وذلك بعد قتل الحسين عليه السلام فاقبل على ساقيه

فقال

اسقني شربة تروي مشاشي   ثم مل فاسق مثلها ابن زياد
صاحب السر والامانة عندي   ولتسديد مغنمي وجهادي

ثم امر المغنين ان يغنوا به وغلب على اصحاب يزيد وعماله ما كان يفعله من الفسوق لعنه الله وفي ايامه ظهر الغنى بمكة والمدينة واستعملت الملاهي واظهر الناس شرب الخمر وكان له قرد يكنى بابي قيس يحضر مجلس منادمته ويطرح له متكا وكان قردا خبيثا وكان يحمله على اتان وحشية قد ريضت وذللت لذلك بسرج ولجام ويسابق بها الخيل يوم الحلبة فجاء في بعض الايام سابقا وتناول القصبة ودخل الحجرة قبل الخيل وعليه من الحرير ذات الوان تشقايق وعلى الاتان سرج من الحرير الاحمر منقوش ملمع بانواع من الالوان فقال في ذلك بعض الشعراء

تمسك ابا قيس بفضل عنانها   فليس عليها ان هلكت ضمان
فلم ار قردا قبلها سبقت به   جيادا امير المومنين اتان

وفي يزيد وتجبره وتملكه واتقياد الناس الى طاعته وفيه يقول الاحوص

ملك تدين له الملوك مبارك   كادت لهيبته الجبال تزول
تجبى له بلخ ودجلة كلها   وله الفرات وما سقى والنيل

وقيل ان الاحوص قال هذا في معوية بعد وفاته ورثاه بها ولما قتل الحسين عليه السلام وحمل راسه الكريم الى يزيد خرجت بنت عقيل بن ابي طالب في نساء من قومها حواسر حائرات لما قد ورد عليهن من قتل السادات وهي تقول هذه المرثية

ماذا تقولون اذ قال النبي لكم   ماذا فعلتم وانتم اخر الامم
بعترتي وباهلي بعد مفتقدي   نصف اسارى ونصف ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائي اذ نصحت لكم   ان تخلفوني بشر في ذوي رحمي

وفي فعل يزيد بالحسين بن علي عليهما السلام يقول ابو الاسود الدؤلي

اقول وذاك من جزع ووجد   ازال الله ملك بني زياد
وابعدهم بما غدروا وخانوا   كما بعدت ثمود وقوم عاد

قال ولما شمل الناس جور يزيد وعماله وعمهم ظلمه وما ظهر من فسقه وقتله ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصاره وما اظهر من شرب الخمور وسيرته سيرة فرعون بل كان فرعون اعدل منه في رعيته وانصف منه لخاصته وعامته اخرج اهل المدينة عامله عليهم وهو عثمان ابن محمد بن ابي سفيان ومروان بن الحكم وسائر بني امية وذلك عند تنسك ابن الزبير وتخليه واظهار الدعوة لنفسه وذلك في سنة ثلث وستين وكان اخراجهم لمن ذكرنا من بني امية وعامل يزيد عن اذن من ابن الزبير فاغتنم ساير ولم يمنعهم اذ لم يقبضوا عليهم ويحملوهم الى ابن الزبير فخرجوا بالمسير الى الشام وفي فعل اهل المدينة الى يزيد فسير اليهم الجيوش من اهل الشام عليهم مسلم بن عقبة المري الذي اخاف المدينة ونهبها وقتل اهلها وبايعه اهلها على انهم عبيد ليزيد لعنه الله وسمى المدينة نتنه وقد سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبه وقال من اخاف المدينة اخافه الله تعالى فسمي مسلم هذا بمجرم ومسرف لما كان من فعله ويقال ان يزيد حين جرد هذا الجيش وعرض عليه لعنه الله انشا يقول

ابلغ ابا بكر اذا الامر انبرى   واشرف الجيش على وادي القرى
اجمع سكران من القوم ترى   ام الجد في الدين يقفوا الاثرا

يريد بهذا القول عبد الله بن الزبير وكان عبد الله يكنى بابي بكر وكان يسمي يزيدا السكران الخمير وكتب الى ابن الزبير يقول

ادعوا الاهك في السماء فاني   ادعو اليك رجال عك واشعر

كيف النجاء ابا خبيب منهم   فاحتل لنفسك قبل اتي العسكر

ولما انتهى الجيش من المدينة الى الموضع المعروف بالحرة وعليهم مسرف خرج الى حربه اهلها عليهم عبد الله بن مطيع العدوي وعبد الله بن حنظلة الانصاري فكانت وقعة عظيمة قتل فيها خلق كثير من الناس من بني هاشم وسائر قريش والانصار وغيرهم من سائر الناس فممن قتل من آل ابي طالب اثنان عبد الله بن جعفر بن ابي طالب وجعفر بن محمد بن علي بن ابي طالب ومن بني هاشم من غير آل ابي طالب الفضل بن العباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب والعباس بن عتبة بن ابي لهب بن عبد المطلب وبضع وتسعون رجلا من سائر قريش ومثلهم من الانصار واربعة آلاف من سائر الناس ممن ادركه الاحصاء دون من لم يعرف وبايع الناس على انهم عبيد ليزيد ومن ابى ذلك امره مسلم على السيف غير علي بن الحسين بن علي عليه السلام المعروف بالسجاد وعلي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وفي وقعة الحرة يقول محمد بن اسلم بن بجرة

فان تقتلونا يوم حرة واقم   فنحن على الاسلام اول من قتل
ونحن تركناكم ببدر اذلة   وابنا باسياف لنا منكم نفل

ونظر الناس الى علي بن الحسين السجاد وهو قد لاذ بالقبر وهو يدعو فاتي به الى مسرف وهو مغتاظ عليه فتبرأ منه ومن آبائه فلما رآه وقد اشرف عليه ارتعد وقام له واقعده مكانه وقال له سلني حوائجك فلم يسأله في احد ممن قدم الى السيف الا شفعه فيه ثم انصرف عنه فقيل لعلي بن الحسين عليهما السلام رايناك تحرك شفتيك فما الذي قلت قال قلت اللهم رب السموات السبع وما اظللن [والارضين السبع] وما اقللن رب العرش العظيم رب محمد وآله الطاهرين اعوذ بك من شره وادرأ بك في نحره اسألك ان تؤتيني خيره وتكفيني شره وقيل لمسلم رايناك تسب هذا الغلام وسلفه فلما اتي به اليك رفعت منزلته فقال ما كان ذلك لراي مني لقد ملئ قلبي منه رعبا واما علي بن العباس فاخواله من كندة منعوه واناس من ربيعة كانوا في جيش مسلم

وفي ذلك يقول علي بن عبد الله العباس متمثلا

وأخوالي الملوك بنو وليعة
هم منعوا ذماري يوم جاءت   كتائب مسرف وبنو اللكيعة
ارادوا بي التي لا عز فيها   فحالت دونه ايدي ربيعة

قال ولما نزل بالمدينة من القتل ما نزل والسرف في القتل والسبي وغير ذلك مما اعرضنا

مسرف خرج عنها يريد مكة في جيوشه من اهل الشام ليوقع بابن الزبير واهل مكة بامر يزيد وذلك في سنة اربع وستين فلما انتهى الى الموضع المعروف بقديد مات مسلم واستخلف على الجيش الحصين بن نمير فسار الحصين حتى اتى مكة واحاط بها وعاذ ابن الزبير بالبيت الحرام وقد كان سمى نفسه العائذ بالبيت وتم له هذه التسمية حتى ذكره الشعراء في شعرها من ذلك ما قدمنا من قول سليمان رقية

فان تتبعوا عائذ البيت تصبحوا   كعاد تعمى عن هداها فضلت

ونصب الحصين فيمن معه هو واصحابه المناجنيق والعرادات على مكة والمسجد من الجبال والفجاج وابن الزبير في المسجد ومعه المختار بن ابي عبيد الثقفي داخلا في جملته منضافا الى بيعته منقادا الى امامته على شرائط اشترطها عليه ان لا يخالف له رايا ولا يعصيه فتواترت احجار المجانيق والعرادات على البيت ورمي مع الاحجار بالنفط والنار ومشاق الكتان وغير ذلك من المحرقات فانهدمت الكعبة واحترقت البنية ووقعت صاعقة فاحرقت من اصحاب المجانيق احد عشر رجلا وقيل اكثر من ذلك وذلك يوم السبت لست خلون من شهر ربيع الاول من هذه السنة قبل وفاة يزيد باحد عشر يوما واشتد الامر على اهل مكة وابن الزبير واتصل الاذى بالاحجار والنار والسيف

وفي ذلك يقول حرة المدلجي

ابن نمير بئس ما تولى   قد احرق المقام والمصلى

وليزيد اخبار كثيرة قد شاعت وذاعت منها شرب الخمور وقتل الحسين عليه السلام ولعن الوصي امير المؤمنين وهدم البيت واحراقه وسفك الدماء والفسق والفجور وغير ذلك مما قد ورد فيه الوعيد والاياس من غفرانه كوروده فيمن جحد توحيده وخالف رسله وقد اتينا على ذلك فيما سلف من كتبنا والله اعلم

قال المسعودي

ذكر ايام معاوية بن يزيد بن معاوية ومروان بن الحكم والمختار بن ابي عبيد وعبد الله بن الزبير ولمع من اخبارهم وسيرهم وما كان في ايامهم

وملك معاوية بن يزيد بن معاوية بعد ابيه فكانت ايامه اربعين يوما الى ان مات وقيل شهران وقيل غير ذلك وكان يكنى بابي يزيد وولي يوم ولي الخلافة بابي ليلى وكانت هذه الكنية للمستضعف من العرب وفي ذلك يقول الشاعر

اني ارى الحرب قد هاجت مراجلها   والملك بعد ابي ليلى لمن غلبا

ولما حضرته الوفاة اجتمعت اليه بنو امية فقالوا له اعهد الى من رايت من اهل

بيتك قال والله ما دمت حلاوة خلافتكم فكيف اتقلد وزرها وتتعجلون
انتم حلاوتها واتعجل انا مرارتها اللهم اني بريء منها متخل عنها اللهم
اني لا اجد نفرا كاهل الشورى فاجعلها اليهم ينصبون لها من يرونه
اهلها فقالت له امه ليت انك خرقة حيضة ولم اسمع منك هذا
الكلام فقال لها وليتني يا اماه كنت هكذا ولم اتقلد هذا الامر اتحوز
بنو امية حلاوتها وابوء بوزرها ومنعها اهلها كلا اني لبريء منها
وقد تنوزع في وفاته فمنهم من راى انه سقي شربة سم ومنهم من راى
انه طعن ومنهم من راى انه مات حتف انفه وقبض وهو ابن اثنين
وعشرين سنة ودفن بدمشق وصلى عليه الوليد بن عتبة بن ابي سفيان
ليلون الامر له فلما كبر الثانية طعن فسقط ميتا قبل تمام الصلوة فقدم اربع و
عثمان بن عتبة بن ابي سفيان قالوا نبايعك قال على ان لا احارب ولا اباشر
حربا فابوا ذلك عليه فصار الى مكة ودخل في جملة ابن الزبير وزال الامر عن الحرب
فلم يكن فيهم من يرومها ولا يتشوف نحوها وبايع اهل العراق عبد الله بن
الزبير فاستعمل على الكوفة عبد الله بن مطيع العدوي فقال المختار
ابن ابي عبيد الثقفي لابن الزبير اني لاعرف قوما لو ان لهم رجلا
له رفق وعلم بما ياتي لاستخرج لك منهم جندا تغلب بهم اهل الشام
فقال من هم فقال هم شيعة بني هاشم بالكوفة فقال كن انت ذلك الرجل فبعثه
الى الكوفة فنزل ناحية منها وجعل يظهر البكاء على الطالبيين وشيعتهم
ويظهر الحنين والجزع لهم ويحث على اخذ الثار لهم والمطالبة بدمائهم
فمالت الشيعة اليه وانضافوا الى جملته وسار الى قصر الامارة فاخرج
ابن مطيع وغلب على الكوفة وابتنى لنفسه دارا واتخذ بستانا انفق
عليه من اموال عظيمة اخرجها من بيت المال وفرق الاموال على الناس
بها تفرقة واسعة وكتب الى ابن الزبير يعلمه انما اخرج ابن مطيع
عن الكوفة لعجزه عنها وعن القيام بها وسال ابن الزبير ان
يحتسب له ما انفق من بيت المال فابى ابن الزبير ذلك عليه فخلع
المختار طاعته وجحد بيعته وكتب المختار الى علي بن الحسين
السجاد زين العابدين عليه السلام يريد ان يبايع له ويقول بامامته
ويظهر طاعته وانفذ اليه بمال كثير فابى ان يقبل ذلك منه واجابه
عن كتابه وسبه على رؤوس الناس في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم
وذكر كذبه وفجوره ودخوله على الناس باظهار الميل الى آل ابي طالب فلما
ايس المختار من علي بن الحسين كتب الى عمه محمد بن الحنفية يريده على

مثل ذلك فاشار عليه ابن الحسين الا تجيبه الى شيء من ذلك فان
الذي يحمله على ذلك اجتذاب قلوب الناس بهم اليه وتحببه وان
باطنه مخالف لظاهره في الميل اليهم والتولي لهم والبراءة من
اعدائهم بل هو من اعدائهم لا من اوليائهم والواجب ان يشهر امره ويظهر
كذبه على حسب ما فعل هو واظهر القول في مسجد النبي
صلى الله عليه وسلم فاتى ابن الحنفية ابن عباس فاخبره بذلك
فقال له ابن عباس لا تفعل فانك لا تدري على ما انت من ابن الزبير
فاطاع ابن عباس وسكت عن عتب المختار واشتد امر المختار
بالكوفة وكثر رجاله ومال الناس اليه واقبل يدعو الناس على طبقاتهم
ومقاديرهم في انفسهم وعقولهم فمنهم من خاطبه بامامته ودعاه
بامامة محمد بن الحنفية ومنهم من رفعه عن هذا وخاطبه بان الملك
ياتيه بالوحي ويخبره بالغيب على انه اتبع قتلة الحسين فقتلهم
وقتل عمر بن سعد بن ابي وقاص الزهري وهو الذي تولى حرب الحسين يوم
كربلا وقتله ومن شيعه فزاد ميل اهل الكوفة اليه ومحبتهم له وكان يظهر
ابن الزبير الزهد في الدنيا والعبادة مع الحرص على الخلافة وقال
انما بطني شبر فما عسى ان يسع ذلك من الدنيا وانا العائذ
بالبيت والمستجير بالرب وكثرت اذيته لبني هاشم مع شحه
على الدنيا على سائر الناس ففيه يقول ابو وجزة في ابن الزبير بن العوام

ان الموالي امست وهي عاتبة | على الخليفة تشكو الجوع والحربا
ماذا علينا وماذا كان يرزؤنا | اي الملوك على ما حولنا غلبا
نعامه الله عهد الخبيث به | لا يسال الدهر شورى بعد ما ذهبا

وفيه يقول الشاعر

مازال في سوره الاعراف | حتى فؤادي مثل الخز في اللين
لو كان بطنك شبرا قد شبعت وقد | افضلت فضلا للبائس المساكين

ومنها

ان امرا كنت مولاه فضيعني | يرجو الفلاح لعمري حق مغبون

وفيه يقول الضحاك في فيروز الديلمي

فيا راكبا اما عرضت فبلغن | لبيرني العوام ان كنت لا تدري
بخير من لاقيت انك عائذ | وتلك قتلى بين زمزم والحجر

ومنها

تخبرنا ان ليس يكفيك قبضة | وبطنك شبر او اقل من الشبر

وانا اذا ما الفتنة شبت قصمتها / كما قصمت نار الغضا حطب السدر
فلولا تجزي او تثيب بنعمة / قربنا لك العطوف على عمرو

وذلك ان يزيد بن معوية كان قد ولى ابن عتبة بن ابي سفيان المدينة فسرح منها جيشا الى مكة لحرب ابن الزبير عليه عمرو بن الزبير اخوه وكان عمرو منحرفا عن عبد الله فلما تصاف القوم انهزم رجال عمرو واسلموه فظفر به اخوه عبد الله فاقامه للناس في باب المسجد الحرام مجردا ولم يزل يضربه بالسياط حتى مات وحبس عبد الله بن الزبير الحسن بن محمد ابن الحنفية في الحبس المعروف بحبس عارم وهو حبس وحش مظلم واراد قتله فعمل الحيلة حتى تخلص من السجن وتعسف الطريق على الجبال حتى اتى منى وبها ابو محمد بن الحنفية

فحدث يقول كثير

تخبر من لاقيت انك عائذ / بل العائذ المظلوم في سجن عارم
ومن ير هذا الشيخ بالخيف من منى / من الناس يعلم انه غير ظالم
سمي نبي الله وابن وصيه / وفكاك اغلال وقاضي مغارم

وقد كان ابن الزبير عمد الى من بمكة من بني هاشم فحصرهم في الشعب وجمع لهم حطبا عظيما لو وقعت فيه شرارة من نار لم يسلم من القوم احد وفي القوم محمد بن الحنفية فحدث النوفلي علي بن سليمان عن فضيل بن عبد الوهاب الكوفي عن ابي عمر الزراري عن فطر بن خليفة عن الريان بن جمل قال كنت فيمن استنفر ابي عبد الله الجدلي من الكوفة من قبل المختار فنفرنا معه في اربعة الاف فارس فقال ابو عبد الله هذه خيل كثيرة واخاف ان يبلغ ابن الزبير الخبر فيعجل على بني هاشم فياتي عليهم فانتدبوا معي فانتدبنا في ثمانمائة فارس عريت خيل فما شعر ابن الزبير الا والرايات تخفق على راسه قال وجئنا الى بني هاشم فاذا هم بالشعب فاخرجناهم من الشعب فلما راى ابن الزبير تيمنا له واقدامنا عليه لاذ باستار الكعبة وقال انا العائذ بالبيت وحدث النوفلي في كتابه في الاخبار في اخبار ابن عايشة عن ابيه عن حماد بن سلمة قال كان عروة بن الزبير يعذر اخاه اذا جرى ذكر بني هاشم وحصره اياهم في الشعب وجمعه الحطب لتحريقهم ويقول انما اراد بذلك ارهابهم ليدخلوا في طاعته انهم ابوا البيعة وهذا الخبر لا يحتمل ذكره كتابنا

هذا وقد اتينا على ذكره وفي مناقب اهل البيت واخبارهم في الكتاب المترجم بكتاب حدائق الاذهان وخطب ابن الزبير فقال قد بايعني الناس فلم يتخلف عن بيعتي الا هذا الغلام اعني محمد بن الحنفية بن علي بن ابي طالب عليه السلام والموعد بيني وبينه ان تغرب الشمس ثم اضرم داره عليه نارا فدخل ابن عباس عليه فقال يا ابن عمي اني لا امنه عليك فبايعه فقال انه سيمنعه مني حجاب قوي فجعل ابن عباس ينظر الى الشمس ويفكر في كلام ابن الحنفية وقد كادت الشمس ان تغرب فوافاهم ابو عبد الله الجدلي فيما ذكرنا من الخيل وقال لابن الحنفية ائذن لنا فيه فابى وخرج الى ايلة فاقام بها سنين حتى قتل ابن الزبير حدث عمر بن شبة النميري عن عطاء بن مسلم فيما اتى به ابو الحسن المداني البصري بمصر ولابي اسحق الجوهري وغيرهما بالبصرة وهولاء الذين ذهبوا الى ابن الحنفية هم الشيعة الكيسانية وهم القائلون بامامة محمد بن الحنفية فمنهم من قطع على موته ومنهم من زعم انه لم يمت وانه حي في جبال رضوى وقد ساق كل فريق من هولاء ايضا وانما سموا بالكيسانية باضافتهم الى المختار بن ابي عبيد الثقفي وكان اسمه كيسان ويكنى ابا عمرة وان علي بن ابي طالب سماه بذلك ومنهم من زعم ان كيسان ابا عمرة من فرق الشيعة وطوايف الامة في كتابنا في المقالات في اصول الديانات وذكرنا قول كل فريق منهم وما ايد به مذهبه وقول من ذكرنا منهم ان ابن الحنفية دخل الى شعب رضوى في جماعة من اصحابه فلم يعرف لهم خبر الى هذه الغاية وقد ذكر جماعة من الاخباريين ان كثير الشاعر كان كيسانيا وكان يقول ان محمد بن الحنفية هو المهدي الذي يملا الارض عدلا كما ملئت جورا وقد ذكر الزبير بن بكار في كتابه في انساب قريش وفي انساب ال ابي طالب واخبارهم منه قول الزبيري الخبر فيهم

فمما قال كثير في امامة محمد بن الحنفية عليه السلام وعلى ابائه

هو المهدي خبرناه كعب / اخو الاحبار في الحقب الخوالي
اراه عيني اذ دعاه / امير الله يلطف في السوال
واثنى في هواي علي خيرا / وسايل عن بني وكيف حالي

وقال فيه ايضا

الا ان الائمة من قريش / ولاة الحق اربعة سواء
علي والثلاثة من بنيه / هم الاسباط ليس بهم خفاء

فسبط سبط ايمان وبر — وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا تراه العين حتى — يقود الخيل يتبعها اللواء
يغيب ولا يرى عنهم زمانا — برضوى عنده عسل وماء

وقد يقول السيد الحميري

اخر عبشمٍ والوا منا — وسموه الخليفة والاماما
وعادوا فيه اهل الارض طرا — مغيبه عنهم سبعين عاما
وما ذاق ابن خولة طعم موت — ولا وارت له ارض عظاما
لقد امسى بمورق شعب رضوى — تراجعه الملائكة الكلاما

وفيه يقول ايضا

يا شعب رضوى ما لمن بك لا يرى — وبنا اليه من الصبابة اولق
حتى متى والى متى وكم المدى — يا ابن الرسول وانت حي ترزق

وللسيد قصائد اشعار كثيرة لا يأتي كتابنا هذا عليها وذكر علي بن محمد بن سليمان النوفلي في كتابه في الاخبار مما سمعناه من ابي العباس بن عمار قال حدثنا جعفر بن محمد النوفلي عن اسمعيل الساحر وكان راوية للسيد قال لما مات السيد الاكلي قوله بالكيسانية والله قوله في القصيدة التي اولها * تجعفرت باسم الله والله اكبر *
وقال ابو الحسن علي بن محمد الحنفي النوفلي عقيب هذا الخبر ليس يشبه هذا شعر السيد مع فصاحته وغزارته قوله لا يقول تجعفرت باسم الله وذكر عمر بن شبة النميري عن مساور بن السائب ان ابن الزبير خطب اربعين صباحا لا يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على آله ويقول لا يمنعني ان اصلي عليه الا ان تشمخ رجال بآنافها وذكر سعيد بن جبير ان عبد الله بن عباس دخل على ابن الزبير فقال له ابن الزبير انت الذي تؤنبني فقال ابن عباس نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بئس المسلم يشبع ويجوع غيره فقال ابن الزبير اني لاكتم بغضكم اهل هذا البيت منذ اربعين سنة وجرى بينهم خطب طويل وخرج ابن عباس من مكة خوفا على نفسه فنزل الطائف فتوفي بها ذكر هذا عمر بن شبة النميري عن سويد بن سعيد وغيره الى سعيد بن جبير فيما حدثنا به احمد بن ابي نصر والكلابي بالبصرة وغيرهما عن عمر بن ابي شيبة في كتابه عن الوليد بن هشام المخزومي قال خطب ابن الزبير فنال من علي فبلغ ذلك محمد بن الحنفية فجاء حتى وضع له كرسي وقال يا معشر الناس شاهت

الوجوه اينتقص علي وانتم حضور ان عليا كان اجل من امر الله على العدا يقتلهم بكفرهم فتثقل عليهم فهو بزهق الاباطيل وانا معشر له على نهج من امره فان تكن لنا الدولة في الاسلام فننشر عظامهم ونحثو على اجسادهم والابدان رمومها بالية وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون فعاد ابن الزبير في خطبته وقال عذرت بني الفواطم يتكلمون فما بال ابن ام حنيفة فقال محمد يا ابن ام رومان وما لي لا اتكلم اليست فاطمة بنت محمد حليلة ابي وام اخوتي اوليست فاطمة بنت اسد جدتي اوليست فاطمة بنت عمرو بن عائذ جدة ابي اما والله لولا خديجة بنت خويلد ما تركت في بني اسد عظما الا هشمته وان نالتني فيه المعايب صبرت حدثنا ابن عمار عن علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال حدثني ابن عائشة والعتبي جميعا عن ابيهما والفاظهما متقاربة قال خطب ابن الزبير فقال ما بال قوم يفتون بالمتعة وينتقصون حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وامهم ام المؤمنين عائشة ما بالهم اعمى الله قلوبهم كما اعمى ابصارهم يريد ابن عباس فقال ابن عباس يا غلام اصمدني صمده فقال ابن الزبير قد انصف القارة من راماها انا اذا ما فئة نلقاها نرد اولاها على اخراها اما قولك في المتعة فسل امك تخبرك ان اول مجمر سطع للمتعة مجمر سطع بين امك وابيك يريد متعة الحج على ما ذكر النوفلي واما قولك ام المؤمنين فبنا سميت ام المؤمنين وبنا ضرب عليها الحجاب واما قولك حواري رسول الله فلقد لقيت اباك في الزحف وانا مع امام هدى فان يكن على ما اقول فقد كفر بقتاله وان تكن على ما تقول فقد كفر بهربه فدخل ابن الزبير على امه اسماء فاخبرها فقالت صدق المسعودي وفي الخبر زيادات تركت ذكرها لبرد والعوسجة قد اتينا على الخبر بتمامه وما قاله الناس في متعة الحج ومتعة الناس بالنساء وتنازعهم فيهما وما ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه حرمها يوم حنين ولحوم الحمر الاهلية وما ذكر في حديث الربيع انه ذكر عن ابيه وقول عمر كانتا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا تقدم النهي لفعلت وما روي عن جابر قال تمتعنا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافة ابي بكر وصدرا من خلافة عمر رضي الله عنهما وغير ذلك من اقاويلهم في كتابنا المترجم بالكتاب الواجب في الفروض اللوازم وما قال الناس في غسل الرجلين ومسحهما والمسح على الخفين وطلاق السنة وطلاق البدعة وطلاق التعاريض وغير ذلك وقد حدث النوفلي عن ابي عاصم

عن ابن جريج حدثني منصور بن شيبة عن صفية بنت ابي عبيد عن اسما بنت
ابي بكر رضي الله عنه قالت لما قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة
الوداع امر من لم يكن معه هدي ان يحل قال فحللت ولبست ثيابي ش
وتطيبت وجئت حتى جلست الى جانب الزبير فقال قومي عني فقلت
ما تخاف الا ان اثب عليك بهذا الذي اراد ابن عباس وقد ذكر هذا
الحديث عن ابن عاصم غير النوفلي وقد تنازع الناس في ذلك فمنهم من راى
عني متعة النساء ومنهم من رد على ابن اراده متعة الحج لان الزبير هو زوج
اسما بكر اول في الاسلام وزوجه ابو بكر فعلنا فكيف تكون متعة النساء
ولما مات يزيد بن معاوية ووليها ذلك الى الحصين بن نمير ومن معه من
اهل الشام في الحصر وهو على حرب ابن الزبير ونزولهم فلقي الحصين
عبد الله بن الزبير في المسجد فقال له يا ابن الزبير انا احملك الى الشام وابايع
لك بالخلافة فقال له عبد الله افعل صوته بعد قتل اهل الحرة حتى اقتل
بكل رجل عشرة من اهل الشام فقال الحصين من زعم يا ابن الزبير انك
داهية فهو احمق اكلمك بسر وتكلمني علانية ادعوك الى الخلافة
في الحروب وتزعم انك تستغني عنا ستعلم اينا المقتول وانصرف
اهل الشام الى بلادهم مع الحصين فلما صار والى المدينة جعلوا
اهلها ينتقمون منهم ويتوعدونهم ويذكرون قتالهم بالحرة فلما اكثروا
من ذلك وخافوا الفتنة وهيجها صعد روح بن زنباع الجذامي على منبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان في ذلك الجيش فقال يا اهل
المدينة ما هذا الايعاد الذي توعدونا انا والله ما دعوناكم الى كلب
ليبايع رجلا منهم ولا الى رجل من الاشعريين ولا الى رجل من لخم
او جذام ولا غيرهم من العرب الموالي ولكن دعوناكم الى هذا الحي من قريش
يعني بني امية الى طاعة يزيد بن معاوية على طاعته فاتيناكم وايانا تولى دل
اما والله انا فضلنا الموت لا نخاف الطعن في الطاعة فاشتم ومضى
القوم الى الشام وهدم ابن الزبير صنعا الفسيفسا الذي كان بناه ابرهة
الحبشي في كنيسة التي اتخذها هناك ومعها تلك الاساطين رخام
فيها شيء منقوش قد حشي النقش بالبسندروس وانواع
الالوان من الاصباغ فمن رآه ظن انه ذهب وشرع ابن الزبير في
بناء الكعبة وهو والعندة سبعون سجانا ... ان من نيشا
حين نبا الكعبة عجزت عن نفقتهم فنقضوا من سعة البيت ستة
ادرع من اساس ابرهيم الخليل الذي اسسه اخيه موسى واسماعيل

عليهما السلام فبناه ابن الزبير وزاد فيه الاذرع المذكوره وجعل فيه
الفسيفسا والاساطين وجعل له بابان باب يدخل منه وباب يخرج
فلم يزل البيت على ذلك حتى قتل الحجاج ابن الزبير وكتب الى عبد الملك بن
مروان يعلمه ما زاده ابن الزبير في البيت فامره بهدمه ورده الى ما كان عليه
ايام بناء قريش وعصر الرسول صلى الله عليه وسلم وان يجعل بابا
واحدا ففعل الحجاج ذلك واستوثق الامر ليزيد واخذت البيعة له بالشام
وخطب له على منابر الاسلام الا منابر ... الا الاردن فان حسان
ابن بجدل ابا ان يبايع الا لابن الزبير وعمله عبد الله بن مطيع العدوي
وفيه يقول فضالة الاسدي وقد كان بايع ابن الزبير وكتب

انا ابن مطيع للمبايع لحيته … الى بيعة قلبي لها غير آلف
تناولني حسان لما لمستها … بكفي لمست من الف الحلائف

وهلك يزيد بن معاوية ومعوية بن يزيد وعبد الله بن زياد على
البصرة امير فخطب الناس واعلمهم موتهما وان الامر شورى لم ينصب
لاحد وقال انه ليس اليوم اوسع من ارضكم ولا اعدد اكثر عددكم
ولا مال اكثر من مالكم في بيت مالكم مائة الف الف درهم عطا مقاتلتكم
ستون الفا وعطا العيال ستون الف الف وانظروا رجلا
ترضونه يقوم بامركم ويجاهد عدوكم وينصف مظلومكم من ظالمكم دع
فيهم اموالكم فقام اليه اشراف اهلها وفيهم الاحنف بن قيس التميمي
وقيس بن هيثم السلمي ومسمع بن مالك العبدي فقالوا ما نعلم
لذلك غيرك انت الامير واصلح بامرنا حتى نجمع الناس فقال لا لو استعملتم
غيري لسمعت واطعت وقد كان على الكوفة عمرو بن حريث
المخزومي عاملا لعبد الله بن زياد فعلمه بما دخل فيه اهل البصرة فصعد
عمرو بن حريث المنبر فخطب الناس فذكر ما دخل فيه اهل البصرة فقام رويم
ابن زيد الشيباني فقال الحمد لله الذي اطلق ايماننا الحاجة لنا
بني امية ولا الى ابن مرجانة وهي ام عبيد الله وام ابيه سميه على ما
ذكرنا آنفا انما البيعة لاهل الحجاز فخلع اهل الكوفة ولاية بني امية
وامارة ابن زياد وارادوا ان ينصبوا لهم اميرا الى ان ينظروا في امرهم فقال ل
جماعة عمر بن سعد بن ابي وقاص يصلح لها فلما هموا بتأميره اقبلن نساء همدان
وغيرهن من نساء كهلان وغيرهم من ربيعة والنخع حتى دخلن المسجد الجامع مع
باكيات صارخات معولات يندبن الحسين بن علي عليه السلام ويقلن

ايما رضي عمر بن سعد بقتل الحسين حتى اراد وان يلي امر علي الكوفة فيلي الناس ولعضوا عن عمر وكان المبرزات تخدد نساء همدان وقد كان علي عليه السلام مايلا الى همدان موثرا لهم

وهو القائل فيهم رضي الله عنه

ولو كنت بوابا على باب جنة ... لقلت لهمدان ادخلي بسلام

وقال عنيت بهمدان وعنوا حميرا فلذلك بصفين احد مع معوية واهل الشام الا اناس كانوا بغوطة دمشق في قرية تعرف بعين سولم فقيها منهم قوم الى هذا الوقت وهو سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة ولما اتصل خبر اهل الكوفة بابن الزبير انفذ اليهم عبد الله بن مطيع العدوي على ما قدمنا انفا فتولى امرهم حتى وجه المختار بن ابي عبيد في اثره ونظر مروان بن الحكم من اطباق الناس على ابن الزبير عن الجابية بالشام وجابته واراد ان يلحق به وينضاف الى جملته فمنعه من ذلك عبد الله بن الزبير عن الجابية بالشام وقال له انك شيخ بني عبد مناف فصار مروان الى الجابية من ارض الجولان بين دمشق والاردن واستمال الضحاك بن قيس الفهري الناس ورؤساهم والخارج عن مروان واراد د
دمشق فسبقه اليها الاشدق عمرو بن سعيد بن العاص فدخلها وصار الضحاك الى حوارين والبثنية واظهر الدعوة لابن الزبير والتقى الاشدق ومروان فقال الاشدق لمروان هل لك فيما اقول لك فهو خير لي ولك قال مروان وما هو قال ادعو الناس اليك واخذها لك على ان تكون لي من بعدك فقال مروان لا بل بعد خالد بن يزيد بن معوية فرضي الاشدق ق
بذلك ودعا الناس الى بيعة مروان فاجابوه ومضى الاشدق الى حسان بن مالك بالاردن فارغبه في بيعة مروان فتنحى لها وبويع مروان بن الحكم بن ابي العاص بن امية علقمة بن صفوان وذلك بالاردن فكان اول من بايع اهلها وتمت بيعته وكان مروان اول من اخذها بالسيف قهرا بغير رضى من عصبة من الناس كل ذلك خوفا الفساد وليسير حلوه على نور وقد كان غيره ممن سلف اخذها بجلاد ولغلبة الا مروان فانه اخذها على ما وصفنا وبايع مروان بعده لخالد بن يزيد ولعمرو الاشدق بعد خالد فكان مروان يلقب خيط باطل **وفي ذلك يقول عبد الله بن الحكم**

لحا الله قوما امروا خيط باطل ... على الناس يعطي من يشاء ويمنع

واشترط حسان بن مالك وكان رئيس قحطان وسيدها على مروان ان يلي امرا على القيس رجل وان مات قام في ذلك ابن عمه مكانه وعلى ان لهم يلون الامر والنهي وصدر المجلس وكلما كان من حل وعقد وراي ومشوره فيهم فرضي مروان بذلك والانقياد الامر اليه وقال له مالك بن هبيرة انا ليس لك في اعناقنا بيعة وليس نقاتل الا عن غرض دنيا فان تكن لنا على ما كان لنا من معوية ويزيد كان نصرنا لك وان تكن الاخرى فوالله ما قريش عندنا الا سوا فاجابهم مروان الى ما سالوه واجاب مروان الضحاك وابن قيس الفهري وقد تحازت قيس وسائر قحطان وغيرهم من نزار الى الضحاك وتبعه الناس من قضاعة عليهم امرا عمرو العاوي وكانت معه راية عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم واظهر الضحاك ومن معه خلاف فه
لابن الزبير والتقى مروان والضحاك ومن معهما بمرج راهط على اميال من دمشق فكانت الحرب بينهم سجالا فقتل الضحاك ابن قيس رئيس ابن الزبير قتله رجل من غنم يقال له عبد اللات وقتل معه من نزار واناس كثير مقتلة عظيمة لم ير مثلها قط وفي ذلك يقول **مروان بن الحكم**

لما رايت الناس صاروا احربا
دعوت غسان لهم وكلبا ... والسكسكين رجالا غلبا
والقين تمشي في الحديد ... والاعرجا يشبين وثبا ... يحمين مروان ودين لبنا

وفيه يقول اخوه عبد الرحمن بن الحكم في النيل

اهل القراه واهل الفيض والنيل

وكان زفر بن الحارث العامري ثم الكلابي مع الضحاك فلما امعن السيف في قومه ولي معه رجلان من بني سليم فقصر فرسهما وغشيهم التماثيه من خيل مروان فقالا له انج بنفسك فانا مقتولان فولى وانحاز وبحوا الرجلان فضلا **وفي هذا اليوم يقول زفر بن الحارث الكلابي**

لعمرك قد ابقت وقيعة راهط ... لمروان صدعا بيننا متنائيا
فقد ينبت المرعى على دمن الثرى ... وتبقى حزازات النفوس كما هيا
اريني سلاحي لا ابا لك انني ... ارى الحرب لا يزداد الا تماديا
اتذهب كلب لم تنلها رماحنا ... وتترك قتلى راهط ما هيا
فلم ترمني نبوة قبل هذه ... فراري وتركي صاحبي ورائيا

عشية اغدو في الفريقين لا ارى ... من القوم الا علي ولا ليا
ايذهب يوم واحد ان نبا به ... بصالح ايامي وحسن بلائيا
ابعدي عمرو وابن معن ... ومقتل همام امان الامانيا

وتلاحق الناس ممن حضر الوقعة باجنادهم من ارض الشام وكان النعمان بن بشير واليا على حمص قد خطب لابن الزبير ممايلا للضحاك فلما بلغه قتله وهزيمة الزبيرية خرج عن حمص هاربا فسار ليلته جميعا متحيرا لا يدري اين يذهب فاتبعه خالد بن عدي الكلاعي فيمن تبعه من اهل حمص فلحقه وقتله وبعث براسه الى مروان واتى زفر بن الحرث الكلابي الى قرقيسيا فغلب عليها واستقام الشام لمروان وبث فيها رجاله وعماله وسار مروان في جنوده من اهل الشام الى مصر فحاصرها وخندق عليها خندقا مما يلي المقبرة وكان ذو بره عليها لابن الزبير ابن جحدم وسيد الفسطاط يومئذ وزعيمها ابو رشد بن ابرهة ابن الصباح واستعمل عليها ابنه عبد العزيز وقدم الصبيح مروان على سن مطرية من بلاد الاردن فنزلها واحضر حسان بن مالك فارهبه دار غيره فقام خطيبا في الناس ودعاهم الى بيعة عبد الملك بن مروان ومات مروان بدمشق في هذه السنة وهي سنة خمس وستين وقد تنازع اهل التاريخ والسير ومن عنى باخبارهم في وفاته فمنهم من راى انه مات مطعونا ومنهم من راى انه مات حتف انفه ومنهم من راى ان امراته بنت ابي هاشم بن عتبة ام خالد بن يزيد بن معوية هي قتلته وذلك ان مروان جعل اخذ البيعة لنفسه ولخالد بعده ولعمرو بن سعيد الاشدق بعد خالد ثم بدا له بعد ذلك فجعلها لابنه عبد الملك من بعده ثم لابنه عبد العزيز بعد عبد الملك فدخل عليه خالد بن يزيد فكلمه فاغلظ عليه فغضب مروان منه وقال تكلمني يا ابن الرطبة وكان مروان تزوج بامه واختر ليذله بذلك ويضع منه فدخل بعد ذلك على امه فقبح لها تزويجها مروان ثم شكى اليها ما نزل به منه فقالت لا يعيبك بعدها فمنهم من راى انها وضعت على نفسه وهو نائم وسادة وقعدت فوقها مع جواريها حتى مات ومنهم من راى انها اعدت له لبنا مسموما فلما دخل ناولته اياه فشربه فلما استقر في جوفه جعل يجود بنفسه وامسك لسانه فحضره عبد الملك وغيره من ولده فجعل مروان يشير الى ام خالد يخبرهم

انما قتلته وام خالد تقول بابي انت حتى عند النزع لم يشتغل عني انه يرضيكم بي حتى هلك فكانت ايامه تسعة اشهر واياما قلائل وقيل ثمانية اشهر وقيل غير ذلك مما سنورده عند ذكرنا الملوك التي ملكت فيما بنوا امية من الاعوام فيما يرد من هذا الكتاب ان شاء الله توفي ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة وقد ذكر في سنة غير ذلك وكان قصيرا احمر اللون ذو مولده لسنتين من الهجرة وهلك بعد اخذ البيعة لولده بثلاثة اشهر وقد ذكر ابن ابي خيثمة في كتابه في التاريخ ان النبي صلى الله عليه وسلم توفي ومروان بن ثمان سنين وكان لمروان عشرون اخا وثمان اخوات ولد من الولد احد عشر ذكرا وثلاث بنات منهم عبد الملك وعبد العزيز وابان وداود وعمر وابرهيم وعبد الرحمن وام عثمان وام عمرو وبشر ومعاوية وقد ذكرنا هولاء ومن اعقب منهم ومن لم يعقب وكان يزيد بن معوية خلف من الولد اكثر مما خلف مروان وذلك انه خلف معوية وخالد وعبد الله الاكبر وعبد الله الاصغر وعمر وعاتكة وعبد الرحمن وعثمان وعتبة الاعور وابا بكر ومحمد ويزيد وام يزيد وام عبد الرحمن ورملة وخلف ابوه معاوية من الولد عبد الرحمن ويزيد وعبد الله وهند وصفية ورملة

هذا اخر الجزء الثالث من كتاب مروج الذهب
يليه اول الجزء الرابع ذكر ايام عبد الملك
ابن مروان

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر ايام عبد الملك بن مروان

وبويع عبد الملك بن مروان ليلة الاحد غرة شهر رمضان من سنة خمس وستين ثم بعث الحجاج بن يوسف عبد الملك الى ابن الزبير ومن معه من الناس بمكة فقتل عبد الله يوم الثلاثاء لعشر مضين من جمادى الاخرة سنة ثلاث وسبعين وكانت ولاية ابن الزبير تسع سنين وعشر ليال وسنذكر مقتل ابن الزبير بعد هذا الموضع من هذا الكتاب عند ذكرنا

بجامع مدينة ملك بني امية، ثم هلكت فتنة ابن الاشعث في شعبان
من سنة اثنين وثمانين، ثم توفي عبد الملك بن مروان بدمشق يوم السبت
لاربع عشرة مضت من شوال سنة ست وثمانين فكانت ولايته
منذ بويع الى ان توفي احدى وعشرين سنة وشهرا ونصفا وبقي
بعد عبد الله بن الزبير واجتماع من اجتمع عليه من الناس ثلاث عشرة
سنة واربعة اشهر الا سبع ليال فذلك ما بعد له من استقامة
من استقام له من الناس وهو ابن اثنين وستين سنة وقيل
غير ذلك وكان يحب الشعر والفخر والتقريظ والمدح وكان
الغالب عليه البخل وكان له اقدام على الدماء وكان عماله على مثل مذهبه
كالحجاج بالعراق والمهلب بخراسان وكان الحجاج من اظلمهم واسفكهم
للدماء وسنذكر جميع ما قدمنا في هذا الكتاب من جوامع ذكره مما
يلي هذا الباب **ذكر لمع من اخبار الحجاج بن يوسف وما قاله من الخطب و**
بعض افعاله ولما افضى الامر الى عبد الملك تاقت نفسه
الى محادثة الرجال والاشراف على اخبار الناس فلم يجد من يصلح
لمنادمته غير الشعبي فلما حمله اليه ونادمه وحظي عنده قال له يا شعبي
لا تساعدني على ما قبح ولا ترد علي الخطأ في مجلسي ولا تكلفني
جواب التشميت والتهنية ولا جواب السؤال والتعزية
ودع عنك كيف اصبح الامير وكيف امسى وكلمني بقدر ما اكلمك
واجعل بدل التقريظ لي صواب الاستماع مني واعلم ان صواب
الاستماع اقل من صواب القول واذا سمعتني اتحدث فلا يفوتنك
منه شيء وارني فهمك في طرفك وسمعك ولا تجهد نفسك في
تطرية صوابي ولا تستدع بذلك الزيادة من كلامي فان اسوأ الناس
حالا من استكد الملوك بالباطل وان اسوأ حالا منهم من استخف بحقهم
واعلم يا شعبي ان اقل من هذا يذهب بسالف الاحسان ويسقط
حق الحرمة ولرب الصمت في موضعه ربما كان ابلغ من النطق في
غير موضعه وعند اصابة فرصة وقال عبد الملك للشعبي
يوما من اين تهب الرياح فقال لا علم لي يا امير المؤمنين فقال عبد الملك
اما مهب الشمال فمن مطلع بنات نعش الى مهب الشمس
واما مهب الصبا فمن مطلع الشمس الى مغرب الشمس واما
الدبور فمن مغرب الشمس الى مطلع بنات نعش واما الجنوب فمن مطلع

الى مطلع سهيل وما الجنوب فمن مطلع ...

الشمس الى موضع

وفي سنة خمس وستين تحركت الشيعة بالكوفة وتلاقوا بالتلاوم دم
والتنادم حين قتل الحسين عليه السلام ولم يعينوه ورأوا انهم
قد اخطأوا خطأ كبيرا بدعاء الحسين عليه السلام اياهم ولم يجيبوه
ولم ينصروه ورأوا انهم لا يغسل عنهم ذلك الجرم الذي اجرموه
الا بقتل من قتله او القتل فيه ففزعوا الى خمسة نفر منهم
سليمان بن صرد الخزاعي والمسيب بن نجبة الفزاري وعبد الله
ابن سعد بن نفيل الازدي وعبد الله بن وال التيمي ورفاعة عد
ابن شداد البجلي فعسكروا بالنخيلة بعد ان كان لهم مع المختار
ابن ابي عبيد الثقفي خطب طويل يثبط الناس عنهم ممن اراد الخروج
معهم **ففي ذلك يقول عبد الله بن الاحمر في الخروج والقتال**

صحوت وقد صحوت الصبا والغوانيا	وقلت لاصحابي اجيبوا المناديا
وقولوا له اذ قام يدعو الى الهدى	وقبل الدعا لبيك لبيك داعيا

في شعر طويل يحث فيه على الخروج ويرثي الحسين ومن قتل معه
ويلوم شيعته بالخذلان عنه ويذكر انهم قد باءوا الى الله سبحانه بول
بعظيم من الكبائر التي ركبوها اذ لم ينصروه ويقول ايضا في ذلك الشعر

الا وانع خير الناس جدا ووالدا	حسينا لاهل الدين ان كنت ناعيا
ليبك حسينا مرمل ذو خصاصة	عديم وايتام تشكى المواليا
فاضحى حسين للرماح درية	وغودر مسلوبا لدى الطف ثاويا
فيا ليتني اذ ذاك كنت شهدته	فضاربت عنه الشانئين الاعاديا
سقى الله قبرا ضمن المجد والتقى	بغربية الطف الغمام الغواديا
فيا امة تاهت وضلت سفاهة	انيبوا فارضوا الواحد المتعاليا

ثم ساروا يقدمهم ... يريدون الشام **وعبد الله بن الاحمر يقول**

خرجن يلمعن بنا ارسالا، عوابسا يحملننا ابطالا، نريد ان نلقى بها الاقتالا
القاسطين الغدر الضلالا، وقد رفضنا الولد والاموالا، والخفرات البيض والحجالا
نرجو به ذا النعم المفضالا

فاتوا الى قرقيسيا بشاطئ الفرات وبها زفر بن الحارث الكلابي فاخرج
اليهم الانزال وخرجوا من قرقيسيا ليسبقوا الى عين الوردة وقد كان انفصل
عبيد الله بن زياد توجه من الشام الى جرهم في نيف وثلاثين الفا وعلى مقدمته
من الرقة خمسة امراء منهم الحصين بن نمير السكوني وشرحبيل بن ذي الكلاع ع
الحميري وادهم بن محرز الباهلي وربيعة بن المخارق الغنوي

وجبلة بن عبد الله الخثعمي حتى اذا صاروا الى عين الوردة التقى القوم
وقد كان لهم قبل ذلك بهم مناوشات في الطلايع فاستشهد سليمن
ابن صرد الخزاعي بعد قتل من القوم مقتلة عظيمة رماه يزيد بن
الحصين بن نمير بسهم فاخذ الراية المسيب بن نجبة الفزاري وكان
من وجوه اصحاب علي فكر على القوم وهو يقول

قد علمت ميالة الذوائب ، واضحة اللبات والترائب ، اني غداة الروع والمقانب
اشجع من ذي لبدة مواثب

فقاتل حتى قتل واستقتل التوابون وكسروا اجفان السيوف ومالت
عليهم عساكر اهل الشام كالليل ينادون الجنة الجنة الى المعد ومن
اصحاب الحجر لبيك الجنة الجنة الى الترابية واخذ راية التوابين عبد الله بن
سعد بن نفيل واتاهم اخوانهم يحثون السير خلفهم من اهل البصرة
واهل المداين في نحو من خمسماية فارس عليهم المثنى بن مخرمة وسعد
ابن حذيفة وهم يقولون اقلنا ربنا تفريطنا فقد تبنا فقيل لعبد الله
ابن سعد بن نفيل وهو في القتال ان اخواننا قد لحقونا من البصرة
والمداين فقال اولئك لو جاوا ونحن احيا فكان اول من استشهد
في ذلك الوقت ممن لحقهم من اهل المداين كثير بن عمرو المزني وطعن
سعد بن ابي سعيد الحنفي وعبد الله بن الخطل الطائي وقتل
عبد الله بن سعيد بن نفيل فلما علم من بقي من التوابين ان لا طاقة لهم
بمن بازائهم من اهل الشام انحازوا عنهم وتخلوا عليهم رفاعة
ابن شداد البجلي وناد ابو الحويرث العبدي في حامية الناس
وطلب اهل الشام منهم المكافاه والمنازلة لما راوا عزمهم وصبرهم
مع اهل الشام فلحق اهل الكوفة بمصرهم واهل المداين والبصرة بلادهم
وسمع التوابون في مسيرهم ورجوعهم من عين الوردة ليلا قايلا يقول
رافعا عقيرته

يا عين بكي ابن الصرد ، بكي اذا الليل خمد
كان اذا الناس ركد ، تخاله فيها اسد ، مات حميدا رشد ، في طاعة الاعلى الصمد

وقد ذكر ابو مخنف لوط بن يحيى وغيره من اصحاب التواريخ والسير
من قتل من التوابين مع سليمن بن صرد الخزاعي على عين الوردة واسماوهم
وحكى ابو مخنف في كتابه في اخبار التوابين بعين الوردة قصيدة
لاعشى همدان طويلة يرثي بها اهل الوردة من التوابين ويصف
ما فعلوا فمنها قوله

توجه

توجه من دون الثنية سايرا ، الى ابن زياد في جموع الكتايب
فساروا وهم من بين ملتمس التقى ، واخر مما جر بالامس تايب
فلاقوا بعين الوردة الجيش فاصلا ، عليهم فحيوهم ببيض قواضب
فجاءهم جمع من الشام بعده ، جموع كموج البحر من كل جانب
فما برحوا حتى ابيدت جموعهم ، ولم ينج منهم ثم غير عصايب
وغودر اهل الصبر صرعى فاصبحوا ، تعاوده ريح الصبا والجنايب
واضحى الخزاعي الرئيس مجدلا ، كان لم يقاتل مرة ويحارب
وراس بني شمخ وفارس قومه ، جميعا مع التيمي هادي الكتايب
ابو غير ضرب يفلق الهام وقعه ، وطعن باطراف الاسنة صايب
فيا خير جيش للعراق واهله ، سقيتم روايا كل اسحم ساكب
فلا يبعدن فرساننا وحماتنا ، اذا البيض ابدت عن خدام الكواعب
فان تقتلوا فالقتل اكرم ميتة ، وكل فتى يوما لاحدى الشواعب
وما قتلوا حتى اصابوا عصابة ، محلين حورا كالليوث الضوارب

وقيل ان وقعة عين الوردة كانت في سنة ست وستين في ايام
عبد الملك بن مروان توفي الحرث الاعور صاحب علي عليه السلام
وهو الذي دخل على علي عليه السلام فقال له يا امير المومنين الا ترى الى
الناس قد اقبلوا على هذه الاحاديث وتركوا كتاب الله تعالى فقال وقد
فعلوها قال نعم قال اما اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ستكون فتنة قلت فما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله عز
وجل فيه نبا من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هذا الفصل ليس
بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله
وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم والصراط المستقيم وهو الذي
لا تزيغ عنه العقول ولا تلتبس به الالسن ولا تنقضي عجايبه ولا يعلم
عالم مثله وهو الذي لما سمعته الجن قالت انا سمعنا قرانا عجبا يهدي
الى الرشد فامنا به ولن نشرك بربنا احدا من قال به صدق ومن زال عنه
عدا ومن عمل به اجر ومن تمسك به هدي الى صراط مستقيم خذها
اليك يا اعور ولما كان من وقعة عين الوردة ما ذكرنا سار عبيد الله
ابن زياد في عساكر اهل الشام يريد العراق فلما انتهى الى الموصل
وذلك في سنة ست وستين التقى هو وابراهيم بن الاشتر النخعي وابرهيم
على خيل العراق من قبل المختار بن الحادر وكانت بينهم وقعة عظيمة

قتل فيها ابن مرجانة عبيد الله بن زياد والحصين بن نمير وشرحبيل بن ذي
الكلاع وابن حوشب ذي ظليم وعبد الله بن اياس السلمي وابو اشرس
وغالب الباهلي واشراف الشام وذلك ان عمير بن الحباب السلمي
كان على ميمنة ابن زياد في ذلك الجيش وكان في نفسه ما فعل
بقومه من مضر وغيرهم من نزار يوم مرج راهط فصاح يا لثارات
قيس يا آل مضر يا آل نزار فرجعت نزار ومضر وربيعة على من كان
معهم في جيشهم من اهل الشام من قحطان وقد كان عمير كاتب
ابرهيم الاشتر قبل ذلك والتقيا سرا فتواطيا على ما ذكرنا وحمل
ابرهيم راس ابن زياد وغيره الى المختار فبعث به المختار الى عبد الله
ابن الزبير الى مكة وقد كان عبد الملك بن مروان سار بجيوش اهل
الشام فنزل بطنان ينتظر ما يكون من امر ابن زياد فجاءه خبر قتله
ومقتل من كان معه وهو بمنزله في الجيش بالليل واتاه في تلك
الليلة مقتل حبيش بن دلجة وكان على جيش المدينة يحارب ابن
الزبير ثم جاءه دخول نابل بن قيس فلسطين من قبل ابن الزبير ومصير
مصعب بن الزبير من المدينة الى فلسطين ثم جاءه مصير ملك الروم
لاوي بن قلفط ونزوله المصيصة يريد الشام ثم جاءه خبر دمشق
وان عبيد الله واوباشا من دعارها خرجوا على اهلها ونزلوا الجبل ثم اتاه
ان من في سجن دمشق فتحوا السجن وخرجوا منه مكابرة وان خيل الاعراب
غارت على حمص وبعلبك والبقاع وغير ذلك مما اتاها البريد المقطعات بلادم
في تلك الليلة فلم ير عبد الملك في ليلة قبلها اشد ضحكا ولا احسن
وجها ولا ابسط لسانا ولا اثبت جنانا منه تلك الليلة تجلدا وسياسة
للملوك وترك اظهار الفشل وبعث بهدايا ومال الى ملك الروم فشغله
وهادنه وسار عنه الى فلسطين وبها نابل بن قيس على جيش ابن
الزبير فالتقوا بالجنادين فقتل نابل بن قيس وعامة اصحابه وانهزم
الباقون ونما خبر قتله وهزيمة الجيش الى المصعب بن الزبير وهو
في الطريق فولى راجعا الى المدينة وفي ذلك يقول رجل من كلب في المروانية

قتلنا بالجنادين سعدا ونابلا ... قصاصا بما اتى جيش ونذر

وسار عبد الملك الى دمشق فنزلها وسار ابرهيم بن الاشتر فنزل نصيبين
وتحصن منه اهل الجزيرة ثم استخلف على نصيبين ولحق بالمختار بالكوفة
وفي سنة سبع وستين سار المصعب بن الزبير الى البصرة وقد كان اخوه

ابن الزبير انفذه الى العراق واليا فنزل حروراء فالتقى هو والمختار فكانت
بينهم حروب عظيمة وقتل ذريع

هنا نقص من اصل النسخة نحو ...

فقال دعني عنك والله لو كنت نايما ما ايقضني دخول ملفن بالدرع فلما دخل الاشدق
على عبد الملك قال من هنا من بني امية فقال له عبد الملك وقد اخذت
اني كنت حلفت لين امكنتك لاشدنك في جامعة فاني بجامعة فوضعها
في عنقه وشدها عليه فايقن عمرو انه قاتله فقال انشدك الله يا امير المومنين
فقال له عبد الملك يا ابا امية جيت بالدرع للقتال فايقن عمرو بالموت
فقال انشدك الله لا تخرجني الى الناس في جامعة فقال عبد الملك وتمالى
ايضا وانا امكر منك تريد ان اخرجك الى الناس فيمنعونك ويستنقذونك
من يدي وخرج عبد الملك الى الصلوة وامر اخوه عبد العزيز وقد كان
قدم من مصر في ذلك اليوم بقتله اذا خرج وقد قيل امر ابنه الوليد فلما
دنا منه عبد العزيز ناشده عمرو بالرحم فتركه فلما رجع عبد الملك من الصلاة
وراه حيا فقال لعبد العزيز والله ما اردت قتله الا ان احلكم لن تجوزه
دونكم ثم اضجعه فقال له عمرو اعذرا يا ابن الزرقا فذبحه وولى اخو
عمرو يحيى بن سعيد الى الباب بمن معه من رجاله ليكسره فخرج اليه الوليد
ومو الى عبد الملك فاقتتلوا واختلف الوليد ويحيى فضربه بالسيف
على اليته فانهزم والقى راس عمرو الى الناس فلما راوه تفرقوا بعد ان القى
اليهم من اعطى الله رب بدر الدنانير فاشتغلوا بها عن القتال وقال
عبد الملك وابيك لئن كانوا قتلوا الوليد لقد اصابوا ثارهم وقد
كان الوليد فقد حين ضرب وذكر ان ابرهيم بن عدي احتمله فادخله بيت
القراطيس في المعمعة واتي عبد الملك بيحيى بن سعيد واجتمعت
الكلمة على عبد الملك وانقاد الناس اليه وقد قيل في مقتله غير ما ذكرنا
وقد اتينا على ذلك في كتابنا في اخبار الزمان وقد ذكر شعر الخبر فيه
وكانت تحت الوليد بن عبد الملك فيما يرد من هذا الكتاب في اخبار
المنصور اذ كان الموضع المستحق له دون هذا الموضع لما تغلغل بنا
الكلام وتسلسل بنا القول واقام عبد الملك بدمشق بعد ستة سنين
وقد كان المصعب لم يرحل من صفا له العراق بعد قتل المختار واصحابه
خرج حتى انتهى الى الموضع المعروف باجميرا مما يلي الجزيرة يريد الشام
لحرب عبد الملك فبلغه مسير خالد بن عبد الله بن خالد بن اسيد من مكة
الى البصرة في ولده وعدة من مواليه داعيا لبيعة عبد الله بن الزبير فنزل
بعض نواحي البصرة ولن قومها قد انضافوا اليه من ربيعة ومضر منهم
عبد الله بن الوليد ومالك بن مسمع البكري وصفوان بن الاهتم التميمي وصعصعة

ابن معوية عم الاحنف فكانت لهم بالبصرة حروب كثيرة كانت ادوا با
على عبد الله فخرج راجعا الى البصرة وذلك في سنة احدى وسبعين
ثم عاد الى العراق الى باجميرا وفي ذلك يقول
انيت يا مصعب للاسيرا في كل يوم لك باجميرا
ونزل عبد الملك الى قرقيسيا حاصر بها زفر بن الحرث العامري الكلابي
وكان يدعو الى ابن الزبير فنزل على الامان وبايعه وسار عبد الملك فنزل
على نصيبين وفيها يزيد الحبشي مولى الحرث في الفي فارس ممن
بقي من اصحاب المختار يدعون الى امامة محمد بن الحنفية فحاصرهم فنزلوا على
امانه عبد الملك وانضافوا الى جملته وخرج مصعب باهل الحجاز
وذلك في سنة اثنين وسبعين يريد عبد الملك في عساكره من مضر والجزيرة
فالتقوا بمسكن قرية من ارض العراق على شاطئ دجلة وعلى مقدمة
عبد الملك الحجاج بن يوسف بن ابي عقيل الثقفي وقيل على ساقته وقد
احمد امره في قيامه بما اهل له فكاتب عبد الملك روسا العراق
ممن هو في عسكر مصعب وغيرهم سرا يرغبهم ويرهبهم وكان فيمن كاتب
ابرهيم بن الاشتر النخعي فلما اتاه كتابه مع الجاسوس اعتقله في رحله
واتى مصعب بالكتاب قبل ان يفضه ويعلم ما فيه فقال له مصعب اقراه
فقال اعوذ بالله ان اقراه حتى يقراه الامير والى يوم القيمة غادر فقد
نقضت بيعته وخلعت خلافته فلما تامل مصعب ما فيه وجده امانا
له وولاية لما شا من العراق واقطاعا غير ذلك ثم قال ابرهيم لمصعب
هل اتاك احد من اشراف العسكر بكتاب فقال مصعب لا فقال ابرهيم والله
لقد كاتبهم وما كاتبني حتى كاتب غيري وما اشعوا عليك اصلهم الا الانزض
بنو الغدر بك فاطعني واقتلهم والزمهم على السيف واستوثق منهم
في الحديد والوهذا الرجل فابى مصعب ذلك وتحابى من كان في عسكره
من ربيعة لعبيد الله بن زياد بن ظبيان البكري بذلك وكان من سادات
ربيعة ومن عمائل بن وائل وسار ابرهيم بن الاشتر على مقدمة مصعب
في بعض الخيل فلقي خيل عبد الملك وفي مقدمتها عليها اخوه محمد
ابن مروان وبلغ عبد الملك ذلك فبعث الى محمد عزمت عليك لا تقاتل
اليوم وقد كان مع عبد الملك منجم فاشار على عبد الملك ان لا يحارب
له خيل في ذلك اليوم فانه منحوس وليكن حربه بعد ثلاث فانه ينصر
فبعث اليه محمد وانا العزم على نفسي لا قاتلن ولا التفت الى خرافات منجم

ما يا با ابن عبد الجزي
لحقوا بعبد الملك وتركوا
مصعب

وولت الى عبد الملك

منجمك والمحالات من الذنب فقال عبد الملك المنجم لم يحضر الا تروان ثم رفع طرفه الى السماء وقال اللهم ان مصعبا اصبح يدعو لاخيه وانا ادعو لنفسي فانصر خيرنا لامة محمد فالتقى محمد بن مروان وابن الاشتر **ومحمد بن عباد يقول**

منى على شكك اودى بالسلب   مجحل الرجل لمن بالذنب

فاقتتلوا حتى غشيهم المساء فقال عتاب التميمي وكان مع ابن الاشتر يا ابرهيم ان الناس قد جهدوا فمرهم بالانصراف وحسدا له لا شرافه على الفتح فقال له ابرهيم وكيف ينصرفون وعدوهم بازائهم فقال عتاب مر الميمنة ان تنصرف فابى ابرهيم ذلك فمضى اليهم عتاب وامرهم بالانصراف فلما زالوا عن مصافهم اكبت خيل محمد عليهم واختلط الرجال وصمدت الفرسان لابرهيم واشتبكت عليه الاسنة فرمى منها عدة رماح واسلمه من كان معه فاقتلع من سرجه ودارت به الرجال وازدحموا فقال بعد ان ابلى ونكا فيهم عليه الرجال وجدوا الى اخذ راسه فمنهم من زعم ان الكندي اخذ راسه ومنهم من ذكر ان عبيد ميسرة مولى بني ثعلبة من بني رفاعة هو الذي اخذ راسه والى عبد الملك بجسد ابرهيم فالقى بين يديه فاخذه مولى الحصين بن نمير فجمع عليه حطبا واحرقه بالنار وسار عبد الملك في صبيحة تلك الليلة من موضعه حتى نزل بدير الجاثليق من ارض السواد واقبل عبيد الله بن زياد بن ظبيان وعكرمة بن ربعي الى عبد الملك وقد بايعه فاقاما الى عسكر عبد الملك ودخلوا في طاعته ثم تصاف القوم فافرد مصعب وتخلى من كان معه من مضر واليمن وبقي في سبعة نفر منهم اسمعيل بن طلحة بن عبيد الله التيمي وابنه عيسى بن مصعب فقال لابنه عيسى يا بني اركب فرسك وانج بنفسك والحق بعمك بمكة فاخبره ما صنع بي اهل العراق ودعني فاني مقتول فقال له لا والله لا تحدث العرب عنا ابدا انا فررت عنك ولا احد ثم عند ابدا فقال له مصعب اذا ما ابيت فتقدم امامي احتسبك فتقدم عيسى فقاتل حتى قتل وسال محمد بن مروان اخاه عبد الملك ان يؤمن مصعبا فاستشار عبد الملك من حضر فقال علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب لا تؤمنه وقال خالد

ابن يزيد بن معاوية بن ابي سفيان بل اومنه وارتفع الكلام بين علي وخالد حتى تسابا على مصافهما فامر عبد الملك اخاه محمدا ان يمضي الى مصعب فيؤمنه ويعطيه عنه ما اراد فمضى اليه محمد فوقف قريبا منه ثم قال يا مصعب هلم الي انا ابن عمك محمد بن مروان وقد امنك امير المؤمنين على نفسك ومالك وعلى ما احدثت وان تنزل اي البلاد شئت ولو اراد بك غير ذلك لانزله بك فانشدك الله في نفسك واقبل رجل من اهل الشام الى عيسى بن مصعب ليحتز راسه فعطف عليه مصعب والرجل غافل فناداه اهل الشام ويلك يا فلان الاسد قد اقبل نحوك ولحقه مصعب ففرح وعرقب فرس مصعب وبقي راجلا فاقبل اليه عبيد الله بن زياد بن ظبيان فاختلف بينهما ضربتان سبقه مصعب بالضربة على راسه وكان مصعب قد اثخن بالجراح وضربه عبيد الله فقتله واخذ راسه فاتى به عبد الملك فحمد عبد الملك وقبض عبيد الله بن زياد على قائم سيفه واجتذبه من غمده حتى اتى على اكثره سلا ليفتك بعبد الملك في حال سجوده ثم تندم فكان يقول ذهب الفتك من الناس اذ هممت ولم افعل فاكون قد قتلت عبد الملك ومصعبا ملكي العرب في يوم واحد وتمثل عبيد الله عند **مجيئه براس مصعب**

نعاطي الملوك الحق ما قسطوا لنا   وليس علينا قتلهم بمحرم

وقتل عبد الملك فتى تغدو قريش بمقتل مصعب يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى من سنة اثنين وسبعين وامر عبد الملك بمصعب وابنه عيسى فدفنا بدير الجاثليق ودعا عبد الملك اهل العراق الى بيعته فبايعوه وقد كان مسلم بن عمرو الباهلي من صنائع يزيد وابنه معوية وكان في ذلك الوقت من خيل مصعب فاتي به الى عبد الملك وقد اخذ له منه الامان وقيل له انت ميت لا ترجو الحياة لما بك من الجراح فما تصنع بالامان قال ليسلم مالي ويامن ولدي بعدي فلما وضع بين يدي عبد الملك قال قطع الله يد صنائعك كيف لم يحجزك عليك كفر صنائع العرب عند **دير الجاثليق من ارض العراق يقول عبد الله بن قيس الرقيات**

لقد اورث المصرين عارا وذلة   قتيل بدير الجاثليق مقيم

فما نصحت لله بكر بن وائل ... ولا صبرت عند اللقاء تميم
ولكنه ضاع الذمار وانما ... بها مضري يوم ذاك كريم
جزى الله بصريا بذاك ملامة ... ولو فيهم ابن المليم مليم

وفي مصعب يقول شاعر اهل الشام

لعمري لقد اصحرت خيلنا ... باكناف دجلة للمصعب
يهزون كل طويل القناة ... معتدل النصل والثعلب
اذا ما منافق اهل العراق ... عوتب يوما فلم يعتب
دلفنا اليه بذي موقف ... قليل التفقد للغيب

وكان المصعب ذا حسن وجمال وهيبة وكمال في الصورة وفيه يقول ابن الرقيات من كلمة

انما مصعب شهاب من الله ... تجلت عن وجهه الظلماء

وقد اتينا على اخبار المصعب وسكينة زوجته وعائشة بنت طلحة وغيرهن من نسائه وغرر من اخباره في الكتاب الاوسط وحدث المنقري قال حدثنا سويد بن سعيد قال حدثنا مروان بن معوية الفزاري عن محمد بن عبد الرحمن عن ابي مسلم الحنفي قال رايت راس الحسين عليه السلام جي به فوضع في دار الامارة بالكوفة ووضع بين يدي عبيد الله بن زياد ثم رايت راس عبيد الله بن زياد قد جي به فوضع في ذلك الموضع بين يدي مصعب بن الزبير ثم رايت راس مصعب بن الزبير جي به فوضع في ذلك الموضع بين يدي عبد الملك وقد قيل في وجه اخر من الروايات قال الراوي فراى عبد الملك مني اضطرابا فقال لي فقلت يا امير المومنين دخلت هذه الدار فرايت راس الحسين بين يدي ابن زياد في هذا الموضع ثم دخلتها فرايت راس ابن زياد بين يدي المختار فيه ثم دخلتها فرايت راس المختار بين يدي مصعب وهذا راس مصعب بين يديك اعيذك بالله يا امير المومنين قال فوثب عبد الملك بن مروان وامر بهدم الطاق الذي كان فيه ذلك المجلس ذكر هذا الحديث عن الوليد بن الحباب وغيره وسار عبد الملك من دير الجاثليق حتى نزل النخيلة بظاهر الكوفة فخرج اليه اهل الكوفة فبايعوه واوفى للناس بما وعدهم به في مكاتبته اياهم وخلع واجاز واقطع ورتب الناس على مراتبهم وعمهم بحبه وترهيبه وولى على البصرة خالد بن عبد الله بن اسيد وعلى الكوفة بشر بن مروان اخوه وخلف معه جماعة من اهل الراي والمشورة من اهل الشام منهم روح

ابن زنباع الجذامي وبعث الحجاج بن يوسف لحرب ابن الزبير بمكة وسار في بقية اهل الشام الى دار ملكه دمشق وكان بشر بن مروان لزاده باطربنا يحب الشعر والسمر والسماع والمعاقرة وقد كان اخوه عبد الملك قد قال لروح وحاعلك الذي لا ينبغي ان تقطع امرا دونه لصدقه وعفافه ومناصحته لنا اهل البيت فاحتشم بشر منه وقال لندمائه انخاف ان انبسطنا ان يكتب روح الى امير المومنين بذلك فالى احب الانس والمنادمة ما يحبه مثلي فقال له بعض ندمائه من اهل العراق بجميل مساعدته ولطف حيلته وانا اكفيك امره حتى ينصرف عنك الى امير المومنين غير شاك ولا لايم فسر بشر بذلك ووعده الجائزة وحسن المكافاة ان هو اتى لما وعد به وكان روح شديد الغيرة وله جارية اذا خرج من منزله الى المسجد او الى غيره ختم بابه حتى يعود بعد ان يقفله فاخذ الفتى دواة واتى منزل روح ممسيا مختفيا وخرج روح الى الصلاة فتوصل الى دخول الدهليز في حال خروج روح وكمن تحت الدرجة ولم يزل يحتال الليلة حتى توصل الى بيت روح فكتب على حائط في اقرب المواضع من مرقد روح حيث يقول

يا روح من لبنيات وارملة ... اذا دعاك لاهل المغرب الداعي
ان ابن مروان قد حانت منيته ... فاحتل لنفسك يا روح بن زنباع
ولا يغرنك ابكار منعمة ... واسمع هديت مقال الناصح الداعي

ورجع الى مكانه من الدهليز فبات فيه فلما اصبح وخرج للصلوة تبعه غلمانه والفتى متنكر في حالتهم يختلط بهم فلما عاد روح وافتتح الباب تبين الكتابة وقراها فراعه ذلك وقال ما هذا فوالله ما يدخل حجرتي انسي سواي ولا حظ لي في المقام بالعراق ثم نهض الى بشر فقال له يا ابن اخي اوصي بما احببت من حاجة او سبب عند امير المومنين فقال اوتريد الشخوص يا عم قال نعم قال اولم هل انكرت شيئا او رايت قبيحا لا يسعك المقام عليه قال لا والله بل جزاك الله عن نفسك وعن سلطانك خيرا لكن امر حدث ولا بد لي من الانصراف الى امير المومنين قد مات او هو ميت الى ايام قال ومن اين علمت ذلك فاخبره بخبر الكتاب وقال ليس يدخل حجرتي غيري وغير جاريتي فلانة ولا كتب ذلك الا الجن او الملائكة فقال له بشر اقم فاني ارجو ان لا يكون لهذا حقيقة فلم يثنه شي وسار الى الشام فاقبل بشر على الشرب والطرب فلما اتى روح عبد الملك بن مروان

انكر امره وقال لهما اقدمك الحادث حدثت على بشر او لامر كرهته منه فانثني
على بشر وحمد سيرته وقال لا بل الامر لا يعلمني حتى نخلو وقال عبد الملك للجلسا
اذا شئتم فخلا بروح واخبره بقصته وانشده الابيات فضحك عبد الملك
حتى استغرب وقال ثقلت على بشر واصحابه حتى احتالوا لك بما
رايت فلا ترع ولما اتى نعي قتل مصعب بالخبر عبد الله
اضرب عن ذكره حتى تحدث بذلك العبيد والاما في سكك
مكة والمدينة فصعد المنبر وجبينه يرشح عرقا فقال الحمد
لله مالك الدنيا والاخرة يوتي الملك من يشا وينزع الملك ممن
يشا ويعز من يشا ويذل من يشا بيده الخير وهو على كل شي قدير
الا انه لم يذل الله من كان الحق معه ولم يعز من كان اوليا الشيطان
وحزبه انا اتانا خبر من العراق احزننا وافرحنا قتل المصعب فاما الذي
احزننا من ذلك فان لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه عند المصيبة
ثم يرعوي بعد ذلك الحكيم الى الصبر وجميل العزا واما الذي افرحنا
فان القتل له شهاده ويجعل الله لنا وله الخيرة اما والله لا نموت
حتفا كميتة ال ابي العاص وانما نموت قصعا بالرماح وقتلا تحت
ظلال السيوف وان الدنيا عارية من الملك الجبار الذي لا يزول
سلطانه ولا يتبدل فان تقبل الدنيا علي لا اخذها اخذ الاشر
البطر وان تدبر عني لا ابكي عليها بكاء الخرق المهين فاتى الحجاج
الطايف فاقام بها شهرا ثم زحف الى مكة فحاصر ابن الزبير بها
وكتب الى عبد الملك اني قد ظفرت بابي قبيس فلما ورد كتابه على عبد الملك
بحصار ابن الزبير عليه والظفر بابي قبيس كبر عبد الملك وكبر من
في داره واتصل التكبير عنه في جامع دمشق فكبروا واتصل
التكبير عنه في الاسواق فكبروا ثم سالوا عن الخبر فقيل لهم ان الحجاج
حاصر ابن الزبير عليه وظفر بابي قبيس فقالوا لا نرضى حتى يحمله الينا
مكبلا على راسه برنس على جمل يمر بنا في الاسواق وكان حصار
الحجاج لابن الزبير عليه هلال ذي القعدة سنة اثنين وسبعين
وفيها قتل المصعب وما ذكرنا من قول اهل حمص في ابي قبيس
فذكر عمر بن شبة النميري عن ابن عاصم ومنع ابن الزبير الحجاج
ان يطوف بالبيت ووقف الحجاج بالناس بعرفة محرما في درع
ومغفر وهو من ابنا احدى وثلثين سنة وتاخر ابن الزبير عليه

ولم يخرج الى عرفة بسبب الحجاج فكان مدة حصار الحجاج لابن
الزبير عليه خمسين ليلة ودخل ابن الزبير على امه اسما بنت ابي بكر الصديق
رضي الله عنه وقد بلغت من السن ماية سنة لم يقع لها سن ولا ابيض
لها شعر ولم ينكر لها عقل على حسب ما قدمنا من خبرها في هذا
الكتاب فقال يا امه كيف تجدينك قالت اني لشاكية يا بني فقال
لها ان في الموت لراحة قالت لعلك تتمناه لي وما احب ان اموت حتى
ياتي على احد طرفيك اما قتلت فاحتسبك واما ظفرت فقرت عيني بك
واوصى عبد الله ما يحتاج من امره وامر نسائه اذا سمعن الواعية عليه ان
يضممن امه اسما اليهن وكان عروة بن الزبير على عهد عبد الملك فكانت
كتب عبد الملك الى الحجاج متصلة يامره بتعاهد عروة وان لا يسوءه
منه ٣ في ماله ونفسه فخرج عروة الى الحجاج ورجع الى اخيه فقال له خالد
ابن عبد الله بن خالد بن اسيد وعمر بن عثمان بن عفان يعطيانك امان
عبد الملك على ما احدثت انت ومن معك وان تنزل اي البلاد شئت
من الكلام لك بذلك عهد الله وميثاقه وغير ذلك فابى عبد الله قبول ذلك وقالت له
امه اسما اي بني لا تقبل خطة تخاف على نفسك منها مخافة القتل
مت كريما واياك ان توسر او تعطي بيدك فقال يا امه اني اخاف ان يمثل بي
بعد القتل فقالت يا بني وهل تالم الشاة من الم السلخ شيئا ودخلوا
على ابن الزبير في المسجد وقت الصبح وقد التجا الى البيت وهم ينادون
يا ابن ذات النطاقين **فقال ابن الزبير متمثلا**

وعيرها الواشون اني احبها ... وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

ونظر الى طايفة منهم قد اقبلوا نحوه بالسيوف فقال لاصحابه من هولا
قالوا اهل مصر قال قتلة عثمان امير المومنين ورب الكعبة وحمل عليهم
فضرب رجلا به ادمه فقتله وقال صبرا يا ابن حام وتكاثرت عليه
الرجال من اهل الشام ومصر فلم يزل يضرب فيهم حتى اخرجهم من المسجد
ورجع الى البيت **وهو يقول**

ولست بمبتاع الحيوة بسبة ... ولا ابتغي من رهبة الموت سلما

فاستلم الحجر ثم تكاثروا عليه فحمل عليهم **وقال**

قد سن اصحابك ضرب الاعناق ... وقامت الحرب بنا على ساق

فاتاه حجر فشج جبينه فادماه واوضحه **فقال**

ولسنا على الاعقاب تدمى كلومنا ... ولكن على اقدامنا يقطر الدما

ودلشهم عن المسجد فجمع الحجاج من بقي من اصحابه عند البيت فقال لهم
القوا السيوف وليصنع كل رجل منكم سيفه كما يصنع الجبان لا ينكسر
سيف احدكم فيقعد كالمراه ولا يسال الرجل منكم اين عبد الله من سال
عنه فاني في الرعيل الاول ثم انشا يقول

يا رب ان جنود الشام قد كثروا   وهتكوا من حجاب البيت استارا
يا رب اني ضعيف الركن مضطهد   فابعث الي جنودا انت انصارا

وتكاثر اهل الشام عليه الوفا من كل باب فحمل عليهم فشدخ بالحجارة
فانصرع واكب عليه موليان له واحدهما يقول

العبد يحمي ربه ويحتمي

حتى قتلوا جميعا وتفرق من كان معه من اصحابه وامر به الحجاج فصلب
بمكة وكان مقتله يوم الثلاثاء لاربع عشرة ليلة خلت من جمادي
الاولى سنة ثلاث وسبعين وكلمت امه الحجاج في دفنه
فابى عليها فقالت يا حجاج اشهد لسمعت من رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول يخرج من ثقيف كذاب ومبير فاما الكذاب
فهو المختار واما المبير فما اظنك الا هو وسنذكر لمعا من
اخبار المختار فيما يرد من هذا الكتاب وان كنا قد اتينا على
مبسوطها فيما سلف من كتبنا واقام الحجاج على بلد المدينة والحجاز
واليمن واليمامة ثلاث سنين ثم جمع له العراق بعد موت بشر بن مروان
بالبصرة ومات جابر بن عبد الله الانصاري في ايام عبد الملك
ابن مروان بالمدينة وذلك في سنة ثمان وسبعين وقد
ذهب بصره وهو ابن نيف وتسعين سنة وقد كان قدم الى عند
معوية بدمشق فلم ياذن له اياما فلما اذن له قال يا معوية اما
سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول من حجب
ذا فاقة وحاجة حجبه الله يوم فاقته وحاجته فغضب
معاوية وقال انت سمعته يقول انكم ستلقون بعدي اثرة فاصبروا
حتى تردوا علي الحوض افلا صبرت قال ذكرتني ما نسيت وخرج
فاستوى على راحلته ومضى فوجه اليه معاوية بستماية دينار
فردها اليه وكتب يقول

واني لاختار القنوع على الغنى   اذا اجتمعا والماء بالبارد المحض
واقضي على نفسي اذا الامر نابني   وفي الناس من يقضي عليه ولا يقضي

والبس اثواب الحياة ولا ارى   مكان الغنا ولا اهيب له عرضي

وقال لرسوله قل له يا ابن آكلة الاكباد والله لا وجدت في
صحيفتك حسنة انا سببها ابدا ومات محمد بن علي بن ابي طالب بن
الحنفية سنة احدى وثمانين في ايامه بالمدينة ودفن بالبقيع
وصلى عليه ابان بن عثمان باذن ابنه ابي هاشم وكان محمد يكنى بابي
القسم وقبض وهو ابن خمس وستين سنة وقيل انه خرج هاربا
من ابن الزبير الى الطايف فمات بها وقيل انه مات بايلة وقد تنوزع
في موضع قبره وقد قدمنا قول الكيسانية فيه ومن قال انه بجبل رضوى
وكان له من الولد الحسن وابو هاشم وعبد الله وجعفر الاكبر
وحمزة وعلي لام ولد وجعفر الاصغر وعون امهما ام جعفر والقسم
وابرهيم حدثنا نصر بن علي قال حدثنا ابو احمد الزبيري عن
يونس بن ابي اسحق قال حدثنا سهل بن عبيد بن عمرو الخابوري
قال كتب ابن الحنفية الى عبد الملك ان الحجاج قد قدم الى بلادنا وقد
خفته واريد ان تجعل له علي سلطانا بيد ولا لسان فكتب
عبد الملك الى الحجاج ان محمد بن الحنفية كتب الي يستعفيني منك
وقد اخرجت يدك عنه فلم اجعل لك عليه سلطانا بيد ولا لسان
فلا تتعرض له فلقيه في الطواف فعض على شفته ثم قال لم ياذن لي
فيك امير المومنين فقال له محمد ويحك اما علمت ان لله تبارك وتعالى
في كل يوم وليلة ثلاثماية وستين لحظة او قال نظرة لعله ان ينظر الي
منها نظرة او قال لحظة فيرحمني فلا يجعل لك علي سلطانا بيد ولا لسان
فكتب بها الحجاج الى ملك الروم وكان توعده فكتب اليه ملك الروم
ليست من سجيتك ولا سجية ابائك ما قالها الا نبي او رجل من اهل
بيت نبي وذكر الشعبي قال انفذني عبد الملك الى ملك الروم فلما
وصلت اليه جعل لا يسالني عن شيء الا اجبته وكانت الرسل
لا تطيل الاقامة عنده فحبسني اياما كثيرة حتى استحثثت خروجي
فلما اردت الانصراف قال لي من اهل بيت المملكة انت قلت لا ولكني رجل
رجل من العرب في الجملة فهمس بشي ودفع الي رقعة وقال لي
اذا اديت الرسايل الى صاحبك فاوصل اليه هذه الرقعة قال
فاديت الرسايل عند وصولي الى عبد الملك وانسيت الرقعة
فلما صرت في بعض الدار اريد الخروج تذكرتها فاوصلتها اليه

فلما قراها قال لي اقال لك شيئا قبل ان يدفعها اليك قلت نعم قال لي
من بيت المملكة انت قلت لا ولكني رجل من العرب في الجملة ثم خرجت من
عنده فلما بلغت الباب رددت فلما مثلت بين يديه قال اتدري
ما في الرقعة قلت لا قال اقراها فقراتها فاذا فيها عجبت من قوم فيهم مثل
هذا كيف ملكوا غيره فقلت والله لو علمت ما حملتها وانما قال هذا لانه لم
يرك واراد ان يغريني بقتلك قال فنادى ذلك الى ملك الروم فقال ما
اردت الا ما قال وذكر عند معوية عبد الملك فقيل هو اخذ بثلاث
وتارك لثلاث اخذ بقلوب الناس اذا حدث وبحسن الاستماع اذا حدث
وبايسر الامرين اذا خولف تارك للمماراة تارك للرهبة تارك لما
يعتذر منه وقال عبد الملك لبعض جلسائه اريد الخلوة بك فلما خلا
به قال له عبد الملك بشرط ترك ثلاث خصال لا تنظر نفسي عندي فاني
اعلم بها ولا تغتب عندي احدا فلست اسمع منك ولا تكذبني
فلا راي لكذوب قال افتاذن لي في الانصراف قال اذا شئت
وذكر الهيثم وغيره من الاخباريين ان عبد الملك بلغه عن عامل من
عماله انه قبل الهدايا فاشخصه اليه فلما دخل عليه قال اقبلت هدية
منذ وليتك قال يا امير المؤمنين بلادك عامرة وخراجك موفور ورعيتك
على افضل حال قال اجب فيما سالتك عنه اقبلت هدية منذ وليتك قال
نعم قال لئن كنت قبلت ولم تعوض فانك لئيم ولئن كنت انلته مهديها من
غير مالك او استكفيته ما لم يكن مثله يستكفاه انك لخائن خائن وما
فيما اتيت تخلو فيه من زيادة وخيانة وجهل مصطنع واعرض فيه
عن عمله وحدث المقري عن العتبي قال الوليد بن اسحق قال ابو عياش
كانت عاتكة بنت يزيد بن معوية وامها ام كلثوم بنت عبد الله بن عامر تحت
عبد الملك بن مروان فغضبت عليه فطلب رضاها بكل شيء فابت عليه
وكانت احب الناس اليه فشكى ذلك الى خاصته فقال له عمرو بن بلال رجل
من بني اسد كان قد زوج بنت زنباع الجذامي ما لي عليك ان ارضيها
قال حكمك فخرج وجلس ببابها يبكي فقالت لخاصتها ما بال ابا
حفص قال فزعت الى ابنة عمي فاستاذني لي عليها فاذنت له وبينهما
ستر قال قد عرفت حالي مع امير المؤمنين معوية ويزيد ومروان
وعبد الملك ولم يكن لي غير ابنين فعدا احدهما على الآخر فقتله فقال
امير المؤمنين انا قاتل المتعدي قلت انا ولي الدم قد عفوت قال علي

فقال ما احب ان اعوم رعيتي هذا وهو قاتل بالغداة فانشدك
الله الا ما طلبتيه منه فقالت لا اكلمه قلت ما اظنك تستبقين شيئا هو افضل
من احياء نفس ولم يزل بها خواصها وخدمها وحاشيتها حتى قالت
علي بثيابي فلبستها وكان بينها وبين عبد الملك باب وكانت قد ردمته
فامرت بفتحه ثم اقبلت فاقبل الخصي يشتد فقال يا امير المؤمنين
هذه عاتكة قال ويلك ورايتها قال نعم اذ طلعت وعبد الملك على
سريره فسلمت فسكت فقالت والله لولا مكان عمرو بن بلال
ما اتيتك ان احد ابنيه على الآخر فقتله وهو ولي الدم وقد
عفا عنه وعزمت عليه لتقتله قال اي والله وهو راغم فاخذت
بيده فاعرض عنها فاخذت برجله فقبلتها فقال هو لك ورضيا
وراح عبد الملك وجلس مجلسه للخاصة فدخل عمرو بن بلال
فقال له يا ابا حفص لطفت الحيلة في القيادة ولك الحكم فقال
يا امير المؤمنين الف دينار ومزرعة بما فيها من الرقيق والآلة قال
هي لك وفرائض لولدي واهل بيتي قال لك ذلك كله وبلغ عاتكة
الخبر فقالت ويلي على القواد انما خدعني وكتب عبد
الملك الى الحجاج ان صف لي الفتنة فكتب اليه ان الفتنة تشب
بالنجوى وتحص بالشكوى وتنتج بالخطب فكتب اليه عبد الملك
انك قد اصبت واحسنت فان اردت ان لا يستقيم لك ما
قبلك فخذهم بالجماعة واعطهم عطاء الفرقة والصق بهم الحاجة
وحدثنا المنقري قال حدثنا ابو الوليد الصباح بن الوليد
قال حدثنا ابو رياش ضمرة بن ثعلبة عن مغلس بن سابق الذهلي
ثم السكسكي ان عبد الملك لما بلغه خلع ابن الاشعث صعد
المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان اهل العراق قد استعجلوا
قدري قبل انقضاء اجلي اللهم لا تسلطنا على من هو خير منا
ولا تسلط علينا من نحن خير منه اللهم سلط سيف اهل الشام
على اهل العراق حتى يبلغ رضاك فاذا بلغه فلا تجاوز به
سخطك وكتب عبد الملك الى الحجاج انما انت سالم فلم يعرف
الحجاج ما اراد بذلك فكتب الى قتيبة يساله عن ذلك وبعث الكتاب
مع رسول فلما قرا الكتاب خرج فتخلى واستحيا فقرا قتيبة
الكتاب واراد ان يقول له اقعد قال اضرط قال قد فعلت

فاستحيا قتيبة وقال بما اردت الان اقول لك اقعد فغلطت
فقال قد غلطت انا وغلطت انت قال قتيبة ولا سوا اغلط
انا في فمي وتغلط انت في استك اعلم الامير ان ساكان عند الرجل
وكان عند ابا اداكان يسمي بها البدلشيد فقال

«بديرون في سالم وادير هم   وجلدة بين العين والانف سالم»

قال عبد الملك انه عندي بمنزلة سالم فلما الي الحجاج
بالرسالة كتب له عهدا علي خراسان وقد حكي
نحو هذا الخبر عن رجل كان في مجلس خالد بن عبد الله القسري
فقرط فلما حضر الغدا قام ذلك الرجل فقال له خالد اقعد
فتاني فقال له خالد اقسمت عليك لتضرطن قال قد فعلت
فخجل خالد واعتذر اليه وامر له بمال واهدى الي عبد الملك
ترسة مكللة باللولو والياقوت فاعجبته وعنده جماعة من
خاصته واهل خلوته فقال الرجل من جلسائه اسمه خالد اعمى
منع ترسا واحدا واراد ان يمتحن صلابته فقام فغمز فضرط
فاستحيا عبد الملك وضحك جلساوه فقال كم دية الضرطة
فقال بعضهم اربعماية درهم وقطيفة فامر له بذلك فانشا رجل من القوم

«ايضرط خالد من غمز ترس   ويحبى الامير بها بدورا»
«فيا لك ضرطة جلبت غناء   ويا لك ضرطة اغنت فقيرا»
«يود الناس لو ضرطوا افنا لوا   من المال الذي اعطي يسيرا»
«ولم يعلم بان الضرط يغني   فاضرط اصلح الله الاميرا»

فقال عبد الملك لعطوه اربعة الاف درهم والحاجة لنا في ضراطك
حدثنا الجهني سعيد الدمشقي والطوسي وغيرهما في كتاب
الاخبار المعروفة بالموفقيات عن الزبير بن بكار قال حدثنا
الزبير قال حدثنا محمد بن بكار بن عبد الرحمن بن محمد بن زايد بن عزبة
ابن المهلب قال حج عبد الملك في بعض اعوامه فامر الناس
بالعطايا فخرجت بدرة مكتوب عليها من الصدقة فابي اهل المدينة
قبولها وقالوا انما كان عطاونا من الفي فقال عبد الملك وهو
علي المنبر يا معاشر قريش مثلنا ومثلكم ان اخوين في الجاهلية خرجا
مسافرين فنزلا في ظل شجرة تحت صفاة فلما دنا الرواح خرجت
اليهما من تحت الصفاة حية تحمل دينارا فالقته اليهما فقالا ان هذا لمن

لكن

لكنه فاقاما عليه ثلاثة ايام كل يوم تخرج اليهما دينارا فقال احدهما
لصاحبه الي متي ننتظر هذه الحية لا نقتلها ونحفر عن هذا الكنز فنأخذه
فنهاه اخوه وقال ما تدري لعلك تعطب ولا تدرك المال فابي
عليه واخذ فاسا معه ورصد الحية حتي خرجت فضربها ضربة
جرحت راسها ولم يقتلها فبادرت الحية اليه فقتلته ورجعت
الي جحرها فقام اخوه فدفنه حتي اذا كان من الغد خرجت الحية
معصوبا راسها ليس معها شي فقال لها واسبا هذه اني
ما رضيت ما اصابك ولقد نهيت اخي عن ذلك فهل لك ان تجعلي الله
بيننا ان لا تضريني ولا اضربك وترجعي الي ما كنت عليه فقالت الحية لا
قال ولم ذلك قالت لاني اعلم ان نفسك لا تطيب لي ابدا وانت تري قبر
اخيك ونفسي لا تطيب لك ابدا وانا اذكر هذه الشجة وانشدهم في ذلك شعر

«فالني اجد قبرا رآه مقابلي   وضربة فاس فوق راسي فاغره»

فيا معشر قريش وليكم عمر بن الخطاب فكان فظا غليظا مضيقا
عليكم فسمعتم له واطعتم ثم وليكم عثمان فكان سهلا لينا فعدوتم
عليه فقتلتموه وبعثنا عليكم مسلما فقتلناكم يوم الحرة فنحن
نعلم يا معشر قريش انكم لا تحبونا ابدا وانتم تذكرون يوم الحرة ونحن
لا نحبكم ابدا ونحن نذكر مقتل عثمان وذكر المدايني وابن داب
ان روح بن زنباع جليس عبد الملك راي منه اعراضا وجفوة
فقال للوليد بن عبد الملك ما تري ما انا فيه من امير المومنين باعراضه
عني بوجهه حتي لقد فرغت السباع افواهها لتهوي واهوت
بمخالبها الي وجهي فقال له الوليد احتل له في حديث تضحكه
كما احتال مرزبان نديم سابور ملك فارس قال روح وما كان من خبره
مع سابور قال الوليد كان مرزبان هذا من سمار سابور فطبرت له من
سابور جفوة فلما علم ذلك تعلم نبيح الكلاب وعوي الذياب ونهيق
الحمير وزقاء الديكة وشحيج البغال وصهيل الخيل ومثل
هذا ثم احتال حتي يوصل الي موضع يقرب من مجلس خلوة الملك
وفراشه واخفي امره فلما خلي الملك نبح نباح الكلاب فلم يشك الملك
انه كلب فقال انظروا ما هذا فعوي عوي الذياب فرتب الملك
عن سريره فنهق نهاق الحمير فضحك الملك ثم دنا ومضى الغلمان يتبعون
الصوت واخذ صوتا اخر من اصوات البهايم فاتجموا عنه ثم اجتمعوا

الصوت كلما تقو لعبدي لعل

عليه فتنحوا او اخرجوا فلما نظروا اليه قالوا للملك هذا مزبان المضحك فضحك الملك ضحكا شديدا وقال له ويلك ما حملك على هذا قال ان الله مسخني كلبا ودبا وحمارا وكل خلق لما غضبت فامر الملك بالخلع عليه ورده الى مرتبته الذي كان فيها وتجدد للملك به سرور فقال روح للوليد اذا اطمان المجلس يا امير المومنين فسلني عن عبد الله بن عمر هل كان يمزح او يسمع مزاحا قال الوليد افعل وكان ابن عمر صاحب سمت لا يمزح ولا يعرف شيا من المزاح فتقدم الوليد وسبقه الى الدخول فتبعه روح فلما اطمان بهم المجلس عند الوليد قال لروح يا ابا زرعة هل كان ابن عمر يمزح او يسمع المزاح قال روح حدثني ابن ابي عتيق ان امراته عاتكة بنت عبد الرحمن المخزومية هجته فقالت

ذهب الاله بما تعيش به ... وقمرت عيشك ايما قمر
انفقت مالك غير محتشم ... في كل زانية وفي الخمر

وكان ابن عتيق صاحب غزل وفكاهة فاخذ هذين البيتين في رقعة فاذا هو بابن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن انظر في هذه الرقعة واشر علي برايك فيها فلما قراها عبد الله استرجع فقال له ما ترى فيمن هجاني بهذا الشعر قال ارى ان تعفو وتصفح قال والله يا ابا عبد الرحمن لئن لقيت صاحبه لانيكنه نيكا شديدا فاخذ ابن عمر افكل من غضبه واربد لونه وقال مالك غضب الله عليك قال ثم افترقا فلما كان بعض ايام لقيه فاعرض عنه ابن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن لقيت صاحب البيتين فنكته فصعق عبد الله فلما راى ما حل به دنا منه وقال له في اذنه انها امراتي فقام ابن عمر فقبل ما بين عينيه وضحك وقال احسنت فزدها فضحك عبد الملك حتى فحص برجله وقال له قاتلك الله يا روح ما اطيب حديثك ومد يده اليه روح فاقبل عليه يقبل اطرافه وقال يا امير المومنين الذنب فلعنة راد الملائكة فاصبر وارجع عليهم قال لا والله ما ذلك لشي بل رهبة ثم عاد الى احسن حالاته وقد حكي مثل هذا لعبد الملك بن مهلهل الهمداني وكان سمير السلطان سليمان بن المنصور وكان سليمان قد جفاه فاتاه يوما في قائم الظهيرة واحتدام الهجير فاستاذن فقال له الحاجب ليس هذا بوقت اذن على الامير فقال له اعلمه بمكاني فاستاذن له فقال ائذن له

دعوه

الاطمان عمر يمزح يا ابا

الافكل الرعدة واربد تغير لونه الى الغبرة

صعق غشي عليه

من يسيل قائما ويخفف فخرج الحاجب فاذن له وامره بالتخفيف فدخل فسلم قائما ثم قال اصلح الله الامير اني انصرفت من المجلس نحو منزلي وقد امسيت فبينما انا في طريقي اذا اذن موذن فلما نعت ثم صعدت الى مجلس مغلق فصعدت ثم صعدت ثم صعدت قال سليمان فبلغت السماء فكان ماذا فقال فتعلم انسان اما لو كنت واما ما طالني فافهم القوم بكلام ما افهمه ولغتهم ما اعرفها فقال له ويل الكل زنه زماماه وعدده يريد ويل للكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده فاذا خلفه سكران ما يعقل سكرا فلما سمع قرانه ضرب بيديه ورجليه

وجعل يقول

ان عندكم من تلكم اين عنتلي ... دونكم في حرام فاريد ومصلكم

فضحك سليمان حتى رجع على فراشه وقال ادن مني يا ابا محمد فانت الطيب ابن الطيب ثم دعا له بخلعة فقال الزم الباب واغد الي كل يوم وعاد الى احسن حالاته عنده

ذكر شي من اخبار الحجاج وخطبه وما كان منه في بعض افعاله

قال المسعودي

كانت ام الحجاج عند الحرث بن كلدة فدخل عليها في السحر فوجدها تتخلل فبعث اليها بطلاقها فقالت لم بعثت الي بطلاقي الشي رابك مني قال نعم دخلت عليك عند السحر وانت تتخللين فان كنت بادرت الى الغداء فانت شرهة وان كنت بت والطعام بين اسنانك فانت قذرة فقالت كل ذلك لم يكن ولكنني تخللت من شظايا السواك فتزوجها بعده يوسف بن ابي عقيل الثقفي ابو الحجاج فولدت له الحجاج مشوها لا دبر له فنقب عن دبره وابى ان يقبل ثدي امه وغيرها فاعياهم امره فيقال ان الشيطان تصور لهم في صورة الحرث بن كلدة فقال ما خبركم فقالوا ابن ولد ليوسف من الفارعة وكان اسمها وقد ابى ان يقبل ثديا لامه او غيرها فقال اذبحوا جديا اسود واولغوه دمه فاذا كان في اليوم الثاني فافعلوا به ذلك فاذا كان في اليوم الثالث فاذبحوا له تيسا اسود واولغوه دمه ثم اذبحوا له اسود سالخا فاولغوه دمه واطلوا به وجهه فانه يقبل الثدي في اليوم الرابع قال ففعلوا به ذلك فكان لا يصبر عن سفك الدماء لما كان منه في بدء امره هذا وكان الحجاج يخبر عن نفسه ان اكبر لذاته سفك الدماء وارتكاب امور لا يقدم عليها غيره

ذكر الحجاج وخطبه واقواله وافعاله

ولا يسبق اليه سواه حدثنا ابو محمد جعفر بن محمد بن سليمان بن
داود البصري المقري قال حدثنا ابن عايشة مغيرة قال سمعت
ابي يقول لما غلبت الخوارج على البصرة بعث اليهم عبد الملك جيشا
فانهزموا ثم بعث اليهم آخر فانهزموا فقال من للبصرة والخوارج فقيل
له ليس لهم الا المهلب بن ابي صفرة فبعث الى المهلب فقال علي
ان لي الخراج بما اجليتهم عنه فقال اذا تشركني في ملكي قال فثلثاه ان م
قال لا قال فنصفه قال والله لا انقص شيا على ما انحي بالرجال فان
انحللت قد حويتك على فولى عبد الملك على العراق رجالا ضعيفا
فجعل يقل بعث المهلب حتى جاءت الخوارج فركبت دجلة فكتب المهلب
الى عبد الملك انه ليس عندي رجال اقاتل بهم فان بعثت الي بالرجال
والا خليت بينهم وبين البصرة فخرج عبد الملك الى اصحابه فقال
ويلكم من للعراق فسكتوا فقام الحجاج فقال انا لها فقال اجلس ثم قال
ويلكم من للعراق فسكتوا فقام الحجاج فقال انا لها والله يا امير المومنين
فقال انت زنبورها فكتب له عهده فلما بلغ العراق سيره امر الجيش
ان يقتلوا او يتروحوا وراه ودعا بجمل عليه قتب فجلس عليه بغير
حشية ولا وطاء واخذ الكتاب بيده ولبس ثياب السفر
وتعمم بعمامته حتى دخل الكوفة وحده فجعل ينادي الصلاة جامعة
وما منهم رجل جالس في مجلسه الا وبعد العسر قرب المدنون
واكثرهم ذكر اهليه ومواليه فقال بعضهم لبعض قوموا الى
خصيه ودخل محمد بن عمير الدارمي في مواليه فلما نظر الى الحجاج
جالسا على المنبر العير ولا ينطق قال الا [illegible] حين يولون
العراق مثل هذا لقد ضيع الله العراق حيث يولي مثل هذا امير الها
ثم ضرب بيده الى حصى المسجد ليحصبه فقال والله لو وجدوا ادم منه
لبعثوا به الينا فلما هم ان يحصبه قال له بعض اهل بيته اصلحك الله كف
عن الرجل حتى نسمع ما يقول فمن قائل يقول حصر الرجل فلم يقدر على الكلام
ومن قائل يقول اعرابي ما اتجه فلما غص المسجد باهله حسر اللثام عن
وجهه ثم قال ونحا العمامة عن راسه فوالله ما حمد الله ولا اثنى عليه ولا صلى
على رسوله وكان اول ما قال هذا الشعر

انا ابن جلا وطلاع الثنايا ... متى اضع العمامة تعرفوني

اي والله لاري ابصارا طامحة واعناقا متطاولة ورؤوسا قد اينعت

وحان قطافها واني لصاحبها كاني الى الدماء ترقرق بين العمائم واللحى

هذا اوان الشد فاشتدي زيم ... قد لفها الليل بسواق حطم
ليس براعي ابل ولا غنم ... ولا بجزار على ظهر وضم

وقال
قد لفها الليل بعصلبي ... اروع خراج من الدوي
مهاجر ليس باعرابي

وقال
قد شمرت عن ساقها فجدوا ... والقوس فيها وتر عرد
مثل ذراع البكر او اشد

ان امير المومنين نثل كنانته فوجدني امرها طعما واحدها سنانا واقواها
قدحا فان تستقيموا تستقيم لكم الامور وان تاخذوا في ثنيات الطريق
تجدوني بكل مرصد والله لا اقيل لكم عثرة ولا اقبل منكم معذرة
يا اهل العراق يا اهل الشقاق والنفاق ومساوي الاخلاق والله
ما يقعقع لي بالشنان ولقد فررت عن ذكاء وفتشت عن تجربة والله لالحونكم
لحو العصا ولاعصبنكم عصب السلمة ولاضربنكم ضرب غرائب الابل
ولاقرعنكم قرع المروة يا اهل العراق طال ما اوضعتم في الضلالة وسلكتم
سبل الغواية وسننتم سنن السوء وتماديتم في الجهالة يا عبيد العصا
انح واولاد الزنا انا الحجاج بن يوسف والله لا اعد الا وفيت ولا اخلق
الا فريت اياكم وهذه الزرافات والجماعات وقال وقيل وما هو كائن وما
انتم وذاك يا بني اللكيعة لينظر الرجل في امر نفسه وليحذر ان يكون من فرائسي
يا اهل العراق انما انتم كما قال الله عز وجل وضرب الله مثلا قرية كانت
امنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها
الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون فاستوسقوا واستقيموا واعتدلوا لو
ولا تميلوا وشايعوا وتابعوا واخضعوا واعلموا انه ليس مني الاكثار د
والاهدار ولا الفرار والنفار وانما هو انتضاء السيف ثم لا اغمده
شتاء ولا صيف حتى يقيم الله اودكم لامير المومنين ويذل له صعبكم
اني نظرت فوجدت الصدق مع البر ووجدت البر في الجنة ووجدت
الكذب مع الفجور ووجدت الفجور في النار الا وان امير المومنين امر باعطائكم
ثلاثا عطياتكم واشخاصكم الى محاربة عدوكم مع المهلب وقد امرتكم بذلك
واجلتكم واعطيت الله عهدا ياخذني به ويستوفيه مني لا اجد احدا من
بعث المهلب بعد ثالثة الا ضربت عنقه وانتهبت ماله يا غلام اقرا عليهم كتاب
امير المومنين فقال الكاتب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الملك امير المومنين

وحان

الى من بالعراق من المسلمين والمومنين سلام عليكم فاني احمد الله الذي لا اله الا
الله فقال الحجاج اسكت يا غلام ثم قال مغضبا يا اهل العراق يا اهل الشقاق
والنفاق ومساوي الاخلاق يا اهل الزيغ والضلال يسلم عليكم امير المومنين
فلا تردون عليه السلام اما والله لين بقيت لكم لاخوتكم نحو العود ولاودبنكم
ادبا سوى هذا الادب هذا ادب ابن نهيه وهو صاحب شرطه كان بالكوفه
اقرا يا غلام الكتاب فلما بلغ اهل المسجد وعلى امير المومنين عليه السلام
ورحمه الله وبركاته ثم نزل وامر الناس باعطاياتهم والمهلب يومئذ يقاتل
الازارقه فلما كان في اليوم الثالث جلس الحجاج بنفسه يعرض الناس فقرب
عمير بن ضابي البرجمي ثم احد بني حنظله وكان من اشراف اهل الكوفه وكان في
بعث المهلب فقال اصلح الله الامير اني شيخ كبير زمن عليل ضعيف
ولي عده اولاد فليختر الامير ايهم شا مكاني اشدهم ظهرا او ارجحهم
فرسا واتمهم اداه فقال الحجاج لا باس بشاب مكان شيخ فلما ولى قال
عنبسه بن سعيد ومالك بن اسما اصلح الله الامير اتعرف هذا قال لا قال
هو عمير بن ضابي التميمي الذي وثب على امير المومنين عثمان وهو مقتول
فكسر ضلعا من اضلاعه فقال الحجاج علي به فقال ايها الشيخ انت الواثب
على امير المومنين عثمان بعد قتله والكاسر ضلعا من اضلاعه فقال انه
كان حبس ابي شيخا كبيرا ضعيفا فلم يطلقه حتى مات في حبسه
فقال الحجاج اما امير المومنين عثمان فتغزوه بنفسك واما الازارقه
فتبعث اليهم بالبدل اوليس ابوك الذي **يقول**

هممت ولم افعل وكدت وليتني ... تركت على عثمان تبكي حلايله

اما والله لان في قتلك ايها الشيخ صلاح المصرين ثم اقبل يصعد
بصره اليه ويعض على لحيته مره ويرخيها اخرى ثم اقبل عليه فقال
يا عمير سمعت مقالتي على المنبر قال نعم قال والله اني لاستحيي بمثلي ان يكون
لذابا قم اليه يا حرسي فاضرب عنقه ففعل فلما قتل ركب الناس
كل صعب وذلول يلحق وجعل يريد من المهلب فازدحموا على الجسر
حتى سقط بعض الناس في الفرات فاتاه صاحب الجسر فقال اصلح
الله الامير قد سقط الناس قال ويحك وما ذلك قال اهل هذا
البعث قد ازدحموا على الجسر فضاق بهم قال انطلق فاعقد
لهم جسرين وفي ذلك يقول عبد الله بن الزبير الاسدي يذكر عميرا حين
اذ كان عند الحمامين لقيه رجل من قومه يقال له ابراهيم فقال له

فقال له ابن الزبير الشاعر هلك عمير بن ضابي من بعث المهلب **وانشا يقول**

اقول لابراهيم لما لقيته ... ارى الامر امسى هالكا متشعبا
تجهز فاما ان تزور ابن ضابي ... عميرا واما ان تزور المهلبا
هما خطتا خسف نجاوك منهما ... ركوبك حوليا من الثلج اشهبا
فاضحى ولو كانت خراسان دونه ... راها مكان السوق او هي اقربا
والا فما الحجاج مغمد سيفه ... يدا الدهر حتى يترك الطفل اشيبا

وفر جماعه الناس هرابا الى السواد وارسلوا الى اهاليهم زودونا
ونحن بمكاننا وقال الحجاج لصاحب الجسر افتح ولا تخل
بين احد وبين الخروج ووجه الجيش الى المهلب فما اتى على المهلب
عشره حتى ازدحموا عليه فقال من هذا الذي استعمل على العراق
هذا والله ذكر من الرجال تولى والله العراق ولن شا الله وقد كان
الحجاج استعمل عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث على سجستان
ونسبه الى الرخج يحارب من هنالك من امم الترك وهم انواع من
الترك يقال لهم الغوز والخلج وحارب من يلي البلاد من ملوك الهند
مثل رتبيل وغيره فقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب مراتب
ملوك الهند وغيرهم من ملوك العالم وذكرنا ممالك كل واحد منهم
والصقع الذي هو اولى به وذوي السمات منهم وبينا ان كل ملك
مما يلي هذا الصقع من بلاد الهند يدعى رتبيل فخلع ابن الاشعث
طاعه الحجاج وصار الى بلاد كرمان ومنها خلع عبد الملك وانقاد
الى طاعته اهل الري والجبال مما يلي الكوفه والبصره وغيرها وصار
الحجاج الى البصره وصار ابن الاشعث فكانت لهم حروب

وفي عبد الرحمن بن الاشعث يقول الشاعر

خلع الملوك وصار تحت لوايه ... شجر العرى وعراعر الاقوام

وكتب الحجاج بن يوسف الى عبد الملك بخبر ابن الاشعث فكتب
اليه عبد الملك لعمري لقد خلع طاعه الله بيمينه وكتابه بشماله
وخرج من الدين عريانا واني لارجو ان يكون هلاكه وهلاك اهل
بيته على يدي امير المومنين وما جوابي عندي في خلع الطاعه

الا بقول القايل

اناه وحلما وانتظارا بهم غدا ... فما انا بالفاني ولا الضرع الغمر
الحزم صروف الدهر والجهل منهم ... ستحملهم مني على مركب وعر

ألم تعلموا أني تخاف عزائمي ... وأن قناتي لا تلين على الكسر

ودخل ابن الأشعث الكوفة فكتب الحجاج إلى عبد الملك فذكر خبر خروج
ابن الأشعث ولزمها ويستنجد عبد الملك فيما له المواد ويقول في
كتابه واغوثاه واغوثاه واغوثاه فأمده بالجيوش وكتب إليه يا لبيك
يا لبيك يا لبيك فالتقى الحجاج وعبد الرحمن بن الأشعث بالموضع المعروف
بدير الجماجم فكانت بينهم وقائع نيف وثمانون وقعة تفانى فيها الخلق
وذلك في سنة اثنين وثمانين فكانت على ابن الأشعث فمضى حتى
انتهى إلى ملوك الهند ولم يزل الحجاج يحتال في أمره حتى قتل وأتي
برأسه فصعد المنبر بالكوفة فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله وقال
يا أهل العراق إن الشيطان استبطنكم فخالط اللحم منكم والعظم والعصب
والأعضاء وجرى منكم مجرى الدم وأفضى إلى الأضلاع والأمخاخ
فحشاها شقاقا وخلافا ونفاقا ثم ارتفع فعشش
وباض فيه وفرخ اتخذتموه دليلا تتبعونه ألستم أصحابي بالأهواز
حين سعيتم بالغدر واجتمعتم على الكفر وحسبتم أن الله يخذل دينه
وخلافته وأنا أرميكم بطرفي وأنتم تتسللون لواذا وتنهزمون
سراعا متفرقين كل امرئ منكم على عنقه السيف ...
ويوم الزاوية وما يوم الزاوية بها كان فشلكم وتخاذلكم وبراءة الله
منكم ونكوص وليكم ... للسيوف ... لا يسأل الرجل عن بنيه
ولا يلوي امرؤ منكم على أخيه حتى عضكم السلاح ونهشتكم الرماح
ويوم دير الجماجم وما يوم دير الجماجم بها كانت الملاحم والمعارك
العظام

بضرب يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله

فما الذي أرجو منكم يا أهل العراق أما الذي أتوقعه ولماذا
أستبقيكم ولأي شيء أدخركم للفجرات بعد الغدرات أم للنزوات
بعد النزوات وما الذي أرقب فيكم وما الذي أنتظر بكم إن بعثتكم
إلى ثغوركم جبنتم وإن أمنتم ... وإن خفتم نافقتم لا تجزون بحسنة
ولا تشكرون نعمة يا أهل العراق وهل استنبحكم نابح واستشلاكم
غاو واستخفكم ناكث أو استنفركم عاص إلا تابعتموه وبايعتموه
ولنصرتموه يا أهل العراق هل شغب شاغب أو نعب ناعب أو زفر كاذب
إلا كنتم أشياعه وأنصاره يا أهل العراق لم تنفعكم التجارب ولم تعظكم

المواعظ وتعظكم الوقائع هل نجح في صدوركم ما أوقع الله في قلوبكم
بكم عند مصادر المواعظ ومواردها يا أهل الشام أنا لكم كالظليم
الرامح عن فراخه ينفي عنهن القذر ويكفيهن من المطر ويحميهن
من الذباب ويحميهن من سائر الدواب لا يخلص إليهن بعوض فراش
ولا ينقض إليهن نادي يا أهل الشام أنتم العدة والجند في الحرب
إن حاربت محارب أو جانبت مجانب وما أنتم وأهل العراق إلا كما

قال نابغة بن جعدة

وإن يدّعهم حسن ظلكم ... ولم يرزقوه ولم يكذب
كقول اليهود قتلنا المسيح ... ولم يقتلوه ولم يصلب

وهي أبيات ولما أسرف الحجاج في قتل أسارى دير الجماجم وإعطاء
الأموال بلغ ذلك عبد الملك فكتب إليه أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين
سرفك في الدماء وتبذير الأموال ولا يحتمل أمير المؤمنين هاتين الخصلتين لأحد
من الناس وقد حكم عليك أمير المؤمنين في الدماء في الخطأ بالدية وفي
العمد بالقود وفي الأموال ردها إلى مواضعها ثم العمل فيها برأيه فإنما أمير المؤمنين
أمين الله وسيان عنده منع حق وإعطاء باطل فإن كنت أردت الناس
لم فما أغناهم عنك وإن كنت أردتهم لنفسك فما أغناك عنهم وسيأتيك
من أمير المؤمنين أمران لين وشدة فلا يؤنسنك إلا الطاعة ولا يوحشنك
إلا المعصية وظن بأمير المؤمنين كل شيء إلا احتماله على الخطأ
وإذا أعطاك الله الظفر بقوم فلا تقتلن جانحا ولا أسيرا وكتب في أسفل الكتاب

إذا أنت لم تترك أمورا كرهتها ... وتطلب رضاي بالذي أنا طالبه
وتخشى الذي يخشاه مثلك هاربا ... إلى الله منه ضيع الدر حالبه
فإن تر مني غفلة قرشية ... فيا ربما قد غص بالماء شاربه
فإن تر مني وثبة أموية ... فهذا وهذا كل ذا أنا صاحبه
فلا تأمني والحوادث جمة ... فإنك مجزي بالذي أنت كاسبه
فلا تعد ما يأتيك مني وإن تعد ... تقوم لها يوما عليك نوادبه
ولا ترفعن للناس حمّا علمته ... ولا تقطعن بالملك للناس حاجبه

وهي أبيات من جيد ما اخترناه من شعر عبد الملك فلما قرأ الحجاج كتابه
أجابه أما بعد فقد أتاني كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه سرفي في
الدماء وتبذير الأموال ولعمري ما بلغت في عقوبة أهل المعصية
ما هم أهله ولا قضيت من حق أهل الطاعة ما استحقوه فإن كان قتلي

اولئك العصاة سرفا واعطاء اولئك المطيعين تبذيرا فليسوغني
امير المومنين ما سلف وليحد لي حدا انتهي اليه لا شاله ولا اتوح الابانه
ودو الله ما علي من بر ولا ثوب ولا اصبت القوم خطا فاقيدهم
ولا ظلمتهم فاقاد بهم ولا اعطيت الا لك ولا قتلت الا فيك واما
ما انا فيه من امر بك فاليتهما غرم واعظمهما محنه ووعد عبات للغره
الجلاد ودو الحمد الصبر

وكتب في اسفل الكتاب

اذا انا لم اتبع رضاك واتقي   اذ الفتن في الترد كواكبه
وطلامر بعد الخليفه جنة   نعيد من الامر الذي هو كاسبه
اسالم من سالمت من ذي هواده   ومن لم تسالمه فاني محاربه
اذا فارق الحجاج منك خطيئة   فقامت عليه في الصباح نوادبه
اذا انا لم ادن الشفيق لنصحه   واقص الذي تسري الي عقاربه
فمن يتقي يوما علي حد الزمن الجون   مدا الدهر حتى يرجع الدر حالبه
والا فدعني والامور فانني   شفيق رفيق احكمتني تجاربه

وهي ابيات دهر من جيد ما اخترناه من شعر الحجاج فلما انتهى
كتابه الى عبد الملك قال خاف ابو محمد صولتي ولن اعود لشي يكرهه
وذكر حماد الراويه ان الحجاج سمر ليلة بالكوفه فقال الحرسي
ائتني بمحدث من المسجد فلعرض حاجبيه اعظمها فقال اجب
الامير فانطلق حتى ادخله اليه فلم يسلم ولا نطق حتى قال له الحجاج ايه
ما عندك فقال له الرجل ايه ما عندك فقال الحرسي اخرجه اخرج
نفسه امرتك ان تاتيني بمحدث فاتيتني باعرابي قد ذهب فواده فخرج الحجاج
ومعه صرة دراهم الى المسجد فجعل يناول الناس فياخذونها حتى
انتهى الى شيخ فاعطاه فنبذها فاعادها الحجاج فردها ففعل ذلك
ثلاثا فدنا منه الحجاج وقال انا الحجاج فاخذها ودخل الحجاج القصر
فقال للحرسي الحقني به فدخل فسلم بلسان ذلق وقلب شديد فقال ل
له الحجاج ممن الرجل فقال من بني شيبان فقال ما اسمك قال جبر بن
الجعد قال يا جبر هل قرات القرآن قال قد جمعته في صدري فان
عملت به فقد حفظته وان لم اعمل به فقد ضيعته قال فهل تفرض قال اني
لا افرض للصلب وعوف الخلاف في الجدة قال فهل تبصر الفقه قال اني
لا ابصر ما اقوم به اهلي وارشد به العمي من قومي قال فهل تعرف
النجوم قال اني لاعرف منازل القمر واهتدي بها في السفر قال فهل

تروي الشعر قال اني لاروي المثل والشاهد قال المثل قد عرفناه فما
الشاهد قال اليوم يكون للعرب من ايامها عليه شاهد من الشعر فاني اروي
ذلك الشاهد فاتخذه الحجاج سميرا فلم يكن يطلب شيئا من الحديث الا وجد
عنده منه علما وكان يرى راي الخوارج وكان من اصحاب قطري التميمي
والنجاه وكانت من بني شيبان وانما هو رجل من تميم وكان قطري
يومئذ يحارب المهلب فبلغ قطري ما كان من سابقته مع الحجاج

ابن الفجاءه

فكتب اليه بابيات منها

لشتان ما بين ابن جعد وبيننا   اذا نحن رحنا في الحديد المظاهر
نجالد فرسان المهلب كلنا   صبورا على وقع السيوف البواتر
وراح بحر الحجاج عند اميره   سميرا يتقوى به غير آمر
ابا الجعد ان العلم والحلم والتقى   وميراث آباء كرام العناصر
الم تر ان الموت لابد نازل   ولابد من بعث الاولى في المقابر
حفاة عراة والنبي لديهم   فمن رابح ذي ربح واخر خاسر
فان الذي قد بت تبغي وانما   حياتك في الدنيا لوقعة طائر
فراجع ابا جعد ولا تك مغضيا   على ظلمة اعشت ضياء النواظر
وتب توبة تهدي اليك شهادة   فانك ذو ذنب ولست بكافر
وسر نحونا تلق الجهاد غنيمة   نفد رابتنيك عار الجبان خاسر
هي الغاية القصوى الرغيبة ثوابها   اذا انال في الدنيا الغني من فاجر

فلما قراه جابر بكا وركب فرسه واخذ سلاحه ولحق بقطري وطلبه
الحجاج فلم يقدر عليه ولم يرع الحجاج الا وكتاب قد بدر منه فيه
شعر قطري الذي كان كتب به اليه وفي اسفل الكتاب ابيات
الى الحجاج منها

من مبلغ الحجاج ان سميره   قلى كل دين غير دين الخوارج
راى الناس الا من راى مثل رايه   ملاعين تراكين قصد المخارج
فاقبل نحو الله بالله والتقى   وما كربتي غير الاله بفارج
الى عصبة اما النهار فانهم   هم الاسد اسد الغيل عند التهايج
واما اذا ما الليل جن فانهم   قيام كانواح النساء النوائح
يبادرون بالتحكيم بالله انهم   راوا حكم عمرو كالرياح الهوائج
وحكم ابن قيس مثل ذلك فيهم   بحبل شديد المتن ليس بناهج

فطرح الحجاج هذا الكتاب الى عنبسة بن سعد وقال هذا

من سميدنا الشيباني وهو من الخوارج ولا نعلم به ولابي جعد
سبرة ابن الجعد يمدح الحجاج هذه الاشعار اكثر من مما ولم ابيات

«عجبت لحالات البلاء وللدهر ... وللحين يأتي المرء من حيث لا يدري»
«وللناس يأتون الضلالة بعد ما ... اتاهم من الرحمن نور مع البدر»
«ولله ما يخفى عليه صنيعنا ... حفيظ علينا في المقام وفي السر»
«على فوق عرش فوق سبع ودونه ... سماء ترى الارواح من دونها تجري»

وقد قيل ان هذا الشعر لغيره من الخوارج ولاصناف الخوارج اخبار
حسان من الازارقة والاباضية وغيرهما وقد اتينا على ذكرها في
كتابنا اخبار الزمان والاوسط وذكرنا ما اتفقت عليه الخوارج وجمعت
من الاصول من اكفارهم عثمان وعلي رضي الله عنهما والخروج على الامام
الجائر وتكفيرهم لب الكبائر والبرائة من الحكمين ابي موسى عبد الله بن
قيس الاشعري وعمرو بن العاص السهمي وحكمهما واكفارهم من صوب
حكمهما او رضي به واكفار معوية وناصريه ومقلديه ومحبيه وهذا
ما اتفقت عليه الخوارج وهم الشراة والحرورية ثم اختلفوا بعد ذلك
في مواضع العبادة على التوحيد والوعد والوعيد والاسماء والاحكام
وغير ذلك من ارائهم وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب في ذكر
الحكمين ان اول من حكم بصفين عروة بن اذينة التميمي وقيل
ان اول من حكم بصفين يزيد بن عاصم المحاربي وقيل ان اول من حكم
رجل من بني سعد بن زيد مناة بن تميم وكان اول من شرى بصفين من المحكمة
رجل من بني يشكر وكان من فرسان ربيعة ممن كان مع علي فانه حكم في
ذلك اليوم فانه قال لا حكم الا لله ولا طاعة لمن عصى الله وخرج عن
الصف وحمل على اصحاب علي فقتل منهم رجلا وحمل على اصحاب معوية
فتحاموه ولم يقدر عليه احد منهم وكر على اصحاب علي فقتله همدي
وقد اتى الهيثم بن عدي وابو الحسن المدائني وابو البختري القاضي
وغيرهم في كتبهم على اخبار الخوارج واصنافهم فيما افردوه
من كتبهم وذكر اصحاب المقالات في الاراء والديانات ما شذ عنوا
فيه من مذاهبهم عن اتباعهم في فروعهم وما اجمعوا عليه من اصولهم
وقد اتينا على اكثر ما شذ عنوا فيه من مذاهبهم في كتابنا في المقالات
في اصول الديانات وذكرنا خروج من خرج منهم بعد وقت التحكيم في عصر
عصر الى من خرج منهم ببلاد ربيعة على ابن حمدان وذلك في سنة ٣١٨

وهو المعروف بعرون وخرج ببلاد كفرتوثا وورد الى بلاد نصيبين فكانت
له مع اهلها حروب اسر فيها وقتل منهم خلق كثير والمعروف بابي
شعيب خرج من بني مالك وغيرهم من بني ربيعة وقد كان ادخل الى
المقتدر بالله وقد كان بعد العشرين والثلاثمائة للاباضية ببلاد عمان
مما يلي بلاد بزوي وغيرها حروب وتحكيم وخروج وامام نصبوه
فقتل وقتل من كان معه وفي سنة سبع وسبعين كانت للحجاج
حروب مع شبيب الخارجي وولى عن الحجاج بعد قتل ذريع كان
في اصحابه حتى احصى عددهم بالقصب فدخل الكوفة وتحصن في قصر
الامارة ودخل شبيب وامه وزوجته غزالة الكوفة عند الصباح
وقد كانت غزالة نذرت ان تدخل مسجد الكوفة فتصلي فيه ركعتين
تقرأ فيهما سورة البقرة وال عمران فاتوا الجامع في سبعين رجلا فصلوا
به الغداة وخرجت غزالة مما كان اوجبته على نفسها لربها

فقال الناس بالكوفة في تلك السنة

«وفت غزالة نذرها ... يا رب لا تغفر لها»

وكانت غزالة من الشجاعة والفروسية في موضع عظيم وكذلك كانت
ام شبيب وقد كان عبد الملك حين بلي الحجاج من شبيب بعث من
الشام بعساكر كثيرة عليها سفيان بن الابرد الكلبي لقتال شبيب فقدم
الكوفة على الحجاج فخرجوا على شبيب بخارج فانهزم شبيب وقتلت امه
وغزالة ومضى شبيب في فوارس من اصحابه فاتبعه سفيان من اهل الشام
فلحقه بالاهواز فولى شبيب فلما صار الى جسر دجيل نفر به فرسه
وعليه الحديد الثقيل من درع ومغفر فالقاه في الماء فقال له بعض
اصحابه اغرقا يا امير المؤمنين فقال ذلك تقدير العزيز العليم والقاه
دجيل بشاطئه فحمل على البريد الى الحجاج فامر الحجاج بشق جوفه والتجا ٤٠
قلبه واستخرج فاذا هو كالحجر اذا ضرب به الارض نبا عنها فشق فاذا في
داخله قلب كالكرة فشق فاصيب علقة الدم في داخله وفي سنة
اربع وثمانين قتل ابن القرية بحروب مع ابن الاشعث وانشاه الكتب
ووصفه له الصدور والخطب وكان ابن القرية من البلاغة والعلم والفصاحة
بالموضع الموصوف وقد اتينا على خبر مقتله وما كان من كلامه مع الحجاج وكا ٥
قتله صبرا في الكتاب الاوسط وان قتله اياه بالسيف وقيل بل قام
اليه فضربه الحجاج بحربة في نحره فاتى عليه ولابن القرية اخبار

ثلثة عاقل واحمق وفاجر فاما العاقل فان الدين
شريعته والحلم طبيعته والراي الحسن سجيته واما الاحمق
فان تكلم عجل وان حدث ذهل وان حمل على القبيح حمل واما
الفاجر فان ايتمنته خانك وان صاحبته شانك وان
استكتمته لم يكتم وان علم لم يعلم وان حدث لم يصدق وان فقه لم
يفقه وذكر المداينى عن الحجاج انه لم يكن يطرب لمنادمة منذ
بشاشته واسماحه فى الخلق الا يوم دخلت عليه ليلى الاخيلية فقال لها
بلغنى انك مررت بقبر توبة بن الحمير فعدلت عنه فوالله ما وفيت له
ولو كان هو مكانك وانت مكانه ما عدل عنك قالت اصلح الله الامير
ان لى عذرا قال وما هو قالت انى سمعته يقول

ولو ان ليلى الاخيلية سلمت ... على ودونى جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة او زقا ... اليها صدى من جانب القبر صائح

وكان معى نسوة قد سمعن قوله فكرهت ان اكذبه فاستحسن الحجاج
قولها وقضى حوائجها وانبسط فى محادثتها فلم ير منه بشاشة
واريحية داخلته مثل ذلك اليوم وذكر حماد الراوية غير هذا
الوجه وهو ان زوج ليلى حلف عليها وقد اجتازوا بقبر توبة ان تنزل
وتاتى قبره فتسلم عليه وتكذبه حيث يقول وذكر البيتين المتقدمين
قال وابت ان تفعل فاقسم عليها زوجها ان تفعل فنزلت حتى جاءت
الى القبر ودموعها على صدرها كعزالى السحاب فقالت السلام عليك
يا توبة فلم تستتم الكلمة حتى انفرج القبر عن طاير كالحمامة البيضا
فضرب صدرها فوقعت ميتة فاخذوا فى جهازها وكفنت ودفنت
الى جانب قبره وللعرب فيما ذكرنا كلام كثير على حسب ما قدمناه فيما
سلف من هذا الكتاب فى ارائهم ومذاهبهم فى الهام والصفر
والصدا وقد كانت العرب تعقل الى جانب قبر الميت اذا دفن ناقة
عليها برذعة وحشية يسمونها البلية وقد ضربوا بذلك امثالهم
وذكرها خطباؤهم فى خطبهم فقالوا البلايا على الولايا وقد
كان بعضهم يتطير بالسانح ويتيامن بالبارح وبعضهم يضاد
هذا فيتطير بالبارح ويتيامن بالسانح واهل التيامن بالقعيد
ودليله على حسب ما قدمنا من قول عبيد الراعى فيما سلف من هذا
الكتاب حدثنا المنقرى قال حدثنا عبد العزيز بن الخطاب

الكوفى قال حدثنا فضيل بن مرزوق قال لما غلب بسر بن ابى ارطاة
على اليمن وكان من قتله لابنى عبيد الله بن العباس واهل مكة والمدينة
واليمن ما كان خطب علي فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان بسر بن ارطاة قد غلب
على اليمن والله ما ارى هولاء القوم الا سيغلبون على ما فى ايديكم
وما ذاك بالحق فى ايديهم ولكن بطاعتهم لصاحبهم ومعصيتكم لى
وتناصرهم وتخاذلكم وبصلاحهم فى بلادهم وافسادكم فى بلادكم والله
يا اهل الكوفة لوددت انى صرفتكم صرف الدنانير العشرة بواحد
ثم رفع يديه فقال اللهم انى قد مللتهم وملونى وسئمتهم
وسئمونى فابدلنى بهم خيرا منهم وابدلهم بى شرا منى اللهم
عجل عليهم بالغلام الثقفى الذيال ياكل خضرتها ويلبس فروتها
ويحكم فيها بحكم الجاهلية لا يقبل من محسنها ولا يتجاوز عن
مسيئها قال وما كان ولد الحجاج الجوهرى عن سليمان
ابن ابى شيخ الواسطى عن محمد بن زيد عن سفين بن حسين
قال سال الحجاج حريما الناعم ما النعمة قال الامن فانى رايت
الخائف لا ينتفع بعيش قال زدنى قال لا اجد مزيدا
الجوهرى عن مسلم بن ابرهيم عن الصلت بن دينار قال مرض الحجاج
فارجف اهل الكوفة فلما نقل من المرض صعد المنبر وهو يتوكا على
عواده وقال ان اهل الشقاق والنفاق نفخ الشيطان فى مناخرهم
فقالوا مات الحجاج فوالله ما ارجو الخير كله الا بعد الموت وما رضى
الخلود لاحد من خلقه الا لاهونهم عليه ابليس والله لقد قال
العبد الصالح سليمن بن داود رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى
لاحد من بعدى فكان ذلك ثم اضمحل فكان لم يكن يا ايها الرجل
وكلكم ذلك الرجل كانى بكل حى ميت وبكل رطب يابس ونقل الى
ثياب طهره الى حفرته فخد له فى الارض ثلثة اذرع طولا فى ذراع
عرضا فاكلت الارض لحمه ومصت من صديده ودمه وانقلب الحبيبان
يقسم احدهما صاحبه حبيبه من ولده وحبيبه من ماله اما الذين يعلمون
فسيعلمون ما اقول لكم والسلام المنقرى عن مسلم بن ابرهيم الجعدى
الفراهيدى عن الصلت بن دينار قال سمعت الحجاج يقول قال الله تعالى
واتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا فهذه لعبد الله
وخليفته وحبيبه عبد الملك اما والله لو امرت الناس ان يخرجوا فى

هذا الشعب قد خلوا في غير مكانه ما وهم رجلا لا عذري
من اهل الحمص يلحى احدهم الحجر الى الارض ويقول الى ان
يبلغهم بلون فرعو الله احجلهم كالرميم الداثر وكالامس الغابر
عذري من عبد هذيل يقرا القرآن كانه رجز الاعراب
اما والله لولا درى لضربت عنقه يعني عبد الله بن مسعود عذري
من سليمان بن داود ويقول رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد
من بعدي كان والله ما علمت عبدا حسودا بخيلا وحدثني
المقري عن عبد الله بن ابي السري عن محمد بن هشام عن السائب عن
ابيه عن عبد الرحمن بن السائب قال قال الحجاج يوما لعبد الله بن هاني
وهو رجل من اود حي من اليمن وكان شريفا في قومه قد شهد مع الحجاج
مشاهده كلها وشهد معه تحريق البيت وكان من انصاره وشيعته
والله ما كافاتك بعد ثم ارسل الى اسماء بن خارجة سيد فزارة
زوج عبد الله بن هاني ابنتك قال لا والله ولا كرامة فدعا له بالسياط
فقال انا ازوجه فزوجه ثم بعث الى سعيد بن قيس الهمداني رئيس
اليمانية زوج ابنتك عبد الله بن هاني قال ومن اود والله لا ازوجه
ولا كرامة قال علي بالسيف قال دعني حتى اشاور اهلي فشاورهم
فقالوا زوجه لا يقتلك هذا الفاسق فزوجه فقال له الحجاج يا عبد الله
قد زوجتك بنت سيد فزارة وابنة سيد همدان وعظيم كهلان
وما اود هناك قال لا تقل اصلح الله الامير ذلك فان لنا مناقب ما هي لاحد
من العرب قال وما هذه المناقب قال ما سب امير المؤمنين في ملا لنا
قط قال هذا والله منقبة قال وشهد منا صفين مع امير المؤمنين معوية سبعون
رجلا وما شهد مع ابي تراب منا الا رجل واحد كان والله ما علمته امرا سوء
فقال هذا والله منقبة قال ومنا امرأة الا نذرت لئن قتل الحسين بن عشرة
علي ان تنحر عشر جزائر ففعلت قال هذا والله منقبة قال وما منا رجل عرض
عليه شتم ابي تراب ولعنه الا فعل قال وازيدك ابنيه الحسن والحسين
وامهما فاطمة قال هذا والله منقبة قال وما احد من العرب له من الملاحة
والصباحة ما لنا فضحك وكان دميما شديد الادمة مجدورا في راسه
عجر مائل الشدق احول قبيح الوجه شديد الحول المقري عن حفص
بن عمر الحوضي عن مرجا بن رجا قال سمعت عمرو بن مسلم ابا بكر الهذلي
يقول سمعت الشعبي يقول اتي بي الحجاج موثقا فلما دخلت

عليه استقبلني يزيد بن ابي مسلم فقال يا لله يا شعبي على ما
بين دفتيك من العلم وليس بيوم شفاعة بؤ للامير بالشرك والنفاق على
نفسك فبالحرا ان تنجو منه فلما دخلت عليه استقبلني محمد بن الحجاج
فقال لي مقالة يزيد فلما مثلت بين يدي الحجاج قال وانت يا شعبي
فيمن خرج علينا وكثر قلت نعم اصلح الله الامير احزن بنا المنزل
واجدب الجناب وضاق المسلك واكتحلنا السهر واستحلسنا
الخوف ووقعنا في خربة لم نكن فيها بررة اتقياء ولا فجرة اقوياء
قال صدق والله ما بروا في خروجهم علينا ولا قووا اذ فجروا
اطلقوا عنه قال الشعبي ثم احتاج الي في فريضة فقال ما تقول
في اخت وام وجد قلت اختلف فيها خمسة من اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وزيد وعلي وعثمان وابن
عباس فقال ما قال فيها ابن عباس فلقد كان منقبا
قال قلت جعل الجد ابا واعطى الام الثلث ولم يعط الاخت
شيئا قال فما قال فيها عبد الله قلت جعلها من ستة
فاعطى الاخت النصف واعطى الام السدس واعطى الجد
الثلث قال فما قال زيد قلت جعلها من تسعة فاعطى
الام الثلث واعطى الاخت سهمين واعطى الجد اربعة قال
فما قال فيها امير المؤمنين عثمان قلت جعلها اثلاثا قال
فما قال فيها ابو تراب قلت جعلها من ستة فاعطى الاخت
النصف واعطى الام الثلث واعطى الجد السدس قال
فضرب بيده على انفه وقال انه لمرء يرغب عن قوله المنقري
عن ابي عبد الرحمن العتبي عن ابيه قال اراد الحجاج الحج فخطب
الناس فقال يا اهل العراق قد استعملت عليكم محمدا ولدي وبه
الرغبة عنكم اما انكم لا تستاهلونه وقد اوصيته فيكم خلاف
وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بالانصار فانه اوصى ان يقبل
من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وقد اوصيته الا يقبل
من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم اما انكم اذا وليت عنكم
انكم تقولون لا احسن الله له الصحابة واني اعجل لكم تعجيله
الا الفراق واني اعجل الجواب لا احسن الله عليكم الخلافة
ثم نزل العتبي عن عبد الله الغني بن محمد بن جعفر عن الهيثم

ابن عدي عن ابي عبد الرحمن الكناني عن ابن عياش الهمداني عن عبيد
ابن المخارق قال استعملني الحجاج على الفلوجة فقلت هل هنا دهقان
يستعان برايه فقال جميل بن ظهير فارسلت اليه فجاء شيخ كبير
قد سقط حاجباه على عينيه فقال اذ عجبتني وانا شيخ كبير قلت
اردت عونك ورايك ومشاورتك فامر بحاجبيه فرفعا بخرقة وحرير
معه وقال ما حاجتك قلت استعملني الحجاج على الفلوجة وهو ممن
لا يؤمن شره فاشر علي قال ايما احب اليك رضى الحجاج او رضى بيت
المال او رضى نفسك قال فاحب ان ارضي هولاء ولا اخاف الحجاج فانه
جبار عنيد قال فاحفظ عني اربع خلال افتح بابك ولا يكن لك حاجب
فانك الرجل وهو على تقدير لقائك وهو واجد ان يخافك عمالك ولا تطل
الجلوس لاهل عملك فانه اقل ما اطال عامل الجلوس الا هيب
مكانه واختلف حكمك بين الناس وليكن حكمك على الشريف
والوضيع سواء فلا يطمع فيك احد من اهل عملك ولا تقبل من اهل
عملك هدية فان صاحبها لا يرضى من ثوابها الا باضعافها
معها فخرج الكذب من المقال لمستحيه ثم اسلخ ما بين افنيتهم الى محوم ادنا . ثم
فيرضوا عليك ولا يامن الحجاج عليك سبيل   المقرئ عن يوسف
ابن موسى القطان عن جرير بن المغيرة عن الربيع بن خالد قال سمعت
الحجاج يخطب على المنبر وهو يقول الخليفة احدكم في اهله اكرم عليه
ام رسوله في حاجته فقلت لله علي استغفر الله لن لا اصلي خلفك صلاة
ابدا ولئن رايت قوما يجاهدونك لاقاتلنك معهم فقاتل في
الجماجم حتى قتل   المقرئ لما ان الحجاج وجه الغضبان بن القبعثرى
الى بلاد كرمان ليأتيه بخبر ابن الاشعث عند خلعه فقصد من عنده
فلما صار ببلاد كرمان ضرب خباء فاذا هو باعرابي دخل عليه فقال
السلام عليك فقال الغضبان كلمة مقوله فالى اين جئت وما تريد
قال العزو وراي قال وابن تريد قال الماي قال وعلام جئت قال علي وسي
قال وفيم جئت قال في ثيابي قال اتاذن لي ان ادخل اليك قال فدارك
اوسع لك قال والله ما اريد طعامك ولا شرابك قال لا تعرض لهما فوالله
لا تذوقهما قال وليس عندك الا ما ارى قال بلى هراوة من لوز اضرب
بها راسك قال ان الرمضاء قد احرقت قدمي قال بل عليهما تبردان
قال فكيف ترى فرسي قال اراه خيرا من شر منه واراه شرا من آخر فوقه

منه قال قد علمت هذا قال لو علمته ما سالتني عنه فنزلها الاعرابي ودخل
على عبد الرحمن بن الاشعث فقال له امر اكد كل الشر تغد بالحجاج قبل
ان يتعشى بك ثم صعد المنبر فخطب فعاب الحجاج والبراءة منه ودخل
مع ابن الاشعث فاخذ الغضبان فيمن اسر فلما ادخل على الحجاج
قال يا غضبان كيف رايت بلاد كرمان قال اصلح الله الامير بلاد ماؤها
وشل وثمرها دقل ولصها بطل الخيل بها ضعاف ان كثر الجند
بها جاعوا وان قلوا اضاعوا فقال الست صاحب الكلمة الخبيثة
تغد بالحجاج قبل ان يتعشى بك قال اصلح الله الامير انفعتني من
قيلت له اوضرت من قيلت فيه قال لاقطعن يديك ورجليك من
خلاف ثم لاصلبنك قال لا ادري الامير اصلحه الله يفعل ذلك فامر
به فقيد ثم القي في الحبس فاقام حتى بنى الحجاج خضراء واسط
فلما استتم بناها جلس في صحنها وقال كيف ترونها فقالوا ما بنى
مخلوق قبلك مثلها قال فان فيها مع ذلك عيبا فهل فيكم من يخبرني به
فقالوا والله ما نرى فيها عيبا فامر باحضار الغضبان فاتي به يرسف
في قيوده فلما دخل عليه قال له الحجاج يا غضبان اراك سمنت قال
ايها الامير القيد والدعة ومن يك ضيف الامير يسمن قال فكيف
ترى قبتي هذه قال ارى قبة ما بنى احد مثلها الا ان لها عيبا ان
امنني الامير اخبرته به قال قل امن قال بنيت في غير بلدك لغير ولدك
لا تمتع به ولا تنعم فما المالم يتمتع به طيب ولا لذة قال ردوه فانه
صاحب الكلمة الخبيثة قال اصلح الله الامير ان الحديد اكل لحمي وبرى
عظمي قال احملوه فلما استقبل به الرحال قال الحمد لله الذي سخر
لنا هذا وما كنا له مقرنين قال انزلوه فلما استوى على الارض قال اللهم
انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين قال جروه فلما جروه قال بسم الله مجراها
ومرساها ان ربي لغفور رحيم قال اطلقوا عنه   المقرئ عن عبيد
الله بن محمد بن حفص التيمي عن الحسن بن عيسى الحنفي قال لما هلك
بشر بن مروان وولي الحجاج العراق بلغ ذلك اهل العراق فقام الغضبان
ابن القبعثرى الشيباني خطيبا بالمسجد الجامع بالكوفة فحمد الله
واثنى عليه ثم قال يا اهل الكوفة ويا اهل العراق ان عبد الملك قد
ولى عليكم من لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم الظلوم
الغشوم الحجاج الا وان لكم من عبد الملك منزلة بما كان منكم من خذلان

مصعب وقتله فلا عرضوا هذا الخبيث في الطريق فاقتلوه فان ذلك لا
يعرضكم خلعا فانه متى يعلوكم على منبركم وسرير ملككم وقاعد
قصركم ثم قتلتموه عد خلعا فاطيعوني وتغدوا به قبل ان يتعشى
بكم فقال له اهل الكوفة جننت يا غضبان بل ننتظر ما يريد به
فان رايناه منكرا غيرنا قال ستعلمون فلما قدم الحجاج الكوفة بلغه
مقالته فامر بحبسه فاقام في حبسه ثلاث سنين حتى ورد
على الحجاج كتاب من عبد الملك يامره بان يبعث اليه ثلاثين جارية
عشرا من المخاصيب وعشرا من عقائل النكاح وعشرا من ذوات الاحلام م
فلما نظر في الكتاب لم يدر ما وصفه من الجواري فعرضه على الصحابه
فلم يعرفوه فقال له بعضهم اصلح الله الامير ينبغي لمن يعرف هذا ان
كان في اوليته بدويا فله معرفة اهل البدو ثم غزا فله تجربة
اهل الغزو ثم شرب الشراب قال واين هذا قيل في حبسك قال او
هو قيل الغضبان الشيباني فاحضره فلما مثل بين يديه قال له انت
القائل لاهل الكوفة ان يتغدوا بي قبل ان اتعشى بهم قال اصلح الله
الامير ما نفعت من قالها ولا ضرت من قيلت فيه قال ان امير المؤمنين كتب
الي كتابا لم ادر ما فيه فهل عندك شي فيه قال يقرا علي فقري عليه
قال هذا بين قال وما هو قال اما المخصبة من النساء فالتي عظمت
هامتها وطال عنقها وبعد ما بين منكبيها وثدييها واتسعت راحتاها وبتت
ركبتاها فهذه اذا جاءت بالولد جاءت به كالليث العادي واما
عقائل النكاح فهي ذوات الاعجاز منكسرات الثدي كثيرات اللحم يقرب
بعضهن من بعض فاولئك يشفين الغرم ويروين الظمآن واما
ذوات الاحلام فبنات خمس وثلاثين الى الاربعين فتلك التي يبقى
كما نقش الحالب الناقة فيستخرج منه من كل شيء وطروع وفرق قال
الحجاج ويحك فاخبرني بشر النساء قال اصلح الله الامير شرهن الصغيرة
النعقبة الحديدة الرصعاء الربعة الوثبة الواسطة في نساء الحي التي
اذا غضبت غضب لها مائة واذا سمعت كلمة قالت لا والله لا انتهي
حتى اوردها الوحي بطني جارية فحرجي بجارية قال الحجاج
علي هذا لعنه الله قال ويحك فاخبرني بخير النساء قال خيرهن الورية
العامرة السماء الكثيرة الخير من الارض الودود الولود التي في بطنها
غلام وفي حجرها غلام ويتبعها غلام ٥ قال ويحك فاخبرني بشر الرجال

قال

قال شرهم السبيط الوبيط المحمود في حرم الحي الذي اذا سقط
سقط لاحداهن ولو في بئر انحطت عليه حتى تخرجه فهذا يحدث الخابر
ويقلن عافى الله فلانا قال على هذا لعنه الله قال فاخبرني بخير الرجال
قال الذي يقول الشماخ التغلبي شعر
فتى ليس بالراضي بادنى معيشة ولا في بيوت الحي بالمتولج
فتى ملأ السرج وروى سنانه ويفرج عن ابن الكمي المدجج
فقال له الحجاج قبحك الله ثم حبسنا عطاك قال ثلاث سنين فامر له
بها وخلا سبيله ٥ المثوري عن ابن السري عن هشام بن محمد عن ابي الحايب
عن ابي عبد الله النخعي قال لما فرغ الحجاج من دير الجماجم وفد على عبد الملك
ومعه اشراف المصريين فادخلهم عليه فبينما هم عنده اذ ذكروا
البلدان فقال محمد بن عمير بن عطارد اصلح الله امير المؤمنين ان الكوفة
ارض ارتفعت عن البصرة وحرها وعمقها وسفلت عن الشام ووباها
وبردها وجاورها الفرات فعذب ماؤها وطاب ثمرها فقال خالد بن
صفوان الاهتمي اصلح الله امير المؤمنين نحن اوسع منهم برية واسرع
منهم في السرية واكثر منهم قندا وناسا وعاجا ماؤنا صفو
لا يخرج من عندنا الا قائد وسائق وناعق فقال الحجاج اصلح الله
امير المؤمنين اني بالبلدين خبير وقد وطئتهما جميعا قال له قل فانت
عندي مصدق فقال اما البصرة فعجوز شمطاء بخراء اوتيت
من كل حلي وزينة واما الكوفة فشابة حسناء لا حلي لها ولا زينة فقال
عبد الملك فضلت الكوفة على البصرة ٥ المثوري عن عمرو ابن الحباب
الباهلي عن اسمعيل بن خالد قال سمعت الشعبي يقول سمعت الحجاج
تكلم بكلام ما سبقه اليه احد سمعته يقول اما بعد فان الله عز وجل
كتب على الدنيا الفناء وعلى الآخرة البقاء فلا فناء لما كتب عليه البقاء
ولا بقاء لما كتب عليه الفناء فلا يغرنكم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة
فطول الامل يقصر الاجل ٥ المثوري عن سهل بن تمام عن ربيع بن عباد
ابن حبيب بن المهلب عن ابيه قال لما قتل المهلب عبد ربه الصغير
بكرمان قال ابعثوا الي رجلا له بيان وعقل ومعرفة اوجهه الى الحجاج
برؤوس من قتلنا فدلوه على بشر بن مالك الجرشي فلما دخل على الحجاج قال
ما اسمك قال بشر بن مالك الجرشي قال كيف تركت المهلب قال تركته
صالحا نال ما احب وامن ما يخاف قال فكيف فاتكم قطري قال كادنا

من حيث كدناه قال فلا طلبتموه قال كان بلاء وكان الحذر اهم علينا
علينا من العقل قال اصبتم فكيف كان بنو المهلب قال كانوا العيا
البنا ثم حمي يابوك واصحاب السرح حين يروك قال اجل فايهم
افضل قال ذلك الى ابيهم اعلم شا ان يستفيد ام الكناه قال
الى الذي كان عقلا فما قال هم كالحلقة المفرغة لا يدري عن اين
طرفاه قال انهم من سهم لفضل عليهم لتفضله على سائر الناس
قال كيف كان الجند قال ارضاهم الحق واوسعهم النصل فكانوا
مع وال يقاتل بهم قتال الصعلوك ويسوسهم سياسة الملوك
فلا ينتهم الاول ولا ستمهم شفقة الوالد قال هل كانت هناك
ما ادري قال لا يعلم الغيب الا الله فالتفت الحجاج الى عنبسة فقال
هذا الكلام المخلوق وذلك الكلام المصنوع واخذ الحجاج جور
ابن الحطيي فاراد قتله فمشى اليه قوم من مصر فقال اصلح الله
الامير لسان مصر وشاعرها هبه لنا فوهبه لهم وكانت لبنت اسما زوج
الحجاج ممن طلبه فيه قالت للحجاج ايذن لجحدر علي يوم استنشد
من ذوي الحجاب فقال لها نعم فامر بمجلس لها تحتجب وجلست
فيه والحجاج معها وبعث الى جحدر فدخل عليها يسمع كلامها ولا يراها
فقالت يا ابن الحطيي انشدني ما شببت به النساء فقال ما شببت
بامراة قط ولا خلق الله شيا ابغض الي من النساء **فقالت يا عدو الله اين قولك**

وما مكث صابحك القلوب وليس ذا ... وقت الزيارة فارجعي بسلام
يجري السواك على اغر كانه ... برد تحدر من متون غمام
لو كنت صادقة بما حدثتني ... لوصلت ذاك وكان غير لمام
سرق الهموم فانت عن نائم ... واخو الهموم يروم كل مرام

قال ما قلت هذا ولكني الذي اقول

لقد جرد الحجاج للحق سيفه ... الا فاستقيموا لا يميلن مائل
وما يستوي داعي الضلالة والهدى ... ولا حجة الخصمين حق وباطل

قالت دع ذا فاين قولك

خليلي لا تستعرض اليوم من زهدي ... اعيذكما بالله ان تجدوا وجدي
ظمئت الى برد الشراب وبردها ... لذي لوبة ترجو جداه ولم يجد

قال لها ما قلت هذا ولكني الذي اقول

ومن يامن الحجاج اما عقابه ... فمر واما عقده فوثيق

يسرك

يسرك البغضاء كل منافق ... كما كل ذي بر عليك شفيق

قالت دع عنك هذا فاين قولك

يا عاذلين دعوا الملامة لو قصدوا ... طال الهوى واطلتم التفنيدا
اني وجدت ولو اردت زيادة ... في الحب عندي ما وجدت مزيدا

قال اصلحك الله ولكني الذي اقول

ومن ينذ مطلع النفاق عليهم ... ام من يصول كصولة الحجاج
ام من يغار على النساء حفيظة ... اذ لا يثقن بغيرة الازواج
هذا ابن يوسف فافهموا وتنهوا ... برح الخفاء وليس حين تناج
فلرب باكية بعين تركته ... وخضاب لحيته دم الاوداج

فقال له الحجاج يا عدو الله تحضيض على النساء فقال لا والله ايها الامير
ما فطنت لهذا البيت قبل ساعتي هذه وما علمت بمكانك فاقلني جعلني الله
فداك قال قد فعلت فامر له بجائزة وكسوة ووفد الحجاج على
عبد الملك فلما انهزم ابن الاشعث بدير الجماجم اتي الحجاج باسير الى عنقه فاتي
باسير كثير وكان اول من اتى به عطية هذا وهو اول رجل خلع عبد الملك والحجاج
بين يدي ابن الاشعث بسجستان فقال له الحجاج ايه **انت القائل**

ومن مطلع الحجاج اني ... قد جنيت عليه حربا ... ووضعت في لغة العرب ... جلدا اذا ما الامر عبا
انت الرئيس ابن الرئيس ... وانت اعلى الناس كعبا ... فابعث عطية بالخيول ... يكبهن عليه كبا
وانهض هديت لعله ... يجلي بك الرحمن كربا ... بشر لنا ابن يوسف ... خير من زلق فتبا

وهي ابيات وانت القائل

وسالتماني المجد اين محله ... فالمجد بين محمد وسعيد
بين الاشج وبين قيس باذخ ... بخ بخ لوالده وللمولود

قال ولكني الذي اقول

الحمد لله ان يتم نوره ... ويطفي نار الفاسقين فتخمدا ... ويترك والابالعراق واهله
بما نقضوا العهد الوثيق المؤكدا ... وما احدثوا من بدعة وضلالة ... من القول لم يصعد الى الله مصعدا

قال لسنا نحمدك على هذا القول انما قلته تاسفا على ان لا تكون ظفرت وظهرت
وتحريضا لاصحابك علينا وليس عن هذا اسالك اخبرني **عن قولك**

املكني لي من ثقيف همدان ... يوما الى الليل يسلي ما كان

وعن قولك حين تقول

كيف ترى الله امكن من همدان وامكن همدان من ثقيف
بين الاشج وبين قيس باذخ ... بخ بخ لوالده وللمولود ... اما والله لا تبخبخ
لاحد بعدها وامر به فضربت عنقه ولم يزل يوتى برجل رجل فلحجر رجل من بني

حلف الحجاج

عام وكان من فرسان الحجاج مع ابن الاشعث قال والله لاقتلنك شر قتلة فقال
والله ما ذلك لك قال ولم قال لان الله تعالى يقول في كتابه فاذا لقيتم الذين كفروا
فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى
تضع الحرب اوزارها وقد قتلت فاثخنت واسرت فاوثقت فاما ان تمن علينا
او تفدينا عشائرنا فقال له الحجاج ولزمت قال نعم وغيرت وبدلت قال خلوا
سبيله ثم اتي برجل من ثقيف فقال له اكفرت قال نعم فقال له الحجاج لكن هذا
الذي خلفك لا يقول ذلك وخلفه رجل من السكون فقال له الرجل العنبسي
تخادعني والله لو كان شي اشد من الكفر لبوات به فخلا سبيلهما فهذه
جمل من اخبار عبد الملك واخبار الحجاج اتينا على مبسوط هذه الاخبار
فيما لم نورده في هذا الكتاب في كتابنا في اخبار الزمان والاوسط التالي
له الذي كتابنا هذا تاليه وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب من اخبار الحجاج
لمعا على حسب ما قدمنا من الشرط فيما سلف من هذا الكتاب وبالله العون والعوج

ذكر ايام الوليد بن عبد الملك

وبويع الوليد بن عبد الملك بدمشق في اليوم الذي توفي فيه عبد الملك وتوفي
الوليد بدمشق للنصف من جمادى الاولى سنة ست وتسعين وكانت ولايته تسع
سنين وثمانية اشهر وليلتين وهلك وهو ابن ثلاث واربعين سنة وكان
يكنى بابي العباس

ذكر لمع من اخباره وسيره وما كان من الحجاج في ايامه

كان الوليد جبارا عنيدا ظلوما غشوما وخلف من الولد تسعة عشر
ذكرا منهم يزيد وعمر وبشر العاملي والعباس وكان يزيد ولد من بني
مروان لثمام فعدل الوليد بالامر عن ولده بعده اتباعا لوصية عبد الملك
على حسب ما ذكرنا وكان نقش خاتمه يا وليد انك ميت فيقول لا اله الا الله
ما امرني به الى الخليفة وفي سبع وثمانين ابتدا الوليد ببنا المسجد
الجامع بدمشق وبني مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة فانفق عليهما
الاموال الجليلة وكان المتولي للنفقة عمر بن عبد العزيز رحمه الله
عثمان بن مرة الخولاني قال لما ابتدا الوليد ببنا المسجد بدمشق وجد في
حائط المسجد لوحا من حجارة فيه كتابة باليونانية فعرض على جماعة من اهل
الكتاب فلم يقفوا عليه فوجه الى وهب بن منبه فقال هذا مكتوب من ايام سليمان
بن داود فقراه فاذا هو

بسم الله الرحمن الرحيم
يا ابن ادم لو علمت ما بقي من يسير اجلك لزهدت فيما بقي من طول املك
وقصرت عن رغبتك وحيلك وانما تلقى ندمك اذا زلت قدمك

واعمل

واسلمك اهلك وانصرف عنك الحبيب وودعك القريب ثم صرت
تدعا فلا تجيب فلا انت الى اهلك عائد ولا في عملك زائد فاغتنم
الحياة قبل الموت والقوة قبل الفوت وقبل ان يوخذ منك بالكظم
ويحال بينك وبين العمل وكتب في زمن سليمان بن داود فامر الوليد
ان يكتب بالذهب على اللازورد في حائط المسجد ربنا الله لا
نعبد الا اياه امر ببنا هذا المسجد وهدم الكنيسة التي
كانت فيه عبد الله الوليد امير المومنين في ذي الحجة سنة سبع وثمانين
وهذا الكلام مكتوب في مسجد دمشق الى وقتنا هذا وهو سنة
اثنين وثلاثين وثلاثمائة ووفد الحجاج بن يوسف على الوليد
فوجده في بعض نزهه فاستقبله فلما راه رجل عن فرسه وقبل
يده وجعل يمشي وعليه درع وكنانة وقوس عربي فقال له
الوليد اركب يا ابا محمد فقال يا امير المومنين دعني استكثر من
الجهاد فان ابن الزبير وابن الاشعث شغلاني عنه فعزم عليه
الوليد حتى ركب ودخل الوليد داره فتفضل في غلالة ثم
اذن للحجاج فدخل عليه في حالته تلك واطال الجلوس عنده اذ
جات جارية فسارت الوليد ومضت ثم عادت فسارته
ثم انصرفت فقال الوليد للحجاج اتدري ما هذا يا ابا محمد قال
لا والله قال بعثت الي ابنة عمي ام البنين ابنة عبد العزيز تقول ما مجالستك
هذا الاعرابي المستلم في السلاح وانت في غلالة فارسلت
اليها انه الحجاج فراعها ذلك وقالت والله ما احب ان يخلو بك
وقد قتل الخلق فقال الحجاج يا امير المومنين دع عنك مفاكهة
النسا بزخرف القول فانما المراة ريحانة وليست بقهرمانة فلا
تطلعهن على سرك ولا مكايدة عدوك ولا تطعمهن في غير انفسهن
ولا تشغلهن باكثر من زينتهن واياك ومشاورتهن فان رايهن
الى افن وعزمهن الى وهن واكفف عليهن من ابصارهن ولا
تملك الواحدة منهن من الامور ما يجاوز نفسها ولا تطمعها ان تشفع
عندك لغيرها ولا تطل الجلوس معهن والخلوة بهن فان ذلك
اوفر لعقلك وابين لفضلك ثم نهض الحجاج وخرج فدخل الوليد
على ام البنين فاخبرها بما قال الحجاج فقالت يا امير المومنين احب ان
تامره غدا بالتسليم علي قال افعل فلما غدا الحجاج على الوليد قال

كان فضل نعيم بحاله
ولا بعد
وارنجي لبالها
بجاه نعم تعالم

قال له يا ابا محمد الحاجب البناني فسلم عليها فقال العفني من ذلك
يا امير المومنين قال لا والله ما تعجبني الحجاج اليها فجلست طويلا ثم اذنت
له فامرته قائما ولم تاذن له في الجلوس ثم قالت ايه يا حجاج انت الممتن
على امير المومنين بقتل ابن الزبير وابن الاشعث اما والله لولا ان
الله علم انك اهون خلقه ما ابتلاك برمي الكعبة وقتل ابن ذات النطاقين
واول مولود ولد في الاسلام واما ابن الاشعث فقد والله والى
عليك الهزايم حتى لذت بامير المومنين عبد الملك فاعانك باهل الشام
وانت في اضيق من القرن فاظلتك رماحهم وانجاك كفاحهم ولولا
ما انقطعت نساء امير المومنين الحمام من ظفايرهن وبعثن في الاسواق
الى ادراك البعوث اليك ولولا ذلك لكنت اذل من النقد واما
ما اشرت به على امير المومنين فانه غير قابل منك ولا مصغ الى نصحك
وان السماء قد نظرت اليك وشانه غدا له الحرور يا من تعبثك

حين تقول

اسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تفزع من صفير الصافر
هلا برزت الى غزالة في الوغا بل كان قلبك في جناحي طاير

ثم قالت لجواريها اخرجوه عني فدخل على الوليد من فوره فقال له
يا ابا محمد ما كنت فيه فقال والله يا امير المومنين ما سكتت حتى كان
بطن الارض احب الي من ظهرها فضحك الوليد حتى فحص برجليه
ثم قال يا ابا محمد انها ابنة عبد العزيز وام البنين والاخبار
كثيرة في الجود وغيره اتينا على ذكرها في غير هذا الكتاب
وفي سنة خمس وتسعين قبض علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب
عليهما السلام وهو ابن سبع وخمسين سنة ويقال انه قبض
وهو ابن سبع وخمسين سنة ويقال انه قبض سنة اربع
وتسعين وكل عقب الحسين من علي بن الحسين هذا وهو السجاد
علي ذو الثفنات وزين العابدين عليهم السلام وذكر
المدايني قال دخل الوليد على ابيه عبد الملك عند وفاته فجعل يبكي
عليه ويقول كيف تصبح يا امير المومنين فقال عبد الملك

ومستخبر عنا يريد بنا الردى ومستعبرات والعيون سواجم

اسانا المصراع الى الوليد ثم حول وجهه عنه واشار بالمصراع
الثاني الى نسائه وهن المستعبرات وذكر العتبي وغيره

غير ابي محمد

ويروى انه لما احضر عبد الملك نساء فاذا بنوه يبكون حوله قال امير المومنين

من اللخبار بين وغيرهم ان عبد الملك لما سال الروح نحيبهم وهو يجود بنفسه

ثم انشا يقول

كم عائد رجلا وليس يعوده الا لينظر هل يراه يموت

وقيل ان عبد الملك لما نظر الى الوليد وهو يبكي عنده قال ما هذا
احنين الحمامة اذا انا مت فشمر وابرز والبس جلد نمر وضع سيفك
على عاتقك فمن ذات نفسه لك فاضرب عنقه ومن سكت مات بدايه
ثم اقبل عبد الملك يذم الدنيا فقال ان طويلك لقصير وان كثيرك لقليل
وانا كنا منك لفي غرور ثم اقبل على جميع ولده فقال اوصيكم بتقوى الله
فانها عصمة باقية والتقوى خير زاد وافضل في المعاد وهو احصن
كهف وليعطف الكبير منكم على الصغير وليعرف الصغير حق الكبير مع
سلامة الصدور والاخذ بجميل الامور واياكم والبغي والتحاسد فيهما
هلاك الملوك يا بني اخوكم مسلمة بابكم الذي تعبرون عنه ومجنكم الذي
تستجنون به اصدروا عن رايه واكرموا الحجاج فانه الذي وطا لكم هذا
الامر وكونوا اولادا ابرارا وفي الحرب احرارا وللمعروف منارا وعليكم
السلام وسال بعض شيوخ بني امية وقد فرغ من وصيته اولاده
هذه كيف تجدك يا امير المومنين قال كما قال الله عز وجل ولقد جئتمونا
فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم الى قوله ما كنتم
تزعمون وكان هذا اخر كلام سمع منه فلما قضى نحبه سجاه الوليد ثم صعد
المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال لم ار مثلها مصيبة ولا مثلها نعمة
فقد الخليفة وتقلد الخلافة فانا لله وانا اليه راجعون على المصيبة
والحمد لله رب العالمين على النعمة ثم دعا الناس الى البيعة فبايعوه
ولم يختلف عليه احد ومات في ايام الوليد عبيد الله بن العباس
ابن عبد المطلب وذلك في سنة سبع وثمانين وكان جوادا
كريما وذكر ان سايلا وقف عليه فقال تصدق مما رزقك الله
فاني نبيت ان عبيد الله بن العباس اعطى سايلا الف درهم
واعتذر اليه فقال واين انا من عبيد الله قال اين انت منه
في الحسب ام في كثرة المال قال فيهما جميعا قال ان الحسب في
الرجل مروته وحسن فعله فاذا فعلت ذلك كنت حسيبا
فاعطاه الفي درهم واعتذر اليه فقال له السايل ان لم تكن عبيد الله
فانت خير منه وان كنت هو فانت اليوم خير منك امس فاعطاه
الفا ايضا فقال ان كنت عبيد الله انك لا سمح اهل دهرك وما اخالك

الصفحة في منهج العبد الكاسب

الآن رهط فيهم محمد فاسألك بالله انت هو قال نعم قال والله يا الخوطات
الا بلغوا حتى اشكر بين حوانجي والاخذ الصورة الجميلة والهيئة
المنيرة لا يكلمون الا من نجي او عز بني وذكر ان معوية وصله بخمسة دينا د
ثم وجد من شعر فخبر له فانصرف عنه واعلمه انه قسمها في بني عمه
والخوان حصها بالسوية وابقى لنفسه مثل نصيب واحد منهم
فقال معوية ان لي لذين يسوؤني ويسرني فاما الذي يسرني قال
عبد مناف والله واما الذي يسوؤني فقرابتهم الى ركبر دوني ابناء

قال المسعودي وقد قدمنا خبر مقتل عبد الله فيما سلف من هذا
الكتاب وهما عبد الرحمن وقثم وما تميما برا مهما ام حكيم جويرية بنت قارظ
ابن خالد الكنانية وقد كان عبيد الله بن العباس دخل يوما على معوية
وعنده قاتلهما بشر بن ارطاة العامري فقال له عبيد الله ايها الشيخ انت
القاتل للصبيين قال نعم قال والله لوددت ان الارض انبتتني عندك
يومئذ فقال له بشر قد انبتتك الساعة فقال عبيد الله السيف فقال
بشر هاك سيفي فلما اهوى عبيد الله الى السيف ليتناوله قبض
معوية ومن حضر على يد عبيد الله قبل ان يقبض على السيف ثم اقبل
معوية على بشر فقال اخزاك الله من شيخ قد كبرت وذهل عقلك تعمد
الى رجل من بني هاشم فتدفع اليه سيفك انك لغافل عن قلوب بني هاشم والله
لو تمكن من السيف لبدأ بي قبلك فقال عبيد الله ذلك والله اردت
وكان علي عليه السلام حين اتاه قتل بشر فقال اللهم اسلبه دينه
وعقله فخرف الشيخ وذهل عقله ولهج بالسيف وكان لا يفارقه حتى ام
فعمل له سيف من خشب وكان بين يديه زق منفوخ يضربه فكلما تخرق
بدل فلم يزل يضرب ذلك الزق بذلك السيف حتى مات ذاهل العقل ويلعب
بخرجه وربما تناول منه ثم يقبل على من يراه فيقول انظروا الى هؤلاء ليطعمني هولاء
الغلمان وكان ربما اشتدت به الحاجة الى ذلك فيأخذ منه
من مكانه ثم اهوى بفيه فتناول منه فبادروا الى منعه فقال انتم تمنعوني
وعبد الرحمن وقثم يطعمانني ومات بشر لعنه الله في ايام الوليد بن عبد الملك
سنة ست وثمانين وفيها مات عبد الله بن عبيد الله بن عتبة بن مسعود
ابن غافل الهذلي وعتبة مهاجري هو اخو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب
ابن شمخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل وكان ن
ولد عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن عبيد الله من كبار اهل العلم وذكر ان الى

خيثمة

290

خيثمة قال سمعت ابن الاصبهاني قال قال سفين قال الزهري لقد طلبت
الى ان لم من العلم حتى جالست عبيد الله بن عبد الله فكانما هو البحر وفي
سنة اربع وتسعين قتل الحجاج سعيد بن جبير وادخل اليه فقال
ما اسمك قال سعيد بن جبير قال بل شقي بن كسير قال امي كانت اعلم باسمي
منك قال لقد شقيت وشقيت امك قال الغيب انما يعلمه غيرك قال
لابدلنك بالدنيا نارا تلظى قال لو علمت ان ذلك بيدك ما اتخذت
الها غيرك قال فما قولك في الخلفاء قال لست عليهم بوكيل قال فاختر
اي قتلة تريد ان اقتلك قال بل اختر يا شقي لنفسك قال فوالله ما تقتلني
اليوم قتلة الا قتلتك في الاخرة مثلها فامر به فاخرج فلما ولى ضحك
فامر الحجاج برده وسأله عن ضحكه فقال عجبت من جرأتك على الله وحلم
الله عنك فامر به فذبح فلما كب لوجهه قال اشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان الحجاج غير مؤمن ثم قال
اللهم لا تسلط الحجاج على احد يقتله بعدي فذبح واحتز راسه ولم
يعش الحجاج بعده الا خمسة عشر يوما حتى وقعت في جوفه الاكلة
يا قوم فمات من ذلك وروي انه كان لعنه الله بعد قتل سعيد يقول ما لي
ولسعيد بن جبير كلما عزمت على النوم اخذ بحلقي واشتكى
الوليد فبلغه عن اخيه سليمان انه تمنى موته لما له من العهد بعده فكتب اليه
الوليد يعتب عليه الذي بلغه وكتب في اخر الكتاب هذه الابيات

تمنى رجال ان اموت وان امت … فتلك سبيل لست فيها باوحد
لعل الذي يرجو فناي ويدعي … به قبل موتي ان يكون هو الردي
فما موت من قد مات قبلي بضائري … ولا عيش من قد عاش بعدي بمخلدي
فقل للذي يرجو خلاف الذي مضى … تزود لاخرى غيرها فكان قد

فاجابه سليمن فهمت ما كتب به امير المؤمنين ووالله لئن كنت تمنيت ذلك
لما يخطر بالبال لاني اول لاحق به ومنعي الى اهله فعلام تمنى زوال
مدة لا البث متمتعا الا بقدر ما يلبث المسفر بمنزل ثم يظعنون
عنه ولقد بلغ امير المؤمنين ما لم يظهر من لفظي ولا بان من لحظي وحتى
سعى امير المؤمنين من اهل النميمة ومن ليست له روية واشكر ان يسرع
في فساد النيات ويقطع بين ذوي الارحام والقرابات

وكتب في اسفل الكتاب

ومن لا يغض عينه عن صديقه … وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
ومن يتتبع جاهدا كل عثرة … يجدها ولا يسلم له الدهر صاحب

فكتب اليه الوليد ما احسن ما اعتذرت وجودت عليه وانت الصادق
في المقال والكامل في الفعال ولاي شي اشيد بك من اعتذارك
ولا ابعد ما قيل فيك والسلام وكان الوليد محتنا على اخوته مراعيا
لما اوصاه به عبد الملك وكان كثير الانشاد لابيات قالها عبد الملك
حيث اوصاهم بوصيته منها

انفوا الضغائن منكم وعليكم … عند المغيب وفي حضور المشهد
بصلاح ذات البين طول بقائكم … ان مد في عمري وان لم يمدد
ان القداح اذا اجتمعن فرامها … بالكسر ذو حنق وبطش ايد

وكان عبد الملك مواظبا على حث اولاده على اصطناع الجميل وبعثهم
في مكارم الاخلاق وقال لهم يا بني عبد الملك احسابكم احسابكم صونوها
ببذل اموالكم فما يبالي الحر بما قيل فيه من المديح بعد قول الاعشى

تبيتون في المشتا ملاء بطونكم … وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

وما ضر قوما فيما قيل فيهم بعد قول زهير

على مكثريهم رزق من يعتريهم … وعند المقلين السماحة والبذل

حدث عبد الله بن اسحق بن سلام عن محمد بن حبيب قال صعد المنبر
الوليد فسمع صوت ناقوس فقال ما هذا قيل البيعة فامر بهدمها وتولى
بعض ذلك بيده فتتابع الناس يهدمون فكتب اليه الاخرم ملك
الروم ان هذه البيعة قد اقرها من كان قبلك فان يكونوا اصابوا
فقد اخطات ولئن كنت اصبت فقد اخطاوا فقال من يجيبه فقال الفرز دق
فكتب اليه ففهمناها سليمان وكلا اتينا حكما وعلما الاية
ومات الحجاج وهو ابن اربع وخمسين سنة بواسط العراق في سنة
خمس وتسعين وكان امره واحصي من قتله صبرا فكان من قتل
في عساكره وحروبه فوجدوا مائة الف وعشرين الفا ومات في
حبسه خمسون الف رجل وثلاثون الف امراة منهن ستة عشر
الفا مجردة وكان يحبس الرجال والنساء في موضع واحد
ولم يكن للحبس سقف يستر الناس من الشمس في الصيف ولا من المطر
والبرد في الشتا وكان له غير ذلك من العذاب مما قد اتينا على ذكره في
الكتاب الاوسط وذكر انه ركب يوم الجمعة فسمع ضجة فقال ما هذا
فقيل المحبوسون يضجون ويشكون ما هم فيه من البلاء فالتفت الى
ناحيتهم وقال اخسوا فيها ولا تكلمون فيقال انه مات في تلك الجمعة

ولم يركب بعد تلك الركبة قال المسعودي ووجدت في كتاب عيون
البلاغات مما اختير من كلام الحجاج ما سلبت نعمة الا بكفرها ولا نمت قوله
الا بشكرها وقد كان الحجاج زوج الى عبد الله بن جعفر حين املق
عبيد الله وافتقر وقد ذكرنا في كتابنا في اخبار الزمان الخبر في ذلك
وتهنية ابن القرية للحجاج بذلك وقد كان عبد الله بن جعفر بن ابي طالب
من الجود بالموضع المعروف والمحل المالوف فسمع يوم الجمعة في المسجد الجامع
وهو يقول اللهم عودتني عادة عودتها عبادك فان قطعتها
عني فلا تبقني فمات في تلك الجمعة وذلك في ايام عبد الملك وصلى عليه
ابان بن عثمان بعد ذلك وقيل بالمدينة وهي السنة التي كان فيها السيل
الجحاف الذي بلغ الركن وذهب بكثير من الحاج وفي هذه السنة كان
الطاعون العام بالعراق والشام ومصر والجزيرة والحجاز وهي سنة
ثمانين وقبض عبد الله بن جعفر وهو ابن سبعين سنة وولد بالحبشة
حين هاجر جعفر الى هناك وقيل ان مولده كان في السنة التي قبض
فيها النبي عليه السلام وقيل غير ذلك وذكر المدايني وغيره
من الاخباريين ان عبد الله عوتب على كثرة افضاله فقال ان الله تعالى
عودني ان يتفضل علي وعودته ان افضل على عباده فاكره ان اقطع
العادة عنهم فتنقطع العادة عني ووفد عبد الله على معوية بدمشق
فعلم به عمرو بن العاص قبل دخوله دمشق فعلم مولى له بذلك وقد
كان سار مع ابن جعفر من الحجاز فقعد له بمرحلتين الى دمشق ودخل
عمرو على معوية وعنده جماعة من قريش بني هاشم وغيرهم منهم
عبيد الله بن الحارث بن عبد المطلب فقال عمرو قد اتاكم رجل
كثير الخلوات بالتمني والطربات بالتغني لحد السلف منقاد بالترف
فغضب عبد الله بن جعفر وقال كذبت واهل الدليل انت ليس عبد الله
كما ذكرت ولكنه لله ذكور ولبلائه شكور وعن الخنا متنزه ماجد كريم
سيد حليم ان ابتدا اصاب وان سئل اجاب غير حصر ولا هياب
ولا فحاش ولا سباب كالهزبر الضرغام الجري المقدام في الشرف الصمصام
والحسب القمقام وليس كمن اختصمت فيه من قريش شرارها فغلب
عليه جزارها واصبح الامها حسبا وادناها منصبا يلوذ منها بذليل
وياوي الى قليل ليت شعري باي حسب تتناول ام باي قوم تتعرض
غير انك تعطو بغير اركانك او تتكلم بغير لسانك ولقد كان ان في الحلم

وابى في الفضل ان يمكن بن ابي سفين عن ابو عد بالعواص
قريش لعام الضبع في وجارها فلست للعواصي بوفي ولا لحسابها
بلمى فدانيه لكم ضيغم شرس للارواح مختلس وللاقران
مفترس فهم عمرو ان يتكلم فمنعه من ذلك معويه وقال عبد
الله بن الحرث لا يتجالم الا على نفر والله ان لساني لحديد
وان جوابي لعتيد وان قولي لشديد وان انصاري لشهود
فقام معويه وتفرق القوم ولعبد الله بن جعفر بن ابي طالب اخبار
اخبار حسان في الجود والكرم وغير ذلك من المناقب قد اتينا
على مبسوط ذلك في كتابينا اخبار الزمان والاوسط وانما كان
تزوج الحجاج ابنه ليذل بذلك آل ابي طالب وكتب الحجاج
الى عبد الملك يغلظ عليه امر الخوارج مع قطري فكتب اليه
اما بعد فاني احمد الله اليك السيف واوصيك بما اوصى
به البكري زيدا فلم يفهم الحجاج ما عناه عبد الملك فقال من
جاء بتفسير ما اوصى به البكري زيدا فله عشرة الاف
درهم فورد رجل من اهل الحجاز يتظلم من بعض عماله فقيل له
اتعلم ما اوصى به البكري زيدا قال نعم قالوا فات الحجاج بقولك
عشرة الاف درهم واحضر فقال اوصاه بان قال

اقول لزيد لا تزيد فانهم ... يرون المنايا دون قتلك او قتلي
فان وضعوا حربا فضعها وان ابوا ... فشب وقود الحرب بالحطب الجزل
فان عضت الحرب الضروس بنابها ... فعرضه حد الحرب مثلك او مثلي

فقال الحجاج صدق امير المؤمنين وصدق البكري فكتب الى المهلب
ان امير المؤمنين اوصاك بما اوصى به البكري زيدا واوصيك بما
اوصى به الحرث بن كعب بنيه فنظر المهلب في وصيته
فاذا فيها يا بني كونوا جميعا ولا تكونوا شيعا فتفرقوا وبزوا
قبل ان تبزوا الموت في قوة وعز خير من حياة في ذل وعجز
فقال المهلب صدق البكري وصدق الحرث وكتب عبد الملك
الى الحجاج جنبني دماء آل ابي طالب فاني رايت الملك استوحش
من آل حرب حين سفكوا دماهم فكان الحجاج يتجنبهم خوفا
من زوال الملك عنه لا خوفا من الخالق عز وجل ودخلت ليلى
الاخيلية على الحجاج فقالت اصلح الله الامير اتيتك لاختلاف النجوم

وقلة الغيوم وكلب البرد وشدة الجهد قال فاخبرني عن الارض قالت
الارض مقشعرة والفجاج مغبرة والمقتر مقل والغني محتل والبائس
معتل والناس مستبون رحمة الله رحوت قال ولي اسما بن خارجة قالت
قسمهن لي قال عندي هند بنت المهلب وهند بنت اسما بن خارجة
فاختار ايتهما فدخلت عليه فضربت على محليه حتى انفلتها لاحتيا رها
اياما ودخولها عليه دون غيرها ه المنقري قال حدثنا العتبي عن
ابيه قال قدم على الحجاج بن عم له اعرابي من البادية فنظر اليه يولي الناس
فقال له ايها الامير لم لا توليني بعض هذه الحضر فقال الحجاج هولاء
يكتبون ويحسبون وانت لا تحسب ولا تكتب فغضب الاعرابي وقال بلى
والله اني لاحسب منهم واكتب منهم بدا قال الحجاج فان كان كما زعم فاقسم
ثلاثة دراهم بين اربعة انفس فما زال يقول ثلاثة بين اربعة لكل واحد حد
منهم درهم ويبقى الرابع بلا شيء ثم هم ايها الامير قال هم اربعة قال نعم
ايها الامير لو وقفت على الحساب لكل واحد منهم وانا اعطي الرابع
منهم درهما من عندي وضرب بيده الى تكته فاستخرج منها درهما وقال
ايكم الرابع فلا والله ما رايت كاليوم نفرا مثل حساب هولاء الحضريين
فضحك الحجاج ومن معه وذهب بهم الضحك كل مذهب ثم قال الحجاج
ان اهل اصبهان كسروا اخراجهم ثلاث سنين كلما اتاهم وال عجزوه فلا منهم
بهذا وكتب له عهده على اصبهان فلما خرج استقبله اهل اصبهان
واستبشروا به واقبلوا عليه يقبلون يده ورجله وقد استغرقوا
وقالوا اعرابي بدوي ماذا يكون منه فلما اكثروا عليه قال العفوا
عن انفسكم وتقبيلكم الدراهم واكفوا عني هذه الهيبات اما
يشغلكم ما اخرجني له الامير فلما استقر في المجلس بداره باصبهان
جمع اهلها فقال الكم تعصون ربكم وتغضبون اميركم وتقصون
خراجكم فقالوا قد ابلينا جورا من قبلك وظلما وظلم قال فما الامر كات
الذي فيه صلاحكم قالوا تؤخر الخراج ثمانية اشهر وتجمعه قال
لكم عشرا وياتون بعشرة يضمنون فاتوه بهم فلما توثق منهم
امهلهم فلما قرب الوقت راهم غير مكترثين لما يدنوا من الاجل فقال
لهم فلم ينتفع بقوله فلما طال به ذلك جمع الضمنا وقال لهم المال ل
قالوا اصابتنا الآفة ما انتقص ذلك فلما راى ذلك منهم آلى الا
يفطر وكان في شهر رمضان حتى يجمع ماله او يضرب اعناقهم

وقدم احدهم فذهب بعضه وكتب عليه فلان بن فلان ادى ما عليه
وجعل راسه في بذره وختم عليه ثم قدم الثاني ففعل به ذلك
فلما راوا القوم الرؤس تبدر وتجعل في الاكياس بدلا من
البدر قالوا ايها الامير توقف علينا لنحضر لك المال ففعل فاحضروه قال
في اسرع وقت فبلغ ذلك الحجاج انا معشر ال محمد يعني جده
وولده نالخبيث فكيف رايتم فراستي في العراقي ولم يزل عليها
والياً حتى مات الحجاج وحبس الحجاج ابرهيم التيمي بواسط فلما
دخل السجن وقف على مكان عال مشرف ونادى باعلا صوته يا اهل
بلاء الله في عافيته ويا اهل عافية الله في بلائه اصبروا فنادوا جميعا
لبيك لبيك لبيك ومات في حبس الحجاج وانما كان الحجاج طلب
ابرهيم النخعي فنجا ووقع ابرهيم التيمي حدثنا الاعمش قال قلت
لابرهيم النخعي اين كنت حين طلبك الحجاج قال بحيث يقول القائل
عوى الذئب فاستانست بالذئب اذ عوى وصوت انسان فكدت اطير
حدثنا الدمشقي الاموي لهيعة بن سعيد بعيرج عن الزبير بن بكار لوحه
عن محمد بن سلام الجمحي وحدثنا الجمحي عن محمد بن سلام قال سال الحجاج
ابن القرية اي النساء احب قال التي في بطنها غلام وفي حجرها
غلام ويسعى خلفها من الغلمان غلام قال فاي النساء اشر قال الشديدة
الاذى البذية الشكوى المخالفة لما تهوى قال فاي النساء اعجب اليك
قال البيضاء العطبول المغناج الكسول التي لم يشبها فقر ولا طول
قال فاي النساء ابغض اليك قال الرعمصة العصيرح الناهو الشرح
قال فاخبرني عن افضل النساء مخبرا واطيبهن اعطافا قال افضل
النساء الغضة البضة التي اعلاها قضيب واسفلها كثيب اللعساء
الدرماء التي لم تهبط والا في انحطاط ولم تلصق فتدلي افراط الجعدة
الغدائر الخشعة الصفار الضخمة المآكم الطفلة البرجم اذا رايت
انا ملها شبهتها المداري واذا قامت خلتها سارية من السواري فتلك
تهيج المشتاق وتجو العاشق بالعناق قال المسعودي ولد الوليد
ابن عبد الملك اخبار حسان مما كان في ايامه من الفتوح والحروب وكذلك
الحجاج وقد اتينا على كثير منه مبسوطه في كتابينا اخبار الزمان والكتاب
الاوسط وانما ذكرنا في هذا الكتاب ما لم نورده في ذينك الكتابين
كما ان ما اوردنا في هذا الكتاب هو ما لم نورده في كتابنا في اخبار الزمان

ذكر خلافة سليمان بن عبد الملك وبويع سليمان
ابن عبد الملك بدمشق في اليوم الذي كانت فيه وفاة الوليد وذلك
يوم السبت من جمادى الاخرة سنة ست وتسعين من الهجرة فتوفي
سليمان بمرج دابق من اعمال جند قنسرين يوم الجمعة لعشر ليالين
من صفر سنة تسع وتسعين فكانت ولايته سنتين وثمانية اشهر
وخمس ليال وهلك وهو ابن تسع وثلاثين سنة وعهد الى عمر بن
عبد العزيز وقيل ان وفاة سليمان كانت يوم الجمعة لعشر خلون
من صفر سنة تسع وتسعين وان ولايته كانت سنتين وتسعة اشهر
وثمانية عشر يوما على حسب ما وجدناه من تباين ما في كتب التواريخ
والسير وسنذكر جملا من ايامهم في باب نفرده فيما يرد من هذا
الكتاب وقد تنوزع في مقدار سن سليمان فذكر بعضهم انه
قبض وهو ابن خمس واربعين ومنهم من زعم انه كان ابن
ثلاث وخمسين وقد قدمنا قول من قال انه قبض وهو ابن تسع
وثلاثين وجادت اكثر شيوخ بني مروان من ولده وولد غيره
يذهبون الى انه كان ابن تسع وثلاثين سنة والله اعلم
ذكر لمع من اخباره وسيره لما افضى الامر الى سليمان صعد
المنبر فحمد الله واثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال الحمد لله ما شاء
صنع وما شاء اعطى وما شاء منع ومن شاء رفع ومن شاء وضع
ايها الناس ان الدنيا دار غرور وباطل وزينة وتقلب باهلها فتضحك
باكيها وتبكي ضاحكها وتخيف امنها وتؤمن خائفها وتثري
فقيرها وتفقر مثريها عباد الله اتخذوا كتاب الله اماما وارضوا
به حكما واجعلوه لكم هاديا ودليلا فانه ناسخ ما قبله ولا ينسخه
معه ما بعده واعلموا عباد الله انه ينجي عنكم كيد الشيطان ومطا
كما يجلو ضوء الصبح اذا اسفر وادبار الليل اذا عسعس ثم
نزل واذن للناس عليه واقر عمال من كان قبله على اعمالهم واقر
خالد بن عبد الله على مكة وقد كان خالد احدث احداثا منها انه
ادار الصفوف حول الكعبة وقد كان قبل ذلك صفوف الناس في
الصلاة بخلاف ذلك وبلغ قول الشاعر
يا حبذا الموسم من موقف وحبذا الكعبة من مشهد
وحبذا اللائي يزاحمننا عند استلام الحجر الاسود

فقال خالد اما انهن فلا يزرن الكعبة بعد هذا ابدا ثم امر بالتفريق
بين الرجال والنساء في الطواف وكان سليمان بن عبد الملك
صاحب اكل كثير يجوز المقدار وكان يلبس الثياب الرقاق وثياب
الوشي وفي ايامه عمل الوشي الجيد باليمن والكوفة والاسكندرية
ولبس الناس جميعا الوشي جبابا واردية وسراويلات وعمائم
وقلانس وكان لا يدخل عليه رجل من اهل بيته الا في الوشي وكذلك
عماله واصحابه ومن في داره وكان يلبسه في ركوبه وجلوسه على المنبر
وكان لا يدخل عليه احد من قومه وخدمه الا في الوشي حتى الطباخ فانه
كان يدخل اليه وفي صدره وشي وامر ان يكفن في الوشي وكان شهيه
في كل يوم من الطعام مائة رطل بالعراقي وكان ربما اتاه الطباخون بالسفافيد
التي فيها الدجاج المشوية وعليه الجبة الوشي المثقلة فلنهمه وحرصه
على الطعام يدخل يده في كمه حتى يقبض على الدجاجة وهي حارة
فيفصلها وذكر الاصمعي ان الرشيد ذكر نهم سليمان وتناوله الدجاج
بكميه من السفافيد فقال له لله انت فما اعلمك باخبارهم اعلم انه عرضت
علي جباب بني امية فنظرت الى جباب سليمان واذا كل جبة منها اثر كاثر
الدهن فلم ادر ما ذلك حتى حدثني هذا الحديث ثم قال علي بجباب
سليمان فاتي بها فنظر فاذا تلك الاثار فيها ظاهرة فكساني منها جبة
فكان الاصمعي ربما خرج فيها فيقول هذه جبة سليمان التي كسانيها
الرشيد وذكر ان سليمان خرج من الحمام ذات يوم وقد اشتد جوعه
ولم يكن استوى الطعام فاستعجل به فامر ان يقدم ما لحق من الشوا
فقدم اليه عشرون خروفا فاكل اجوافها كلها مع اربعين رقاقة
ثم قدم بعد ذلك الطعام فاكل مع ندمائه كانه لم ياكل شيئا وحكي
انه كان يتخذ سلال الحلوى ويجعل ذلك حول مرقده فكان اذا قام
من نومه يمد يده فلا يقع الا على سلة ياكل منها حدث المنقري
عن العتبي عن اسحق بن ابراهيم بن الصباح بن مروان وكان مولى لبني امية
وارض البلقاء من اعمال دمشق وكان حافظا لاخبار بني امية قال لبس
سليمان يوما في جمعة ولايته لباسا اشتهر به وتعطر ودعا بتخت فيه
عمائم وبيده مراة فلم يزل يعتم بواحدة بعد اخرى حتى رضي منها
بواحدة فادخل من سدلها واخذ بيده مخصرة وعلا المنبر ناظرا
في عطفيه وجمع جشمه وخطب خطبة جوارا فاعجبته نفسه

فقال انا الملك الشاب العظيم الحجاب الكريم الوهاب فتمثلت له جارية
من جواريه وكان يتحظاها فقال لها كيف ترين امير المؤمنين قالت اراه
منى النفس وقرة العين لولا ما قال الشاعر قال وما قال قالت
انت نعم المتاع لو كنت تبقى ... غير ان لا بقاء للانسان
ليس فيما بدا لنا منك عيب ... علم الله غير انك فان
فدمعت عيناه وخرج على الناس باكيا فلما فرغ من خطبته وصلاته
دعا بالجارية فقال لها ما دعاك الى ما قلت لامير المؤمنين فقالت والله ما
رايت امير المؤمنين اليوم ولا دخلت عليه فاكبر ذلك ودعا بقيمة جواريه
فصدقتها في قولها فراع ذلك سليمان ولم ينتفع بنفسه ولم يمكث
بعد ذلك الا مدة حتى توفي وكان سليمان يقول قد اكلنا الطيب
ولبسنا اللين وركبنا الفاره ولم يبق لي لذة الا صديق اطرح معه
فيما بيني وبينه مؤونة التحفظ ودخل عليه يزيد بن ابي مسلم
كاتب الحجاج والمستولي عليه مكبلا في الحديد فلما راه ازدراه
فقال ما رايت كاليوم قط لعن الله رجلا فقال له رايتني والامر عني
مدبر وعليك مقبل ولو رايتني والامر علي مقبل لاستعظمت مني
ما استصغرت ولاستجللت مني ما استحقرت قال صدقت
فاجلس لا ام لك فلما استقر به المجلس قال له سليمان عزمت عليك
لتخبرني عن الحجاج ما ظنك به اتراه يهوي بعد في جهنم او قد استقر
فيها قال يا امير المؤمنين لا تقل هذا للحجاج لانه بذل لكم نصحه
واخفر دونكم ذمته وامن وليكم واخاف عدوكم وانه يوم القيمة
بين يمين عبد الملك ويسار اخيك الوليد فاجعله حيث شئت
فصاح سليمان اخرج عني الى لعنة الله ثم التفت الى جلسائه فقال
قبحه الله ما كان احسن ترتيبه لنفسه ولصاحبه لقد احسن المكافاة
اطلقوا سبيله ودخل عليه يوما ابو حازم الاعرج فقال
يا ابا حازم ما لنا نكره الموت قال لانكم عمرتم دنياكم واخربتم اخرتكم
فانتم تكرهون النقلة من العمران الى الخراب قال فاخبرني كيف القدوم
على الله قال اما المحسن فكالغائب اتى اهله مسرورا واما المسيء
فكالعبد الابق ياتي مولاه محزونا قال فاي الاعمال افضل
قال اداء الفرائض مع اجتناب المحارم قال فاي القول اعدل
قال كلمة حق عند من تخاف وترجو قال فاي الناس اعقل قال

استعملك في امورك

فقال

عمل يطلع الله قال فاي الناس احمق قال من باع آخرته بدنيا غيره قال
عظني واوجز قال يا امير المؤمنين نزه ربك وعظمه ان يراك حيث
نهاك او يفقدك حيث امرك فبكى سليمن بكاء شديدا فقال
له بعض جلسائه اسرفت ويحك يا امير المؤمنين فقال له ابو حازم
اسكت فان الله عز وجل اخذ الميثاق على الحكماء ليبيننه للناس
ولا يكتمونه ثم خرج فلما صار الى منزله بعث اليه سليمن بمال فرده وقال
للرسول قل له والله يا امير المؤمنين ما ارضاه لك فكيف ارضاه
لنفسي وذكر اسحق بن ابرهيم الموصلي قال حدثني الاصمعي عن شيخ
من المهالبة قال دخل اعرابي على سليمن فقال له يا امير المؤمنين
اني اريد ان اكلمك بكلام فاحتمله ان كرهته فقال له سليمن انا نجود بسعة
الاحتمال على من نرجو نصحه ولا نامن غشه ونرجو ان تكون الناصح
جيبا المامون غيبا فهات قال يا امير المؤمنين اما اذ امنت
بادرة غضبك فساطلق لساني بما خرست به الالسن من عظتك
تادية لحق الله وحق امانتك يا امير المؤمنين انه قد اكتنفك رجال
اساؤا الاختيار لانفسهم وابتاعوا دنياهم بدينهم ورضاك
بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فهم حرب للاخرة
وسلم للدنيا فلا تامنهم على ما ائتمنك الله عليه فانهم لن يالوا الامانة
تضييعا والامة خسفا وعسفا وانت مسؤل عما اجترحوا
وليسوا مسؤلين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك
فان اعظم الناس غبنا من باع آخرته بدنيا غيره فقال له سليمن
اما انت يا اعرابي فقد سللت لسانك وهو اقطع من سيفك
فقال اجل يا امير المؤمنين لك لا عليك فقال سليمن اما وابيك يا اعرابي
فلا تزال العرب بسلطاننا الا كفاف العز مسوية ولا تزال الايام دولتنا
بكل خير مقبلة ولئن ساءكم ولا غيرنا الحمار منا ما اصبحتم
تدعون فقال الاعرابي اما اذا رجع الامر الى ولد العباس عم الرسول
وصنو ابيه ووارثه جعله الله له اهلا فلا فتغافل سليمن كان لم
يسمع شيئا من ذلك وخرج الاعرابي وكان آخر العهد به هذا الخبر
اخبرني به بعض شيوخ ولد العباس بمدينة السلام من بني جعفر
المنصور وهو ابن عبيد المنصور عن ابيه عن ابي جعفر النوفلي
عن ابيه وذكر في سند الكتاب وذكر معوية بن ابي سفيان في مجلس

سليمن فصلى عليه وحده ورفع ابايه قال كان والله فردا جدا
وجدا علما فالله ما راى مثل معوية كان والله غضبه حلما
وحلمه حكما وقد قيل ان هذا الكلام لعبد الملك وكتب سليمن
الى خالد بن عبد الله القسري وهو على الحجاز في رجل سجاد
بن قريش وكان هرب من خالد الا يعرض له فاتاه بالكتاب
فلم يفضه حتى ضربه مائة سوط ثم قراه فقال هذه نعمة الله
ان ينتقم بها منك لتركي قراءة الكتاب ولو كنت قراته لانفذت
ما فيه فخرج الرجل راجعا الى سليمن فساله الفرزدق واناس
ممن كان بالباب عما صنع خالد فاخبره فقال الفرزدق في ذلك

سلوا خالدا لا اكرم الله خالدا ... متى وليت قسرا قريشا تدينها
اقبل رسول الله بعد عثمان ... فاضحت قريش قد اغث سمينها
رجونا هداه لا هدى الله سعيه ... وما امه بالام يهدى جنينها

فابلغ سليمن ذلك فوجه الى خالد فضربه مائة سوط

فقال الفرزدق في ذلك ابيات

لعمري لقد صبت على ظهر خالد ... شآبيب ليست من سحاب ولا قطر
اتضرب في العصيان من ليس عاصيا ... وتعصي امير المؤمنين اخا قسر
فلولا يزيد بن المهلب حلقت ... بكفك فتخاء الى الفرخ في الوكر
لعمري لقد سار ابن شيبة سيرة ... اراك نجوم الليل مظهرة تجري

وقال سليمن يوما لعمر بن عبد العزيز وقد اعجبه ما صار فيه
ما نحن فيه فقال له سرور لولا انه غرور وحسن لولا انه عدم
وملك لولا انه هلك وحياة لولا انه موت ونعيم لولا انه عذاب
اليم فبكى سليمن من كلامه وكان بخلاف الوليد وعلى الضد منه
في الفصاحة والبلاغة وقد كان الوليد افسد في ارض لعبد الله بن
يزيد بن معوية فشكا ذلك اخوه يزيد بن معوية الى عبد الملك فقال
له عبد الملك ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها فقال له خالد
واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول
فدمرناها تدميرا فقال عبد الملك الى عبد الله تكلمني بالامس
دخل الي يعيب في لسانه واللحن في كلامه فقال لي الوليد ان كان
الوليد يلحن فسليمن اخوه فقال خالد وان كان عبد الله لحانا فان اخاه
خالد فقال الوليد اتكلم ولست في العير ولا في النفير فقال الم تسمع

ما يقول يا امير المومنين انا والله في العير والنفير ولكن لو قلت
عبلات وعنيمات والطايف فرحم الله عثمن قلنا صدقت
اراد بذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نفى الحكم بن العاص
الى الطايف فصار راعيا حتى رده عثمن فغضب سليمن
على خالد القسري فلما دخل عليه قال يا امير المومنين ان القدرة
تذهب الحفيظة وانت تجل عن العقوبة فان تعف فاهل
لذلك انت وان تعاقب فاهل ذلك انا فعفا عنه وذم رجل
رجلا في مجلس سليمن واساء الكلام فقال سليمن انه ليس
من تكلم فاحسن بقدر ان يصمت فيحسن وليس من صمت
فاحسن قدر ان يتكلم فيحسن ووقف سليمن على قبر ولد
ايوب وبركان يكني فقال اللهم اني ارجوك واخافك عليه فحقق
رجاي وامن خوفي **قال المسعودي** ولما دفن سليمن
سمع بعض كابر **وهو يقول ابياتا منها**

وما سالم عما قليل بسالم ... وان كثرت احراسه وكتايبه
ويصبح بعد الحجب للناس مقصيا ... رهينة بيت لم تستر جوانبه
فما كان الا الدفن حتى تفرقت ... الى غيره اجناده ومواكبه
واصبح مسرورا بها كل كاشح ... واسلمه احبابه واقاربه
بنفسك فاكسبها السعادة جاهدا ... فكل امرء رهن بما هو كاسبه

قال المسعودي ولسليمن اخبار حسان وما كان في مدة ملكه
من الحوادث قد اتينا على مبسوط ذلك في كتابنا اخبار الزمان والاو سط
وانما نذكر في هذا الكتاب لمعا طلبا للايجاز وميلا الى الاختصار
وبالله التوفيق **ذكر خلافة عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم**
واستخلف عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة لعشر بقين من صفر سنة
تسع وتسعين وهو اليوم الذي مات فيه سليمن وتوفي بدير سمعان
من اعمال حمص مما يلي بلاد قنسرين يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة
احدى ومائة وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر وخمسة ايام وقبض
وهو ابن تسع وثلثين سنة وقبره مشهور في هذا الموضع الى هذه الغاية
يعظمه كثير من الناس من الحاضرة والبادية لم يعرض لنبشه فيما سلف
من الزمان كما عرض لقبور غيره من بني امية وامه ام عاصم بنت عاصم
بن عمر بن الخطاب وقيل انه قبض وهو ابن اربعين سنة وقيل احدى

واربعين سنة وقد تنوزع ايضا في مقدار مدته في الخلافة وقد
اتينا على المحصل من ذلك في باب تقدير المدة من الزمن وما ملكت
فيه بنو امية من الاعوام فيما يرد من هذا الكتاب **ذكر
لمع من اخباره وسيره وزهده** لما الت خلافة عمر من عمل التقدم
وكان السبب في ذلك ان سليمن لما حضرته الوفاة بمرج دابق
دعا بمحمد بن شهاب الزهري ومكحول وغيرهم من العلماء ممن كان في عسكره
غازيا وناولهم كتاب وصيته ولبثه عندهم مختوما وقال اذا انا
مت فاذنوا بالصلوة جامعة فاجتمع الناس وحضر بنو امية ل
فاشرابوا للخلافة وتشوفوا نحوها فقام الزهري فقال ايها الناس
ارضيتم بمن سماه امير المومنين في وصيته قالوا نعم فقرا الكتاب
فاذا اسم عمر بن عبد العزيز ومن بعده يزيد بن عبد الملك فقام
سعيد وهشام فانكرا ولم يبايعا وبايع الناس جميعا ثم بايع
سعيد وهشام بعد ذلك بيومين وكان عمر في نهاية النسك والتوا ضع
وصرف عمال من كان قبله من بني امية واستعمل اصلح من قدر عليه فسلك
عماله طريقته وترك لعن علي عليه السلام على المنابر وجعل مكانه
ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الاية وقيل
بل جعل مكان ذلك ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية وقيل
بل جعلهما جميعا فاستعمل الناس ذلك في الخطبة الى هذه الغاية ولما
استخلف عمر دخل عليه سالم العبدي وكان من خاصته فقال له عمر
اسرك ما وليت ام ساءك قال سرني للناس وساءني لنفسك قال
اني اخوف ان اكون قد اوبقت نفسي قال ما احسن حالك
ان كنت تخاف انما اخاف عليك ان لا تخاف قال عظني قال ابونا
ادم اخرج من الجنة بخطيئة واحدة **وكتب** طاووس الى
عمر ان اردت ان يكون عملك خيرا كله فاستعمل اهل الخير فقال عمر
كفى بها موعظة ولما افضى الامر اليه كان اول خطبة خطب الناس بها
ان قال ايها الناس انما نحن من اصول قد مضت وبقيت فروعها
فما بقاء فرع بعد اصله وانما الناس في هذه الدنيا المعاص تنتضل
فيهم المنايا وهم فيها نهب المصائب مع كل جرعة شرق وفي كل
اكلة غصص لا تنالون نعمة الا بفراق اخرى ولا يعمر معمر منكم
يوما من عمره الا بهدم اخر من اجله وكتب الى عامله بالمدينة ان اقسم على

ثم اقرأ على هذا الكتاب
على الناس فلما فرغ منه دفنه
يعني بعد الصلوة جامعه

ابن ابي طالب صلوات الله عليهم عشرة آلاف دينار فكتب اليه ان عليا
قد ولد له في عدة قبايل من قريش ففي اي ذلك فكتب اليه لو كتبت
اليك في شاة تذبحها لكتبت الي سوداء او بيضاء اذا اتاك كتابي
هذا فاقسم على ولد علي بن ابي طالب من فاطمة رضي الله عنهم عشرة
الاف دينار فطالما تغافلتم حقوقهم والسلام وخطب
في بعض مقاماته بعد حمد الله والثناء عليه ايها الناس انه لا كتاب
بعد القرآن ولا نبي بعد محمد عليه الصلاة والسلام الا اني لست
بقاض ولكني منفذ الا واني لست بمبتدع ولكني متبع ان
الرجل الهارب من الامام الظالم ليس بعاص وكان الامام الظالم
هو العاصي الا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وبعث
عمر وفدا الى ملك الروم في امر من مصالح المسلمين وحق يدعونه اليه
فلما دخلوا اذا ترجمان يفسر عليه وهو جالس على سرير ملكه والتاج
على راسه والبطارقة على يمينه وشماله والناس على مراتبهم بين
يديه فادوا اليه ما قصدوا له فتلقاهم بجميل واجابهم باحسن
الجواب وانصرفوا عنه في ذلك اليوم فلما كان من غد اتاهم
رسوله فدخلوا عليه فاذا هو قد نزل عن سريره ووضع التاج
عن راسه وقد تغيرت صفاته التي شاهدوه عليها كانه في
مصيبة فقال هل تدرون لما ذا دعوتكم قالوا لا قال ان صاحب
مسلحتي التي تلي العرب جاءني كتابه في هذا الوقت ان الرجل الصالح
قد مات فما ملكوا انفسهم ان بكوا فقال الكم تبكون ام لدينكم
ام له قالوا نبكي لانفسنا ولديننا وله قال لا تبكوا له وابكوا
لانفسكم بما بدا لكم فانه قد خرج مما خلف قد كان يخاف ان يدع
طاعة الله فلم يكن الله ليجمع عليه مخافة الدنيا ومخافة الآخرة لقد بلغني
من بره وفضله وصدقه ما لو كان احد بعد عيسى يحيي الموتى لظننت
انه يحيي الموتى ولقد كانت تأتيني اخباره باطنه وظاهره فلا اجد
امره مع ربه الا واحدا بل باطنه اشد حين خلوته بطاعة مولاه
ولم اعجب لهذا الراهب الذي قد ترك الدنيا وعبد ربه على
راس صومعة ولكني عجبت من هذا الذي صارت الدنيا تحت
قدمه فزهد فيها حتى صار مثل الراهب ان اهل الخير لا يبقون
مع اهل الشر الا قليلا وكتب عمر الى ابي حازم المدني الاعرج

ان اوصني واوجز فكتب اليه كانك يا امير المؤمنين بالدنيا ولم تكن
وبالآخرة ولم تزل والسلام ووقع الى عامل من عماله قد كثر شاكوك
فاما عدلت واما اعتزلت والسلام وذكر المدائني قال كان
يشترى لعمر قبل الخلافة الحلة بالف فاذا لبسها استخشنها
ولم يستحسنها فلما استخلف كان يشترى له القميص بعشرة
دراهم فاذا لبسه استلانه وخرج مع جماعة من اصحابه الى المقبرة
فقال لهم قفوا حتى ازور قبور الاحبة فسلم عليهم فلما توسطها
وقف فسلم وتكلم وانصرف الى اصحابه فقال الا تسالوني ماذا
قلت وماذا قيل فقالوا له ماذا قلت يا امير المؤمنين وماذا قيل لك
قال مررت بقبور الاحبة فسلمت فلم يردوا ودعوت فلم يجيبوا فبينما
انا كذلك اذ نوديت يا عمر اتعرفني انا الذي غيرت محاسن وجوههم
الثياب ومزقت الاكفان عن جلودهم وقطعت ايديهم وابنت
الكفين من سواعدهم ثم بكى حتى كادت نفسه ان تطفى فوالله ما مضت
بعد ذلك الا ايام حتى لحق بهم وذكر المدائني قال كتب
مطرف الى عمر اما بعد فان الدنيا دار عقوبة لها يجمع من لا
عقل له وبها يغتر من لا علم له فكن فيها كالمداوي جرحه واصبر
على شدة الدواء لما تخاف من عاقبة الداء وذكر بعض الاخباريين
ان عمر في عنفوان شبابه جنا عليه عبد اسود جناية فبطحه ليضربه
فقال العبد يا مولاي لم تضربني فقال لانك جنيت كذا وكذا قال
فهل جنيت جناية فاغضبت بها مولاك عليك قال نعم قال فانت
جرأ لو وجد الله بقوة وكان ذلك سبب توبته وكان عمر يكثر هذا الكلام
في كلامه فيقول الحليم لا يعجل على من عصاه وذكر جماعة من
الاخباريين ان العرب وفدت عليه وفد الحجاز فاختار الوفد
غلاما منهم فتقدم عليهم ليبداهم بالكلام فلما ابتدا الغلام
بالكلام وهو اصغر القوم سنا فقال عمر مه يا غلام ليتكلم من
هو اسن منك فهو اولى بالكلام فقال مهلا يا امير المؤمنين انما
المرء باصغريه قلبه ولسانه فاذا منح الله عبدا لسانا لافظا وقلبا
حافظا فقد استحق له الخلافة يا امير المؤمنين لو ان الامر بالسن
لكان في هذه الامة من هو اسن منك قال تكلم يا غلام فقال نعم
يا امير المؤمنين نحن وفود الشكر لا وفود الرزية قدمنا اليك من بلادنا

نحمد الله الذي من علينا بك ولم يخرجنا اليك رغبة ولا رهبة
اما الرغبة فقد اتتنا منك الى بلادنا واما الرهبة فقد امننا الله
بعدلك من جورك قال عظنا يا غلام واوجز قال نعم يا امير المومنين
ان اناسا من الناس غرهم حلم الله عنهم وطول املهم وحسن ثناء
الله عليهم فلا يغرنك حلم الله عنك وطول املك وثناء الناس
عليك فتزل قدمك فنظر عمر سن الغلام فاذا قد اتت عليه بضع
عشر سنة فانشأ عمر يقول

تعلم فليس المرء يولد عالما وليس اخو علم كمن هو جاهل
فان كبير القوم لا علم عنده صغير اذا التفت عليه المحافل

وقد كان رجل من المدينة اتى العراق في طلب جارية وصفت له
فارتحل في طلبها فسال عنها فقيل انها عند قاضي المدينة فاتاه
ثم سأله ان يعرضها عليه فقال له يا عبد الله لقد ابعدت
الشقة في طلب هذه الجارية فارغبتك فيها لما راى شدة
اعجابه قال انها تغني فتجيد فقال القاضي ما علمت بهذا
فالح عليه في عرضها فعرضها بحضرة مولاها القاضي فقال
لها الفتى هات فتغنت

الى خالد حتى انخنا بخالد فنعم الفتى يرجى ونعم الموئل

ففرح القاضي بجاريته وسر بغنائها وغشيه من الطرب امر
عظيم حتى اقعدها على فخذه وقال هات بابي انت شيئا
فتغنت

اروح الى القصاص كل عشية ارجي ثواب الله في عدد الخطا

فزاد الطرب على القاضي ولم يدر ما يصنع فاخذ نعله فعلقها
في اذنه وجثى على ركبتيه وجعل ياخذ بطرف اذنيه والنعل
معلق فيها ويقول اهدوني فاني بدنة حتى ادميت اذنه فلما امسكت
عن الغنا قال يا حبيبي انصرف فقد كنا فيها راغبين قبل ان
نعلم انها تقول فنحن الان فيها ارغب فانصرف الفتى وبلغ ذلك عمر
ابن عبد العزيز فقال قاتله الله لقد استرقه الطرب وامر بصرفه عن عمله فلما
صرف قال نساؤه طوالق لو سمعها عمر لقال اركبوني فاني مطية
فبلغ ذلك عمر فاشخصه واشخص الجارية فلما دخلا على عمر قال له
اعد ما قلت قال نعم فلما اعادها قال للجارية قولي فتغنت

كان لم

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا اهلها فابادنا صروف الليالي والجدود العواثر

فلما فرغت من هذا الشعر حتى اضطرب عمر طربا شديدا بينا واقبل
يستعيدها ثلثا وقد بلت دموعه لحيته ثم اقبل على القاضي
فقال لقد قاربت في عينك ارجع الى عملك راشدا حدثنا
الطوسي والاموي والكشي وغيرهم عن الزبير بن بكار عن
عبد الله بن العلا المدني قال كان بالمدينة فتى من بني امية من
ولد عثمان وكان ظريفا وكان يختلف الى قينة لبعض قريش
وكانت الجارية تحبه ولا يعلم ويحبها ولا تعلم ولم يكن يحبه القوم
اذ ذاك لريبة ولا لفاحشة فاراد يوما ان يبلو ذلك فقال
لبعض من عنده امض بنا اليها فانطلقا ووافاها جمع من اهل
المدينة من قريش والانصار وغيرهم وما كان فيهم من هو يجد
بها وجده ولا يجد بواحد منهم وجدها به اعني الاموي فلما
ان اخذ الناس مواضعهم قال لها الفتى ان تقولي

احبكم حبا بكل جوارحي فهل لكم علم بما لكم عندي
اتجزون بالود المضاعف مثله فان الكريم من جزى الود بالود

قالت نعم واحسن وقالت

للذي ودنا المودة بالضعف وفضل البادي به لا يجازى
لو بدا ما بنا لكم ملأ الارض واقطار شامها والحجاز

ثم قال فتعجب الفتى من ذهنها مع حسن جوابها وجودة
حفظها فازداد كلفا بها ثم قال

انت عذر الفتى اذا هتك الستر وان كان يوسف المعصوما

فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فاشتراها بعشرة الاف درهم ووهبها
له بما يصلحها فاقامت عنده حولا ثم ماتت فرثاها وقضى في
حالة تلك فدفنا معا وكان من مرثيته لها وقال

قد غنينا حقبة جنة الخلد فادخلتها بلا استيهال
ثم اخرجت اذ تطعمت بالنعمة فيها والموت لكم حال

وقال اشعب الطامع المدني هذا سيد شهداء الهوى
انحروا على قبره سبعين بدنة وقال ابو حازم الاعرج المدني
اما محب الله يبلغ هذا وقد كان عزيزي في ايام عمر سود بن الخادي نحي

وقوي امر فيمن خرج بعد من المحكمة من ربيعة وغيرها فحدث عباد
ابن عباد المهلبي عن محمد بن الزبير الحنظلي قال ارسلني عمر اليهم
وارسل معي عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وكان خروجهم
بالجوخى وبعث عمر معنا اليهم كتابا فاتيناهم فابلغناهم كتابه
ورسالته فبعثوا معنا رجلين منهم احدهما من بني شيبان والاخر
فيه حبشية وهو اشدهما لسانا واعارضه فقدمنا بهما على
عمر وهو بخناصرة فصعدنا اليه الى غرفة هو فيها ومعه
ابنه عبد الملك وكاتبه مزاحم فذكرنا مكانهما فقال الا فتشوهما هما
لئلا يكون معهما حديد ففعلنا فلما دخلا عليه قالا السلام
عليكم ثم جلسا فقال لهما عمر اخبراني ما الذي اخرجكم مخرجكم
هذا وما نقمتم علينا فتكلم الذي فيه حبشية فقال والله
ما نقمنا عليك في سيرتك وانك لتتحرى بالعدل والاحسان ن
ولكن بيننا وبينك امر ان اعطيتناه فانت منا ونحن منك وان
منعتناه فلست منا ولسنا منك قال عمر وما هو قالوا اراك
خالفت اعمال اهل بيتك وسميتها المظالم وسلكت غير سبيلهم
فان زعمت انك على هدى وانهم على ضلالة فالعنهم وابرا منهم
فهذا الذي يجمع بيننا وبينك او يفرق فتكلم عمر فقال انا
قد علمت انكم لم تخرجوا مخرجكم هذا للدنيا ولكنكم اردتم الاخرة
فاخطاتم طريقها واني سائلكم عن امر فبالله لتصدقنني عنه ارايتم
ابا بكر وعمر اليسا من اسلافكم وممن تتولون وتشهدون لهما بالنجاة ه
قالا بلى قال فهل علمتم ان ابا بكر حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
ارتدت العرب فقاتلهم وسفك الدماء واخذ الاموال وسبى
الذراري قالا نعم قال فهل برئ عمر من ابي بكر قالا لا قال فهل
رايتم اهل النهر ولئن اليسوا من اسلافكم وممن تتولون وتشهدون
لهم بالنجاة قالا بلى قال فهل علمتم ان اهل الكوفة حين خرجوا
اليهم كفوا ايديهم فلم يسفكوا دما ولم يخيفوا امنا ولم
ياخذوا مالا قالا نعم قال فهل علمتم ان اهل البصرة حين خرجوا
اليهم مع الشيباني وعبد الله بن وهب الراسبي واصحابه استعرضوا ضوا
الناس يقتلونهم ولقوا عبد الله بن خباب بن الارت صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلوه وقتلوا جاريته ثم صبحوا

احياء من احياء العرب فاستعرضوهم فقتلوا الرجال والنساء والاطفال ل
حتى جعلوا يلقون الصبيان في قدور الاقط وهي تفور قالا قد
كان ذلك قال فهل برئ اهل البصرة من اهل الكوفة واهل البصرة
من اهل الكوفة قالا لا قال فهل تبرؤون انتم من احدى الطائفتين قالا لا لا
قال ارايتم الدين واحد او اثنان قالا بل واحد قال فهل يسعكم يسعني
فيه شيء يعجز عني قالا لا قال فكيف وسعكم ان توليتم ابا بكر وعمر وتولى
احدهما صاحبه وتوليتم اهل البصرة واهل الكوفة فتولى بعضهم
بعضا وقد اختلفوا في اعظم الاشياء في الدماء والفروج والاموال ل
ولا يسعني فيما زعمتم الا ان العن اهل بيتي وابرا منهم ويحك
ارايتم لعن اهل الذنوب فريضة مفروضة لا بد منها فاذا كانت كذلك
فاخبرني ايها المتكلم متى عهدك بلعن فرعون قال ما اذكر متى
لعنته قال ويحك ويسعك ان لا تلعن فرعون وهو اخبث الخلق
ولا يسعني الا ان العن اهل بيتي وابرا منهم ويحك انكم قوم جهال
اردتم امرا فاخطاتموه فانتم تردون على الناس ما قبل منهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ويامن عنده من خاف عنده قال الحبشي
لذلك قال عمر بل سوف تقرون بذلك الان هل تعلمون ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس وهم عبدة الاوثان فدعاهم الى
خلع الاوثان وشهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فمن قال
ذلك حقن دمه واحرز ماله ووجبت حرمته وكانت له اسوة
بالمسلمين قالا نعم قال افلستم تلقون من يخلع الاوثان ويشهد ان لا اله
الا الله وان محمدا رسول الله فتستحلون دمه وماله وتلقون من ترك
ذلك واباه من اليهود والنصارى وسائر الاديان فيامن عندكم ويحرم مول
دمه وماله قال الحبشي ما سمعت كاليوم حجة ابين ولا اقرب ماخذا
من حجتك اما انا فاشهد انك على الحق واني بريء ممن برئ منك
فقال عمر للشيباني فانت ما تقول قال ما احسن ما قلت وابين
ما وصفت ولكني لا افتات على المسلمين بامر حتى اعرض قولك عليهم
واعلم ما حجتهم قال فانت اعلم وانصرف واقام الحبشي فامر له
عمر بعطاء فمكث خمسة عشر يوما ثم مات ولحق الشيباني باصحابه به
فقتل بينهم بعد موت عمر رحمه الله ولعمر مع الخوارج اخبار
غير ما ذكرنا ومراسلات ومناظرات وكذلك لمن سلف من بني امية وغيرهم

من ولاة الصفارية وقد اتينا على ذكرها وذكرهم وعيرهم من الخوارج بامير المؤمنين
وخاطبته بالامارة من الازارقة والاباضية والحمرية والنجدات
والجلدية والصفرية وغيرهم من انواع الخوارج وذكرنا مواضعهم
من الارض في هذا الوقت مثل من سكن منهم بلاد شهرزور
وسجستان واصطخر ارض فارس وبلاد كرمان واذربيجان
وجبال عمان وهراة من بلاد خراسان والجزيرة وتاهرت السفلى
وغيرها من بقاع الارض في كتابينا اخبار الزمان والاوسط
وما ذكرناه من الرد عليهم في التحكيم وغيره في كتابنا المترجم بكتاب
الاستبصار المعروف بفرق الخوارج وفي كتاب الاستبصار وقد ذكر
جماعة من شعرائهم ممن سلف من ائمتهم من ذلك قول المصقلة بن عتاب
الشيباني وكان من عبيد الخوارج يقولون

إبلغ امير المؤمنين رسالة   وذو النصح ان لم يرع منك قريب
فانك الا ترض بكر بن وائل   يكن لك يوم بالعراق عصيب
فان يك منكم كان مروان وابنه   وعمرو ومنكم هاشم وحبيب
فمنا سويد والبطين وقعنب   ومنا امير المؤمنين شبيب
غزالة ذات النذر منا حميدة   لها في سهام المسلمين نصيب
ولا صلح ما دامت منابر ارضنا   يقوم عليها من ثقيف خطيب

ولذلك ذكرنا اخبار ام شبيب بن شبيب وما كانت عليه من الاجتهاد
في ديانة محكمة وفيها يقول الشاعر

ام شبيب ولدت شبيبا   هل تلد الذيبة الا ذيبا

واخبار علمائهم كاليمان وله كتب مصنفة في مقالاتهم وعبد الله
ابن يزيد الاباضي ولابي مالك الحضرمي وقعنب وغيرهم هؤلاء من علمائهم
وقد كان اليمان بن رباب من علية علماء الخوارج واخوه علي
ابن رباب وهو احد اصحابه يجتمعان في كل سنة ثلاثة ايام
يتناظران فيها ثم يفترقان ولا يسلم احدهما على الاخر ولا يخاطبه
وكذلك كان جعفر بن المبشر من علماء المعتزلة وحذاقهم وزهادهم
واخوه حبيش بن المبشر من علماء اصحاب الحديث ومن رؤساء الحشوية
وبالضد من قول اخيه جعفر فطالت بينهما المناظرة والمنازعة والتباغض
والتباين والاكل واحد منهما لا يخاطب الاخر الى ان لحق بخالقه
وجعفر بن بشر وجعفر بن حرب من علماء البغداديين من المعتزلة وكان

عبد الله بن يزيد الاباضي يختلف اليه اصحابه بالكوفة ياخذون عنه
وكان خرازا شريكا لهشام بن الحكم وكان هشام مقدما في القول بالجسم
والقول بالامامة على مذهب القطعية تختلف اليه اصحابه من
الرافضة ياخذون عنه وكلاهما في حانوت واحد على ما ذكرنا
من التضاد في المذاهب من الشرى والرفض اربعين سنة لم يجر
بينهما مسابة ولا خروج عما يوجبه العلم وقضية العقل وموجبات
الشرع واحكام النظر والسبر وذكر ان عبد الله بن يزيد الاباضي قال لهشام
ابن الحكم في بعض الايام تعلم ما بيننا من المودة ودوام الشركة وقد
احببت ان تنكحني ابنتك فاطمة فقال له هشام انها مؤمنة فامسك
فامسك عبد الله ولم يعاوده في شيء من ذلك الى ان فرق الموت
بينهما وكان من امر هشام مع الرشيد والبرامكة ما قد اتينا على ذكره
فيما سلف من كتبنا وذكر عن عمرو بن عبيد الله انه كان يقول اخذ
عمر بن عبد العزيز الخلافة بغير حق ولا باستحقاق لها ثم استحقها
بالعدل حتى اخذها وفي وفاة عمر بن عبد العزيز رضوان الله عليهم
وحسن زمن رثته يقول الفرزدق من ابيات يرثيه بها

اقول لما نعا الناعون لي عمرا   لقد نعيتم قوام الحق والدين
قد غيب الرامسون اليوم اذ رمسوا   بدير سمعان قسطاس الموازين
لم يلهه عمره عين يفجرها   ولا النخل ولا ركض البراذين

ولعمر رحمة الله عليه اخبار حسان غير ما ذكرنا في هذا الكتاب في الزهد
وغيره قد اتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا وبالله التوفيق

ذكر ايام يزيد بن عبد الملك بن مروان

وملك يزيد بن عبد الملك في اليوم الذي توفي فيه عمر بن عبد العزيز رحمه
الله عليه وهو يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة احدى ومائة
ويكنى ابا خالد وامه عاتكة ابنة يزيد بن معاوية بن ابي سفيان وتوفي
يزيد ابن عبد الملك باربد من ارض البلقاء من اعمال دمشق يوم الجمعة لخمس
بقين من شعبان سنة خمس ومائة وهو ابن سبع وثلاثين سنة فكانت
ولايته سبع سنين وشهر وايام ذكر لمع من اخباره وسيره
كان الغالب على يزيد جارية يقال لها سلامة القس وكانت لسهيل
ابن عبد الرحمن بن عوف فاشتراها يزيد بثلاثة الاف دينار والحبابة
وغلبت على امره وفيها يقول عبد الله بن قيس الرقيات

الزهري

لقد فتنت ريا وسلامة القسا فلم يتركا للقس عقلا ولا نفسا

فلما استام سعيد العثمانية حبابة تزيد جارية قد كان في نفس يزيد ابن عبد الملك منها شي فغلبت عليه ووهبت سلامة لام سعيد فعذله مسلمة بن عبد الملك لما عم الناس من الظلم والجور واقباله على الشرب واللهو وقال له انما مات عمر بالامس وكان من عدله ما قد علمت فينبغي ان تظهر للناس العدل وترفض هذا اللهو فقد اقتدى بك عمالك في سائر افعالك وسيرتك فارتدع عما كان عليه واظهر الاقلاع والندم واقام على ذلك مدة مديدة فغلظ ذلك على حبابة فبعثت الى الاحوص الشاعر ومعبد المغني انظرا ما انتما صانعان فقال الاحوص في ابيات له

الا لا تلمه اليوم ان يتبلدا — فقد غلب المحزون ان يتجلدا
اذا كنت ممنوعا عن اللهو والصبا — فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا
فما العيش الا ما تلذ وتشتهي — وان لام فيه ذو الشنان وفندا

وغناه معبد واخذته حبابة فلما دخل عليها يزيد قالت يا امير المومنين اسمع صوتا واحدا وافعل ما بدا لك وغنته فلما فرغت منه جعل يردد قولها وما العيش الا ما تلذ وتشتهي وهو البيت المتقدم وعاد بعد ذلك على لهوه وقصفه وفيه كان عن ابي اسحق ابن ابرهيم الموصلي قال حدثني ابن سالم قال ذكر يزيد قول الشاعر

صفحنا عن بني ذهل — وقلنا القوم اخوان
عسى الايام ان يرجعن — قوما كالذي كانوا
فلما صرح الشر — فامسى وهو عريان
مشينا مشية الليث — غدا والليث غضبان
بضرب فيه توهين — وتخضيع واقران
وطعن كفم الزق — وما والزق ملان
وفي الشر نجاه حين — لا ينجيك احسان

وهو شعر قديم يقال انه للفند الزماني في حرب البسوس فقال لحبابة غنيني به يا حبابة فقالت يا امير المومنين ما اعلم احدا يغني به الا الاحول المكي فقال نعم قد كنت سمعت ابن عايشة يعمل فيه ويلحن وقالت انما اخذه عن فلان بن ابي لهب وكان حسن الادا فوجه يزيد الى صاحب مكة واذا اتاك كتابي هذا فادفع الى فلان بن ابي لهب الف دينار لنفقة طريقه وعلى ما شا من دواب البريد ففعل فلما قدم عليه قال غنني بشعر الفند الزماني فغنا فاجاد واحسن واطرب فقال اعد فاعاد فاجاد واحسن واطرب

يزيد فقال له عمن اخذت هذا الغنا قال اخذته يا امير المومنين عن ابي واخذه ابي عن ابيه فقال لو ادرك هذا الصوت لكان ابو لهب رضي الله عنه قد ودكم خيرا كثيرا فقال يا امير المومنين ان ابا لهب مات كافرا مؤذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعلم ما تقول ولكني دخلتني له رقة اذ كان يجيد الغنا ووصله وكساه ورده الى بلده مكرما وكان في عهد عمر الى يزيد اذا امكنتك القدرة بالغرم فاذكر قدرة الله عليك وقيل ان هذا الكلام لكتاب عمر الى عماله وفيه زيادة على ما ذكره الزبير بن بكار وهي اذا امكنتك القدرة على ظلم العباد فاذكر قدرة الله عليك تاملت اليهم امرا الا كان زايلا عنهم باقيا عليك وان الله يأخذ للمظلوم من الظالم ومهما ظلمت من احد فلا تظلمن من لا ينتصر عليك الا بالله واعتلت حبابة فاقام يزيد اياما لا يظهر للناس ثم ماتت فاقام اياما لا يدفنها جزعا عليها حتى جيفت فقيل له ان الناس يتحدثون بجزعك وان الخلافة ترفع عن ذلك فدفنها واقام على قبرها فقال

فان تسل عنك النفس او تدع الصبا — فباليأس يسلو عنك لا بالتجلد

ثم اقام بعدها اياما قلايل ثم مات حدثنا ابو عبد الله محمد بن ابرهيم عن اسحق الموصلي عن ابي الحويرث الثقفي قال لما ماتت حبابة جزع يزيد بن عبد الملك جزعا شديدا وضم اليه جويرية لها كانت تخدمها فكانت تخدمه فتمثلت الجارية يوما

كفى حزنا للهائم الصب ان يرى — منازل من يهوى معطلة قفرا

فبكى حتى كاد ان يموت ولم تزل تلك الجويرية معه يتذكر بها حبابة حتى مات وكان يزيد ذات يوم في مجلسه وقد غنته حبابة وسلامة فطرب طربا شديدا ثم قال اريد ان اطير فقالت له حبابة يا مولاي على من تدع الامة وتدعنا فكان ابو الخازني اذا ذكر عمروان وعابهم ذكر يزيد بن عبد الملك فقال تجعل حبابة عن عبيد وسلامة عن عبادة ثم قال اريد ان اطير يطير الى لعنة الله قال المسعودي وقد كان يزيد بن المهلب بن ابي صفرة هرب من سجن عمر بن عبد العزيز حين علل وذلك في سنة احدى ومائة وصار الى البصرة وغلب عليها بن ارطاة

الفزاري فلما اخذ يزيد بن المهلب فادو بعده ثم خرج يزيد الكوفة بحا لفا
على يزيد بن عبد الملك وحشدت له الازد واجلو فيها والجاز
اليه اهله وخاصته وعظم امره واشتدت شوكته فبعث اليه
يزيد بن عبد الملك اخاه مسلمة بن عبد الملك وابن اخيه العباس
ابن الوليد بن عبد الملك في جيش عظيم فلما سار فاذا اى
يزيد بن المهلب في عسكره اضطرابا فقال ما هذا الاضطراب
ان قيل جاء مسلمة والعباس فوالله ما مسلمة الا جرادة صفرا
وما العباس الا نسطوس بن نسطوس وما اهل الشام الا طغام
قد حشدوا ما بين فلاح وزراع ودباغ وسفلة فاعيروني
الكفكم ساعة تقصفون بها خراطيمهم فما هي الا غدوة او روحة
حتى يحكم الله بيننا وبين القوم الظالمين على برذون فاره اغر
ابلق وليس بخير متسلح والتقى الجيشان فاقتتلوا قتالا شديدا
وولى اكثر اصحاب يزيد عنه فقتل يزيد في المعركة وصبر اخوته
انفسهم فقتلوا جميعا **ففي ذلك يقول الفرزدق**

كل القبائل بايعوك على الذي   تدعو اليه طايعين وساروا
حتى اذا احتضر الوغى وجعلتهم   نصب الاسنة اسلموك وطاروا
ان يقتلوك فان قتلك لم يكن   عارا عليك ورب قتل عار

فلما ورد الخبر على يزيد بن عبد الملك استبشر وامر الشعرا جميعا
يهجوا آل المهلب ففعلوا الا كثيرا فانه امتنع من ذلك فقال له يزيد حركتك
الرحم يا ابا صخر انهم يمانيون **وفي ذلك يقول جرير يمدح يزيد بن عبد الملك ويهجو آل المهلب**

يا رب قوم وقوم حاسدين لكم   ما فيهم بدل منكم ولا خلف
آل المهلب جز الله دابرهم   امسوا رمادا فلا اصل ولا طرف
ما نالت الازد من دعوى مضلهم   الا المعاصم والاعناق تختطف
والازد قد جعلوا المشوم قائدهم   فقتلتهم جنود الله وانتسفوا

وهي كلمة طويلة **وفي ذلك يقول جرير ايضا ليزيد من كلمة له**

لقد تركت فلا يعدمك ذكرهم   لابن المهلب عظما غير مجبور
يا ابن المهلب ان الناس قد علموا   ان الخلافة للشم المغاوير

وبعث يزيد بن هلال بن احوز المازني في طلب اهل المهلب
وامره ان لا يلقى منهم من بلغ الحلم الا ضرب عنقه فاتبعهم حتى
حتى لحق بهم في قندابيل من ارض السند واتى بهلال بغلامين من آل المهلب
فقال لاحدهما ادركت قال نعم وضرب عنقه فكان الآخر اشفق عليه   بلغ

نغص شفتيه اي لا تطهر جزعا فضرب عنقه وانحسر هنالك في القتل
في آل المهلب حتى كاد يفنيهم فذكر ان آل المهلب مكثوا بعد ايقاع هلال   ل
بهم عشرين سنة يولد فيهم الذكور ولا يموت منهم احد وفي مدح هلال   ل
ابن احوز وما فعل **يقول جرير**

اقول لها من ليلة ليس طولها   تطول الليالي ليت صبحك نورا
اخاف على نفسي ابن احوز انه   جلا كل هم في النفوس فاسفرا
جعلت لقبر بالخيار ومالك   وقبر عدي في المقابر اقبرا
فلم يبق منهم راية يرفعونها   ولم يبق من آل المهلب عسكرا

وهي ابيات وقد كان يزيد بن عبد الملك حين ولي عمر بن هبيرة الفزاري
العراق واضاف اليه خراسان واستقام امره هنالك بعث ابن هبيرة الى
الحسن بن ابي الحسن البصري وعامر بن شرحبيل الشعبي ومحمد بن
سيرين وذلك في سنة ثلاث ومائة فقال لهم ان ابن عبد الملك خليفة
الله استخلفه على بلاده واخذ ميثاقهم بطاعته واخذ عهدنا بالسمع
والطاعة وقد ولاني ما ترون فيكتب الي بالامر من امره فانفذه واقلده   ه
ما تقلد من ذلك ام ما ترون فقال ابن سيرين والشعبي قولا فيه تقية
فقال عمر ما تقول يا حسن قال الحسن يا ابن هبيرة خف الله في يزيد
ولا تخف يزيد في الله ان الله يمنعك من يزيد وان يزيد لا يمنعك من
الله واوشك ان يبعث اليك ملكا فيزيلك عن سريرك ويخرجك عن
سعة قصرك الى ضيق قبرك ثم لا ينجيك الا عملك يا ابن هبيرة احذرك
ان تعصي الله فانما جعل الله هذا السلطان ناصرا لدين الله وعباده
فلا تركبن دين الله وعباده بسلطان الله لا طاعة لمخلوق في معصية
الخالق وحكي ان هذا الخبر ان ابن هبيرة اجازهم واضعف للحسن
فقال الشعبي سفسفنا فسفسف لنا وذكر ان يزيد بلغه ان اخاه   ث
هشام بن عبد الملك ينتقصه ويتمنى موته ويعيب عليه الولوع
بالقينات فكتب اليه يزيد اما بعد فقد بلغني استثقالك
حياتي واستبطاوك موتي ولعمري انك بعدي لواهي الجناح
اجذم الكف وما استوجبت منك ما بلغني عنك فاجابه هشام
اما بعد فان امير المومنين متى فرغ سمعه لقول اهل الشنان   ن
واعدا النعمة يوشك ان يقدح ذلك في فساد ذات البين
وقطع الارحام وامير المومنين بفضله اولى ان يتعهد ذنوب

اهل الذنوب فاما انا فمعاذ الله ان استثقل حياتك او استبطي
مماتك فكتب اليه يزيد نحن مغتفرون لك جهلك مغتفرون ما كان
منك وما يكون منا بلغنا عنك فاحفظ وصية عبد الملك ابانا
وقوله لنا في ترك التباغي والتجادل وما امر به وحض عليه من صلاح
ذات البين واجتماع الاهواء فهو خير لك واملك بك واني لاكتب
وانا اعلم انك كما قال الاول

واني على اشياء منك تريبني ... قديما لذو صفح على ذاك مجمل
ستقطع في الدنيا اذا ما قطعتني ... يمينك فانظر اي كف تبدل

فلما اتى الكتاب هشاما ارتحل اليه فلم يزل في جواره مخافة
اهل البغي والسعاية حتى مات يزيد وممن مات في ايام يزيد
ابن عبد الملك عطاء بن يسار مولى ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم
ويحيى بن وثاب الاسدي ويكنى ابا محمد وهو ابن اربع وثمانين سنة وذلك
في سنة ثلاث ومائة وفيها مات مجاهد بن جبر مولى قيس بن
السائب ويكنى ابا الحجاج وهو ابن اربع وثمانين سنة وجابر بن زيد
مولى الازد من اهل البصرة ويكنى ابا الشعثاء ويزيد بن الاصم من اهل
الرقة وهو ابن اخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ويحيى بن
وثاب الاسدي مولى بني كاهل كوفي وابو بردة بن ابي موسى الاشعري
واسمه عامر كوفي وفي سنة اربع ومائة مات وهب بن منبه وقيل
مات في سنة ست ومائة وفي سنة اربع ومائة هذه مات طاوس وفي سنة
خمس ومائة مات عبد الله بن جبير مولى العباس وقيل ان طاوس
كيسان ويكنى ابا عبد الرحمن مولى بحير الحميري مات بمكة وفي سنة
ست ومائة وصلى عليه هشام بن عبد الملك وفي سنة سبع ومائة مات
سليمان بن يسار مولى ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وهو اخو
عطاء بن يسار مولى ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ويكنى ابا ايوب
وهو ابن ثلاث وسبعين سنة بالمدينة ويقال انه مات سنة مائة وفي
سنة ثماني ومائة مات القسم بن محمد بن ابي بكر الصديق رضي الله عنه
ومات الحسن بن ابي الحسن البصري ويكنى ابا سعيد وفي سنة
عشر ومائة واسم ابيه يسار مولى لامرأة من الانصار وله سبع وثمانون
سنة وقيل تسعون سنة وكان اكبر من محمد بن سيرين بعشر سنين ومات محمد بعده
بمائة ليلة في شوال السنة وهو ابن احدى وثمانين سنة وقيل ابن ثمانين وكانوا

خمسة اخوة محمد وسعيد وخالد وانس بنو سيرين وسيرين
مولى انس بن مالك والخمسة قد رووا السنن ونقلت عنهم وقد وجد
اصحاب التواريخ متباينين ومختلفين غير متفقين في وفاة وهب
ابن منبه ويكنى ابا عبد الله فمنهم من ذكر وفاته على حسب ما قدمنا
في هذا الكتاب ومنهم من رأى انه مات سنة عشر ومائة وكان
من الابناء وهو ابن تسعين سنة وفي سنة خمس عشرة ومائة مات
الحكم بن عتيبة الكندي وقيل ان فيها مات عطاء بن ابي رباح وفي سنة
ثلاث وعشرين ومائة مات ابو بكر بن محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن
شهاب الزهري وذكر الواقدي انه مات سنة اربع وعشرين ومائة
وليزيد بن عبد الملك اخبار حسان ولما كان في ايامه من الكوائن والاحداث
حوادث قد اتينا على مبسوطها في كتابينا اخبار الزمان والاوسط
وانما ذكرنا اخبار من سميناه من اهل العلم ونقلة الاثار وحملة الاخبار
ليكون ذلك زيادة في فائدة الكتاب فلكونه فائدة عامة اذ كان
الناس في اغراضهم متباينين فيما يلتمسونه من ماخذ العلوم مختلفين
فمنهم طالب الخبر ومقلد الاثر ومنهم ذو بحث ونظر ومنهم صاحب
حديث وسمع وعلل ومراع لو فاتهم مثل من ذكرنا فجعلنا فيه لكل ذي
راي نصيبا وبالله التوفيق

ذكر ايام هشام بن عبد الملك بن مروان

وبويع هشام بن عبد الملك في اليوم الذي توفي فيه اخوه يزيد بن عبد الملك
وهو يوم الجمعة لخمس بقين من شوال سنة خمس ومائة وقبض
يزيد وله يومئذ ثمان وثلاثون سنة وقيل اربعون سنة وتوفي
هشام بن عبد الملك بالرصافة من ارض قنسرين يوم الاربعاء لست
خلون من ربيع الاخر سنة خمس وعشرين ومائة وهو ابن ثلاث
وخمسين سنة فكانت ولايته تسع عشرة سنة وسبعة اشهر
واحدى عشرة ليلة

ذكر لمع من اخباره وسيره

كان هشام احول
فظا غليظا يجمع الاموال ويعمر الارض ويستجيد الخيل واقام
الحلبة فاجتمع له فيها من خيله وخيل غيره اربعة الاف فرس ولم
يعرف ذلك في جاهلية ولا اسلام لاحد من الناس وقد ذكرت الشعراء
ما اجتمع له من الخيل واستجاد الكساء والفرش وعدد الحرب ولامتها
واصطنع الرجال وقوى الثغور واتخذ القني والبرك بطريق مكة وغير ذلك
من الاثار التي عليها داود بن علي في صدر الدولة العباسية وفي

ايامه عمل الحرير فسلك الناس جميعا في ايامه مذهبه ومنعوا ما في
ايديهم فقل الافضال وانقطع الرفد ولم ير زمان اصعب من
زمانه وفي ايامه استشهد زيد بن علي بن الحسين بن علي كرم الله وجهه
والحسن من ايهم وذلك في سنة احدى وعشرين ومائة وقيل في سنة
اثنين وعشرين ومائة وقد كان زيد بن علي شاور اخاه ابا جعفر
محمد بن علي بن الحسين بن علي عليهم السلام فاشار عليه بان لا يركن الى اهل
الكوفة لانهم اهل غدر ومكر وقال له بها قتل جدك
وبها طعن عمك الحسن وبها قتل ابوك الحسين وفيها وفي اعمالها
سبينا اهل البيت واخبره بما كان عنده من العلم في مدة ملك بني
مروان وما يتعقبهم من الدولة العباسية فابا الا ما عزم عليه من
المطالبة بالحق فقال له اني اخاف عليك يا اخي ان تكون غدا المصلوب
في كناسة الكوفة وودعه ابو جعفر واعلمه انهما لا يلتقيان
وقد كان زيد دخل على هشام بالرصافة فلما مثل بين يديه لم ير
موضعا يجلس فيه فجلس حيث انتهى به مجلسه فقال له يا امير المؤمنين
ليس احد يكبر عن تقوى الله فقال له هشام اسكت لا ام لك
انت الذي تنازعك نفسك في الخلافة وانت ابن امة فقال يا امير المؤمنين
ان لك جوابا ان احببت اجبتك وان احببت اسكت عنك فقال بل
اجب قال ان الامهات لا يقعدن بالرجال عن الغايات وقد كانت
ام اسمعيل امة لام اسحق صلى الله عليهما فلم يمنعه ذلك ان بعثه
الله نبيا وجعله للعرب ابا واخرج من صلبه خير البشر محمدا صلى
الله عليه وسلم افتقول لي هذا وانا ابن فاطمة وابن علي وقام وهو يقول

شرده الخوف وازرى به ... كذاك من يكره حر الجلاد
منخرق الخفين يشكو الوجى ... تنكبه اطراف مرو حداد
قد كان في الموت له راحة ... والموت حتم في رقاب العباد
ان يحدث الله له دولة ... يترك اثار العدى كالرماد

فمضى الى الكوفة وخرج عنها ومعه القراء والاشراف فحاربه يوسف
ابن عمر الثقفي فلما قامت الحرب انهزم اصحاب زيد وبقي في جماعة يسيرة فقاتل
اشد قتال وهو يقول متمثلا

ذل الحياة وعز الممات ... وكلا اراه طعاما وبيلا
فان كان لا بد من واحد ... فسيري الى الموت سيرا جميلا

وحال المساء بين الفريقين فانصرف زيد مثخنا بالجراح وقد اصابه سهم في

جبهته فطلبوا من ينتزعه فاتي بحجام من بعض الضياع فاستكتموه امره
فاستخرج النصل فمات من ساعته فدفنوه في ساقية ماء وجعلوا
على قبره التراب والحشيش واجري الماء على ذلك وحضر الحجام
مواراته فعرف الموضع فلما اصبح مضى الى يوسف متنصحا فدله
على موضع قبره فاستخرجه يوسف وبعث براسه الى هشام فكتب
اليه هشام ان اصلبه عريانا فصلبه يوسف ففي ذلك يقول
بعض شعراء بني امية يخاطب ال ابي طالب وشيعتهم من ابيات

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة ... ولم ار مهديا على الجذع يصلب

وبنى تحت خشبته عمودا ثم كتب هشام الى يوسف باحراقه وذروه
في الهواء قال المسعودي وحكى الهيثم بن عدي الطائي قال
حدثني عمرو بن هانئ الطائي قال خرجت مع عبد الله بن علي لنبش
قبور بني امية في ايام ابي العباس السفاح فانتهينا الى قبر هشام
فاستخرجناه صحيحا ما فقدنا منه الا عرنين انفه فضربه عبد الله
بن علي ثمانين سوطا ثم احرقه واستخرجنا سليمن من ارض دابق فلم
نجد منه شيئا الا صلبه واضلاعه وراسه فاحرقناه وفعلنا
ذلك بغيرهما من بني امية وكانت قبورهم بقنسرين ثم انتهينا
الى دمشق فاستخرجنا الوليد بن عبد الملك فما وجدنا في قبره قليلا
ولا كثيرا واحتفرنا عن عبد الملك فما وجدنا الا شؤون
راسه ثم احتفرنا عن يزيد بن معوية لعنه الله فما وجدنا منه الا
عظما واحدا ووجدنا مع لحده خطا اسود كانما خط بالرماد
في الطول في لحده ثم تتبعنا قبورهم في جميع البلدان فاحرقنا
ما وجدنا فيها منهم وانما ذكرنا هذا الخبر في هذا الموضع لفعل
هشام بزيد بن علي وما نال هشاما بما فعل بشلوه من الاحراق
لفعله بزيد بن علي وقد ذكر ابو بكر بن عياش وجماعة من الاخباريين
ان زيدا اقام مصلوبا خمس سنين عريانا فلم ير احد له
عورة سترا من الله عز وجل وذلك بالكناسة بالكوفة فلما كان
في ايام الوليد بن يزيد بن عبد الملك وظهر ابنه يحيى بن زيد كتب
الوليد الى عامله بالكوفة ان احرق زيدا بخشبته ففعل به ذلك
واذري رماده في الرياح على شاطئ الفرات وقد اتينا في كتابنا
في المقالات في اصول الديانات على السبب الذي من اجله سميت

الزيدية بهذا الاسم وذلك لخروجهم مع زيد بن علي بن الحسين
ابن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم هذا وقد قيل غير ذلك مما قد
اتينا على ذكره فيما سلف من كتبنا والخلاف بين الزيدية والامامية
والفرق بين هذين المذهبين وكذلك غيرهم من فرق الشيعة
وقد ذكر جماعة من مصنفي كتب المقالات والآراء والديانات
من آراء الشيع وغيرهم كابي عيسى محمد بن هارون الوراق وغيره
ان الزيدية كانت في عصرهم ثماني فرق فاولها الفرقة المعروفة
بالجارودية وهم اصحاب ابي الجارود زياد بن المنذر العبدي
وذهبوا الى ان الامامة مقصورة في ولد الحسن والحسين
عليهما السلام دون غيرهما ثم الفرقة الثانية المعروفة بالمرئية
ثم الفرقة الثالثة المعروفة بالابرقية ثم الفرقة الرابعة المعروفة
باليعقوبية ثم الفرقة الخامسة المعروفة بالعقبية ثم الفرقة — وهم اصحاب يعقوب ابن علي الكوفي
السادسة المعروفة بالابترية وهم اصحاب كثير الابتر والحسن
ابن صالح بن حي ثم الفرقة السابعة المعروفة بالجريرية وهم اصحاب
سليمن بن جرير ثم الفرقة الثامنة المعروفة باليمانية وهم اصحاب
محمد بن اليمان الكوفي وقد زاد هؤلاء في المذاهب وفرعوا مذاهب
على ما سلف من اصولهم وكذلك فرق اهل الامامة كانوا على ما ذكر
من سلف من اصحاب الكتب ثلاثا وثلاثين فرقة وقد ذكرنا ما شاع
القطعية بعد مضي الحسن بن علي بن محمد بن موسى بن جعفر بن محمد
ابن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام وما قالته
الكيسانية وما باينت فيه وغيرهم من سائر طوائف الشيعة
وهم ثلاث وسبعون فرقة دون ما تباينوا فيه من التفريع وشانعوا
فيه من التاويل والغلاة ايضا ثماني فرق المحمدية منهم اربعة
والمعنوية اربع وهم العلوية لولا ان كتابنا هذا كتاب خبر لبسطنا
من مذاهبهم ووصفنا من آرائهم ما تقدم وحدث في وقتنا هذا وما قالوه
من الاول ظهور المنتظر لظهوره وما ذهب اليه كل فريق منهم في ذلك من — الموعود
اصحاب الدور والسرد والسروق وغيرهم من اهل الامامة وعرض
هشام يوم الجند بحمص فمر به رجل من اهل حمص وهو على فرس نفور
فقال له هشام ما حملك على ان ربطت فرسا نفورا قال الحمصي لا والرحمن
الرحيم يا امير المومنين ما هو بنفور ولكنه ابصر حولك فظن انه عزوان

البيطار فنفر فقال له هشام تنح فعليك وعلى فرسك لعنة الله وكان
عزوان البيطار نصرانيا ببلاد حمص كانه هشام في حولته ولثغته
وبينا هشام ذات يوم جالسا خاليا وعنده الابرش الكلبي اذ طلعت
وصيفة لهشام عليها حلة فقال للابرش مازحها فقال لها الابرش
هبي لي حلتك فقالت لانت اطمع من اشعب فقال هشام ومن اشعب
قالت مضحك بالمدينة وحدثته ببعض حديثه فضحك هشام وكان — ن
عامله على المدينة في حمله الينا فلما ختم الكتاب اطرق هشام طويلا ثم
قال ثم قال يا ابرش هشام يكتب الى بلد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليحمل اليه مضحك لاها الله ثم تمثل

اذا انت طاوعت الهوى قادك الهوى ... الى بعض ما فيه عليك مقال

ووقف الكتاب وذكر ان هشاما اهدى اليه رجل طائرين فاعجباه فقال
له الرجل جائزتي يا امير المومنين فقال له ويلك وما جائزة طائرين
قال له ما شئت خذ احدهما فقصد احسنهما فاخذه فقال له هشام
وتختار ايضا قال نعم والله اختار فقال دعه وامر له بدريهمات
ودخل هشام بستانا له ومعه ندماؤه فطافوا فيه وبه من كل الثمار
فجعلوا ياكلون ويقولون بارك الله لامير المومنين فقال كيف يبارك
لي فيه وانتم تاكلونه ثم قال ادع قيمه فدعي به فقال اقلع شجره واغرس
فيه زيتونا حتى لا ياكل احد منه شيئا وكتب اليه ابنه سليمن ان بغلتي
قد عجزت فان راى امير المومنين ان يامر لي بدابة فكتب اليه قد فهم امير المومنين
كتابك وما ذكرت من ضعف دابتك وقد ظن ان ذلك من قلة تعاهدك
لعلفها وضياع العلف فقم عليها انت بنفسك ولعل امير المومنين
يرى دابة في حملانك ونظر هشام الى رجل على برذون طخاري فقال من اين
لك هذا فقال حملني عليه الجنيد بن عبد الرحمن قال وقد كثرت الطخارية
حتى تربع العامة لقد مات عبد الملك امير المومنين وفي مربطه دون
واحد طخاري فتنافسه ولده حتى ظن من فاته ان الخلافة فاتته قال
الرجل فحدثني اباه وقد كان لحق مسلمة ما زاد قبل ان يلي الخلافة — في الخلافة
فقال له يا هشام اتومل الامر وانت جبان بخيل فقال اي والله
عليم حليم وذكر الهيثم بن عدي والمدائني وغيرهما ان السواس
من بني امية ثلاثة معوية وعبد الملك وهشام وبهشام ختمت ابواب
السياسة وحسن السيرة وان المنصور كان في اكثر اموره وتدبيره

وقال النبي اللهم العن [illegible] هشام

وسياساته متبعا لهشام في افعاله لكثير ما يستحسنه من اخبار
هشام وسيره وسياساته وما حفظ من اشعاره وما كان في ايامه في
كتابينا اخبار الزمان والاوسط ولذلك ذكرنا بدا الكلام الذي
اثار تصنيف الكتاب المعروف بكتاب الوحدة في مناقب
العرب ومثالبها مفرده لا يشاركها فيها غيرها وما اضيف الى كل حي
من العرب من قحطان وغيرهم من نزار وما جرى في مجلس هشام
في اوقات مختلفة بين الابرش الكلبي والعباس بن الوليد بن عبد
الملك وخالد بن سلمة المخزومي والنضر بن مريم الحميري وما اورده
الحميري من مناقب قومه من حمير وكهلان وما اورده المخزومي
من مناقب قومه من معد بن عدنان من نزار وما ذكر من كل واحد منهم
من المثالب فيما علا قومه وبان عن غيرهم وهطه وقد قيل ان
هذا الكتاب الفه ابو عبيدة معمر بن المثنى مولى ال تيم بن مرة
ابن كعب بن لوي على لسان من ذكرنا وعزاه اليهم وصنفناه
من الشعوبية والله اعلم

ذكر ايام الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان

وبويع الوليد بن يزيد في اليوم الذي توفي فيه هشام وهو يوم الاربعا
لست خلون من شهر ربيع الاخر سنة خمس وعشرين ومايه
وقتل بالبخرا كوره من ... لليلتين بقيتا من جمادى الاخرة سنة
ست وعشرين ومايه فكانت ولايته سنة وشهرين واثنين وعشرين
ليلة وقتل وهو ابن اربعين سنة والموضع الذي قتل فيه ودفن
وهي قرية من قرى دمشق تعرف بالبخرا على ما ذكرنا وقد اتينا على خبر
مقتله في كتابنا الاوسط

ذكر لمع من اخباره وسيره

ظهر في ايام الوليد بن يزيد يحيى بن زيد بن علي بن ابي طالب عليهما السلام
بالجوزجان من بلاد خراسان منكرا للظلم وعموم الناس من الجور فسير
اليه نصر بن سيار سلم بن احوز المازني فقتل يحيى في المعركة
بقرية يقال لها ارغونه ودفن هنالك وقبره مشهور الى هذه
الغاية وليحيى وقايع كثيرة وقتل في المعركة بسهم اصابه في صدغه
تولى اصحابه يومئذ واحتز راسه فحمل الى الوليد وصلب جسده بالجوزجان
فلم يزل مصلوبا الى ان خرج ابو مسلم صاحب الدولة فقتل سلم
ابن احوز وانزل جثة يحيى وصلى عليه ودفن هنالك ولما اظهر
اهل خراسان النياحة على يحيى بن زيد سبعة ايام في سائر اعمالهم

في حال امنهم على انفسهم من سلطان بني امية ولم يولد في تلك السنة مولود
بخراسان الا وسمي بيحيى او بزيد لما داخل اهل خراسان من الجزع والحزن
عليه وكان ظهور يحيى في اخر سنة خمس وعشرين وقيل في سنة ست
وعشرين ومايه وقد اتينا على اخباره وما كان من حروبه في الكتاب الاوسط
وفي غيره مما سلف من كتبنا فاغنى ذلك عن اعادته وكان يحيى يوم قتل يكثر

من التمثل بشعر الخنسا

اهين النفوس وهون النفوس ... يوم الكريهة اوقى لها

وكان الوليد بن يزيد صاحب شراب ولهو وطرب وسماع للغنا وهو اول
من حمل المغنين اليه من البلدان وجالس الملهين واظهر الشرب والملاهي
والعزف وفي ايامه كان ابن سريج المغني ومعبد والغريض وابن
عايشة وابن محرز وطويس ودحمان وغلبت شهوة الغنا
في ايامه على الخاص والعام واتخذ القيان وكان متهتكا ماجنا
خليعا وطرب الوليد لليلتين خلتا من ملكه ودارق **فانشا يقول**

طال ليلي وبت اسقى السلافه ... واتاني نعي من بالرصافه
واتاني ببرده وقضيب ... واتاني بخاتم للخلافه

ومن مجونه قوله عند وفاة هشام وقد اتاه البشير بذلك وسلم عليه بالخلافة

اني سمعت خليلي ... نحو الرصافة رنه ... اقبلت اسحب ذيلي ... اقول ما حالهنه
اذا بنات هشام ... يندبن والدهنه ... يدعون ويلا وعولا ... والويل حل بهنه
هو المخنث حقا ... ان لم انيكهنه

وقيل للوليد ما تحب من الدنيا قال محادثة الاخوان في الليالي القمر
على الكثبان العفر وبلغ الوليد عن اشعب الزبيري نوادر وحسن عشرته
وحلاوة مجالسه فبعث في احضاره فلما دخل اليه قال اني لم ابعث
لاسالك عن كتاب ولا سنة قال ولست من اهلها قال انما اسالك عن
الفتوح قال سل عما بدا لك يا امير المومنين فقال ما تقول في الشراب قال عن
اية تسال قال فما تقول في الماء قال يشاركني فيه البغل والحمار قال فنبيذ
الزبيب قال خمار واذى قال فنبيذ التمر قال امر طائفة قال فالسماع قال على الثاني
على ذكر الاشجان ويجدد ... عن مواقع الاخوان ويونس الخلي الوحيد
ويسر العاشق المزهر ويبرد غليل القلوب ويشرح خواطر الضماير ويطرح
ليست من الملاهي لغيره يسرع ترقيه في انحا الجسد فيهيج النفس
وتقوي الحس قال فاي المجالس احب اليك قال ما رايت السما من غير ان ياتي

السماع

قال ما تقول في الطعام قال ليس لصاحب الشراب اختيار ما وجد اكله
ولا تخذ نديما ومن مليح قوله في الشراب من ابيات

وصفراء في الكاس كالزعفران ... سباها لنا التجر من عسقلان
تريك القذا وعرض الاناء ... ستر لها دون مس البنان
لها حبب كلما صفقت ... يراها كلمع بروق يمان

ومن مجونه ايضا على الشراب قوله للساقية

اسقني يا يزيد بالقرقاره ... قد طربنا وحنت الزماره
اسقني اسقني فان ذنوبي ... قد احاطت فما لها كفاره

خليفة

واخبرنا ابو الفضل بن الحباب الجمحي القاضي عن محمد بن سلام الجمحي قال حدثني
رجل من شيوخ اهل الشام عن ابيه قال كنت صاحب سر الوليد بن يزيد
فرايت ابن عائشة القرشي عنده وقد قال له غنني فغناه

انني رايت صبيحة النفر ... حورا نفين عزيمة الصبر ... مثل الكواكب في مطالعها
عند العشاء اطفن بالبدر ... وخرجت ابغي الاجر محتسبا ... فرجعت موفورا من الوزر

فقال له الوليد احسنت والله يا قرشي اعد بحق عبد شمس فاعاد
فقال احسنت والله بحق امية اعد فاعاد فجعل يتخطى من اب الى
اب حتى بلغ نفسه فقال اعد بحياتي فاعاد فقام اليه ابن عائشة
فاكب عليه ولم يبق عضو من اعضائه الا اكب عليه وقبله واهوى الى
ذكره فجعل ابن عائشة يضم عليه فخذيه فقال الوليد والله لا زلت
حتى اقبله فابداه فقبل راسه وقال واطرباه واطرباه ثم نزع ثيابه
فالقاها على ابن عائشة وبقي مجردا الى ان جاءوه بثياب غيرها ودعا
له بالف دينار ودفعت اليه وحمله على بغلة وقال اركبها على
بساطي وانصرف فقد تركتني على احر من جمر الغضا قال المسعودي بلغ
وقد كان ابن عائشة غنى بهذا الشعر يزيد بن عبد الملك فطرب وقال
انه الحدو ونمر في طربه وكان ممن قال لساقيه اسقنا بالاربع فكان
الوليد بن يزيد قد ورث الطرب في هذا الشعر عن ابيه والشعر لرجل
من قريش والغناء لابن سريج وقيل لمالك على حسب ما في كتاب
الاغاني من الخلاف في ذلك مما ذكره اسحق بن ابراهيم الموصلي في كتابه
في الاغاني ايضا وغيرهما ممن صنف في هذا المعنى والوليد بن يزيد عدة
بخمريات وقرا ذات يوم واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد
من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد فدعا بالمصحف فنصبه غرضا

[illegible]

للنشاب واقبل يرميه وهو يقول [illegible]
اتوعد كل جبار عنيد ... فها انا ذاك جبار عنيد ... اذا ما جئت ربك يوم حشر
وذكر محمد بن يزيد المبرد ان الوليد الحد في شعر له ذكر فيه النبي صلى
الله عليه وسلم ومن ذكر الشعر تلعب بالخلافة هاشمي
بلا وحي اتاه ولا كتاب ... فقل لله يمنعني طعامي ... وقل لله يمنعني شرابي
فلم يمهل بعد قوله هذه الابيات حتى قتل وام الوليد بن يزيد ام الحجاج
بنت محمد بن يوسف الثقفي ويكنى ابا العباس وقد كان عمل له جفنة
من بلور وقيل من الحجر المعروف بالمخشب وقد ذهب جماعة من الفلاسفة
ان من شرب فيه الخمر لا يسكر وقد ذكرنا خاصيته ذلك في كتاب القضايا
والتجارب ولم يزل يضع تحت راسه منه قطعة او كان فص خاتم منه
لم يزل الا ويحكه فنام الوليد فمليت خمرا وطلع القمر وهو يشرب
ونديم له معه فقال اين القمر الليلة فقال له بعضهم في البرج الفلاني
فقال آخر منهم هو في الجفنة وقد كان القمر بان في شعاع تلك الجوهرة
وصورته في ذلك الشراب فقال الوليد والله ما عدوت ما في نفسي وطرب
طربا شديدا وقال لاصطبحن بالهفتجه وهذا كلام فارسي وتفسيره
لاصطبحن سبعة اسابيع فدخل اليه بعض حجابه فقال يا امير المومنين
ان بالباب جماعة وفود العرب وغيرهم من قريش والخلافة ترفع عن
هذه المنزلة وتبعد عن هذه الحال فقال اسقوه فابى فوضع في فمه
قمع وجعلوا يسقونه حتى خر ما يعقل سكرا وقد كان ابوه اراد ان
يعهد اليه فلاستصغاره لسنه عهد الى اخيه هشام ثم الى الوليد
من بعده وكان الوليد مغرما بالخيل وجمعها واقام الحلبة وكان
السندي فرسه جوادا في زمانه وكان يسابق به في ايام هشام وكان
يقصر عن فرس هشام المعروف بالزائد وربما جاء مصليا وهذه
مراتب السوابق من الخيل اذا اجريت في الحلبة فاولها السابق ثم المصلي
وذلك لان راسه عند صلوي السابق ثم الثالث والرابع كذلك الى
التاسع والعاشر السكيت ويقال ايضا السكيت مشددا وما
جاء بعد ذلك لم يعتد به والفسكل الذي يجيء في الحلبة آخر الخيل
وجمع الوليد الخيل بالرصافة فردا فاقام الحلبة وهو يومئذ الف فارس
ووقف لها ينتظر المرسلة ومعه سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص
وكان له فرس جواد يقال له المصباح فلما انطلقت الخيل

وفي ايام الكلمي

قال الوليد

خيلي هي الكفيه الحمد ... سبقن افراس الرجال الاكرمه ... كما سبقنا الناس

فاقبل فرس الوليد يقال له الوضاح امام الخيل فلما دنا صرع فارسه واقبل المصباح فرس سعيد يتلوه وعليه فارسه فاقبل المصباح وهو فيما يري سعيد بعد سابقا فقال سعيد والوليد يسمع

نحن سبقنا اليوم خيل اللومه ... وصرف الله الينا المكرمه
لذاك كنا في الدهور القدمه ... اهل العلى والرتب المعظمه

فضحك الوليد لما سمع وخشي ان يسبق فرس سعيد فلحق فرسه حتى ساوى الوضاح فقذف بنفسه عليه ودخل سابقا فكان الوليد اول من فعل ذلك وسنه في الحلبه ثم تلاه في الفعل لذلك المهدي في ايام المنصور والهادي في ايام المهدي ثم عرضت على الوليد الخيل في الحلبه الثانيه فسبق فرس لسعيد فقال لا انسا بقك يا عنبسه وانت القايل نحن سبقنا اليوم خيل اللومه فقال سعيد ليس هكذا قلت يا امير المومنين وانما قلت نحن سبقنا اليوم خيلا لومه فضحك الوليد وضمه الى نفسه وقال لا عدمت من قريش اخا مثلك وللوليد بن يزيد اخبار حسان في جمع الخيول في الحلبه وانه اجتمع له يوم الحلبه الف قارح وجمع بين الفرس المعروف بالزايد والفرس المعروف بالسندي وكانا قد برزا في الجري على خيول زمانهما وقد ذكر ذلك جماعه من الاخباريين واصحاب التواريخ مثل ابن عمير الهيصمي وابي عبيده وجعفر بن سليمان وقد اتينا على الغرر من اخباره في اخبار الخيل واخبار الحلبات وخبر الفرس المعروف بالزايد والسندي واشقر مروان وغير ذلك من اخبار من سلف من الامويين ومن تاخر في كتابنا المترجم بالاوسط وانما الغرض في هذا الكتاب ايراد جوامع تاريخهم ولمع من اخبارهم وسيرهم ولذلك اتينا على ذكر ما يستحب من معرفه خلق الخيل وصفاتها وتمام ساير اعضايها وعيوبها وخلقها والمستبدل منها والهرم ووصف الوانها ودوايرها وما يستحسن من ذلك ومقادير اعمارها ومنتهى بقايها وبيان ذلك في اسنانها وشياتها ووجوهها وقوايمها ودوايرها وتنازع الناس في اعداد هذه الدواير المحموده منها والمذمومه ومن راي انها ثمانيه عشر واقل من ذلك واكثر على حسب ما ادرك طلب العالات بها والتجارب ووصف السوابق من الخيل وغير ذلك مما تكلم الناس فيه من سمايها والعراف فيما سلف من كتبنا وفي ايام

الوليد بن يزيد كانت وفاة ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقد تنوزع في ذلك فمن الناس من راي انه وفاته كانت ايام هشام وذلك سنه سبع عشره ومايه ومنهم من راي انه مات سنه اربع عشره ومايه ومنهم من راي انه مات في ايام الوليد بن عبد الملك وهو ابن سبع وخمسين سنه ودفن بالبقيع مع ابيه علي بن الحسين وغيره من سلفه عليهم السلام مما سنورد ذكرهم فيما يرد من هذا الكتاب ان شا الله تعالى

ذكر ايام يزيد وابرهيم ابني الوليد بن عبد الملك بن مروان

ووثب يزيد بن الوليد بدمشق ليله الجمعه لسبع بقين من جمادى الاخره فبايعه الناس بعد قتل الوليد بن يزيد وتوفي يزيد بن الوليد بدمشق يوم الاحد هلال ذي الحجه سنه ست وعشرين ومايه فكانت ولايته من مقتل الوليد بن يزيد الى ان مات خمسه اشهر وليلتين وقد كان ابرهيم بن الوليد اخوه قام بالامر بعده فبايعه الناس فكان يدعى اربعه اشهر وقيل شهرين ثم خلع وكانت ايامه عجيبه الشان من كثره الهرج والاختلاط واختلاف الكلمه وسقوط الهيبه وفيه يقول بعض اهل العصر

نبايع ابرهيم في كل جمعه ... الا ان امرا انت واليه ضايع

ودفن الوليد بن يزيد بدمشق بين باب الجابيه وباب الصغير وهو ابن سبع وثلثين سنه وقيل ست واربعين سنه

ذكر لمع من اخبارهما وسيرهما وما كان في ايامهما

ذكر اخبارهما وسيرهما

كان يزيد بن الوليد احول وكان يلقب بيزيد الناقص ولم يكن ناقصا في جسمه وعقله وانما نقص الجند من ارزاقهم فقالوا يزيد الناقص وكان يذهب الى قول المعتزله وما يذهبون اليه في الاصول الخمسه من التوحيد والعدل والوعد والوعيد والاسما والاحكام وهو القول بالمنزله بين المنزلتين والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتفسير قولهم فيما ذهبوا اليه من الباب الاول وهو باب التوحيد هو ما ذهب اليه ساير المعتزله من البصريين والبغداديين وغيرهم ممن كانوا في غير هذه الامصار ووجدتهم متباينين ان الله عز وجل ليس كالاشيا وانه ليس بجسم ولا عرض ولا جوهر بل هو الخالق للجسم والعرض وما ذكرناه من الجسم والجوهر ولا شي من الحواس لا يدرك في الدنيا ولا في الاخره وانه لا يحصره المكان ولا تحويه الاقطار بل هو الذي لم يزل ولا مكان ولا زمان ولا نهايه ولا حد وانه الخالق للاشيا المبتدع لها

زيد بن ح

ذا كرم

لا من شيء وانه القديم وان ما سواه محدث ثم القول بالعدل وهو الاصل
الثاني ان الله لا يحب الفساد ولا يخلق افعال العباد بل العباد يفعلون
ما امروا به وينتهون عنه بالقدرة التي جعلها لهم وركبها فيهم وانه لم
يامر الا بما اراد ولم ينه الا عما كره وانه ولي كل حسنة امر بها بريء
من كل سيئة نهى عنها لم يكلفهم ما لا يطيقون ولا اراد منهم
ما لا يقدرون عليه وان احدا لا يقدر على قبض ولا بسط الا بقدرة
الله التي اعطاهم وهو المالك لها دونهم يفنيها اذا شاء ويبقيها
اذا شاء ولو شاء لجبر الخلق على طاعته ومنعهم اضطرارا عن معصيته
ولكان على ذلك قادرا غير انه لا يفعل اذ كان في ذلك رفع المحنة وازالة البلوى
ثم القول بالوعيد وهو الاصل الثالث وهو ان الله لا يغفر لمرتكب
الكبائر الا بالتوبة وانه الصادق في وعده ووعيده ولا مبدل
لكلماته ثم القول بالمنزلة بين المنزلتين وهو الاصل الرابع وهو
ان الفاسق المرتكب للكبائر ليس بمؤمن ولا كافر بل يسمى فاسقا
على حسب ما ورد التوقيف بتسميته واجمع اهل الصلاة على
تفسيقه قال المسعودي وبهذا الباب سميت المعتزلة وهو
الاعتزال وهو الموصوف بالاسماء والاحكام مع ما تقدم من الوعيد
في الفاسق من الخلود في النار ثم القول بوجوب الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وهو الاصل الخامس وهو على سائر المؤمنين واجب
على استطاعتهم في ذلك بالسيف فما دونه وان ذلك كالجهاد ولا فرق
بين مجاهدة الكافر والفاسق فهذا ما اجتمعت عليه المعتزلة
ومن اعتقد ما ذكرناه من هذه الاصول الخمسة كان معتزليا فان
اعتقد الاكثر او الاقل لم يستحق اسم الاعتزال الا باعتقاده هذه
الاصول الخمسة وقد تنازعوا فيما عدا ذلك من فروعهم وقد اتينا
على سائر اقاويلهم في اصولهم وفروعهم واقاويل غيرهم من فرق الامة
من الخوارج والمرجئة والرافضة والزيدية والحشوية وغيرهم في
كتابنا في المقالات في اصول الديانات وافردنا كتابنا المترجم
بكتاب الابانة في اصول الديانة لما اجتبيناه لانفسنا من ذلك
وذكرنا الفرق بين المعتزلة وغيرهم من سائر الطوائف لان من قولهم ان
الامامة اختيار من الامة وهو ان الله عز وجل لم ينص على رجل بعينه
ولا رسوله وان ذلك مفوض الى الامة تختار رجلا منها تنفذ فيها

احكامه سواء كان قرشيا او غيره من اهل الاسلام واهل العدالة
والايمان ولم يراعوا في ذلك النسب وغيره وهذا واجب على اهل
كل عصر ان يفعلوا ذلك والذي ذهب الى ان الامامة قد تجوز في
قريش وغيرهم من الناس هو قول المعتزلة باسرها وجماعة من الزيدية
مثل الحسن بن صالح بن حي ومن قال بقولهم على حسب ما قدمنا
من ذكرهم فيما سلف من هذا الكتاب في اخبار هشام ووافق
من ذكرنا على هذا القول جميع الخوارج من الاباضية وغيرهم الا النجدات لت
من فرق الخوارج فزعموا ان الامامة غير واجبة ووافقهم على
هذا القول اناس من المعتزلة ممن تقدم وتاخر الا انهم قالوا ان عدلت
الامة ولم يكن فيها فاسق لم تحتج الى امام وذهب من قال بهذا القول
الى دلائل ذكروها منها قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو ان سالما حي
ما داخلتني فيه الظنون وذلك حين فوض الامر الى اهل الشورى قالوا
سالم مولى امراة من الانصار فلولا يعلم عمر ان الامامة جائزة في سائر
المسلمين لم يطلق هذا القول ولم يتاسف على موت سالم مولى ابي
حذيفة قالوا وقد صح بذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم في اخبار
كثيرة منها قوله اسمعوا واطيعوا ولو لعبد اجدع وقد قال جل من
قائل ان اكرمكم عند الله اتقاكم وذهب ابو حنيفة واكثر المرجئة واكثر
الزيدية من الجارودية وغيرهم وسائر فرق الشيعة والزيدية ان الامامة
لا تكون الا في قريش لقول النبي صلى الله عليه وسلم الائمة في قريش وقوله
قدموا قريشا وما احتج به المهاجرون على الانصار يوم سقيفة بني ساعدة
لان الامامة في قريش لانهم اذعنوا لها ورجع كثير من الانصار الى
ذلك وما انفرد به اهل الامامة ان الامامة لا تكون الا بنص من الله ورسوله
على عين الامام واسمه واشتهاره لذلك في سائر الاعصار لئلا يخلو الناس ص
من حجة فيهم ظاهرا وباطنا على حسب استعمال التقية والخوف
على نفسه واستدلوا بالنص على الامامة بدلائل كثيرة من العقول وجوامع
من النصوص في وجوبها وفي النص عليهم وفي عصمتهم من ذلك
قوله عز وجل واخباره عن ابرهيم اني جاعلك للناس اماما قال
ومن ذريتي ومسالة ابرهيم في قوله ومن ذريتي واجابة الله له
انه لا ينال عهدي الظالمين قالوا ففيما تلونا دلائل منها ان الامامة
نص من الله تعالى ولو كان نصبها الى الناس ما كان لمسالة ابرهيم ربه

وجها وكان الله اعلم انه اختيار وقوله لا ينال عهدي الظالمين
دلالة ان عهده سالم من ليس بظالم ووصف هو الامام فقد لو
بعث الامام في نفسه ان يكون معصوما لم يؤمن ان يدخل فيما يدخل
فيه غيره من الذنوب فيحتاج ان يقام عليه الحد كما يقيمه على غيره فيحتاج
الامام الى امام الى غير نهاية ولم يؤمن عليه ايضا ان يكون في الباطن
فاسقا فاجرا كافرا وان يكون اعلم الخلق لانه لو لم يكن عالما لم يؤمن عليه
ان يقلب شرايع الله واحكامه فيقطع من يجب عليه الحد ويحد من
يجب عليه القطع ويضع الاحكام في غير المواضع التي وضعها الله
وان يكون اشجع الخلق لانهم فيه اليه يرجعون في الحرب فان جبن
وهرب فقد با بغضب من الله وان يكون اسخى الخلق لانه خازن
المسلمين وامينهم فان لم يكن سخيا تاقت النفس الى اموالهم وشرهت
الى ما في ايديهم وفي ذلك الوعيد بالنار وذكروا خصالا كثيرة ينال
بها اعلى درجات الفضل لا يشاركه فيها احد وان ذلك كله وجد
في علي بن ابي طالب رضي الله عنه وارضاه وولده من السبق الى الايمان
والهجرة والقرابة والحكم بالعدل والجهاد في سبيل الله والورع والعلم
والزهد وان الله اخبر عن بواطنهم وموافقتها لظواهرهم بقوله
عز وجل ووصفه لهم فيما صنعوه من الاطعام للمسكين واليتيم
والاسير وان ذلك لوجهه خالصا لانهم ابدوه بالسنتهم واخبر
عن امرهم في المنقلب وحسن الموئل في الجزاء عن اخباره عز وجل
عما اذهب عنهم من الرجس وفعله بهم من التطهير وغير ذلك مما
اوردوه دلايل لما قالوه وان عليا نص على ابنه الحسن ثم الحسن
على الحسين وكذلك من بعده الى صاحب الوقت الثاني عشر
على ما ذكرناه وبيناه في غير موضع من هذا الكتاب ولاهل الامامة
من فرق الشيعة في هذا الوقت وهو سنة اثنين وثلثين وثلثمايه
كلام كثير في الغيبة واستعمال التقية وطرق النص وكثير من ابواب الايمه
والاوصيا لا يسعنا ايراده في هذا الكتاب اذ كان كتاب خبر وانما
تتغلغل بنا الكلام الى ايراد لمع من هذه المذاهب والارا وكذلك
ما عليه غير اهل الامامة من اصحاب دور الهجرة والشروح وما هو من
الظهور وقد اتينا على جميع ذلك فيما سلف من كتبنا وما صنفنا
فيه من الاقاويل في الظاهر والباطن والنامه والسابق والاثر والتوقف

وغير ذلك من عددهم واسمائهم قال المسعودي وكان خروج زيد
ابن الوليد بدمشق مع من شايعه من المعتزلة وغيرهم من اهل داريا والمزة
من غوطة دمشق على الوليد بن يزيد لما ظهر من فسقه وشمل الناس من
جوره فكان من خبر الوليد ما ذكرناه في هذا الكتاب مجملا وكان زيد
ابن الوليد اول من وفي هذا الامر وامه ام ولد وكانت امه شاه فرند بنت
فيروز بن كسرى وهو الذي يقول في ذلك

انا ابن كسرى وابي مروان ... وقيصر جدي وجدي خاقان

وكان يلي الخلافة الدوام اخيه ابرهيم ايضا وله تدعي بيعة والمعتزلة
تفضل في الديانة يزيد بن الوليد على عمر بن عبد العزيز لما ذكرناه من الديانة
وفي سنة سبع وعشرين ومائة اقبل مروان بن محمد بن مروان من الجزيرة
فدخل دمشق وخرج ابرهيم بن الوليد هاربا من دمشق ثم ظفر به مروان
فقتله وصلبه وقتل من مالاه ووالاه وقتل عبد العزيز بن الحجاج ويزيد
ابن خالد القسري وبدا امر بني مروان يؤول الى ضعف وذكر الحصيني
عن الخليل بن ابرهيم الشعبي قال سمعت ابن الحصيني يقول قال لي العلا
ابن بنت ذي الكلاع انه كان من ندماء سليمن بن هشام بن عبد الملك
لا يكاد يفارقه وكان امر المسودة بخراسان والمشرق قد بان ودنا
من الجبل وورد من العراق واشتد ارجاف الناس ونطق العدو بما يحب
في بني امية واوليائهم قال العلا فاجتمعنا مع سليمن وهو بشرب حلال
رصافة هشام وذلك في اخر ايام الناقص فغنانا حكم الوادي وهو

يغنيه بشعر العرجي

ان الحبيب تروحت اجماله ... اصلا فدمعك دائم اسباله
اقر الحبيب فقد بليت بعوله ... لو كان ينفع باكيا اعواله
يا حبذا تلك الحمول وحبذا ... شخص هناك وحبذا امثاله

فلجاد ما شاء فشرب سليمن بالرطل وشربنا معه حتى توسدنا ايدينا
فلم انتبه الا بتحريك سليمن اياي فقمت مسرعا فقلت ما شان الامير
فقال الي على رسلك رايت كاني في مسجد دمشق وكان رجلا في
يده حجر وعلى راسه تاج ارى بصيص ما فيه من جوهر وهو رافع
صوته بهذه الابيات

ابني امية قد دنا تشتيتكم ... وذهاب ملككم وليس براجع
وينال صفوته عدو ظالم ... للمحسنين اليكم بتجرع
بعد الممات بكل ذكر صالح ... يا ويله من فجع ماذا يصنع

فقلت بلى لا يكون ذلك وعجبت من حفظه ولم ار من اصحاب ذلك
فوجم ساعة ثم قال يا عمير بعيد ما بيني وبين المرمى من قريب قال فما اجتمعنا
بعد ذلك على ريب وهلكت سنة اربع وثلثين ومائة وكان من امر
المسوده ومروان بن محمد ما كان وذكر المنقري قال سئل بعض شيوخ
بني امية ومحصليها عقيب زوال الملك عنهم الى بني العباس ما كان
سبب زوال ملككم قال انا شغلنا بلذاتنا عن تفقد ما كان تفقده
يلزمنا وظلمنا رعيتنا فيئسوا من انصافنا وتمنوا الراحة منا وتحومل مل
على اهل خراجنا فتخلوا عنا وخربت ضياعنا فخلت بيوت
اموالنا ووثقنا بوزرائنا فاثروا مرافقهم على منافعنا
وامضوا امورا دوننا اخفوا علمها عنا وتاخر عطاء جندنا
فزالت طاعتهم لنا واستدعاهم اعداؤنا فتضافروا معهم على
حربنا وطلبنا اعداءنا فعجزنا عنهم لقلة انصارنا وكان استتار
الاخبار عنا من اوكد اسباب زوال ملكنا **ذكر السبب في العصبية**
بين النزارية واليمانية ذكر ابو الحسن علي بن محمد بن سليمان النوفلي
قال حدثني ابي قال لما قال الكميت بن زيد الاسدي اسد مضر
ابن نزار الهاشميات البصرة فاتى الفرزدق فقال يا ابا فراس انا ابن اخيك
قال ومن انت فانتسب له قال صدقت فما حاجتك قال نفث على لساني
وانت شيخ مضر وشاعرها واحببت ان اعرض عليك ما قلت فان
كان حسنا امرتني باذاعته وان كان غير ذلك امرتني بستره فسترته
علي قال يا ابن اخي احسب شعرك على قدر عقلك فهات ما انشدا

ما قلت فانشد

طربت وما شوقا الى البيض اطرب ... ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب

فقال بلى فالعب فقال ولم يلهني دار ولا رسم منزل ... ولم يتطربني بنان مخضب

فقال فما يطربك اذا فقال ولا انا ممن يزجر الطير همه ... اصاح غراب ام تعرض ثعلب

فقال اما انت فلا تتطير فقال ولا السانحات البارحات عشية ... امر سليم القرن ام مر اعضب

فقال اما هذا فقد احسنت فقال ولكن الى اهل الفضائل والنهى ... وخير بني حواء والخير يطلب

فقال من هؤلاء ويحك فقال الى النفر البيض الذين بحبهم ... الى الله فيما نالني اتقرب

فقال ارحني هؤلاء فقال بني هاشم ال النبي فانني ... بهم ولهم ارضى مرارا واغضب

قال لله درك يا بني اصبت واحسنت اذ عدلت عن الزعانف والاوباش
اذا لا يصرد سهمك ولا يكذب قولك ثم مر فيها فقال اظهر ثم اظهر وكِد
الاعداء فانت والله اشعر من مضى واشعر من بقي فخرج من عنده فقدم المدينة فاتى ابا جعفر
محمد بن علي بن الحسين بن علي عليهم السلام فاذن له ليلا فانشده فلما بلغ من
القصيدة الميمية **الى قوله**

وقتيل بالطف غودر منهم ... بين غوغاء امة وطغام

بكى ابو جعفر ثم قال يا كميت لو كان عندنا مال لاعطيناك ولكن لك
ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت لا زلت مؤيدا
بروح القدس ما ذببت عنا اهل البيت فخرج من عنده فاتى عبد الله
ابن الحسن بن علي عليهم السلام فانشده فقال يا ابا المستهل ان لي
ضيعة قد اعطيت بها اربعة الاف دينار وهذا كتابها وقد اشهدت
لك بها شهودا وناوله اياه فقال بابي انت وامي اني كنت اقول الشعر
في غيركم اريد بذلك الدنيا والمال ولا والله ما قلت فيكم شيئا الا لله
ولا اخذ على شيء جعلته لله مالا ولا ثمنا فالح عليه عبد الله وابى
من اعفائه فاخذ الكميت الكتاب ومضى به فمكث اياما ثم جاء الى
عبد الله فقال بابي انت وامي يا ابن رسول الله ان لي حاجة قال
وما هي فكل حاجة لك مقضية قال كائنة ما كانت قال كائنة ما
كانت قال هذا الكتاب تقبله وترتجع الضيعة ووضع الكتاب
بين يدي عبد الله فقبله ونهض عبد الله بن معاوية بن عبد الله
ابن جعفر بن ابي طالب فاخذ ثوبا جلدا ودفعه الى اربعة من
غلمانه ثم جعل يدخل دور بني هاشم ويقول يا بني هاشم هذا
الكميت قال فيكم الشعر حين صمت الناس عن فضلكم وعرض دمه لبني امية امية
فاثيبوه بما قدرتم فيطرح الرجل في الثوب ما قدر من دنانير ودراهم
واعلم النساء بذلك فكانت المراة تبعث ما امكنها حتى انها
لتخلع الحلي عن جسدها فاجتمع من الدنانير والدراهم قيمة مائة الف درهم
فجاء بها الى الكميت فقال يا ابا المستهل اتيناك بجهد المقل
ونحن في دولة عدونا وقد جمعنا لك هذا المال وفيه حلي النساء
كما ترى فاستعن به على دهرك فقال بابي انت وامي قد اكثرتم واطيبتم
وما اردت بمدحي اياكم الا الله ورسوله ولم اكن لاخذ على ذلك ثمنا
من الدنيا فاردده الى اهله فجهد به عبد الله ان يقبله بكل حيلة
فابى قال اما اذا ابيت ان تقبل فاني رايت ان تقول شيئا تغضب به
بين الناس لعل فتنة تحدث فيخرج من بين اصابعها بعض

فابتدا الكميت فقال قصيدته التي يذكر فيها من تفضيلهم ويطنب
في صفتهم وانهم افضل من قحطان تعصب بها بين اليمانية والنزارية
الا حييت عنا يا مدينا ... وهل باس تقول مسلمينا
الى ان انتهى الى قوله تعريضا وتصريحا باليمن فيما كان من الحبشة وغيرهم
ومن قصيدته فيما ذكرنا التي اولها لنا قمر السماء وكل نجم ... تشير اليه ايدي المهتدينا اولها
وجدت الله اذ سمى نزارا ... واسكنهم بمكة قاطنينا
لنا جعل المكارم خالصات ... وللناس القفا ولنا الجبينا
وما ضربت هجائن من نزار ... فوالج من فحول الاعجمينا
وما حملوا الحمير على عتاق ... مطهمة فيلقوا مبغلينا
وما وجدت نساء بني نزار ... حلائل اسودين واحمرينا

وقد نقض دعبل بن علي الخزاعي هذه القصيدة على الكميت وغيرها وذكر مناقب
اليمن وفضائلها من ملوكها وغيرهم وصرح وعرض بغيرهم كما فعل الكميت
وذلك في قصيدته التي اولها افيقي من ملامك يا ظعينا ... كفاك اللوم مر الاربعينا
الم تحزنك احداث الليالي ... يشيبن الذوائب والقرونا
احيي الغر من سروات قومي ... والحييت عنا يا مدينا
فان يك آل اسرائيل منكم ... وكنتم بالاعاجم فاخرينا
فلا تنسا الخنازير اللواتي ... مسخن مع القرود الخاسئينا
بايلة والخليج لهم رسوم ... وآثار قدمن وما محينا
وما طلب الكميت طلاب وتر ... ولكنا لنصرتنا هجينا
لقد نقمت نزارا ... الى نصر النبوة سابقونا

وهي طويلة وفي قول الكميت في النزارية واليمانية فافتخرت نزار على اليمن
وافتخرت اليمن على نزار وادلى كل فريق منهم بما له من المناقب وتحزبت العصبية
في البدو والحضر فنتج بذلك امر مروان بن محمد الجعدي وتعصبه لقومه
من نزار على اليمن وانحراف اليمن عنه الى الدولة العباسية وتغلغل الامر
الى انتقال الدولة عن بني امية الى بني هاشم ثم الى ذلك من قصة معن بن
زائدة باليمن وقتله اهلها تعصبا لقومه من ربيعة وغيرها من نزار
وقطعه الحلف الذي كان بين اليمن وربيعة في الجاهلية وفعل عقبة بن سلم
بالبحرين وقتله عبد القيس وغيرهم من ربيعة ومن سائر نزار ممن بارض
البحرين وعمان اباد المعنية وتعصبا من عقبة بن سلم لقومه من قحطان
وغير ذلك مما تقدم وتاخر مما كان بين نزار وقحطان

ذكر ايام مروان بن محمد بن مروان بن الحكم

وبويع مروان بن محمد بن مروان بن الحكم يوم الاثنين لاربع عشرة ليلة خلت من صفر
سنة سبع وعشرين ومائة وقيل انه دعا الى نفسه بمدينة السلام من ديار مضر

وبويع له وامه ام ولد يقال لها ريا وقيل طروبة وكانت لمصعب
ابن الزبير فصارت بعد مقتل مصعب الى مروان بن الحكم وكان مروان يكنى
ابا عبد الملك واجتمع اهل الشام الى بيعته الا سليمان بن هشام
ابن عبد الملك وغيره من بني امية فكانت ايامه منذ بويع بمدينة
دمشق من ارض الشام الى مقتله خمس سنين وعشرة ايام وقيل
خمس سنين وثلاثة اشهر وكان مقتله في اول سنة اثنتين
وثلاثين ومائة فمنهم من رأى انه كان في المحرم ومنهم من رأى انه كان
في صفر وقيل غير ذلك مما شاع عند اصحاب التواريخ والسير
على حسب تنازعهم في مقدار ملكه فمنهم من ذهب الى ان مدته خمس
سنين وثلاثة اشهر ومن قال منهم خمسا وشهرين وعشرة ايام
ومن قال منهم خمسا وعشرة ايام وكان قتله ببوصير قرية من
قرى مصر من الفيوم وقد تنوزع في مقدار سنه كتنازعهم في
مقدار مدته فمنهم من زعم انه قتل وهو ابن سبعين سنة ومنهم
من قال تسع وستين ومنهم من قال اثنين وستين ومنهم
من قال ثمان وخمسين وانما نذكر هذا الخلاف من قولهم لئلا يظن
ظان انا قد اغفلنا ما ذكروه او تركنا شيئا مما وصفوه فيما
اليه قصدنا في كتابنا هذا وان كنا قد اتينا على مبسوط ما قيل في
ذلك في كتابنا اخبار الزمان والاوسط وسنورد فيما يرد من
هذا الكتاب جملا من كيفية مقتله واخباره وجوامع من سيره
وحروبه وما كان من امر الدولتين في ذلك الوقت من الماضية وهي
الاموية والمستقبلة في هذا الزمان وهي العباسية مع افراد
باب نورده نذكر فيه جوامع تاريخ ملك الامويين وهو الباب
المترجم نذكر فيه مقدار المدة من الزمان وما ملكت فيه بنو امية من
الاعوام ثم نعقب ذلك بلمع من الدولة العباسية واخبار الى
وخلافة ابي العباس السفاح ومن يلي عصرنا من خلفاء بني العباس
الى سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة من خلافة ابي اسحاق المتقي لله ابراهيم
ابن المقتدر بالله ان شاء الله وبه التوفيق

ذكر جمع مقدار المدة من الزمان وما ملكت فيه بنو امية من الاعوام

كان جميع ملك بني امية
الى ان بويع ابو العباس السفاح الف شهر كاملا لا يزيد يوما ولا ينقص
يوما لانهم ملكوا سبعين سنة واحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما

قال المسعودي والناس متباينون في تواريخ ايامهم والمعول
عليه ما نورده وهو الصحيح عند اهل البحث ومن عني باخبار هذا
العالم وهو ان معوية بن ابي سفيان ملك عشرين سنة،
ويزيد بن معاوية لعنه الله ثلاث سنين وثمانية اشهر واربعة عشر يوما
ومعاويه بن يزيد رحمه الله شهرا واحدا واحد عشر يوما،
ومروان بن الحكم ثمانية اشهر وخمسة ايام، وعبد الملك
ابن مروان احدى وعشرين سنة وشهرا واحدا، والوليد
ابن عبد الملك تسع سنين وثمانية اشهر ويومان، وسليمان
ابن عبد الملك سنتين وستة اشهر وخمسة عشر يوما،
ويزيد بن عبد الملك اربع سنين وثلاثة عشر يوما، وهشام بن
عبد الملك تسع عشرة سنة وتسعة اشهر وتسعة ايام، والوليد ابن يزيد صح
ابن عبد الملك سنة وثلاثة اشهر، ويزيد بن الوليد بن عبد الملك شهرين
وعشرة ايام، واسقطنا ايام ابرهيم بن الوليد بن عبد الملك كما اسقطنا
ايام ابرهيم بن المهدي ان يعد في الخلفاء العباسيين ومروان بن محمد
خمس سنين وشهرا وعشرة ايام الى ان ظفر به فذلك تسعون شهرا او بالكسر عشرة
سنة واحد عشر يوما ويضاف الى هذا الثمانية الاشهر التي كان
مروان يقاتل فيها بني العباس الى ان قتل فيصير ملكهم احدى وتسعين
سنة وسبعة اشهر وثلاثة عشر يوما يوضع من ذلك ايام الحسن
ابن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وهي خمسة اشهر وعشرة ايام
يوضع ايضا ايام عبد الله بن الزبير الى الوقت الذي قتل فيه وهي سبع
سنين وعشرة اشهر وثلثة ايام فيصير الباقي بعد ذلك ثلثا
وثمانين سنة واربعة اشهر يكون ذلك الف شهر سواء وقد ذكر قوم
ان تاويل قوله جل ثناؤه ليلة القدر خير من الف شهر انه ما ذكرنا من ايامهم
وقد روي عن ابن عباس انه قال والله ليملكن بنو العباس ضعف
ما ملكت بنو امية باليوم يومين وبالشهر شهرين وبالسنة سنتين وبالخليفة
خليفتين قال المسعودي فملكت بنو العباس من سنة اثنتين
وثلثين ومائة وانقضاء ملك بني امية فلبني العباس من ملكهم الى هذا
الوقت وهو سنة اثنتين وثلثين وثلاثماية مائتا سنة وذكر ابو العباس
السفاح بويع له بالخلافة في ربيع الآخر من سنة اثنتين وثلثين ومائة
واثبتنا في تصنيفنا في كتابنا هذا الى هذا الموضع من هذا الكتاب

في شهر ربيع الاول من سنة اثنتين وثلثين وثلثماية من خلافة ابي اسحق
المتقي لله والله اعلم بما يكون من امرهم فيما يلحق من الزمان المستقبل
بعد هذا الوقت من الايام وقد اتينا بحمد الله فيما سلف من
كتابينا اخبار الزمان والاوسط على الغرر من اخبارهم والنوادر من
اسمارهم والطرائف مما كان في ايامهم وعهودهم ووصاياهم ومكا تباتهم
واخبار الحوادث والخوارج في ايامهم من الازارقة والاباضية وغيرهم
ومن ظهر من الطالبيين طالبا بحق وامرا بمعروف او ناهيا عن منكر فقتل
في ايامهم ولذلك لم نتلاهم من بني العباس الى خلافة المتقي لله من سنتنا
هذه وهي سنة اثنتين وثلثين وثلثماية وما ذكرناه في هذا الباب من
جوامع التاريخ فقد تخالف ما تقدم بسطه باليوم والعشر
والشهر عند ذكرنا الدولة لكل واحد منهم وايامه وهذا هو المعول ل
عليه من تاريخ سنيهم والمحصل من مدد ايامهم والله اعلم وبالله التوفيق

ذكر الدولة العباسية ولمع من اخبارها ولمن ونقلها وجوامع من حروبها وسيرها

قد قدمنا في هذا الكتاب وفي الاوسط ما ذكرته الراوندية وهم
شيعة ولد العباس بن عبد المطلب من اهل خراسان وغيرهم ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وان احق الناس بالامامة بعده العبا س
ابن عبد المطلب لانه عمه ووارثه وعصبته لقول الله عز وجل
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وان الناس اغتصبوه
حقه وظلموه امره الى ان رده الله اليهم وتبرؤوا من ابي بكر وعمر رضي الله
عنهما واجازوا بيعة علي رضي الله عنه باجازة العباس له ذلك
حين قال يا ابن اخي هلم الي ابايعك فلا يختلف عليك اثنان ولقول
داود بن علي على منبر الكوفة يوم بويع لابي العباس يا اهل الكوفة انه
لم يقم فيكم امام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا علي بن ابي
طالب وهذا القائم فيكم يعني ابا العباس السفاح وقد صنف هولاء
كتبا في هذا المعنى الذي ادعوه هي متداولة في ايدي الناس من
اهليه ومنتحليه منها كتاب صنفه عمرو بن بحر الجاحظ وهو
المترجم وهو الكتاب المترجم بامامة ولد العباس يحتج فيه لهذا المذ هب
ويذكر فعل ابي بكر في فدك وغيرها وقصته مع فاطمة رضي الله عنها
ومطالبتها بارثها من ابيها صلى الله عليه وسلم واستشهادها بعلها

وابنها وام ايمن وما جرى بينها وبين ابي بكر من المخاطبة وما كثر بينهم
في المنازعة وما قالت وما قيل لها عن ابيها صلى الله عليه وسلم
انه قال عليه السلام نحن معاشر الانبياء لا نرث ولا نورث وما
احتجت به من قوله عز وجل وورث سليمن داود وان
النبوة لا تورث ولم يبق الا العلم وغير ذلك من الخطاب
ولم يصنف الجاحظ هذا الكتاب ولا استقصى فيه الحجاج
عند نفسه وايده بالبراهين وعضده بالادلة فيما يحسن في
عقله ترجمه بكتاب العثمانية يحل فيه عند نفسه فضائل علي
عليه السلام ومناقبه ويحتج فيه لغيره طلبا لاماتة الحق
ومضادة لاهله والله متم نوره ولو كره المشركون ثم لم يرض
بهذا الكتاب المترجم بالعثمانية حتى اعقبه بتصنيف كتاب
اخر في امامة المروانية واقوال شيعتهم ورايته مترجما بكتاب
امامة امير المومنين معاوية بن ابي سفيان والانتصار له من
علي عليه السلام ومن شيعته الرافضة يذكر فيه رجال المروانية
ويويد فيه امامة بني امية من بني امية مروان وغيرهم ثم صنف
كتابا اخر ترجمه بكتاب مسائل العثمانية يذكر فيها ما فاته ذكره
ونقصه عند نفسه من فضائل امير المومنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه
ومناقبه فيما ذكرناه من تصنيفه وقد نقضت عليه ما ذكرنا
من كتبه ككتاب العثمانية وغيره وقد نقضها جماعة من متكلمي
الشيعة كابي عيسى الوراق والحسن بن موسى النوبختي وغيرهما
من الشيعة ممن ذكر ذلك في كتبه مجتمعا ومتفرقا وقد نقض على
الجاحظ كتاب العثمانية ايضا رجل من شيوخ المعتزلة البغداديين
ورؤسائهم واهل الديانة منهم ممن يذهب الى تفضيل علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه والقول بامامة المفضول وهو ابو
جعفر محمد بن عبد الله الاسكافي وكانت وفاته سنة اربعين ومايتين
وفيها مات احمد بن حنبل وسنذكر وفاة الجاحظ فيما يرد من
هذا الكتاب ووفاة غيره من المعتزلة وان كنا قد اتينا على ذكره
فيما سلف من كتبنا فالذي ذهب اليه من ناصح من الراوندية
وتخلل عن جملة الكيسانية القائلين بامامة محمد بن الحنفية هو ان الامام
بعد علي بن ابي طالب عليه السلام ولده محمد اوصى الى ابنه ابي هاشم

وان ابا هاشم اوصى الى علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب
وان علي بن عبد الله اوصى الى اخيه ابي العباس عبد الله بن الحارث
محمد بن علي وان محمدا اوصى الى ابنه ابرهيم الامام المقتول بحران
وان ابرهيم اوصى الى اخيه ابي العباس عبد الله بن الحارثية وقد
تنوزع في امر ابي مسلم فمن الناس من راى انه كان عبدا فاعتق
وكان من اهل البرس والجامعين من قرية يقال لها خطرنية والتي
كان يضاف اليها الرسية المعروفة بالخطرني وذلك من اعمال
الكوفة وسوادها وكان قهرمانا لادريس بن معقل العجلي ثم
ثم من امره وتنقلت به الاقدار الى ان اتصل بمحمد بن علي ثم بابرهيم بن محمد الامام
فانفذه ابرهيم بن محمد الامام الى خراسان وامر اهل الدعوة بطاعته
والانقياد الى امره ورايه فقوي امره وظهر سلطانه واظهر السواد
وصار زيه في اللباس والاعلام والبنود فكان اول من سود
من خراسان اهل بدا بذلك فيهم اسيد بن عبد الله ثم فشى ذلك
في الاكثر من المدن والكور بخراسان وقوي امر ابي مسلم وضعف
امر نصر بن سيار صاحب مروان بن محمد الجعدي على بلاد خراسان
فكانت له مع ابي مسلم حروب الى ان ابو مسلم في الحيل والمكايد
من ايقاع بين اليمانية والنزارية بخراسان وغير ذلك مما احتال به
على عدوه وقد كان لنصر بن سيار حروب كثيرة مع الكرماني الى ان
قتل وقد اتينا على ذكره في كتاب اخبار الزمان والاوسط وذكرنا
بدء اخبار الكرماني جديع بن علي وما كان بينه وبين ابي مسلم
ابن احوز صاحب نصر بن سيار وما كان من امر خالد بن برمك وقحطبة
ابن شبيب وغيرهما من الدعاة والمقيمين بخراسان للدعوة العباسية
كسليمان بن كثير وابي داود وخالد بن ابرهيم ونظرائهما وما كان
من شعارهم عند اظهار الدعوة وندائهم حين الحرب يا محمد
يا منصور والسبب الذي من اجله اظهروا استعمال السواد دون
سائر الالوان وطالب مطالبة نصر بن سيار مروان واعلامه بما هو فيه
وظهور امر الدعوة العباسية وترايدها في كل وقت فكان مما كتب
اليه اعلامه عن حال ابي مسلم وحال امر معه وانه كشف عن امره و
عن حاله فوجده يدعو الى ابرهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس
وضمن كتابه ابياتا من الشعر وهي

ارى بين الرماد وميض جمر ... ويوشك ان يكون له ضرام م
فان النار بالعودين تذكى ... وان الحرب اوله كلام م
فان لم تطفئوها تجن حربا ... مشمرة يشيب لها الغلام م
اقول من التعجب ليت شعري ... ايقاظ امية ام نيام م
فان يك قومنا اضحوا نياما ... فقل قوموا فقد ان القيام م
تعزي عن رجالك ثم قولي ... على الاسلام والعرب السلام م
فلما ورد الكتاب على مروان وجده مشتغلا بحرب الخوارج
بالجزيرة وغيرها وما كان من خبره في حروبه مع الضحاك بن قيس
الحروري حتى قتله مروان بعد وقائع كثيرة بين كفرتوثا وراس عين
وكان الضحاك خرج من بلاد شهرزور ونصبت الخوارج بعد قتل
الضحاك عليهم الخيبري الشيباني فلما قتل الخيبري ولت الخوارج
عليهم ابا الدلفا شيبان الشيباني وما كان من حروب مروان مع نعيم
ابن ثابت الجذامي وكان خرج عليه ببلاد طبرية والاردن من بلاد الشام
حين قتله مروان وذلك في سنة ثمان وعشرين ومائة فلم يدر مروان
ما يصنع في امر نصر وخراسان وانجاده لما هو فيه من الحروب والفتن
فكتب اليه مروان يجيبه عن كتابه ان الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فاحسم
الثولول قبلك فلما ورد الكتاب على نصر قال لخواص من اصحابه اما
صاحبكم فقد اعلمكم ان لا نصر عنده واقام مروان اكثر ايامه لا يدنو من
النسا في حربه فقيل وقد اتيت له جارية من جواريه يوما فقال لها والله
لا دنوت منك ولا حللت لك عقدا وخراسان ترجف او نصر بن
سيار وابو مجرم قد اخذ منه بالمخنق وكان معه ممن يذاكره
سير الملوك واخبارها في حروبها من العرب وغيرها من ملوك الاعاجم وعنده
بعض اوليائه ممن كان يانس اليه في ترك النسا والطيب وغيرهما من اللذات
فقال له مروان لقد عنعني بمثل ما منع امير المومنين عبد الملك فقال له الرجل
وما ذاك يا امير المومنين قال حمل اليه صاحب افريقية جارية ذات
بها وجمال تامة المحاسن شهية المتامل فلما وقفت بين يديه تامل
حسنها وبيده كتاب ورد من الحجاج وهو يذكر الحجاج يوافقه لابن
الاشعث فرمى بالكتاب من يده وقال لها والله انت منية المتمني
فقالت الجارية وما يمنعك يا امير المومنين اذ كنت بهذا الوصف قال
يمنعني منك واسر بيت قاله الاخطل

قوم اذا حاربوا شدوا مازرهم ... دون النساء ولو باتت باطهار
اللذ بالعيش وابن الاشعث مصاف لاني محارب قد زحمت فيه
زعماء العرب لانه اسد اذا ثم امر يصيبنيها فلما قتل ابن الاشعث
كانت اول جارية خلا بها ولما يئس نصر بن سيار من انجاد مروان
كتب الى يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري عامل مروان على العراق
يستمده ويساله النصر على عدوه وضمن كتابه ابياتا من الشعر وهي
ابلغ يزيد وخير القول اصدقه ... وقد تبينت ان لا خير في الكذب
ان خراسان ارض قد رايت بها ... بيضا لو افرخ قد حدثت بالعجب
فراخ عامين الا انها كبرت ... لما يطرن وقد سربلن بالزغب
فان يطرن ولم يحتل لهن بها ... يلهبن نيران حرب ايما لهب
فلم يجبه يزيد بن عمر عن كتابه وتشاغل بدفع فتق العراق وخرجت
خوارج اليمن بمكة والمدينة وعليهم ابو حمزة المختار بن عوف الازدي
وبلج بن عقبة الازدي وهما فيمن معهما يدعون الى عبد الله بن يحيى
الكندي وكان قد سمى نفسه بطالب الحق وخوطب بامير المومنين
وكان اباضي المذهب من اراء الخوارج وذلك في سنة تسع وعشرين
ومائة وسنة ثلثين ولما بلغ ذلك مروان بن محمد جيشا مع عبد الملك
ابن محمد بن عطية السعدي فلقي الخوارج بوادي القرى فقتل بلج وصار
ابو حمزة في بقيتهم الى مكة فلحقه عبد الملك فكانت بينهما وقعة
فقتل فيها ابو حمزة واكثر من كان معه من الخوارج وسار عبد الملك
في جيش مروان من اهل الشام يريد اليمن وخرج عبد الله بن يحيى
الكندي الخارجي من صنعا فالتقوا بارض الطايف من ناحية جرش
فكانت بينهم حروب كثيرة فقتل فيها عبد الله بن يحيى الكندي الخارجي
وصنعا واكثر من كان معه من الاباضية ولحق بقية الخوارج ببلاد حضرموت
فاكثر اباضية الخوارج الى هذا الوقت وهو سنة اثنين وثلثين وثلثمائة بحضرموت ومن
في عمان في هذا الوقت من الخوارج فعلى هذا المذهب وسار عبد الملك
في جيش مروان ونزل صنعا وذلك في سنة ثلثين ومائة وقد كان سليمان
ابن هشام بن عبد الملك اتصل بالخوارج بالجزيرة خوفا من مروان واحتوى
عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر على بلاد اصطخر وغيرها
من بلاد فارس الى ان دفع وصار الى خراسان فقبض عليه
ابو مسلم وقد ذكرنا من يقول بامامته ونسبها الى دعوته في كتابنا في

اصول الدولة في باب تفرق الشيعة ومذاهبهم ووقوع امر ابي مسلم
وغلب على اكثر خراسان وضعف امر نصر بن سيار وعدم النجدة
فخرج عن خراسان حتى اتى الري وخرج عنها فنزل ساوه بين
بلاد خراسان والري فمات بها همًّا وقد كان نصر بن سيار
لما صار بين الري وخراسان كتب كتابا الى مروان يذكر فيه خروجه
من خراسان وان هذا الامر الذي انجمه سيتمو حتى يملا البلاد
وضمن ذلك ابياتا من الشعر وهي

انا وما نكتم من امرنا ، كالثور اذ قرب للباخع ،
او كالتي يحسبها اهلها ، عذراء بكرا وهي في التاسع ،
كنا نرقعها فقد مزقت ، واتسع الخرق على الراقع ،
كالثوب اذ انهج فيه البلى ، اعيا على ذي الحيلة الصانع ،

فلم يستتم مروان قراة هذا الكتاب حتى مثل اصحابه بين يديه رجل
كان قد وكل بالطرق برسول من خراسان الى ابي مسلم الى ابرهيم بن
محمد الامام بكتاب فيه خبره وما آل اليه امره فلما تامل مروان كتاب
ابي مسلم قال للرسول لا ترع كم دفع اليك صاحبك قال كذا
وكذا قال فهذه عشرة الاف درهم لك وانما دفع اليك شيا يسيرا
وامض بهذا الكتاب الى ابرهيم ولا تعلمه بشي مما جرى وخذ
جوابه فاتيني به ففعل الرسول ذلك فتامل مروان جواب ابرهيم الى ابي
مسلم بخطه يامره فيه بالجد والاجتهاد والحيلة على عدوه وغير
ذلك من امره ونهيه فاحتبس مروان الرسول قبله فكتب الى الوليد
ابن معوية بن عبد الملك وهو على دمشق يامره ان يكتب الى العامل بالبلقا فيسير
الى القرية المعروفة بالكداد والحميمة فياخذ ابرهيم بن محمد فيشده
وثاقا ويبعث به اليه في خيل كثيفة فوجه الوليد الى عامل البلقا
فاتى ابرهيم وهو جالس في مسجد القرية فاخذ ولفف وحمل الى الوليد
فحمله الوليد الى مروان فحبسه في السجن بحران وقد كان جرى بين ابرهيم وبين مروان
خطب طويل حين مثل بين يديه فاغلظ له ابرهيم الكلام وانكر
كلما ذكر له مروان من امر ابي مسلم فقال له مروان يا منافق اليس هذا
كتابك الى ابي مسلم جواب كتابه اليك واخرج اليه الرسول فقال
اتعرف هذا فلما راى ذلك ابرهيم امسك وعلم انه قد اتي من مامنه واشتهار
امر ابي مسلم وكان في الحبس مع ابرهيم جماعة من بني هاشم ومن بني
امية منهم عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن مروان والعباس بن الوليد

ابن عبد الملك بن مروان وكان مروان قد خافهما على نفسه وخشي
ان يحتج عليه ومن بني هاشم عيسى بن علي وعبد الله بن علي وموسى
ابن موسى فذكر ابو عبيدة المغلبي وكان معهم في الحبس انه
هجم عليهم في الحبس وذلك بحران جماعة من موالي مروان من
العجم وغيرهم فدخلوا البيت الذي كان فيه والعباس فاقاموا
عندهم ساعة فخرجوا واغلقوا الباب فلما اصبحنا دخلنا عليهم
فاصبناهم قد اتي عليهم ومعهم غلامان صغيران من خدمهم
كالموتى فلما رآونا استوينا فسالناهم عن الخبر فقالا اما العباس
وعبد الله فجعل على وجوههما مخاد وقعد فوقهما فاضطربا
حتى بردا واما ابرهيم فجعلوا راسه في جراب كان معهم فيه نورة
مسحوقة فاضطرب ساعة ثم خمد وكان في الكتاب الذي قراه
مروان من ابرهيم الى ابي مسلم ابيات من الرجز بعد خطبة طويل

دونك امر قد بدت اشراطه ، ان السبيل واضح سراطه ،
لم يبق الا السيف واختراطه ،

وقد ذكرنا في كيفية قتل ابرهيم الامام من الوجوه غير ما ذكرنا فيما
اتينا على ما قيل فيه في الكتاب الاوسط ولذلك كان من
تخطيه بالكوفة وسار مروان حتى نزل على الزاب الصغير وعقد
عليه الجسر واتاه عبد الله بن علي في عساكر اهل خراسان وتوافى
وكان لليلتين خلتا من جمادى الاخرة سنة اثنتين وثلاثين ومائة
فالتقى مروان وعبد الله بن علي في عساكرهما وكان مع مروان
خيل لم يكن ما دونها ألف والفين فكانت على مروان فانهزم وقتل
من اصحابه وغرق خلق كثير فكان فيمن غرق في الزاب في ذلك
اليوم من بني امية ابرهيم بن الوليد بن عبد الملك المخلوع وهو اخو
يزيد الناقص وقد قيل ان مروان كان
قد قتل ابرهيم بن الوليد قبل هذا الوقت وصلبه وكانت هزيمة
مروان من الزاب في يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت
من جمادى الاخرة سنة اثنتين وثلاثين ومائة ومضى مروان في
هزيمته حتى اتى الموصل فمنعه اهلها من الدخول اليها واظهروا
السواد لما راوا من تولية الامر عنه فاتى حران وكانت داره
وكان مقامه بها وقد كان اهل حران حين ازيل لعن امير المومنين

لما مات رجل ومن غرق في الزاب ... وكان فيمن غرق في الزاب ... الناس وكان ... من بني امية ... اليوم

علي بن ابي طالب كرم الله وجهه على المنابر في يوم الجمعة اسمعوا من
ابن الله وقالوا لا صلاة الا بلعن ابي تراب واقاموا على ذلك
سنة حتى كان من المشرق ما كان وظهرت المسوده واشتغل
مروان من ذلك لاختلاف الناس عليهم وخرج مروان في اهله
وسار بني امية على حران وعبر الفرات ونزل عبد الله بن علي على
حران فهدم قصر مروان وقد كان انفق فيه عشرة آلاف
الف درهم واحتوى على خزاين مروان واموال ... مروان
فيمن معه من خواصه هاربا حتى انتهى الى نهر ابي فطرس من
بلاد فلسطين والاردن فنزل عليه وسار عبد الله بن علي
حتى نزل دمشق فحاصرها وفيها يومئذ الوليد بن معاوية بن
عبد الملك في خمسين الف مقاتل فوقعت بينهم العصبية في فضل
اليمن على نزار ونزار على اليمن فقتل الوليد بن معاوية وقد
قيل ان اصحاب عبد الله بن علي قتلوه ولحق عبد الله بن علي
يزيد بن معاوية بن عبد الملك بن مروان وعبد الجبار بن يزيد
ابن عبد الملك بن مروان فحملهما الى ابي العباس السفاح فقتلهما
وصلبهما بالحيرة وقتل عبد الله بن علي بدمشق خلقا كثيرا
ولحق مروان بمصر ونزل عبد الله بن علي على نهر ابي فطرس وقتل
من بني امية هناك بضعا وثمانين رجلا وذلك في يوم الاربعاء
للنصف من ذي القعدة سنة اثنين وثلثين ومايه وقتل بالبلقا سلمة
بن يزيد بن عبد الملك وحمل راسه الى عبد الله بن علي ودخل صالح
بن علي في طلب مروان ومعه ابو عون عبد الملك بن يزيد وعامر
ابن اسمعيل المذحجي فلحقوه بمصر وقد نزل بوصير فبايتوه وحملوا
على عسكره وضربوا الطبول وكبروا ونادوا يا لثارات ابراهيم فظن
من في عسكر مروان ان قد احاط بهم سائر المسوده فقتل مروان
وقد اختلف في كيفية قتله في المعركة في تلك الليلة وكان قتله
ليلة الاحد لثلاث بقين من ذي الحجة سنة اثنين وثلثين ومايه
ولما قتل عامر بن اسمعيل مروان اراد الكنيسة التي فيها بنات
مروان ونساوه اذا بخادم لمروان شاهر السيف يحاول الدخول
فاخذوا الخادم فسئل عن امره فقال امرني مروان اذا هو قتل بلغ
ان اضرب رقاب بناته ونسايه فلا تقتلوني فانكم والله ان قتلتموني

لتفقدن

لتفقدن ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له انظر ما
تقول قال ان كذبت فاقتلوني هلموا فاتبعوه من القرية الى فاخرجهم
موضع رمل فقال اكشفوا ههنا فكشفوا فاذا البرد والقضيب
وقعب ومخضب قد دفنه مروان لئلا يصير الى بني هاشم فوجه به عامر
ابن اسمعيل الى عبد الله بن علي فوجه به الى ابي العباس السفاح عبد الله بن علي
فتداولته ذلك خلفاء بني العباس الى ايام المقتدر بالله فيقال ان
البرد عليه كان يوم مقتله ولست ادري اكل ذلك باق مع المتقي
الى هذا الوقت وهو سنة اثنين وثلثين وثلثمايه في يد ولد المرتضى ام
قد ضيع ذلك ثم وجد عامر بنات مروان ونساءه فحملهن والاسارى
الى صالح بن علي فلما دخلن عليه تكلمت ابنة مروان الكبرى فقالت
يا عم امير المومنين حفظ الله لك من امرك ما تحب حفظه واسعدك في
الامور كلها بخواص نعمه وعمك بالعافية في الدنيا والاخرة نحن
بناتك وبنات اخيك وابن عمك فليسعنا من عفوكم ما وسعكم من
جورنا قال اذا لا استبقي منكم احدا رجلا ولا امراة الم يقتل ابوك
الامس ابن اخي ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس في محبسه
بحران الم يقتل هشام بن عبد الملك زيد بن علي بن الحسين
وصلبه في كناسة الكوفة وقتل امراة زيد بالحيرة على يد عمرو بن يوسف
الثقفي الم يقتل الوليد بن يزيد يحيى بن زيد وصلبه بخراسان
الم يقتل عبيد الله بن زياد الدعي مسلم بن عقيل بالكوفة
الم يقتل يزيد بن معاوية الحسين بن علي على يد عمرو بن سعد مع صلى الله عليه وسلم
من قتل بين يديه من اهل بيته الم يخرج بحرم رسول الله سبايا
حتى ورد بهم على يزيد بن معاوية قبل مقدمهم بعث اليه براس الحسين
بن علي قد نقر دماغه على راس رمح يطاف به كور الشام
ومدائنها حتى قدم على يزيد بدمشق كانما بعث اليه براس رجل من اهل
الشرك ثم اوقف حرم رسول الله موقف السبي يتصفحهن جنود اهل
الشام الطغام ويطلبون منه ان يهب لهم حرم رسول الله صلى الله
عليه وسلم استخفافا بحقه صلى الله عليه وسلم وجراة على الله عز وجل
وكفرا لانعمه فما الذي استبقيتم منا اهل البيت او عدلتم فيه علينا
قالت يا عم امير المومنين فليسعنا عفوكم اذا قال اما العفو فنعم قد وسعكم
فان احببت زوجتك من الفضل بن صالح فقالت يا عم امير المومنين واي

عن سعد بل الحقنا بهم قال لا افعل ذلك يابني لم شاكسو والحقهم بحران
فعلت اصواتهن وضججن بالبكاء فنهرهن على مروان وشققن جيوبهن
والعولن بالصياح والنحيب حتى ابكين المصلين بالبكاء فنهرهن مروان
فكان ملك مروان الى ان بويع ابو العباس السفاح خمس سنين وتسعة اشهر
وعشر ايام على ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عن الشاذ في ايامه
وبعد ان بويع ابو العباس الى ان قتل بوصير ثمانية اشهر وكان مدة
ايامه الى ان قتل خمس سنين وعشرة اشهر وعشرة ايام وقد
قدمنا ما اتانا ذكره فيما قد في مقدار سنه وغير ذلك من اخباره وقد اتينا على
مبسوط اخباره فيما سلف من كتبنا وكان كاتبه عبد الحميد بن يحيى بن سعد
صاحب الرسائل والبلاغات وهو اول من اطال الرسائل واستعمل
واستعمل التحميدات في فصول الكتب واستعمل الناس ذلك بعده وكان
لمروان قال الكاتب عبد الحميد حين ايقن بزوال الملك قد احتجت الى ان
تصير الى عدوي وتظهر الغدر بي فان اعجابك بمرادك وحاجتهم
الى كتابك تدعوهم الى حسن الظن بك فان استطعت ان تنفعني
في حياتي والا لم تعجز عن حفظ حرمتي بعد وفاتي فقال له عبد
الحميد ان الذي امرتني به انفع الامرين لك واقبحهما بي وما عندي الا الصبر
حتى يفتح لك او اقتل معك وقال
اسر وفاء ثم اظهر غدره فمن لي بعذر يوسع الناس ظاهره
وقد اتينا على خبر الجعد ومقتله وخبر بكير بن عبد الوهاب ومقتله
في كتابنا الاوسط فاغنى ذلك عن ذكره وذكر اسمعيل بن عبد الله القسري
قال دعاني مروان وقد ضيق الخناق عليه الجعدي فقال يا ابا هاشم
وما كان يكنيني قبلها قد ترى ما جاء من الامر وانت الموثوق به
ولا مخباة لعطر بعد عروس ما الراي فقلت يا امير المؤمنين على ما اجمعت
قال على ان ارتحل بموالي ومن تبعني من الناس حتى اقطع الدرب
واميل الى مدينة من مدن الروم فانزلها واكاتب صاحب الروم
واستوثق منه فقد فعل ذلك جماعة من ملوك الاعاجم وليس هذا
عارا بالملوك فلا تزال يأتيني من اصحابي الخائف والهارب والطامع صح
فيكثر من معي ولا ازال على ذلك حتى يكشف الله امري وينصرني على
عدوي فلما رايت ما اجمع عليه وكان الراي والله ما رايت اذ في قومه من
قحطان وبلدهم عندهم قلت اعيذك بالله يا امير المؤمنين من هذا الراي

ان يحكم اهل الشرك في بناتك وحرمك وهم الروم لا وفاء لهم ولا تدري
ما ياتي به الايام وان انت حدث عليك حدث بارض النصرانية ولا يحدث
عليك الا خير ضاع من بعدك ولكن اقطع الفرات ثم استنفر الشام جندا
فانك في كنف وعدد ولك في كل جند صنايع تسير منه حتى تاتي مصر
فانها اكثر ارض الله مالا وخيلا ورجالا والشام امامك وافريقية
خلفك فان رايت ما تحب انصرفت الى الشام وان كانت الاخرى مضيت
الى افريقية قال صدقت واستخير الله في ذلك وقطع الفرات والله
ما قطعه ومعه من قيس الا رجلان ... بن حديدة السلمي وكان
اخاه من الرضاعة والكوثر بن الاسود الغنوي ولم ينفعه من كان تعصب معه
النزارية شيئا بل غدروا به وخذلوه فلما اجتاز بلاد قنسرين
وخناصرة اوقعت تنوخ القاطنة بقنسرين بساقته ووثب اهل
حمص وصار الى دمشق فوثب الحرث بن عبد الرحمن الحرشي ثم ان
اتى الاردن فوثب هشام بن عمرو العتبي والمذحجيون جميعا ثم
مر بفلسطين فوثب الحكم بن ضبعان بن روح بن زنباع لما راوا من
ادبار الامر عنه وعلم مروان ان اسمعيل بن عبد الله القسري قد غشه في الراي ان ح
ولم يمحضه النصيحة وانه فرط في مشورته اياه اذ شاور رجلا من
قحطان موترا متعصبا على قومه مع اضداد لهم وان الراي كان
الاول الذي هم به من قطع الدرب ونزول بعض مدن الروم ومكاتبة
ملكها الحيان ري في امره وقد ذكر المدايني والعتبي وغيرهما
ان مروان حين نزل على الزاب حوى من رجاله من اختاره من سائر جيشه
من اهل الشام والجزيرة وغيرهم ماية الف فارس على ماية الف فارح
فلما كان في يوم الوقيعة واشرف عبد الله على المسودة وفي
اوايلهم البنود السود يحملها الرجال على الجمال البخت وقد جعل
لها بدلا من القنا خشب الصفصاف والغرب فقال مروان لمن
قرب منه اما ترون رماحهم كانها النخل غلظا اما ترون الى اعلام مهم
فوق هذه الابل كانها قطع من الغمام سود فبينما هو كذلك
اذ طار من اجمة هنالك قطع من الغرابيب السود فحمت على اول
عسكر عبد الله بن علي واتصل سوادها بسواد تلك الرايات
والبنود ومروان ينظر فتطير من ذلك وقال اما ترون السواد قد
اتصل بالسواد وكانت الغرابيب كالسحب سود ثم نظر الى

اصحابه المختارين فقال وقد استشعروا النزع والفشل فقال
انها العده وما تشفع العدة اذا انقضت المدة ولمروان مع
الزاب اخبار غير هذه قد اتينا على ذكرها في كتابينا اخبار الزمان
والاوسط فاغنى ذلك عن اعادة ذكرها والله الموفق

ذكر خلافة ابي العباس السفاح عبد الله بن محمد

قال المسعودي وبويع السفاح ابو العباس وهو عبد
الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ليلة
الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الاخر سنة اثنتين وثلثين
ومايه بالكوفة وقيل في النصف من جمادى الاخرة من هذه السنة
وامه ريطة بنت عبد الله بن عبد المدان الحارثية وخرج
الى المسجد الجامع في يوم الجمعة فخطب على المنبر قايما وقد
كانت بنو امية تخطب قعودا فضج الناس وقالوا احييت
السنة يا ابن عم رسول الله فكانت خلافته اربع سنين
وتسعة اشهر وقيل ثمانية اشهر ومات بالانبار في مدينته
التي كان بناها وذلك في يوم الاحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي
الحجة سنة ست وثلثين ومايه وهو ابن ثلاث وثلثين
سنة وقيل ابن تسع وعشرين سنة وكانت امه تحت عبد
الملك بن مروان وكان له منها الحجاج بن عبد الملك ثم خلف عليها بعد
عبد الملك تزوجها محمد بن علي بن عبد الله بن العباس فولدت
منه عبد الله بن محمد السفاح وعبيد الله وداود وميمونة

ذكر جمل من اخباره وسيره ولمع مما
كان في ايامه

وعلم ابن ابي ..... لما حبس ابراهيم الامام بحران ان
لا نجاة له من مروان انه كتب وصيته وجعلها الى
اخيه ابي العباس عبد الله بن محمد واوصاه بالقيام
بالدولة والجد والاجتهاد والحركة وان لا يكون
بعده بالحميمة لبث ولا عرجة حتى يتوجه الى الكوفة

وقيل انه بويع ليلة الخميس عشر ليلة خلت

فان هذا الامر صاير اليه لا محالة وانه بذلك اتتهم الروايات والحمل على
الدعاه بحران والانقياد ورسم له فيه كذا ومما اوصاه ان يعمل عليه في الاستعداد
ودفع الوصية بذلك الى سابق الخوارزمي مولاه واوصاه ان يخرج من حران
من مروان في ليل او نهار ان يعد السير الى الحميمة حتى يوصل وصيته الى
اخيه الى العباس فلما قضى ابرهيم نحبه اسرع سابق في السير حتى الى الحميمة
فدفع الوصية الى ابي العباس ونعاه اليه فامر ابو العباس بستر خبر الوصية
ولم يتعاهد فقط نفعت واخذ ابو العباس من اهل بيته على الامر ودعا
الى مواز رته ومكاتبته اخاه ابا جعفر عبد الله بن محمد وعيسى بن موسى بن محمد
ابن اخيه وعبد الله بن علي عمه فتوجه ابو العباس الى الكوفة سريعا وهو ومن
معه في عدة ممن خف معه من اهل بيته فلقيتهم اعرابية على بعض مياه العرب
في طريقهم الى الكوفة وقد تقدم ابو العباس واخوه ابو جعفر وعمه عبد الله
ابن علي ومن كان معهم الى الماء فقالت الاعرابية تالله ما رايت وجوها مثل
هذه ما بين خليفة وخليفة وخارجي فقال لها ابو جعفر المنصور كيف
قلت يا امة الله قالت والله ليلين هذا واشارت الى السفاح ولتخلفنه
انت وليخرجن عليك هذا واشارت الى عبد الله بن علي فلما انتهوا الى دومة
الجندل لقيهم داود بن علي وموسى بن داود ابنه وهما منصرفان من العراق الى
الحميمة من ارض الشراه فسال داود عن مسيرهم فاخبره بسببه واعلمه
بحمله اهل خراسان لهم ومن مع ابي مسلم وانه يريد الظهور بالكوفة فقال
له داود يا ابا العباس تاتي الكوفة ومروان شيخ بني امية في خلية
العرب بالعراق فقال ابو العباس يا عم من احب الحياة ذل وتمثل بقول الاعشى

فما ميتة ان متها غير عاجز بعار اذا ما غالت النفس غولها

فالتفت داود الى ابنه موسى فقال صدق ابن عمك ارجع بنا
معه نحيا اعزاء او نموت كراما فعطفا ركابهما معه وسار ابو العباس
حتى دخل الكوفة وقد كان ابو سلمة حفص بن سليمان بلغه مقتل ابرهيم
الامام فهم بالرجوع عما كان عليه من الدعوة العباسية الى ال ابي طالب
وقدم ابو العباس الكوفة فيمن ذكرنا من اهل بيته سرا والمسودة مع
ابي سلمة بالكوفة فانزلهم جميعا دار الوليد بن سعد في بني اود من
اليمن وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب
في اخبار الحجاج وبراءتهم من علي بن ابي طالب عليه السلام والطاهرين
من ذريته ولم يزل الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلثين فيما ذكرنا

من الارض وتوثبت من الممالك بجلا من اولاد الاحداث اذا استبطنت الخلع
ناصبا متواليا لآل مروان وجوههم واخفى ابو سلمة امر ابي العباس ومن قدم
معه ووكل بهم وكان قدوم ابي العباس الكوفة في صفر سنة اثنتين وثلثين ومائة وفيها
جرى البريد بالكتب لولد العباس وقد كان ابو سلمة لما قتل ابرهيم الامام خاف
انتقاض الامر وفساده عليه فبعث محمد بن عبد الرحمن بن اسلم وكان اسلم مولى
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب معه كتابين على نسخة واحدة الى ابي عبد الله
جعفر بن محمد بن علي الحسين بن علي ابن ابي طالب عليهم السلام والى ابي محمد عبد الله
ابن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب عليهم السلام يدعو كل واحد
منهما الى الشخوص اليه ليصرف الدعوة اليه ويأخذ بيعة اهل خراسان له وقال
لرسوله العجل العجل ولا تكونن كوافد عاد فقدم محمد بن عبد الرحمن المدينة على ابي
عبد الله جعفر بن محمد فلقيه ليلا فلما وصل اليه اعلمه انه رسول ابي سلمة ودفع
اليه كتابه فقال له ابو عبد الله وما انا وابو سلمة ابو سلمة شيعة لغيري
قال له الرسول فتقرا كتابه وتجيبه بما رايت فدعا ابو عبد الله بسراج ثم اخذ
كتاب ابي سلمة فوضعه على السراج حتى احترق وقال للرسول عرف صاحبك
بما رايت ثم انشا يقول متمثلا ببيت الكميت بن زيد

ايا موقدا نارا لغيرك ضوؤها ... ويا حاطبا في غير حبلك تحطب

فخرج الرسول من عنده واتى عبد الله بن الحسن فدفع اليه الكتاب فقبله وقراه وابتهج
به فلما كان من غد ذلك اليوم الذي وصل اليه الكتاب فيه ركب عبد الله
حمارا حتى اتى منزل ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق فلما راه ابو عبد الله
اكبر مجيئه وكان عبد الله اسن منه فبداه وقال يا ابا عبد الله امر ما اتى
بك قال نعم هو اجل من ان يوصف فقال وما هو يا ابا محمد قال هذا كتاب
ابي سلمة يدعوني الى ما قبله وقد قدمت عليه شيعتنا من اهل خراسان
فقال له ابو عبد الله يا ابا محمد ومتى كان اهل خراسان شيعة لك انت
بعثت ابا مسلم الى خراسان وانت امرته بلبس السواد وهولاء الذين
قدموا العراق انت كنت سبب قدومهم او وجهت فيهم وهل تعرف
منهم احدا فنازعه عبد الله بن الحسن الكلام الى ان قال انما يريد
القوم ابني محمدا لانه مهدي هذه الامة ولئن شهر سيفه ليقتلن فانتهر
عبد الله القول حتى قال له والله ما يمنعك من ذلك الا الحسد فقال له
ابو عبد الله والله ما هذا الا نصح مني لك ولقد كتب الي ابو سلمة بمثل
ما كتب به اليك فلم يجد رسوله عندي ما وجد عندك ولقد احرقت

عبد الله

كتابه من قبل ان اقراه فانصرف عبد الله من عند جعفر مغضبا
ولم ينصرف رسول ابي سلمة اليهما الى ان بويع السفاح بالخلافة وذلك
ان ابا حميد الطوسي دخل ذات يوم من العسكر الى الكوفة فلقي
سابقا الخوارزمي في سوق الكناسين فقال له يا سابق قال سابق نعم
فسأله عن ابرهيم الامام قال قتله مروان في الحبس وكان مروان
يومئذ بحران فقال ابو حميد فالى من اوصى قال الى اخيه ابي العباس
قال واين هو قال معك بالكوفة هو واخوه وعمومته وجماعة من اهل
بيته قال مذ متى هم ههنا قال منذ شهرين قال فتمضي بي اليهم
قال غدا بيني وبينك الموعد هذا الموضع واراد سابق ان
يستاذن ابا العباس في ذلك وانصرف الى ابي العباس فاخبره فلامه
اذ لم يات به معه اليهم ومضى ابو حميد فاخبر جماعة من قواد خراسان
في عسكر ابي سلمة بذلك منهم ابو الجهم وموسى بن كعب وكان
زعيمهم وهذا سابق الى الموضع فلقي ابا حميد فمضيا حتى
دخلا على ابي العباس ومن معه فقال ايكم الامام فاشار داود
ابن علي الى ابي العباس وقال هذا خليفتكم واكبوا على اطرافه
يقبلونها وسلموا عليه بالخلافة وابو سلمة لا يعلم بذلك واتاه وجوه
القواد فبايعوه وعلم ابو سلمة بذلك فبايعه ودخل الجيش
في احسن زي وضربوا له مصافا وقدمت الخيول فركب ابو العباس
ومن معه حتى اتوا قصر الامارة وذلك في يوم الجمعة لاثنتي عشرة
خلت من ربيع الاخر سنة اثنتين وثلثين ومائة وقد قدمنا فيما
سلف من هذا الكتاب تنازع الناس في اي شهر بويع له من هذه السنة
ثم دخل المسجد الجامع من دار الامارة فحمد الله واثنى عليه وذكر
تعظيم الرب ومنته عليهم وفضل النبي صلى الله عليه وسلم وقاد
الولاية والوراثة حتى انتهت اليه ثم وعد الناس خيرا ثم سكت فتكلم
عمه داود بن علي وهو على المنبر دون ابي العباس فقال والله
انه ما كان بينكم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم خليفة
الا علي عليه السلام وامير المؤمنين هذا الذي خلفي ثم نزلا وخرج ٤٠
ابو العباس الى العسكر ابي سلمة فنزل في حجرته واستخلف
على الكوفة واعمالها عمه داود بن علي وبعث اخاه عبد الله بن علي
الى ابي عون عبد الملك بن يزيد فسار الى مروان فكان من امرهم

ما قد قدمنا ذكره من التقائهم على الراس وهو راس مروان بن محمد لما اتصل بابي
العباس السفاح ما كان من عامر بن اسمعيل وقتله لمروان ببوصير وقد
قتل ابن عم لعامر يقال له نافع بن عبد الملك كان قتله في تلك الليلة في
المعركة وهو لا يعرفه وان عامرا لما احتز راس مروان واحتوى على عسكره
دخل الكنيسة التي كان فيها مروان فقعد على فرشه واكل من طعامه
فخرجت اليه ابنة مروان الكبرى وتعرف بام مروان فقالت له وكانت
اسنت يا عامر ان دهرا انزل مروان عن فرشه حتى اقعدك عليه واكلت
من طعامه واحتويت على امره وحكمت في مملكته لقادر ان يغير ذلك فلما
ابو العباس السفاح من ذلك وكتب اليه ويلك اما كان لك في ادب الله
عز وجل ما يغنيك ان تاكل من طعام مروان وتقعد على مهاده اما والله لولا
ان امير المؤمنين يأول ما فعلته على غير اعتقاد منك ولا شهوة لمسكن
غضبه والبم ادبه ما يكون لك زاجرا ولغيرك واعظا فاذا اتاك كتاب
امير المؤمنين فتقرب الى الله بصدقة تطفي غضبه وصلاة تظهر فيها
الاستكانة وصم ثلاثة ايام ومر جميع اصحابك ان يصوموا مثل
صيامك ولما اتى ابو العباس السفاح براس مروان ووضع بين يديه
سجد فاطال ثم رفع راسه فقال الحمد لله الذي لم يبق ثاري
قبلك وقبل رهطك والحمد لله الذي اظفرني بك واظهرني عليك
ثم قال ما ابالي متى طرقني الموت وقد قتلت بالحسين من بني امية
مائتين واحرقت شلو هشام بابن عمي زيد بن علي وقتلت مروان
باخي ابراهيم وتمثل

لو يشربون دمي لم يرو شاربهم ... ولا دماؤهم جمعا يرويني

ثم حول وجهه الى القبلة وسجد فاطال السجود ثم جلس وقد اسفر
وجهه وتمثل بقول العباس بن عبد المطلب وراس

ابى قومنا ان ينصفونا فانصفت ... قواطع في ايماننا تقطر الدما
تورثن من اشياخ صدق تقدموا ... بهن الى يوم الوغى فتقدما
اذا خالطت هام الرجال تركتها ... كبيض نعام في الوغى متحطما

وقالت الشعراء في امر مروان فاكثرت وذكر ابو الخطاب عن ابي جعد بن
هبيرة المخزومي وكان احد ندماء مروان وسماره وقد كان لما ظهر
امر ابي العباس انضم الى جملتهم وصار من عداد اصحابه وخواصه الذين
اتخذهم انه كان في ذلك اليوم حاضر المجلس ابو العباس وراس مروان

بين يديه وهو يومئذ بالحيرة ولا ابا العباس التفت الى اصحابه وقال
ايكم يعرف هذا قال ابو جعدة انا اعرفه هذا راس ابي عبد الملك مروان
ابن محمد خليفتنا بالامس رضي الله عنه قال فحدقت الى الشيعة واخذتني
بابصارها فقال لي ابو العباس في اي سنة كان مولده قلت
سنة ست وسبعين فقام وقد تغير لونه غضبا علي وتفرق الناس
من المجلس وتحدثوا به فقلت زلة والله لا تستقال ولا ينساها القوم
ابدا فاتيت منزلي فلم ازل بقية يومي اعهد واوصي فلما كان نصف
الليل اغتسلت وتهيات للصلوة وكان ابو العباس اذا هم
بامر بعث فيه ليلا فلم ازل ساهرا حتى اصبحت فركبت بغلتي
واستعرضت بقلبي الى من اقصد في امري فلم اجد احدا اولى
من سليمان بن مجالد مولى بني زهرة وكانت له من ابي العباس
منزلة عظيمة وكان من شيعة القوم فاتيته فقلت اذكرني
امير المؤمنين البارحة فقال نعم جرى ذكرك فقال هو ابن اختنا
وفي لصاحبه ونحن لو اوليناه خيرا كان لنا اشكر فشكرت ذلك
له وجزيته خيرا ودعوت له وانصرفت فلم ازل ابو العباس على ما كنت
عليه لا ادري الخبر اونما الكلام الذي كان في مجلس ابي العباس
حين اتي براس مروان فبلغ ابا جعفر وعبد الله بن علي ذلك فارسل
الي ابي العباس يعلمه ما بلغه من كلامه والتمس مثل هذا يحتمل
وكتب ابو جعفر يخبره بما بلغه من ذلك وهو يقول ان احتمل هذا
باصطناعه والتماد المعروف عنده وبلغني ما كان منهما فامسكت
وضربت الدهر ضربانه فاني ذات يوم عند ابي العباس بعد حين وقد
زيدت حالي عنده واحظاني فنهض الناس ونهضت فقال لي
ابو العباس على رسلك يا ابن هبيرة فجلست ونهض ليدخل فقمت
لقيامه فقال اجلس فرفع الستر ودخل وثبت في مجلسي فاقام
مليا ثم رفع الستر فخرج في ثوبي وشي ورداء وجبة فما رايت
احسن منه ولا مما عليه قط فلما رفع الستر نهضت فقال اجلس
فجلست فقال يا ابراهيم اني اذكرك امرا فلا يحجبني عنه ان اسلك
الى احد من الناس ثم قال قد علمت ما جعلنا من هذا الامر وولاية
العهد لمن يقتل مروان وعبد الله بن علي عمي هو الذي قتله لان ذلك
كان بجيشه واصحابه والخا ابو جعفر في فضله وعلمه وسنه

وايثاره لامر الله كيف يسوغ اخراجه عنه فقال فاطال في مدح
ابي جعفر فقلت اصلح الله امير المؤمنين لا اشير عليك ولكني احدثك
حديثا تعتبر به قال هاته قال كنا مع مسلمة عام الخليج بالقسطنطينية
اذ ورد علينا كتاب عمر بن عبد العزيز بنعي سليمن وبمصير الامر اليه
فبعث الي فدخلت عليه ورمى بالكتاب الي فقراته ثم اندفع يبكي
فقلت اصلح الله الامير لا تبك على اخيك وكن لي على عزمه في الخلافة
من دولة ابيك الي وهلم نعمل فبكى حتى اخضلت لحيته فلما فرغت
من حديثي قال ابو العباس حسبك قد فهمت عنك ثم قال اذا
شئت فانهضت غير بعيد حتى قال الحجاج بن هبيرة فالتفت الي اخيه
فقال لبعضهم اما انك قد كافاته ولقد اخذت بيدك عن هذه الحال
فما ادري من راي الامرين اعجب من فطنته ام من ذكره لما كان وابو جعفر
ابن هبيرة هذا هو من ولد جعفر بن هبيرة المخزومي من فاختة ام هاني
بنت ابي طالب وعلي وجعفر وعقيل اخوالها وقد قدمنا خبره فيما
سلف من هذا الكتاب قال المسعودي ووجدت في اخبار
المدايني عن محمد بن الاسود قال بينما عبد الله بن علي يساير اخاه داود
ابن علي ومعهما عبد الله بن الحسن ابن الحسن فقال داود
لعبد الله لم لا تامر ابنيك بالظهور فقال عبد الله هيهات لم يان لهما
بعد فالتفت اليه عبد الله بن علي فقال كانك تحسب ان ابنيك هما قاتلا
مروان فقال ان ذلك كذلك فقال عبد الله هيهات وعثل
سيكفيك الجعالة مستميت خفيف اللحم من اولاد حام
انا والله قاتله وليقتل لعبد الله بن علي ان عبد الله بن عمر بن عبد العزيز
تذكر انه قرا في بعض الكتب انه يقتل مروان عين بن عين بن عين وقد امل
ان يكون هو فقال عبد الله بن علي انا والله ذلك ولي عليه فضل ثلاثة عين
انا عبد الله بن علي بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم وهو عمر بن عبد العزيز
ابن عبد مناف فلما صار مروان عبد الله بن علي اقبل مروان على
رجل الى جنبه فقال من الرجل قال الذي كان يخاصم عند عبد الله
ابن معوية بن جعفر الاقنى الحديد النظر المحسن الوجه فقلت
يرزق الله البيان لمن يشا قال انه هو قلت نعم قال من ولد العباس
ابن عبد المطلب هو قلت اجل قال مروان انا لله وانا اليه راجعون وعلل
اني ظننت ان الذي يحاربني من ولد ابي طالب وهذا الرجل من ولد العباس

واسمه عبد الله الذي لم يصير الامر بعدي الى عبد الله بن محمد
فوليته دونه قال وبعث مروان بعد ان حدث صاحبه بهذا
الحديث الى عبد الله بن علي في خفية ان الامر لابن عمي صائر اليك
فاتق الله في الحرم قال فبعث اليه عبد الله ان الحق لنا في دمك
وان الحق علينا في حرمك وذكر مصعب بن الزبير عن اشياخه قال كانت
ام سلمة بنت يعقوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة المخزومي
عند عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك فهلك عنها ثم كانت عند
هشام فهلك عنها فبينما هي ذات يوم اذ مر بها ابو العباس
السفاح وكان وسيما جميلا فسالت عنه فنسب لها فارسلت اليه
مولاة لها تعرض عليه ان يتزوجها وقالت لها قولي له هذه سبعماية دينار
اوجه بها اليك وكان معها مال عظيم وجوهر وحشم فاتته
المولاة فعرضت عليه ذلك فقال انا مملق ولا مال عندي فدفعت
اليه المال فانعم لها واقبل الى اخيها فسأله التزويج فزوجه اياها
فاصدقها خمسماية دينار واهدى خمسماية دينار ودخل عليها من
ليلته واذا هي على منصة فصعد اليها فاذا كل عضو منها مكلل
بالجوهر فلم يصل اليها فقالت لا يحرك هذا الرجال نصيبهم من كل
ما اصابك فلم يزل بها حتى وصل اليها من ليلته وحظيت عنده
وحلف ان لا يتزوج عليها ولا يتسرى فولدت منه محمدا وريطة
وغلبت عليه غلبة شديدة حتى ما كان يقطع امرا الا بمشورتها
وبامرها حتى افضت الخلافة اليه فلم يكن يدنو الى النسا غيرها
لا حرة ولا امة ووفا لها بما حلف الا يقربها فلما كان ذات يوم من
خلا به خالد بن صفوان فقال يا امير المومنين فكرت في
امرك وسعة ملكك وقد ملكت نفسك امراة واحدة واقتصرت
عليها فان مرضت مرضت وان غابت غبت واحرمت نفسك التلذذ
باطرائف الجواري ومعرفة حالاتهن والتمتع بما تشتهي منهن فان
منهن يا امير المومنين الطويلة الغيدا ولين منهن الغضة البيضا
والعسرا الادما والرقيقة السمرا والبربرية العجزا من مولدات
المدينة تفتن بمحادثتها وتلتذ بخلوتها واين امير المومنين
عن بنات الاحرار والنظر الى ما عندهن وحسن الحديث منهن
ولو رايت يا امير المومنين الطويلة البيضا والسمرا اللعسا والصفرا

المجدل والمولدات من البصريات والكوفيات ذوات الالسن العذبة
والقدود المهفهفة والاوساط المخصرة والاصداغ المزررة فقد
والعيون المكحلة والثدي المحققة وحسن زينتهن وزينتهن شـاء
وشكلهن لرأيت حسنا وجمل زيد في الوصف وبكثرة
في الاطناب بحلاوة لفظه وجوده وصفه فلما فرغ من كلامه
قال له ابو العباس ويحك يا خالد ما سلك والله مسامعي
قط كلام احسن مما سمعته منك فاعد علي كلامك فقد وقع
مني موقعا فاعاد عليه خالد كلامه احسن مما ابتداه ثم
انصرف وبقي ابو العباس مفكرا مما سمع منه فدخلت عليه ام
سلمة امرأته فلما دخلت عليه رأته متفكرا مغموما قالت اني لانكرك
يا امير المومنين هل حدث امر كرهته او اتاك خبر فارتعت له قال لم يكن
من ذلك شي قال فما قصتك فجعل يروي عنها فلم تزل حتى اخبرها
بمقالة خالد فقالت فما قلت لابن الفاعلة قال لها سبحان الله
ينصحني وتشتمينه فخرجت من عنده مغضبة وارسلت الى خالد
بجماعة من الجاريه وامرتهم ان لا يتركوا منه عضوا صحيحا قال خالد
فانصرفت الى منزلي وانا على السرور بما رأيت من امير المومنين والعجائب
بما القيته اليه ولم اشك ان صلته ستاتيني حتى صار الي اولئك الجاريه
وانا قاعد على باب داري فلما رايتهم قد اقبلوا نحوي ايقنت بالجائزه
والصلة حتى وقفوا علي وسالوا عني فقلت ها انا خالد فسبق
الي بعضهم بهراوة كانت معه فلما اهوى بها الي وثبت فدخلت
منزلي واغلقت الباب واستترت ومكثت اياما على تلك الحال
لا اخرج من منزلي ووقع في خلدي اني اتيت من قبل ام سلمة وطلبني
ابو العباس طلبا شديدا فلم اشعر ذات يوم الا بقوم قد تحجموا
علي وقالوا اجب امير المومنين فايقنت بالموت فركبت وليس علي لحم ولا دم
فلم اصل الى الدار حتى استقبلني عدة رسل له فدخلت عليه
فالقيته خاليا فسكنت بعض السكون فسلمت فاومى الي بالجلوس
ونظرت فاذا خلف ظهري باب عليه ستور قد ارخيت وحركة
خلفها فقال الي يا خالد لم ارك منذ ثلاثة ايام قلت كنت عليلا
يا امير المومنين قال ويحك انك وصفت لي في اخر دخلة من امر النساء
والجواري ما لم يخرق مسامعي قط كلام احسن منه فاعده علي قال

قلت نعم يا امير المومنين اعلمتك ان العرب اشتقت اسم الضرتين
من الضرر وان احدهم لم يكن عنده من النساء اكثر من واحدة الا كان
في جهد فقال ويحك لم يكن هذا في الحديث قلت بلى والله يا امير المومنين في العدد
واخبرتك ان الثلاث من النساء كاثافي يغلي عليهن قال ابو العباس برئت
من قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت سمعت هذا منك
في حديثك قال واخبرتك ان الاربع من النساء شر مجموع لصاحبهن
يشيبنه ويهرمنه ويسقمنه قال ويلك والله ما سمعت هذا الكلام
منك ولا من غيرك قبل هذا قال بلى والله قال ويلك وتكذبني قال وتريد
انت تقتلني يا امير المومنين قال مر في حديثك قال واخبرتك ان ابكار
الجواري رجال ولكن لا خصي لهن قال خالد فسمعت الضحك
من خلف الستور المرخية قلت نعم واخبرتك ايضا ان بني مخزوم ريحانة
قريش وان عندك ريحانة من الرياحين وانت تطمح بعينك الى حرائر
النساء والى غيرهن من الاماء قال خالد فقيل لي من وراء الستور صدقت
والله يا عماه وبررت بهذا حدثت امير المومنين ولكنه غير وبدل
ونطق على لسانك فقال ابو العباس ما لك قاتلك الله واخزاك وفعل
بك وفعل قال فتركته وخرجت وقد ايقنت بالحياة قال خالد فما شعرت
الا برسل ام سلمة قد صاروا الي ومعهم عشرة الاف درهم
وتخت وبرذون وغلام ولم يكن احد من الخلفاء يحب مسامرة الرجال
مثل ابي العباس السفاح وكان كثيرا ما يقول انما العجب ممن يترك ان
يزداد علما ويختار ان يزداد جهلا فقال لابي بكر الهذلي ما تاويل
هذا يا امير المومنين قال يترك مجالسة مثلك وامثال اصحابك ويدخل
على امراة وجارية فلا يزال يسمع سخفا ويرى نقصا فقال له
الهذلي لذلك فضلكم الله على العالمين وجعل نبيكم خاتم النبيين
ودخل عليه ابو بجيلة فسلم عليه وانتسب له وقال يا امير المومنين
عبدك وشاعرك افتاذن لي في انشاد ابيات قال له الست
القائل في مسلمة بن عبد الملك بن مروان حيث قلت

اسلمة يا ابن كل خليفة ويا فارس الهيجاء ويا جبل الارض
شكرتك ان الشكر حبل من التقى وما كل من اوليته نعمة يقضي
واحييت لي ذكري وما كان خاملا ولكن بعض الذكر انبه من بعض

فقال فانا يا امير المومنين الذي اقول

لما رأيت استمسكت يداكا — كفا اناسا رهبوا الاملاكا
وركبت الحجاز والاوراكا — من كل شيء مخلا الاشراكا
فكل ما قد قلت في سواكا — زور وقد كفر هذا ذاكا
انا انتظرنا قبلها اباكا — ثم انتظرنا بعده لقاكا
ثم انتظرناك لها اباكا — فكنت انت للرجاء ذاكا

قال فرضي عنه ووصله واجازه فكان ابو العباس اذا حضر
طعامه ابسط الناس وجها فكان ابرهيم بن مخرمة الكندي اذا
اراد ان يسأله حاجة اخرها الى حضور طعامه ثم يسأله فقال
له يوما يا ابرهيم ما دعاك الى ان تشغلني عن طعامي بحوائجك قال يدعوني
الى ذلك التماس النجح لما اسأل لك قال ابو العباس انك لحقيق بالسودد
لحسن هذه الفطنة وكان اذا تعادى رجلان من اصحاب السفاح
وبطانته لم يسمع من احدهما في الآخر شيئا ولم يقبله ولو كان القائل
عنده عدلا في شهادته واذا اصطلح الرجلان لم يقبل شهادة
واحد منهما لصاحبه ولا عليه ويقول ان الضغينة المتقادمة تولد
العداوة المحضة وتحمل على الظلم بالمسالمة وتحتها الافاعي
التي اذا استمكنت لم تبق وكان في اول ايامه يظهر لندمائه ثم
احتجب عنهم وذلك لسنة خلت من ملكه لامر قد ذكرناه فيما سلف
من كتبنا وكان قعوده من وراء الستارة على حسب ما ذكرنا فيما سلف
من هذا الكتاب في سيرة اردشير بن بابك واياه وكان يطرب
من وراء الستارة على حسب ما ذكرنا ويصيح بالمطرب ليعيد المغني
احسنت والله وليعد هذا الصوت وكان لا ينصرف عنده احد
من ندمائه ولا من مطربيه الا بصلة من المال والكسوة ويقول لا يكون
سرورنا معجلا ومكافاة من سرنا واطربنا مؤجلا وقد سبقه الى
هذا الفعل ملك من ملوك الفرس وهو بهرام جور وقد حضر ابو بكر الهذلي ذلك
يوما والسفاح مقبل عليه يحدثه بحديث لانوشروان في
بعض حروبه بالمشرق مع بعض ملوك الامم فعصفت الريح فادرت
ترابا وقطعا من الآجر من اعلى السطح الى المجلس فجزع من حضر المجلس
لوقعها وارتاع لها والهذلي شاخص نحو ابي العباس لم يتغير كما
تغير غيره فقال له السفاح لله انت يا ابا بكر لم ار كاليوم ما راعك
ما راعنا ولا احسست بما ورد علينا فقال يا امير المؤمنين

ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وانما للمرء قلب واحد فلما غمر
بالسرور لفائدة امير المؤمنين لم يكن فيه لحادث مجال وان الله عز وجل
اذا انفرد بكرامة احد واحب ان يبقي له ذكرها جعل تلك الكرامة
على لسان نبيه او خليفته وهذه كرامة خصصت بها مال اليها
ذهني وشغل بها قلبي فلو انقلبت الخضراء على الغبراء ما احسست
بها ولا وجبت لها الا بما يرجع في نفسي امير المؤمنين اعزه الله
فقال له السفاح لئن بقيت لك لارفعن منك ضبعا لا تطيقه
السباع ولا تنحط عليه العقبان وقد قدمنا فيما سلف من
هذا الكتاب وصية عبد الملك للشعبي في فضل الانصات للملوك
وقد حكي عن عبد الله بن العباس انه قال لم يسر العامة الى الملوك
بمثل الطلعة ولا العربية بمثل الخدمة ولا البطانة بمثل حسن
الاستماع وقد حكي عن روح بن زنباع الجذامي انه كان يقول
ان اردت ان يمكنك الملك من اذنه فمكنه من الاصغاء الى حديثه
والتعجب رجلا عندي اذا كان يصغي الى حديثي ولا يعد
بما قيل فيه في قلبي لما قد تقدم له من حسن الاستماع مني
وقد حكي عن معوية انه كان يقول يغلب الملك حتى يركب بسياسته
بالحلم عند سورته والاصغاء الى حديثه ووجدت في كتب سير
الملوك من الاعاجم ان ابرويز في بعض متنزهاته ركب في الحلق
وكان لا يساير احدا من الناس مبتديا واهل المراتب العالية خلفه على
مراتبهم فان التفت يمينا دنا منه صاحب الحرس وان التفت
شمالا دنا منه فالتفت ... زاد في مسايرته
فالتفت في مسيره هذا يمينا وشمالا فدنا منه صاحب الحرس فقال
بنداد بن خرشيد فاخرج فسايره فقال له ابرويز ما
حديث جدنا اردشير بن بابك حين واقع ملك الخزر فحدثني حكاية
لم اكن احفظها وكان بنداد قد سمع هذا الحديث من ابرويز مرة
وعرف المكيدة وكيف كان اردشير اوقعها بملك الخزر فاستعجم
عليه بنداد واوهمه انه لا يعرفه فحدثه ابرويز بالحديث فاصغى
اليه الرجل بجوارحه كلها وكان مسيرهم على شاطئ نهر فقرب الرجل
لاقباله على حديثه من النظر الى موضع حافر دابته فزلت احدى قوائم
الدابة فالقت بالرجل الى النهر فوقع في الماء ونفرت الدابة فانتبه لها

حاشية الملك وغلمانه فاذا هو بعشرة رجال وجدوه فحملوه على
ايديهم حتى اخرجوه فاغتم لذلك الملك ونزل عن دابته وبسط
له هنالك حتى تغدى في موضعه ودعا بثياب خاص فلبس ثم
فالعقبة على بغداد واكل بعده وقال غفلت عن النظر الى موضع
حافر دابتك فقال له ايها الملك ان الله تع اذا انعم على عبد نعمة قابلها
بمحنة وعارضها ببلية وعلى قدر النعم تكون المحن وان الله
انعم علي بنعمتين عظيمتين منها اقبال الملك علي بوجهه من دون
هذا السواد الاعظم ومنها هذه الفائدة وتدبير هذه الحرب
الذي حدث بعلي اذ شربت الى هذا الجب لو دخلت الجب حيث تطلع
منه الشمس لم تكن الا ... فلما اجتمعت نعمتان جليلتان في وقت
واحد قابلتهما هذه المحنة ولولا اساوة الملك وبين حبد
لكنت تعرض هلك دعلي ذلك فلو عرفت حتى اذهب عن جديد
الارض لكان يقربني الى الملك فكرم المخلد اما نجي الضياء والظلام
فسر الملك بذلك وقال ما ظننتك بهذا المقدار الذي انت
فيه فحشى فاه جوهرا ودرا يتيما عينا واستبطنه حتى علي على
الزامر وانما ذكرنا هذا الخبر من اخبار من سلف من ملوك الفرس لنعلم
ان ابا بكر الهذلي لم يبتدي بحال لم يسبقه اليها غيره وتبعد مد
بها سواه وحسن موقع ذلك من الملوك الاستماع منه والاخذ
عنه وقد كان حكماء اليونانيين تقول ان الواجب على من اقبل عليه
ملك او ذو رياسة بحديث لم يعرف كله الحديث ولم كان يعرف
الحديث الذي يسمعه من الملك كان يسمعه ويظهر السرور بالفائدة
من الملك والاستبشار بحديثه فان في ذلك امرين احدهما ما يظهر من
حسن ادبه فانه يعطي الملك حقه من حسن الاستماع لحديثه
والاستصواب له كان لم يعرفه واظهار السرور بالاستفادة منه
فالنفس الى فوائد الملوك والحديث عنهم اشهى واقرب
منها الى فوائد السوقة ومن اشبههما وقد ذكر جماعة من الخبار مثل
كابن داب وغيره نحو هذا المعنى عن معوية بن ابي سفيان ويزيد
ابن شجرة الرهاوي وهو انه كان يسايره ذات يوم معاوية وكان
براتا البني تخاقم عنهم من قريش كان فيه جرح عظيم في
فيما خلق من الناس وذلك قبل الاسلام وقيل لم ذلك قبل الهجرة وكانت

الى سفيين فيه مكرهه وسابقه في الرياسه وذلك انه لما اشرف على المومني
جميعا على القتال اذ انشق من الارض من صاح بالفريقين واشار بكمه فانصرف
الفريقان جميعا انقيادا للحلم وكان معوية معجبا بهذا الحديث فبينما
هو يحدث يزيد بن شجرة بشيء وقد استحقه لذة المحدث والمستمع
اذ صك حجر يزيد بن شجرة حجر عاير فادماه فجعلت الدماء تسيل على وجهه
ولحيته وثوبه وهو غير متغير كما كان عليه من الاستماع فقال معوية لله
انت يا ابن شجرة اما ترى ما نزل بك قال وما ذاك يا امير المومنين قال
هذا دم يسيل على وجهك وثوبك فقال اعتق ما املك ان لم يكن حديث
امير المومنين الهاني حتى غمر فكري وغطى على قلبي فما شعرت بشيء مما حدث
حتى نبهني عليه امير المومنين فقال معوية لقد ظلمك من جعلك في الف
من العطا واخرجك من عطا ابنا المهاجرين والجماهير ممن حضر معنا
صفين ثم امر له وهو في مسيره بخمسمائة الف درهم وزاده في عطائه
الف الف درهم وجعله بين جلده وثوبه وقد قال بعض اهل المعرفة
والادب من مصنفي الكتب في هذا المعنى وغيره فيما حكيناه عن معوية
وابن شجرة لئن كان ابن شجرة خدع معوية في هذا او معاوية ممن
لا يخادع فانما مثله الا كما قال الاول من سلك العربه سلكا ولئن
كان بلغ من بلاده ابن شجرة وقلت حسرها او صفه نفسه ما كان
جديرا ان يجعل له الف درهم صله فزياده الف في عطائه وما اظن
ذلك يخفى على معاوية قال المسعودي وقد قالت الحكماء في هذا
فاكثروا وامروا بحسن الاستماع والصمت فقالوا لا تحسن المحادثة الا
بحسن الاستماع والصمت وقالوا لا تحسن المحادثة الا بحسن الاستماع
وقالوا تعلم حسن الاستماع كما تعلم حسن الكلام وحسن الاستماع هو
اصغاء المحدث حتى ينقضي حديثه وفراد الحديث
ومجانبه الا يتعقب اقتضابا وان لا يهجم عليه ولئن يوصل الى
احرازه بما يشاكله ويسبب له ما يجري في عرضه حتى يكون بعض
المفاوضه متعلقا ببعض على حسب ما قالوا في المثل السائر
ان الحديث ذو شجون يريد من ذلك تشعبه وتفرقه عن اصل واحد
الى وجوه من المعاني كثيرة اذا كان العيش كله في الجليس الممتع
فقال احمل واسما ادام المحدث فقال السامع اعاذل العيون الحديث
وقد اكثر الشعراء من الاغراق في هذا المعنى ومن ذلك قول علي بن العباس

وسمت كل مادي * فكان الطيب للخبيث * الا المحدث فانه
مثل اسمه ابدا حديث

واحسن ما قيل في هذا المعنى قول ابراهيم

ان الرجال وما ترى عزهم * من الغواية فانظر كبيرها * وصحوا الامر لعله محدث
حسن الحديث يزيدني تعليما

وقد ذكر بعض المحدثين من اهل الادب اطاله الحديث من القديم احلى الحديث واحسن المواقع لمن يجتنب هذه الاحاديث الطوال ذلك المعاني المغلقه والالفاظ الحسنه باقتصاص زمان المجلس وتعلق بها النفوس وتحتبس على الذاكر لها الكووس وان ذلك بمجالس القصاص اشبه منه بمجالس الخواص وقد ذكرنا هذا المعنى فاجاد فيه عبد الله بن المعتز باسره ووصف ان ذلك من وصاف اصحاب الرايي على المعارف فقال

بين اقداحهم حديث قصير * هو سحر وما سواه كلام
فكان السقاه بين الندامى * الفات بين السطور قيام

وهذه طريقه مذهب في هذا المعنى الى استماع الملح وكان اول من وقع عليه اسم الوزاره في دوله بني العباس ابو سلمه حفص ابن سليمان الخلال الهمداني مولى السبيع وكان في نفس ابي العباس عليه ما ذكرناه من ميله ومراده الامر عنهم الى غيرهم فكتب ابو مسلم الى ابي العباس السفاح يشير عليه بقتله ويقول له قد احل الله لك يا امير المومنين دمه لانه قد نكث وغير وبدل فقال السفاح ما كنت لافتتح دولتي بقتل رجل من شيعتي لا سيما مثل ابي سلمه وهو صاحب هذه الدعوه وقد عرض نفسه وبذل مهجته وانفق ماله وناصح امامه وجاهد عدوه فقال له ابو جعفر اخوه وداود بن علي عمه في ذلك وقد كان ابو مسلم كتب اليهما بان يشيرا على السفاح بقتله فقال ابو العباس ما كنت لافسد كثير احسانه وعظيم بلائه وصالح ايامه بزله كانت منه وهي خطره من خطرات الشيطان وغفله من غفلات الانسان فقالا يا امير المومنين فينبغي ان تحترس منه فانا لا نامنه عليك فقال كلا اني لا امنه في ليلي ونهاري وسري وجهري ووحدتي وجماعتي فلما اتصل هذا القول من ابي العباس بابي مسلم اكبره واعظمه وخاف من ابي سلمه

ان يتصل بالمكروه فوجه جماعه من ثقات اصحابه في اعمال الحيله في قتل ابي سلمه وقد كان ابو العباس يانس بابي سلمه ويسمر عنده وكان ابو سلمه فكها اديبا ممتعا عالما بالسياسه والتدبير فيقال ان ابا سلمه انصرف ليله من عند السفاح في مدينته بالانبار وليس معه احد فوثب عليه اصحاب ابي مسلم فقتلوه فلما اتصل خبره بالسفاح انشا يقول

الى النار فليذهب ومن كان مثله * على اي شي فاتنا منه ناسف

وكان ابو مسلم يقال له امين ال محمد وكان ابو سلمه حفص بن سليمان يدعا وزير ال محمد فلما قتل عليه من ذكرنا قال في ذلك بعض الشعرا

ان المساه قد تسر وربما * كان السرور بما كرهت جديرا
ان الوزير وزير ال محمد * اودى فمن يشناك كان وزيرا

وقد اتينا على خبر مقتله وكيفيه امره في الكتاب الاوسط وكان السفاح تعجبه المحادثه ومفاخره العرب من نزار واليمن والمذاكره بذكرها خالد ابن صفوان فضيله من قحطان اخبار حسان ومفاخره وله اخبار ومنادمات ومسامرات قد اتينا على مبسوطها وما اخترناه من غررها في كتابينا اخبار الزمان والاوسط فاغنى ذلك عن ذكرها ومما ذكر من اخباره ولستظرف من اسماره وهو ما ذكره البهلول بن العباس عن الهيثم ابن عدي الطائي عن يزيد الرقاشي قال كان السفاح تعجبه مسامره الرجال واني سمرت عنده ذات ليله فقال يا يزيد اخبرني باظرف حديث سمعته قلت يا امير المومنين وان كان في بني هاشم قال ذلك اعجب الي قلت يا امير المومنين نزل رجل من بني تنوخ بحي من بني عامر بن صعصعه فجعل الحي اشياء من متاعه [illegible] البيت

لعمرك ما تبلى سرابيل عامر * من اللوم ما دامت عليها جلودها

فخرجت اليه جاريه من الحي فحادثته واستسقته وسالته حتى انس بها ثم قالت ممن انت قال من تميم فقالت اتعرف الذي يقول

تميم بطرق اللوم اهدى من القطا * ولو سلكت سبل المكارم ضلت
ارى الليل يجلوه النهار ولا ارى * عظام المخازي عن تميم تجلت
ولو ان برغوثا على ظهر قمله * يكر على صفي تميم لولت

فقال لا والله ما انا من تميم قالت فممن انت قال من عجل قالت اتعرف الذي يقول

ارى الناس يعطون الجزيل وانما * عطاء بني عجل ثلاث واربع

اذا مات عجلي بارض فانما   يشق له منها دراع واصبع

فقال لا والله ما انا من عجل قالت فممن انت قال الرجل من بني
يشكر قالت اتعرف الذي يقول

اذا اليشكري مس ثوب ثوبك   فلا تذكر الله حتى تطهرا

قال لا والله ما انا من يشكر قالت فممن انت قال الرجل من عبد
القيس قالت اتعرف الذي يقول

رايت عبد القيس لا قدر له   اذا اصابوا بصلا وخلا
وملحا معتقا قد صلا   باتوا يسلون الفساء سلا
سل النبيط القصب المبتلا

قال لا والله ما انا من عبد القيس قالت فممن انت قال الرجل
من باهلة قالت اتعرف الذي يقول

اذا ارتحل الكرام الى المعالي   تنحى الباهلي عن الزحام
ولو كان الخليفة باهليا   لقصر عن مناولة الكرام
وعرض الباهلي ولو توفى   عليه مثل منديل الطعام

قال لا والله ما انا من باهلة قالت فممن قال الرجل من بني
فزارة قالت اتعرف الذي يقول

لا تامنن فزاريا خلوت به   على قلوصك واكتبها باسيار
لا تامنن فزاريا على جمل   بعد الذي امتل اير العير في النار

قال لا والله ما انا من فزارة قالت فممن انت قال الرجل
من ثقيف قالت اتعرف الذي يقول

اضل الناس من حي ثقيف   فلهم اب الا الضلال
فان نسبت او انتسبت ثقيف   الى احد فذاك هو المحال
خنازير الحشوش فقتلوهم   فان دماءهم لكم حلال

قال لا والله ما انا من ثقيف قالت فممن انت قال الرجل من
بني عبس قالت اتعرف الذي يقول

اذا عبسية ولدت غلاما   فبشرها بلوم مستفاد

قال لا والله ما انا من عبس قالت فممن انت قال من تغلب
قالت اتعرف الذي يقول

تغلب قيس من قوم   فالاثم واغدرهم بجار

قال لا والله ما انا من تغلب قالت فممن انت قال الرجل من غني

قالت

قالت اتعرف الذي يقول

اذا غنوية ولدت غلاما   فبشرهم بنجار مجيد

قال لا والله ما انا من غني قالت فممن انت قال الرجل من
بني مرة قالت اتعرف الذي يقول

اذا مرية خضبت يداها   فزوجها ولا تامن زناها

قال لا والله ما انا من بني مرة قالت فممن انت قال الرجل من
بني ضبة قالت اتعرف الذي يقول

لقد زرقت عيناك يا ام معكم   كما كل ضبي من اللؤم ازرق

قال لا والله ما انا من بني ضبة قالت فممن انت قال الرجل من
بجيلة قالت اتعرف الذي يقول

سالنا من بجيلة اين حلت   لتخبرنا فقبحها القرار
فما تدري بجيلة حين تدعى   الى قحطان ابوها ام نزار
فقد وقعت بجيلة بين بين   وقد خلعت كما خلع العذار

قال لا والله ما انا من بجيلة قالت فممن انت ويحك قال انا
رجل من الازد قالت اتعرف الذي يقول

اذا ازدية ولدت غلاما   فبشرها بملاح مجيد

قال لا والله ما انا من الازد قالت فممن انت قال الرجل من خزاعة
قالت اتعرف الذي يقول

اذا افتخرت خزاعة في قديم   وجدنا فخرها شرب الخمور
وباعت كعبة الرحمن جهرا   بزق بئس مفتخر الفخور

قال لا والله ما انا من خزاعة قالت فممن انت ويلك اما تستحي
قال انا من سليم قالت اتعرف الذي يقول

اما السليم فشتت اسماؤها   تنبذ بايديها وتعيا بنورها

قال لا والله ما انا من سليم قالت فممن انت قال الرجل من لقيط
قالت اتعرف الذي يقول

لعمرك ما الجار وما القناني   باوسع من فقاح بني لقيط
لقيط شر من ركب المطايا   وانذل من يدب على البسيط
الا العن الاله بني لقيط   بقايا تسبه من قوم لوط

قال لا والله ما انا من لقيط قالت فممن انت قال الرجل من
كندة قالت اتعرف الذي يقول

اذا ما افتخر الكندي ذو البهجات والطرم، فبالمسح وبالخف
وبالبرانس والخفر رفدع كندة للنسج، فاعلى فخرها غزله
قال لا والله ما انا من كندة قالت فممن انت قال رجل من
خثعم قالت اتعرف الذي يقول
وخثعم لو صفرت لها صفيرا، لطارت في البلاد مع الجراد
قال لا والله ما انا من خثعم قالت فممن انت قال من طي قالت
اتعرف الذي يقول
وما طي الا نبيط تجمعت، فقالت طيا بالكلمة فاستمرت
ولولا حرقوصا من جناحه، على جبلي طي اذا لاستظلت
قال لا والله ما انا من طي قالت فممن انت قال رجل من تميم
قالت اتعرف الذي يقول
وهل تميم الا قبيلة لا، ترعى كريم منها ولا دين
قال لا والله ما انا من تميم قالت فممن انت قال رجل من النخع
قالت اتعرف الذي يقول
اذا النخع اللئام عدوا جميعا، تأذى الناس من ذفر اللئام
وما نسبوا الى مجد كريم، وما هم في الصميم من الكرام
قال لا والله ما انا من النخع قالت فممن انت قال رجل من الازد
قالت اتعرف الذي يقول
اذا ازدية ولدت غلاما، فاعلم بانك منهم لست بالناج
لا تركن الى بهر واحدث، فليس في القوم الكرام علاج
قال لا والله ما انا من الازد قالت فممن انت قال انا رجل من
لخم قالت اتعرف الذي يقول
اذا ما انتمى قوم لفخر قديمهم، تبلد في الجود بني لخم اجمعا
قال لا والله ما انا من لخم قالت فممن انت قال رجل من جذام
قالت اتعرف الذي يقول
اذا كان الكرام ادبر يوما، لما كرم فخر بني جذام
قال لا والله ما انا من جذام قالت فممن انت ويلك اما تستحي من كثرة
الكذب قال انا رجل من تنوخ وهو الحق قالت اتعرف الذي يقول
اذا تنوخ قطعت منهلا، في طلب الغارات والثار
اسبحن كذا للسما، وشى تنح في الاهل والجار

قال لا والله ما انا من تنوخ قالت فممن انت ثكلتك امك قال
قال انا رجل من حمير قالت اتعرف الذي يقول
نبئت حميرا تهجوني فقلت لهم، ما كنت احسبهم كانوا ولا خلقوا
لان حمير قوم لا نصاب لهم، كالعود بالقاع لا ماء ولا ورق
لا يكثرون وان طالت حياتهم، ولو يبول عليهم ثعلب غرقوا
قال لا والله ما انا من حمير قالت فممن انت قال من بجيلة قالت
اتعرف الذي يقول
ولو قضى دار بني بجيلة، لماتوا واضحوا في الارض ديما
قال لا والله ما انا من بجيلة قالت فممن انت قال انا رجل من قشير
قالت اتعرف الذي يقول
بني قشير قتلت سيدكم، فاليوم لا فدية ولا قود
قال لا والله ما انا من قشير قالت فممن انت قال رجل من بني اسد
قالت اتعرف الذي يقول
دعي باسد نسبا خفيا، ومن على الله فقد اخفا، وكانت اسيد فيما مضى
بني على السلطانها، فلا آل حرب اطاعوا الرسول، ولم يتواسوا من والخفا
قال لا والله ما انا من بني اسد قالت فممن انت قال انا رجل من بني هاشم
قالت اتعرف الذي يقول
بني هاشم عودوا الى نخلاتكم، فقد صار هذا التمر صاعا بدرهم
فان قلتم رهط النبي محمد، فان النصارى رهط عيسى بن مريم
قال لا والله ما انا من بني هاشم قالت فممن انت قال رجل من بني
همدان قالت اتعرف الذي يقول
اذا همدان دارت يوم حرب، رحاها فوق هامات الرجال
رايتهم يحثون المطايا، سراعا هاربين من القتال
قال لا والله ما انا من همدان قالت فممن انت قال رجل من قضاعة
قالت اتعرف الذي يقول
لا تفخرن قضاعيا باسرته، فليس فيهم محض ولا مضر
مذبذبين فلا قحطان والدهم، ولا نزار فخلوهم الى سقر
قال لا والله ما انا من قضاعة قالت فممن انت قال رجل من شيبان
قالت اتعرف الذي يقول
شيبان قوم لهم عديد، وكلهم مغرق لئيم
ما فيهم ماجد حسيب، ولا نجيب ولا كريم

قال لا والله ما انا من شيبان قالت فممن انت قال رجل من بني نمير
قالت اتعرف الذي يقول

فغض الطرف انك من نمير ... فلا كعبا بلغت ولا كلابا
ولو وضعت فقاح بني نمير ... على خبث الحديد اذا لذابا

قال لا والله ما انا من نمير قالت فممن انت قال انا رجل من تغلب
قالت اتعرف الذي يقول

لا تطلبن خؤولة في تغلب ... فالزنج اكرم منهم اخوالا
والتغلبي اذا تنحنح للقرى ... حك استه وتمثل الامثالا

قال لا والله ما انا من تغلب قالت فممن انت قال رجل من مجاشع
قالت اتعرف الذي يقول

تبكي المغيبة من بنات مجاشع ... ولها اذا سمعت نهيق حمار

قال لا والله ما انا من مجاشع قالت فممن انت قال انا رجل من كلب
قالت اتعرف الذي يقول

لا تامنن كلبيا ولا باب داره ... فما يطمع الساري يرى ضوء نارها

قال لا والله ما انا من كلب قالت فممن انت قال رجل من تيم
قالت اتعرف الذي يقول

تميم مثل انف الفيل عسلها ... تدبر الردي بيان غير محروم

قال لا والله ما انا من تيم قالت فممن انت قال رجل من جرم
قالت اتعرف الذي يقول

عتبني سويق الكرم جرم ... وما جرم وما ذاك السويق
فما شربوه لما كان حلا ... ولا غالى بها اذ قام سوق
فلما انزل التحريم فيها ... اذا الجرمي منه لا يفيق

قال لا والله ما انا من جرم قالت فممن انت قال انا رجل من سليم
قالت اتعرف الذي يقول

اذا ما سليم جئتها لتقريها ... رجعت كما قد جئت عريان جائعا

قال لا والله ما انا من سليم قالت فممن انت قال انا رجل من الموالي
قالت اتعرف الذي يقول

الا من اراد اللؤم والفخر والخنا ... فعند الموالي الجد والطرفان

قال اخطات انا من بني قريب الكعيدا انا رجل من الخوز قالت
اتعرف الذي يقول

لا بارك الله فيكم ابدا ... يا معشر الخوز ان الخوز في النار

قال لا والله ما انا من الخوز قالت فممن انت قال رجل من اولاد
حام قالت اتعرف الذي يقول

لا تشتمن اولاد حام فانهم ... مساويه خلق الله حاشى ابن اكوع

قال لا والله ما انا من اولاد حام ولكني من ولد الشيطان الرجيم
قالت فلعن الله اباك ولعنك معه اتعرف الذي يقول

الا يا عباد الله هذا عدوكم ... عدو نبي الله ابليس ينعق

قال لها هذا المقام العائذ بك قالت قم فارحل خاسئا مذموما
واذا نزلت بقوم فلا تنشد فيهم شعرا حتى تعرف من هم ولا تعرض
للمباحثة عن مساوي الناس فلكل قوم اساءة واحسان الا رسل
رب العالمين ومن اختاره الله من عباده فعصمه من عدوه وانت كما
قال جرير للفرزدق

وكنت اذا حللت بدار قوم ... رحلت بخزية وتركت عارا

فقال لها لا والله لما انشدت بيت شعر ابدا فقال السفاح لئن
كنت عملت هذا الخبر ونظمت فيه ذكر هذه الابيات فلقد احسنت
وانت سيد الكذابين ولئن كان الخبر صدقا ولست فيما ذكرت
محقا فان هذه الجارية لمن احضر الناس جوابا وابصرهم بمثالب
الناس قال المسعودي وللسفاح اخبار غير هذه واسمار حسان
قد اتينا على مبسوطها في كتابينا اخبار الزمان والاوسط
ان شاء الله وبه التوفيق

ذكر خلافة ابي جعفر المنصور

وبويع ابو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب
المنصور وهو بطريق مكة اخذ له البيعة عمه عيسى بن علي العيسى
ابن موسى من بعده يوم الاحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة
سنة ست وثلثين ومائة والمنصور يومئذ ابن احدى واربعين
سنة وكان مولده في ذي الحجة سنة خمس وتسعين وكانت
امه ام ولد يقال لها سلامة البربرية وكانت وفاته يوم السبت
لست خلون من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة وكانت
ولايته اثنين وعشرين سنة الا سبعة ايام وهو حاج عند
وصوله الى الموضع المعروف ببستان بني عامر من جادة العراق
وهو ابن ثلاث وستين سنة ودفن بمكة مكشوف الوجه لانه كان
محرما وقيل انه مات بالبطحاء عند بئر ميمون ودفن بالحجون وهو

ابن عشر وستين سنة ذكر جمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه
ذكر عن سلامة ام المنصور انها قالت رايت لما حملت بابي جعفر
كان اسدا خرج من قبلي فاقعى وزار وضرب بذنبه فاقبلت اليه
الاسد من كل ناحية فكلما انتهى اليه اسد منها سجد له حدث
ابو الحسن علي بن محمد المدايني ان المنصور قال لصحبته حال اهل
الشام وكان يزيد بن مروان بن محمد يشعر له فيه قال فسالته
ان ينشدني فانشد

ليت شعري افاح رايحة المسك … وما ان اخال بالخيف انسي
حين غابت بنو امية عنه … والبهاليل من بني عبد شمس
لا يعابون قايلين وان قا … لوا اصابوا ولم يقولوا بلبس
بحلوم اذا الحلوم استخفت … ووجوه مثل الدنانير ملس
امرا على المنابر فوالحي … عليها وقالة غير خرس

قال فوالله ما فرغ من شعره حتى خلت ان العمى قد ادركني
وكان والله ممتع الحديث حسن الصحبة قال وحججت سنة
احدى واربعين ومائة فنزلت عن الحمارة في جبلي زرود في الرمل
امشي لنذر كان علي فاذا انا بالضرير فاومات الي من كان معي
ان يتاخروا فتاخروا ودنوت منه فاخذت بيده فسلمت عليه فقال
من انت جعلني الله فداك فما اثبتك معرفة قلت نحملك الى
الشام في دولة بني امية وانا متوجه الحجر ولز فسلم علي وتنفس
ثم انشا يقول

امست نساء بني امية ايما … وبناتهم بمضيعة ايتام
نامت جدودهم واسقط نجمهم … والنجم يسقط والجدود تنام
خلت المنابر والاسرة منهم … فعليهم حتى الممات سلام

فقلت كم كان مروان اعطاك قال اغناني فلا اسال احدا بعده
فقلت كم قال اربعة الاف دينار وحملان فقلت اين كنت قال البصرة
قلت له اثبتني معرفة قال اما معرفة الصحبة فقد لعمري واما معرفة
النسب فلا فقلت انا ابو جعفر المنصور امير المومنين فوقع عليه وقال
يا امير المومنين اعذرني فان ابن عم محمد صلى الله عليه وسلم وان جبلة القلوب
على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها قال ابو جعفر وهممت والله
ثم تذكرت الحرمة والصحبة فقلت للمسيب اطلقه فاطلق ثم بدا لي

دار في مسامرته فامر بطلبه فكان الله ابادته وحدث
الربيع قال اجتمع عند المنصور عيسى بن علي وعيسى بن موسى
وصالح بن علي وقثم بن العباس ومحمد بن جعفر ومحمد بن ابراهيم فذكروا
خلفاء بني امية وسيرتهم وتدبيرهم والسبب الذي به سلبوا عزهم
فقال المنصور اما الوليد فكان جبارا لا يبالي ما صنع واما
سليمن فكانت همته بطنه وفرجه واما عمر فكان اعور
بين عميان وكان رجل القوم هشام ولم تزل بنو امية ضابطين
لما مهد لهم من السلطان يحوطونه ويحفظونه ويصونونه ما وهب الله
لهم منه مع تسنمهم معالي الامور ورفضهم ادانيها حتى افضى امرهم
الى ابنائهم المترفين فكانت همتهم ناسية رحيه والهتهم اللذة
مع اطراحهم صيانة الخلافة واستخفافهم بحق الرياسة وضعفهم عن
السياسة فسلبهم الله العز والبسهم الذل ونفى عنهم النعمة
فقال صالح بن علي يا امير المومنين ان عبد الله بن مروان لما دخل ارض
النوبة هاربا فيمن اتبعه سال ملك النوبة عن حالهم وهيئتهم
فاخبر بما استحضره فركب الى عبد الله فسأله عن شيء من امورهم والسبب
الذي زالت النعمة عنهم وكلمه بكلام سقط عني حفظه ثم اشخصه
عن بلده فان راى امير المومنين ان يدعو به ليحدثه بامره فعل
فامر المنصور باحضاره من محبسه فلما مثل بين يديه قال يا عبد الله
قص علي قصتك وقصة ملك النوبة فقال يا امير المومنين قدمت
الى النوبة فاقمت بها ثلاثا فاتاني ملكها فقعد على الارض وقد بسط
فرش الى قيمة فقلت له ما منعك من القعود على ثيابنا فقال اني ملك
وحق لكل ملك ان يتواضع لعظمة الله اذ رفعه الله ثم قال
لي لم تشربون الخمر وهي محرمة عليكم في كتابكم فقلت اجترا على ذلك عبيدنا
واتباعنا بجهلهم قال فلم تلبسون الحرير والديباج والذهب والفضة
وهو محرم عليكم في كتابكم ودينكم فقلت ذهب منا الملك وانتصرنا
ق بقوم من العجم دخلوا في ديننا فلبسوا ذلك على الكره منا فاطرق
الى الارض يقلب يده وينكت في الارض باصبعه ويقول عبيدنا
واتباعنا وعجم دخلوا في ديننا ثم رفع راسه وقال ليس كما
ذكرت بل انتم قوم استحللتم ما حرم الله وركبتم ما عنه نهيتم
وظلمتم فيما ملكتم فسلبكم الله العز والبسكم الذل ولله فيكم نقمة لم تبلغ

غايته فقلت وانا خائف ان يحل بكم العذاب وانتم سلاليب فنهالني
معهم وانما الضيافة ثلاث فردوا ما اخذتم اليه واتحل عوارضي ففعلت
فتعجب المنصور والرجل فرق له وهم باطلاقه فاعلمه عيسى بن علي ان
له عقب سعة له فاعاده الى الحبس **قال المسعودي** ولعشر سنين
خلت من خلافة المنصور توفي ابو عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي
ابن ابي طالب عليهم السلام سنة ثمان واربعين ومائة ودفن بالبقيع مع ابيه
وجده وله خمس وستون سنة وقيل انه سم وعلى قبورهم في هذا الموضع
رخامة مكتوب عليها بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله مبيد الامم
ومحيي الرمم هذا قبر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء العالمين
وقبر الحسن بن علي بن ابي طالب ومحمد بن علي وجعفر بن محمد عليهم السلام واستوزر
ابو جعفر المنصور بن عطية الباهلي ثم استوزر ابا ايوب المورياني
الخوزي وكان لمن ابي جعفر اسباب منها انه كان يكتب
لسليمان بن حبيب بن المهلب وقد كان سليمان ضرب المنصور بالسوط
في ايام الامويين واراد تخليصه كاتبه ابو ايوب من ذلك وكان خاصا به
فلما استوزره اتهمه باشياء منها احتجان الاموال وسوء النية فكان
على الايقاع به فتطاول ذلك فكان كلما دخل عليه ظن انه سيوقع به
ثم يخرج سالما فقيل انه كان معه دهن قد عمل فيه شيئا من
السحر يطليه على حاجبيه اذا دخل على المنصور فسار في العامة دهن
ابي ايوب لما ذكرناه ثم اوقع به واستكتب ابان بن صدقة الى ان مات وذكر
لابي جعفر تدبير هشام في حرب كانت وقعت له فبعث الى رجل
كان ينزل رصافة هشام فسأله عن تلك الحرب فقدم عليه الرجل
فقال انت صاحب هشام فقال نعم يا امير المؤمنين قال فاخبرني كيف
فعل في حرب دبرها في سنة كذا وكذا فقال فعل رضي الله عنه كذا
وكذا وفعل رحمه الله كذا وكذا فاغاظ ذلك المنصور فقال قم عليك
غضب الله تطأ بساطي وتترحم على عدوي فقام الشيخ وقال ان
لعدوك في عنقي قلادة ومنة في رقبتي لا ينزعها عني الا غاسلي
فامر المنصور برده وقال كيف قلت فقال والله كفاني الطلب وصان
وجهي عن السؤال فلم اقف على باب عربي ولا عجمي منذ رأيته
افلا يجب لي ان اذكره بخير واتبعه بثنائي فقال بلى لله در ام — انك
ام نهضت عنك اشهد انك نهيض حرة وغراس كرام ثم استمع منه وامر له

بجائزة فقال يا امير المؤمنين ما اخذت الجائزة وما هو الا ان ابيح
بجائزك واشرف بصلتك فاخذ الصلة فقال له المنصور مت
اذا شئت لله درك انت فلو لم يبق لقومك غيرك لكنت قد
بنيت لهم مجدا وقال الجلساء عند خروجه عند مثل هذا يحسن
الصنيعة ويوضع المعروف ويجاد بالمصون واين في عسكرنا
مثله ودخل معن بن زائدة على المنصور فلما نظر اليه قال له يا معن
ابن زائدة تعطي مروان بن ابي حفصة مائة الف درهم **لقوله فيك**

معن بن زائدة الذي زيدت به ... شرفا على شرف بنو شيبان

فقال كلا يا امير المؤمنين انما اعطيته **على قوله**

ما زلت يوم الهاشمية معلنا ... بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته وكنت وقاءه ... من وقع كل مهند وسنان

فقال احسنت يا معن وكان معن من اصحاب يزيد بن عمر بن
هبيرة وكان مستترا حتى كان يوم الهاشمية وقد كان سعى
فيه عدة من اهل خراسان فانه حضر وهو معتم ملثم فلما نظر الى
القوم وقد وثبوا على المنصور تقدم ثم جعل يضربهم بالسيف
قدامه فلما افرجوا وتفرقوا عنه قال له من انت ويحك فحسر
عن وجهه وقال انا طلبتك يا امير المؤمنين معن بن زائدة فلما
انصرف المنصور حباه واكرمه وكساه ورتبه ودخل معن بن
زائدة يوما على المنصور فقال له ما اسرع الناس الى قومك

فقال يا امير المؤمنين

ان العرانين تلقاها محسدة ... ولن ترى للئام الناس حسادا

وذكر ابن عياش المنتوف ان المنصور كان جالسا في مجلسه المبني
على باب خراسان من مدينته التي بناها واضافها الى
اسمه وسماها بمدينة المنصور مشرفا على دجلة وقد كان بنى على
كل باب من ابواب هذه المدينة في اعلا طاقه المعقود مجلسا
يشرف منه على ما يليه من البلاد من ذلك الوجه وكانت لكل باب من ابواب
محدثة طاقات معقودة هي باقية الى وقتنا هذا وهو سنة
اثنتين وثلثين وثلثمائة فاول ابوابها كان يسمى باب الدولة — باب
لاقبال الدولة العباسية من خراسان ثم باب الشام وهو تلقاء الشام
ثم باب الكوفة وهو تلقاء الكوفة ثم باب البصرة وهو تلقاء البصرة

وقد اتينا على كثير من خبر بناء هذه المدينة واخبار المنصور وهذه
البقعة بين دجلة والفرات ودخيل الفراة وهذه الانهار بأخذ
من الفرات واخبار بغداد وعلة تسميتها بهذا الاسم وما قال
الناس في ذلك وخبر القبة الخضراء وسقوطها في هذا العصر وقصة
قبة الحجاج الخضراء التي كان الحجاج بناها بواسط العراق وبناؤها
الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلثين وثلثمائة في كتابنا الاوسط الذي
كتابنا هذا تال له فبينا المنصور جالس في هذا المجلس اذ جاءه سهم
غائر حتى سقط بين يديه فذعر ذعرا شديدا ثم اخذه فجعل يقلبه
فاذا مكتوب عليه بين الريشتين هذه الابيات

اتطمع في الحياة الى التنادي ° وتحسب ان مالك من معاد
ستسئل عن ذنوبك والخطايا ° وتسال بعد ذاك عن العباد

ثم وجد على الريشة الاخرى

احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ° ولم تخف شر ما ياتي به القدر
وساعدتك الليالي فاغتررت بها ° وعند صفو الليالي يحدث الكدر

ثم وجد على الريشة الثالثة

هي المقادير تجري في اعنتها ° فاصبر فليس لها صبر على حال
يوما تريك خسيس المال ترفعه ° الى السماء ويوما تخفض العالي

قال واذا على جانب السهم مكتوب همذان من همذان رجل مظلوم في
حبسك فبعث من فوره بعدة من خاصته ففتشوا الحبوس والمطابق
فوجدوا شيخا في بيت من الحبس فيه سراج يزهر وعلى بابه بارية مسبلة
واذا الشيخ موثق بالحديد متوجه نحو القبلة يردد هذه الاية وسيعلم
الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون فسالوه عن بلده فقال همذان فحمل
الى بين يدي المنصور فسأله عن حاله فاخبره انه رجل من ابناء مدينة همذان
وارباب نعمها وان واليك علينا دخل الى بلدنا ولي ضيعة في بلدنا
تساوي الف الف درهم فاراد اخذها مني فامتنعت فكبلني في الحديد
وحملني وكتب اليك اني عاص وطرحت في الحبس في هذا المكان فقال
له المنصور منذ كم قال منذ اربعة اعوام فامر بفك الحديد عنه والاحسان
اليه والاطلاق له وانزله احسن منزل ووجه اليه فقال له يا شيخ
قد رددنا عليك ضيعتك بخراجها ما عشت وعشنا واما مدينتك
فقد وليناك عليها واما الوالي فقد حكمناك فيه وجعلنا امر البلد اليه

الشيخ

الشيخ خيرا ودعا له بالبقاء وقال يا امير المؤمنين اما الضيعة فقد
قبلتها واما الولاية فلا اصلح لها واما واليك فقد عفوت عنه فامر
له المنصور بمال جزيل وبر واسع واستحله وعجل الى بلده مكرما بعد
ان صرف الوالي وعاقبه على ما جنى من انحرافه عن سنة العدل ووضح
الحق وسأل الشيخ مكاتبته في مهماته واخبار بلده والعامل بما
يكون من ولاة الحرب والخراج ثم انشأ المنصور يقول

من يصحب الدهر لا يامن تصرفه ° يوما وللدهر احلاء وامرار
لكل شي وان دامت سلامته ° اذا انتهى فله لا بد اقصار

وقال المنصور لمسلم بن قتيبة ما ترى في امر ابي مسلم قال لو كان
فيهما آلهة الا الله لفسدتا فقال حسبك يا ابن قتيبة لقد اودعتها اذن
واعية وذكر ابن داب عن عيسى بن علي قال ما زال المنصور
يشاورنا في جميع اموره حتى امتدحه ابرهيم بن هرمة فقال في قصيدة له

اذا ما اراد الامر ناجى ضميره ° فناجى ضميرا غير مختلف العقل
ولم يشرك الادنين في جل امره ° اذا انتقضت بالاضعفين قوى الحبل

فلما اراد المنصور قتل ابي مسلم سقط بين الاستبداد والرأي والمشورة
فيه فارقه ذلك فقال

تقسمني امران لم افتحهما ° بحزم ولم يورق فهادي الكراكر
وما ساور الاحشاء مثل دفينة ° من العكر ردتها عليك المصادر
وقد علمت ابناء عدنان انني ° على مثلها مقدامة متجاسر

وقد كان عبد الله بن علي خالف على المنصور ودعا الى نفسه من
كان معه من اهل الشام وغيرهم فبايعوه وزعم ان السفاح جعل
الخلافة من بعده لمن انتدب لقتال مروان فلما بلغ المنصور ذلك من
فعل عبد الله كتب اليه يقول

ساجعل نفسي منك حيث جعلتها ° وللدهر ايام لهن عواقب

ثم بعث اليه بابي مسلم فكانت له معه حروب كثيرة ببلاد نصيبين في الموضع
المعروف بدير الاعور وصبر الفريقان وشهدوا على جوعهم والحنق والحزازات
ثم انهزم عبد الله بن علي فيمن كان معه وصار في نفر من خواصه الى البصرة
وعليها اخوه سليمان بن علي المنصور وظفر ابو مسلم بما كان في عسكر عبد الله
فبعث اليه المنصور يقطين بن موسى لقبض الخزائن فلما دخل يقطين
على ابي مسلم قال السلام عليك ايها الامير فقال لا سلم الله عليك يا ابن اللخناء

او تمن على الدماء ولا او تمن على الاموال فقال له فما ابدا هذا انه بك
ايها الامير قال ارسل صاحبه ليقبض الاموال وما في يدي من الخزاين
قال له ما الى ذلك طالوا ان كان امير المومنين وجهني اليك ليخبر تهنيتك
بالظفر فاعتنقه ابو مسلم واجلسه الى جانبه فلما انصرف قال
لاصحابه اني والله اعلم انه قد طلق ولكن ذوقها لصاحبه وسار ابو
مسلم الى الجزيرة وقد اجمع على خلاف المنصور واجتاز الى
طريق خراسان منتحيا للعراق يريد خراسان وسار المنصور
من الانبار الى المداين فنزل رومية المداين التي بناها كسرى وقد
قدمنا ذكرها فيما سلف من هذا الكتاب وكتب الى ابي مسلم اني قد اردت
مذاكرتك باشيا لم يحملها الكتاب فاقبل فان مقامك عندنا
قليل فقرا الكتاب ومضى على حاله فسرح اليه المنصور جرير بن
يزيد بن جرير بن عبد الله البجلي وكان واحد زمانه وداهية عصره
وكاتبا المعروف وكانت المعرفة بينه وبين ابي مسلم قديمة بخراسان الناس
فاتاه فقال ايها الامير ضربت عن غرض اهل هذا البيت ثم تصرف
الى هذه الحال ما امن ان تعنبك من هناك وان يقال طلبت بثار
قوم ثم نقضت بيعتهم فيخالفك من تامن مخالفته ايالك وان الامر لم يبلغ
عند خليفتك ما تكره ولا ارى لك ان تصر على هذه الحال فاراد ان
يجيب الى الرجوع فقال له مالك بن الهيثم لا تفعل فقال مالك ويلك
ما بليت بمثل هذا قط يعني جريرا فلم يزل حتى اقبل فقال المنصور
وكان ابو مسلم يجد خبره في الكتب انه سالف دولة وانه يقتل في
الروم وكان يلقب في ذلك على حسب ما وجده في الملاحم وانه مميت
دولة ومحيي دولة فلما دخل على المنصور وقد تلقاه الناس رحب به
وعانقه وقال له كدت ان تمضي قبل ان افضي اليك ما اريد قال قد
اتيت يا امير المومنين فامره بامره فامره بالانصراف الى حجرته واشتغل
فيه الفرص والغوايل فركب ابو مسلم الى المنصور مرارا وقد اظهر
له التجني فسار ابو مسلم الى عيسى بن موسى وكان له فيه راي جميل
فساله الركوب معه الى المنصور ليعذله بحضرته فامره ان يتقدم الى
المنصور وهو على دجلة برومية المداين فدخل وجلس تحت المزاع
وقيل الرواق واخبر ان المنصور يتوضا للصلاة وكان المنصور
قد تقدم الى صاحب حرسه عثمان بن نهيك في عدة فيهم شبيب

بن واج المروذي وابو حنيفة حرب بن قيس وامرهم ان يقوموا خلف
السرير الذي وراء ابي مسلم وامرهم انه اذا عاتب ابا مسلم وظهر صوته
ان لا يظهروا فاذا صفق بيده على يد فليظهروا وليضربوا عنقه
وما ادركوا منه بسيوفهم وجلس المنصور فقام ابو مسلم موضعه
ودخل عليه فسلم فرد عليه واذن له بالجلوس وحادثه ساعة ثم اقبل
يحادثه ويعاتبه ويقول له فعلت وفعلت فقال ابو مسلم ليس يقال
لي هذا بعد بلائي وما كان مني فقال له يا ابن الخبيثة انما فعلت
هذا بحظوظنا وجدنا ولو كان مكانك امة سودا لاجزات الست الذي
تبدا بنفسك والكاتب الذي يخطب امية بنت علي وتزعم انك من سليط
ابن عبد الله بن عباس لقد ارتقيت لا ام لك مرتقا صعبا فاخذ ابو مسلم
بيده يعركها ويقبلها ويعتذر اليه فقال له المنصور وهو اخر كلام كلمه به
قتلني الله ان لم اقتلك وذكر له مقتله لسليمن بن كثير ثم صفق باحدى يديه
على الاخرى فخرج اليه القوم فبدر اليه عثمن بن نهيك فضربه ضربة خفيفة
بالسيف فقطع حمايل السيف الذي لابي مسلم وضربه شبيب بن واج فقطع
رجله واعتورته السيوف فخلطت اجزاؤه والمنصور يصيح اضربوا
قطع الله ايديكم وقد كان ابو مسلم عند اول ضربة اصابته قال استبقني
يا امير المومنين لعدوك قال لا ابقاني الله ابدا واي عدو اعدى لي منك
وكان غدوة يوم في شعبان سنة ست وثلثين ومائة وفيها كانت بيعة
المنصور وهزيمة عبد الله بن علي وادرج ابو مسلم في بساط ودخل عيسى
ابن موسى فقال يا امير المومنين اين ابو مسلم فقال قد كان هاهنا انفا فقال
يا امير المومنين قد عرفت طاعته ونصيحته وراي ابرهيم الامام فيه
فقال له المنصور يا انوك والله ما اعلم في الارض عدوا اعدى لك منه
ها هو ذاك في البساط فقال عيسى انا لله وانا اليه راجعون ودخل عليه
جعفر بن حنظلة فقال له المنصور ما تقول في امر ابي مسلم فقال يا امير المومنين
ان كنت اخذت من شعره فاقتل ثم اقتل فقال المنصور وفقك الله ها هو
في البساط فلما نظر اليه قتيلا قال يا امير المومنين عد هذا اليوم اول
خلافتك وقد كان السفاح هم بقتله براي المنصور ثم ضعف في قتله
واقبل المنصور على من حضر وابو مسلم بين يديه طريحا فقال
زعمت ان الدين لا يقتضى ٭ فاستوف بالكيل ابا مجرم ٭ اشرب بكاس كنت تسقي بها ٭
امر في الحلق من العلقم
ودعا المنصور بنصر بن مالك وكان على شرطة ابي مسلم فقال استشارك

ابو مسلم في المسير الى ضيعته قال نعم قال فلم قال سمعت اخاك ابرهيم
الامام يحدث عن ابيه قال ما يزال المرء يزداد في عقله اذا محض
النصيحة لمن شاوره فكنت له كذلك وانا الان لكم كذلك واضطرب
اصحاب ابي مسلم فتفرقت فيهم الاموال وعلموا بقتله فامسكوا رغبة ورهبة
وخطب المنصور الناس فقال ايها الناس لا تخرجوا من انس الطاعة بوقتل ابا مسلم
الى وحشة المعصية ولا تسروا غش الايمة فان من اسر غش الايمة
اظهر الله سريرته في فلتات لسانه وسقطات افعاله وابداه الله لامامه
الذي بادر بتزيينه فانه من نازعنا عروة هذا القميص اوطيناه ما في
الغمد وان ابا مسلم بايعنا على ان من نكث بيعتنا فقد اباح دمه لنا ثم
نكث بنا فحكمنا عليه لانفسنا حكمه على غيره لنا ولم تمنعنا رعاية الحق
له من اقامة الحق عليه ولما نمي قتل ابي مسلم الى خراسان وغيرها من الجبال
اضطربت الخرمية وهي الطائفة التي تدعى بالمسلمية القائلين بابي مسلم
وامامته وقد تنازعوا في ذلك بعد وفاته فمنهم من راى انه لم يمت
ولن يموت حتى يظهر فيملاها عدلا وفرقة قطعت على موته وقالت بامامة
ابنته فاطمة وهولاء يدعون الفاطمية واكثر الخرمية في هذا الوقت
في سنة اثنتين وثلثين وثلثمائة الكودكية واللودشاهية وهاتان الفرقتان
اعظم الخرمية ومنهم كان بابك الخرمي الذي خرج على المامون والمعتصم
بالبذ من ارض الران واذربيجان وسناتي على خبره وخبر مقتله
في اخبار المعتصم فيما يرد من هذا الكتاب ان شاء الله واكثر الخرمية ببلاد
خراسان والري واصبهان واذربيجان وكرج ابي دلف والكرج في
الموضع المعروف بالبرج والروذسحان ثم بلاد الصيمرة والسيروان
واريوجان وبلاد ماسبذان وغيرها من بلاد الامصار واكثر هولاء
في القرى والضياع وسيكون لهم عند انفسهم شان فيما يعتقدونه
وينتظرونه في المستقبل من الزمان ويعرفون هولاء بخراسان وغيرها
بالباطنية وقد اتينا على مذاهبهم وذكر فرقهم في كتابنا في المقالات
في اصول الديانات وان كان قد سبقنا الى ذلك مولفوا الكتب في
المقالات فاجتمعت الخرمية حين علمت بقتل ابي مسلم بخراسان وخرج منهم
رجل يقال له سنفاذ بنيسابور يطلب بدم ابي مسلم فسار في
عساكر عظيمة من بلاد خراسان الى الري فغلب عليها وعلى قومس وما
يليها وقبض على ما كان في الري من خزائن ابي مسلم فكثر جمع سنفاذ فيمن حوله

من اهل الجبال وطبرستان ولما اتصل خبر مسيره بالمنصور اخرج اليه
جمهور بن مرار العجلي في عشرة الاف رجل وتلاه بالعساكر فالتقوا بين
همذان والري على طرف المفازة فاقتتلوا قتالا شديدا وصبر الفريقان جميعا
فقتل سنفاذ وولى اصحابه فقتل منهم نحو من ستين الفا وسبي منهم ذراري
ونساء كثير وكان من خروجه الى مقتله سبعون ليلة وذلك في سنة ست
وثلثين ومائة بعد قتل ابي مسلم بشهور وفي سنة خمس واربعين ومائة كان
ظهور محمد بن عبد الله بن الحسين بن الحسن بن ابي طالب عليهم السلام علي بن
بالمدينة وقد كان بويع له في كثير من الامصار وكان يدعى بالنفس الزكية
لزهده ونسكه ولم يظهر في دولة بني العباس وكان مستخفيا من
المنصور حتى قبض المنصور على ابيه عبد الله وعمومته وكثير من اهله وعدة ثم

قال المسعودي

ولما ظهر محمد بن عبد الله دعا المنصور اسحق بن مسلم
العقيلي وكان شيخا ذا راي وتجربة فقال له اشر علي في خارجي
خرج علي فقال صف لي الرجل قال من ولد فاطمة ابنة رسول الله صلى
الله عليه وسلم ذو زهد وعلم وورع قال فمن تبعه قال ولد علي
وولد جعفر وولد عقيل وولد عمر بن الخطاب وولد الزبير بن
العوام وسائر قريش والانصار قال صف لي البلد الذي خرج فيه
قال ليس فيه زرع ولا ضرع ولا تجارة واسعة ففكر ساعة ثم قال
اشحن يا امير المومنين البصرة بالرجال فقال المنصور في نفسه هذا
شيخ قد خرف اساله عن خارجي خرج بالمدينة فيقول لي اشحن
البصرة بالرجال فقال له انصرف يا شيخ فلم يكن الا يسيرا حتى ورد الخبر
ان ابرهيم بن عبد الله اخاه قد ظهر بالبصرة قال المنصور علي بالعقيلي
فلما دخل عليه ادناه وقال اني كنت شاورتك في امر خارجي خرج بالمدينة
فاشرت علي ان اشحن البصرة افكان عندك علم قال لا ولكن ذكرت لي
خروج رجل اذا خرج لم يتخلف عنه احد ثم ذكرت لي البلد الذي هو فيه
فاذا هو ضيق لا يحتمل الجيوش فعلمت انه رجل سيطلب غير بلده
ففكرت في مصر فوجدتها مضبوطة والشام والكوفة مثل ذلك وفكرت
في البصرة فخفت عليها منه لخلوها فاشرت بشحنها فقال له المنصور
احسنت وقد خرج بها اخوه فما الراي في صاحب المدينة قال ترميه
بمثله اذا قال انا ابن رسول الله قال هذا وانا ابن عم رسول الله
فقال المنصور لعيسى بن موسى اما ان تخرج اليه واقيم انا فامدك

بالجيوش ولما كتب تنفذ الخلف ورأى واضح اليه فقال عيسى
انا اقيك بنفسي يا امير المؤمنين واكون الذي يخرج اليه فاخرج جد
من الكوفة في اربعة الاف فارس والفي راجل واتبعه حميد بن قحطبة في
جيش كثيف فقاتلوا محمدا بالمدينة حتى قتل وهو ابن خمس واربعين
سنة ولما اتصل بابرهيم قتل اخيه محمد وهو بالبصرة صعد المنبر فنعاه

وتمثل

ابا المنازل يا خير الفوارس من　　يفجع بمثلك في الدنيا فقد فجعا
الله يعلم اني لو خشيتهم　　واوجس القلب من خوف لهم فزعا
لم تقتلوه ولم اسلم اخي لهم　　حتى نموت جميعا او نعيش معا

وقد كان تفرق اولاد محمد واخوته في البلدان يدعون الى امامته
فكان فيمن توجه ابنه علي بن محمد الى مصر فقتل بها وسار ابنه عبد الله
الى خراسان فهرب لما طلب الى السند وقتل هنالك وصار ابنه
الحسن الى اليمن فحبس فمات في الحبس وصار اخوه
موسى الى الجزيرة ومضى اخوه يحيى الى الري وطبرستان وكان
من خبره في ايام الرشيد ما سنورده فيما يرد من هذا الكتاب
ومضى اخوه ادريس بن عبد الله الى المغرب فاجابه خلق
من الناس ودس المنصور من اغتاله بالسم فيما الحق عليه من بلاد المغرب
وقام بعده ولده ادريس بن ادريس بن عبد الله بن الحسن مقام
ابيه فعرف البلد بهم فقيل بلد ادريس بن ادريس وقد اتينا على
خبرهم عند ذكرنا الخبر عبيد الله صاحب المغرب وبنائه للمدينة
المعروفة بالمهدية وخبر ابي القسم واسماعيل ومدينة سلمية من ارض
حمص الى المغرب في الكتاب الاوسط ومضى اخوه ابرهيم بن عبد الله بن الحسن
ابن الحسن الى البصرة فظهر بها واجابه اهل فارس والاهواز
وغيرهم من الامصار وسار من البصرة في عساكر كثيرة من الزيدية وجماعة
ممن يذهب الى قول البغداديين من المعتزلة وغيرهم ومعه عيسى بن زيد
ابن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام فسير اليه المنصور عيسى
ابن موسى وسعيد بن سالم في العساكر فحاربت حتى قتل بالموضع المعروف
بباخمرى وهو على ستة عشر فرسخا من الكوفة من ارض الطف وهو
الموضع الذي ذكرته الشعراء فيمن رثا ابرهيم فممن ذكره دعبل بن علي
الخزاعي

مدارس آيات خلت من تلاوة　　ومنزل وحي مقفر العرصات

وهو قوله

قبور بكوفان واخرى بطيبة　　واخرى بفخ نالها صلواتي
واخرى بارض الجوزجان محلها　　وقبر بباخمرى لدى الغربات

وقتل معه من الزيدية اربع مائة رجل وقيل خمس مائة وذكر بعض
الاخباريين عن حماد التركي قال كان المنصور نازلا في الدير الذي
على شاطئ دجلة في الموضع الذي سمي الخلد ومدينة السلام
تبنى اذ اتى الربيع في وقت الهاجرة والمنصور نائم في البيت الذي
هو فيه وحماد قاعد على الباب والخريطة بيد الربيع فيها خروج محمد بن عبد الله
فقال يا حماد افتح الباب فقلت الساعة هجع امير المؤمنين فقال افتح
ثكلتك امك قال فسمع المنصور كلامه فنهض ففتح الباب بيده
واخذ منه الخريطة فقرأ ما فيها من الكتب ثم تلا هذه الاية والقينا
بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة كلما اوقدوا نارا للحرب
اطفأها الله الاية ثم امر باحضار الناس من القواد والموالي واهل
بيته واصحابه وامر حماد التركي باسراج الخيل وسليمان بن مجالد
بالتقدم والمسيب بن زهير باخذ الابواب ثم خرج فصعد المنبر فحمد
الله واثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال

ما لي اكفكف عن سعد وتشتمني　　ولو شتمت بني سعد لقد سكنوا
جهلا علينا وجبنا عن عدوكم　　لبئست الخلتان الجهل والجبن

اما والله لقد عجزوا عن امر قمنا به فما شكروا القائم والعاقد ولا
الكافي ولقد مهدوا فاستوعروا وغمطوا فغمطوا فماذا حاولوا دل
مني اشرب رنقا على كدر كلا والله لان اموت معززا احب الي من
ان احيا مستذلا ولئن ارضى بالعفو مني ليطلبني ما لا يوجد عندي
والسعيد من اتعظ بغيره ثم نزل وقال قد بلغ الامر فركب من فوره
الى معسكره وقال اللهم لا تكلنا الى خلقك فنضيع ولا الى انفسنا
فنعجز ه وذكر ان المنصور حين اتته البشارة نزل وسجد واستقبلها
وقال اراد ابرهيم ان يجعلني هذا واشباهه ه وذكر ان المنصور قال
يوما لجلسائه بعد قتل محمد وابرهيم تالله ما رايت رجلا انصح من
الحجاج لبني مروان قال فقام زهير بن المسيب الضبي فقال يا امير المؤمنين
ما سبقنا الحجاج بامر تخلفنا عنه والله ما خلق الله على جديد الارض
خلقا اعز علينا من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقد امرتنا بقتل اولاده

فالمعنا لـ وفعلنا ذلك فهل نصحتنا كما لا افعل له المنصور اجلس
اجلست وقد ذكرنا ان المنصور كان قد قبض على عبد الله بن الحسن
ابن علي بن ابي طالب وعلى محمد وابرهيم ابني عبد الله وكثير من اهل بيته
وذلك في سنة اربع واربعين ومائة في منصرفه من الحج فحملوا من المدينة
الى الربذة من جادة الطريق من العراق وكان ممن حمل عبد الله بن
الحسن المكفوف وابرهيم بن الحسن بن الحسن والحسن بن الحسن
ابن الحسن بن الحسن وابو بكر بن الحسن بن الحسن وعلي الخير
واخوه العباس وعبد الله والحسن بن الحسن بن الحسن بن الحسن
وعبد الله وسليمان ابنا داود بن الحسن بن الحسن وموسى بن عبد الله
ابن الحسن والحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن ومنهم محمد
ابن عبد الله بن عمرو بن عثمان اخو عبد الله بن الحسن بن الحسن لامه
وامهما فاطمة بنت الحسين بن علي وجدتهما فاطمة بنت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فجرد المنصور بالربذة محمد بن عبد الله فضربه الف سوط
وساله عن ابني اخيه محمد وابرهيم فانكر ان يعرف مكانهما وسال ان جدته
محمد العثماني في هذا الوقت وارتحل المنصور عن الربذة وهو في
قبة واوثق القوم بالحديد وحملوا على المحامل المكشوفة فمر بهم المنصور
في قبة على الجمازة فصاح به عبد الله بن الحسن يا ابا جعفر اهكذا
فعلنا بكم يوم بدر فصير بهم الى الكوفة وحبسوا في سرداب تحت
الارض لا يعرفون ضياء النهار وسواد الليل وخلى منهم سليمان
وعبد الله ابني داود بن الحسن بن الحسن وموسى بن عبد الله بن
الحسن بن الحسن والحسن بن جعفر بن الحسن وحبس الاخرين
فيما ذكرنا حتى ماتوا وذلك على شاطئ الفرات بالقرب من قنطرة الكوفة ومواضعهم
بالكوفة تزار في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلثين وثلثمائة وقد كان هدم
عليهم هذا الموضع وكانوا يتوضون في مواضعهم فاشتد عليهم الرايحة
فاحتال بعض مواليهم حتى ادخل اليهم شيئا من الغالية فكانوا يدفعون
بشمها تلك الروايح المنتنة وكان الورم يبدو في اقدامهم فلا يزال يرتفع
حتى يبلغ الفواد فيموت صاحبه وذكر من حبا ان المنصور لما حبسهم
من ذكرنا في هذا الموضع اشكل عليهم اوقات الصلوات فجزوا القران
خمسة اجزاء فكانوا يصلون على فراغ كل واحد منهم من حزبه وكان عدد
من بقي منهم خمسة فمات اسمعيل بن الحسن فترك عندهم حتى جاف فصعق

داود بن الحسن فمات وحمل راس ابرهيم بن عبد الله بن الحسن
فوجه به المنصور مع الربيع اليهم فوضع الراس بين ايديهم وعبد الله
يصلي فقال له بعض اخوته اسرع في صلاتك يا ابا محمد فالتفت
فاخذ الراس فوضعه في حجره وقال اهلا وسهلا يا ابا القسم والله
لقد كنت فيما علمتك من الذين قال الله تعالى الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون
الميثاق الى اخر الاية فقال له الربيع كيف ابو القسم في نفسه

قال كما قال الشاعر

فتى كان يحميه من الذل سيفه ويكفيه سوآت الذنوب اجتنابها

ثم التفت الى الربيع وقال له قل لصاحبك قد مضى من بوسنا ايام
ومن نعيمك ايام والملتقى القيامة قال الربيع فما رايت المنصور قط اشد
منه انكسارا في الوقت الذي ابلغته فيه هذه الرسالة واخذ هذا المعنى
العباس بن الاحنف فقال

فان تلحظي حالي وحالك مرة فنظرة عين عن هوى النفس تحجب
ترى كل يوم مر في بوس عيشتي يمر بيوم من نعيمك يحسب

وقد بينا في كتاب اخبار الزمان مقاتل الطالبيين ومصارعهم على
الشرح والايضاح فاغنى ذلك عن بسطه في هذا الكتاب

قال المسعودي ولما اخذ المنصور عبد الله بن الحسن واخوته والنفر
الذين كانوا معه من اهل بيته صعد المنبر بالهاشمية فحمد الله واثنى
عليه وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا اهل خراسان انتم
شيعتنا وانصارنا واهل دعوتنا ولو بايعتم غيرنا لم تبايعوا خيرا
منا وان ولد ابي طالب تركناهم والذي لا اله الا هو والخلافة فلم نعرض
لهم فيها بقليل ولا كثير فقام فيها علي بن ابي طالب رضي الله عنه فظلم
وحكم الحكمين فافترقت عليه الامة واختلفت عليه الكلمة ثم وثبت
عليه شيعته وانصاره وثقاته فقتلوه ثم قام من بعده الحسن
ابن علي رضي الله عنه فوالله ما كان فيه رجلا عرضت عليه الاموال
فقبلها ودس اليه معوية اني اجعلك ولي عهدي فخلعه وانسلخ
له مما كان فيه وسلمه اليه واقبل على النساء يتزوج اليوم واحدة
ويطلق غدا اخرى فلم يزل كذلك حتى مات على فراشه ثم قام من بعده
الحسين بن علي رضي الله عنه فخدعه اهل العراق واهل الكوفة
فوالله ما هي بحرب فحاربها ولا اهل حرب فاسلموه وقوا الله

بني وبينها فخذلوه وابتزوا القميص منه واسلموه حتى قتل ثم قام
من بعده زيد بن علي فخدعه اهل الكوفة بخروجه فلما اظهروه
واخرجوه اسلموه وقد كان اتى محمد بن علي عبد الله فناشده في الخروج
وسأله ان لا يقبل اقاويل اهل الكوفة فانا نجد في علمنا ان بعض
اهل بيتنا يصلب بكناسة الكوفة وانا اخاف ان تكون ذلك المصلوب
وناشده الله بذلك عمي داود بن علي عبد الله وحذره غدر اهل
الكوفة فلم يقبل وتم على خروجه فقتل وصلب بالكناسة ثم وثب
بنو امية علينا فابتزوا شرفنا واذهبوا عزنا والله ما كان لهم
عندنا ترة يطلبونها وما كان ذلك كله الا فيهم وبسبب خروجهم
نفونا من البلاد فصرنا مرة بالطائف ومرة بالشام ومرة بالشراة حتى
ابتعثكم الله لنا شيعة وانصارا فاحيا الله شرفنا وعزنا بكم
يا اهل خراسان ودفع بحقكم اهل الباطل واظهر حقنا فاصار
الينا ارثنا وميراثنا من نبينا صلى الله عليه وسلم فقر الحق في قراره
واظهر اسناره واعز انصاره وقطع دابر القوم الذين ظلموا
والحمد لله رب العالمين فلما استقرت الامور فينا على قرارها من فضل
الله وحكمه العادل وثبوا علينا حسدا منهم وبغيا علينا لما
فضلنا الله به عليهم واكرمنا به من خلافته وميراث نبيه
صلى الله عليه وسلم خسلا بني امية وجراءة علينا الا انهم ولا امه
جهلا علينا وجبنا عن عدوهم لبئست الخلتان الجهل والجبن
اني والله يا اهل خراسان ما اتيت من هذا الامر ما اتيته بجهالة
بلغني عنهم بعض السقم والتعرم وقد دسست لهم رجالا فقلت قم انت
يا فلان فخذ معك من المال كذا وحذوت لهم مثالا يعملون عليه فخرجوا
حتى اتوا المدينة فلقوهم ودسوا تلك الاموال فوالله ما بقي منهم شيخ
ولا كبير ولا صغير الا بايعهم فاستحللت دماءهم وحلت لي عند ذلك بنقضهم
بيعتي وطلبهم الفتنة والتماسهم الخروج علي ثم قرا وحيل بينهم وبين
ما يشتهون كما فعل باشياعهم من قبل انهم كانوا في شك مريب
وقال المنصور يوما للربيع سلني حاجة قال حاجتي يا امير المؤمنين ان تحب
الفضل ابني قال له ويحك ان المحبة باسباب واشياء قال قد امكنك الله
من ايقاع سببها قال وما ذاك قال تفضل عليه فاذا فعلت ذلك احبك
واذا احبك احببته قال قد والله حببته الي قبل ايقاع السبب ولكن

ليس اخترت له المحبة لي دون كل شيء قال لانك اذا احببته كبر صغير
احسانه عندك وصغر عندك كبير اساءته وكانت ذنوبه كذنوب
الصبيان وحاجته اليك كحاجة الشفيع العريان وقال المنصور يوما
للربيع ويحك يا ربيع ما اطيب الدنيا لولا الموت قال له ما طابت الا
بالموت قال له وكيف ذلك قال لولا ان الموت لم يكن لم تقعد هذا المقعد
قال صدقت وذكر اسحق بن الفضل قال بينا انا على باب المنصور اذا اتانا
عمرو بن عبيد فنزل عن حماره وجلس فخرج اليه الربيع فقال قم يا ابا
عثمان باني انت وامي فلما دخل على المنصور امر ان يفرش له لبود وقربه
واجلسه معه بعد ما سلم ثم قال يا ابا عثمان عظني فوعظه بمواعظ فلما
اراد النهوض قال امرنا لك بعشرة الاف درهم قال لا حاجة لي فيها
قال ابو جعفر والله لتاخذنها قال لا والله ما اخذها وكان المهدي
حاضرا فقال ايحلف امير المؤمنين ثم تحلف انت فالتفت عمرو الى المنصور
وقال من هذا الفتى فقال هذا محمد ابني وهو المهدي وولي عهدي فقال اما
والله لقد البسته لباسا ما هو من لباس الابرار ولقد سميته باسم ما استحقه
عملا ولقد مهدت له امرا امتع ما يكون به اشغل ما يكون عنه ثم التفت عمرو
الى المهدي وقال نعم يا ابن اخي اذا حلف ابوك وحنثه عمك لان اباك
اقوى على الكفارات من عمك فقال له المنصور هل من حاجة يا ابا عثمان قال
لا تبعث الي حتى آتيك قال اذا لا تلقاني قال هي حاجتي ومضى فاتبعه المنصور
بطرفه **فقال**
كلكم يمشي رويد كلكم يطلب صيد
غير عمرو بن عبيد
وحكى ان عمرا دخل على المنصور بعد ما بايع للمهدي
فقال له يا ابا عثمان هذا ابن امير المؤمنين وولي عهد المسلمين فقال عمرو
يا امير المؤمنين اراك قد وطات له الامور وهي تصير اليه وانت عنه مشغول قال
فاستعبر المنصور وقال له عظني يا عمرو فقال له ان الله قد اعطاك الدنيا باسرها
فاشتر نفسك منه ببعضها وان هذا الامر قد اصبح في يديك ولو بقي
في يد غيرك لم يصل اليك فاحذر ليلة تمخض بيوم لا ليلة بعده

وانشد

يا ايها الذي قد غره الامل ودون ما يامل التنغيص والاجل
الا ترى انما الدنيا وزينتها كمنزل الركب حلوا ثمت ارتحلوا
والنفس ... والموت يرصدها وكم عزيز ... عنده زلل
والمرء يسعى لما ليس يدركه والقبر وارث ما يسعى له الرجل

ومات عمرو بن عبيد في ايام المنصور سنة اربع واربعين ومائة
وقيل سنة خمس واربعين ومائة ويكنى ابا عثمان وهو عمرو بن
عبيد بن باب مولى لبني عقيل من بني مالك بن حنظلة من اهل بلخ وكان
جده باب من سبي كابل من جبال السند وكان شيخ المعتزلة في
وقته والاول سلفهم وكذلك المتاخرين بعده وله رسائل وخطب وكلام
كثير في العدل والتوحيد وغير ذلك وقد اتينا على اخباره والغرر
من كلامه ومناظراته في كتابنا في المقالات في اصول الديانات
وفي سنة احدى واربعين ومائة شخص المنصور لبيت المقدس
وصلى فيه لنذر كان عليه وانصرف وفي سنة ست واربعين ومائة مات
هشام بن عروة بن الزبير وهو ابن خمس وثمانين سنة وكان هشام
اذا اسمعه رجل كلاما قال اني ارفع نفسي عنك ثم نازع علي بن
الحسين بن علي فاسرع اليه هشام فقال له علي ادعك لحلم التي
تدع لك وفي سنة خمسين ومائة مات ابو حنيفة النعمان
ابن ثابت الكوفي رضي الله عنه مولى تيم اللات من بكر بن وائل في ايام
المنصور توفي ساجدا في صلاته وهو ابن سبعين سنة
وفيها مات عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج مولى خالد بن اسيد
ويكنى ابا الوليد وهو ابن سبعين سنة وفيها مات محمد بن اسحاق
ابن يسار مولى قيس بن مخرمة من بني المطلب ويكنى ابا عبد الله
ويقال مات سنة احدى ويقال سنة اثنين وخمسين ومائة ومات
الاوزاعي ويكنى ابا عمرو وهو عبد الرحمن بن عمرو من اهل الشام ولم
يكن من الاوزاع وانما كان نزل فيهم بدمشق فاضيف اليهم وكان
من سبي اهل اليمن وكانت وفاته سنة سبع وخمسين ومائة في اخر ايام
المنصور وقبض وله سبعون سنة وفي ايام المنصور مات ليث بن ابي
سليم الكوفي مولى عنبسة بن ابي سفيان سنة ثمان وثلاثين
ومائة ويكنى ابا بكر وفي سنة ست وخمسين ومائة مات سوار
ابن عبد الله القاضي وفي سنة اربع وخمسين ومائة مات ابو عمرو
ابن العلاء وذلك في ايام المنصور وطال حبس عبد الله بن علي في
حبس المنصور فمنهم من راى انه اقام في محبسه تسع سنين
وقيل غير ذلك فلما اراد المنصور الحج في سنة تسع واربعين جعله
عند الى عيسى بن موسى وامره بقتله واعلم انه لا يعلم بذلك احد فبعث

عيسى

بلى

عيسى الى ابن ابي ليلى والى ابن شبرمة فشاورهما في ذلك فقال ابن ابي ليلى
امض لما امرك به امير المؤمنين وقال ابن شبرمة قد ترى لك فيما اوسع
مما بين السماء والارض فلا تورطن نفسك فحبسه مغيبا وابا ان
يقتله واظهر للمنصور انه قد قتله فكلم بنو علي المنصور في اخيهم
عبد الله فقال هو عند عيسى بن موسى فلما قدموا له اتوا عيسى
ابن موسى فسالوه عنه فقال قد قتلته فرجعوا الى المنصور فقال
زعم انه قتله فاظهر الغضب على عيسى وقال يقتل عمي بغير اذني
والله لاقتلنه وكان يوده ان يكون عيسى قد قتله فيقتله به فيستريح
منهما جميعا قال فدعا به فقال قتلت عمي قال نعم انت امرتني بقتله
قال لم آمرك بذلك قال هذا كتابك الي فيه قال لم اكتب فلما راى الجد من
المنصور وتخوف على نفسه قال هو عندي لم اقتله قال فادفعه الى ابي
الازهر المهلب بن عيسى فدفعه اليه فلم يزل عنده محبوسا حتى
امر بقتله فدخل عليه ومعه جارية له فبدا بعبد الله فخنقه ثم مده
على الفراش ثم اخذ الجارية ليخنقها فقالت يا ابا عبد الله قتلة غير
هذه فكان ابو الازهر يقول ما رحمت احدا قتلته غيرها فصرفت وجهي
عنها وامرت بها فخنقت ووضعتها معه على الفراش وادخلت يدها
تحت جنبه كالمتعانقين ثم امرت بالبيت فهدم عليهما ثم دعا ابن علاثة
القاضي وغيره فنظروا الى عبد الله والجارية معه على تلك الحال ثم امر فدفن
في مقبرة ابي سويد بباب الشام ببغداد في الجانب الغربي قال
المسعودي وقد ذكر عبد الله بن عياش المنتوف قال قال المنصور
يوما ونحن عنده اتعرفون جبارا اول اسمه عين قتل جبارا اول اسمه عين
وجبارا اول اسمه عين وجبارا اول اسمه عين قلت نعم يا امير المؤمنين عبد الملك
ابن مروان قتل عمرو بن سعيد وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن الاشعث
قال افتعرفون خليفة اول اسمه عين قتل جبارا اول اسمه عين وجبارا
اول اسمه عين وجبارا اول اسمه عين قلت نعم يا امير المؤمنين قتلت
عبد الرحمن بن مسلم وعبد الجبار بن عبد الرحمن وعمك سقط عليه البيت
قال فما ذنبي اذ سقط عليه البيت قال لا ذنب لك فتبسم ثم من اهل الحفظ
الابيات التي قالتها زوجة الوليد بن عبد الملك اخت عمرو بن سعيد
حين قتل عبد الملك اخاها قلت نعم يا امير المؤمنين هي التي في اليوم
الذي قتل فيه اخاها عمرو وهي حاسرة تنشد هذه الابيات

ايا عين جودي بالدموع على عمرو — عشية بُدّ الخلافة بالقهر
غدرتم بعمرو يا بني خيط باطل — وكلكم يبني البيوت على غدر
وما كان عمرو غافلا غير انه — اتته المنايا بغتة وهو لا يدري
كان بني مروان اذ يقتلونه — خشاش من الطير اجتمعن على صقر
لحا الله دنيا يعقب النار اهلها — وتهتك ما بين القرابة من ستر
الا يا لقومي للوفاء وللغدر — وللمغلقين الباب قسرا على عمرو
فرحنا وراح الشامتون عشية — كان على اعناقهم فلق الصخر

قال ابن عياش فقال المنصور في الابيات التي بعث بها عمرو بن سعيد لعبد الملك فعلها بعد بامر الموصل [illegible]

يريد ابن مروان امورا اظنها — ستحملها مني على مركب صعب
أينقض عهد الكارم مروان شده — وادرفيه بالقطيعة والكذب
فقدمه قبلي وقد كنت قبله — ولولا انقيادي كان كربا من الكرب
وكان الذي اعطيت مروان هفوة — عنيت بها دائي وخطبا من الخطب
فان تعدوا الامر الذي كان بيننا — فعنا جميعا في السهولة والرحب
وان تعطها عبد العزيز ظلامة — فاولى بها منا ومنه بنو حرب

وكان مولد المنصور في السنة التي مات فيها الحجاج بن يوسف في سنة خمس وتسعين وكان يقول ولدت في ذي الحجة واعذرت في ذي الحجة ووليت الخلافة في ذي الحجة واحسب الامر يكون في ذي الحجة فكان كما ذكر وجدت الفضل بن الربيع قال كنت مع المنصور في السنة التي مات فيها فنزلنا منزلا في بعض الطريق فبعث الي وهو في قبة ووجهه الى الحائط فقال الم انهكم ان لا تدعوا العامة يدخلون هذه المنازل فيكتبون فيها ما لا خير فيه قلت وما هو يا امير المؤمنين قال الا ترى ما على الحائط مكتوب [illegible]

ابا جعفر حانت وفاتك وانقضت — سنوك وامر الله لا بد نازل
ابا جعفر هل كاهن او منجم — يرد قضاء الله ام انت جاهل

فقلت والله ما ارى على الحائط شيئا وانه لنقي ابيض قال الله قلت الله قال والله انها لنفسي نعيت الي الرحيل الرحيل بادر بي الى حرم الله وامنه هاربا من ذنوبي واسرافي على نفسي فرحلنا وقد ثقل حتى اذا بلغنا بير ميمون قلت له هذه بير ميمون وقد دخلت الحرم قال الحمد لله وقبض من يومه وكان المنصور في الحزم وصواب التدبير حسن

السياسة على المتجاوز في كل وصف وكان يعطي الجزيل والخطير اذا كان عطاؤه تدبيرا ويمنع الحقير واليسير اذا كان عطاؤه تضييعا وكان كما قال زياد لو ان عندي الف بعير وعندي بعير اجرب لقمت عليه قيام من لا يملك غيره وخلف ستمائة الف الف درهم واربعة عشر الف الف دينار وكان مع هذا يبخل ... وينظر فيما لا ينظر فيه من العوام ووافق صاحب مطبخه على ان يكون له الرؤس والاكارع والجلود وعليه الحطب والتوابل وفي سنة ست وثلثين ومائة مات ربيعة بن ابي عبد الرحمن وهو ربيعة الراي ويكنى ابا عثمان مولى ال المنكدر واسم ابي عبد الرحمن فروخ ومات بالانبار وفي هذه السنة مات زيد بن اسلم مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ووصل المنصور عمومته وهم عشرة في يوم واحد بعشرة الاف الف درهم واسماؤهم عبد الله بن علي وعبد الصمد بن علي وصالح بن علي وسليمان بن علي واسحاق بن علي ومحمد بن علي ويحيى بن علي وكان يعمل في بناء مدينته التي ببغداد التي بناها معروفة الى اليوم كل يوم خمسة الاف رجل وكان للمنصور من الولد محمد المهدي وجعفر وامهما ام موسى الحميرية فتوفي جعفر في ايام المنصور وسليمان وعيسى ويعقوب وجعفر الاصغر بن كردية وصالح الملقب بالمسكين وبنت تسمى عالية قال المسعودي وللمنصور اخبار حسان مع الربيع وعبد الله بن عياش وجعفر بن محمد وعمرو بن عبيد وغير من ذكرنا وله خطب ومواعظ وسير وسياسات للملك وقد اتينا على مبسوطها وما استحسن من غررها في كتابينا اخبار الزمان والاوسط وانما نذكر في هذا الكتاب لمعا منبهين بذلك على ما سلف من كتبنا وبالله التوفيق

ذكر خلافة المهدي

وبويع المهدي وهو محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ويكنى ابا عبد الله وامه ام موسى بنت منصور بن عبد الله بن ذي سهم بن ابي سرح من ولد ذي رعين من ملوك حمير اخذ له البيعة بمكة الربيع مولاه يوم السبت لست خلون من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة ووافى بيعه بالبيعة منارة مولاه فاقام بويع ثم بعد قدوم منارة خطب الناس

فنعى اباه ودعا الى بيعته وبويع له بيعة العامة وكان مولده سنة
تسع وعشرين ومائة وخرج من مدينة السلام في سنة تسع وستين
ومائة يريد بلاد قرماسين من بلاد الدينور فوصف له طيب بلاد
ماسبذان من بلاد السيروان والريوجان فعدل الى الموضع المعروف
بالرذ والران ومات بقرية يقال لها الرذين ليلة الخميس لسبع
بقين من المحرم سنة تسع وستين ومائة وكانت خلافته عشر سنين
وشهرا ونصفا وعشرين يوما وقبض وله ثلاث واربعون سنة وقيل غير
ذلك وصلى عليه ابنه هرون الرشيد وكان موسى غائبا بجرجان
وقيل انه مات مسموما في قطايف اكلها وقد ذكرنا ذلك في الكتاب
الاوسط ولبست جارية حسنة وغيرها من حشمه المسوح السواد
جزعا عليه وفي ذلك يقول ابو العتاهية

رحن في الوشي واصبحن عليهن المسوح ... كل نطاح وان عاش له يوما نطوح
لست بالباقي ولو عمرت ما عمر نوح ... فعلى نفسك نح ان كنت لا بد نبوح

ذكر لمع من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه

ذكر الفضل بن الربيع قال دخل شريك القاضي على المهدي
يوما فقال له لا بد ان تجيبني الى خصلة من ثلاث خصال قال وما هن
يا امير المؤمنين قال اما ان تلي القضاء او تحدث ولدي وتعلمهم
او تاكل عندي اكلة فافكر ساعة ثم قال الاكلة اخفهن على نفسي فاجلسه
وتقدم الى الطباخ ان يصلح له الوانا من المخ المعقود بالسكر الطبرزد
والعسل وغير ذلك فلما فرغ من غدائه قال له القيم على المطبخ
يا امير المؤمنين ليس يفلح الشيخ بعد هذه الاكلة ابدا قال الفضل
ابن الربيع فحدثهم والله شريك بعد ذلك وعلم اولادهم وولي القضاء
لهم ولقد كتب له برزقه الى الجهبذ فضايقه في النقد فقال له الجهبذ
انك لم تبع به برا فقال له شريك بلى والله لقد بعت به اكبر من البر بعت
به ديني وحدث الفضل بن الربيع قال خرج المهدي يوما يتنزه ومعه
عمر بن بزيع مولاه وكان شاعرا فانقطع عن العسكر والناس في الصيد واصاب
المهدي جوع شديد فقال لعمر ويحك اريد انسانا نجد عنده ما ناكل
قال عمر وما زلت اطوف الى ان وجدت صاحب مبقلة والى جانبه كوخ له فصعد
اليه فقال له عمر هل عندك شيء يوكل قال نعم رقاق من خبز شعير وبيادر
البقل والكراث فقال له المهدي ان كان عندك زيت فقد كملت قال نعم عندي

340

فضلة منه فقدم اليهما ذلك فاكلا اكلا كثيرا وجعل المهدي يستطيب اكله ويعبث
فيه حتى لم يترك منه فضلة فقال لعمر قل شيا تصف به ما جرى فقال عمر

ان من يطعم الرثيثة بالزيت ... وخبز الشعير بالكراث
لحقيق بصفعة وبثنتين ... لسوء الصنيع او بثلاث

فقال له المهدي بيس والله ما قلت ولكن لو احسنت لقلت

لحقيق ببدرة او بثنتين ... لحسن الصنيع او بثلاث

ووافى العسكر ولحقته الخزاين والخدم والمواكب فامر لصاحب المبقلة بثلاث
بدر دراهم قال وشرد فرس المهدي من خيله وقد خرج الى الصيد فوقع
الى خبا اعرابي وهو جايع فقال يا اعرابي هل عندك من قرى فاني ضيفك وانا جايع
فقال اراك طريا سمينا جسيما عظيما فان احتملت الموجود قربناه لك
قال هات ما عندك فاخرج له خبز ملة فاكلها وقال هات ما عندك
فاخرج له فضلة نبيذ في ركوة فشرب الاعرابي واخذ واسقاه فلما
شرب قال له المهدي اتدري من انا قال لا والله قال انا من خدم الخاصة
قال بارك الله في موضعك وحياك من انت ثم شرب الاعرابي قدحا وسقاه
فلما شرب الثالث قال يا اعرابي اتدري من انا قال نعم زعمت انك من قواد
المهدي قال فلست كذلك قال انا امير المؤمنين بنفسه فاخذ الاعرابي
ركوته فوكاها قال له المهدي اسقنا قال لا والله ما تشرب منه جرعة فما
فوقها قال لم قال سقيناك قدحا فزعمت انك من خدم الخاصة فاحتملنا
لك ثم سقيناك الثاني فزعمت انك من قواد المهدي فاحتملنا لك ثم سقيناك الثالث
فزعمت انك امير المؤمنين ولا والله ما امن ان تسقيك الرابعة فتقول انك
رسول الله فضحك المهدي واحاطت به الخيل ونزل اليه ابناء الملوك
والاشراف فطار قلب الاعرابي ولم يكن له همة الا النجا فجعل يشتد في
عدوه فرد اليه فقال لا باس عليك فامر له بصلة جزيلة من مال وبز وكسوة وآلة
فقال له اشهد انك الان صادق ولو ادعيت الرابعة والخامسة لصدقت
خواصه والعرب له فرقا وكان وزيره ابو عبد الله معوية بن عبيد الله
الاشعري وهو جد محمد بن عبد الوهاب الكاتب وكان كاتبه قبل الخلافة فقتل
المهدي ابنا لابي عبد الله على الزندقة فاستوحش كل واحد منهما من صاحبه
فعزله وعاش ابو عبد الله الى سنة سبعين ومائة واختص المهدي
يعقوب بن داود السلمي وخرج كتابه الى الدواوين ان امير المؤمنين قد
اخاه فكان يصل اليه في كل وقت دون الناس كلهم فاتهمه بشيء من امره

فلما شرب الثاني قال له الاعرابي اتدري من انا قال زعمت انك من خدم الخاصة قال لا ولكني من قواد المهدي قال رحبت دارك وطاب مزارك

الطالبيين فلم تقتله ثم حبسه فبقي في حبسه الى ايام الرشيد
فاطلقه الرشيد وقد قيل في امره انه كان زري الهاشمي في الاكبر
من ولد العباس ولم نر غير المهدي من عمومته كان نحو نهايته وكانت
المهدي محببا الى الخاص والعام لانه افتتح امره برد المظالم وكف
عن القتل وآمن الخائف وانصف المظلوم وبسط يده في العطاء الاموال
وانفق ما خلفه المنصور وهو ستمائة الف الف درهم واربعة عشر الف
دينار سوى ما جباه في ايامه فلما نزعت بيوت الاموال دخل عليه ابا
حازم الهمري خازن بيوت امواله فرمى بالمفاتيح بين يديه وقال ما
معنى مفاتيح بيوت فرغ ففرق المهدي عشرين خادما في استحثاث
الاموال فوردت الاموال بعد ايام قلائل فتشاغل ابو حازم
الهمري بقبضها وتصحيحها عن الدخول الى المهدي ثلاثة ايام فلما
دخل عليه قال ما اخرك قال الشغل بتصحيح الاموال فقال انك اعرابي
احمق اتظن ان الاموال لا تاتينا اذا احتجنا اليها قال ابو حازم ان
الحادثة اذا حدثت لم تنتظرك حتى توجه في استخراج الاموال وعملها
ويقال انه فرق في عشرة ايام من صلب ماله عشرة الاف الف درهم
فعند ذلك قام سلم بن عفان خطيبا على راسه فقال في خطبته المهدي
اشباه فمنها القمر الزاهر والربيع الباكر والاسد الخادر والبحر الزاخر
فاما القمر الزاهر فاشبه منه حسنه وجماله وبهاؤه واما الربيع الباكر
فاشبه منه طيبه وهواه واما الاسد الخادر فاشبه منه جوده وسخائه
وكانت الخيزران ام الهادي والرشيد في دارها المعروفة باشناس
وعندها امهات اولاد الخلفاء وغيرهن من بنات هاشم وهي على بساط ارمني
وهن على نمارق ارمينية وزينب بنت سليمان بن علي اعلاهن مرتبة فبينما
هي كذلك اذ دخل خادم لها فقال بالباب امراة ذات حسن وجمال
في اطمار رثة تابى ان تظهر اسمها وشانها غيركن وتروم الدخول
عليكن وقد كان المهدي تقدم الى الخيزران بلزوم زينب بنت سليمان وقال
لها اقتبسي من ادابها وخذي من اخلاقها فانها عجوز قد ادركت
اوائلنا فقالت الخيزران للخادم ايذن لها فدخلت ذات بهاء
وجمال في اطمار رثة فتكلمت فافصحت عن بيان فقالوا لها من
انت انا مزنة امراة مروان بن محمد قد اصابني الدهر بجناياته ووالله
ان الاطمار الرثة التي علي لعارية وانكم لما غلبتمونا على هذا الامر

وصار لكم دوننا لم نر امتنا في الظفر العامة لما نحن فيه من الفرح على
بادرتم الينا تزيل موضع الشرف فقصدناكم لتكونن في جنابكم على اية
حال كانت حتى ياتي دعوة من له الدعوة فاغرورقت عين الخيزران
ونظرت اليها زينب بنت سليمان فلما رهبت الخيزران خوفا من زينب
بنت سليمان فقالت لها زينب لا خفف الله عنك اتذكرين وقد دخلت عليك
بحلب وانت على هذا البساط بعينه ونساء العسكر على هذه النمارق
فكلمتك في جثة ابراهيم الامام فانتهرتني وامرت باخراجي وقلت ما للنساء
والدخول على الرجال في ارائهم والله لقد كان اخي مروان احفظ للحق لقد دخلت
عليه فحلف انه ما قتله وهو كاذب وخيرني من ان يدفنه او يدفع الي جثته فاخذت
جثته ودفع الي ما لم اقبله فقالت مزنة والله ما اظن الحال ادتني
الى ما انتم فيه مني الا بالفعل الذي كان مني فانك استحسنتيه فحرضت
هذه السيدة على فعل مثله وانما كان الواجب عليك ان تحضيها على
فعل الخير وترك المقابلة بالشر لتحرز بذلك نعمتها وتصون دينها ثم قالت
لزينب يا ابنة عمي كيف رايت صنع الله بنا في العقوق فاحببت التاسي
بنا وولت وكرهت الخيزران ان تخالف زينب فيها فامرت بعض
جواريها ان تعدل بها الى بعض حجرها ففعلت ذلك بامر زينب فعدلت
بها الى بعض المقاصير فلما دخل المهدي عليها وقد انصرفت زينب
وكان من شانه الاجتماع معها في بعض حجرها كل عشية فقصت
عليه الخيزران قصتها وما امرت من تغير حالها فدعا بالجارية
التي ردتها فقال لها لما رددتها الى المقصورة ما الذي سمعتيها
تقول قالت سمعتها يا امير المؤمنين في المكان الفلاني وهي تبكي في خروجها
مويسة وهي تقول واضرب الله مثلا قرية كانت امنة مطمئنة ياتيها
رزقها رغدا الاية فقال للخيزران والله لو لم تفعلي بها ما فعلت
ما كلمتك ابدا وبكى بكاء كثيرا وقال اللهم اني اعوذ بك من زوال
النعم وانكر فعل زينب بها وقال والله لولا انها اكبر نسائنا لحلفت
اني لا اكلمها ثم بعث اليها بعض الجواري الى مقصورتها التي خليت
لها فقالت الجارية اقرئي عليها السلام مني وقولي لها يا ابنة عمي ان اخوانك
قد اجتمعن عندي ولولا اني احملك الحنان فلما سمعت الرسالة علمت ما اراد
المهدي وكانت قد حضرت زينب بنت سليمان فجاءت تسحب
اذيالها فحيتها وامرها بالجلوس واستدناها فقالت اني لا ارضيك

رايحتي وحدثنه ودفع منزلتها فوق زينب بنت سليمان ثم تفاوضوا
الاخبار عن الاسلاف وايام الناس واشتغال الدول فوالله ما ركت احد
في المجلس كلاما فقال لها المهدي يا ابنة عمي والله لولا اني لا احب ان اجعل
للقوم الذين انت منهم في امرنا سببا لتزوجتك فكبر الشيخ اصون
لك من حجابي وكونك مع اخوتك في قصرك لك ما لهن وعليك ما عليهن
الى ان ياتيك امر الله لك الامر فيها لخلق ثم اقطعها مثل ما لهن من الاقطاع
واخدمها واجازها فاقامت في قصر الخلد في قصر المهدي في ايام الهادي
وصدرا من ايام الرشيد وماتت في خلافته وكانت لا تفرق بينها وبين
نساء بني هاشم وخواص جواريهم وجواريهم ولما ماتت جزع الرشيد
والحرم عليها جزعا شديدا وحدثنا الرياشي عن الاصمعي قال دخل
عبد الله بن عمرو بن عتبة على المهدي يعزيه بالمنصور فقال اجر الله امير المؤمنين
على امير المؤمنين قبله وبارك له فيما خلفه فيه فلا مصيبة اعظم من فقد
امام والد ولا عقبى اجل من خلافة الله على اولياء الله فاقبل يا امير المؤمنين
من الله افضل العطية واحتسب عند الله اعظم الرزية وذكر جماعة من
جلة الاثار والناقلين للاخبار ان ابا العتاهية لما اكثر من تشبيبه
بعتبة جارية الخيزران شكت الى سيدها فسالها عن خبرها فاخبرته
فامر باحضار ابي العتاهية فادخل عليه فلما وقف بين يديه قال
له انت القائل

اسد بيني وبين مولاتي ... ابدت لي الصد والعداوات

وبي تنكر صدها ولم تعنى في الوصل قال يا امير المؤمنين وانا الذي اقول

يا نوح حتى متى ولا تنتهي ... نفسك مما ترين راحات
حتى تناجي بنا الى ملك ... توجه الله بالمهابات
يقول للريح كلما عصفت ... هل لك يا ريح في مبارات
عليه تاجان فوق مفرقه ... تاج جمال وتاج اخبات

قال فنكس راسه ونكث بالقضيب الذي كان في يده ثم رفع راسه وقال
انت القائل

الا ما لسيدتي ما لها ... لقد البس الحسن سربالها

وما عليك بماحي سر بالها فاجابه معارضا لدبايات لم يقف على حدتها
ثم ساله عن اشياء افحم ابو العتاهية عن الجواب فيها فامر المهدي
بجلده فجلد نحو من حد فلقيته عتبة على تلك الحال فقال

بخ بخ يا عتب من مثلكم ... قد قتل المهدي فيكم قتيلا

فنزعت عينها فدخلت وهي تبكي على الخيزران وقد فاض دمعها

فصادفت المهدي عندها فقال لها ما لعتبة تبكي فقالوا رات ابا العتاهية
مجلودا فقال لها ايت ولست فامر له بخمسين الف درهم وامر ان لا نفرقها
فاخذها وانصرف وحدثنا محمد بن يزيد المبرد قال اهدى ابا العتاهية الى
المهدي في نوروز قدح ومرجان ذهب صيني فيها ثوب مسك مكتوب
عليه بالعنبر هذا الشعر

نفسي بشي من الدنيا معلقة ... الله والقايم المهدي يكفيها
اني لايس منها ثم يطمعني ... فيها احتقارك للدنيا بما فيها

فهم ان يدفع اليه عتبة فقالت يا امير المؤمنين مع حرمتي وخدمتي تدفعني
الى بايع جرار متكسب بالشعر فبعث اليه اما عتبة فلا سبيل اليها
واما البرنية امر ان تملأ له مالا وخرجت عتبة وهو يناظر الكتاب
ويقول انما امر لي بدنانير وهم يقولون له انما امر لك بدراهم فقالت اما
لو كنت عاشقا لعتبة لشغلت عن تمييز العين وكان ابو العتاهية
القاسم بايع جرار وكان من اسهل الناس كلاما واقدرهم على هذا الكلام
وكان حلو الالفاظ سهل الكلام حتى كان يتكلم بالشعر في جميع حاجاته
ويخاطب جميع اصناف الناس وجعل شعارا ودثارا ويقال
ان ابا نواس وجماعة من الشعراء معه دعا احدهم بماء ليشربه وقال
عذب الماء فطابا ثم قال اجيزوا وافردوا ولم يعلم احد منهم المجانسة
في قوله وقرب المخدة حتى طلع ابو العتاهية فقالوا هذا ابو العتاهية
ثم قالوا قال احدنا نصف بيت ونحن نخبط في تمامه قال وما الذي
قال قالوا عذب الماء فطابا فقال ابو العتاهية حبذا الماء شرابا

ومما اخترنا من شعر ابي العتاهية في عتبة

بالله يا حلو العينين زوديني ... قبل الممات والا فاستزيديني
هذان امران فاختاري احبهما ... اليك اولا فداعي الموت يدعوني
لو شئت مت فاتت الدهر ما لك ... ودعي ولو شئت ان احيا فتحييني
يا عتب ما انت الا بدعة خلقت ... من غير طين وخلق الناس من طين
اني لاعجب من حب يقربني ... ممن يباعدني منه ويقصيني
اما الكثير فلا ارجوه منك ولو ... اطمعتني في قليل كان يكفيني

ومما استحسنته من شعره فيها واخترناه قوله

الا يا عتب يا قمر الرصافة ... ويا ذات النضافة والنجابة
رزقت مودة فرقت عطفي ... ولم ارزق فديتك منه رافه

اظل اذا اتيك مستحيا ... كانك قد بعثت على آفه

وما احسن من شعره واستحسنه ذووا الحجا قوله

ما اغفل الناس عن بلائي ... وعن عنائي وعن شقائي
يلومني الناس في حبيبي ... والناس لا يعرفون دائي
يا لهف نفسي على خليل ... اصبح في كفه شفائي
صير في حبه غريبا ... في غير ارضي وفي سمائي
قد بلغ الجهد في بدائه ... فالصبر قد ملّ عن بكائي
انت بلائي وانت دائي ... وانت تدرين ما دوائي
والله ما تذكرين الا ... فاضت دموعي على ردائي
تبارك الله ما دعاكم ... يا اهل ودي الى جفائي
فانتم الهم في صباحي ... وانتم الهم في مسائي
الحى على الغيث منكم ... المجيب فيكم بلا التئامي
سيان ما بينكم وبيني ... في نصح جيبي وفي وفائي
يختم صفو ودي ... فكان ذا منكم جزائي

وحدث محمد بن يزيد المبرد وغيره ان ريطة بنت ابي العباس السفاح وجدت الجعبة لبس ما كنت المختلعة في ثياب رثة للعتق وارت جارية لها عتيد وقد قيل انها كانت لها ثم صارت الى الخيزران بعد ذلك ان تحضر ذلك فانها لجالسة يوما اذ جاء ابو العتاهية في هيئة متنسك قد تبابس واستكان فاقبل على عتيد فقال جعلني الله فداك شيخ كبير ضعيف لا اقوى على الخدمة فان رايت اعزك الله ان تامري برأي وعتقي فعلت لم يوجه فاقبلت على عبد الله فقالت يا ابا العباس لا ادري هيئة جميلة وضعفا ظاهرا ولسانا فصيحا ورجلا بليغا فاشتر واعتقه فقال نعم فقال ابو العتاهية انا اذنت لي اصلحك الله في تقبيل يدك شكرا لك على جميل ما فعلت فضحك عبد الله وقال لها اتدرين من هذا قالت لا قال ابو العتاهية وانما احتال عليك فسترت وجهها خجلا وقالت سواه لك يا ابا العتاهية انتسك يعيب هذا العيب انما اغتررت بجلالك وقامت من مجلسها فلم تعد اليه ولابي العتاهية اخبار واشعار حسان وستذكر في اخبار من ورد بعد المهدي من الخلفاء لمعا من اخباره وما استحسناه من اشعاره وذكر وفاته ولولم يكن لابي العتاهية الا الابيات التي ابان فيها عن صدق الاخوة والوفا لكان مبرزا على غيره ممن كان في عصره وهي

ان اخا الصدق من يسعى معك ... ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك ... شتت فيك شمله ليجمعك

وهذا في عصرنا معدوم ومستحيل وجوده ومتعذر كونه فذكر ابو الهيثم

جعفر بن محمد بن حمدان الموصلي المعروف بابن عياش وابن دلب لان المنصور كان قد ضم الشرقي بن القطامي الى المهدي حين خلفه بالري وامره بالحفظ لايام العرب ومكارم اخلاقها ودراسة اخبارها وقراءة اشعارها فقال له المهدي ذات ليلة يا شرقي ارح قلبي بشيء يلهيه قال اصلح الله الامير ذكروا انه كان في ملوك الحيرة ملك له نديمان قد نزلا في قلبه منزلة نفيسة فكانا لا يفارقانه في لهوه وباسه ومنامه ويقظته ومقامه وظعنه فكان لا يقطع دونهما امرا ولا يصدر الا عن رايهما فغبر بذلك دهرا طويلا قال فبينما هو ذات ليلة في لهوه وشغله اذ غلب عليه الشراب واثر فيه تاثيرا ازال عقله فدعا بسيفه وانتضاه فشد عليهما فقتلهما وغلبته عيناه فنام فلما اصبح سال عنهما فاخبر بما كان منه فاكب على الارض عاضا عليها تاسفا عليهما وجزعا لفراقهما وامتنع من الطعام والشراب ثم حلف لا يشرب شرابا يخامر عقله ما عاش وجمعهما وبنى على قبريهما قبتين وسن لا يمر بهما احد الملك فمن دونه الا سجد لهما وكان اذا سن فيهم الملك سنة توارثوها واحيوا ذكرها ولم يضيعوها وجعلوها عليهم حتما واجبا وفرضا لازما واوصى بها الآباء اعقابهم فمر الناس بذلك دهرا طويلا لا يمر بهما كبير ولا صغير الا سجد لهما فصار ذلك سنة لازمة وامرا كالمفروض والشريعة وحكم فيمن ابى ان يسجد لهما بالقتل بعد ان يحكم في خصلتين يجاب اليهما كائنا ما كانتا قال فمر بهما يوما قصار معه كارة ثياب وفيها مدقته فقال له الموكلون بالقبرين اسجد فابى ان يفعل فقالوا انك مقتول ان لم تفعل فابى فرفع الى الملك واخبر بقصته فقال ما منعك ان تسجد قال سجدت ولكن كذبوا علي في الباطل قلت فاحتكم في خصلتين فانك مجاب اليهما واني قاتلك بعده قال ولا بد من قتلي بقول هؤلاء قال لا بد من ذلك قال فاني احتكم ان اضرب رقبة الملك بمدقتي هذه فقال الملك يا جاهل لو حكمت على من اجري عليه تحلف فيه لكان اصلح لك قال ما احتكم الا بضربة لرقبة الملك فقال الملك لعزرائه ما ترون فيما حكم به هذا الجاهل قالوا نرى ان هذه سنة انت سننتها وانت اعلم بما في نقض السنن من العار والبوار وعظيم الاثم وايضا فانك متى نقضت سنة نقضت اخرى من بعدك كما كان ذلك قال فاطلبوا الى القصار ان يطلب ما شاء ولي حكم ما شاء ويعفيني من هذه فاني اجيبه الى ذلك ولو بلغ شطر ملكي فطلبوا اليه فرغبوه فقال ما احكم الا بضربة في رقبته قال فلما راي

ازلام

الملك لما عزم عليه القصار فقعد له مقعدا عاما واحضر القصار
فابدا المدقة وضرب بها عنق الملك ضربة عن سريره وخر مغشيا
عليه فاقام شهرا وقيل سنة اشهر وبلغت به العلة حتى كان يسقى الماء
بالقطن فلما افاق وتكلم وطعم وشرب سال عن القصار فقيل له انه
محبوس فامر باحضاره وقال قد بقيت لك خصلة فاحتكم فاني قاتلك
لا محالة فقال القصار فان كان لابد لك من قتلي فاني احكم ان اضرب الجانب
الاخر من قفاك ضربة اخرى فلما سمع الملك ذلك خر على وجهه من الجزع وقال
ذهبت والله نفسي اذا ثم قال للقصار ويلك دع عنك ما لا ينفعك فانه
لن ينفعك ما مضى واحكم بغير ذلك كائنا ما كان قال ما احتكم الا بضربة
اخرى فقال الملك لوزرائه ما ترون قالوا عودت على نفسك سنة اصلحك الله فقال
ويلكم واسا ان ضرب الجانب الاخر لم اشرب البارد ابدا اني لاعلم ما قد مر بي
قالوا فاعذره بحيلة فلما دري ما قد حل به قال للقصار اخبرني الم اكن
سمعتك تقول يوم اجبر الملوك بالعبيرين ابكي بحدث وانتم لتنبو
عليك قال قد كنت قلت ذلك ولم اصدق قال فلست بحدث قال نعم
فوثب الملك من مجلسه وقبل راسه وقال انا اشهد انك صادق وان
اولئك الفجار وانهم يكذبون عليك واني لكنت امرهم وموضعهم وجعلت
العراقيك في ناديهما قال فضحك المهدي حتى فحص برجله وقال والله
احسنت ووصله وبره وقال الهيثم بن عدي حضرت مجلس
المهدي فاتاه الحاجب فقال يا امير المؤمنين ان ابن ابي حفصة بالباب
قال لا تاذن له فانه ماني كذاب فتكلم الحاجب بن عطية فيه فادخله
فقال له المهدي يا ماني الست القائل في شعر لك رايح

جبل تلوذ بنو نزار كلها — صعب الذرى متمنع الاركان

قال بل انا الذي اقول فيك يا امير المؤمنين

يا ابن الذي ورث النبي محمدا — دون الاقارب من ذوي الارحام

وانشده الابيات فرضي عنه واجازه وقال القعقاع بن حكيم
كنت عند المهدي وفي الحسن سفيان الثوري فلما دخل عليه سلم تسليم العامة
ولم يسلم بالخلافة والربيع قائم على راسه متكئا على سيفه يرقب امره فاقبل
عليه المهدي بوجه طلق فقال له يا سفيان تفر منا ها هنا وها هنا
وتظن انا لو اردناك بسوء لم نقدر عليك فقد قدرنا عليك الان افما
تخشى ان نحكم عليك بهوانا فقال سفيان ان تحكم في يحكم فيك مليك قادر

يفرق بين الحق والباطل فقال له الربيع يا امير المؤمنين اهذا الجاهل
يستقبلك بمثل هذا ائذن لي ان اضرب عنقه فقال له المهدي اسكت
ويلك وهل يريد هذا وامثاله الا ان نقتلهم فنشقى بسعادتهم اكتبوا
عهده على قضاء الكوفة على ان لا يعترض عليه في حكم فكتب عهده
ودفع اليه فاخذه وخرج فرمى به في دجلة وهرب فطلب في كل بلد
فلم يوجد وقال علي بن يقطين كنا مع المهدي بماسبذان فقال
لي يوما اصبحت جائعا فاتني بارغفة ولحم بارد ففعلت ثم دخل
البهو فنام ثم فنمنا نحن في الرواق فانتبهنا لبكائه فبادرنا اليه
مسرعين فقال اما رايتم ما رايت قلنا ما راينا شيئا قال وقف علي
رجل لو انه في الف رجل ما خفي علي صوته ولا صورته فقال

كاني بهذا القصر قد باد اهله — واوحش منه ربعه ومنازله
وصار عميد القوم من بعد بهجة — وملك الى قبر عليه جنادله
فلم يبق الا ذكره وحديثه — تنادي عليه معولات حلائله

قال علي فما اتت على المهدي بعد رؤياه هذه الا عشرة ايام حتى
توفي قال المسعودي وكانت وفاة زفر بن الهذيل الفقيه صاحب
ابي حنيفة النعمان بن ثابت سنة ثمان وخمسين ومائة وفيها مات ربيعه
المهدي على ما قدمنا ومات سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري بالبصرة
وكان من تميم وهو ابن ثلاث وستين سنة وكان يكنى ابا عبد الله في ايام
المهدي وذلك في سنة احدى وستين ومائة ومات ابن ابي ذئب وهو
ابو محمد عبد الرحمن بن المغيرة ويكنى ابا الحارث بالكوفة سنة
تسع وخمسين ومائة وذلك في ايام المهدي وفي سنة ستين ومائة مات
شعبة بن الحجاج ويكنى ابا بسطام وهو مولى لبني شقرة من الازد وفيها
توفي عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي وفي سنة ست وستين ومائة مات
حماد بن سلمة في ايام المهدي قال المسعودي وللمهدي اخبار حسان
وما كان في ايامه من الكوائن والحروب وغيرها قد اتينا على مبسوط ذلك
في الكتاب الاوسط وكذلك من كان في سلطانه من الفقهاء واصحاب
الحديث وغيرهم وبالله التوفيق

ذكر خلافة موسى الهادي

وبويع محمد بن موسى الهادي يوم الخميس لسبع بقين من المحرم وهو
ابن اربع وعشرين سنة وثلاثة اشهر صبيحة الليلة التي كان

كان فيها وفاة المهدي وذلك في سنة تسع وتسعين وتوفي بعيساباذ
بجوار مدينة السلام سنة سبعين ومائة لاربع عشرة بقيت من
شهر ربيع الاول من هذه السنة وكانت خلافته سنة وثلاثة اشهر
وكان يكنى بابي جعفر وامه الخيزران وهي عطية ام ولد هارون الرشيد وهي
ام الرشيد واتته البيعة وهو بارض طبرستان وجرجان وهو
في حرب كانت له هنالك فركب البريد وقد اخذ له اخوه الرشيد
البيعة وفي ذلك يقول بعض الشعراء

لما اتت خير بني هاشم ، خلافة الله بجرجان ، شمر للحرب باذياله ،
برأي لا غمر ولا وان ،

ذكر جمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه

كان موسى قاسي القلب شرس الاخلاق صعب المرام كثير الادب محبا له
وكان شديدا شجاعا بطلا جوادا سمحا حدث يوسف بن ابرهيم الكاتب
صاحب ابرهيم بن المهدي عن ابرهيم انه كان واقفا بين يدي موسى على حمار
له ببستانه المعروف ببغداد اذ قيل له قد ظفر برجل من الخوارج
فامر بادخاله اليه فلما قرب الخارجي اليه اخذ السيف من بعض
الحرس واقبل يريد موسى فتنحى كل من كان معه عنه وانه لواقف على
حماره لا يتحلحل فلما ان قرب منه صاح موسى اضربا عنقه وليس
وراءه احد منا فاوهمه فالتفت الخارجي وجمع موسى نفسه ثم ظفر عليه
فصرعه واخذ السيف من يده فضرب عنقه به قال فكان خوفنا منه اكثر
من الخارجي فوالله ما انكر علينا تنحينا ولا عذلنا عن ذلك ولم يركب
حمارا بعد ذلك اليوم ولا فارقه سيفا وكان عيسى بن داب
يجالسه وكان من اهل الحجاز وكان اكثر اهل عصره ادبا وعلما ومعرفة
باخبار الناس وايامهم وكان الهادي يدعوه ولم يكن غيره يطمع منه
في ذلك وكان يقول له يا عيسى ما استطلت بك يوما ولا ليلة ولا غبت
عني الا ظننت اني لا ارى غيرك ٥ وذكر عيسى بن داب انه رفع
للهادي ان رجلا من اهل المنصورة من بلاد السند من اشرافهم واهل
الرياسة منهم من ال المهلب بن ابي صفرة ابتاع غلاما سنديا او هنديا
وان الغلام هوي مولاة له فراودها عن نفسها فاجابته فدخل مولاه فاصابهما
معها فجب ذكر الغلام وخصاه ثم عالجه الى ان برئ فاقام مدة
وكان لمولاه ابنان احدهما طفل والاخر يافع فغاب الرجل عن منزله فعاود

وصعد بهما

وقد اخذ السندي الصبيين الى اعالي سطح الدار الى ان دخل مولاه
فرفع راسه فاذا بابنيه مع الغلام على السطح فقال يا فلان عرضت
ابني للهلاك فقال دع ذا عنك والله لئن لم تجب نفسك بحضرتي لارمين
بهما فاسرع مولاه فاخذ مدية فجب نفسه فلما راى الغلام انه قد
فعل رمى بالصبيين فتقطعا وقال ان ذلك الذي فعلت بفعلك
بي وقتلي هذين زيادة فامر الهادي بالكتاب الى صاحب السند بقتل
الغلام وتعذيبه بافظع ما يكون من العذاب وامر باخراج كل سندي
في مملكته فرخص السند في ايامه حتى كانوا يتداولون بالثمن اليسير
وكان الهادي قد استوزر الربيع وضم اليه ما كان الى عمر بن بزيع
من الزمام ثم انه ولى عمر بن بزيع الوزارة وديوان الرسائل وافرد الربيع
بالزمام فمات الربيع في هذه السنة وقيل ان الهادي سقاه شربة من اجل
جارية كانت قد وهبها له المهدي قبل ذلك للربيع فذكر ان الربيع
وقع عليها وظهر في ايامه الحسين بن علي بن الحسن بن علي بن ابي
طالب رضي الله عنهم وهو المقتول بفخ على ستة اميال من مكة يوم التروية
وكان على الجيش الذي حاربه جماعة من بني هاشم منهم سليمن بن
ابي جعفر ومحمد بن سليمن بن علي وموسى بن عيسى بن موسى والعباس
ابن محمد بن علي وموسى في اربعة الاف فارس فقتل الحسين واكثر من كان
معه واقاموا ثلاثة ايام لم يواروا حتى اكلتهم السباع والطير
وكان معه سليمن بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب
رضي الله عنهم واسر في هذا اليوم وضربت عنقه عليه صبرا وقتل
معه عبد الله بن اسحق بن ابرهيم بن الحسن بن علي بن ابي طالب واسر الحسن
ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي فضربت عنقه صبرا واخذ
لعبد الله بن الحسين بن علي والحسن بن محمد امان فحبسا عند جعفر بن يحيى
ابن خالد بن برمك وقتلا بعد ذلك فسخط الهادي على موسى بن عيسى لقتله
الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن وترك المصير به اليه ليحكم
فيه بما يرى وقبض اموال موسى واظهر الذين اتوه بالراس الاستبشار
قبل موسى فزجرهم وقال اتيتموني مستبشرين كانكم اتيتموني براس
رجل من الترك والديلم انه رجل من عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا ان اقل جزائكم عندي الا اثيبكم شيئا في الجائزة على صنيعكم

فقال له الله الله في وفي ابني فقال دعني عنك فوالله ... وانى لا اثق بهما

بن محمد

«فلا بكين على الحسين ، بعولة وعلى الحسن ، وعلى ابن عاتكة الذي ،»
«تركوه ليس له كفن ، تركوا بنخلة عدوة ، في غير منزلة الوطن ،»
«كانوا كراما قتلوا ، لا طائشين ولا جبن ، غسلوا المذلة عنهم ،»
«غسل الثياب من الدرن ، هدي العباد بجدهم ، لهم على الناس المنن ،»

وكان الهادي كثير الطاعة لامه الخيزران مجيبا لها فيما تسأل من حوائج الناس فكانت المواكب لا تخلو من بابها

وفي ذلك يقول ابو المعافا

«يا خيزران هناك ثم هناك ، ان العباد يسوسهم ابناك ،»

فكلمته ذات يوم في امر فلم يجد الى اجابتها سبيلا فاعتل عليها بعلة فقالت لا بد من اجابتي قال لا افعل قالت فاني قد ضمنت هذه الحاجة لعبد الله بن مالك فغضب الهادي وقال ويلي على ابن الفاعلة قد علمت انه صاحبها والله لا قضيتها لك ابدا قالت اذا والله لا اسالك حاجة ابدا قال اذا والله لا ابالي وحمي وقامت مغضبة فقال مكانك فاستوعبي كلامي والله والا انا نفي من قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن بلغني انه وقف ببابك احد من قوادي او من خاصتي او من خدمي لاضربن عنقه ولاقبضن ماله فمن شاء فليلزم ذلك ما هذه المواكب التي تغدو الى بابك كل يوم اما لك مغزل يشغلك او مصحف يذكرك او بيت يصونك اياك ثم اياك ان تفتحي بابك لمسلم ولا ذمي فانصرفت وهي لا تعقل ما تطا فلم تنطق عنده بحلوة ولا مرة بعدها وذكر ابن داب قال دعاني الهادي في وقت من الليل لم تجر العادة لمثله بدعوتي في مثله فدخلت اليه فاذا هو جالس في بيت صغير شتوي وقدامه دفتر ينظر فيه فقال لي يا عيسى فقلت لبيك يا امير المؤمنين قال اني ارقت في هذه الليلة وتداعت علي الخواطر واشتملت علي الهموم وهاج لي ما جرت اليه بنو امية من بني حرب وبني مروان في سفك الدماء دماءنا اهل البيت فقلت يا امير المؤمنين هذا عبد الله ابن علي قد قتل منهم على نهر ابي فطرس فلانا وفلانا حتى اتى على تسمية اكثر من قتل منهم وهذا عبد الصمد بن علي قد قتل منهم بالحجاز في دفعة واحدة نحو ما قتل عبد الله بن علي وهو القائل بعد سفكه الدماء

«ولقد شفيت نفسي وابرأ سقمها ، اخذي بثاري من بني مروان ، من آل حرب شفي ساهد ،»
«شغلي دماء بني ابي سفيان ،»

قال ابن داب فسر والله الهادي وظهرت منه اريحية فقال يا عيسى داود بن علي هو القائل لذلك والقاتل لهم اذ كنت بالحجاز ولقد اذكرتنيها حتى كاني اسمعها قال قلت يا امير المؤمنين وقد قتل ايضا عبد الله بن علي فالهاك على نهر ابي فطرس قال لقد قتل ذلك قال ابن داب ثم تغلغل بنا الكلام الى اخبار مصر وعيونها وفضائلها واخبار سائلها فقال لي الهادي فضائلها اكثر قلت يا امير المؤمنين هذه دعوى لها ان المصريين يفخرون بمن اوردوه والبينة على المدعي واهل العراق يأبون هذه الدعوى ويذكرون انواع عيوبها الى فضائلها قال اشرها ما ذا قلت يا امير المؤمنين من عيوبها انها لا تمطر واذا امطرت كرهوا ذلك وابتهلوا الى الله بالدعاء وقد قال الله عز وجل وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته فهاتا رحمته محللة لهذه الخلق وهي لهم كادمون وهي لهم ضارة غير موافقة لا تزكو عليها زروعهم ولا تخصب عليها ارضهم ومن عيوبها الريح الجنوب التي يسمونها المريسية وذلك ان اهل مصر يسمون اعلى الصعيد بلاد النوبة المريس فاذا هبت المريسية وهي الجنوب بلغت عشرين يوما تبلغ اسعار اهل مصر الاكفان والحنوط وايقنوا بالوباء القاتل والبلاء الشامل ثم من عيوبها اختلاف هوائها لانهم في يوم واحد يغيرون ملابسهم مرارا فيلبسون القميص مرة والمبطنات مرة والحشو اخرى وذلك لاختلاف جواهر الساعات بها ولبابس الهواء فيها في سائر فصول السنة الليل والنهار ولا تمر ولا يمتار فاذا اجدبوا هلكوا فاما نيلها فكفاك الذي هو عليه من اختلاف حيوان الانهار من الصغار والكبار وليس في الفرات والدجلة ولا انهر بلخ ولا سيحان وجيحان شيء من التماسيح وهي في نيل مصر ضارة بلا منفعة ومفسدة غير مصلحة وفي ذلك يقول الشاعر

«اضحت للنيل هجرانا ومقلية ، اذ قيل لي انما التمساح في النيل ،»
«فمن راى النيل راي العين من كثب ، فما ارى النيل الا في البراقيل ،»

قال فيحكم ما البراقيل التي تجري في النيل فيها قلت القلال والكيزان التي يسمونها بها قلت وهم مراد الشاعر فيما وصف فانه لا يستمتع بالماء الا في الانية لخوفه مباشرة الماء في النيل من التمساح لانه يختطف الناس وسائر الحيوان قال ان هذا النهر قد منع هذا النوع

من الحيوان مصالح الناس منه ولقد كنت متشوقا الى النظر اليها فلقد
زهدتني فيه وصفك لها قال ابن دليم ثم سالني الهادي عن دنقلة
مدينة ملك وهي دار مملكة النوبة كم المسافة بينها وبين اسوان قلت
قد قيل اربعون يوما على شاطي النيل متصلة قال ابن دليم ثم
قال لي الهادي ايها يا ابن دليم دع عنك ذكر النوبة واخبارها وهلم
بنا الى ذكر فضائل البصرة والكوفة وما زادت به كل واحدة منهما على
الاخرى قال قلت ذكر عن عبد الملك بن عمير انه قال قدم علينا
الاحنف بن قيس الكوفة مع المصعب بن الزبير فما رايت شيا
قبيحا الا وفي وجه الاحنف منه شيا كان صغير الراس اعصف
الاذن ... ناتي الوجه مائل الشدق متراكب الاسنان
ولكنه كان اذا تكلم جلى عن نفسه فجعل يفاخر ذلك يوم بالبصرة
ونفاخر بالكوفة فقلنا الكوفة اعذب واروى وافسح واطيب
فقال له رجل والله ما اشبه الكوفة الا بشابة صبيحة الوجه
كريمة الحسب لا مال لها فاذا ذكرت حاجتها كف عنها طالبها
وما اشبه البصرة الا بعجوز ذات عوارض موسرة اذا ذكرت
ذكر يسارها وذكرت عوارضها فكف عنها طالبها قال الاحنف
اما البصرة فان اسفلها قصب واوسطها خشب واعلاها رطب
نحن اكثر ساجا وعاجا وديباجا ونحن اكثر قندا ونقدا والله
ما اتي البصرة الا طايعا ولا خرج منها الا كارها قال فقام اليه شاب
من بكر بن وايل فقال يا ابا بحر بما بلغت من الناس ما بلغت فوالله
ما انت باجملهم ولا باشرفهم ولا باشجعهم قال يا ابن اخي بخلاف
ما انت فيه قال بماذا قال بتركي ما لا يعنيني كما عناك من امري ما لا
يعنيك قال المسعودي ولابن دليم مع الهادي اخبار حسان
يطول ذكرها ويتسع علينا شرحها ولا بانا خلينا ايراد ذلك
في هذا الكتاب لاشتراطنا فيه على نفسنا الاختصار والايجاز
بحذف الاسانيد وترك اعادة الالفاظ ولاهل البصرة ولاهل
الكوفة ومن شرب من دجلة مناظرات كثيرة في مياههم ومنافعها
ومضارها منها ما عاب به اهل الكوفة اهل البصرة من ان ياتي
ماؤنا الكدر وماء البصرة صاف وماء البطيحة صاف وبما يمر جاء
وسط بلادنا قالوا الكوفيون من طباع الماء العذب الصافي

[illegible]

اذا خالطه ماء البحر صار جميعا الى الكدر وقد يروق الانسان
الماء اربعين ليلة فاذا دخل منه شيا في قارورة ازبد وتكدر
وقد افتخر اهل الكوفة عليهم الذين هم الفرات على دجلة وماء
البصرة فقالوا ماؤنا اعذب المياه واعدلها واصح للاجسام من ماء
دجلة والفرات خير من النيل فاما دجلة فان ماءها يقطع شهوة
الرجال ويذهب بصهيل ولا يذهب بصهيلها الا مع ذكر
نشاطها ونقصان قواها ولذلك ترى المنازلين عليها اصابهم
نحول في عظامهم ويبس في جلودهم وسائر من كان من العرب
على دجلة لا يكادون يسقون خيولهم منها ويسقونهم من الابار والكرا
لاختلاط مياهها واختلاف انواعها اذ كانت ليست عادة واحدة
لصب الانهار عليها كالزابين وغيرهما وسبيل المشروب غير
الماكول لان اختلاف الماكول غير ضار واختلاف الاشربة كنبيذ
التمر والخمر وغيرهما من الانبذة اذا شربها الانسان كان ضارا
وان كان هذا فضيلة ما بنا على دجلة فما ظنك بفضلنا على
البصرة وهو مختلط بماء البحر ومن الماء المستنقع في اصول
القصب والبردي وقد قال اسد عن رجل هذا عذب فراته
وهذا ملح اجاج والفرات اعذب المياه عذوبة واغاها اسوق
الفرات لكل ماء عذب من فرات الكوفة وقد طعن اهل
الكوفة على اهل البصرة فقالوا البصرة اسرع الارض خرابا
واخبثها ترابا وابعدها من السماء واسرعها غرقا وقد
اجاب اهل البصرة اهل الكوفة عما سالوا عنه وعابوهم به ولمن
شرب من دجلة عابوا اهل الفرات وذكروا عيوبها
وما يوثر في سكانها من الشح على الماكول والمشروب والغدر وقلة
الوفاء وغير ذلك وقد ابنا على خواص الارض والمياه فصول السنة
وانقسام الاقاليم وما يحتوي به المعاني فيما سلف من كتبنا على الشرح
والايضاح وذكرنا في هذا الكتاب جميع ذلك لمعا فلنرجع الان
الى اخبار الهادي ونرجع ونعدل عن هذا الباب وقد كان الهادي
اراد ان يخلع اخاه الرشيد من ولاية العهد ويجعلها لابنه جعفر
ابن موسى وحبس يحيى بن خالد البرمكي واراد قتله فقال له يحيى وكان
القيم بامر الرشيد يا امير المومنين ارايت ما اسهل الذي بعيد بامنه و

ايضا

ولا يبلغاه ونبئني في اجل امير المؤمنين انظر الناس يسلمون لجعفر امر المؤمنين
ولم يبلغ الحلم ويرضون به لصلواتهم وحجهم وغزوهم قال ما اظن ذلك
افتامن ان يسموا اليها اهل بيتك فتخرج من ولد ابيك الى غيرهم
فيكون قد حملت الناس على الملك وهونت عليهم ايمانهم ولو تركت
بيعة اخيك على حالها وبويع لجعفر بعده كان اوكد فاذا بلغ مبلغ الرجال
سالت اخاك ان يقدمه على نفسه فكل شيء واسد على الامر اكان ابيت
له ثم عزم بعد ذلك على خلعه ورضي ام له وامر بالتضييق عليه في الكر
امونه فاشار عليه يحيى ان يستاذنه في الخروج الى الصيد والى تطيل
التشاغل بذلك فاذن له موسى فصير على طريق جبته قصر المولد
فاستاذن الرشيد فاذن له فصار الى شاطي الفرات من بلاد الانبار
وهيت فتوسط البرية الى السماوة وكتب الهادي اليه يامره بالقدوم
فاكثر الرشيد التعلل فبسط الهادي لسانه في شتمه وسخط للهادي
الحرونة نحو بلاد الحديثة فمرض هناك وانصرف وقد ثقل من العلة فلم
يجسر احد من الناس على الدخول اليه الا الاصاغر من الخدم ثم اشار اليهم
ان يحضروا الخيزران امه فصارت عند راسه فقال لها انا هالك
في هذه الليلة وفيها يلي اخي هرون وانتي تعلمين ما قضي في محل
مولدي بالري وقد كنت نهيتك عن اشياء وامرتك بامور على ما
اوجبته سياسة الملك لا موجبات الشرع من برك ولم اكن لك عاقا
بل كنت صائنا وبرا واصلا ثم قضى ويداها على يديه واضعا لها
على صدره وكان مولده بالري وكذلك مولد هرون الرشيد فكانت
تلك الليلة فيها وفاة الهادي وولاية الرشيد ومولد المامون وقال
ان الهادي راى في بعض الليالي رجلا من اولياء الدولة ذو اجرام كثيرة
فجعل الهادي يذكر ذنوبه فقال الرجل يا امير المؤمنين اعتذاري مما تقرع
ردعليك واقراري بما ذكرت يوجب ذنبا علي ولكني اقول
ان كنت ترجو في العقوبة راحة فلا تزهدن عند المعافاة في الاجر
فاطلقه ووصله وحدث عدة من الاخباريين من ذوي المعرفة
باخبار الدولة ان موسى قال لاخيه هرون كاني بك تحدث نفسك
بتمام الرويا وتوملها انت منه بعيد ومن دون ذلك خرط القتاد فقال
له هرون يا امير المؤمنين من تكبر وضع ومن تواضع رفع ومن ظلم خذل
وان وصل الامر الي وصلت من قطعت وبررت من حرمت وصيرت اولادك

اعلى

348

اعلى من اولادي وزوجتهم بناتي وقضيت بذلك حق الامام المهدي فانجلى ذلك
عن موسى الغضب وبان السرور في وجهه وقال ذلك الظن بك يا ابا
جعفر ادن مني فقام هرون فقبل يده ثم ذهب ليعود الى مجلسه فقال
له موسى والشيخ الجليل والملك النبيل لا جلست الا معي في صدر
المجلس ثم قال يا خازني احمل الى الساعة الف الف دينار فاذا فتح
الخراج فاحمل اليه نصفه فلما اراد هرون الرشيد الانصراف قدمت
اليه دابته الى البساط قال عمرو الرومي فسالت هرون الرشيد عن
الرويا فقال قال المهدي رايت في منامي كاني دفعت الى موسى
قضيبا والى هرون قضيبا فاما قضيب موسى فاورق اعلاه قليلا
واما قضيب هرون فاورق من اوله الى اخره فقص الرويا على الحكم
ابن اسحق الضميري وكان يعبرها فقال لهما يملكان جميعا فاما موسى
فتقل ايامه واما هرون فيبلغ اخر ما عاش خليفة وتكون ايامه
احسن الايام ودهره احسن الدهور قال عمرو الرومي فلما افضت
الخلافة الى هرون زوج حمدونة ابنته من جعفر بن موسى وفاطمة من
اسمعيل بن موسى ووفى له بكل ما وعد وحدث عبد الله بن الضحاك
عن الهيثم بن عدي قال اهدى المهدي لموسى الهادي سيف عمرو
ابن معدي كرب الصمصامة فدعا به موسى بعدما ولي الخلافة ووضعه
بين يديه ودعا بمكتل دنانير وقال لحاجبه ائذن للشعراء فلما
دخلوا امرهم ان يقولوا في السيف فبدا ابن يامين البصري فقال

حاز صمصامة الزبيدي عمرو ... من جميع الانام موسى الامين
سيف عمرو وكان فيما سمعنا ... خير ما اغمدت عليه الجفون
اوقدت فوقه الصواعق نارا ... ثم شابت به الزعاف المنون
واذا ما شهرته بهر الشمس ... ضياء فلم تكن تستبين
وكان الفرند والجوهر الجاري ... في صفحتيه ماء معين
ما يبالي اذا الضريبة حانت ... اشمال سطت به ام يمين

وهي ابيات فقال الهادي لك السيف والمكتل بما فيه فخذهما ففرق المكتل
على الشعراء وقال دخلتم معي وحرمتم من اجلي وفي السيف عوض عن ... فبعث
اليه الهادي فاشتراه منه السيف بخمسين الفا وللهادي اخبار حسان
وقد اتينا على مبسوطها في كتابنا اخبار الزمان والاوسط واغنى ذلك عن التوسع
وكان الفراغ من نسخه بعد العشاء ليلة الاثنين حادي عشر شهر
ربيع الاول من شهور سنة ... بعد الالف من الهجرة النبوية
على صاحبها الصلوة والسلام

تم المجلد الاول ويتلوه المجلد الثاني
اوله خلافة هرون الرشيد